السبط
مجلة علمية فصلية محكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

السِّبط

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدسة

تصدر عن

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

في العتبة الحسينية المقدسة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين

السنة الخامسة / المجلد الخامس / العدد الثاني / ج ٢ / محرم ١٤٤١هـ - أيلول ٢٠١٩م

الهيأة الاستشارية

أ . د . علي راستبين
(الأكاديمية الجيوسياسية – فرنسا)

أ . د . محمد فريد عبد الله
(الجامعة الإسلامية – لبنان)

أ . د . صلاح حمزة عبد
(الجامعة المستنصرية – العراق)

أ . د . حسن عودة الغانمي
(جامعة المثنى – العراق)

أ . د . ياسر علي الخالدي
(جامعة القادسية – العراق)

أ . د . مازن حسن جاسم
(جامعة واسط – العراق)

أ . د . عمار عبودي نصار
(جامعة الكوفة – العراق)

أ . د . محمد يوسف الهيتي
(جامعة ديالى – العراق)

أ . د . زينب مرجان
(جامعة بابل – العراق)

أ . د . صباح رسول الجابري
(جامعة كربلاء – العراق)

أ . د . أكرم محسن الياسري
(جامعة كربلاء – العراق)

أ . د . فضل ناصر مكوع
(جامعة عدن – اليمن)

أ . د . حامد الظالمي
(جامعة البصرة – العراق)

أ . د . باقر محمد رضا الزجاجي
(جامعة أهل البيت – العراق)

أ . م . د . اسامة فاضل عبد اللطيف
(جامعة بغداد – العراق)

السبط

السنة الخامسة – المجلد الخامس – العدد الثاني

ج٢/ محرم ١٤٤١هـ – ايلول ٢٠١٩م

مجلة علمية فصلية محكّمة تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدّسة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الاربعين

.....

جمهورية العراق – محافظة كربلاء المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

العتبة الحسينية المقدسة

.....

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٠٧٩) لسنة ٢٠١٥م

.....

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة السبط – مركز كربلاء للدراسات والبحوث

E-mail:
alsibt@hotmail.com
alssebt_k.center@yahoo.com
alssebt.k.center1@gmail.com

facebook: facebook.com/alssebt

www.c-karbala.com

ص . ب (٤٢٨) كربلاء

أرقام الهواتف:

٠٠٩٦٤٧٧١٩٤٩١٢١٠

٠٠٩٦٤٧٩٠٣٤٠٩٥٥٦

٠٠٩٦٤٧٨١٤١٨٧٦٢٥

التصميم والاخراج الفني:
عماد محمد
مهدي ناظم الكعبي

الإشراف العام:
سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
(المتولي الشرعي للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة)

رئيس التحرير:
الأستاذ عبد الأمير عزيز القريشي
(مدير المركز)

مدير التحرير:
أ. د. رياض كاظم سلمان الجميلي
(رئيس الهيأة الإستشارية)

سكرتير التحرير:
م. سمير خليل شمطُو

هيأة التحرير:
أ. د. صابرينا ليون ميرفن (جامعة السوربون)
أ. د. جيرالدين شاتلار (المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)
أ. د. عدنان كريم نجم الدين (جامعة كربلاء)
أ. د. مكي عبد مجيد الربيعي (جامعة كربلاء)
أ. د. ضياء عبد الله الأسدي (جامعة كربلاء)
أ. د. حسن حبيب الكريطي (جامعة كربلاء)
أ. م. د. حيدر محمد عبد الله (جامعة كربلاء)
أ. م. د. مهدي وهاب نصر الله (جامعة كربلاء)
أ. م. د. سامي ناظم حسين المنصوري (جامعة القادسية)
أ. م. د. محمد وسام المحنّا (جامعة كربلاء)
م. د. جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)
م. د. ثامر مكي علي الشمري (الجامعة المستنصرية)

المراجعة اللغوية:
أ. د. حسن حبيب الكريطي
ماجد حميد الخاقاني

اللغة الانكليزية:
د. مؤيد ناجي أحمد (الكلية التربوية المفتوحة - بغداد)

سياسة النشر في مجلة السبط:

مجلة السبط مجلة فصلية محكّمة، تصدر عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، الحائز على شهادة الإعتماد الدولي من منظمة الثقافة والعلوم (اليونسكو- برنامج الذاكرة العالمية) وتستقبل البحوث والدراسات في مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية التي تبحث في الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدّسة لتكون مرجعاً علمياً لحفظ تراث المدينة وهويتها الدينية.

تدعوالمجلة جميع الباحثين في مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية للكتابة والتحقيق في إرث هذه المدينة العريقة وحضارتها، ببحوث ذات قيمة علمية ضمن إطار موضوعي بعيداً عن التحيّز والميول والتطرف والطائفية، لتحقيق الفائدة العامة لمجتمعنا.

ملاحظات عامة:

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
- إشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة أقصاها شهر من تأريخ تسليم البحث، ويخطر الباحث في حال عدم الموافقة على النشر، من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- لايجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلاالأسباب تقتنع بها هيأة التحرير ويتم ذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة.

تعليمات النشر في المجلة:

تُرحّب مجلة السبط بنتاجات السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية المختلفة وفقاً للقواعد الآتية:

١. إن البحوث كلّها تخضع للتقويم العلمي من قبل هيأة التحرير، وجمع كبير من الأساتذة في مختلف الإختصاصات العلمية.

٢. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط المنهج العلمي المعتمدة.

٣. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أومستلاً، أومقتبساً من كتاب، أو أطروحة، أو رسالة جامعية، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث.

٤. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقّة في الأسلوب بشكل صحيح.

٥. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب وتنظيم البحث بمصادره وهوامشه في نهاية البحث، كما يجب مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسلَّم البحث إلى هيأة التحرير مطبوعاً على نظام **(word)** ورق **(A4)** مع قرص مدمج **(CD)** يتضمن مادة البحث ونمط الخط **(Times new roman)** وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الانكليزية على أن لا تزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمّل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧. يجب وضع الهوامش والمصادر في نهاية البحث على أن يُتّبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقّق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إذا كان الباحث يتعامل مع المجلة لأول مرة.

٩. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الاتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف والبريد الاليكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة الى ذلك باللغتين العربية والانكليزية.

١٠. تسلم البحوث مباشرة الى مقر المجلة على العنوان الآتي: العراق – كربلاء المقدسة – حي البلدية– مركز كربلاء للدراسات والبحوث. أو أن تُرسل البحوث على البريد الالكتروني لمجلة السبط المحكمة: **alssebt_k.center@yahoo.com**

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

No: الرقم: ب ت ع/ ١٣٩٠
Date: التاريخ: ١٠/٤/٢٠١٥

"بجيشنا والحشد الشعبي العراق القوي وامضي"

العتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م / مجلة السبط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة، وبناة على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "مجلة السبط "الصادرة عن مركزكم الموقر تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية

تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
١٤/٤/٢٠١٥

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

العنوان : بغداد ـ شارع النضال ـ المجمع التربوي ـ بناية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ طابق ٦
www.rddiraq.com
Email: gd_office@rddiraq.com

شهادة الاعتماد الدولي

لمركز كربلاء للدراسات والبحوث

من منظمة **اليونسكو** (برنامج الذاكرة العالمية)

تأريخ الأعتماد: ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

وقائع

المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الاربعين

الذي أقامه المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين

في مركز كربلاء للدراسات والبحوث / العتبة الحسينية المقدسة

يوم ٨ /صفر الخير/ ١٤٤٠هـ، الموافق ١٨ / ١٠ /٢٠١٨م

١٤٤١هـ ٢٠١٩م

زيارة الأربعين معراج للإصلاح ومنهج للتربية الروحية

www.c-karbala.com

zyarat40@gmail.com

الإشراف العام على المؤتمر

المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه)

رئيس المؤتمر

المغفور له سماحة السيد محمد علي الحلو (طاب ثراه)

مدير المؤتمر

الاستاذ عبد الامير عزيز القريشي

مدير مركز كربلاء للدراسات والبحوث

اللجنة العلمية للمؤتمر

ا.د. مازن حسن جاسم / جامعة واسط	رئيساً
ا.د. رياض كاظم الجميلي/ جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
ا.د. حسن حبيب الكريطي/ جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
أ.د. تحسين جاسم شنان/ جامعة ذي قار	عضواً
ا.د. إياد عبد الحسين صيهود/ جامعة كربلاء	عضواً
أ.د. ماجد عزيز الساعدي / جامعة ميسان	عضواً
أ.م.د. محمد عبد الله ناصر / جامعة بابل	عضواً
أ.م.د. عبد الحليم شكور محمد/ جامعة كركوك	عضواً
أ.م.د. كاظم شامخ محسن/ الجامعة المستنصرية	عضواً
ا.م.د. هزبر حسن شالوخ / جامعة ديالى	عضواً
أ.م.د. أركان رحيم / جامعة بغداد	عضواً
ا.م.د. ناجح جابر الميالي/ جامعة المثنى	عضواً
ا.م.د. علاء حسين عبد / جامعة النهرين	عضواً
أ.م.د علي عبد الحسن مجبل / جامعة الكوفة	عضواً
أ.م.د. خالد مرزوك / جامعة القادسية	عضواً

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

ا.م.د مهدي وهاب نصرالله / جامعة كربلاء - مستشار علمي	رئيساً
ا.م.د. حيدر محمد الكربلائي/ جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
م.د. ثامر مكي علي /الجامعة المستنصرية - مستشار علمي	عضواً
أ.م.د. رائد حمود عبد الحسين/ جامعة ذي قار	عضواً
ا.م.د محمد علي حسين / جامعة ديالى	عضواً
أ.م.د. بلال نجم / جامعة بغداد	عضواً
أ.م.د. لازم حسن عبود ناشي/ جامعة بابل	عضواً
أ.م.د. عمار علي اسماعيل /جامعة ميسان	عضواً
أ.م.د. عبد الهادي غالب /جامعة كركوك	عضواً
أ.م.د. حسام عبد الزهرة /الجامعة المستنصرية	عضواً
م.د. علي كاظم حسين / جامعة واسط	عضواً
الاستاذ علي الفريجي / السويد	عضواً
الشيخ محمد عبد الرضا الساعدي / هولندا	عضواً
السيد جمال الشهرستاني/ العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
السيد هشام العميدي / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
الحاج عبدالامير طه / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
حسنين عبد اللطيف علوش/ مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

اللجنة التنسيقية للمؤتمر

ا.د. محمد جواد الطريحي/ جامعة بغداد	رئيساً
أ.د. عبد الخالق خميس/جامعة ديالى	عضواً
ا.م.د. ابراهيم عباس / الجامعة المستنصرية	عضواً
أ.م.د. عدنان مالح ساجت/ جامعة ذي قار	عضواً
أ.م.د.حيدر عبد الجليل/ جامعة ذي قار	عضواً
م.د.حسن جابر العطا /جامعة بغداد	عضواً
م.د. عبد المحسن جواد/ جامعة الكوفة	عضواً
م.د. مثنى عبد الجبار/ جامعة بابل	عضواً
م.م. أمير كامل جواد/ مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

لجنة العلاقات العامة والإعلام

ا.د. محمد يوسف الهيتي / جامعة ديالى	رئيساً
ا.د. مريم عبد الحسين / جامعة الكوفة	عضواً
ا.م.د. قاسم شعيب عباس / جامعة النهرين	عضواً
ا.م.د. حازم علاوي الغانمي / جامعة كربلاء	عضواً
ا.م.د. علي محمد الجابري / جامعة القادسية	عضواً
ا.م. سمير خليل شمطو / مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
السيد مسلم عبد صكبان / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
الاعلامي توفيق الحبالي / محافظة كربلاء	عضواً
عماد محمد البيرماني / مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

الاخراج الفني

مهدي ناظم اخوباشه الكعبي

التصميم

عماد محمد لفتة البيرماني

المحتويات

الكلمة الافتتاحية ٢٣

المحور الثالث

المحور التاريخي والجغرافي في زيارة الأربعين

تحليل مكاني لحركة السياحة الدينية في محافظة كربلاء خلال مدة زيارة الاربعين لعام٢٠١٧م ٢٧

دعاء صبار خضير الشمري / ماجستير جغرافية اقتصادية / قسم الجغرافيا -جامعة بابل

دنيا شكر عباس النجار / ماجستير جغرافية المدن / قسم الجغرافيا -جامعة بابل

زيارة الأربعين وأثرها في تنمية السياحة الدينية في العراق ٥٣

م. د. حسين قاسم محمد الياسري / مركز دراسات البصرة والخليج العربي-قسم الدراسات الجغرافية-جامعة البصرة

موقف السلطة الحاكمة من زيارة الأربعي ١٩٦٨-٢٠٠٣م ٧٥

ا. م. د. محمد فهد القيسي / م. د. علي خضر العكيلي

كلية التربية - جامعة واسط

يوم الأربعين - دراسة تحليلية للمرويات التاريخية- ٩٩

أ. م. د. وفاء عباس فياض - جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

المحور الرابع

الشعائر الحسينية في زيارة الأربعين

أثر الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي ١٣٣

م. د. خديجة حسن علي القصير / كلية القانون - جامعة الكفيل

زيارة الأربعين في الشعائر الحسينية ١٤٧

الباحث: السيد علوي الموسوي البلادي / استراليا

المحور الخامس

الأبعاد النفسية والتربوية في زيارة الأربعين

القيم التربوية المستوحاة من واقعة الطف (زيارة الأربعين) ١٦٧

أ. م. د حسين رحيم عزيز الهمّاش جامعة واسط / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

المسايرة لدى زوار زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام ١٨٣

حنين كاظم هندي الحسناوي / ماجستير علم النفس

مركز الارشاد الاسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة

المحور السادس

فعالية زيارة الاربعين في ترسيخ مبدأ التعايش

الصورة السياحية الدينية ودورها في تحقيق التعايش السلمي في محافظة كربلاء المقدسة

(الزيارة الأربعينية - دراسة حالة) ١٩٩

م.م. حيدر ضياء سلمان العبيدي / م.م. مصطفى مكي جواد الفتلاوي

المحور السابع

الأبعاد الأدبية والثقافية في زيارة الأربعين

أثرُ المقاربة التداولية في بيان مضامين الخطاب (نص زيارة الأربعين إنموذجاً) ٢٢٧

علي محمد نور مجيد عباس / ماجستير في لغة القرآن وإعجازه

استشهاد الحسين عليه السلام بين المشروطية التاريخية وقداسة العود الأبدي المطلق ٢٤٥

د. اكسم احمد فياض / باحث سوري

السرد الوصفي في زيارة الناحية المقدسة ٢٦١

م. م. أحمد جاسم ثاني / كلية التربية – قسم اللغة العربية – جامعة البصرة

النهوض بزيارة الاربعين من خلال المسارح والمعارض والمكتبات ٢٧١

م. م. خولة خمري / جامعة محمد الشريف / الجزائر

عبد الكريم جعفر الكشفي / مدير عام تربية ديالى السابق/ العراق

علي إبراهيم الليلو / مسؤول التعليم الالكتروني/ تربية ديالى / العراق

تمثُّلات المكان في مسير السبايا يوم الأربعين ٢٩٥

أ. د. عبدالإله عبد الوهاب هادي العرداوي / كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية – جامعة الكوفة

خطاب الزيارة - دراسة في الأبعاد التواصلية لآداب زيارة الأربعين

لضريح الإمام الحسين عليه السلام - ٣١١

م. د. عالية خليل إبراهيم / كلية التربية – قسم اللغة العربية – الجامعة المستنصرية

رثاء الامام الحسين عليه السلام في شعر أبي المحاسن الكربلائي (دراسة فنية) ٣٢٧

أ. م. د. حازم علاوي الغانمي / أ. م. د. مسلم مالك الاسدي

كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

المحور الثامن

زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات

زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات(نموذج العراق ولبنان) ٣٤٧

الباحثة إيناس شريم

البعد العالمي لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ٣٦٥

أ.د. خليل حسن الزركاني / كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد

زيارة الأربعين مثالٌ لحوار الحضارات الانسانية..... ٣٧٩

الباحثة ابتسام سلمان عبد السادة الشحماني

المحور التاسع

دور المرأة والشباب في زيارة الأربعين

أثر زيارة الأربعين في ايديولوجية المرأة المسلمة الحجاب إنموذجاً ٤١١

أفراح فليح مجيد عبد الحسين

بكالوريوس علوم قرآن– كلية الفقه الجامعة / العتبة العلوية المقدسة – شعبة المكتبة الفكرية

دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين ٤٣٣

م. نهى حامد طاهر الطائي / كلية الطب – جامعة العميد – العتبة العباسية المقدسة

المحور العاشر

زيارة الأربعين والحشد الشعبي

الأبعاد العقائدية في زيارة الأربعين وعلاقتها بالحشد الشعبي ٤٥٧

الباحثة:دينا فؤاد جواد

المحور الحادي عشر

أوراق بحثية

زيارة الأربعين في الصحافة النجفية (صحافة العهد الملكي نموذجاً) ٤٨١

م. م. وسن صاحب عيدان / العتبة العلوية المقدسة: شعبة المكتبة الفكرية

أهمية الزيارة الأربعينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الشباب من منظور النهضة الحسينية.....٤٨٣

رولا خالد الداود / اشتية / مديرة الجامعة العربية المفتوحة (شمال أمريكا) فرع فلسطين

فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتجليات زيارة الأربعين.....٤٨٦

د. عبدالرضا عطاشى

استاذ مشارك وعضو الهيئة العلمية في جامعة آزاد الإسلامية إيران– فرع عبادان

مؤشرات البناء النفسي لشخصية الإنسان المستوحاة من فضل زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في ضوء أحاديث وروايات آل البيت عليهم السلام ٤٨٧

أ. د. مازن الحسني / جامعة واسط

أ. م. د. زهراء عبد المهدي محمد علي الموسوي / الجامعة المستنصرية –كلية الآداب قسم علم النفس

مستقبل زيارة الأربعين في ظل التحديات والتهديدات والفرص ٤٩٠

الباحث: هادي حسن شويخ / أمين عام مؤسسة آشور للتنمية وحقوق الإنسان – واسط

مفاهيم في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام (الجهاد، الاستشهاد، الحرية، والنعيم الأبدي) نموذجاً ٤٩٣

أ. م. د. نوال كمال النقيب / كلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية جامعة كربلاء

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي / كلية العلوم الإسلامية – قسم الفقه وأصوله جامعة كربلاء

الشعائر الحسينية في زيارة الأربعين ٤٩٤

م. م. سلوان سعد صالح / علي فضيله خضير الشمري

الملحق

دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان (زيارة الأربعين أنموذجاً) ٤٩٧

أ.د. نجم عبدالله الموسوي / كلية التربية / جامعة ميسان

الإنفاق في زيارة الأربعين علامة إيمان - دراسة استدلالية في ضوء القرآن والسنّة ٥٢٣

م. د حسين صالح ظاهر / مديرية تربية كربلاء المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

وبعد..

لقد حظيت زيارة أربعينية الإمام الحسين ﷺ باهتمام بالغٍ على مدى تأريخها الطويل لما فيها من دلالات ومعانٍ كبيرة في نفوس المسلمين عامة، وأبناء الشعب العراقي خاصة، كونها جسدت مجموعةً من الصور الانسانية كإشاعة مبدأ التعايش السلمي بين الزائرين بمختلف ثقافاتهم وإنتماءاتهم الفكرية، ومدى التلاحم الثقافي والمجتمعي، ونكران الذات والتسابق في تقديم الخدمات لدى مختلف شرائح (مجتمع الأربعين)، حتى أضحت هذه الزيارة هوية ثقافية وحضارية لشعبنا العراقي المعطاء، الأمر الذي دعا مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة الى السعي الحثيث لتسجيل هذه الزيارة في منظمة اليونسكو العالمية كشعيرة دينية، وممارسة إجتماعية ضمن لائحة التراث العالمي غير المادي، بعد إكمال كافة الإجراءات المتعلقة بملف التسجيل الذي قُدم الى المنظمة الدولية للتصويت عليه مطلع العام القادم بإذنه تعالى.

وإيماناً من مركز كربلاء للدراسات والبحوث بأهمية دراسة زيارة الأربعين المباركة شرع بتأسيس مجلس علمي يعنى بدراسة وتحليل مظاهر هذه الزيارة، ومتطلباتها، وأبعادها، برؤية علمية تعتمد البحث العلمي سبيلاً لمعالجة المتغيرات المتعلقة بها، فانبثق هذا المجلس تحت عنوان (المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين المليونية) الذي ضمَّ في عضويته عدداً كبيراً من الباحثين والمفكرين من جامعات العراق المختلفة الحكومية منها والأهلية، وبتعاون مثمر وبنّاء مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كي يكون منبراً علمياً لتقديم الدراسات والبحوث والتوصيات المتعلقة بهذه الزيارة المباركة.

ومن أُولى منجزات هذا المجلس هو (المؤتمر العلمي الدولي لزيارة الاربعين المباركة) بنسخته الثانية، الذي ركّز على مجموعة من المحاور المتعلقة بالزيارة، لما فيها من انعكاسات على تهذيب السلوك الجمعي، وإعادة قراءته من زوايا متعددة.

لقد تسلَّمت اللجنة العلمية ما يناهز الـ(٨٥) بحثاً وورقة عمل، من داخل العراق وخارجه، توزعت على المحاور الرئيسة للمؤتمر، وبعد عرضها على عددٍ من الخبراء في المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين، تم قبول (٥٢) بحثاً، وورقة عمل، في ما تم رفض البحوث الأخرى لعدم انسجامها مع المحاور الرئيسة المؤتمر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللجنة العلمية للمؤتمر

المحور الثالث

المحور التاريخي والجغرافي في زيارة الأربعين

تحليل مكاني لحركة السياحة الدينية في محافظة كربلاء خلال مدة زيارة الاربعين لعام٢٠١٧م

دعاء صبار خضير الشمري
ماجستير جغرافية اقتصادية
قسم الجغرافيا –جامعة بابل

دنيا شكر عباس النجار
ماجستير جغرافية المدن
قسم الجغرافيا –جامعة بابل

الملخص

أصبحت السياحة الدينية أحد أهم الموارد المالية لكثير من دول العالم خاصة من العملة الأجنبية الداخلة لكثير من الدول، ولهذا تعتبر السياحة الدينية من مقومات السياحة الرئيسة في العراق عامة وكربلاء خاصة، لما لها من اهمية اقتصادية واجتماعية حيث تدعم الاقتصاد الوطني وتنمّي الثقافات بين الشعوب والدول وتوطدها، وبالتالي فأن لأهمية مدينة كربلاء المقدسة واثرها البالغ في تطور السياحة الدينية في البلد بصورة عامة وخلال زيارة الأربعين في كربلاء خاصة، وذلك كون كربلاء مكان يقصده الآلاف من الزائرين نتيجة ما تحتوي هذهِ المدينة من أماكن مقدسة إذ يتوافد اليها الزائرون باستمرار وخاصة خلال ذروتها في زيارة الأربعين سواء من داخل البلد أو من خارجه، ولذلك يقوم هذا البحث بإعطاء صورة واضحة قدر الامكان عن ما تحويه مدينة كربلاء من المقومات الجغرافية والدينية التي تتمتع بها هذه المدينة وما لها من دور في تنمية حركة الساحة الدينية في محافظة كربلاء.

A spatial analysis of the religious tourism movement in the governorate of Karbala during the 2017 Arbaeen pilgrimage

Lecturer. Dua'a Sabbar Khudair Al-Shammari *Lecturer. Dunia Shukur Abbas Al-Najjar*

Faculty of Education / Babylon University

Abstract

The religious tourism has become one of the most important financial resources for many world's states، particularly of the inward foreign currency of most countries. Accordingly، the religious tourism is considered as one of tourist fundamentals in Iraq generally and in Karbala specifically، because of its social and economic importance، supporting the national economy، developing cultures between peoples and states and reinforcing them.

Consequently، the holy city of Karbala has the importance and significant impact in developing the religious tourism in the country in general and during the visit in Karbala in specific، considering Karbala as a place where thousands of people go to because the city includes holy places where visitors are coming in constantly and particularly during its peak whether from within the country or outside it.

The paper provides a full picture as much as possible concerning the city of Karbala in that it contains geographical and religious fundamentals and its role in activating the religious affairs in the province of Karbala.

أولاً: المقدمة

تعد السياحة والسفر ثاني أكبر صناعة على مستوى العالم، ويتوقع لها المزيد من النمو والازدهار القريب وبهذا تصبح أكبر صناعة في العالم على الأقل من حيث رأس المال المستثمر والأيدي العاملة، وتُعَدُّ السياحة الدينية أحد فروع السياحة بل أنها تعد من أهمها لأنها تُعَدُّ مصدراً مهماً للعملات الصعبة ومحاربة الفقر بأنواعه، كما لها دور فاعل في زيادة مستوى الإنفاق وتشجيع فرص التنمية والاستثمار وبالتالي تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لسكان المنطقة السياحية.

والسياحة الدينية تجمع عوامل عديدة منها اقتصادية واجتماعية وديمغرافية وثقافية وتكنولوجية، فهي مهمة في حياة البشر لأنها تحقق الاتصال الروحي بين الانسان وخالقه في الامكان المقدسة.

كما حظي النشاط السياحي بأهمية كثير من دول العالم وذلك من خلال الدراسات الاقتصادية لمرتكزات النشاط السياحي ومحدداته ومجالات الاستثمار فيه خاصه مع زيادة نشاط السياحة الدينية خلال زيارة الأربعين.

تتعدد وتتنوع السياحة وتأتي بالمقدمة (السياحة الدينية) والتي لها الأهمية الاقتصادية والروحية والاجتماعية إذ تبرز أهميتها في العراق بوجود العديد من المراقد الدينية وبالتحديد في محافظة كربلاء التي تتميز بوجود عدد من المراقد الدينية أبرزها مرقد الإمام الحسين بن علي عليه السلام ومرقد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وهي معروفه عالمياً وتعد محط أنظار العالم.

وقد ركزت الدراسة على مدينة كربلاء من خلال إبراز مكانتها الدينية، فضلاً عن خصائصها السياحية، وتبرز اهمية كربلاء من خلال عرض التوزيع الجغرافي للسياح الوافدين من داخل وخارج العراق، وهذا يعطي للموقع أهمية خاصة لغرض توفير الخدمات السياحية التي تحتاجها المدينة بما يلبي حاجة السائحين خاصة خلال زيارة الأربعين.

ثانياً: المشكلة

تضمنت مشكلة البحث التساؤلات الآتية:

١. ماهي أهم المقومات الجغرافية للسياحة الدينية في مدينة كربلاء؟
٢. ماهو مستوى كفاءة الخدمات السياحية في مدينة كربلاء؟
٣. هل هناك تباين في حركة السياحة خلال مدة زيارة الأربعين؟

ثالثاً: الفرضية

١. تتميز محافظة كربلاء بمقومات جغرافية جيدة.
٢. ان مستوى الخدمات في مدينة كربلاء يحتاج إعادة النظر فيها لأن اغلب الخدمات دون المستوى المطلوب.
٣. يفترض البحث في ارتفاع معدل أعداد الزائرين خلال مدة زيارة الأربعين وتباين مناطق وفودهم الى مدينة كربلاء المقدسة.

رابعاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى عدد من الأمور أهمها:

١. تسليط الضوء على أهم المقومات الجغرافية التي تؤثر على السياحة الدينية في محافظة كربلاء، ومدى تأثير هذهِ العوامل على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والحضاري في المحافظة.

٢. رسم جدول أو خريطة جغرافية لحركة السياح والوافدين سواء من باقي المحافظات أو من خارج العراق من البلدان العربية والاجنبية وإبراز أهم المناطق التي يتوافد منها الزوار.

٣. وضع بعض التوجيهات والتوصيات المستقبلية لتذليل الصعوبات والمعوقات التي تواجه السياحة الدينية وخاصة خلال زيارة الأربعين في محافظة كربلاء.

خامساً: الحدود المكانية والزمانية

تقع محافظة كربلاء ضمن إقليم الفرات الاوسط من العراق وعلى أطراف الحافة الشرقية من هضبة البادية الشمالية من الهضبة الغربية غربي نهر الفرات، وهي تشترك بحدودها الإدارية مع ثلاث محافظات هي محافظة الانبار من الشمال والغرب وعلى طول (١١٢كـم)، ومن الشرق محافظة بابل على طول (٤٥كـم)، ومن الجنوب مع محافظة النجف على طول (٧٤كم)، اما موقعها من العاصمة بغداد فهي تبعد(١٠٥كم) الى الجنوب الغربي منها.

اما الحدود الزمانية فقد اقتصرت الدراسة على واقع حال للسياحة الدينية خلال زيارة الأربعين لسنة ٢٠١٧م.

سادساً: أهم المصطلحات والمفاهيم الأساسية حول موضوع البحث:

١. **الدين**: هو اعتقاد البشر بوجود قوه تدير شؤون البشرية والكونية مما يدعو إلى أن تكون هناك علاقة بين البشر وبين تلك القوة، وأن تحديد نوعية أو كيفية هذهِ العلاقة تختلف من جماعة إلى أخرى بين البشر وبهذا فإن المعتقدات الدينية تختلف من مكان إلى أخر[١].

٢. **السياحة**: هناك العديد من التعاريف المستخدمة من قبل الخبراء في مجال السياحة والمنظمات السياحية العالمية اهم هذه التعاريف هي:

- ان اول تعريف وضع لمفهوم السياحة يعود إلى حوالي العام (١٩٠٥م) من قبل الباحث (جوبير فرويلير) اذ عرّفها بأنها (ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة الى الراحة والى تغيير اجواء الحياة اليومية والى نمو الاحساس بجمال الطبيعة والبهجة التي تضيفها في نفس السائح لذلك اغلب المناطق التي يختارها مناطق لها طبيعتها الخاصة[٢].
- تعريف منظمة السياحة العالمية (**W.T.0**) وهو مجموعة الانشطة التي يمارسها الاشخاص المسافرون او المقيمون في الاماكن غير المعتادة لهم طلبيً للراحة والترويح، والتي لا تزيد مدة الاقامة عن عام.
- منظمة السياحة الوطنية في انجلترا عرفتها على انها: حركة مؤقتة ولوقت قصير يقوم بها اشخاص لأماكن خارج مناطق إقامتهم وعملهم وانشطتهم الاعتيادية، وتشمل هذهِ الحركة

لمختلف الاغراض خلال المدة التي يقيمون بها.

- أما جمعية الخبراء العالميين في السياحة فقد عرفوها بأنها: النشاطات المختارة من قبل الاشخاص والتي تتم خارج بيئتهم الاعتيادية[٣].

٣. **السياحة الدينية**: وهي زيارة الأماكن الدينية للتبرك، مثال ذلك أداء فريضة الحج وزيارة الاضرحة الدينية، فهي تشكل حاجة نفسية وروحية واجتماعية داخل الفرد يتم اشباعها من خلال زيارة الاماكن الدينية واداء الشعائر فيها. وأن طبيعة الدافع الروحي بين الزائر والعتبة الدينية هو الحاجة المستمرة للاتصال الروحي بالخالق عزَّ وجلَّ، لذلك فهو يعد من الاساسيات الاساسية في حياة الانسان[٤]. كما يدخل ضمن مفهوم السياحة الاطلاع على آثار وحضارة الشعوب القديمة والحديثة ويتم من خلال زيارة الاماكن الدينية والأثرية كذلك الاسواق والمناطق القديمة. وتحتضن الدول الاسلامية خصوصاً العراق العديد من الاماكن المقدسة التي تعتبر من أبرز معالم الحضارة الاسلامية التي تستقطب ملايين المسلمين وغير المسلمين من ارجاء العالم إضافة الى شواهد دينية بارزة لإشباع الديانات الاخرى[٥].

٤. **السائح**: يقصد بالسائح هو الذي يزور دولة ما زيارة مؤقتة ولأي سبب عدا قبول العمل، ويشمل تعريف السائح مفهومين وهما: السياح (**Touriata**) وهم الذين يزورن بلداناً لأكثر من ٢٤ ساعة ولمسافة (١٠٠ميل أي ١٦٠ كم)، والمفهوم الثاني المتنزهون (**Excursionists**) وهم الذين يزورون المناطق لمدة أقل من ٢٤ ساعة او ما يعبر عنه بالراحة اليومية (**Day Trip**) لعدة ساعات، وهو يقطع مسافة أقل ٥٠ ميل أي ٨٠كم) عن مكانه الاصلي[٦].

٥. **الاضرحة الدينية**: هي تلك المراكز أو الاماكن التي يمارس فيها الانسان طقوس عبادته مثل الصلاة وقراءة القرآن وغيرها، وذلك لان هذهِ المراكز من أكثر الاماكن تقرباً لله سبحانه وتعالى إذ تضم بداخلها قبور الاولياء والصالحين وتشكل تلك الاضرحة الدينية النواة الاساسية لتطور المدينة[٧].

٦. **الخدمات السياحية**: هي مجموعة الأعمال التي تقدم للسياح من الراحة والتسهيلات عند الشراء او استهلاك الخدمات والبضائع السياحية وذلك من خلال وقت سفرهم او خلال اقامتهم في المرافق السياحية بعيداً عن مكان سكنهم الاصلي.

واما التحليل المكاني لمدينة كربلاء فهو كالتالي:

أولاً: الخصائص المكانية لمنطقة الدراسة:

١. الموقع الجغرافي والحدود الادارية لمحافظة كربلاء:

يعد الموقع الجغرافي من العوامل الطبيعية المهمة واكثرها أهمية في حياة الانسان واستقراره، ويحدد الظروف المناسبة لقيام الاستقرار. وبالتالي فإن الموقع الجغرافي بدلالته المكانية يعد عاملاً طبيعياً فعالاً في رسم شخصية المكان ومنها إقليم كربلاء. تقع مدينة كربلاء في جنوب غرب مدينة بغداد، فهي تقع بين دائرتي عرض (٤٥-٣١) و(٤٥-٣٢) شمالي خط الاستواء، وخطي طول (١٥-٤٣) و(٣٠-٤٤)

شرق خط غرينج[٨] انظر خريطة (١) ولذلك فهي تقع وسط العراق في الجزء الغربي من السهل الرسوبي والى شرق الهضبة الغربية الصحراوية، وايضاً تقع الى الجنوب الغربي من بغداد وبمسافة (١٠٥) كم. تبلغ مساحتها حوالي (٥٠٣٤) كم٢ أي بنسبة (١٤ , ١٪) من مجموع مساحة البلد البالغة (٤٣٥٠٥٢) كم٢[٩].

كما ترتبط المحافظة بمحافظة بغداد والنجف وبابل والقادسية بالعديد من الطرق، وتتزود المحافظة بالمياه عن طريق نهر الحسينية الذي يتفرع من نهر الفرات ويبلغ طوله (٢٩) كم.

وقد برزت مدينة كربلاء بصورة كبيرة بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار (٦١هـ)، كما تشكل المحافظة نظاماً إدارياً من ثلاثة أقضية وخمس وحدات إدارية ما بين مركز قضاء وناحية[١٠] وهي كما مبيَّنة في الجدول (١) والخريطة(٢).

خريطة (١) موقع محافظة كربلاء من العراق

المصدر: جمهورية العراق، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الادارية، ٢٠١٧م.

جدول(١) الوحدات الإدارية لمحافظة كربلاء المقدسة

المحافظة	القضاء	الوحدة الإدارية	المساحة كم٢	النسبة٪
كربلاء	كربلاء	مركز القضاء	٥٩٠	١١,٧٢
		ناحية الحر	١٧٩٧	٣٥,٧٩
		ناحية الحسينية	٣٣٤	٦,٦٣
	المجموع		٢٧٢١	٥٤,١٤
	الهندية	مركز القضاء	٦٧	١,٣٣
		ناحية الخيرات	١٢٢	٢,٤٢
		ناحية الجدول الغربي	١٦٨	٣,٣٣
	المجموع		٣٥٧	٧,١
	عين التمر	مركز القضاء	١٩٥٦	٣٨,٨٥
	المجموع	المحافظة	٥٠٣٤	١٠٠

المصدر: محافظة كربلاء، مديرية بلدية كربلاء، قسم المتابعة والتخطيط (بيانات غير منشورة)، ٢٠١٧م.

ولموقع مدينة كربلاء أهمية بالغة بالنسبة لموقع المدن الاخرى في العراق وذلك لتشابه ظروفها المناخية مع العديد من المحافظات المحيطة بها، كما أنها تقع ضمن أكثر الاقاليم كثافة بالسكان.

كما تعني كربلاء اصطلاحاً من المدن العراقية القديمة التي يعود تاريخها الى العهد البابلي. وذكر اسمها انه مشتقة من كلمة (قاربالاتو) الاكدية التي تعني (القلنسوة الحادة) وكذلك (كاربلا) المشتقة من اللغة الارامية، والاسم مشتق كذلك من كلمة(كور بابل) او (عقر بابل) التي تعني مجموعة من القرى القديمة التي كانت تابعة لمحافظة بابل العاصمة ومن هذه القرى هي (النواويس والطف والشفية ونينوى وكربله وعقر بابل) ثم صيرت الكلمة الى كربلاء.

ويضيف الجغرافي العربي ياقوت الحموي بعداً جغرافياً لأصل التسمية هو ان (كربله) تعني رخاوة التربة التي توجد في أرض كربلاء وتعني (رخاوة القدمين عند المشي)، وعند نزوله عليه السلام أرض كربلاء عام ٦٨٠م سأل عنها قيل انها كربلاء فعند ذلك تنفس الصعداء وقال مقولته الشهيرة (أرض كربلاء أرض كرب وبلاء)[١١].

٢. مظاهر السطح:

ان مظاهر السطح من العوامل الطبيعية المهمة التي تؤثر على السياحة الدينية، إذ أنها تؤثر على مد طرق النقل وإقامة المنشآت السياحية والخدمية من فنادق ومطاعم واماكن استراحة وغيرها.

ان سطح المحافظة يتسم بالانبساط في الاجزاء الشرقية وكذلك الوسطى ويكون الانحدار بشكل

خريطة (٢) التقسيمات الإدارية لمحافظة كربلاء

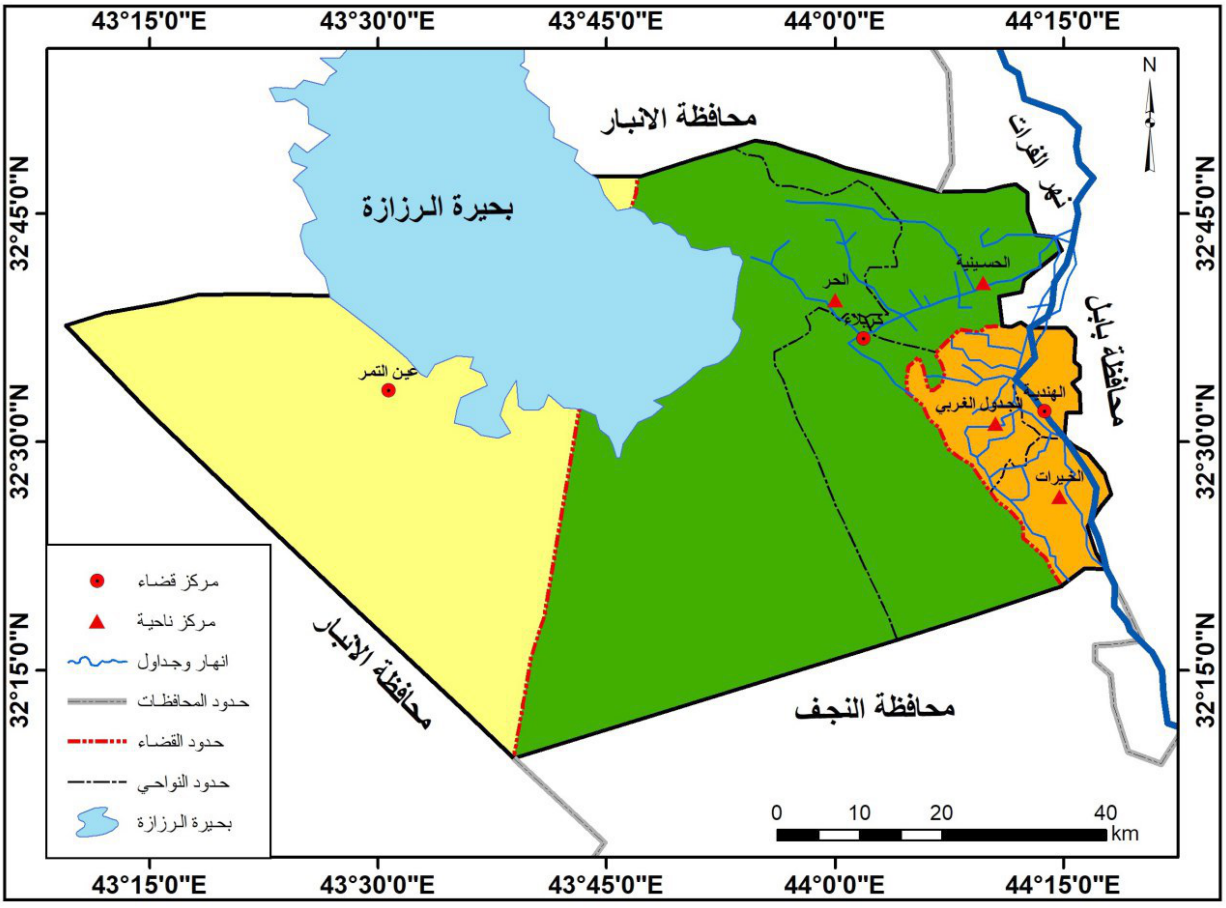

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، قسم انتاج الخرائط، خريطة محافظة كربلاء الادارية بمقياس ١:٢٠٠٠٠ لعام ٢٠١٧م.

عام من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، اذ يمثل السهل الرسوبي الجزء الشرقي من المحافظة والذي يتميز بانبساطه وقلة تضرسه، فالأقسام الشمالية منه لا يزيد ارتفاعها عن (٣٥م) فوق مستوى سطح البحر، في حين يصل الإرتفاع في الاقسام الجنوبية الى (٢٣م) فوق مستوى سطح البحر[١٢].

وبهذا نجد ان هذا الانبساط يوفر بيئة مناسبة لقيام الاستقرار السكاني في منطقة الدراسة، اما النطاق الثاني فيشمل الجزء الغربي منها الذي يسمى بالهضبة الغربية والذي يشكل القسم الاوسع من المحافظة ويتميز بقلة تضرسه وانحداره البسيط ويكون من الجنوب نحو الشمال، كما يظهر انحدار آخر من الشرق للغرب. ان هذا الانحدار وفر ميزة تصريف المياه للمنطقة ليكون باتجاه جنوبي غربي شمال شرقي نحو بحيرة الرزازة وكذلك السهل الرسوبي بشكل عام.

ان مظاهر السطح تؤثر على السياحة الدينية سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة لأنها تؤثر على تنوع الانشطة السياحية، ان هذا الاستقرار لو استغل بالشكل الصحيح لكانت بيئة جاذبة للسياح

وخاصة السياح الاجانب من خارج العراق كون النسبة الكبيرة إن لم تكن كلها يقيمون في الفنادق، اما السياح من داخل العراق اغلبهم يقيمون في المواكب خلال زيارة الأربعين، وكذلك فأن مظاهر السطح وانبساطه في المحافظة لا تؤثر فقط على المنشآت المقامة فقط بل من الممكن ان يُستفاد منه في الجذب السياحي ضمن السياحة البيئية اذ أن حركة السياحة في المنطقة – بغض النظر عن طبيعتها – تعتمد على عوامل الجذب السياحي وان السائح الذي يرتاد تلك المناطق وخاصة من الدول الأجنبية لا يأتي لغرض واحد وانما لكي يستمتع بطبيعة تلك المنطقة او بالمشاريع المقامة وعلى سبيل المثال بحيرة الرزازة التي تعتبر احدى مظاهر السطح المميزة في كربلاء خاصة والعراق عامة ومن الممكن الاستفادة منها في بناء المنتجعات السياحية فيها.

٣. المناخ:

تقع محافظة كربلاء في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة الشمالية الواقعة نهاية الطرف الشرقي للنطاق الارضي الذي يتصل غرباً بالأرض ذات المناخ الصحراوي وبلاد الشام والجزيرة العربية، وبهذا فهي تخضع لمؤثرات المناخ الصحراوي الجاف، وطبقاً لبعض المعايير والتصانيف المناخية فهي تقع ضمن اقليم المناخ الصحراوي الجاف وتصنيف كوبن المناخي.

ومن وجهة نظر الشلش يقول بأن المحافظة تقع ضمن الاقليم الجاف وشمال خط الاستواء الذي يتصف بقلة التغيم وقلة الرطوبة، ونتيجة لذلك ترتفع معدلات الاشعاع الشمسي وتتراوح ما بين(١١-١٤) ميكاجول/ م٢ يوم شتاءً، وبين (٢٦-٢٧) ميكاجول/ م٢ يوم صيفاً[١٣].

كما يتميز المناخ بالتطرف بين فصلي الصيف والشتاء إذ تكون درجة الحرارة العالية في فصل الصيف لاسيما شهر تموز وآب بحيث تصل الى (٤٤,٢)م، نتيجة بُعد العراق عن المؤثرات البحرية[١٤]، وتنخفض درجة الحرارة خلال فصل الشتاء في كانون الثاني (١٦,٢)م. أن هذهِ العوامل متداخلة فيما بينها ويؤثر بعضها على البعض الاخر وأن هذا التداخل له تأثير على طبيعة الإنسان بصورة عامة وعلى السائح والزائر بصورة خاصة، إذ يؤثر على طبيعة تصرفات الانسان بصورة مباشرة وغير مباشرة وبصورة سلبية أكثر من الايجابية وخاصة خلال فصل الصيف مع انعدام الخدمات وانقطاع التيار الكهربائي باستمرار وعدم توفر التكييف المناسب.

لذا فإن الاختلاف والتباين في عناصر المناخ في فصلي الصيف والشتاء في منطقة الدراسة ربما يدفع العديد من السياح للعزوف عن المجيء الى منطقة القصد، وبهذا يتطلب من الجهات المعنية والمهتمة بهذا الجانب ان تقوم بتهيئة الاجواء المناسبة للسياح من خلال توفير متطلبات الوقاية على سبيل المثال بناء كرفانات ومظلات لحماية السياح والزوار من حرارة الشمس وأشعتها في الصيف، والبرد والمطر في فصل الشتاء، فضلاً عن زيادة زراعة الاشجار لترطيب وتلطيف الجو وكذلك الاستفادة من ظلها لاسيما في فصل الصيف إضافة الى الوقاية من العواصف الغبارية والرملية لان الاشجار تعمل كمصدّاتٍ وحاجز أخضر لهذه العواصف.

٤. التربة:

تعد التربة من أبرز عوامل الاستقرار البشري ذات التأثير المباشر في نمط توزيع السكان، إذ ان الاستقرار البشري كان ولازال يرتبط بالترب الخصبة أكثر من غيرها وهذا يعود الى اختلاف العوامل الطبيعية البيئية المؤثرة في تكوين التربة مثل المناخ والنبات الطبيعي والتضاريس.

توجد في محافظة كربلاء ثلاث أنواع من الترب، وهي تربة كتوف الانهار وتربة الاحواض والتربة الصحراوية، وتعد تربة كتوف الانهار من افضل انوع الترب كونها قريبة من نهر الفرات وهي تربة جيدة الصرف وتنخفض نسبة الاملاح فيها[١٥]، اذ تؤثر نوعية التربة على طبيعة المشاريع المقامة في المنطقة السياحية وعلى اقامة طريق النقل وكذلك تؤثر على بناء مراكز الايواء والفنادق اضافة الى المشاريع السياحية الترفيهية وغيرها من البنى التحتية، فاذا كانت التربة متغدقة او صحراوية رملية كلها تؤثر على المشاريع السياحية فضلاً عن زيادة تكاليف الانشاء والبناء.

٥. الخصائص السكانية:

تأتي أهمية الدراسات السكانية في الوقت الحاضر من كون السكان هم مصدر جميع الظواهر الاجتماعية والسياحية والاقتصادية للدولة، ولا يمكن اعتبار دراسة خصائص السكان منفصلة او مستقلة عن بقية الدراسات الاخرى، لذا فإن دراسة خصائص السكان في منطقة الدراسة تعد امراً حيوياً كونها شهدت تغيرات سكانية على مدى العقود الاخيرة منها ارتفاع معدلات حجم ونمو السكان كنتيجة للزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة من المحافظات الاخرى لان فيها عوامل الجذب ابرزها العامل الديني والاقتصادي اذ بلغ عدد سكان محافظة كربلاء (١١٨٧٢٤٥) نسمة[١٦]، وبهذا فأن لتركيب السكان الاثنوجرافي من لغة ومعتقد او قومية او دين وطبيعتهم تأثير على حركة السياحة الدينية وعلى مدى اقبال السواح على مدينة كربلاء، اذ يساعد تجانس الخصائص السكانية للمدينة على زيادة توافد السياح وعلى كيفية التعامل مع السواح وتقديم الخدمات لهم وغيرها.

٦. طرق النقل:

تعد طرق النقل مرآة الحضارة في أي بلد من العالم فهي شرايين الحياة واساسية لاستثمار اي عملية من عمليات التطوير والتنمية بمختلف انواعها، اذ كلما تنوعت شبكات النقل طرقاً ووسائل فذلك يعني كفاءة عالية وامكانية كبيرة لغرض استثمارها عند التخطيط لتنمية السياحة الدينية في المحافظة، كما تعكس مرونة وانسيابية عالية في سهولة الوصول بما يؤدي الى سهولة حركة السياحة وبالتحديد خلال زيارة الأربعين عامة وحركة الزائر دون عناء بصورة خاصة.

ولصفة كربلاء الدينية وموقعها جعلها تكون من المدن المهمة التي ارتبطت بطرق من مدن اخرى مثل (بغداد، النجف، بابل) على المستوى الداخلي المحلي[١٧]، فضلاً عن الطريق البري (عرعر) إلى المملكة العربية السعودية على المستوى الخارجي[١٨].

ونتيجة تزايد أعداد وسائل النقل الحديثة بأنواعها المختلفة خلفت ضغطاً مباشراً على نظم شوارع المدينة وادى الى ارباك في عملية النقل من والى مركز المدينة خاصه خلال المناسبات الدينية والاعياد، ورغم وجود العديد من الطرق الرئيسية والطرق الريفية كما هو موضح في جدول (٢) والتي من الممكن ان يسلكها الزائر لكي يقصد مدينة كربلاء.

جدول(٢) طرق النقل الرئيسة والثانوية والريفية المؤدية إلى مدينة كربلاء

الطرق الرئيسة	طول الطريق (كم)
كربلاء – المسيب	٣٣
كربلاء – الحيدرية	٤٠
كربلاء – الهندية	٢١
كربلاء – الرزازة – عين التمر	٨٠
كربلاء– معمل الثرمستون	١٥
كربلاء طريق الحج البري–عرعر	٢٥٧
الارتال العسكرية	١٦
الوند – الحسينية	٤
المجموع	٤٦٦
الطرق الريفية	**طول الطريق (كم)**
هندية – شط العرب	١٠,١٥
طريق السلام	٢,٥
طريق ابو ماهر	١,٧
طريق البو عامر	١,٨
طريق ابو جمل	٢
طريق الحمام والدوارة	١,٦
سدة الهندية – كربلاء – المسيب– ممثل الطريق بتحويلة تربط سدة الهندية بطريق كربلاء– مسيب	٤
البوحميد	٢
الحسينية – الحصوة –عون	٢,٢
الكمالية – مصيلخ	٣,٤
العبودة	٣
الهندية – الملعب	٣
الطريق الرابط بين الشارع العام وملعب الهندية	٤,١
كريط – الخبازة	٢,٥
طريق الجاير	٣
الجامعة	١,٩
المجموع	٤٨,٨٥

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة الاحصاء، محافظة كربلاء، دراسة التنمية المكانية في محافظة كربلاء لغاية ٢٠٢٠م، ص١٩٧.

لكن خلال وقت الزيارة يزداد الضغط على الطرق الرئيسية والثانوية مما يدفع بعض الزائرين الى استخدام طرق مختصرة وقليلة الزخم رغم أن هذه الطرق اغلبها غير معبدة وغير مناسبة للاستخدام إلا انها تستخدم في حالات كثيرة وخاصة في ذروتها في زيارة الاربعين.

ثانياً: السياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة:

تعد مدينة كربلاء من اهم المدن العراقية من ناحية السياحة الدينية، فقد اصبحت احد اهم الموارد المالية للدولة وذات اثر بالغ في تطور حركة السياحة في العراق، لما تتمتع بها هذه المدينة من اماكن مقدسة يقصدها الملايين من المسلمين سنوياً

من داخل وخارج البلد، كما تعد السياحة من اهم المصادر الاقتصادية التي تعتمد عليها الدولة في تنمية وزيادة دخلها القومي، وقد ساهمت هذه الوظيفة في زيادة الدخل وخلق فرص عمل للسكان من خلال الخدمات التي يقوم بها، فضلاً عن ذلك من تأثير على المستوى العام للأسعار، كما ساهمت في تطوير البنى التحتية عن طريق تلبية رغبات وحاجات السياح وما تتطلب من تطوير وزيادة في البنى التحتية او بناء جديدة كما في الاسواق والفنادق للسكن ووسائل النقل ومصانع لا عادة تدوير النفايات وغيرها وبالتالي تساهم في تحسن المستوى المعيشة للأفراد. لا تقتصر هذه السياحة على العراق فقط بل في العديد من البلدان الاسلامية وتأتي في مقدمتها المملكة العربية السعودية، ايران، سوريا وفلسطين وغيرها.

مفهوم السياحة في اللغة: التنقل من بلد الى اخر بقصد الراحة والتنزه وحب الاستطلاع[١٩].

السياحة الدينية: تمثل السفر من دولة الى اخرى او الانتقال داخل حدود الدولة بعينها لزيارة الاماكن المقدسة، فهي تهتم بالجانب الروحي للإنسان فضلاً عن اهميتها في المزج ما بين التأمل الديني والتراثي من اجل الدعوة والتقرب الى الله[٢٠].

السياحة حسب المؤتمر العالمي للسياحة عام ١٩٦٣:

مجموعة من النشاطات الاقتصادية والحضارية الخاصة بانتقال الاشخاص من بلد غير بلدهم واقامتهم فيه لمدة لا تقل عن ٢٤ ساعة باي قصد كان ماعدا قصد العمل الذي يدفع اجر من داخل البلد المزار[٢١].

ثالثاً: مقومات السياحة الدينية في كربلاء:

١. المقومات الدينية:

تتميز مدينة كربلاء بوجود العديد من المعالم الدينية ومن ابرز هذه المقومات هي:

أ. **مرقد الامام الحسين**عليه السلام: يقع المرقد في مركز المدينة، اول من اهتم بالقبر هم قبيلة بني اسد الذين ساهموا مع الامام السجاد عليه السلام في بناء القبر، يتكون المرقد من صحن واسع تصل مساحته الى (١٥٠٠٠م٢)، اما مساحة الحرم المطهر بلغت (٣٨٥٠م٢) وتحيط به أروقة بمساحة (٦٠٠م٢)، يعلو ارتفاع القبة (٣٧م) مع مئذنتين، يحيط بالحرم الحسيني أربعة أروقة يبلغ عرض كل منهما (٥م) وقد وصل طول ضلع كل من الرواق الشمالي والجنوبي (٤٠م)وطول الشرقي والغربي (٤٥م)، وللصحن ابواب بلغت عشرة ابواب يؤدي كل منها الى شارع معين وقد استفيد منها من اجل التخفيف من حدة الازدحامات في اوقات المناسبات خاصه المليونية المتمثلة بزيارة الأربعين.

ب. **ومن المراقد الملحقة ضمن مرقد الامام الحسين**عليه السلام (مرقد حبيب بن مظاهر الاسدي، مرقد ابراهيم المجاب، مرقد شهاء الطف)عليهم السلام.

ج. **مرقد أبي الفضل العباس**عليه السلام يقع الى الشمال الشرقي من العتبة الحسينية بمسافة (٢٤٧)م وتبلغ مساحة العتبة (١٠٩٧٣م٢) اما مساحة الصحن الشريف بلغت (٤٦٠٠م٢)[٢٢] يتميز الحرم بوجود (٦) مداخل تسهل دخول الزوار لإداء مناسك الزيارة، كما يتميز بوجود اربعة اروقة تحيط بالحرم وللصحن الشريف (١٩ابواب)[٢٣].

د. **التل الزينبي**: يقع هذا المقام في الجهة الغربية من مرقد الحسين عليه السلام في وسط كربلاء وقد بلغ ارتفاعه (٥م) عن الحرم الحسيني ويعد من اهم المعالم الدينية.

هـ. **مقام علي الاكبر**: يقع في نهاية زقاق محلة باب الطاق بمسافة (٢٣٠م) عن ضريح الامام الحسين[٢٤].

و. **مقام علي الاصغر**: يقع في محلة باب الطاق ويبعد عن ضريح الامام الحسين بمسافة ١٠٢م[٢٥].

ز. **مقام الامام المهدي**: يسمى بمقام صاحب الزمان وهو أحد الأماكن المقدسة ومن أهم المعالم الدينية في المدينة يقصده الآلاف من الزائرين للتبرك بهذا المقام. يقع في نهاية شارع السدرة وعلى مسافة (٤٨٠م) شمال الروضة الحسينية، وعلى نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات[٢٦].

ح. **المخيم الحسيني**: يعد المخيم من أشهر المعالم الاثرية والدينية في مدينة كربلاء المقدسة، يقع في وسط المدينة القديمة في الجانب الجنوبي الغربي من العتبة الحسينية، وهو مكان متسع يرمز الى المكان الذي أقام فيه الامام الحسين عليه السلام.

ط. **مقام كف العباس الايمن** عليه السلام يقع غرب الحضرة العباسية بين محلتي باب الخان وباب بغداد وهذا المكان يمثل مكان سقوط الكف الايمن لابي الفضل[٢٧].

ي. **مقام الكف العباس الايسر**: يقع هذا المقام في الجهة الشمالية الشرقية من العتبة العباسية في المنطقة المتداخلة بين محلة باب الخان وباب بغداد[٢٨].

ك. **مقام الحر بن يزيد الرياحي**: يقع هذا المرقد على بعد ٥ كم شمال مدينة كربلاء، ويعد هذا المقام ذا اهمية كبيرة في نفوس الزوار فيقصده الكثير من داخل وخارج العراق ومن مختلف الجنسيات من اجل التبرك والزيارة بقصد التقرب الى الله في قضاء الحوائج.

٢. المقومات التاريخية والحضارية:

أ. **قصر شمعون الاثري**: يعد من اقدم القصور الاثرية الموجودة في محافظة كربلاء، ويقع هذا القصر على بعد ٣٠ كم من المدينة، شيده شمعون بن جابل اللخمي احد رجال الدين المسيح ولم يبق من القصر سوى اركانه التي يبلغ ارتفاعها ١٥ متر مربع.

ب. **كنيسة الاقيصر**: تعد من اقدم الكنائس في العراق ويعود تاريخها الى القرن الخامس الميلادي ويوجد بالكنيسة بعض قبور الراهبات ورجال الدين المسيحي، ويحيط بالكنيسة سور من طين فيه اربعة ابراج يحتوي السور على خمسة عشر باباً ويبلغ ارتفاع الكنيسة ستة عشر متراً وعرضها أربعة امتار.

ج. **قلعة الاخيضر**: من ابرز المعالم السياحية المعمارية الاسلامية الموجودة في مدينة كربلاء بنيت في عهد احد الامراء العباسيين الذي كان يسكن في هذه المنطقة ويبعد عن كربلاء مسافة ٥٠ (كم٢)[٢٩].

٣. المقومات الطبيعية:

أ. **بحيرة الرزازة**: تقع البحيرة غرب مدينة كربلاء، وتختلف مساحتها تبعاً لاختلاف المناسيب وهي تتراوح ما بين (١٥٠٠كم٢ - ١٨١٠كم٢)[٣٠]،

تتمتع هذه البحيرة بثروة سمكية جيدة وتحتل موقعاً سياحياً بارزاً من بين الاماكن السياحية المتواجدة في البلد[٣١]، وتعد هذه البحيرة من المراكز السياحية المهمة، وثاني اكبر البحيرات في العراق وتمثل حداً فاصلاً بين كربلاء والانبار.

ب. **قطارة الامام علي**عليه السلام: تقع بالقرب من بحيرة الرزازة وسط محافظة كربلاء، وهي عبارة عن ينبوع مائي عذب يبعد عن المدينة ٢٨ كم٢.

ج. **عيون المياه الطبيعية في عين التمر**: يشتهر بها قضاء عين التمر، وتقع (عين التمر) غرب كربلاء المقدسة بحوالي ٧٠كم بعد المفرق الذي يؤدي الى الحدود السعودية والمسمّى بطريق الحج البري ويقع في وسط الصحراء بالقرب من هور ابي دبس، تنتشر بهِ مجموعة من العيون الكبريتية التي تتدفق منها المياه طوال أيام السنة، وهي العين الكبيرة وعين ميرزا وعين السبب وعين ام الكواني وعين الضباط، وتبرز أهميتها إذ يقصدها السياح لغرض الاستشفاء والعلاج والتمتع بموقعها الطبيعي، وسميت بهذا الاسم نتيجة كثرة انواع التمور واشتهارها بغابات النخيل، ونتيجة لقرب عين التمر من مدينة كربلاء فإنها تحوي العديد من المزارات والمقامات المقدسة والبعض منها له اصول تاريخية، لكن الكثير من هذهِ العيون تعاني من الاهمال وعدم الصيانة مما جعلها تجف وتفقد أهميتها خصوصاً بعدما توفر الماء الصالح لشرب الذي تجهزه مدينة كربلاء لقضاء عين التمر.

رابعاً: خدمات السياحة الدينية في مدينة كربلاء:

تعد الخدمات المطلوب توفيرها للزوار والسياح خلال زيارة الأربعين لذا لابد من الإلمام بها وتوفيرها بما يتناسب مع حاجات ورغبات الزوار وتهيئة البيئة المناسبة لهم من أجل اكمال الزيارة على أكمل وجه، وان توفير هذه الخدمات يعتمد بالدرجة الأساسية على درجة انتظامها مكانياً بحيث تغطي كل اجزاء المدينة، كما يلاحظ ان هذه الخدمات في تنافس مستمر في التقديم من اجل الوصول الى مستويات عالية في الكفاءة والنوعية ويمكن ان تناول بعض أهم الخدمات التي توفر خلال زيارة الأربعين في مدينة كربلاء ومنها:

١. خدمات النقل:

يعد النقل أحد اهم العوامل المهمة في تطوير المناطق السياحية بشكل عام، كما إن له دوراً مهماً في تسهيل حركة الزيارة المليونية التي تشهدها مدينة كربلاء المقدسة خلال أيام الأربعينية، ويفضل في خدمات النقل أن لا تكون كلف الوصول تتجاوز كلف النقل. تتميز مدينة كربلاء بوجود العديد الشوارع المهم ومنها شارع باب بغداد، شارع السدرة، شارع العباس وغيرها من الشوارع الداخلية في المدينة، فزيارة الأربعين من أهم المناسبات الدينية التي يحرص الملايين على إحيائها سواء من داخل العراق أو من الخارج ورغم تنوع الوسائل النقلية في المدينة من القطارات والسيارات بمختلف الأحجام وسواء كانت تابعة للقطاع الحكومي أو الأهلي فضلاً عن وسائل اخرى إلا أنها لم تكن في المستوى المطلوب

مقارنة مع الأعداد المليونية في المدينة، وقد بلغ عدد آليات المشاركة في الزيارة من قبل العتبتين ما يقارب (٤٥٠) وسيلة كما هو موضح في جدول (٣)، بينما آليات النقل الحكومية الخاصة وصلت الى (١٦) كما هو موضح في جدول (٤) وسيلة والأهلية بلغت (٤٠٧٥٠) آلة جدول(٥)، اما مجمل كافة انواع الوسائل المشاركة فقد بلغت (٤٨٣٦٨) وسيلة.

جدول (٣) آليات العتبتين المقدستين المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧

ت	العتبة	نوع الآلية	عددها
١	العتبة الحسينية	باص	٢٥٠
٢	العتبة العباسية	باص	٢٠٠
المجموع			٤٥٠

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

جدول(٤) آليات النقل الخاص المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧

عدد الآليات الحكومية	عدد الآليات الاهلية	سواق الآليات الاهلية	مجموع الآليات	عدد الكوادر البشرية	مجموع المنسبين
٥	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٥	١٣٠	١١٣٠
١١	٣٠٧٥٠	٣٩٧٥٠	٣٩٧٦١	١١	٣٩٧٦١
المجموع ١٦	٤٠٧٥٠	٤٠٧٥٠	٤٠٧٦٦	١٤١	٤٠٨٩١

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

جدول (٥) اجمالي آليات النقل بمختلف انواعها المشاركة في زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧

ت	اليات النقل	العدد
١	آليات النقل الكلي للسيارات الحكومية	٤٨٣٦
٢	آليات الدوائر الخدمية	٢٤٠٤
٣	آليات الدوائر الامنية	٣٥٤
٤	آليات النقل الخاص	٤٠٧٥٠
٥	عدد القطارات الكلي	٢٤
المجموع		٤٨٣٦٨

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

٢. خدمات الإيواء:

إن من اهم الامور التي يسعى السائح او الزائر للبحث عنها هي الايواء وتوفير المكان المناسب، اذ تشهد المدينة خلال زيارة الأربعين إقامة العديد من الاماكن لاستضافة الزوار من مختلف الجنسيات وفي مختلف الاماكن ومن دون اي اسعار يقدمها السائح او الزائر خلال ايام الزيارة، كما ان الاهالي لهم دور كبير في هذا المجال عندما فتحوا بيوتهم امام الزائرين لإيوائهم، وقد تختلف هذه الخدمات حسب نوع المساكن وانواعها واحجامها منها بيوت سكنية او مساجد وحسينيات او مواكب فضلاً عن اختلاف

الامكانيات المقدمة، وحسب الاحصائيات المسجلة خلال زيارة الأربعين فإن عدد المساجد بلغت (١٠٠) مسجد بينما الحسينيات وصلت الى (٣٣٢) حسينية[٣٢].

٣. خدمات الاطعمة:

يقدم الكثير من أصحاب المواكب الحسينية سواء داخل المدينة وخارجها وعلى الطرق المؤدية الى المدينة مختلف انواع الأطعمة، وهذا سلوك انساني اجتماعي يمارسه الافراد بعمل طوعي لا يراد منه اي مردود مادي ويقوم هذا على اعتبارات أخلاقية واجتماعية ودينية، إذ تصطف هذه المواكب جنباً الى جنب من أجل تقديم الخدمات للزوار منها الطعام والشراب.

ومن خلال جدول (٦) وشكل (١) بلغ عدد المواكب المشاركة بزيارة الاربعين من داخل العراق ومن مختلف المحافظات (٢٨٢٩٣)، أما المواكب العربية والأجنبية المشاركة فقد بلغ عددها (١٦٥) كما هو موضح في جدول (٧) وشكل (٢):

جدول (٦) المواكب والهيئات الخدمية العراقية المشاركة في زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧

ت	اسم المحافظة	عدد المواكب والهيئات	النسبة٪
١	بغداد	٥٣٨٣	١٩
٢	كربلاء المقدسة	٤٥٥	١٦
٣	ذي قار	٣٥٧٠	١٢,٦
٤	البصرة	٣٥٦٣	١٢,٥
٥	واسط	٣١٥٠	١١,١
٦	بابل	٢٣٧٠	٨,٣
٧	القادسية	٢٢١٤	٧,٨
٨	المثنى	١١٠٣	٣,٨
٩	ميسان	٧٠١	٢,٤
١٠	ديالى	٦٧٧	٢,٣
١١	النجف الاشرف	٥٥٤	١,٩
١٢	صلاح الدين	٢٥٢	٠,٨٩
١٣	كركوك	١٦٤	٠,٥٧
١٤	نينوى	١٥	٠,٠٥
	المجموع	٢٨٢٩٣	١٠٠

المصدر: الامانتان العامتان للعتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، هيئات المواكب والشعائر الحسينية لعام ٢٠١٧م.

شكل (١) المواكب والهيئات الخدمية العراقية المشاركة في زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧

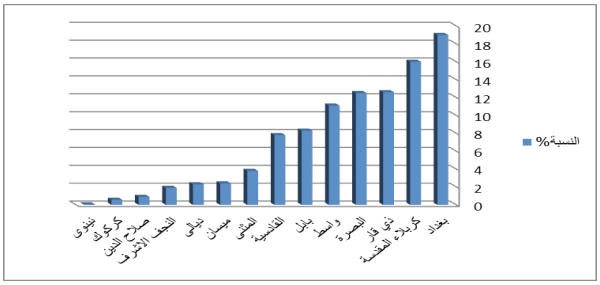

المصدر: بالاعتماد على جدول(٦).

جدول (٧) المواكب والهيئات العربية والاجنبية المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧

ت	اسم الدولة	عدد المواكب والهيئات	النسبة ٪
١	إيران	٩٦	٥٨
٢	الكويت	١٣	٧,٨
٣	السعودية	١٢	٧,٢
٤	لبنان	١١	٦,٦
٥	باكستان	٧	٤,٢
٦	البحرين	٦	٣,٦

٧	آذربيجان	٣	١,٨
٨	سوريا	٢	١,٢
٩	سلطنة عمان	٢	١,٢
١٠	نيجيريا	٢	١,٢
١١	اليمن	١	٠,٦
١٢	اندونيسيا	١	٠,٦
١٣	تايلند	١	٠,٦
١٤	تنزانيا	١	٠,٦
١٥	افغانستان	١	٠,٦
١٦	السويد	١	٠,٦
١٧	المملكة المتحدة	١	٠,٦
١٨	استراليا	١	٠,٦
١٩	كندا	١	٠,٦
٢٠	المانيا	١	٠,٦
٢١	كينيا	١	٠,٦
المجموع		١٦٥	١٠٠

المصدر: الامانتان العامتان للعتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، هيئات المواكب والشعائر الحسينية لعام ٢٠١٧م.

شكل (٢) المواكب والهيئات العربية والاجنبية المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧

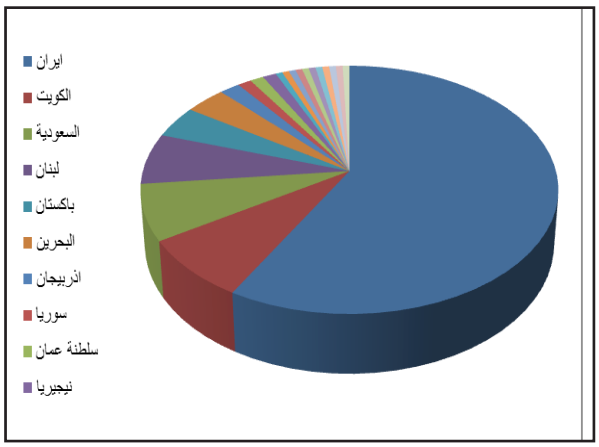

المصدر: بالاعتماد على جدول(٧).

٤. الخدمات الأمنية:

تشهد مدينة كربلاء خلال الزيارة دوراً كبيراً من قبل القوات الأمنية والمرورية وقيامهم بدورهم الفعال من أجل نجاح هذه الزيارة والحفاظ على سلامة الزائرين، فضلاً عن قيامهم بتفريع العديد من المسارات الذهاب الى المدينة لأفواج المشاة من الزائرين فقط والمواكب الحسينية والخدمات الصحية، كما تشهد المدينة دوراً بارزاً من قبل القوات الأمنية بكافة أصنافها بنقل الزوار بعد أداء الزيارة بوسائل نقل تابعة للقوات الأمنية والمواقع العسكرية، ونصب مواقع عدة لتفتيش النساء والرجال فضلاً عن دور الطيران العسكري بمهامه الخاصة لمنع استهداف المدينة من قبل الجماعات المسلحة.

جدول(٨) الخدمات الأمنية المشاركة في الزيارة لعام ٢٠١٧

عدد الضباط	عدد المنتسبين	المجموع	الاليات الامنية في الزيارة			المجموع
			دراجة	دورية	كرين	
١١٦	٦٧٦	٧٩٢				
			١٣٧	٨٨	٩	٢٣٤

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

٥. الخدمات الصحية:

تنتشر في المدينة العديد من المراكز الصحية والطبية المتمثلة بالمفارز الطبية والمستشفيات الحكومية

والأهلية وسيارات الاسعاف لمعالجة انواع مختلفة من الحالات المرضية، ومن خلال جدول (٩) اتضح ان عددها بلغ (٨٩٠٢) خدمة صحية مشاركة في زيارة الأربعين.

جدول (٩) الخدمات الصحية من عجلات الاسعاف والمفارز الطبية والكوادر المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧م

ت	نوع الخدمة	العدد
١	عجلات الاسعاف	١٩
٢	مفارز طبية حكومية	٤٣
٣	مفارز طبية أهلية	٣٣
٤	عدد الكوادر الطبية المشاركة	٨٨٠٠
٥	عدد المستشفيات	٧
المجموع		٨٩٠٢

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

٦. خدمات الارشاد والتوعية الدينية:

تعد هذه الخدمة من أهم الخدمات كونها تحث الزائرين على العبودية لله والتحلي بالأخلاق الحميدة والسير على نهج الامام الحسين(عليه السلام)، ولم تقتصر هذه الخدمة على التوعية والارشاد الديني فقط بل كذلك توعية للمحافظة على نظافة المدينة خلال أيام الزيارة. لا تقتصر الزيارة على هذه الخدمات فقط بل ان هناك العديد ومنها الخدمات الإعلامية ودورها البارز والمساهم في نقل الزيارة على مستوى العالم كما هو موضح في جدول (١٠):

جدول (١٠) وسائل الإعلام المشاركة خلال زيارة الأربعين لسنة ٢٠١٧

عدد الإعلاميين		وسائل الإعلام	عدد السيارات S.N.G
عربي	١٠٠		
أجنبي	٧٦		
عراقي	٧٤٧		
المجموع	٩٢٣	٧٦	٢٢

المصدر: النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الاربعين، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، شعبة الدراسات، إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧م.

كما إن هناك مشروعاً آخر هو بطاقة الزائر الخاص بالأطفال وكبار السن وهي عبارة عن هوية أو ما يعرف باسم (الباج) تحمل إسم الزائر وعنوانه وأرقام هواتف ذويه، إذ يتم الاعتماد عليها في حالة فقدان الأطفال أو كبار السن ليتم التواصل مع ذويهم من خلال المعلومات التي تحتويها هذه البطاقة وإيصالهم الى الاماكن المطلوبة.

خامساً: التباين المكاني لزوار زيارة الأربعين في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٧:

خلال السنوات الاخيرة زادت حركة السياحة الدينية في مدينة كربلاء عامة وخلال زيارة الأربعين خاصة، وترجع هذهِ الزيادة والتطور في الحركة سواء من المحافظات العراقية ومن الدول الجوار الى عدة أسباب منها:

١. تغير النظام السياسي والحكومي في العراق وما تبعه من تغييرات ثقافية واجتماعية ودينية وهذا

كان له أثر واضح في زيادة أعداد الزائرين من مختلف المحافظات العراقية والدول العربية والأجنبية، إضافة إلى ذلك فإن الاجهزة الامنية تقدم الحماية والخدمات المختلفة السياح الوافدين الى مدينة كربلاء.

٢. كان لدخول وتطور المحطات الفضائية المرئية والمسموعة في مختلف انحاء العراق أحد العوامل التي شجعت الناس على الإقبال على الزيارة وعلى وجه الخصوص خلال الأعياد والمناسبات الدينية على سبيل المثال خلال زيارة الأربعين ونقلها المباشر للزيارة مما كان له أثر ترويجي واضح للسياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة.

٣. كذلك التوعية الدينية التثقيفية من قبل الشخصيات الدينية المعروفة مثل خطباء المنابر الحسينية وتأكيدهم على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام وما فيها من الثواب للزائر فضلاً عن الراحة النفسية والروحية التي يشعر بها الزائر كونه مكان عبادة وتقرباً لله سبحانه وتعالى في مثل هذا المكان المطهر والمقدس.

هذهِ العوامل وغيرها من العوامل الاخرى مثل التبرك بتربة الامام الحسين عليه السلام واستجابة الدعاء تحت قبته كلها عوامل أثَّرت بشكل إيجابي مباشر أو غير مباشر في زيادة حجم حركة السياحة الدينية إلى مدينة كربلاء المقدسة.

والجدول (١١) يوضح أعداد الزائرين العرب ومن ضمنهم العراق، إذ بلغت نسبة الزائرين العرب لسنة (٢٠١٧) حوالي (١٢٨٩٥٨٢٧) زائر وكانت النسبة الاكبر من داخل العراق وبنسبة ٩٩,٢٩٪ بالمرتبة الاولى، ودولة البحرين بالمرتبة الثانية وبنسبة٠,٢٩٪، ودولة لبنان بالمرتبة الثالثة بنسبة ٠,٢٦٪، في حين احتلت دولة الكويت المرتبة الرابعة بنسبة ٠,١٥٪، وبالمرتبة الخامسة والاخيرة دولة قطر وبنسبة ٠,٠٠٣٪ من مجموع الزائرين العرب.

جدول (١١) أعداد الزائرين العراقيين والعرب الى كربلاء المقدسة لسنة ٢٠١٧م

إسم الدولة	العدد	النسبة المئوية
العراق	١٢٨٠٤٨٤٠	٩٩,٢٩
البحرين	٣٧٢٥٤	٠,٢٩
لبنان	٣٤٠٩٤	٠,٢٦
الكويت	١٩٢٥٨	٠,١٥
قطر	٣٨١	٠,٠٠٣
المجموع	١٢٨٩٥٨٢٧	١٠٠

المصدر: بالاعتماد على:

١. وزارة الخارجية العراقية، الدائرة القنصلية، بموجب كتابها ذي العدد ٦/ ٢/ د/ س المؤرخ بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٧.

٢. العتبة العباسية المقدسة، مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الاحصائية.

والجدول (١٢) يوضح أعداد الزائرين الأجانب الداخلين للعراق لسنة ٢٠١٧، إذ بلغ مجموع أعداد الزائرين (٢٤٨٩١٧٣) زائر، جاءت دولة إيران بالمرتبة الاولى وبنسبة ٩٥,٨٠٪، وباكستان بالمرتبة الثانية بنسبة ٢,٧٩٪ والهند بالرتبة الثالثة بنسبة ٠,٤٤٪، وآذربيجان بالمرتبة الرابعة بنسبة ٠,٤١٪، وبريطانيا بالمرتبة الخامسة بنسبة٠,١٤٪، وامريكا بالمرتبة السادسة بنسبة ٠,٠٨٪، في حين احتلت تركيا المرتبة السابعة بنسبة ٠,٠٦٪، ودولة كينيا بالمرتبة

الثامنة بنسبة ٠,٠٦٪، والمانيا بالمرتبة التاسعة بنسبة ٠,٠٤٪، واستراليا بالمرتبة العاشرة بنسبة ٠,٠٤٪، وكندا بالمرتبة الحادية عشرة بنسبة ٠,٠٣٪، وروسيا وجورجيا والسويد وفرنسا وإندونيسيا وماليزيا وبلجيكا والنرويج ونيجيريا والدنمارك بالمرتبة الثانية عشرة بنسبة ٠,٠١٪، ودولة جنوب افريقيا بالمرتبة الثالثة عشرة بنسبة ٠,٠٠٣٪، ودولة اليونان بالمرتبة الرابعة عشرة بنسبة ٠,٠٠١٪، فيما احتلت دولة فلندا المرتبة الخامسة عشرة والاخيرة بنسبة ٠,٠٠٠٤٪.

جدول(١٢) أعداد الزائرين الأجانب الى كربلاء المقدسة لسنة ٢٠١٧م

الدولة	العدد	النسبة المئوية
إيران	٢٣٨٤٥١٤	٩٥,٨٠
باكستان	٦٩٣٣٠	٢,٧٩
الهند	١١٠٦٤	٠,٤٤
آذربيجان	١٠٣٠٠	٠,٤١
بريطانيا	٣٥٤١	٠,١٤
أمريكا	٢٠٦٠	٠,٠٨
تركيا	١٥٠٢	٠,٠٦
كينيا	١٣٧١	٠,٠٦
المانيا	١١١٦	٠,٠٤
استراليا	٩٤٩	٠,٠٤
كندا	٧٨٠	٠,٠٣
روسيا	٣٣٥	٠,٠١
جورجيا	٢٩٨	٠,٠١
السويد	٢٩٧	٠,٠١
فرنسا	٢٨٩	٠,٠١
اندونيسيا	٢٦٦	٠,٠١
ماليزيا	٢٤٦	٠,٠١
بلجيكا	٢٤١	٠,٠١
النروج	١٩٦	٠,٠١
نيجيريا	١٩٤	٠,٠١
الدنمارك	١٨٣	٠,٠١
جنوب افريقيا	٧٣	٠,٠٠٣
اليونان	١٧	٠,٠٠١
فلندا	١١	٠,٠٠٠٤
المجموع	٢٤٨٩١٧٣	١٠٠

المصدر: بالاعتماد على:

١. وزارة الخارجية العراقية، الدائرة القنصلية، بموجب كتابها ذي العدد ٦/ ٢/ د/ س المؤرخ بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٧.

٢. العتبة العباسية المقدسة، مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الاحصائية.

خريطة (٣) حركة واتجاه السياحة الدينية من الدول العربية والاجنبية خلال زيارة الأربعين لسنة ٢٠١٧م

المصدر: بالاعتماد على جدول(١١) وجدول (١٢).

الاستنتاجات:

١. تعد محافظة كربلاء من المحافظات المقدسة التي نزخر بالجذب السياحي نتيجة ما تحتويه من المراقد الدينية والمقامات المهمة على مستوى العراق والمحافظة.

٢. كذلك من النتائج المستنبطة من البحث ان مدينة كربلاء المقدسة مدينة تمتلك من الخصائص الجغرافية بشقيها المقومات الطبيعية والبشرية المتنوعة والجيدة نوعاً ما من حيث الموقع الجغرافي وانبساط السطح وكذلك المناخ مما يجعلها محط أنظار المستثمرين لعمل المشاريع السياحية والفنادق والمتنزهات وغيرها التي تعد من مرتكزات نجاح صناعة السياحة الدينية.

٣. تمتلك المحافظة من المقومات السياحية على وجه العموم ومقومات السياحة الدينية على وجه الخصوص وبالتالي يجعلها موقعاً سياحياً مهماً على المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لمحافظة كربلاء خاصة وللعراق عامة.

٤. هنالك بعض المقومات مثل النقل تحتاج الى إعادة النظر بها نظراً للزخم الذي يحصل عليها أثناء زيارة الأربعين مع وجود الكثير من الطرق غير المعبدة، وإن كانت معبدة فهي دون المستوى المطلوب، وقلة السيارات الحكومية قياساً مع عدد الزوار مما يضطر الزائر الى السير على الاقدام لمسافات طويلة بعد انتهائه من الزيارة ورجوعه.

٥. كما تبين من خلال هذهِ الدراسة أن عدد الخدمات النقلية المشاركة في زيارة الأربعين في مدينة كربلاء بلغت (٤٨٣٦٨) وسيلة مقسمة الى وسائل حكومية بلغت (١٦) وأهلية (٤٠٧٥٠) ووسائل تابعة للعتبتين (٤٥٠) وسيلة.

٦. واتضح أن عدد المواكب المساهمة في تقديم خدمات الطعام للزوار خلال زيارة الأربعين من داخل العراق ومن مختلف المحافظات وصلت الى (٢٨٢٩٣) موكباً والمواكب العربية والاجنبية المساهمة بلغت (١٦٥) موكباً.

٧. ارتفاع عدد السياح العرب والأجانب مقارنة بالأعوام السابقة نتيجة زيادة الوعي والإعلام الذي أصبح أسرع رسالة لنقل الزيارات بصورة مباشرة والذي شجع على إقبال الزائرين فضلاً عن الاستقرار الامني الذي تشهده المحافظة.

٨. وجود مرقد الإمام الحسين ومرقد أخيه أبي الفضل عليهما السلام من أهم النقاط المشجعة على الاقبال على السياحة الدينية وزيادة أعداد السياح تبركاً بالمرقدين ولما تبعثه الزيارة من الراحة النفسية لقلب الزائر والسائح.

٩. شهدت زيارة الأربعين نجاحاً كبيراً من حيث الخطة الامنية من أجل المحافظة على سلامة الزائرين فقد وصل عدد القوات الأمنية المشاركة (٧٩٢) عنصر أمن و(٢٣٤) وسيلة أمنية تقدم مختلف الخدمات.

التوصيات:

١. من أبرز التوصيات وضع خطة مستقبلية للسياحة الدينية من قبيل إقامة الفنادق والمشاريع السياحية والترفيهية وانشاء المزيد من الطرق وترميم الطرق الموجودة سواء كانت الطرق المؤدية الى كربلاء او الخارجة منها.

٢. عقد المؤتمرات والندوات للترويج لمثل هذهِ

السياحة والزيارة وتفعيل واستغلال البحوث والدراسات بهذا الشأن وتطبيقها على أرض الواقع بدلاً من أن تكون حبراً على ورق.

٣. الاهتمام بالجوانب الخدمية من الخدمات والمرافق الصحية وغيرها لكي تلبي حاجة الزائر، فضلاً عن تشكيل لجان الارشاد التي تعمل على إرشاد السائح والزائر اثناء الزيارة، إضافة الى توفير خرائط تعريفية تكون كدليل لإرشاد السائح الى المراقد الدينية والتاريخية المجاورة للمراقد الدينية.

٤. إنشاء مركز لدراسات والبحوث الدينية والاثرية في المحافظة يأخذ على عاتقه إعداد البيانات والدراسات التي تخص السواح الوافدين للمدينة، فضلاً عن تسهيل مهمة الباحثين بتوفير البيانات الكاملة والوافية عن السياحة والزيارة واعداد الزائرين والهيئات والمواكب وغيرها.

٥. العمل على تطوير قطاع النقل في المحافظة كون كربلاء من المحافظات المهمة والتي تشهد زخماً كبيراً من الزوار والسائحين خاصة خلال المناسبات الدينية مثل الاعياد وزيارة الأربعين، إذ يجب العمل على إنشاء مطار في كربلاء لاستقبال الزائرين بصورة مباشرة بدلاً من الاضطرار الى النزول بمطارات المحافظات المجاورة مثل بغداد والنجف مما يسبب هدراً في المال والوقت وزيادة التكلفة على الزائر أو السائح، فضلاً عن انشاء المرائب والمترو والسكك الحديد بقطارات حديثة وبمواصفات عالية تلبي حاجة وراحة السائح وهذا من شأنه تقليل الزخم الحاصل خلال زيارة الاربعين.

الهوامش

(١) أحمد عبد الكريم كاظم، تحليل جغرافي لمقومات السياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة، ٢٠١٣م، ص٤.

(٢) أحمد عبد الكريم كاظم، المصدر نفسه، ص٥.

(٣) محمد حسن رضا القزويني، السياحة الدينية وسبل تنظيمها بمنظور استراتيجي: دراسة حالة محافظة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، الدبلوم العالي، جامعة القادسية، ٢٠١٧م، ص١٤-١٥.

(٤) رياض كاظم سلمان الجميلي، حركة السياحة الدينية وأثرها في تنظيم كفاءة قطاع الخدمات المجتمعية في مدينة كربلاء لعام ٢٠١٠٦م، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٠٦م، ص٣

(٥) أحمد عبد الكريم كاظم، مصدر سابق، ص٤-٥.

(٦) آمال كمال حسن البرزنجي، مجلة الادارة والاقتصاد، ((السياحة الدينية وسبل تطويرها في العراق (دراسة ميدانية في مدينة الكاظمية))، جامعة المستنصرية، العدد الثامن والخمسون، ٢٠٠٦، ص١٧٨.

(٧) أحمد عبد الكريم كاظم، مصدر سابق، ص٥.

(٨) عباس عبد الامير طه العماري، تحليل جغرافي للمواقع الأثرية والتراثية في محافظة كربلاء المقدسة وامكانية تنميتها السياحية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٦م، ص٨.

(٩) السماك، محمد أزهر، الجغرافية السياسية الحديثة، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣م.

(١٠) عباس عبد الامير طه العماري، مصدر سابق، ص٥.

(١١) نوفل عبد الرضا علوان، مجلة الادارة والاقتصاد، ((مدينة كربلاء المقدسة وامكانية النهوض بمستوى السياحة الدينية فيها))، العدد السادس والستون،٢٠٠٧م، ص٣-٤.

(١٢)عباس عبد الامير طه العماري، مصدر سابق، ص٥٦.

(١٣)علي حسين الشلش، الاقاليم المناخية، الطبعة الاولى، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨١م، ص٦٧.

(١٤) يسرى محمد، دنيا طارق، الأهمية الاقتصادية للسياحة الدينية في محافظتي كربلاء والنجف، بلا تاريخ، ص١٠٣.

(١٥)عباس عبد الامير طه العماري، مصدر سابق، ص٦٥.

(١٦) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة، اسقاطات محافظة كربلاء، ٢٠١٧(بيانات غير منشورة).

(١٧) رياض كاظم سلمان الجميلي، مجلة البحوث الجغرافية، ((تخطيط استعمالات الارض الدينية في المراكز التقليدية لمدينة كربلاء))، العدد٩، ٢٠٠٨م، ص٢١٨.

(١٨)عامر جاعد حسين جاعد الغانمي، تحليل المواقع الصناعية في مدينة كربلاء المقدسة واتجاهاتها المستقبلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م، ص٧٢.

(١٩)المعجم الوسيط، الجزء الاول، ص ٤٦٧.

(٢٠)لطفي حميد جودة، آفاق السياحة الدينية في كربلاء وآثارها الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة، المؤتمر العالمي الثالث، جامعة أهل البيت، العدد الرابع، ص ٢٨٩.

(٢١) آمال كمال حسن البرزنجي، مصدر سابق، ص١٧٨.

(٢٢) أحمد عبد الكريم كاظم النجم، مصدر سابق، ص١٦٨.

(٢٣) نوفل عبد الرضا علوان، مصدر سابق، ص١٢.

(٢٤) علي عباس علي العيسي، السياحة الدينية في محافظة كربلاء المقدسة دراسة في جغرافية السياحة، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٢٨

(٢٥) علي عباس علي العيسي، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢٦) علي عباس علي العيسي، المصدر نفسة، ص ١٤١.

(٢٧) حيدر يونس كاظم الموسوي، تقدير وتحليل دالة استثمار السياحة الدينية في محافظة كربلاء للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٤)، جامعة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠٠٤، ص ٧.

(٢٨)**https//ar.m.wikpedia.org**

(٢٩)**https:\\search.mandumah.com**

(٣٠) محمد مسلم الحسوني، تطوير الامكانيات السياحية ضمن اطار التنمية الاقليمية رسالة مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي جامعة بغداد ١٩٩٠، ص ٥٧.

(٣١) نوفل عبد الرضا علوان، المصدر السابق، ص ١٥.

(٣٢) النشرة الاحصائية السنوية لزيارة الاربعين، إعداد مركز كربلاء للدارسات والبحوث، شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، لعام ٢٠١٧.

المصادر والمراجع

١. الانصاري، رؤوف محمد علي، السياحة الدينية في العراق ودورها في التنمية والاعمار، ط١، (بلا تاريخ).

٢. البرزنجي، آمال كمال حسن، مجلة الادارة والاقتصاد، (السياحة الدينية وسبل تطويرها في العراق (دراسة ميدانية في مدينة الكاظمية)، جامعة المستنصرية، العدد الثامن والخمسون، ٢٠٠٦م.

٣. الجميلي، رياض كاظم سلمان، تخطيط استعمالات الارض الدينية في المركز التقليدي لمدينة كربلاء، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٠٦م.

٤. الجميلي، رياض كاظم سلمان، حركة السياحة الدينية وأثرها في تقييم كفاءة قطاع الخدمات المجتمعية في مدينة كربلاء لعام ٢٠٠٦م، كلية التربية، جامعة الكوفة، ٢٠٠٦م.

٥. جودة، لطفي حميد، آفاق السياحة الدينية في كربلاء وآثارها الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة، المؤتمر العالمي الثالث، جامعة أهل البيت، العدد الرابع،

٦. الحسوني، محمد مسلم، تطوير الامكانيات السياحية ضمن اطار التنمية الاقليمية رسالة مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي جامعة بغداد ١٩٩٠م.

٧. الحلوي، عبد الجبار، السياحة الدينية في اليمن الملامح.... والرؤية المستقبلية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٤م.

٨. السماك، محمد أزهر، الجغرافية السياسية الحديثة، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣م.

٩. الشلش، علي حسين، الاقاليم المناخية، الطبعة الاولى، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨١م.

١٠. الطائي، اياد عاشور، استخدام المسح الجوي لإيجاد محاور توسع المدن (كربلاء)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

١١. عامر جاعد حسين جاعد الغانمي، تحليل المواقع الصناعية في مدينة كربلاء المقدسة واتجاهاتها المستقبلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م.

١٢. علوان، نوفل عبد الرضا، مجلة الادارة والاقتصاد، (مدينة كربلاء المقدسة وامكانية النهوض بمستوى السياحة الدينية فيها)، العدد السادس والستون، ٢٠٠٧م.

١٣. علوان، نوفل عبد الرضا، مجلة الادارة والاقتصاد، ((مدينة كربلاء المقدسة وامكانية النهوض بمستوى السياحة الدينية فيها))، العدد السادس والستون،٢٠٠٧م.

١٤. علي، يعقوب صفر، التخطيط لتأهيل خدمات وفعاليات السياحة الدينية في محافظة النجف واثرها في نمو النشاط السياحي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧م.

١٥. العماري، عباس عبد الامير طه، تحليل جغرافي للمواقع الاثرية والتراثية في محافظة كربلاء المقدسة وامكانية تنميتها السياحية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٦م.

١٦. العيسي، علي عباس علي، السياحة الدينية في محافظة كربلاء المقدسة دراسة في جغرافية السياحة، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.

١٧. القزويني، محمد حسن رضا، السياحة الدينية وسبل تنظيمها بمنظور استراتيجي: دراسة حالة محافظة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، الدبلوم العالي، جامعة القادسية، ٢٠١٧م.

١٨. محمد، يسرى، دنيا طارق، الاهمية الاقتصادية للسياحة الدينية في محافظتي كربلاء والنجف، بلا تاريخ.

١٩. المسعودي، علاوي مزهر، مجلة دراسات اسلامية معاصر،((الجذر التاريخي للمرقدين الشريفين في كربلاء المقدسة وأثرها في الطلب على السياحة الدينية))، العدد التاسع، السنة الرابعة،٢٠١٣م.

٢٠. المعجم الوسيط، الجزء الاول، ص ٤٦٧.

٢١. الموسوي، حيدر يونس كاظم، تقدير وتحليل دالة استثمار السياحة الدينية في محافظة كربلاء للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٤)، جامعة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠٠٤م.

٢٢. النجم، أحمد عبد الكريم كاظم، تحليل جغرافي لمقومات السياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة، جامعة الكوفة، كلية الادارة والاقتصاد، بلا تاريخ.

٢٣. الدوائر الحكومية:

٢٤. . العتبة العباسية المقدسة، مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الاحصائية لعام ٢٠١٧.

٢٥. النشرة الاحصائية السنوية لزيارة الاربعين، إعداد مركز كربلاء للدارسات والبحوث، شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، لعام ٢٠١٧م

٢٦. وزارة الخارجية العراقية، الدائرة القنصلية، بموجب كتابها ذي العدد ٦/ ٢/ د/ س المؤرخ بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٧

٢٧. الامانتان العامتان للعتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، هيئات المواكب والشعائر الحسينية لعام ٢٠١٧.

٢٨. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة الاحصاء، محافظة كربلاء، دراسة التنمية المكانية في محافظة كربلاء لغاية ٢٠٢٠م، ص١٩٧.

الأنترنيت:

٢٩. **https//ar.m.wikpedia.org**

٣٠. **https:\\search.mandumah.com**

٣١. الامانتان العامتان للعتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، هيئات المواكب والشعائر الحسينية وزارة الخارجية العراقية، الدائرة القنصلية، بموجب كتابها ذي العدد ٦/ ٢/ د/ س المؤرخ بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٧م.

زيارة الأربعين وأثرها في تنمية السياحة الدينية في العراق

م. د. حسين قاسم محمد الياسري

مركز دراسات البصرة والخليج العربي-قسم الدراسات الجغرافية-جامعة البصرة

الملخص

يتناول هذا البحث أهمية زيارة الأربعين في تنمية السياحة الدينية في العراق نظراً لحجم تلك الزيارة واستمرارها لعدة أيام من كل سنة، وإمكانية إسهامها في تنمية قطاع السياحة الذي يمكن أن يوفر عملات صعبة، ويستقطب أيدي عاملة كثيرة يستفاد منها في رفع المستوى الاقتصادي، اذا ما تم تخصيص جزء من إيرادات المنافذ الحدودية، والمعالم الدينية في تطوير البنى التحتية، وقد تناول هذا البحث مفهوم السياحة الدينية، والحركة السياحية في أربعين الإمام الحسين عليه السلام التي تتضمن الطرق التي يسلكها الزوار، حجم تلك الزيارة، والخدمات السياحية، وما يرافق تلك الزيارة من فعاليات متعددة وصولاً إلى كيفية تنمية السياحة الدينية بالاستفادة من الأربعين والمعوقات التي ترافقها، مما يتوجب وضع حلول يمكن من خلالها رفع مستوى الخدمات، وتطوير البنى التحتية في طريق مسيرة الأربعين والمدن التي تمر بها لاسيما مدينة كربلاء التي يتجمع فيها الملايين والتي تحتاج إلى إعادة التخطيط العمراني وبناء مجموعة من الفنادق والأبراج، وربط مداخلها مع منطقة ما بين الحرمين بشبكة مترو، بما يبرز مكانة العراق الحضارية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

The importance of the fortieth Visit to the development of religious tourism

Dr. Hussein Qasem Mohammed A-Yasiry

Center for Studies of Basra and the Arabian Gulf / Department of Geographical Studies - University of Basrah

Abstract

his research deals with the importance of fortieth visit to the development of religious tourism in Iraq due to the size of this visit and its continuation for several days of each year، and the possibility of contributing to the development of the tourism sector، which can provide difficult currencies and attract many workers to benefit from raising the economic level، if Allocation of part of the revenues of the border ports and the religious monuments in the development of infrastructure. This research dealt with the concept of religious tourism and the tourism movement in 40 Imam Hussein، which includes the roads used by visitors، the size of that visit، effective And the development of infrastructure in the path of the fortieth and the cities that pass through، especially the city of Karbala، where millions are gathered and that need to re-planning the urban And building a group of hotels and towers، and linking its entrances with the area between the two holy sites Metro network، highlighting the status of Iraq's civilization past، present and future

مقدمة

تعد السياحة أحد القطاعات الأكثر أهمية وديناميكية، فهي قادرة على جلب مداخيل هامة من العملة الصعبة وامتصاص البطالة وترقية مناطق بأكملها، ولهذا فكثير من الدول جعلت من هذا القطاع حجر أساس اقتصادها الوطني، وأصبح ناتجها الداخلي الخام يرتكز بشكل كبير على النشاط السياحي عبر مداخيل شبكاتها السياحية، وتضاعفت أهميتها بازدياد دورها الاقتصادي والاجتماعي والبيئي والتكنولوجي، والسياسي حتى أصبحت في عصرنا الحاضر محورا أساسياً للتنمية، والعراق بلد سياحي تتوفر فيه كل مقومات السياحة الطبيعية والبشرية لكن السياحة الدينية اليوم تمثل المرتكز الرئيس للسياحة في العراق من حيث رواجها لدى المسلمين في العالم، وتمثل زيارة الأربعين المقصد الأول للجذب السياحي الديني، إذ يأتي ملايين المسلمين سنوياً للمشاركة فيها. لذلك جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهمية زيارة الأربعين في تنمية السياحة الدينية في العراق لتساهم في دعم الاقتصاد الوطني.

مشكلة البحث:

ماهي أهمية زيارة الأربعين في تنمية السياحة الدينية في العراق؟ وماهي المعوقات والمشاكل التي تعترض التنمية السياحية؟ وماهي البرامج التي يمكن من خلالها تطوير تلك الزيارة؟

فرضية البحث:

تؤدي زيارة الأربعين دوراً كبيراً في تنمية السياحة الدينية إن استثمرت بشكل أمثل، وتواجه كثيراً من المعوقات التي يمكن التغلب عليها.

هدف البحث:

دراسة إمكانيات تطوير، وتنظيم زيارة الأربعين، والخدمات السياحية التي ترافقها لتساهم في تنمية السياحة الدينية في العراق، من خلال جملة من المقترحات التي يمكن تطبيقها في ظل الوضع الراهن.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذه الدراسة نظراً لحجم زيارة الأربعين والاهتمام المحلي والإقليمي والعالمي فيها، ويمكن استثمارها في تنمية القطاع السياحي،

منهج البحث:

اعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والدراسة الميدانية أثناء الزيارة. والمقابلات الشخصية وبعض البيانات.

حدود للبحث:

تتحدد منطقة الدراسة مكانياً في جمهورية العراق التي تقع على دائرتي عرض (٢٩,٥ -٣٧,٢٢ ° شمالاً)، وقوسي طول (٣٨,٤٥- ٤٨,٤٥ ° شرقاً)[1]، وزمانياً للمدة من ٢٠١٦-٢٠١٧، خريطة(١).

خريطة (١)

جمهورية العراق وتقسيماتها الإدارية ٢٠١٧

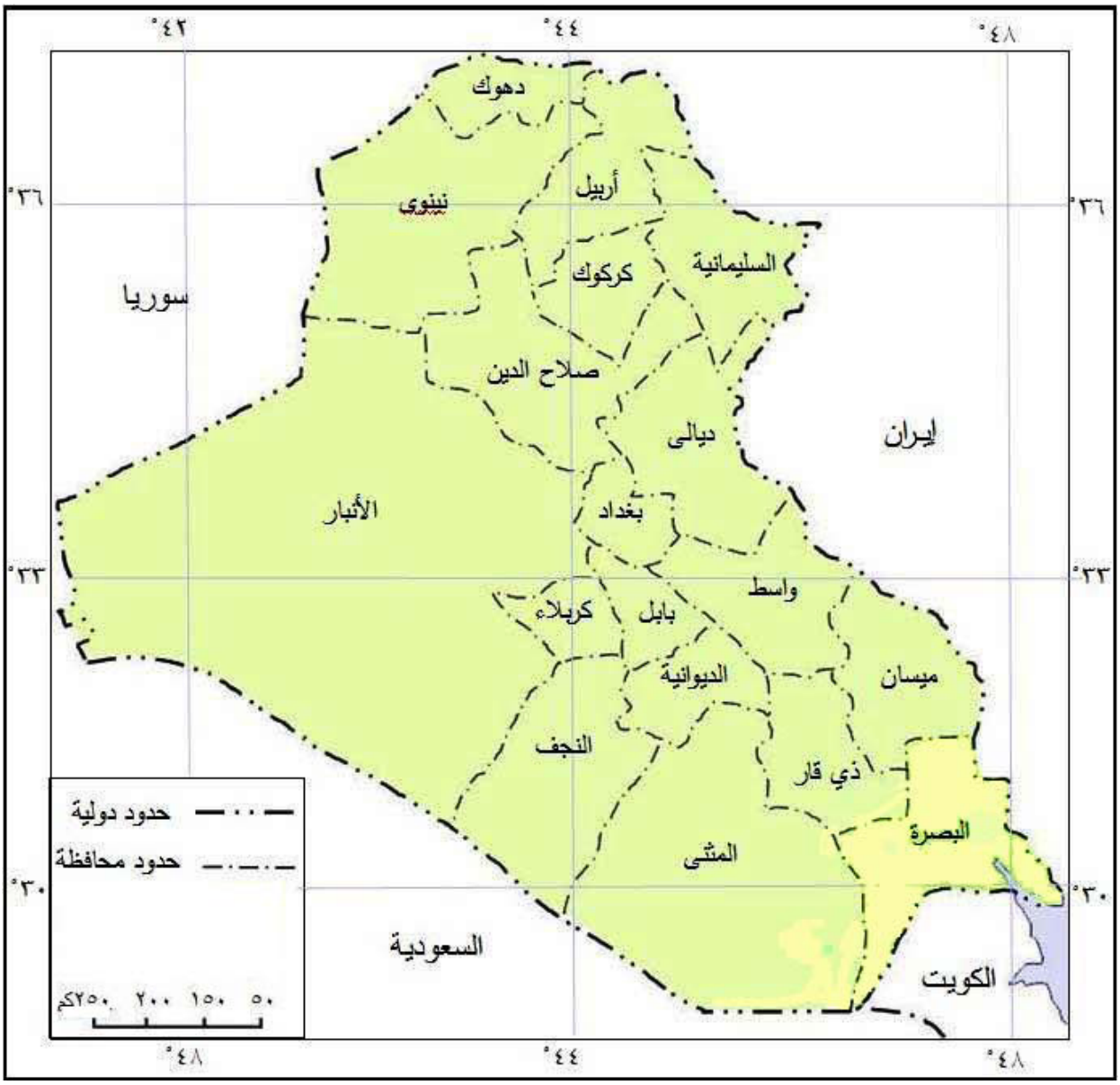

المصدر، اعتماداً على، جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، خريطة العراق الإدارية، ٢٠١٧م.

أولاً- مفهوم السياحة والسياحة الدينية:

١. مفهوم السياحة:

بذلت الكثير من الجهود لتحديد مفهوم السياحة بسبب تشابك وتعقد الأنشطة المكونة للنشاط السياحي، كما أن مفهوم السياحة تطور مع تطور الأنشطة السياحية وكيفية تطبيقها وبذلك تطورت مفاهيمها حسب وجهات نظر مختلفة، فبعض الباحثين ركز على السياحة كظاهرة اقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنهم من اعتبرها على أساس تنمية العلاقات الدولية والإنسانية والثقافية والرياضية، ومنهم من اعتبرها صناعة القرن

العشرين أو الصناعة المتداخلة والمركبة والصناعة المتكاملة أو الصناعة بدون مداخن أو غذاء الروح أو بترول القرن الواحد والعشرين[٢].

تعرف السياحة في الوقت الحاضر على إنها انتقال الإنسان من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى زمان بطريقة مشروعة تحقق المتعة النفسية[٣]، أما السائح فهو كل شخص ينتقل من مكان إقامته إلى أماكن أخرى تختلف عن محيطه المعتاد من أجل الترفيه والمتعة أو لأسباب صحية، دينية، رياضية أو لأغراض عائلية أو اقتصادية أو إنجاز مهام لمدة لا تقل عن أربع وعشرون ساعة، وهدف التنقل لا يكون للإقامة الدائمة أو الحصول على عمل مأجور[٤]، في حين يُعرَّف المكان السياحي بأنه ذلك المكان الذي يتميز بوظيفته السياحية الذي يقصده الأفراد والجماعات البشرية لقضاء وقت فراغهم بغض النظر عن طبيعة النشاط الذي يمارسونه هناك وعن الدافع المباشر لزيارته أو الفترة الزمنية التي يمكثون فيها[٥]، وبذلك يجسد مفهوم السياحة عنصراً أساسياً من حرية الإنسان في انتقاله من مكان لآخر.

٢. مفهوم السياحة الدينية:

تُعد السياحة الدينية فرعاً مهماً من فروع السياحة، إذ تعرف على إنها (الانتقال لزيارة الأماكن ذات التاريخ الديني التي تعد زيارتها نوعاً من ممارسة التعاليم الدينية كالحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، فضلاً عن زيارة المناطق الدينية من مساجد كبرى ومعابد تاريخية أو لإحياء مناسبات دينية كبيرة[٦]، أو هي نوع من السياحة التي تكون بوازع ديني يجعل من الزيارة للأماكن المقدسة حاجة ضرورية للزائر[٧]، وتتضمن السياحة الدينية آداب يستحسن مراعاتها من طرف السائحين تفادياً للوقوع في المحظورات التي نهى عنها الإسلام، ويمكن القول أن السياحة الدينية نشاط إنساني يرتبط بالعبادة وينبغي أن يتقيد السائح فيها بجملة من التعاليم والأدلة الشرعية منها عدم ترك واجب ديني كالصلاة والمبالغة في الإنفاق على حساب عائلته، وتشمل السياحة الدينية كافة المناسبات الدينية والمهرجانات والطقوس العبادية، وتقتصر على المناطق ذات التاريخ القديم الذي يجذب السياح من كافة أنحاء العالم، وتختص السياحة الدينية بعملية إشباع الحاجات الروحية للأفراد أو ما يدعى بالباعث الروحي. وهي من أقدم أنواع السياحة وأكثرها اتساعاً، والسياحة الدينية تجمع عوامل عديدة منها اقتصادية واجتماعية وثقافية وديموغرافية وتكنولوجية وسياسية، فهي مهمة في حياة البشر، وتحقق الاتصال الروحي بين الإنسان وخالقه من الأماكن المقدسة، وتعد المراقد المقدسة أبرز المعالم السياحية الدينية في العراق التي أضيفت إليها مسيرة الأربعين بحجمها الحالي بعد عام ٢٠٠٣ التي تستمر أكثر من (٢٠ يومياً)، ويقطعها الزائر من اقصى جنوب العراق عند رأس البيشة على ساحل الخليج، وكذلك من كركوك في شمال العراق، والوصول إلى مدينة كربلاء التي تقام فيها فعاليات الزيارة لعدة أيام، ومما لاشك فيه أن الدول التي تتواجد فيها عروض سياحية دينية تهتم بشكل كبير بتمية هذا القطاع لإثارة الاقتصادية والاجتماعية. وهذا النوع من السياحة إذا ما استُغل

بالشكل الصحيح، وضمن مفهوم وقواعد تنشيط الحركة السياحية في العراق، فإنه يشكل نسبة عالية من الإنفاق السياحي، ويكوّن بعد ذلك رافداً من روافد الدخل القومي.

ثانياً- الحركة السياحية في زيارة الأربعين:

سميت هذه الزيارة بالأربعين لأنها تمثل مرور أربعين يوماً من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ، والتي توافق في يوم العشرين من صفر، وهو اليوم الذي ورد فيه الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام فكان أول من زاره من الناس، وهو اليوم الذي وافق رجوع عيال الحسين عليه السلام من الشام إلى كربلاء في بعض الروايات، وتروي كتب التاريخ أن أول زائر لقبر الحسين عليه السلام هو عبد الله بن الحر الجعفي لقرب موضعه منه[٨]، ومن هنا بدأت زيارة الأربعين، وأصبحت كربلاء قبلة للزوار يؤمها الملايين من المسلمين، وأصبح الزوار يتزايدون سنة بعد أخرى، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد الزوار يوم الأربعين سنة ١٩٦٨ بلغ أكثر من نصف مليون زائر، وارتفع عددهم في بداية السبعينات إلى حوالي مليون زائر حتى بدأت سلطات النظام السابق بمحاولات لمنع الزوار من أداء زيارة الأربعين خوفاً من الثورة ضد النظام[٩]، وكان معظم الزوار يستقلون السيارات، في حين أن الذين يذهبون سيراً على الأقدام قلة قليلة، وجلهم من المدن القريبة من كربلاء، وحتى الأعداد التي تذهب لم تكن كبيرة لأن الموظفين والمرتبطين بالدوام الحكومي لا يذهب منهم إلا من يستطع أخذ إجازة، وفي عام ١٩٧٧ ذهبت أعداد كبيرة لزيارة الحسين عليه السلام من النجف حيث تصدت لها القوات الحكومية وحاولت منع سيرها باتجاه كربلاء التي عرفت بعد ذلك بانتفاضة صفر. وبعد التغيير في نظام الحكم عام ٢٠٠٣ بدأت أعداد كبيرة من الزوار من داخل وخارج العراق بالتوافد على كربلاء سيراً على الأقدام لإحياء أول أربعينية بعد سقوط حكم البعث.

١. طرق مسيرة الأربعين:

يسلك الزوار مجموعة من الطرق سيراً على الأقدام أو بالسيارات من داخل العراق، ومن المنافذ الحدودية المشتركة مع إيران والكويت، فضلاً عن دخولهم عن طريق المطارات الدولية(بغداد، والنجف، والبصرة)، إذ تبدأ مسيرة الأربعين قبل بداية شهر صفر، وأهم المسارات التي تظهر في خريطة(٢)، ما يأتي:

١. رأس البيشة جنوب العراق عند مصب شط العرب في الخليج وتستمر حتى مدينة البصرة لتلتحق بها مجموعة من المسيرات القادمة من جنوب إيران والكويت والأقضية والنواحي الأخرى باتجاه الناصرية – السماوة – الديوانية (يتفرع منه مسير باتجاه النجف – كربلاء) – الحلة – كربلاء.

خريطة (٢)

طرق مسير الزوار في أربعين الإمام الحسين عليه السلام

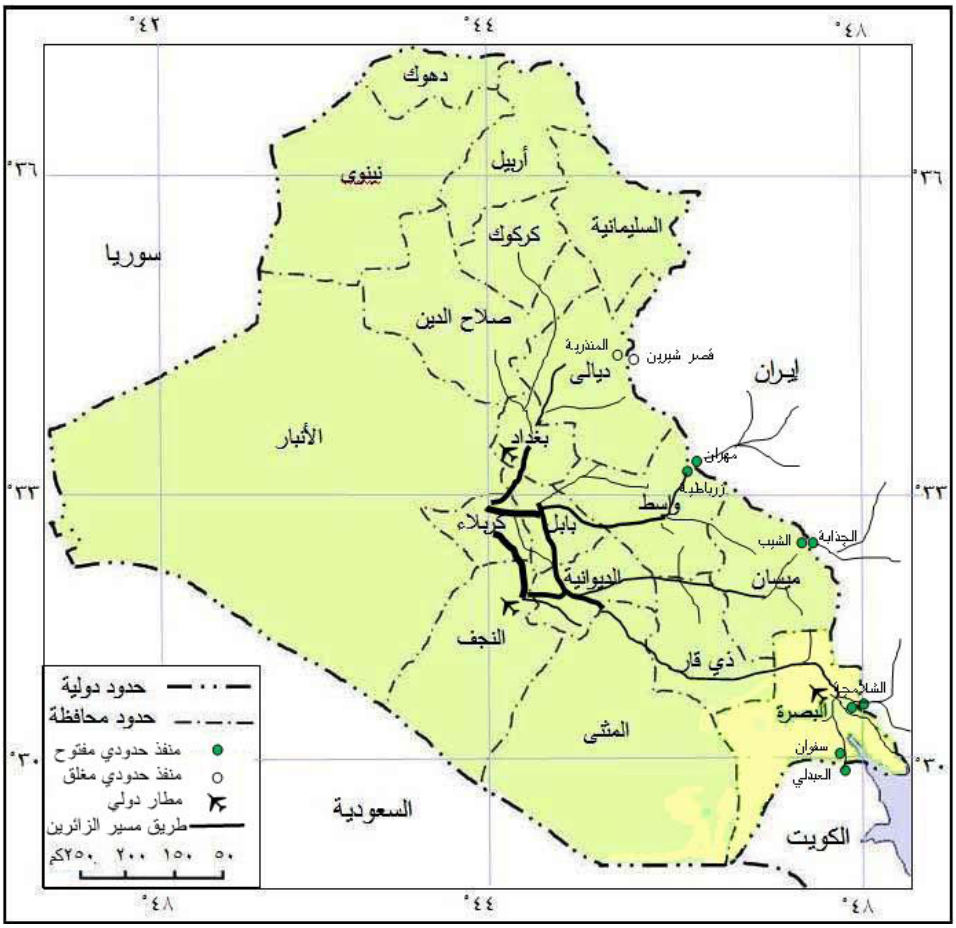

المصدر، اعتماداً على خريطة (١)، وجدول(١)، والدراسة الميدانية لزيارة أربعين ٢٠١٦، ٢٠١٧، ٢٠١٨م.

٢. منفذ الشيب (مسيرات الأهواز، ومدن محافظة خوزستان)- العمارة-الديوانية (يتفرع منه مسير باتجاه النجف- كربلاء) - الحلة - كربلاء.

٣. منفذ زرباطية (مسيرات مدن وسط وغرب ايران)- الكوت - الحلة - كربلاء.

٤. كركوك- طوزخرماتو- الخالص- بغداد - كربلاء.

٥. علي الشرقي - علي الغربي- الكوت - النعمانية - الشوملي- الحلة - كربلاء

٦. النجف - كربلاء وهو أكثر الطرق ازدحاماً وافضلها من حيث الخدمات، ويسلكه الزائرون من جميع مناطق العراق وخارجه الذين يتجمعون في النجف الأشرف ثم إلى كربلاء، وبعضهم يأتي بالسيارات أو عبر مطار النجف إلى زيارة الإمام علي عليه السلام ثم يتوجهون سيراً على الأقدام إلى كربلاء.

وهناك طرق قصيرة ذات حركة قليلة، ومن أهمها طريق بلد - الدجيل - بغداد، وطريق المقدادية -بعقوبة - بغداد، وطريق مندلي- بلدروز- بغداد-، وطريق مسير عين التمر- كربلاء، والسماوة - النجف، وجميع هذه المسارات تلتحق بالطرق الرئيسة المذكورة أعلاه، وتتجه معها إلى كربلاء لتكون طرق مزدحمة بالزوار. أما القادمون عن طريق المطارات فبعضهم يستقل السيارات مباشرة إلى كربلاء، وبعضهم يفضل السير على الأقدام من مدينة النجف الأشرف أو بغداد، وحتى من مدينة البصرة.

جدول (١)

المسافات بين مراكز المحافظات /كم

																	دهوك
																الموصل	٦٩
															أربيل	٨٤	١٥٣
														السليمانية	٢٠٢	٢٨٦	٣٥٥
													تكريت	٢٢١	٢٠٥	٢٢١	٢٩٠
												كركوك	١١٢	١٠٩	٩٣	١٧٧	٢٤٨
											بعقوبة	٢١٥	٢٤١	٢٦٧	٣٠٨	٣٩٣	٥٣١
										بغداد	٦٦	٢٥٥	١٧٥	٣٣١	٣٥٠	٣٩٦	٤٦٥
									الرمادي	١١٠	١٧٦	٣٦٥	٢٨٥	٤٨٢	٤٦٠	٥٠٦	٥٧٥
								الحلة	٢١٠	١٠٠	١٦٦	٣٥٥	٢٧٥	٤٣١	٤٧١	٤٩٣	٥٦٥
							كربلاء	٤٢	٢١٨	١٠٨	١٨٤	٣٧٢	٤٩٣	٤٤٩	٤٦٨	٥٠٤	٥٨٣
						الكوت	٢٨	٢٧٢	٢٨٢	١٧٢	٢٣٨	٤٢٧	٣٤٧	٥٠٣	٥٥٢	٥٦٨	٦٣٧
					النجف	٣٣٣	٧٨	٦١	٢٧١	١٦١	٢٢٧	٤١٦	٣٣٦	٤٩٢	٥١١	٥٥٧	٦٢٦
				الناصرية	٢٥٨	١٨٧	٣١٧	٢٧٥	٤٨٥	٣٧٥	٤٤١	٦٣٠	٥٥٠	٧٠٦	٧٢٥	٧٧١	٨٤٠
			العمارة	٣٨٤	٥٢٧	١٩٧	٤٨٤	٤٦٦	٤٧٦	٣٦٦	٤٣٢	٦٢١	٥٤١	٦٩٧	٧١٦	٧٦٢	٨٣١
		السماوة	٤٨٩	١٠٥	١٥٥	٢٩٢	٢١٢	١٧٠	٣٨٠	٢٧١	٣٣٦	٥٢٥	٤٤٥	٦٠١	٦٢٠	٦٦٦	٧٣٥
البصرة	الديوانية	٨٩	٥٤٦	١٩٤	٦٥	٣٥٣	١٢٣	٨١	٢٩١	١٨١	٢٤٧	٤٣٦	٤٦٧	٥١٢	٥٢١	٥٧٧	٦٤٦
	٤٠٢	٣١٣	١٨٢	٢٠٨	٤٦٧	٣٧٧	٥٢٤	٤٨٣	٦٥٩	٥٤٩	٦٠٥	٨٠٤	٧٢٤	٨٨٠	٨٩٩	٩١٥	١٠١٤

المصدر، اعتماداً على، علي عباس علي العيسى، السياحة الدينية في محافظة كربلاء دراسة في الجغرافية السياحية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١٠٥

ومن الجدول (١) يظهر أن المسافة بين البصرة وكربلاء تبلغ (٥٢٤ كم)، يقطعها الزوار سيراً على الأقدام بين (١٥-٢٠ يوماً) في حين يقطعها الزائر في السيارة بين(٦-٧ ساعة)، وهذه المسافة تحتاج إلى توفير خدمات متعددة من بينها صيانة الطريق، وإنارة أعمدة الكهرباء وترقيمها، وبناء محطات وقود إضافية. وقد يستقل الزوار القطارات التي تنطلق من بغداد باتجاه كربلاء، ومن البصرة باتجاه كربلاء مرورا بمدن الناصرية- السماوة - الديوانية - الحلة.

٢. حجم زوار الأربعين:

بلغت أعداد الزائرين (١١٢١٠٢٦٧ زائر) في أربعين عام ٢٠١٦' وكان عدد المواكب الحسينية (٨١٠٠ موكب) و(١٠٠٠٠منتسب) من الفرق الطبية في حين أرتفع عدد الزائرين إلى (١٣٨٠٠٨٠٠ زائر) منهم (٢٧٩٠٠٠٠٠ زائر اجنبي) في أربعين عام ٢٠١٧، وكان عدد المواكب الخدمية المسجلة داخل مدينة كربلاء قد بلغ (١٠٠٠٠ موكب)، و(٢٤ ألف شخص) من منتسبي العتبة الحسينية والعباسية والمتطوعون، و(٥٠ الف منتسب) من القوات الأمنية، و(١٢ الف منتسب) من الفرق

الطبية، وبمشاركة (١٠٠٤٠٠ عجلة) من مختلف الأنواع، و(٥٠٠ وسيلة إعلامية)' جدول (٢).

جدول (٢)

إحصائية زيارة الأربعين لعام ٢٠١٦-٢٠١٧

المتغيرات	٢٠١٦	٢٠١٧
عدد الزائرين	١١٢١٠٢٦٧	١٣٨٠٠٨٠٠
عدد الزائرين الأجانب	٢٣٠٠٠٠٠	٢٧٩٠٠٠٠٠
عدد المواكب الحسينية	٨١٠٠	١٠٠٠٠
عدد منسبي الفرق الطبية	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠
عدد المتطوعين	–	٢٤٠٠٠
عدد القوات الأمنية	٢٥٠٠٠	٥٠٠٠٠
عدد العجلات	–	١٠٠٤٠٠
عدد وسائل الإعلام	–	٥٠٠

المصدر:

١. اعتماداً على العتبة العباسية المقدسة، وثيقة بيان العتبة العباسية المقدسة في ٢٢/ ١١/ ٢٠١٦

٢. الأمانتان العامتان للعتبتين الحسينية والعباسية، إحصائية موسم أربعين عام ٢٠١٦ و٢٠١٧ ٣

٣. جمهورية العراق، وزارة الداخلية إحصائية موسم أربعين عام ٢٠١٦ و٢٠١٧.

وهذه الأعداد ستزداد خلال السنوات اللاحقة مع الاستقرار في الوضع الأمني في العراق، وتحريره من المجموعات الإرهابية، مستفيدة من المزايا الآتية:

١. وجود الحرية الكاملة لممارسة الشعائر الحسينية.

٢. ارتفاع مستوى الدخل.

٣. توفر وقت الفراغ المتمثل بزيادة الإجازات، والعطل، والمناسبات.

٤. توفر الدافع الروحي العميق لزيارة العتبات المقدسة حتى بدون توفر وسائل التسويق السياحي.

٥. تأثير التكنلوجيا على وسائل المواصلات تجعلها مريحة وآمنة، ومنخفضة التكاليف نسبياً.

٦. انخفاض سعر صرف الدينار العراقي مما يجذب الزوار من الدول المجاورة والبعيدة.

٧. مجانية بعض الخدمات من المبيت، والإطعام، وحتى النقل في بعض الحالات.

٣. الخدمات السياحية:

بلغ عدد الفنادق في مدينة كربلاء والنجف الأشرف (٦٦٧، ٣٤٤ فندقاً) على التوالي، وبنسبة (٩, ٤٤، ١, ٢٣٪) من مجموع الفنادق في العراق التي تبلغ (١٤٨٤ فندقاً)، وبلغ عدد الأسرَّة (٥٦٥٧٠ سريراً) في المدينتين[١٠]، بمعنى أنها لا تكفي سوى هذا العدد لإيواء الزائرين في كربلاء وكذلك في النجف التي تكتظ هي الأخرى بزوار الأربعين مما يضطر البعض لافتراش الطرق، أو العودة إلى مناطقهم بعد ساعات من وصولهم إلى كربلاء مما يتطلب إنشاء فنادق ذات مستويات متعددة تتناسب مع تباين الطبقات الاجتماعية في مستوى الدخل كما هو الحال في مكة المكرمة والمدينة المنورة التي تتوافر فيها الفنادق والأبراج العالية التي تستوعب اكثر من (٣ مليون حاج) في نفس الوقت. ولا يحتاج الزائرون إلى الفنادق والمطاعم أثناء توجههم إلى كربلاء سيراً على الأقدام حتى وصولهم إلى مدينة النجف الأشرف أو كربلاء، إذ يوفر سكان المدن والقرى المبيت والطعام ووسائل الراحة الأُخرى للزوار باعتبار أن المسيرة روحية يتسابق الناس من اجل تقديم الخدمة ابتغاء رضى الله سبحانه وتعالى ومحبة لآل البيت عليهم السلام، وتحويل تلك الخدمات إلى مدفوعات مادية سيفقد الزيارة روحيتها ومعانيها السامية. أما في مدينة

كربلاء والنجف الأشرف، وبسبب اكتضاضهما بالزوار فهما غير قادرتين على استيعاب تلك الأعداد الوافدة لاسيما في مدينة كربلاء المحطة الأخيرة لجميع الزوار، فبالرغم من توفير المواكب الحسينية والهيئات الحكومية المخيمات بل وحتى المدارس، والدوائر الحكومية لخدمة ومبيت الزائرين وعلى مستوى تقديم الخدمات من طعام وشراب ودورات مياه فهي كافية لكنها تفتقد إلى التنظيم والنظافة في معظمها، ولا يوجد صرف صحي في معظم المواكب المنتشرة على الطرق، ولا تتوفر الكهرباء ووسائل التبريد في معظم المخيمات لاسيما خارج كربلاء، وهذه تنعكس سلباً على القطاع السياحي.

وتتوفر وسائل النقل للزوار التي يكون بعضها مجاني، وقد يعاني الزوار من قلة وسائل النقل أثناء عودتهم، أما مرائب للسيارات في مناطق القطع فهي غير منظمة وعشوائية، مما يتطلب أنشاءها بطريقة مخططة من حيث تبليط أرضيتها، وتسقيفها، أما الطرق (ماعدا طريق نجف – كربلاء، وحلة – كربلاء، وبغداد – كربلاء، والطريق الدولي بصرة – كربلاء) فمعظمها غير جيدة وذات مسار واحد تعيق حركة المشاة، وحركة السيارات مما يؤدي إلى تأخر وصول الزوار، وحدوث بعض الإصابات بين الزوار مما تنعكس سلباً على عكس الوجه الحضاري للعراق من قبل الوافدين العرب، والأجانب.

٤. الفعاليات والمظاهر الحسينية:

ترافق زيارة الأربعين بعض الفعاليات والمظاهر الحسينية التي تجذب أنظار الزوار، وكذلك مشاهدي القنوات الفضائية أثناء عرضها مما تشجع مزيد من الزوار للقدوم إلى كربلاء أثناء زيارة الأربعين ومن بينها ما يأتي:

١. المسيرات الراجلة التي تأتي من مسافات بعيدة، ويحمل بعض المشاركين فيها الرايات المتعددة الألوان، واللافتات، وقد ترافقها المجالس والمراثي الحسينية، ومواكب الزنجيل، والتشابية التي تجسد عودة السبايا من أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء.

٢. مواكب اللطم، والزنجيل، والتشابيه، التي تنظم من قبل الأمانتان الحسينية والعباسية داخل مدينة كربلاء في منطقة ما بين الحرمين للإمام الحسين، وأخيه العباس عليهما السلام.

٣. إقامة بعض المعارض الفنية، والبوسترات، والصور، والمسرحيات التي تجسد الأربعين.

٤. المحاضرات الدينية والمراثي الحسينية التي تقام في داخل مساجد وحسينات كربلاء، وفي مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام من قبل الخطباء والروايد.

٥. رفع الرايات على المباني، ونصب المخيمات، وفتح بيوت المواطنين للزوار في جميع الطرق التي يسلكها زوار الأربعين، وفي داخل مدينة كربلاء.

ثالثاً- تنمية السياحة الدينية:

تُعرَّف التنمية السياحية بانها (توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السياح، وتشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل: إيجاد فرص عمل جديدة ودخول جديدة، وتشمل التنمية

السياحية جميع الجوانب المتعلقة بالأنماط المكانية للعرض والطلب السياحيين، والتوزيع الجغرافي للمنتجات السياحية، والتدفق والحركة السياحية) فالتنمية السياحية هي الارتقاء والتوسع بالخدمات السياحية واحتياجاتها، وتتطلب التنمية السياحية تدخل التخطيط السياحي باعتباره أسلوباً علمياً يستهدف تحقيق أكبر معدل ممكن من النمو السياحي بأقل تكلفة ممكنة وفي أقرب وقت مستطاع[١١]، في حين تُعرَّف التنمية المستدامة بانها (حلول منطقية لضمان استمرارية العيش من جيل إلى آخر، إذ تتطلب أن يعمل كل جيل بالتناسب مع الزيادة السكانية، وأن يستند إلى منطق التوزيع العادل وتحسين نوعية الحياة بالتزامن مع عملية التطوير والنمو الاقتصادي، دون الإضرار بالموارد الطبيعية والبيئية، وتكون التنمية فيها موجهه لفائدة المجتمع مع الأخذ بالاعتبار حاجات وحقوق الأجيال القادمة، وهذا يعطيها طابع الاستدامة)، كما تُعرَّف بأنها التنمية المتوازنة التي تشمل مختلف أنشطة المجتمع باستخدام افضل الوسائل لتحقيق الاستعمال الأمثل للموارد المادية والبشرية في العمليات التنموية، واعتماد مبادئ العدالة في الإنتاج والاستهلاك وعند توزيع العوائد لتحقيق الرفاهية لجميع أفراد المجتمع دون الحاق الضرر بالطبيعة أو الأجيال القامة[١٢]. وعرَّفت منظمة السياحة العالمية التنمية السياحية المستدامة بانها (تلك التنمية التي تلبي احتياجات السياح والمواقع المضيفة الى جانب حماية حق الأجيال القادمة للاستمتاع بهذه المواقع مستقبلاً، أي أنها القواعد المرشدة في مجال إدارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكامل الثقافي مع العوامل البيئية والتوع الحيوي ونظم الحياة[١٣]. والتنمية المستدامة عملية مركبة ومتشعبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها البعض، ومتداخلة تقوم على محاولة عملية وتطبيقية للوصول إلى الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي الأولية من الإطار الطبيعي والإطار الحضاري، والمرافق الأساسية السياحية من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي وربط كل ذلك بعناصر البيئة. واستخدامات الطاقة المتجددة وتنمية مصادر الثروة البشرية للقيام بدورها المسطر في برامج التنمية وتحقيق التوسع في المرونة الواجب توفرها في تضافر القطاعات الإنتاجية المختلفة[١٤].

وتشكل عملية التنمية المستدامة أحد أهم الخطوات الأساسية الواجب اتباعها في تنمية البيئات الدينية، وينطلق مبدا التنمية السياحية من التفكير الجدي بالتخطيط الحضري على الصعيد المستند إلى هدف استراتيجي مرسوم فضلاً عن عنصر المشاركة في إدارة التنمية، وينطلق مبدأ التنمية السياحية أولاً من قبل الدولة في التعامل مع النشاطات السياحية على نطاق سياسة الدولة وخططها الاقتصادية، والتنموية كمورد اقتصادي هام من موارد الدولة، وتحقيق الإمكانيات العلمية والمادية لتطوير أدائه وتفعيل حركته، وتعد عملية تطوير المرافق السياحية من خدمات الفندقة، والشركات السياحية، والخدمات المالية، وتحسين أداء الخدمات الأساسية والمجتمعية (الصحية، والترفيهية) التي تعد من أهم وسائل تنمية قطاع السياحة الدينية في نظر الوافدين

تحديداً الذين يتطلعون إلى خدمات سياحية عالية المستوى[١٥].

١-أهمية الأربعين في تنمية السياحة الدينية:

نظراً لأهمية السياحة الدينية التي تستقطب أعداداً كبيرة من الزوار باستمرار، وطوال مواسم السنة لاسيما في الأربعين، فان تنمية هذا القطاع وتطويره يُعد أمراً في غاية الأهمية، وهذا الأمر ينبع من أهمية السياحة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وكما يأتي:

أ. الأهمية الاقتصادية:

اخذ الاهتمام بالدور الاقتصادي للسياحة في التزايد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فقد أشار العديد من المهتمين في مجال الجغرافية السياحية ومنهم (Matly) و(Mitchel) إلى أن المردود الاقتصادي هو الهدف الأساس من السياحة والاستجمام[١٦]، وتُعد السياحة مصدراً متجدداً لا ينضب من العملة الصعبة، وتساهم مساهمة فعالة في زيادة حجم الاستخدام، وبالتالي تخفيف حدة البطالة، وتعمل السياحة على إنعاش السوق المحلية بسبب إقبال السُياح على شراء السلع والحاجيات اللازمة، وتطوير الصناعات السياحية التقليدية مما ينعكس على تشغيل أيدي عاملة، واستثمار رؤوس الأموال في طاقات إنتاجية تدر قيمة مضافة، ومن الآثار الإقتصادية الأخرى هي الأموال التي يمكن جبايتها كرسوم مقابل الدخول، وتعمل السياحة على تنشيط حركة البيع لمحلات الفواكه والخضار واللحوم والمرطبات، فضلاً عن حركة نشطة في بناء الفنادق، والتجمعات السياحية مما يؤدي بدوره إلى خلق فرص عمل كثيرة. وتعمل السياحة على رفع المستوى العمراني والحضاري للمناطق التي تتواجد فيها مقومات العرض السياحي الديني.

إن دخول الزوار المحليين يعني تنشيط الحركة التجارية، علاوة على أن دخول العرب والأجانب بكثافة لزيارة المناطق الدينية يعني إدخال أموال من العملات الصعبة، وهذا يشكل مورداً مالياً يساهم بدرجة كبيرة وملموسة في توفير جزء من النقد الأجنبي اللازم لتنفيذ خطط التنمية من خلال[١٧]:

- مساهمة رؤوس الأموال الأجنبية في إنشاء الاستثمارات الخاصة بقطاع السياحة (بناء الفنادق، والمطاعم، والمجمعات السياحية،...).
- المدفوعات السيادية التي تحصل عليها الدولة مقابل منح تأشيرات الدخول.
- الفروق في تحويل العملات.
- الإنفاق اليومي للسائحين مقابل الخدمات السياحية الأساسية والتكميلية، فضلاً عن الإنفاق على الطلب على السلع الإنتاجية والخدمات لقطاعات اقتصادية أخرى.
- الإيرادات الأخرى للفنادق من السائحين.

ويمكن للسياحة الدينية أن تكون مصدراً مالياً مهماً من خلال الإيرادات التي تحققها العتبات المقدسة من تبرعات الزوار والرسوم التي تفرض على الزوار العرب والأجانب، والضرائب المفروضة على أصحاب المشاريع السياحية التي تقدم للزوار (فنادق، شقق، مطاعم، شركات، وغيرها). وتشهد المدن التي يمر بها زوار الأربعين حركة كثيفة للزوار،

ويستخدم بعضهم فنادقها للمبيت، ويتبضعون من أسواقها مما ينعكس إيجاباً على زيادة نشاط الأسواق التجارية، ودخول جزء من العملة الصعبة، فضلاً عن استخدام المترجمين، ووسائل النقل. ويمكن الاستفادة من وجود أماكن دينية وسياحية أخرى يمر بها الزوار بتعريفهم بها عبر توزيع كتيبات، أو حتى ملصقات، وتوجيه أصحاب الحملات إلى زيارتها، ويظهر التأثير السلبي الاقتصادي في رفع الأسعار.

ب. الأهمية الاجتماعية والثقافية:

تعميق السياحة العلاقات بين السائحين والسكان المحليين مما يساعد على اكتشاف ثقافات وعادات وتقاليد الشعوب الأخرى مما يؤدي إلى إزالة الحواجز الاجتماعية، وتحقيق التعاون، وتساهم السياحة في تحقيق التوازن النفسي لدى أفراد المجتمع من خلال استغلال أوقات الفراغ والعطل بالشكل الذي يحقق رفع مستوى الصحة النفسية، كما تساعد السياحة الدينية على التقليل من الفوارق الاجتماعية، وزيادة فرص التعليم والتدريب، ورفع مستوى الخدمات وبالتالي رفع مستوى الحياة. وقد تحصل مصاهرات بين الزوار، والسكان المحليين..

تساهم السياحة الدينية في تهيئة فرص جديدة لتنمية الهوايات التي تشمل رسم وكتابة الملصقات، والبوسترات، والخياطة والتطريز على الرايات الحسينية واللافتات، وأعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية الخاصة بالزيارة الأربعينية، والإعداد الفني للمسرحيات والتمثيليات، وتنمية قدرة الإبداع في الحرف اليدوية نظراً لقدرتها على امتصاص منتجات البيئة المحلية في صناعة المسابح، والتربة الحسينية، والمطرزات، كما تؤدي الزيارة الأربعينية باعتبارها موسماً ثقافياً كبيراً إلى رواج الكتب، وتوزيع الكتيبات، فضلاً عن الأقراص المدمجة، ويساهم الاختلاط مع الزوار الأجانب إلى إتقان السكان المحليين لغات أجنبية بحكم الاتصال، والتعامل اليومي.

ج. الأهمية السياسية:

تعزز السياحة فرص السلام والتفاهم بين الشعوب بسبب فتح المجال أمام الشعوب للتعارف والتفاهم وتعميق أواصر التبادل الثقافي والتفاعل الحضاري، وتعمل السياحة الدينية على التقارب بين العراق والدول الإسلامية من خلال وجود البعثات الدبلوماسية في كربلاء، والنجف الأشرف، لكن تظهر آثارها السلبية عندما تحصل ظروف استثنائية تؤدي إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول المصدرة للزوار أو حدوث حالات عدم استقرار سياسي داخلي الأمر الذي ينتج عنه اهتزاز في القطاع السياحي الديني.

د. الأهمية البيئية:

تتمثل الأهمية البيئية للسياحة في الحفاظ على الموارد الطبيعية الهامة، والحفاظ على الآثار والأماكن التاريخية والمعمارية، وتحسين مستوى جودة البيئة من خلال محاولة الحد من التلوث المائي والهوائي وتخفيض الضوضاء، والرفع من كفاءة البنية الأساسية، ومستوى الثقافة البيئية لدى أفراد

المجتمع، وتحقيق نهضة عمرانية في بعض المناطق التي كانت مهملة، أما الآثار السلبية للسياحة على البيئة فتتمثل في تلويث المياه والهواء وإحداث الضوضاء بسبب الأعداد الكبيرة للسواح في المناطق السياحية وتدهور البيئة، وحتى تتمكن الدولة من تحقيق تنمية سياحية مستدامة يتوجب عليها ما يأتي:

- إنشاء المنتزهات وتعمل على المحافظة على البيئة وحمايتها.
- تحقيق إدارة جيدة للنفايات للتخلص منها بشكل علمي سليم.
- تزيد من الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع المضيف.

٢- وسائل تطوير زيارة الأربعين في تنمية السياحة الدينية:

أ. الإمكانات البشرية:

يُعد توافر الإمكانات البشرية لأي مدينة أو أي منطقة من المقومات الأساسية التي تساعد على إنعاش السياحة الدينية. ويتمتع العراق بحجم سكاني كبير، وطاقات بشرية بعضها يجيد لغات أجنبية أخرى يمكن الاستفادة منها في إبراز معالم العراق. ولتطوير هذا النوع من السياحة يجب توافر كوادر فنية مدربة من خلال فتح أقسام للسياحة في الجامعات والمعاهد، وإقامة دورات تطويرية من قبل دوائر السياحة في المحافظات العراقية التي تشهد مرور زوار الأربعين لاسيما الحدودية مثل البصرة، وميسان، وواسط، والقريبة من مدينة كربلاء مثل النجف الأشرف، والديوانية وبابل للأدلاء، والمرشدين السياحيين، ودورات أخرى للمسؤولين عن إدارة الأماكن الدينية.

ب. البنى التحتية:

البنى التحتية هي الخدمات الأولية الواجب توفرها عند قيام أي مشروع أو منطقة سياحية مثل شبكات المياه العذبة والثقيلة، والكهرباء، والغاز، والهاتف، والخدمات الصحية، والطرق، والبنوك، الخ. وإن أي مشروع سياحي لا يستطيع أداء خدماته بصورة كاملة بدون توفر هذه الخدمات، وتعتمد صناعة السياحة بصورة أساسية على البنية التحتية؛ إذ لا تكتمل العملية المقدمة دون توفر ووجود خدمات البنى التحتية في أي منطقة سياحية، وتعاني معظم المزارات الصغيرة في طريق مسيرة الأربعين من عدم توافر إمدادات المياه والكهرباء المستمرة، وبعضها تستقطب أعداد قليلة من الزوار لوقوعها في مناطق هامشية، وبعيداً عن الطرق التي يسلكها الزوار.

تركز جغرافية السياحة على المواقع السياحية وقدرتها على تجهيز خدمات الطلب السياحي، ومن هذا المنطلق علينا أولاً معرفة وتقويم الإمكانات السياحية من حيث المنشآت والمرافق السياحية الموجودة في الأماكن الدينية وأهميتها في تطور المنطقة سياحياً، ولكي تُعد المنطقة سياحية يجب أن تتوفر لها الخدمات والإمكانيات السياحية بصفة متكاملة مثل الفنادق على اختلاف درجاتها وأماكن الإقامة الأخرى كالشقق السياحية والدور.

ج. وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام من صحافة، وإذاعة، وتلفزيون، ومواقع أنترنت، ونشرات دعائية الأثر الكبير في

الترويج للسياحة الدينية فبالرغم من توافر أغلب هذه الوسائل إلا أنها لا تسلط الضوء عليها بالشكل المناسب وبلغات متعددة، وهناك ضعف في الكوادر الإعلامية العاملة في دوائر الوقف الشيعي، وعدم ظهور مطبوعات وكتيبات سياحية في الأسواق للتعريف بالمراقد والمقامات الدينية التي تقع على الطرق المؤدية إلى كربلاء، فضلاً عن التعريف بزيارة الأربعين، مما يتطلب تفعيل دور الإعلام بكافة أشكاله. فضلاً عن إمكانية إنتاج برامج ودراما تلفزيونية وترجمتها بلغات متعددة.

د. الدور الاكاديمي:

يُعد العمل الاكاديمي مكملاً لوسائل تطوير السياحة الدينية من خلال إعداد الدراسات والبحوث في الجامعات العراقية بالأقسام الإنسانية، ومراكز البحث العلمي، فضلاً عن إقامة المؤتمرات والندوات العلمية الخاصة بالأربعين والزيارات الأخرى.

هـ. التطور العمراني:

إن وجود أماكن دينية في منطقة ما يتوجب إعمار المنطقة التي تتواجد فيها، وترميم بناياتها، وبناء مراكز للإيواء كالفنادق والدور والشقق بالقرب منها، وبمستويات مختلفة تتناسب مع تباين الدخول للزوار، فضلاً عن توسيع الطرق المؤدية إلى مدينة كربلاء، وفي داخلها، وبناء جسور المشاة، وإنشاء انفاق، وشبكة مترو تخدم الزوار من مناطق القطع، وفي داخل المدينة. ويمكن استحداث مدن جديدة في المناطق التي تضم تلك المراقد والمقامات التي تقع على طريق زوار الأربعين، وسينعكس ذلك على تنمية تلك المناطق، وجذب الزوار إليها، وتخفيف أزمة السكن، وتشغيل جزء من الأيدي العاملة، وإنعاشها اقتصادياً وترميم المراقد، والمقامات سيكون له الأثر الكبير في تنشيط الحركة السياحية الدينية لاسيما تلك التي تقع داخل محافظة كربلاء وهي ما يأتي:

١. مركز مدينة كربلاء: مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وأخيه العباس عليه السلام وهما المحطة الأخيرة ومقصد زيارة الأربعين، ومقام كف العباس عليه السلام الأيمن والأيسر، ومقام السيدة فضة، ومقام عبد الله الرضيع، ومقام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ومقام الصادق عليه السلام، وتل الزينبية، والمخيم الحسيني، ومرقد ابن فهد الحلي.
٢. قضاء عين التمر: مرقد أحمد بن هاشم، ومسرى السبايا، ومقام النبي جرجيس عليه السلام، وقطارة الإمام علي عليه السلام.
٣. مرقد الحر الرياحي في ناحية الحر.
٤. مرقد عون بن عبدالله في ناحية الحسينية على طريق المسيب – كربلاء.
٥. مرقد ابن الحمزة، ومرقد سيد إسماعيل، ومرقد الأخرس بن الكاظم عليه السلام، على طريق الهندية– كربلاء.

ومن أهم تلك المزارات الدينية التي تقع مباشرة على طريق مسيرة الأربعين في مختلف المحافظات العراقية، وتكون محطات استراحة للزوار، ما يأتي:

١. محافظة البصرة: مرقد زيد بن صوحان العبدي على طريق السيبة – البصرة، ومرقد صالح بن علي طريق البصرة – الدير.
٢. محافظة ذي قار: نصب شهداء الانتفاضة

الشعبانية، طريق القرنة – الناصرية (محافظة ذي قار).

٣. محافظة المثنى: خطوة الخضر(ع)، في ناحية الخضر.

٤. محافظة الديوانية: مرقد الحمزة الشرقي، في مركز قضاء علي الشرقي، ومرقد زيد النار أبو الفضل ابن الإمام الكاظم(ع) في مركز مدينة الديوانية، ومرقد أبو نجم على طريق السماوة –النجف.

٥. محافظة بابل: مرقد القاسم بن الكاظم، في مركز قضاء القاسم، ومرقد الحمزة الغربي في مركز ناحية المدحتية، ومجموعة المزارات الدينية داخل مدينة الحلة (مشهد الشمس، ومرقد ابن نما الحلي، ومرقد ابن طاووس)، وشريفة بنت الحسن(ع) في ناحية أبي غرق، ومرقد نبي الله ذو الكفل(ع) في مركز ناحية الكفل، ومرقد رشيد الهجري، ومرقد زيد بن الإمام زين العابدين(ع)، ومرقد النبي أيوب(ع) على طريق نجف– حلة، ومرقد أولاد مسلم في قضاء المسيب، ومرقد علي بن الحسين في قضاء المحاويل.

٦. محافظة ميسان: مرقد علي الشرقي في ناحية علي الشرقي، ومرقد علي الغربي في ناحية علي الغربي، ومرقد سيد أحمد الرفاعي على طريق العمارة – الفجر.

٧. محافظة النجف، وفيها مرقد الإمام علي(ع)، ومقام زين العابدين، ومقام صافي الصفا، ومرقد الشيخ الطوسي في المدينة القديمة، ومسجد الحنانة في مركز النجف، ومرقد كميل بن زياد، ومجموعة المزارات الدينية في مركز قضاء الكوفة وهي (مسجد الكوفة، ومرقد مسلم بن عقيل، ومرقد هانئ بن عروة، ومرقد المختار الثقفي، ودار الإمام علي، ومرقد ميثم التمار، ومرقد خديجة بنت الإمام علي(ع)، ومسجد السهلة، ومقام النبي يونس، ومرقد إبراهيم الغمر، ومرقد حبيب بن الكاظم(ع)، ومرقد محمد وموسى من أولاد الحسن المثنى، ومرقد صعصعة بن صوحان العبدي، ومرقد محمد بن زيد).

٨. محافظة واسط: وفيها مرقد سعيد بن جبير في مركز قضاء الحي، ومرقد السيد تاج الدين في ناحية الحفرية، ومرقد أبو الحسن، ومرقد سيد نور في مركز الكوت، ومرقد عبد الله الصالح في مركز قضاء بدرة.

٩. محافظة بغداد: ومن أهم مزاراتها مرقد الإمام موسى الكاظم(ع)، والإمام محمد الجواد(ع)، ومرقد الشاعر الشريف الرضي والمرتضى، ومراقد السفراء الأربعة للإمام المهدي(ع)، ومرقد سيد إدريس، وجامع براثا، ومرقد سلمان الفارسي في مركز قضاء المدائن.

١٠. محافظة ديالى: وأهمها مرقدي أبي إدريس، وإبراهيم بن الأدهم داخل مركز بعقوبة، ومراقد المقداد السيوري، وويس، ومسافر في قضاء المقدادية، ومرقد سيد يوسف في الخالص.

و. الصناعات اليدوية:

يرغب الزائر الأجنبي باقتناء هذا النوع من الصناعات، ويتم ذلك بدعم الأسر المنتجة لتلك الصناعات الشعبية التي تدر دخلاً جيداً، ومن بينها صناعة التربة الحسينية، والمسابح، والمطرزات، والحلي، والسلال الصغيرة، والمراوح اليدوية،

والسجاد اليدوي، وإقامة معارض لها على طول الطرق التي يسلكها الزائرون وعرض الإنتاج المحلي لكل منطقة مع إضفاء النقوش الخاصة بالأربعين على بعضها.

ز. تنظيم وتنسيق المواكب الحسينية:

وهي مجموعة مواكب الخدمة، والمسيرات، والاستعراضات الحسينية التي تؤدي فعاليات زيارة الأربعين بتخصيص مسارات لها بحيث لا تزاحم بقية الزوار، وإمكانية تشكيل موكب موحد للأمانة العامة للعتبة الحسينية والعباسية يقوم باستعراضات حسينية منظمة بالأربعين.

٣- معوقات تطوير زيارة الأربعين ومساهمتها في تنمية السياحة الدينية:

أ. الافتقار إلى استراتيجية سياحية وخطط خاصة بتنظيمها وتطورها يمكن أن تؤشر المطلوب على المستوى القومي الإقليمي والمحلي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والموروث الحضاري.

ب. ضعف موقع التنمية السياحية في خطط التنمية مما يقلل، وباستمرار من أهميتها في اطار تواضع التخصيصات المالية المخصصة للسياحة مما يعكس قلة المشاريع المنجزة أو المخطط لها وضعف أداء السياسات العامة في تبني استراتيجية واضحة المعالم للسياحة.

ج. الفقر الواضح في البيانات والمعلومات والإحصاء السياحي الخاص بزيارة الأربعين.

د. تواضع نوعية المنشآت والخدمات، وضعف أو قصور في المرافق الأساسية والخدمات المقدمة للمواقع السياحية الدينية، وغير الدينية مثل الطرق، والكهرباء، والاتصالات، والصرف الصحي وغيرها.

ه. تواضع الوعي السياحي، وتخلف التوعية الشعبية بأهمية السياحة لدى معظم المواطنين.

و. تواضع خطط الترويج والتسويق السياحي، وقصور الاعتمادات الحكومية المخصصة للتسويق والبحوث والإحصاءات والإعلام السياحي.

ز. انخفاض وتدني مستوى النظافة العامة في مدينة كربلاء، والمدن الأخرى القريبة منها التي تشهد اكتظاظ للزوار في الأربعين مثل النجف الأشرف، والحلة، والديوانية.

ح. الإهمال للمناطق الأثرية والمباني التاريخية والمتنزهات والحدائق العامة القريبة من المواقع الدينية والاهتمام بالمواقع الدينية فقط.

ط. سوء التوزيع الجغرافي للخدمات الأساسية المقدمة للزوار بشكل خاص، وإشراك السكان الوافدين لمدينة كربلاء لأغراض سياحية بمنظومة الخدمات الأساسية المصممة أساسا للسكان المحليين، الأمر الذي يعكس النقص الحاد في طبيعة أداء هذه المنظومة مما يحمل المدينة وسكانها أعباءً خدمية كبيرة، وضغطاً إضافياً الأمر الذي ينعكس على إمكانية إيصال مستوى لائق من الخدمات وسيعود بنتائج سلبية على بنية المدينة السياحية بشكل عام.

ي. إهمال العديد من المجالات السياحية المرتبطة ارتباطاً كبيراً بالمؤسسات والأماكن الدينية،

وتحجيم دورها الوظيفي والتخطيطي في الإسهام في عملية رفد السياحة الدينية مثل المناطق الخضراء، وأماكن الراحة والترفيه، والمجمعات التسويقية.

ك. ضعف الإمكانيات السياحية لمدينة كربلاء التي تتمثل بعدم تناسب الفنادق مع حجم الزيارات المليونية، وقلة المطاعم ذات الدرجات السياحية مما يفقد المدينة العديد من وسائل تنمية قطاع السياحة في نظر الوافدين لاسيما الأجانب منهم الذين يتطلعون إلى خدمات سياحية عالية المستوى.

ل. تقليدية البرامج السياحية وعدم وجودها أصلاً مما يقف حائلاًدون إطالة مدة إقامة السائح في العراق فلا يمكن للسياحة أنْ تنجح بدون برامج معينة، وهذه البرامج تشمل مثلاًالحجز المسبق للسائح في الفنادق، والخدمات الإرشادية، وبرامج زيارة المناطق والأماكن الأثرية والتاريخية الأخرى، وأماكن الترفيه، والمصحات العلاجية، والمحلات التجارية، والأسواق، والمتنزهات ٠

م. انعدام الاستثمارات المحلية والإقليمية والدولية في كافة مجالات الاستثمار السياحي، سواء في مجال الإيواء السياحي (الفنادق والدور السياحية) أو في مجال تطوير المزارات الدينية.

ن. الفساد الإداري والمالي، وضعف الإصلاح الإداري، وسوء استخدام الموارد المالية وهدرها.

س. ضعف النظام السياسي في العراق، واستغراقه في صراعات تستهلك طاقته وضعف الجانب الأمني.

ع. غياب واضح للثقافة العليا (النخبة).

ف. منع بعض الحكومات من سفر مواطنيها الراغبين لزيارة الأربعين لأسباب طائفية أو أمنية.

تشكل زيارة الأربعين بالنسبة للعراق مرتكزاً مهماً من مرتكزات النهوض الحضاري، ولكن توظيف هذا المرتكز بشكل صحيح لمصلحة القوة الشاملة للعراق يتطلب وجود استراتيجية جديدة يكون أول مقوماتها إصلاح نظام الحكم ليكون مبادراً فاعلاً وكفؤاً، وسينتج تلقائياً من وجود الحكم الصالح سياسات محلية وخارجية متزنة وفاعلة، وثقافة يتشارك في صناعتها المجتمع بطبقاته الدنيا والعليا، ومن المفيد أن يكون النظام عاملاً على ترسيخ وحدة نسيجه الاجتماعي، ملتفاً حول هويته الوطنية الجامعة لكل الهويات الفرعية. كما تستلزم هذه الاستراتيجية تأهيل كامل البنية التحتية للعراق لتكون التدفقات المالية الناجمة عن السياحة الدينية، ومنها زيارة الأربعين هي مصدر من المصادر المالية الرئيسة، لاسيما وأن الموارد النفطية غير كافية لحماية الأمن الاقتصادي نتيجة التقلبات في أسعار النفط العالمية، وان تكون السياسات العامة للدولة بهذا الصدد واضحة ومفهومة، وذات إطار زمني محدد على أن تشرف على تنفيذها إدارات مقتدرة عالية المهارة، ومكملة لبعضها البعض.

ولغرض تحقيق تنمية سياحية فعلية يجب التخطيط على نحو سليم مستند إلى مجموعة من الأهداف الرئيسة يسعى إليها المخطط للتنمية السياحية وهي[١٨]:

- التخطيط، يعمل على تحديد اهداف التنمية السياحية القصيرة، والمتوسطة، والبعيدة المدى

فضلاً عن رسم السياسات ووضع إجراءات تنفيذها.

- تشجيع القطاعين العام والخاص على الاستثمار السياحي.
- مضاعفة الفوائد الاقتصادية والاجتماعية للنشاطات السياحية لأقصى حد ممكن، وتقليل كلفة الاستثمار.
- ضمان عدم قيام نشاطات اقتصادية أخرى منافسة في الموقع السياحي.
- الحيلولة دون تدهور الموارد السياحية، وحماية النادر منها.
- تنظيم الخدمات العامة وتوفيرها على النحو المطلوب في المناطق السياحية.
- المحافظة على البيئة من خلال وضع وتنفيذ الإجراءات العلمية المناسبة.
- توفير التمويل من الداخل والخارج اللازم لعمليات التنمية السياحية.
- تحفيز صناعات تابعة للنشاط السياحي على نحو متكامل معه.
- تنسيق النشاطات السياحية مع الأنشطة الاقتصادية الأخرى على نحو تكاملي.

ويمكن إعداد خطة لتنمية السياحة الدينية في زيارة الأربعين بإعداد الدراسات، وتحديد أهدافها، وجمع المعلومات، وإجراء المسوحات، وتقييم الوضع الراهن، وتحليل البيانات، ويتم فيها وضع السياسات السياحية المناسبة، ويتم تقييم هذه السياسات (البدائل) لاختيار ما هو ملائم ومناسب لتنفيذ الخطة، وكذلك يتم تحديد البرامج والمشاريع التي يجب تنفيذها لتحقيق أهداف الخطة، وأخيراً تنفيذ الخطة بتوصياتها وتقييمها. وأهم الجوانب التي يمكن جمع معلومات عنها هي البيئة الطبيعية والبشرية، والمرافق والخدمات، ووسائل النقل، وخدمات ومرافق البنية التحتية، وفي هذه المرحلة يتم إشراك وجهاء المناطق. وستحقق تنمية السياحة الدينية فوائد عديدة منها إيجاد فرص عمل جديدة، وتوفير خدمات البنية التحتية، وزيادة مستويات الدخل، وزيادة إيرادات الدولة من الضرائب، وإشباع الرغبات الاجتماعية، والمحافظة على البيئة، ونشر الثقافات وزيادة التواصل بين البيئات الاجتماعية المختلفة. وقد حققت زيارة الأربعين جملة من النتائج، وهي يأتي:

أ. تنمية روح الصداقة والتعاون التي تتعدى المجتمع العراقي.

ب. تشجيع العمل التطوعي والخيري.

ج. تنمية الإبداع الفني.

د. تشجع اقتناء الكتب والتسجيلات والمحاضرات الدينية.

هـ. تنظم الزيارة إدارة الوقت في الانطلاق والعودة وتنظيم الحياة.

و. التشجيع على الادخار قبل الزيارة والتهيئة لها.

ز. زيادة حركة السوق التجارية، والمعاملات التجارية.

ح. توفير فرص عمل كثيرة.

ط. اكتساب الزائر الكثير من العادات منها الحفاظ على البيئة، والنظافة، والاقتصاد، وعدم التبذير.

ي. استعمال التكنلوجيا في تغطية مراسيم الزيارة.

ك. الاهتمام بالمخطط العمراني لمدينة كربلاء وتطوير الطرق المؤدية إليها.

الاستنتاجات:

يتبين من دراستنا السابقة أهمية الأربعين في تنمية السياحة الدينية لما تحققه من فوائد كثيرة على الدولة، نتيجة وفود أعداد كبيرة من الزوار لاسيما من خارج العراق مما يؤدي إلى تحريك السوق المحلية ودعمه بالعملات الصعبة، فضلاً عن أن تلك الزيارة توفر موسماً ثقافياً شاملاً يعكس وجه العراق الحضاري، ويحقق الانسجام الاجتماعي الداخلي، ومع شعوب الدول الأخرى، وتتوافر مقومات السياحة التي ترافق هذه الزيارة في كثير من المدن العراقية ومنها المزارات الدينية (المراقد، والمقامات، والمساجد الاثرية) التي تجذب الزوار أثناء مرورهم فيها، وتوافر الخدمة المجانية.

التوصيات:

١. تطوير جميع المواقع السياحية، وترويجها سياحياً، وتطوير مستوى البنى التحتية، والاهتمام بالخدمات المقدمة للزوار لاسيما داخل مدينة كربلاء، بالاستفادة من المردودات المالية التي تحصل عليها المنافذ الحدودية، والمطارات، والمدن المقدسة.

٢. تحسين الطرق التي يسلكها الزائرون مشياً على الأقدام، وفصلها عن الطرق التي تستخدمها وسائل النقل، وإكمال مشروع طريق (ياحسين) ليشمل جميع المناطق التي يمر بها الزوار من المحافظات والمنافذ الحدودية كافة، وتشجيره، وتزويده بالخدمات من كهرباء، وماء، ودورات صحية، وأماكن للاستراحة.

٣. الاهتمام بالمرائب الخاصة بسيارات النقل بحيث يستوعب عدد السيارات، ولا تعيق انسيابية الحركة والمرور في المنطقة التي يقع فيها المرقد أو المقام الذي يقع على طريق الزائرين، ولا تتجاوز على الشارع الرئيس المؤدي إلى تلك الأماكن فضلاً عن بناء مرائب عند مداخل كربلاء في مناطق القطع بشكل نظامي.

٤. تطوير الصناعات الشعبية، وتنميتها مما يساعد على الترويج للمناطق الدينية، وبمختلف أنواعها والتي تغري الزوار بشرائها واقتنائها، وتكون رمزاً للمنطقة وتاريخها.

٥. زيادة فاعلية البرامج السياحية الدينية المحلية والخارجية من قبل الشركات المحلية.

٦. اقامة دورات تدريبية مختصة بالعلوم الدينية الإدارية، والسياحية.

٧. الاهتمام بمدينة كربلاء المقدسة من حيث تخطيطها، وتنظيمها كونها تعكس الحياة الدينية فيها، وتستوعب الأعداد المتزايدة من الزوار والسياح.

٨. تعزيز المشاركة الجماهيرية في تامين الطرق التي تسلكها المسيرات الحسينية، وإشراك مختلف الدوائر، والوزارات للتعاون والتنسيق فيما بينها في فترة الزيارة.

٩. إعداد الدراسات، والبحوث، وعقد المؤتمرات، والندوات التي تعنى بالتعريف بالآثار الإيجابية للسياحة الدينية وزيارة الأربعين.

١٠. إنشاء شبكة من المترو تخدم مدينة كربلاء، مع إمكانية ربط المدن العراقية الأخرى، ودول الجوار بالسكك الحديدية، والإسراع بإنجاز مطار كربلاء الدولي.

١١. إنتاج برامج إذاعية وتلفزيونية للتعريف بزيارة الأربعين والمناطق التي تمر بها المسيرات الحسينية،، والتغطية الإعلامية للمسيرات والفعاليات الحسينية، وبلغات متعددة.

١٢. إعداد قاعدة بيانات عن حاجة مدينة كربلاء للمرافق السياحية، وخدمات الزائرين.

الهوامش

(١) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية ٢٠١٦.

(٢) قويدر الويزة، اقتصاد السياحة وسبل ترقيتها في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠١٠، ص٣٩-٤٠.

(٣) زيد سلمان عبودي، السياحة في الوطن العربي، ط١، دار الراية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٩.

(٤) قويدر الويزة، مصدر سابق، ص٤٤.

(٥) مطيع يوسف محمد، دراسة في جغرافية السياحة في منطقة أريحا والبحر الميت، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٠، ص ٢٠.

(٦) ياسين مريخي، التوازن البيئي والتنمية السياحية المستدامة لولاية عنابة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠، ص١٥.

(٧) وجدان عبد الأمير قاسم المالكي، التوجهات المستقبلية للسياحة الدينية في مدينتي سامراء والكاظمية، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص١٢١.

(٨) الاجتهاد، تاريخ زيارة الأربعين، ١٩ نوفمبر، ٢٠١٦، http://ijtihadnet.net/

(٩) محمد طاهر الصفار، زيارة الأربعين نظرة تاريخية واجتماعية، شبكة النبأ، الأثنين ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٦، https://annabaa.Org/arabic/ashuraa/8679

(١٠) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، مسح الفنادق ومجمعات الإيواء السياحي لسنة ٢٠١٦، ص٦، ٢٦.

(١١) مصطفى يوسف كافي، صناعة السياحة كأحد الخيارات الاستراتيجية للتنمية الاقتصادية، دار الفرات، دمشق، ٢٠٠٦، ص ١٠-١٠٧.

(١٢) صليحة عشي، الأداء والأثر الاقتصادي والاجتماعي للسياحة في الجزائر وتونس والمغرب، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١١، ص١٧٧.

(١٣) صليحة عشي، المصدر نفسه، ص٢٠٢-٢٠٣.

(١٤) مريخي، ياسين، التوازن البيئي والتنمية السياحية المستدامة لولاية عنابة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠، ص١٧.

(١٥) رياض الجميلي، تنمية السياحة في مدن العراق الدينية (كربلاء نموذجا)، مركز آل الحكيم الوثائقي، http:// www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=62

(١٦) مطيع يوسف محمد، مصدر سابق، ص١٢٩.

(١٧) أحمد ماهر وعبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة المنشآت السياحية والفندقية، ط٢، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص١٨.

(١٨) طالب احمد عبد الرزاق الجنابي، إمكانية استثمار السياحة الصحراوية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية التربية، قسم الجغرافية، ٢٠٠١، ص١٢٨.

المصادر والمراجع

١. الاجتهاد، تاريخ زيارة الأربعين، ١٩ نوفمبر، ٢٠١٦، http://ijtihadnet.net/

٢. الأمانتان العامة للعتبة الحسينية والعباسية إحصائية موسم أربعين عام ٢٠١٦ و٢٠١٧.

٣. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية ٢٠١٦.

٤. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، مسح الفنادق ومجمعات الإيواء السياحي لسنة ٢٠١٦.

٥. جمهورية العراق، وزارة الداخلية إحصائية موسم أربعين عام ٢٠١٦ و٢٠١٧.

٦. جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، خريطة العراق الإدارية، ٢٠١٧.

٧. الجميلي، رياض، تنمية السياحة في مدن العراق الدينية (كربلاء نموذجاً)، مركز آل الحكيم الوثائقي، http://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=62

٨. الجنابي، طالب احمد عبد الرزاق، إمكانية استثمار السياحة الصحراوية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية التربية، قسم الجغرافية، ٢٠٠١.

٩. الصفار، محمد طاهر، زيارة الأربعين نظرة تاريخية واجتماعية، شبكة النبأ، الأثنين ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٦، https://annabaa.Org/arabic/ashuraa/8679

١٠. عبودي، زيد سلمان، السياحة في الوطن العربي، الطبعة الأولى، دار الراية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.

١١. العتبة العباسية المقدسة، وثيقة بيان العتبة العباسية المقدسة في ٢٢/ ١١/ ٢٠١٦.

١٢. العيسى، علي عباس علي، السياحة الدينية في محافظة كربلاء دراسة في الجغرافية السياحية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

١٣. كافي، مصطفى يوسف، صناعة السياحة كأحد الخيارات الاستراتيجية للتنمية الاقتصادية، دار الفرات، دمشق، ٢٠٠٦

١٤. المالكي، وجدان عبد الأمير قاسم، التوجهات المستقبلية للسياحة الدينية في مدينتي سامراء والكاظمية، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

١٥. ماهر، أحمد، وعبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة المنشآت السياحية والفندقية، ط٢، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.

١٦. محمد، صباح محمود، آزاد محمد أمين، مقدمة في الجغرافية السياحية، مفهومها جوانبها مع دراسة تطبيقية عن القطر العراقي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.

١٧. محمد، مطيع يوسف، دراسة في جغرافية السياحة في منطقة أريحا والبحر الميت، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٠.

١٨. مريخي، ياسين، التوازن البيئي والتنمية السياحية المستدامة لولاية عنابة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠.

موقف السلطة الحاكمة من زيارة الأربعين

١٩٦٨-٢٠٠٣م

ا. م. د. محمد فهد القيسي
كلية التربية – جامعة واسط

م. د. علي خضر العكيلي
كلية التربية – جامعة واسط

الملخص

من أكثر الامور التي امتاز بها المجتمع في جنوب العراق على مدى مئات السنين هي علاقته بالإمام الحسين(عليه السلام)، وكان من أبرز صور هذه العلاقة هي زيارته في مواسم مخصوصة مثل يوم الخميس وزيارة النصف من شعبان وزيارة عاشوراء وزيارة عرفة، ولعل أهم الزيارات له بلا منازع هي زيارة الأربعين وهي تأتي بعد أربعين يوم من مقتل الحسين(عليه السلام) أي في ٢٠ صفر، وتأتي أهمية هذه الزيارة انها تعبيء الناس تماماً ضد أي حاكم ظالم او يعتقدون انه بحكم الظالم لأنهم يعيشون لوعة مظلومية الامام الحسين(عليه السلام)، لذا عملت السلطات الحاكمة الى التعامل بحذر مع هذه الزيارة.

ولأن المدة الزمنية من ١٩٦٨ وحتى ٢٠٠٣ ما زالت بكراً في الدراسات التاريخية إما لعدم الافراج عن الوثائق، أو الاجواء المضطربة التي عاشها العراق بعد ٢٠٠٣ جعلت الناس في حذر عن تناولها، لذا جاء هذا البحث ليناقش موقف السلطة الحاكمة ممثلة بحزب البعث العربي الاشتراكي (المنحل) من زيارة الامام الحسين(عليه السلام) وما يلحق بها من مراسيم.

حاول الباحث جاهداً أن يكون موضوعياً في التناول فالموضوعية قانون قرآني خالد عندما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، إذ حاول الموازنة بين الرؤية الرسمية لموقف السلطة من زيارة الاربعين وبين الطرف الآخر من الزوار واصحاب المواكب الحسينية، وعلى هذا الاساس ولقلة الوثائق المتاحة بين أيدينا فقد اعتمد البحث بالدرجة الاساس على شهادات اشخاص عايشوا هذا الحدث– وحرصنا قدر الامكان على تنوعهم من محافظات متعددة – وتمت الموازنة بين كل هذه الاطراف سواء كانوا زواراً ام اصحاب مضايف ومواكب يؤون الزوار ام مسؤولين في الدولة فضلاً عن الكتابات المتاحة على شبكة الانترنت، وحقيقة نرى انه مشروع صالح وناهض لرسالة ماجستير او اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث راجين العمل على هذا الاساس.

تم تقسيم البحث الى تمهيد وأربعة مباحث وهي:

التمهيد: تناولنا فيه ثلاث فقرات هي: زيارة الاربعين – السلطة الحاكمة ١٩٦٨-٢٠٠٣م- نظرة حزب البعث الى الطقوس والشعائر الدينية.

المبحث الاول: زيارة الاربعين ١٩٦٨ – ١٩٧٧

المبحث الثاني: انتفاضة صفر ١٩٧٧م ونتائجها

المبحث الثالث: زيارة الاربعين ١٩٧٨ – ١٩٩١

المبحث الرابع: زيارة الاربعين ١٩٩١ – ٢٠٠٣

The position of the ruling authority from the Arbaeen pilgrimage 1968 - 2003 AD

Prof. Mohammed Fahad Al-Qaisi Dr. Ali Khudhur Al-Oqaili

Faculty of Education - Wasit University

ABSTRACT

One of the most prominent things that characterized the society in southern Iraq over hundreds of years is its relationship with Imam Hussein، and one of the most prominent images of this relationship is his visit in special time such as on Alarbaeen and the half of Shaaban and Ashura and t Arafa، and perhaps the most important visits to him is undisputed visit The visit comes forty days after the killing of Hussein، and the importance of this visit is that it is completely tired of people against any unjust ruler or believe that by virtue of injustice because they live the oppressor of Imam Hussein، so the ruling authorities acted cautiously with this visit، and because the period of 1968 Until 2003

The research has endeavored to be objective in handling and balancing the official vision of the position of the authority from visiting the forty and the other party of visitors، and on this basis and the lack of documents available in our hands، the research was based on the basis of the testimonies of people who lived this event and was balanced between all these parties، They were visitors or owners of mazes and processions harboring visitors or officials in the state as well as the writings available on the Internet، and the fact that we see it as a valid project and opposed to a master's thesis or a PhD in modern history، seeking work on this basis.

التمهيد:

زيارة الاربعين

يقصد بها زيارة مرقد الامام الحسين عليه السلام في كربلاء في اليوم العشرين من صفر والذي يصادف مرور اربعين يوم على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب في معركة الطف على يد جيش عبيد الله بن زياد، وطبقا للروايات التاريخية فقد رجعت من الشام زينب بنت علي وعلي بن الحسين عليه السلام السجاد برفقة الأيتام وأطفال الحسين عليه السلام إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام في الأربعين[٢].

وقد ورد عن الامام الحسن العسكري فيها قوله: «علامات المؤمن خمسٌ: التختم باليمين، وتعفير الجبين، وصلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٣]، وتقول الروايات أن أول من زار الحسين عليه السلام في يوم الأربعين هو جابر بن عبد الله الأنصاري إذ صادف وصوله من المدينة المنورة إلى كربلاء في ذلك اليوم وهو نفس يوم وصول عائلة الحسين عليه السلام بصحبة ابنه علي بن الحسين عليه السلام وعمته زينب، فالتقوا هناك ونصبوا عزاءً كبيراً[٤]. وقد صار إحياء هذه الذكرى من السنن المستحبة المؤكدة عند الشيعة، وتسمى هذه الزيارة محلياً في العراق بزيارة مردّ الرؤوس (اي رجوع أو عودة الرؤوس) لأن رؤوس الحسين عليه السلام ومن قُتل معه من أصحابه وأهل بيته أُعيدت لدفنها مع الأجساد بعد أن أخذها جيش بني أمية إلى يزيد وطافوا بها احتفالاً بالنصر[٥].

السلطة الحاكمة ١٩٦٨-٢٠٠٣م

استلم حزب البعث الحكم بعد انقلاب على الرئيس عبد الرحمن محمد عارف' وقد كان هذا الانقلاب بمعاونة كل من عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات العسكرية وابراهيم الداوود آمر الحرس الجمهوري ولكن البعثيين انقلبوا على هذين الاثنين في ٣٠ من الشهر والعام نفسه ليتفردوا بالحكم[٦]، وكان الرئيس في بداية الانقلاب حتى سنة ١٩٧٩ هو احمد حسن البكر ثم جاء من بعده صدام حسين بعد ان تنحى احمد حسن البكر، وانتهى حكم صدام حسين في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ عند غزو القوات الامريكية للعراق، وامتاز الحكم آنذاك بكونه حكم الحزب الواحد والشمولية اذ لم تكن هناك حياة ديمقراطية وتعددية حقيقية، اما فلسفة الدولة فكانت قائمة على اساس القومية العربية مع محاربة الحركات السياسية الاخرى كالشيوعيين والاسلاميين.

نظرة حزب البعث الى الطقوس والشعائر الدينية

من خلال مراجعة المصادر الاصلية وادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي نجد ان نظرته الى الشعائر الدينية تنطلق من نظرة شمولية قومية تدعو الى ان يكون الشعب بمجمله ذا اهداف ومصالح مشتركة ولا تشجع بذلك ظهور الثقافات الفردية إلا في أضيق الأطر، فقد ورد في المنهاج الثقافي المركزي معلقاً على الطائفية والانتماءات المذهبية انها تعمل على: «تقسيم وحدة الصف الوطني بالفعل الطائفي المقصود وبرد الفعل المعاكس وايجاد دوائر اجتماعية

ينتهي في حدودها المصلحة الوطنية والقومية وتعتبر دائرتها هي الاساس»[٧]، كما يربط بين المؤسسات الطائفية والفعل الامبريالي العالمي.

وفيما يخص الشعائر الدينية للطوائف والمذاهب ورد ما نصه: «ايجاد طقوس معبرة عن النعرة المذهبية وشد القاعدة الشعبية لها وبذل الجهود لتصوير هذه العادات المصطنعة وكأنها المظهر الذي يعبر عن جوهر الايمان بالطائفة وحقوقها»[٨]، كما حاول الحزب في أدبياته ان يفرق بين الطائفة كانتماء ديني وبين الطائفة كتوجه سياسي فضلاً عن ابعاد صفة الاضطهاد التي توجهت لطائفة بعينها – يقصد الشيعة – وعد هذا الاضطهاد كان موجهاً الى كل فئات المجتمع دون تمييز بين طائفة واخرى[٩].

اننا هنا لسنا في معرض مناقشة هذه الافكار بل حتى نفهم كيف كان الاطار النظري والفلسفي الذي يقود الدولة في تلك المدة وكيف كانت منطلقات العمل تجاه الشعائر الدينية ككل وزيارة الاربعين بشكل خاص.

وقد حاول الحزب ربط الحركات الدينية ذات الاطار الطائفي بمخططات الدوائر الاستعمارية والصهيونية – وهذه بحد ذاتها تهمة تؤدي بصاحبها الى الاعدام – حيث ورد ما نصه: «ان اللعبة الاساسية التي يلعبها الغرب والدوائر الاستعمارية في بلدان العالم الثالث وفي الوطن العربي بوجه خاص هي لعبة اثارة الانقسامات والصدامات السياسية والاجتماعية والدينية والطائفية والعرقية»[١٠]. فضلاً عن اتهام الحركات السياسية الشيعية الاسلامية بالعمالة الى النظام الايراني كما ورد: «لندع الجميع يمارسون طقوسهم الدينية والاجتماعية وفق اختياراتهم من دون ان نتدخل في شؤونهم وشرطنا الاساس في ذلك ان يبتعدوا في ممارساتهم تلك عن التناقض او التصادم مع سياستنا في تغيير وبناء المجتمع وفق اختيارات حزب البعث العربي الاشتراكي»[١١]، وقد تعرضت مجلة الحزب الرسمية[١٢] لموضوع الطائفية ونفت ان يكون حكم حزب البعث هو حكم الطائفة السنية على حساب الطائفة الشيعية[١٣]، كما انها فرقت في نظرتها بين الطائفة كوجود اجتماعي بين المذهب كانتماء سياسي.

المبحث الاول: زيارة الاربعين ١٩٦٨-١٩٧٧م

بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وبعد تولي البعثيين السلطة في ٣٠ تموز من العام نفسه كان في الساحة السياسية في العراق قوتان رئيسيتان هما: الحركة الاسلامية ممثلة بحزب الدعوة الاسلامية والاتجاه اليساري ممثلا بالحزب الشيوعي العراقي، وعلى هذا الاساس فقد وازن اصحاب السلطة بين الحركتين وبدأوا بمحاربة الشيوعيين واستغلوا في ذلك الشعارات الاسلامية ضدهم في مظاهراتهم، لذلك لم يقوموا باستثارة الحركة الاسلامية ولم يتعرضوا الى الشعائر الدينية ومنها زيارة الاربعين اذ يذكر احد الذين عاشوا هذه المدة ما يلي:

في المدة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٧ لم تمنع الزيارة مشياً على الاقدام الى زيارة الامام الحسين عليه السلام ولا المواكب الحسينية ولا مراسيم العزاء من طبخ وغيره، ولكن زيارة المشي كانت تتم بأعداد قليلة من الناس، ولم تكن هناك مواكب حسينية مبنية على الطريق بل كان

الزوار يبيتون في بيوت الناس الذين كانوا يسكنون على الطريق، كما انها لم تكن منظمة وكانت الناس تذهب لزيارة الاربعين مشياً على الاقدام بشكل جماعات صغيرة او بشكل افراد، ولم تكن الدولة مع او ضد هذه الزيارة بل تركت الناس يفعلون ما يريدون على سجيتهم في هذه الزيارة[١٤].

ويذكر شاهد عيان آخر عايش هذه المدة ان حزب البعث عندما استلم الحكم كان يتقرب الى مراسيم الزيارة وخاصة في كربلاء فقد رفعت لافتات مكتوب عليها:«تربطنا بالإمام الحسين عليه السلام صلتان النسب والدين» وكانت الدولة في المدة من ١٩٦٨- حتى منتصف ١٩٧٠م - توزع المواد الغذائية على المواكب الحسينية كالطحين والسكر والرز والزيت[١٥]، ولعل هذا الامر كان - أمر تكتيكي - اذ ان الظروف بدأت تتغير وبدأت السلطة بتثقيف الناس ان مراسيم زيارة المشي هي هدر واضاعة لوقت ثمين يجب العمل فيه لغرض رقي البلد وتطوره، وان الطبخ للإمام الحسين عليه السلام هو من مظاهر التبذير، واستمر الامر على هذا الحال حتى تم منع زيارة المشي والطبخ بشكل رسمي في ١٩٧٧[١٦]، وقد يكون سبب هذا المنع يعود الى:

١. خشية النظام الحاكم من ان تستغل الجهات السياسية الاسلامية الشيعية هذه المسيرات لأهداف سياسية.
٢. تعاظم المد الثوري من ايران وبداية ارهاصات الثورة الاسلامية فيها جعلت الدولة تخشى من انتقال الثورة الاسلامية الى العراق من خلال تعبئة الزيارة للجماهير الماشية.

وهناك حادثة رواها أحد الكوادر المتقدمة من حزب البعث الى احد الاشخاص وكالاتي: انه في ٢/ ٦/ ١٩٧٠ احتشدت جموع غفيرة من الموالين الشيعة لتشييع جثمان السيد محسن الحكيم في بغداد وصادف في هذه الاثناء مرور ميشيل عفلق أمين عام حزب البعث بهم فلما رأى هذه الجماهير أراد الالتقاء بها ظاناً أنها جاءت لاستقباله لكنهم أخبروه انها جموع المرجعية الدينية فقال ما معناه يجب ان تختاروا بين ان يكون التوجه في هذا البلد بعثياً أم دينياً، ومن هذه الحادثة بدأ التضييق على الشعائر الدينية[١٧] - اننا لم نتأكد تماماً من صحة هذه الحادثة سوى اننا اوردناها كي نفهم السبب الذي أدى الى تغيير توجه الدولة من دعم الشعائر الدينية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام الى عملية المضايقة وصولاً الى المنع في ١٩٧٧م.

وفيما يخص تاريخ زيارة المشي للإمام الحسين عليه السلام في يوم أربعينه «فقد انتظم اهالي النجف في تجمعات تسمى المواكب لها بعد اجتماعي يختص بالمحلات الأربع التي كانت تتألف منها المدينة القديمة المسورة وهي أحياء (البراق، المشراق، الحويش والعمارة) لتتحرك سيراً على الأقدام مسافة ٨٠ كم تقريباً في أرض صحراوية على الطريق بين النجف وكربلاء، حيث أنشئت ثلاثة خانات كبيرة لمبيت الزائرين وحمايتهم من عوامل البيئة والمناخ اذ يمضي الزائر ليله في كل خان منها ولكن مع مرور الزمن تعددت المواكب وأخذت أبعاداً وتسميات أخرى حيث تبدأ بالانتشار على طول الطريق لتقديم خدماتها للمشاة طيلة الثلاث ليال»[١٨].

وبعد ١٩٦٨م بدأ الصراع بين التيار الاسلامي وحزب البعث الذي استلم السلطة عام ١٩٦٨م وحاولت السلطة التي كانت تضم تيارات متعددة استمالة مجتمع النجف اذ دعمت المواكب الحسينية وأصبح رجال السلطة يشاركون فيها[١٩]، حتى انه كانت توزع مواد غذائية من الدولة على المواكب الحسينية[٢٠]، ولم يستمر ذلك طويلاً فقد تدخلت السلطة لمنع بعض الشعائر بالقوة وحصل اصطدام في مدينة النجف مع قوات الشرطة وانتهى بتوسط بعض زعماء المدينة لدى رئاسة الجمهورية وانهاء آثاره[٢١].

وتشير بعض الإحصائيات إلى أن عدد الزوار – غير المشاة – يوم الأربعين سنة ١٩٦٨ بلغ أكثر من نصف مليون زائر، وارتفع عددهم في بداية السبعينيات إلى نحو مليون زائر، حتى بدأت سلطات نظام البعث بمحاولات لمنع الزوار من أداء زيارة الأربعين خوفاً من النقمة وتحسباً من الثورة ضد نظام الحكم[٢٢]، وخوفاً من ان تستغلها الحركات الاسلامية وتحديداً الشيعية منها لأغراض تعبوية وتنظيمية، وما يؤيد هذا الكلام ما قامت به السلطة بعد ذلك فقد أعدم عام ١٩٧٤ مجموعة من علماء الدين وهم عبد العزيز البدري وعارف البصري وعبد الصاحب دخيل[٢٣].

وفي بداية السبعينات من القرن الماضي لم تكن هناك أعداد كبيرة تزور زيارة الاربعين مشياً على الاقدام، وحتى الاعداد التي كانت تذهب لزيارة الاربعين فإنها لم تكن كثيرة لان الموظفين والمرتبطين بالدوام الحكومي لا يذهب منهم الا العدد القليل من الذين يحصلون على إجازة، ولا يظن ان أعداداً كثيرة من الزوار من مناطق بعيدة عن كربلاء كانوا يذهبون مشياً على الاقدام، وكانت غالبية الماشين هم من المدن القريبة من كربلاء[٢٤].

ثم ازدادت أعداد الزوار – الماشين على الاقدام– وصاروا بالآلاف من أهل النجف، وفي اواسط السبعينات أصبحت الأعداد بعشرات الالاف اذ ازدادت الاعداد بشكل لافت للنظر وكان سبب هذه الزيادة هي الاجواء الروحية التي يعيشها الزائر وهو ماشياً على قدميه وتحرره من دوامة الحياة ومشاغلها. حتى اذا وصلنا الى أواسط السبعينات من القرن الماضي فكان قرار الحكومة العراقية بالتضييق على الشعائر الحسينية فكان أول الأمر منع ثلاث ظواهر عزاء وهي التطبير وعزاء المشاعل ومسيرة المشي الى كربلاء في الاربعينية[٢٥].

المبحث الثاني: انتفاضة[٢٦] صفر ١٩٧٧م ونتائجها[٢٧]:

أولاً - مجريات الاحداث

«في عام ١٩٧٧ صدرت اوامر السلطة بمنع المسير من النجف الى كربلاء بحجة ان هذه التجمعات تضم بؤراً معادية لمسيرة الحزب[٢٨]، فكان قرار منع اقامة هذه الشعائر دافعاً للمؤمنين بها للانتفاض ضد السلطة واقامة الشعائر رغم المنع، فقام البعض بتعليق منشورات في شوارع وازقة النجف الأشرف تدعو اهالي المدينة إلى المشاركة في المسير إلى كربلاء، مما أدى إلى شن حملة اعتقالات واسعة في المحافظة من قبل قوات الامن، ولكن هذا لم يمنعهم من مواصلة

الحراك والدعوة إلى المسير إلى كربلاء وحددوا الساعة الحادية عشر من صباح الخامس عشر من شهر صفر موعداً لانطلاق المسيرة[٢٩]. وقبل ايام قليلة من بدء التحرك حاول النظام تدارك الموقف وعقد اجتماعاً مع قادة المواكب ومجالس العزاء في النجف الأشرف، إلا أن هذه الاجتماعات لم تسفر عن نتيجة اذ أصَّر الاهالي على المسير إلى كربلاء، ففي بداية شباط عام ١٩٧٧ استقدم محافظ النجف جاسم محمد الركابي رؤساء المواكب الرئيسة في النجف المذكورة سلفاً، وطلب منهم عدم اقامة شعائر المشي على الأقدام من النجف الأشرف الى كربلاء المقدسة في تلك السنة وقال لهم انها اوامر من بغداد. حاول رؤساء المواكب إفهامه من ان هذا النشاط غير سياسي وان الناس تنذر للعيشة او التخلص من مرض او ضائقة او تمني النجاح الى آخره، ومن ثم لا يستطيعون عدم الإيفاء بالنذر. إلا انه كان جازماً وحازماً ومهدداً فقالوا له انهم لا يملكون سلطة كي يمنعوا الناس من المشي الى كربلاء[٣٠].

وفي صباح ٤ شباط ١٩٧٧ م / ١٥ صفر ١٣٩٧ هـ خرجت جماهير غفيرة من مناطق النجف الأشرف الرئيسية وهي البراق والمشراق والحويش والعمارة وهي تجوب شوارع المدينة متوجهة إلى مرقد الامام علي عليه السلام وهم يرددون أهازيج منددة بمنع شعائرهم مثل: «اهل النجف يا امجاد راياتكم رفعوها» و«إسلامنا ما ننساه أيسوا يا بعثية»[٣١]، ثم واصلت الجموع مسيرها إلى كربلاء وخاضوا صدامات دامية مع قوات الامن المنتشرة في الطريق وصولاً إلى منطقة خان الربع حيث قضى السائرون ليلتهم فيه. وفي يوم ٥ شباط ١٩٧٧ م / ١٦ صفر ١٣٩٧ هـ واصلت الجموع مسيرها إلى كربلاء المقدسة، وكانت دوريات الشرطة والامن تلاحقهم على الشارع العام وهي تهددهم وتامرهم بالرجوع إلى النجف الأشرف،إلا أن الحشود لم تكترث إلى تهديداتهم وبقيت تواصل سيرها إلى كربلاء المقدسة حتى وصلوا إلى منطقة خان النص عصر هذا اليوم، حيث توقفت المسيرة للاستراحة والمبيت فيها، وواصلت مجاميع من الشباب الحراسة ليلاً خوفاً من اي هجوم محتمل من قبل دوريات الشرطة والامن التي كانت تجوب المنطقة[٣٢].

ثم تحركت المسيرة من منطقة خان النص في صباح يوم ٦ شباط ١٩٧٧م / ١٧ صفر ١٣٩٧هـ باتجاه كربلاء المقدسة والجموع تردد الاهازيج المختلفة والحماسية، وبعد ابتعادها عن المنطقة قامت مجاميع من قوات الامن بالهجوم على مؤخرة المسيرة وإطلاق النار عليها مما أدى إلى سقوط أول شهيد في الانتفاضة وهو محمد الميالي، مما أدى إلى تحرك مئات الشباب الغاضبين إلى مراكز الشرطة القريبة والهجوم عليها وتدميرها واخذت جموع كبيرة بالالتحاق بالمسيرة من النجف الأشرف وبعض المناطق القريبة من كربلاء المقدسة، حتى وصلت المسيرة إلى منطقة خان النخيلة حيث تقرر الاستراحة والمبيت فيه إلى صباح اليوم التالي، وقد التحقت القبائل المحيطة بالمنطقة بالمسيرة بعد أن اتجه العشرات اليهم لدعوتهم للمشاركة حيث جاء الالاف إلى المنطقة وهم يرددون اهازيج عراقية مختلفة منها: «أسمع العباس ناده ياهله بهاي الضيوف....إشلون أأديهه التحيه وآني مكطوع الجفوف»[٣٣].

وقد ارسلت السلطة في عصر يوم ٧ شباط ١٩٧٧م/ ١٨ صفر ١٣٩٧هـ أحد خدمة الروضة الحيدرية المقدسة لتدارك الموقف وايقاف المسيرة واخذ بتهديد السائرين وشتمهم، إلا أن كلامه لم يأت بنتيجة فعاد إلى النجف الأشرف، وفي المساء هطلت الأمطار بغزارة واشتدّ البرد ليلاً مما اعاق تقدم قوات الحرس الجمهوري التي وصلت إلى المسيب استعداداً لضرب المسيرة، بعد ذلك قام المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر بإرسال السيد محمد باقر الحكيم لتوجيه الإرشادات اللازمة إلى جماهير المسيرة والمشاركة معها، مما ساعد برفع معنويات الجماهير وحماسها، فقد اكد السيد الحكيم لهم بانه مستعد ان يكون بينهم وان يواصل المسيرة معهم إلى كربلاء المقدسة[٣٤].

قاربت المسيرة الوصول إلى مدينة كربلاء المقدسة يوم ٨ شباط ١٩٧٧م/ ١٩ صفر ١٣٩٧هـ وهو يصادف ليلة الاربعين، وهنا تصاعد غضب رئاسة الجمهورية وسخطها وقامت بإرسال اللواء المدرع العاشر إلى طريق كربلاء لاعتراض المسيرة حتى وصل الامر إلى إرسال طائرات ميغ٢٣ إلى المدينة وإعطاءها الامر بإطلاق النار ان استدعى الوضع[٣٥]، وبعد وصول المسيرة إلى مشارف كربلاء المقدسة كانت في استقبالهم مجموعة من الدبابات والسيارات المصفحة وسيارات الشرطة ومئات المسلّحين وهم يتأهبون لإطلاق النار ومنع تقدم الجموع إلى المدينة، وقامت هذه القوات بإلقاء القبض على أعداد كبيرة من الشباب والنساء وكبار السن بعد محاصرتهم إلا أن مجاميع كبيرة تمكنت من الفرار واكمال المسير عبر طرق فرعية أخرى وصولاً إلى العتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، ورفضت قوى الشرطة المحلية الاصطدام مع المواطنين العزل فاستعان النظام بالجهاز الحزبي لوقف المسيرة في منتصف الطريق عند خان النص والذي لم يكن ليصمد أمام مد الجماهير وأوصل رسالة الى صدام عن حدوث تمرد وهذا ما دفع الاخير الى وضع أجهزة الدولة بالإنذار[٣٦] والى ارسال القوات المدرعة والطائرات الحربية لمطاردة الزوار العزل الذين تفرقوا في البساتين فمنهم من عاد ادراجه الى النجف ومنهم من وصل الى كربلاء ليجد نفسه بعد ذلك قد وقع في كمين باصات العودة الى النجف والتي هيأها جهاز الامن لنقل الزائرين الى الامن العام واخضاعهم للتعذيب والاهانة او القتل[٣٧].

كان يوم ٩ شباط ١٩٧٧م/ ٢٠ صفر ١٣٩٧هـ يوماً حافلاً في كربلاء المقدسة حيث يوافق ذكرى الاربعين، وكان الآلاف يتجمهرون حول العتبتين الحسينية والعباسية المقدستين، وهم يؤدون مراسم الزيارة والعزاء، حتى أشاعت قوات الامن انباء تشير إلى وجود قنبلة موقوتة داخل ضريح الامام الحسين عليه السلام، مما أدى تولد الذعر في نفوس الجموع التي كانت في داخل الضريح، وهنا استغلت القوات الأمنية الفرصة وقامت بإلقاء القبض على مجاميع كبيرة من الشباب ونقلهم إلى المعتقلات القريبة وكان من بين المعتقلين السيد محمد باقر الحكيم مما أدى إلى إعلان المرجع السيد محمد باقر الصدر الاضراب في الحوزة العلمية[٣٨].

ثانياً - نتائج الانتفاضة:

١. في يوم ٢٤ شباط ١٩٧٧ تم اعدام تسعة اشخاص بضمنهم مراهق لم يبلغ الثامنة عشر وشيخ عمره فوق السن القانونية للإعدام. شكلت السلطة محكمة صورية يرأسها الدكتور عزت مصطفى وزير الصحة الذي رفض التوقيع على القرار وعضوية وزير الداخلية فليح حسن الذي رفض توقيع القرار وعضوية حسن العامري الذي وقع القرار فضلاً عن طه الجزراوي. واللافت للنظر ان العضوين اللذين رفضا التوقيع على قرار الإعدام هما من (اهل السنة) والوزير الذي وقع القرار كان حسن العامري من (اهل الشيعة) ففي خلال عشرة ايام تم التحقيق والمحاكمة والحكم والاستئناف وتنفيذ الحكم. علما ان سبب رفض الاثنين التوقيع على حكم الاعدام انهما وجدا ان الذين احيلوا للمحكمة الخاصة قد ماتوا اثناء التعذيب فرفضا التوقيع على قرار إعدامهم، وقالا اننا حاكمنا جثثا ولم نحاكم أشخاصاً[٣٩].

٢. وقد ورد في مذكرة لمديرية أمن النجف مطلع تشرين الاول سنة ١٩٧٧ ما نصه: «أدناه اسماء المجرمين الذين اعدموا في احداث الشغب في النجف ابان زيارة الاربعين لعام ١٩٧٧ واهم المعلومات عنهم وهم: يوسف ستار عبد الحسن الاسدي وناجح محمد كريم المشهداني وغازي جودي محمد خوير وكامل ناجي مالو الخالدي، وهنالك آخر صدر عليه حكم الاعدام كونه من عناصر حزب الدعوة حيث سبق واوقف لهذا السبب فضلاً عن أنه كان يلتزم بالمناسبات الدينية وهو وهاب عزيز حميد الطالقاني».

٣. وفي مذكرة اخرى يرد فيها:» اعلامنا عن كيفية التحرك على عوائل المذكورين والطريقة التي يجب اتباعها في التحرك عليهم حيث انهم من العوائل الملتزمة دينياً والتي لها مواقع اجتماعية ويجب اعداد دراسة عنهم تتضمن ما يلي:

- أسماء أشقاء المعدومين واعمالهم وكذلك ذويهم
- المعلومات المتوفرة عن سيرة وميول وعلاقات المذكورين ووضعهم المادي.
- تشخيص العناصر التي يخشى منها ان تستغل للإخلال بالأمن.
- الموقف العائلي الحالي لعوائل المعدومين وذويهم من السلطة.
- الاسلوب الافضل للتحرك لكسب المذكورين وتشخيص من يمكن الاستفادة منه[٤٠].

٤. بدا نظام الحكم بمنع شعائر الحسين عليه السلام واصحاب المواكب والزوار وقام منذ عام ١٩٧٧ بنشر عناصره من الامن والمخبرين السريين والرفاق الحزبيين والجيش والشرطة والجيش الشعبي في كربلاء والنجف وسامراء والكاظمية[٤١].

٥. لم تنه هذه الحادثة مسيرة المشي إلى الحسين عليه السلام في الأربعينية، فقد نشأ مشروع زيارة فردي فدائي متخفي مشياً على الاقدام، توسع ليشمل الكثير من المؤمنين من مختلف المدن العراقية بما تخطى حدود مدينة النجف وحواليها، وازداد عدد الزوار المتحدين منع النظام للزيارة مشياً على الاقدام حتى وصل الى إعداد كبيرة وصل إلى الآلاف معرضين أراوحهم للموت لغرض زيارة الامام الحسين عليه السلام[٤٢].

٦. اجتماع نائب رئيس الجمهورية آنذاك- صدام حسين- مع مكتب الاعلام في الحزب اجتماعاً موسعاً والذي تطرق فيه الى العلاقة بين الحزب والدين، وقد تم طبع هذا الحديث في كراس عنوانه نظرة الى التراث والدين تعرض فيه الى رسم علاقة واضحة بين الحزب والدين حيث «نفى فيه بشكل قاطع أي تنازلات للذين يطرحون المسالة الدينية وطقوسها طرحاً منحرفاً وخاطئاً او تقارب معهم[٤٣]، وفي موضع آخر ذكر: ان بعض اوساط الرجعية تتصرف تصرفات استفزازية ضد الثورة تحت غطاء الشعائر الدينية[٤٤] كما دعا الى عدم التدخل في دقائق الامور الدينية وتفاصيلها لأنها ستنفر الناس من البعثيين[٤٥].

٧. كان من نتائج الاحداث معاقبة الوزيرين اللذين لم يوقعا على قرار الاعدام وقد تم عزل الدكتور عزت مصطفى وفليح حسن من كافة مناصبهم السياسية والحزبية والحكومية[٤٦].

٨. إبعاد السيد الخميني من العراق.

٩. تطور الاحداث واعدام الشهيد محمد باقر الصدر بسبب موقفه من الاحداث في ٨ نيسان ١٩٨٠م.

١٠. ان انتفاضة صفر هي أول تحدي شعبي جماهيري عام للنظام الحاكم، فهي حولت المواجهة مع النظام من العمل الحزبي النخبوي الى العمل الجماهيري[٤٧].

المبحث الثالث: ١٩٧٨- ١٩٩١م

بعد قرار منع زيارة الاربعين مشياً على الاقدام، وبقاؤها بواسطة السيارات يذكر شهود عيان انه في عام ١٩٧٨ صادفت زيارة الاربعين في عطلة نصف السنة فقام النظام بتأخير امتحانات نصف السنة عشرة ايام حتى تكون الاربعينية ايام امتحانات نصف السنة مما أثّر سلباً على أعداد الزوار في ذلك العام، ولا يعتقد ان عدد زوار الحسين عليه السلام عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨ يزيد عن المليون نظراً للظروف الخاصة وخوف الناس من بطش السلطة[٤٨].

وقد تم بثّ الشرطة السرية بين المدن في الطرق المؤدية إلى كربلاء وكانوا يعتقلون من يظفرون به من الزوّار المشاة، لذلك لم يكن الناس يذهبون على شكل جماعات كبيرة بل كانوا يتشكلون في أعداد صغيرة ليتسنى لهم الهرب ان رصدهم أعوان النظام، ومع ذلك اعتقل منهم الكثير[٤٩].

اما في عقد الثمانينات فقد تميزت بقلة اعداد الزوار سواء مشياً على الاقدام ام بواسطة السيارات والسبب في ذلك يعود الى:

١. اندلاع الحرب العراقية الايرانية وانشغال الناس بالحرب وذهاب اغلب الرجال الى ساحاتها كجنود سواء كانوا مكلفين ام احتياط ام جيش شعبي.

٢. خوف الناس ان يتهموا بموالاتهم لإيران في حالة الزيارة او الالتزام بالشعائر الدينية، وذلك لان ايران كانت ترفع شعارات عاشوراء والحسين عليه السلام مما جعل الناس في حرج ان يتهموا بالعمالة الى ايران[٥٠].

٣. في سنة ١٩٨٢م كان الامن يعتقل بعض الاشخاص قبل حلول زيارة الاربعين كإجراء وقائي بهدف تخويف الناس وردعهم[٥١].

ولان الدولة منعت زيارة المشي فقد لجأ الناس الى ان يسيروا ليلاً ويكمنوا نهاراً، فضلاً عن ذلك فقد كانوا يتجنبون الطرق العامة ويلجأون الى الطرق الفرعية بين الانهر والبساتين وكان الناس يساعدونهم في مسيرتهم هذه من خلال:

١. توفير المنازل وأماكن الاستراحة نهاراً.
٢. توفير المرشدين والادلاء لهم ليلاً.
٣. توفير الزاد والماء لهم.

رغم انهم بعملهم هذا كانوا يعرّضون انفسهم للمساءلة القانونية آنذاك.وكان الشخص الذي يلقى عليه القبض وهو ماش الى الزيارة يتعرض الى الاعتقال فإما ان يطلق سراحه بعد أخذ تعهد عليه بعدم المشي أو انه يحول على مادة قانونية مثل ضرب المقرات الحزبية او الاعتداء على الجهاز الحزبي، ويذكر ان قسماً منهم كان يتعرض للتعذيب حتى ان بعضهم مات تحت التعذيب [٢٥]، ويذكر ان الجهات التي كانت تتحمل مسؤولية منع الزيارة المشي هي الجهاز الحزبي والجيش الشعبي وجهاز الامن.

المبحث الرابع: ١٩٩١- ٢٠٠٣م

امتاز هذا العقد بكثرة الزوار نسبياً سواء كانوا بالسيارات ام مشياً على الاقدام مع بقاء المنع قائماً على زيارة المشي وزيادة الاجراءات الحزبية والامنية والسبب يعود في كثرة الزوار الى ما ياتي:

١. ظروف الحصار الاقتصادي وانتشار البطالة وقلة فرص العمل مما ادى الى لجوء الناس الى الدين.
٢. المد الديني الذي مرَّ بالعراق خاصة بعد ١٩٩٥م.
٣. ضعف قبضة الدولة بعد هزيمتها في حرب ١٩٩١م.
٤. صعود التيار السلفي في العراق مما ادى الى حالة معاكسة تمثلت بالتمسك بالشعائر الدينية الشيعية بالضد من هذا التيار.

وكان الزوار خلال هذه المدة يلبسون ملابس سوداء ويسيرون ليلاً فرادى يختفون خلف الأشجار كيلا يعرفهم رجال النظام حتى إذا ما بلغوا كربلاء مشياً أدوا زيارة الأربعين وقد يتعرض بعضهم إلى القاء القبض والحبس او التضييع في المقابر الجماعية[٥٣].

ويروي احد شهود العيان انه ذهب الى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام بعد هزيمة النظام واخراجه من الكويت في ربيع سنة ١٩٩١م قائلا: «ركبت في سيارة نقل كبيرة، الطريق طويل، يلزمني قضاء خمس ساعات لكي أصل، السيطرات المشتركة من الجيش والحزب والأمن والشرطة، منتشرة على طول الطريق، في المفارق والتقاطعات، ومداخل كل مدينة نمرّ بها. عند مرورنا بأي سيطرة، كنا نخضع للتفتيش الدقيق، يقوم رجال الأمن بإنزال الركاب وتحديداً الرجال، ثم نقف على شكل طابور، مع إبراز هوية كل شخص تباعاً، ثم ينظر رجل الأمن لأسم الشخص مع قوائم الأسماء التي عنده، وهي أسماء متهمة بالمشاركة في الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١م، مشهد تراه في كل سيطرة، تبلغ فيه القلوب الحناجر، خوفاً أن يكون أسمك في تلك القوائم![٥٤].

لما وصلت كربلاء بسلامة، رأيت آثار الدمار والخراب على المدينة، من أثر القصف المدفعي والطيران، وخاصة المنطقة المحيطة بالحرمين الشريفين، وعندما اقتربت من مرقد الإمام الحسين(عليه السلام)، شاهدت الجدران والأبواب الخارجية قد نالها نصيب من القصف والاعتداء من قبل القوات الصداميّة، وعند دخولي للحرم المقدس رأيت شباك الضريح والجدران تحت القبة الشريفة قد أصابها الرصاص، ولليوم بعض آثارها موجودة. هناك شيء أريد أن أقوله للتاريخ، وهو أني شاهدت بأمّ عيني مكتوباً على الأبواب والجدران الخارجية للحرم المقدس للإمام الحسين(عليه السلام)، بالصبغ الأحمر: (لا شيعة بعد اليوم)!! وكذا مرقد أخيه أبي الفضل العباس(عليهما السلام)[٥٥].

وفي عام ١٩٩٨ م وما بعده كان موقف السلطة الحاكمة ممثلة بجهاز الحزب كالآتي:

١. اعلان حالة الانذار في بداية شهر محرم وانتهاءً بمراسيم زيارة الاربعين في ٢٠ صفر.
٢. منع زيارة الامام الحسين(عليه السلام) مشياً على الاقدام مع السماح بزيارته بالسيارات[٥٦]، ولكن يجب ان تكون السيارات الكبيرة المتوجهة الى الزيارة تعمل على خط كربلاء وفي حالة لم تكن كذلك كان يتم احتجازها وانزال الركاب منها، مع مراقبة أن لا تكون في اجهزة التسجيل في السيارات أشرطة مراثي حسينية[٥٧].
٣. منع مراسيم اللطم والتطبير والزنجيل والطبخ في الشوارع العامة مع غض النظر عن الطبخ في البيوت.
٤. إذا تم القاء القبض على أفراد وهم يسيرون مشياً على الاقدام لزيارة الامام الحسين(عليه السلام) كانت الاجراءات معهم كالآتي:
   - إلقاء القبض عليهم.
   - أخذ تعهد عليهم بعدم الزيارة مشياً في المستقبل.
   - تأشيرهم ووضع مراقبة أمنية وحزبية عليهم كل حسب مكان اقامته.
   - وفي الحالات التي يكون فيها قسم من هؤلاء الافراد لديهم سجل أمني سابق أو مراقبين أمنياً يتم تحويلهم الى المحكمة وفقا لمواد قانونية تُكيَّف وحالتهم[٥٨].

مع ملاحظة أمر مهم هو أن هذه التعليمات كان يشرف عليها الجهاز الحزبي ممثلاً بقيادات الفروع والشعب والفرق فضلاً عن الجهاز الامني ممثلاً بمديريات الامن العامة في كل محافظة، وكان التعامل مع الزوار يخضع الى طبيعة شخصية المسؤول الامني والحزبي فاذا كان متساهلاً مع الزوار كان الاجراء معهم بسيطاً اما اذا كان حاقداً عليهم فيتم ايذاؤهم كثيراً[٥٩].

وفي آخر سنة من حكم النظام ٢٠٠٢ وكمحاولة منه لتنفيس الاحتقان الداخلي بعد تأكده أن الحرب -مع أمريكا - قائمة لا محالة حاول النظام التقرب من المجتمع الشيعي من خلال الإجراءات الآتية:

- السماح بإقامه مجالس العزاء الحسينية بشرط ان تأخذ إجازة من الجهات ذات العلاقة سواء كانت أمنية أم حزبية.
- غض النظر عن مراسيم العزاء كاللطم والطبخ.

- بل ان النظام خول أعضاء القيادة القطرية صلاحية الطبخ للإمام الحسين عليه السلام وأن يكون ذلك تحت إشرافهم[٦٠].

وبالمقابل لم يكن هذا الانفراج كلياً او في اطار عام وشامل فعند سقوط نظام الحكم في ٢٠٠٣م وجدت الكثير من التقارير المخابراتية عن أناس بسطاء، تم تغييبهم والسبب (انه كثير الزيارة للحسين)[٦١].

وفي الجانب الآخر يذكر اصحاب المواكب الحسينية والزوار حول زيارة الاربعين ما يلي: انه في الاعوام ١٩٩٦ وما بعدها كانت زيارة المشي ممنوعة منعاً باتاً وقد تم تكليف الجهاز الحزبي بمتابعة عملية المنع هذه كلٌ حسب قاطع مسؤوليته، وكان الزوار الماشين على الأقدام يمشون ليلاً ويختفون نهاراً وقد كان يتم ايواؤهم في بيوت الناس بشكل سري، أما من كان يلقى عليه القبض فيسلم الى الجهات الحزبية وهي تتصرف فيهم فإما ترسلهم الى مديرية امن المحافظة او تحولهم الى مناطق سكناهم، ويذكر أحد الاشخاص انه تم إعدام قسم منهم ولكن ليس في موقع حدث الزيارة بل كانت تلصق بهم تهمٌ مثل ضرب المقرات الحزبية او الاشتباك مع أفراد الحزب وبعد مدة من الاعتقال يتم اعدامهم[٦٢].

وكان قسم من افراد الجهاز الحزبي متعاطفين مع الزيارة لذا كانوا يغضون النظر عن الزوار الماشين ومَنْ يؤوونهم إما لكونهم ابناء هذه المناطق والعشائر أو لانهم مقتنعين بصحة الزيارة الا انهم اجبروا للانتماء الى حزب البعث لظروف متعددة، أما القسم الآخر من الاعضاء البعثيين فكانوا قساة جداً على الزوار، وكان الناس يضعون للزائرين مشاعل في الطريق كي يهتدوا بها في اثناء سيرهم ليلاً، وكان الجهاز الحزبي هو المسؤول عن متابعة منع الزيارة المشي اما جهاز الامن فكان يشرف عليهم بشكل عام[٦٣].

ومن اللافت للنظر ان الدولة كانت تبعث قسماً من عناصرها يمشون مع الزوار وبهيئة معتوهين لغرض رصد تحركات الزوار ومعرفة من يؤويهم ويقدم لهم المساعدة، وكان الناس في منطقة الهندية (طويريج) يُعبّرون الزوار في قوارب ليلاً من نهر الفرات لانهم لا يستطيعون العبور على الجسر وكان القارب يسمى «كعد» يتسع لـ ١٦ شخصاً ويتم عبور (١٥٠٠) شخص في الليلة الواحدة، وكانت هذه العملية تستمر مدة ٦ أيام قبل زيارة العشرين من صفر، وقد تم منع هؤلاء من ذلك حتى ان موسم صيد السمك يمنع في اثناء الزيارة حتى لا يتحجج هؤلاء انهم يصيدون السمك، وكان بعض المختارين متعاونين مع الجهات الحزبية في منع الزيارة والتبليغ عمن يؤوي الزوار[٦٤].

وكانت السلطة تنصب السيطرات على الطرق العامة لمنع زيارة المشي فقد اضطر هؤلاء الى السير بين البساتين والمناطق الزراعية ليلاً ويكمنون نهاراً أما في البيوت او في المناطق ذات الاشجار الكثيفة والبساتين، فقد كان الناس يشعلون لهم الفوانيس والفتائل على طول الطريق كي يدلوهم عليه، وإذا تم القاء القبض على الزائر فيحاكم بجريمة «اجتياز الحدود»[٦٥] ويحكم عليها بالسجن اذا كان الحكم مخففاً وبالإعدام في أغلب الأحيان بعد تكييف قضيتهم مع مواد قانونية تصل عقوبتها الى الاعدام[٦٦].

ويروى انه تم القاء القبض على مجموعة من الزوار في احد بساتين منطقة الجدول الغربي في قضاء الهندية وكان عددهم ١٥٠ زائراً حيث ألقى القبض عليهم ٣ من الرفاق الحزبيين، وحدثت مشاجرة بين الطرفين أدت الى مقتل أحد الرفاق مما أدى الى غضب السلطة الحاكمة فهدمت بيوت تلك المنطقة وتم اعتقال شباب المنطقة وسُجن مَن سُجن وأُعدم مَن أُعدم وكان ذلك سنة ١٩٩٢م[٦٧].

وتتفق هذه الرواية مع الرواية السابقة من تجنيد السلطة لرجال ونساء متخفين لغرض معرفة الزوار وبالخصوص في منطقة الرجيبة من مناطق قضاء الهندية حيث كانت معبراً للزوار لابد لهم من المرور فيها، وكان الرفاق الحزبيون يكسرون أواني الماء الفخارية (الحب) التي كانت توضع لشرب الزوار ليلاً، وفي بعض الاحيان كان قسم من الزوار يتم اعتقالهم عند وصولهم الى كربلاء بواسطة سيارات الاسعاف حتى لا يثيروا شكوك ونقمة الزائرين الآخرين[٦٨].

وكان الاستنفار الامني يبدأ في شهري محرم وصفر ويُطلب من الكادر الحزبي التواجد في المقار الحزبية بدرجة انذار، وكانت هناك توجيهات علنية وسرية فيما يخص الزيارة ويطلب منهم مراقبة المناطق التي يمر بها الزوار (الماشين على الاقدام)، ويرفعون تقارير منتظمة حولها كما كانت تنصب سيطرات لمسك الطرق، وكانوا يمنعون المواكب الحسينية التي تقدم خدماتها الى الزوار ومجالس العزاء فيها، وفي المقابل كانت تقام تجهيزات سرية للمواكب لتسهيل زيارة الزوار الماشين فقد كان الزوار يمشون في مجاميع صغيرة لئلا يلفتوا الأنظار، وفي الوقت نفسه حتى يستطيعوا المناورة والهرب عند الضرورة، وغالباً ما كان الزوار يقعون في قبضة الجهات الحزبية حيث كان ينتظرهم السجن او التغييب[٦٩].

والغريب في الامر ان توجيهات راس النظام في لقاءاته العلنية لم تتطرق الى هذه الاساليب العنيفة في التعامل، فقد ذكر صدام حسين في لقاء تلفزيوني ما مفاده: إن زيارة المشي تؤدي الى ازدحام السير وفي حالة تدخل الدولة في ذلك لتنظيم ذلك يشعر من ذلك انها تمنع الزيارة، وعلى هذا الاساس نتجنب زيارة المشي والاكتفاء بالزيارة بالسيارات وكلاهما له الاجر نفسه[٧٠]. وفي لقاء آخر يذكر ما مفاده: طلبت من الحزب أن يوعي عن الظواهر التي ليس لها لزوم، ان الدولة لا تمنع زيارة الحسين عليه السلام وانها تمنع زيارة المشي لإمكانية اندساس اشخاص مخربين في صفوف الزائرين او ازعاج الناس اثناء السير بقطع الشوارع، مع ضرورة التفريق بين من هو ساذج من الزوار ومن هو منظم لجهات سياسية معينة[٧١] وهنا نحن امام خيارين لتفسير هذا التناقض ما بين ما هو معلن وبين ما مطبق:

١. اما ان تكون للجهاز الحزبي والامني تعليمات غير معلنة تتضمن هذه الاجراءات القاسية.
٢. اما ان يكون في الامر اجتهادات من قبل المسؤولين الحزبيين خوفاً من اتهامهم بالتقصير في منع زيارة المشي.
٣. يظهر التناقض جلياً في كلام رئيس النظام السابق فالزوار عادة لم يكونوا يسلكون الطرق الرئيسة فيضيقوا على الناس، بل كانوا يسلكون

طرقاً فرعية ورغم ذلك كانت الاجهزة الامنية والحزبية تطاردهم فيها.

وكي يكون البحث متوازناً وناقلاً لجميع الآراء ولجميع الجهات ذات العلاقة ارتأينا ان نورد مثالاً حول زيارة المشي رواها لنا احد الاشخاص، اذ يذكر انه مشى لزيارة الاربعين أربع مرات ابتداءً من سنة ١٩٩٨م وكان ينطلق من الموفقية في محافظة واسط/ قضاء الحي، وفي وصفه للرحلة يقول انه اذا كانت الارض منقطعة وبعيدة عن المدن والطرق الرئيسة فإنهم يسيرون في النهار ثم يكون مبيتهم في الليلة الاولى في منطقة الدلمج وكانت المجموعة تضم ما بين ٢٥- ٥٠ شخصاً، وفي حالة مسيرهم ليلاً فانه يبدأ بعد العشاء وتتخلله مدة زمنية للاستراحة، وكانوا معرضين أن يسير معهم أشخاص محسوبين على النظام ليرصدوا تحركاتهم لذا كان يطلب منهم الحذر في الحديث وعدم الوثوق بأي شخص في المجموعة إلا بعد أن يتأكد منه[٧٢].

اما اليوم الثالث فكانوا يستقرون قرب نهر المالح (المصب العام)، وكان أهم شيء يجب أن يتزود به الزائر هو الماء فضلاً عن النقود التي هي ضرورية له في رحلة العودة الى البيت، وفي اليوم الرابع يستقرون في منطقة الخضريات في ناحية الشوملي من محافظة بابل، وفي اليوم الخامس في منطقة الخميسية/ ناحية المدحتية، وفي بعض الاحيان يتأخر نزولهم على البيوت كونها مراقبة من الحزبيين وحين مجيء اشعار بالأمان فانهم ينزلون عليها نهاراً، وفي اليوم السادس يدخلون مدينة الحمزة الغربي (ناحية المدحتية) حيث يستضيفهم الناس في بيوتهم فرادى حتى لا يلفتوا لهم الانظار، وفي اليوم السادس يستقرون في بساتين سكة القطار قرب الحلة، اما اليوم السابع فيستقرون في الهندية (طويريج) حيث كانت الامور تزداد صعوبة بسبب شدة المراقبة الامنية كونها ملتقى طرق الزوار المشاة، وكانوا يعبرون بواسطة القوارب اذ تقدر أعدادهم بآلاف الزوار، وتحدث حالات وفاة لبعض الزوار بشكل نادر عند العبور، وفي حالة اكتشاف امر القوارب من قبل افراد النظام – البعثيين – كان يتم تغيير مكان العبور ويعلن عن هذا التغيير بلوحات دلالة في البساتين ترشد الزوار الى المكان الجديد[٧٣].

وفي اليوم الثامن يدخلون كربلاء عن طريق منطقة الكفوف وهذه المنطقة تكون خطرة جداً ذلك ان الرفاق البعثيين يمشطونها عن طريق اطلاق العيارات النارية الحية على الزوار ويساعد الناس في عبور الزوار بشكل فردي الى داخل المدينة حيث يتوزعون على البيوت، وكانوا يستريحون اليوم الاول ثم يزورون في اليوم الثاني، وفي بعض الاحيان تشك الجهات الحزبية والامنية بالأشخاص في كربلاء بأنهم من زوار المشي ويتم القاء القبض عليهم، وعند اكمال الزيارة كانوا يعودون بالسيارات الى منازلهم[٧٤].

وهناك حوادث تصادف المشاة في الطريق ذلك ان قسماً من الاهالي كانوا يخبرون الجهات الحزبية عنهم، بل ان هناك حادثة جرت مع مجموعة من الزوار استضافهم احد الاشخاص في بيته ثم ذهب الى الفرقة الحزبية كي يخبر عنهم إلا أن ابنه أخبرهم بالأمر فهربوا من بيته وحين مجيء الرفاق الحزبيين لم يجدوا أحداً[٧٥] ! ويقيناً ان هذه حالات قليلة وشاذة اذ ان الأعمَّ الأغلب من الناس كانوا يسارعون الى

تقديم الخدمات الى الزوار بأي طريقة كانت.

ويروي أحد الزوار أنه في حالة إلقاء القبض على أحد الزوار بتهمة الزيارة المشي يتم تسليمه من قبل الفرقة الحزبية الى مديرية الامن التي تحوله الى مديرية الأمن العامة، وهناك يخضع الى محاكمة في محكمة خاصة وفقا للمادة ٢٠٠/ ٢ من قانون العقوبات العراقي ١١١/ ١٩٦٩[٧٦]، ويحكم عليه بالحبس مدة شهر واحد حيث يتم تحويله الى قسم الاحكام الخاصة في سجن (ابو غريب) لقضاء محكوميته[٧٧].

ومما يعزز شدة المواجهة بين الزوار المشاة وبين الجهاز الحزبي هي الوثائق التي عثر عليها بعد سقوط نظام البعث في ٩/ ٤/ ٢٠١٨، والتي تتضمن تعهد بعض الرفاق بعدم زيارة الامام الحسين وهي وثائق مرفوعة الى راس النظام آنذاك[٧٨].

الخاتمة

بعد إكمال البحث يمكن استنتاج أبرز النقاط الآتية منه:

١. عند تسلم حزب البعث السلطة في عام ١٩٦٨ لم يمنع مراسيم زيارة الاربعين خاصة والشعائر الحسينية عامة، بل كانت الدولة تسهم في بعض الشعائر كالطبخ مثلاً.
٢. بدأ المنع التدريجي لزيارة الاربعين مشياً على الاقدام والتطبير والزنجيل وعزاء المشاعل بشكل تدريجي بعد عام ١٩٧٠، وصولاً الى منعها بشكل رسمي في ١٩٧٧.
٣. تعد انتفاضة صفر من أهم المؤشرات على رفض المسلمين الشيعة لقرار منع زيارة المشي الى الحسين عليه السلام.
٤. كانت زيارة الحسين عليه السلام بواسطة السيارات مسموحاً بها طيلة مدة حكم حزب البعث ١٩٦٨- ٢٠٠٣م.
٥. امتاز عقد الثمانينات بقلة أعداد الزوار الى الامام الحسين عليه السلام سواء بالسيارات ام مشياً على الاقدام وذلك بسبب ظروف الحرب العراقية-الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨م.
٦. استمر منع زيارة المشي في عقد التسعينات وما بعده حتى سنة ٢٠٠٣م سوى بعض الانفراج في اخر سنتين من حكم النظام.
٧. كان الكادر الحزبي هو المسؤول عن منع زيارة المشي الى الحسين عليه السلام فضلاً عن جهاز الامن.
٨. تباينت تصرفات افراد حزب البعث تجاه الزوار المشاة فمنهم مَنْ كان يطبق القانون بحقها بقسوة والقسم الآخر كان يتغاضى ويتساهل مع الزائرين مشياً على الاقدام.
٩. تعرض الزوار المشاة لزيارة الحسين عليه السلام الى مضايقات شديدة تصل الى حد الاعتقال والحبس وربما الاعدام في حالات محددة.
١٠. تعاطف كثير من الناس مع الزوار المشاة وتقديم مختلف أشكال المساعدة من مبيت وطعام وارشاد على الطريق.

المصادر والمراجع

(١) المائدة: ٨

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣، ج١٠١، ص٣٣٤.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت-لبنان، ١٩٩١، ص٧٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٨٧.

(٥) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D9%8A%D9%86

(٦) عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة وتجربة السلطة في العراق ١٩٥٨- ١٩٦٨، دار البراق، لندن، ١٩٩٦، ص ١٢٣.

(٧) المنهاج الثقافي المركزي، الكتاب الثاني، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠، ص١١١.

(٨) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٩) المنهاج الثقافي المركزي، ص ١١٥.

(١٠) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران، ١٩٨٢، ص ٢٧٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

(١٢) هي مجلة الثورة العربية.

(١٣) الثورة العربية، عدد ٤، السنة ١٢، نيسان، ١٩٨٠، ص١٩٨.

(١٤) السيد تقي فضيل العلاق، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠١٨. وهو معلم متقاعد له نشاطات في المواكب الحسينية من سكنة محافظة واسط / قضاء النعمانية.

(١٥) رحيم عليوي عبد الله الطفيلي، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٨. وهو صاحب موكب حسيني يؤوي الزوار، من سكنة محافظة كربلاء / قضاء الهندية.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) رحيم عليوي عبد الله الطفيلي، مقابلة خاصة بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٨. حيث يذكر انه سمعها من أحد الكوادر المتقدمة في حزب البعث كان شاهد عيان على هذه الحادثة.

(١٨) علي كاظم العوادي: تأملات في زيارة الاربعين: https://kitabat.com/2017/11/12

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) راسم راجي ذياب السعيداني، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠ / ٧/ ٢٠١٨. وهو صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، من سكنة محافظة بابل / قضاء الهاشمية.

(٢١) علي كاظم العوادي: تأملات في زيارة الاربعين.

(٢٢) طه الربيعي: تاريخ زيارة الأربعين: www.alsabaah.iq/ArticlePrint.aspx?ID=82290

(٢٣) حول الشهداء في العراق ابان تلك المدة ينظر: مؤسسة الشهداء، شهداء العراق- نخبة من شهداء العراق- ضحايا النظام البعثي الصدامي، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٦، ٢٥، ٢٧.

(٢٤) علي محسن التميمي، زيارة الاربعين عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود): burathanews.com/arabic/articles/223422

(٢٥) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف، اصدارات المجمع العلمي للدراسات والثقافة الاسلامية النجف الاشرف.

(٢٦) الانتفاضة: هي حركة أو ثورة شعبيَّة، سياسيَّة أو اجتماعيَّة رافضة تغلب عليها القوَّة والعنف والهيجان. ينظر: انتفاضة – www.almaany.com/ar/dict/ar-a

(٢٧) لقد تم الاستعانة بـ «حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف، من اصدارات المجمع العلمي للدراسات والثقافة الاسلامية النجف الاشرف» https://alkafeel.net/fourty/index.php?aview=11 في كتابة هذا المبحث.

(٢٨) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٣١) محمد حسين النجفي، دور الشعائر الحسينية في الصراع السياسي: www.akhbaar.org/home/2016/10/218569.html

(٣٢) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٣٣) محمد حسين النجفي، دور الشعائر الحسينية في الصراع السياسي.

(٣٤) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٣٥) في رأي آخر يذكر ان هذه الطائرات صادف ان كانت في جولات تدريبية فاعتبرت مشاركة في الهجوم على العزاء أيضاً. ينظر: ظاهرة زيارة الأربعين تحتاج الى دراسات من قبل مثقفينا ومفكرينا (ثقافياً واجتماعياً وتنظيمياً).

(٣٦) ذكر لنا احد الضباط انه كان ضابطاً مجنداً في محافظة السليمانية وجاءتهم برقية في اثناء احداث صفر ١٩٧٧م، مفادها «تدخل كافة القطعات البرية والبحرية والجوية في حالة انذار». فاهم نعمة ادريس، مقابلة شخصية بتاريخ ٥/ ٥ / ٢٠١٨.

(٣٧) علي كاظم العوادي: تأملات في زيارة الاربعين.

(٣٨) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٣٩) علي محسن التميمي، زيارة الاربعين عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود).

(٤٠) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٤١) المصدر نفسه

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) صدام حسين، الدين والتراث، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨، ص ٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٤٦) علي محسن التميمي، زيارة الاربعين عام ١٩٧٧ و١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود).

(٤٧) حيدر الربيعاي: مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف.

(٤٨) علي محسن التميمي، زيارة الاربعين عام ١٩٧٧ و١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود).

(٤٩) نقلاً عن السيد صادق الشيرازي: alshiaa.yoo7.com

(٥٠) يروي أحد الاشخاص ان موكباً مؤلفاً من (٧٠) شخصاً توجه لزيارة الحسين عليه السلام في الاربعين مشياً على الاقدام من منطقة الحمزة الغربي التابع الى محافظة بابل، وعند سكة القطار قرب محطة الحلة التقوا بمفرزة حزبية وأول تهمة وجهتها لهم انهم ايرانيون وبعد نقاش معهم اقتنع قسم منهم بالعودة الا انهم كمنوا في احد البساتين وعادوا فيما بعد الى الزيارة. روى هذه الحادثة: راسم زاجي السعيداني، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٣ / ٧/ ٢٠١٨م.

(٥١) الشيخ علي خضر العقيلي، خطيب حسيني من سكنة محافظة واسط/ قضاء الكوت: شاهد عيان ومعاصر للحالة.

(٥٢) راسم راجي ذياب السعيداني، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٣ / ٧ / ٢٠١٨.

(٥٣) محسن عبد الصاحب المظفر، المسير مشياً الى الحسين عليه السلام الاطوار والانتشار: www.alnoor.se/article.asp?id=311637

(٥٤) عباس الكتبي، الصراع بين حزب البعث وزيارة الحسين: https://www.sotaliraq.com/latestarticles.php?id=22274

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) مقابلة شخصية مع عضو قيادة شعبة في حزب البعث، محافظة واسط / قضاء الكوت بتاريخ ١٨ /٧/ ٢٠١٨. وقد فضل عدم ذكر اسمه.

(٥٧) مشاهدات خاصة للباحث محمد فهد في سنة ١٩٩٨م.

(٥٨) مقابلة شخصية مع عضو قيادة شعبة من محافظة واسط طلب عدم ذكر اسمه بتاريخ ١٨ / ٧/ ٢٠١٨.

(٥٩) روى لي أحد رجال الدين قصة مفادها ان عضو قيادة شعبة في حزب البعث قال له «ما اصنع وقد كلفت بمطاردة الزوار الماشين الى الحسين عليه السلام وانا لا ارغب في ايذائهم؟ «. الشيخ قصي الغراوي، مقابلة خاصة بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١٨. وهو من سكنة محافظة واسط قضاء الكوت.

(٦٠) مقابلة شخصية مع عضو قيادة شعبة من محافظة واسط طلب عدم ذكر اسمه بتاريخ ١٨ / ٧/ ٢٠١٨.

(٦١) أسعد عبد الله عبد علي، الطاغية صدام ومحاربة الشعائر الحسينية: **www.akhbaar.org/home/2016/10/218750.html**

(٦٢) السيد نزار حمزة الموسوي من سكنة محافظة كربلاء قضاء الهندية وهو صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، شاهد عيان، مقابلة شخصية بتاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٨.

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) روى أحد الزوار ان جريمة اجتياز الحدود طبقت لمرة واحدة مع مجموعة ادعى الجهاز الحزبي انهم قادمون من ايران وبعد تحويلهم الى مديرية الامن والتحقيق تبين أنهم عراقيون. السيد هاشم حميد علي الياسري، أحد الاشخاص الذين كانوا يزورون مشياً على الاقدام، شاهد عيان، من سكنة محافظة واسط قضاء الكوت: مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥ / ٧ / ٢٠١٨.

(٦٦) قاسم كريم ذرب الحسناوي، صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، من سكنة محافظة كربلاء قضاء الهندية، مقابلة شخصية بتاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٨.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) السيد اسماعيل محي عزوز القصير، صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٢/ ٢٠١٨، وهو من سكنة محافظة الديوانية قضاء الشامية.

(٧٠) لقاء تلفزيوني: **https://www.youtube.com/watch?v=_Oz1WWWAJpo**

(٧١) لقاء تلفزيوني: **https://www.youtube.com/watch?v=0ZP5ZU-3GII**

(٧٢) مقابلة شخصية مع أحد الزوار المشاة، من سكنة محافظة واسط/ قضاء الكوت فضَّل عدم ذكر اسمه بتاريخ ٢٥ / ٧/ ٢٠١٨.

(٧٣) مقابلة شخصية مع احد الزوار المشاة بتاريخ ٢٥ / ٧/ ٢٠١٨.

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) المصدر نفسه. هذه الحادثة جرت في اواخر تسعينات القرن الماضي في منطقة المالح ضمن ناحية الشوملي.

(٧٦) نص المادة: «يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات او بالحبس كل من حبذ او روج أياً من المذاهب التي ترمي الى تغيير مبادئ الدستور الاساسية او النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية او لتسويد طبقة اجتماعية على غيرها من الطبقات او للقضاء على طبقة اجتماعية لقلب نظم الدولة الاساسية الاجتماعية او الاقتصادية او لهدم اي نظم من النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية متى كان استعمال القوة او الارهاب او اية وسيلة اخرى غير مشروعة ملحوظاً في ذلك».

(٧٧) السيد هاشم حميد علي الياسري، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥ / ٧ / ٢٠١٨

(٧٨) ينظر: الملاحق، ص٢٩.

المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

١. التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران، ١٩٨٢.

٢. الثورة العربية، عدد ٤، السنة ١٢، نيسان، ١٩٨٠.

٣. عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة وتجربة السلطة في العراق ١٩٥٨- ١٩٦٨، دار البراق، لندن، ١٩٩٦.

٤. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٣.

٥. محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، ١٩٩١.

٦. المنهاج الثقافي المركزي، الكتاب الثاني،، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠.

ثانياً - شبكة الانترنت:

٧. https://ar.wikipedia.org/wiki

٨. اسعد عبد الله عبد علي، الطاغية صدام ومحاربة الشعائر الحسينية: www.akhbaar.org/home/2016/10/218750.html

٩. حيدر الربيعاي، مركز البحوث والدراسات الانسانية في النجف الاشرف، المجمع العلمي للدراسات والثقافة الاسلامية النجف الاشرف: https://alkafeel.net/fourty/index.php?aview=11

١٠. طه الربيعي: تاريخ زيارة الأربعين: www.alsabaah.iq/ArticlePrint.aspx?ID=82290

١١. ظاهرة زيارة الأربعين تحتاج الى دراسات من قبل مثقفينا ومفكرينا (ثقافياً واجتماعياً وتنظيمياً): hajrnet.net

١٢. عباس الكتبي، الصراع بين حزب البعث وزيارة الحسين: https://www.sotaliraq.com/latestarticles. php?id=22274

١٣. علي كاظم العوادي: تأملات في زيارة الاربعين: https://kitabat.com/2017/11/12

١٤. علي محسن التميمي، زيارة الاربعين عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود): burathanews.com/arabic/articles/223422

١٥. محسن عبد الصاحب المظفر، المسير مشيا الى الحسين عليه السلام الاطوار والانتشار: www.alnoor.se/article.asp?id=311637

١٦. محمد حسين النجفي، دور الشعائر الحسينية في الصراع السياسي: www.akhbaar.org/home/2016/10/218569.html

ثالثاً- المقابلات الشخصية:

١٧. اسماعيل محي عزوز القصير، صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٢/ ٢٠١٨، وهو من سكنة محافظة الديوانية قضاء الشامية.

١٨. تقي فضيل العلاق، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠١٨. وهو معلم متقاعد له نشاطات في المواكب الحسينية من سكنة محافظة واسط / قضاء النعمانية.

١٩. رحيم عليوي عبد الله الطفيلي، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٨. وهو صاحب موكب حسيني يؤوي الزوار، من سكنة محافظة كربلاء /

قضاء الهندية. راسم راجي ذياب السعيداني، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠ / ٧/ ٢٠١٨. وهو صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، من سكنة محافظة بابل / قضاء الهاشمية.

٢٠. علي خضر العقيلي، خطيب حسيني من سكنة محافظة واسط/ قضاء الكوت: شاهد عيان ومعاصر للحالة.

٢١. قاسم كريم ذرب الحسناوي، صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، من سكنة محافظة كربلاء قضاء الهندية، مقابلة شخصية بتاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٨.

٢٢. مقابلة شخصية مع أحد الزوار المشاة، من سكنة محافظة واسط/ قضاء الكوت فضل عدم ذكر اسمه بتاريخ ٢٥ / ٧/ ٢٠١٨.

٢٣. مقابلة شخصية مع عضو قيادة شعبة في حزب البعث، محافظة واسط / قضاء الكوت بتاريخ ١٨ / ٧/ ٢٠١٨. وقد فضل عدم ذكر اسمه.

٢٤. نزار حمزة الموسوي من سكنة محافظة كربلاء قضاء الهندية وهو صاحب موكب حسيني كان يؤوي الزوار، شاهد عيان، مقابلة شخصية بتاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٨

الملاحق:

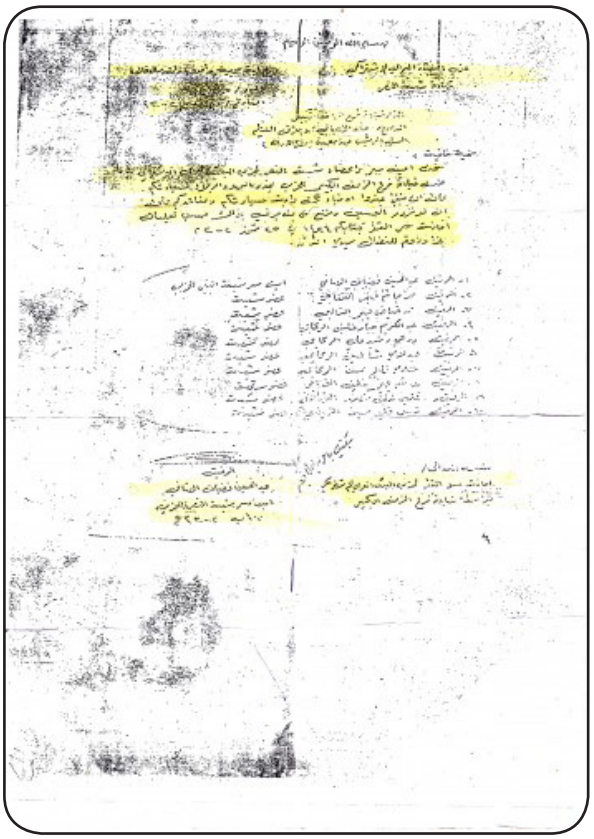

وثيقة تتضمن تعهد بعض الرفاق الحزبيين بعدم زيارة الامام الحسين(عليه السلام)

موقع كربلاء بالنسبة الى خريطة العراق

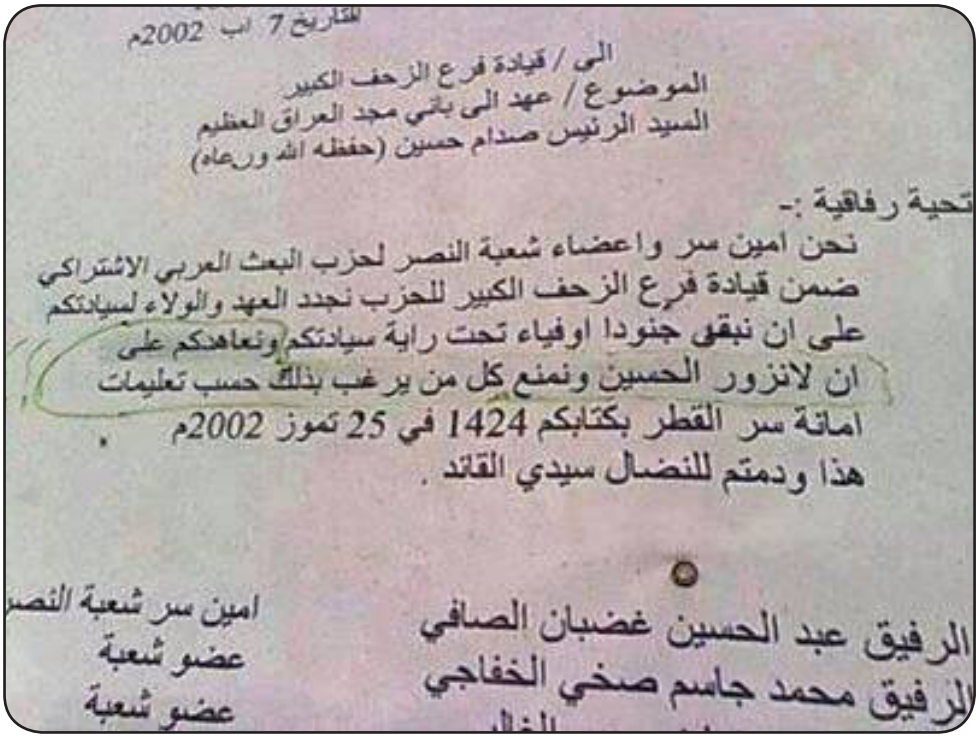

التاريخ 7 اب 2002م

الى / قيادة فرع الزحف الكبير
الموضوع / عهد الى باني مجد العراق العظيم
السيد الرئيس صدام حسين (حفظه الله ورعاه)

تحية رفاقية :-

نحن امين سر واعضاء شعبة النصر لحزب البعث العربي الاشتراكي ضمن قيادة فرع الزحف الكبير للحزب نجدد العهد والولاء لسيادتكم على ان نبقى جنودا اوفياء تحت راية سيادتكم ونعاهدكم على ان لانزور الحسين ونمنع كل من يرغب بذلك حسب تعليمات امانة سر القطر بكتابكم 1424 في 25 تموز 2002م
هذا ودمتم للنضال سيدي القائد .

الرفيق عبد الحسين غضبان الصافي امين سر شعبة النصر
الرفيق محمد جاسم صخي الخفاجي عضو شعبة
الخال عضو شعبة

وثيقة تتضمن تعهد بعض الرفاق الحزبيين بعدم زيارة الامام الحسين عليه السلام

يوم الأربعين

دراسة تحليلية للمرويات التاريخية

أ. م. د. وفاء عباس فياض

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

يعتمد البحث على رؤية تحليلية لتسليط الضوء على طائفة من المرويات التاريخية المتعلقة بيوم الأربعين وشخوصه، وما اقترن به من أحداث سابقة أو تالية لبداية الركب الحسيني الأسير بأيدي طغاة ذلك العصر وجبابرته، مما جرى ذكرها في المصادر القديمة، وموقف بعض المعاصرين منها. وحرصت أن يكون تحليلي مرتكزاً على إبراز خصوصية الألفاظ التي وردت في تلك المرويات ومن ثم المحاكمة الموضوعية للطبيعة الحكائية التي جرى تأطير الحوادث فيها، بما ينسجم مع رؤية عقلية ومنطقية متقبلة.

الأمر الذي خلصنا فيه الى الوقوف على مدى استهانة كُتّاب حوادث عاشوراء وما تلاه من أحداث ومن تابعهم، وعدم إعطائه حقه والنيل من شخوصه الكرام وإظهارهم بمزايا وصفات هم بعيدون عنها كل البعد.

والبحث مقسَّم على عدة محاور هي على النحو الآتي:

المحور الأول: قراءة في الحوادث التي سبقت يوم الأربعين.

المحور الثاني: قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين.

المحور الثالث: قراءة في روايات يوم الأربعين (بين المؤيدين والمنكرين) والردّ عليهم.

وقبل كل ذلك ستكون هنالك مقدمة وتعقب هذه المحاور خاتمة توضح نتائج البحث يتلوها ثبت للمظان.

Arbaeen Day - An Analytical Study of Historic Narrations

Prof. Wafaa Abbas Fayyadh

Faculty of Islamic Sciences / Karbala University

Abstract

The research relies on an analytical vision to shed light on a range of historical narratives related to the fortieth day and its figures, and the events that preceded or followed the beginning of the conquest of Husseini by the hands of the tyrants of that era and Jabbertha, which were mentioned in ancient sources and the position of some of them. And was keen to be analytical based on highlighting the specificity of the words that appeared in those Almrooyat and then the substantive trial of the nature of the court in which the incidents were framed, in line with the vision of mental and logical accepted.

Which led us to find out how insulting the book of Ashura events and the subsequent events and those who follow them, and not to give him the right and to deprive him of his valuable figures and to show them the advantages and qualities they are far from it all.

The research is divided into several axes, as follows:

The first axis: reading in the events that preceded the fortieth day.

The second axis: reading in the accounts of the paths of the prisoners before the fortieth day.

The third axis: reading in the novels of the forty (between supporters and deniers) and respond to them.

Above all, there will be an introduction and tracking of these axes.

المقدمة:

الحمد لله على نعمائه التي لا تحصى، وآلائه التي لا تعد، وصلواته وسلامه على رسوله الأعظم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار.

أما بعد فلم يحظَ حدث جرى في تاريخ الأمة الإسلامية من الاهتمام ولم يكتب فيه بقدر ما كتب عن حدث عاشوراء ويوم استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأهله بيته عليهم السلام وصحابته الأوفياء (رضوان الله تعالى عليهم) وما أعقبه من مآس وآلام وهتك لحرمة النبي محمد صلى الله عليه وآله جرت على أهل بيته الكرام عليهم السلام، تلك المآسي التي يندى لها جبين الإنسانية، ويقف الضمير مذهولا واللسان حائراً ماذا يسطر عنها؟ إنها مصيبة اهتز لها العرش وأبكت ملائكة السماء قبل أهل الأرض، وكما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبة له بعد رجوعهم إلى المدينة: ((فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون))[1].

لقد قدّم هذا القائد العظيم الإمام الحسين عليه السلام كلَّ ما عنده وأعزَّ ما يملك وضحى بروحه وماله وولده وأصحابه وأهله ونسائه من أجل قضيته وهدفه الأسمى الذي ما زال قضية وهدف كل إنسان حرّ يرفض الظلم والاستعباد والصنمية والذل والمهانة ويطلب الكرامة بكل صورها، إنه صراع الحق وإن عزّ مع الباطل وإن توسع وكثر.

ومن هنا جاءت فكرة دراسة يوم الأربعين للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وما سبقه من أحداث جرت على أهل بيته الكرام عليهم السلام في ضوء بعض النصوص التاريخية المروية من المصادر القديمة والمصادر الحديثة للعلماء المتقدمين والمعاصرين بوصفه حلقة الوصل ما بين العاشر من المحرم وما جرى من بعده من أحداث.

وحرصت أن يكون تحليلي مرتكزاً على إبراز خصوصية الألفاظ التي وردت في تلك المرويات ومن ثم المحاكمة الموضوعية للطبيعة الحكائية التي جرى تأطير الحوادث فيها، بما ينسجم مع رؤية عقلية ومنطقية متقبلة للوقوف على مدى استهانة كُتّاب حوادث عاشوراء وما تلاه من أحداث ومَنْ تابعهم، وعدم إعطائه حقه وذلك للنيل من شخوصه الكرام وإظهارهم بمزايا وصفات هم بعيدون عنها كل البعد، وسيكون البحث مقسماً على عدة محاور تكون على النحو الآتي:

المحور الأول: قراءة في بعض الحوادث التي سبقت يوم الأربعين.

المحور الثاني: قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين.

المحور الثالث: قراءة في روايات يوم الأربعين (بين المؤيدين والمنكرين)، والردّ عليهما.

وقبل ذلك ستكون هنالك مقدمة وتعقب هذه المحاور خاتمة توضح نتائج البحث يتلوها ثبت للمظان.

المحور الأول:

قراءة في بعض روايات الحوادث التي سبقت يوم الأربعين

مما لا شك فيه أنّ يوم كربلاء أو يوم الطف لا يقتصر فقط على اليوم العاشر من المحرم من (سنة ٦١هـ)، بل يمتد إلى ما قبل هذا التاريخ بسنوات يوم بدأ الإمام الحسين عليه السلام بتخطيطه الاستراتيجي وتكتيكه الواعي الكبير للوصول إلى ملحمته الاصلاحية والفكرية والثورية لتغيير مقاليد الحكم الأموي[٢] بعد إعلان اهدافه عنها بقوله: ((**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وأبي علي بن أبي طالب. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق. ومن ردَّ عليَّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين**))[٣].

فالحسين عليه السلام لم يكن وليد اللحظة الآنية والحاضرة التي عاشها، وإنما كان تفكيره كإمام معصوم وقائد محنك نتيجة تراكمات من الأحداث الخطيرة والصراعات المستمرة والمريرة التي شاهدها وعايشها ابتداءً منذ طفولته وحتى خروجه من هذه الدنيا. وما يقال عن الحسين عليه السلام يقال عن العقيلة زينب عليها السلام التي شاطرته الأحداث بكل تفاصيلها فكانت على درجة عالية من الوعي والإدراك والمسؤولية في تحمل زمام الأمور من بعده. وكيف لا تكون كذلك وهي التي عاصرت الأحداث التاريخية الخطيرة والمهمة في تاريخ الأمة الإسلامية على مدار أكثر من خمسين عاماً فضلاً عن أنها رأت ما جرى على الحسين وآله منذ مسيره وحتى استشهاده عليه السلام إذ رأت ما رآه الحسين عليه السلام وزيادة.

ويستمر تاريخ هذه الملحمة الكبرى إلى ما بعد هذا اليوم بإكمال المسيرة الاصلاحية وبيان الأهداف التي رسم معالمها سيد الشهداء عليه السلام التي قدّر لها أن تقع على عاتق من بقي من أهل بيته الكرام عليهم السلام. ولابد لهذا المسير من أن تقع فيه أحداث جمة ومواقف عديدة ولكنها لم تصل إلينا أو أنها غيّبت عن دائرة التاريخ لخطورتها من جهة ولأهميتها من جهة أخرى، لأننا نرى أن هذا الحدث التاريخي كان يجب أن لا ينقله إلا من رأى هذا الحدث بتفاصيله وهم الإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام أما الإمام الحسين عليه السلام فاستشهد (صلوات الله عليه وسلامه) والإمام السجاد عليه السلام قد انهكته العلة والمرض كما يقولون، والعقيلة زينب عليها السلام في الخيمة كما يدَّعون أيضاً. هذا فيما يتعلق بالحوادث التي جرت في المعركة، أما ما وصل إلينا من أخبار وحوادث ما بعد المعركة فالذي جاء كله أو أقلُّه نقلاً عن العدو أو لربما عن شخصيات صنعها التنظير العباسي وهي مشكوك في أمرها؟؟!!، وهو أمر سيظهر واضحاً في صفحات البحث، وما جاء عن من بقي من أهل البيت عليهم السلام النزر القليل الذي لا يشفي الغليل وحتى هذا القليل لربما دسوا فيه كثيراً من الأكاذيب ليوافق أهواءهم وليس عظمة هذه الحادثة التاريخية. وسنأتي إلى ثلاث روايات مختلفة عن أمهات الكتب التاريخية المعتبرة في سرد هذه الواقعة التاريخية والكتب هي:

١. مقتل أبي مخنف: للطبري (ت٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ).
٢. كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ).
٣. تاريخ الأمم والملوك: الطبري (ت ٣٣١هـ).
٤. الثقات: ابن حبّان (ت٣٥٤هـ).
٥. الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ).
٦. مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان: ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ).
٧. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ).
٨. الملهوف على قتلى الطفوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ).

فأول ما يطالعنا من تلك الحوادث التي تروى بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، هي تلك الرواية التي تتضمن إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى ابن زياد إذ رويت برواية أبي مخنف: ((قال ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرَّح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد، فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا. فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال: هذا محفز بن ثعلبة، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة، قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شراً وألأَم))[٤].

وفي موضع آخر من الكتاب يقول: ((**فجاء البريد ولم يسمع التكبير وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلى، قال فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن فقال انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال:فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز ألاأ وأحمق ولكنه قاطع ظالم**))[٥].

في حين جاءت رواية ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) باختلاف بعض الألفاظ إذ يقول: ((ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلى الشام))[٦]، ولكن بعض الباحثين المعاصرين ذكر أن ابن حبّان كتب حول هذا الأمر فقال: ((ثمّ سرّح عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن عليّ عليه السلام مع النساء والأطفال الأسرى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشام))[٧].

والرواية الأخرى جاءت عن ابن نما الحلي(ت ٦٤٥هـ) في قوله: ((**ثم سرح رأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين من أصحابه فنظفت وكانت اثنين وسبعين رأساً وسرَّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج**))[٨].

الذي نلمحه في هذه النصوص التاريخية وإن تباينت ألفاظها واختلفت أنها تتحدث عن مضمون واحد وهو تسيير قافلة من بقي من عائلة الحسين عليه السلام مع رأسه الشريف بعد شهادته، ولكن استعمال لفظة (سرح) غير مشددة كما أراها غير مهذبة وغير لائقة

لا من الناحية اللغوية ولا من الناحية الأدبية، فمن الجانب اللغوي تدل اللفظة في استعمال الماشية وما أشبهها يقول ابن منظور:((تَقُولُ: أَرَحْتُ الماشيةَ وأَنْفَشْتُها وأَسَمْتُها وأَهْمَلْتُها وسَرَحْتُها سَرْحاً، هَذِهِ وَحْدَهَا بِلَا أَلف. وَقَالَ أَبو الْهَيْثَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل٦)؛ قَالَ: يُقَالُ سَرَحْتُ الماشيةَ أَي أَخرجتها بالغَداةِ إِلَى الْمَرْعَى... يُقَالُ: سَرَحَتْ بِالْغَدَاةِ وراحتْ بالعَشِيِّ، والسارحُ: يَكُونُ اسْمًا لِلرَّاعِي الَّذِي يَسْرَحُ الإِبل، وَيَكُونُ اسْمًا لِلْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمُ السَّرْحُ كالحاضِرِ والسَّامِرِ وَهُمَا جميعٌ))[٩].

وكما هو معلوم فإن الآية المباركة جاءت في سياق الحديث عن الإبل والأنعام قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل٥-٦)، وقال الفراء(ت٢٠٧هـ) في دلالة تريحون وتسرحون: ((**حِينَ تُرِيحُونَ: أي حين تريحونَ إبلكم: تردّونَها بين الرعي ومباركها يُقالُ لها المُرَاح. والسروح بالغداة (قَالَ الفرّاء): إذا سعت للرعي**))[١٠].

ويقول ابن منظور أيضا: ((والتسريحُ: إرسالك رَسُولًا في حاجة سَراحاً. وسَرَّحْتُ فُلَانًا إِلى مَوْضِعِ كَذَا إِذا أَرْسلته. وتَسْرِيحُ المرأَة: تطليقُها... وَسَمَّى اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الطَّلَاقَ سَراحاً، فَقَالَ: وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلًا؛ كَمَا سَمَّاهُ طَلَاقًا مِنْ طَلَّقَ المرأَة، وَسَمَّاهُ الفِرَاقَ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَلفاظ تَجْمَعُ صَرِيحَ الطَّلَاقِ الَّذِي لَا يُدَيَّنُ فِيهَا الْمُطَلِّقُ بِهَا إِذا أَنكر أَن يَكُونَ عَنَى بِهَا طَلَاقًا،... وَخَيْلٌ سُرُحٌ وناقةٌ سُرُحٌ ومُنْسَرِحة فِي سَيْرِهَا أَي سَرِيعَةٌ؛ قَالَ الأَعشى:

بِجُلالةٍ سُرُحٍ، كأَنَّ بغَرْزِها... هِرّاً، إِذا انتَعَل المَطِيُّ ظِلالَها... ومِشْيَةٌ سُرُحُ مِثْلُ سُجُح أَي سَهْلَةٌ))[١١].

أما ما جاء في رواية ابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ) فقد استعمل لفظة (أرسل) بدلا من (سرّح) وذلك في قوله: ((وأرسل عمر بن سعد بالرأس إلى عبيد الله بن زياد فجاءه الرجل بالرأس واسمه بشر بن مالك...))[١٢] في حين نص ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) على أنه ((لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ أُرْسِلَ رَأْسُهُ ورؤوس أَصْحَابِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ مَعَ خَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ وَحُمَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ))[١٣].

مما تقدم يكون التسريح وهو مصدر لفعل سرّح يعني إرسال رسول في حاجة أو إرساله إلى موضع معين، وأن عدم التشديد (سرح) مصدره سراحاً وهو خاص بالأنعام والماشية، فعلى هذا يتبين لنا أن الفرق واضح بين استعمال لفظتي (سرح) أو (سَرَّح) ومصدرهما فالسرح للماشية والغنم والإبل وهو ما رسمه القرآن الكريم لنا وقعَّدته لغة العرب، أما الفعل (سرّح) فهي لإرسال الرسول في حاجة وهو حي وليس ميتاً وكذلك إرساله إلى موضع معين وليس إرسال عائلة أو أسارى، وعليه سيكون السراح للماشية والغنم والتسيير والإرسال للقافلة والبشر، ولذا نعد هذا المورد من الأخطاء اللغوية التي لا تغتفر لدى كتّاب التاريخ، فهل هذا من باب الجهل باللغة من أبي مخنف وغيره الذين نقلوا هذه الروايات من غير تمعن وتمييز في ألفاظها ودلالاتها؟!، أو هو من باب الإساءة المتعمدة لمقام أهل البيت عليهم السلام وهو ما أراده التنظير العباسي في رواية هذه الحادثة.

أما الرواية الثانية المخدشة للحياء والمسيئة لبنات الرسالة عموماً ما جاء في بعض المصادر التاريخية في موضوع رحيل عيال الحسين(عليه السلام) إلى الكوفة إذ يقول أبو مخنف: ((وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض. قال أبو مخنف: فحدَّثني أبو زهير العبسي عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررت بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن، قال: فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك، والله لَهُنَّ أحسن من مهى يبرين قال فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمَّل بالدماء، مقطع الاعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا قال: فأبكت والله كل عدو وصديق))[١٤].

فقوله (أحسنُ منهن) و(لَهُنَّ أحسن من مهى [مها] يبرين) يوحي بسفالة ووضاعة هذا الراوي وهو (قرة بن قيس التميمي) الذي ينظر إلى نسوة فقدن أحبتهن وأولادهن وإخوانهن وهو يستمتع بهذا المنظر ويتغزل بهن. وهل المورد وقت إعجاب وغزل؟؟! ألم يرَ هذا الراوي نسوة من قبل حتى يتعجب لحسنهن ويصفهن بأنهن أحسن من الغزال التي تبرز أو تظهر للعيان؟؟! فضلاً عن ذلك كيف يذكر ابن نما الحلي عن أبي مخنف هذه الرواية ولا يعلّق ولو بكلمة واحدة ولا يقف موقف الرافض لها؟؟! وهو متأخر عن أبي مخنف أم أنه يتعبد كلامه؟

وبحسب التسلسل في الأحداث نقف على الحادثة الثالثة التي نلمح فيها إهانة وإساءة واضحتين إلى شخص العقيلة زينب بنت علي(عليهما السلام) وهو ما كتبه أهل التاريخ ونحن نحتكم إليهم بلغتهم التي كانوا يتكلمون بها، من ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه عن أبي مخنف قوله: ((قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكرت وحفَّ بها اماؤها.فلما دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض امائها: هذه زينب ابنة فاطمة...))[١٥] والرواية عن حميد بن مسلم.

وما ذكره ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) أيضاً: ((فَلَمَّا أَدْخَلُوهُمْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ لَبِسَتْ زَيْنَبُ أَرْذَلَ ثِيَابِهَا وَتَنَكَّرَتْ وَحُفَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: مَنْ هَذِهِ الْجَالِسَةُ؟ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَهِيَ لَا تُكَلِّمُهُ، فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ فَاطِمَةَ))[١٦] والرواية أيضاً عن حميد بن مسلم.

وفي رواية ابن نما الحلي (ت٦٤٥هـ) يقول:((قال حميد بن مسلم لما أدخل رهط الحسين(عليه السلام) على عبيد الله بن زياد لعنهما الله أذن للناس إذناً عاماً وجيء بالرأس فوضع بين يديه وكانت زينب بنت علي(عليهما السلام) قد لبست أردأ ثيابها وهي متنكرة فسأل عبيد الله عنها ثلاث مرات وهي لا تتكلم قيل له إنها زينب بنت علي بن أبي طالب فأقبل عليها))[١٧].

فالمتأمل في هذه الروايات ستثار لديه عدة اشكالات منها إشكالات في الرواية نفسها وراويها وإشكالات لغوية وأخرى في العقيدة وأخرى في القيم وغيرها وسنوردها على النحو الآتي:

الإشكال الأول الذي يثار هو أن راوي الرواية الأولى لم يعلم عنه ولربما هو الراوي نفسه في الرواية الثانية، وفي الثانية هو حميد بن مسلم ومن الغريب أن يجعله الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) من رجاله وعدَّه من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام بقوله: ((حميد بن مسلم الكوفي من أصحاب أبي محمد علي بن الحسين وقيل كنيته أبو الحسن وقيل أبو بكر علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ومن روى عنه))[١٨] وفي موضع آخر ذكره في باب الهمزة بقوله: ((عبد الحميد بن مسلم الأزدي الكوفي))[١٩] في حين لم يتطرق إلى ذكره ولم يجعله من رجاله كلٌ من الكشي (ت حدود٣٥٠هـ) وكذلك النجاشي(ت٤٥٠هـ) وهما أقدم من الطوسي في الزمن التاريخي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى السؤال الذي يرد في هذا المورد كيف يكون من أصحاب الإمام زين العابدين ويبقى متفرجاً على أهل بيته لا يدافع عنهم لا بكلمة ولا بموقف؟؟ والإمام الحسين يقول:((فو الذي نفس الحسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا أكبّه الله لوجهه في جهنم))[٢٠].

وتأكيداً لما نقول نذكر ما رواه الطبري عن أبي مخنف: ((قال أبو مخنف: حدَّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرَّحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلتُ حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيته ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين فو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه[وآله] وسلم) على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي....))[٢١] وما هو مذكور في الرواية غنيٌ عن أن يقال أن هذا الرجل كان من الأعداء ومن المنفذين لأوامرهم فكيف يتفق والقول بأنه من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام؟؟!.

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه ينقل أبو مخنف رواية يقول فيها: ((حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الاصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض، واذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا.قال: فقلت: سبحان الله أنقتل الصبيان إنما هذا صبي؟ قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم، قال: فوالله ما ردَّ أحُد شيئاً قال: فقال علي بن الحسين: جزيت من رجل خيراً فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شراً))[٢٢] فنحن نجد في الكتاب الواحد بل في الصفحات القليلة المتتبعة للحدث من التناقضات التي لا تعد، والوضع في الروايات واضح وعدم الدقة والضبط للأحداث وشخوصها

غير دقيق أيضاً فمرة يكون حميد بن مسلم بحسب روايات أبي مخنف من المنفذين لأوامر قيادته ومرة يبقى متفرجاً على أهل بيت الحسين عليه السلام، ومرة يدافع عن الإمام السجاد عليه السلام ويجزيه الإمام خيراً؟؟! فَلِمَ كل هذه التناقضات في الأحداث والراوي واحد؟

وتصديقاً لما ذهبنا إليه فقد شكك بعضهم شكّاً قويّاً ((في الدور الايجابي الذي صوَّره حميد بن مسلم لنفسه في الذود عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وفي صرف شمر بن ذي الجوشن عن قتله. بل يمتدّ شكّنا إلى جميع الأدوار الايجابيّة الأخرى التي رسمها حُميد بن مسلم لنفسه. على ما ورد في روايات ابن جرير الطبري في تاريخه، وفي تواريخ الذين أخذوا عنه بلا تدبّر! ذلك لأنّ حميد بن مسلم الأزدي هذا كان منتمياً انتماءً صريحاً إلى معسكر عمر بن سعد يوم عاشوراء! ويتضح من مجموع رواياته أنّه كان وجيهاً من وجهاء هذا المعسكر معروفاً عند قادته وقريباً منهم! ويكفي في الدلالة على هذا أنّه وخولّي بن يزيد الأصبحي حملا رأس الإمام عليه السلام إلى ابن زياد بتكليف من عمر بن سعد! ثمّ إنّ جميع الأدوار الايجابيّة - إذا صحّ هذا الإطلاق - التي ظاهرها أنه تأثر لأهل البيت عليهم السلام أو دفع عنهم شرّاً، إنّما رويت من طريقه هو وهذا ما يدعو على الأقلّ إلى التحفظّ عن تصديقها، وإلى التأمّل فيها))[٢٣] وبذلك أرادوا أن يصرفوا النظر عن الموقف البطولي الذي قامت به العقيلة زينب عليها السلام عمته في حماية علي بن الحسين عليه السلام والدفاع عنه مرات عديدة وآثرت القتل لنفسها على نفسه أو القتل معه على الأقل.

أما ما روي عن خزيمة الأسدي في كتاب الفتوح لابن أعثم (ت٣١٤هـ) فلم يذكر هذه العبارة وإنما أكتفى بالقول: ((ثم أتى القوم حتى أدخلوا على عبيد الله بن زياد ونظرت إليه زينب بنت علي (رضي الله عنه) فجلست ناحية، فقال ابن زياد: من الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال الثانية: من الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال رجل من أصحابه: هذه زينب بنت علي (رضي الله عنه)...))[٢٤] فالناظر في النص يتبين له أن السيدة زينب عليها السلام كانت غير مقنّعة وغير متنكرة وقبل قليل من الصفحات ((قال الراوي فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسارى أنتن فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاءً وأزراً ومقانع وأعطتهن فتغطين))[٢٥].

الإشكال الثاني: لماذا التركيز والاصرار من الراوي على هذه العبارة تحديداً؟ وإهماله ذكر العلة وبيان السبب في ذلك؟! وهو أقرب إلى الحدث منا كما يزعم !!

الإشكال الثالث: ما ورد في المعجمات اللغوية من توضيح دلالة (أرذل) أو (أرداً) إذ يقول ابن منظور: ((رذل: الرَّذْل والرَّذِيل والأَرذَل: الدُّون مِنَ النَّاسِ، وَقِيلَ: الدُّون فِي مَنْظَره وَحَالَاتِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الدُّون الخَسيس، وَقِيلَ: هُوَ الرَّديء مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ رَذْل الثِّيَابِ وَالْفِعْلِ، وَالْجَمْعُ أَرْذَال ورُذَلاء ورُذُول ورُذَال؛ الأَخيرة مِنَ الْجَمْعِ الْعَزِيزِ، والأَرْذَلون، وَلَا تُفَارِقُ هَذِهِ الأَلف وَاللَّامُ لأَنها عَقِيبة مِن. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء ١١١)؛ قَالَهُ قَوْمُ نُوحٍ لَهُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: نَسَبُوهُمْ إِلى الحِياكة والحِجامة، قَالَ: والصِّناعات لَا تَضُرُّ فِي بَابِ الدِّيَانَاتِ، والأُنثى رَذْلة، وَقَدْ رَذُلَ فُلَانٌ، بِالضَّمِّ،

يَرْذُلُ رَذَالَة ورُذُولَة، فَهُوَ رَذْلٌ ورُذَال، بِالضَّمِّ، وأَرْذَلَه غَيْرُهُ، ورَذَلَة يَرْذُلُه رَذْلًا: جَعَلَهُ كَذَلِكَ، وَهُمُ الرَّذْلون والأَرْذَال وَهُوَ مَرْذُول. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ رُذِلَ، قَالَ: كأَنه وُضِعَ ذَلِكَ فِيهِ يَعْنِي أَنه لَمْ يَعْرض لرُذِل، وَلَوْ عَرض لَهُ لَقَالَ رذَّلَة وشَدَّد. وَثَوْبٌ رَذْل ورَذيل: وَسِخٌ رديءٌ. والرُّذَال والرُّذَالَة: مَا انْتُقي جَيِّده وَبَقِيَ رَدِيئُهُ..... والأَرْذَل مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الرَّديء مِنْهُ))[٢٦].

عبر هذه النصوص اللغوية يتضح خسة ودناءة هؤلاء المزيفين للحقائق والرواة الذين لا يخافون الله في أهل بيت النبيﷺ ويحوكون من الكلام ما يوافق أهواء سلاطينهم وتصوير أهل هذا البيت أنهم على مقربة من الذلة والمهانة بعكس ما ينقل عنهم.

الإشكال الرابع: قبل صفحات قليلة من ذكر هذه الحادثة هم يروون حادثة أن الإمام الحسينؑ: ((ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراويل محققة يلمع فيها البصر يماني محقق ففزره ونكثه لكيلا يسلبه فقال له بعض أصحابه لو لبست تحته تبانا قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه..))[٢٧]. وفي مورد آخر: ((دَعَا بِسَرَاوِيلَ فَفَزَّرَهُ وَنَكَثَهُ لِئَلَّا يُسْلَبَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَبِسْتَ تَحْتَهُ التُّبَّانَ. قَالَ: ذَلِكَ ثَوْبُ مَذَلَّةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَلْبَسَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ سَلَبَهُ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ، وَكَانَتْ يَدَاهُ فِي الشِّتَاءِ تَنْضَحَانِ بِالْمَاءِ، وَفِي الصَّيْفِ تَيْبَسَانِ كَأَنَّهُمَا عُودٌ))[٢٨] فالإمامؑ في لحظاته الأخيرة يعطي درساً عمليا في العزة والكرامة وترك الذلة والابتعاد عنها ولم تكن زينبؑ غائبة عن حضور هذا المشهد المشرف والدرس العظيم.

الإشكال الخامس: إن هذه الرواية تنافي ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون٨). فالسيدة زينبؑ على بينة لمن العزة وظهورها بهذا المظهر ينافي ما جاء في القرآن الكريم، وحاشا لمثلها أن تكون بعيدة عن تطبيقات الشريعة الإسلامية؟!

الإشكال السادس: قول الإمام الحسينؑ: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السّلّة والذلة وهيهات منا الدنيئة يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وانوف حمية ونفوس أبية وأن نؤثر طاعة اللئام على مصراع الكرام))[٢٩] ففي يوم عاشور يتعارض ما ورد في الرواية مع ما موجود في قول الإمامؑ من سمو النفس في كل شيء والارتقاء بها عن كل ما يسيء إليها بقول أو فعل ومنها لبس الثياب والإظهار بمظهر غير لائق أمام الأعداء وإن كانت أسيرة لديه فعليه فإني استبعد هذه الرواية استبعاداً شديداً في أنهاؑ فعلت هذا الشيء فضلاً عن أنها صدرت عن أعدائهم، والعدو معروف دائماً يحاول تشويه الخصم وسمعته بشتى الطرق.

الإشكال السابع: فضلاً عن كل ما تقدم أن زينب بنت عليؑ ربيبة النبوة والإمامة وهي أول امرأة عاشت وتربت في أحضان النبوة والإمامة هذا أولاً، وثانياً عمرها الشريف لم يكن وقتها صغيراً بل تجاوز السادسة والخمسين أو أكثر والحياة قد أخذت منها مأخذاً فلا يصدر عنها ما يخدش حياءَها وكبرياءَها وكرامتها ووصايا الإمام الحسينؑ ترن

في مسامعها عليها السلام: أختاه لا تشمتي بنا الأعداء فهل من المعقول أنها تظهر وتختار لنفسها أن ترتدي ملابس رديئة أو رذيلة كما يزعمون. وثالثاً فإن هذه المرأة تمتعت بشخصية قوية جعلتها تواجه أعتى عتاة زمانها، وكانت قد هيأتها التربية العالية والظروف المريرة لمواجهة قسوة الحياة واختارها الحسين عليه السلام وبعبارة أدق هي من اختارت أن تكون شريكته في ملحمته في وقت تقاعس عن ذلك رجال كثيرون ومنها زوجها عبد الله بن جعفر وأخوها محمد بن الحنفية وأولاده العشرة وعبد الله بن العباس وغيرهم، وتعلم أن هذا الحدث التاريخي يعد انقلابة حقيقية لواقع الحياة أنذاك، فمن غير اللائق ومن غير المنطقي أن تختار لنفسها أن تلبس ثوب ذلة أو ثوب رديء أمام العدو.

فأرى أن هذا كله من الدّس العباسي في الروايات وخلط الأوراق فيها وتشويه صورة أهل هذا البيت بشتى الطرق، ولا سيما أنهم استغلوا كل مناسبة للنيل من الحسين عليه السلام عن طريق أهل بيته والطعن بهم، وفي هذا السياق لابد لي من القول إن استعمال لفظة (سبايا) أيضاً من الأخطاء اللغوية التي تعتبر مسيئة اساءة واضحة ومما تخدش الحياء وعلى الإنسان الشيعي أن يترفع عن ذكرها تأدباً مع أهل بيت النبوة فهي لفظة غير مهذبة وغير لائقة بحق نساء أهل البيت عليهم السلام إذا ما وقفنا عند دلالتها اللغوية، لأن لفظة (سبى) في اللغة تعني: ((سبي: السَّبْيُ والسِّباءُ: الأَسْر مَعْرُوفٌ. سَبَى العدوَّ وغيرَه سَبْياً وسِباءً إِذَا أَسَرَه، فَهُوَ سَبِيٌّ، وَكَذَلِكَ الأُنثى بِغَيْرِ هاءٍ مِنْ نِسْوة سَبايا. الجَوْهَرِيُّ: السَّبِيَّة المرأَةُ تُسْبى. ابْنُ الأَعرابي: سَبَى غَيْرُ مَهْمُوزٍ إِذَا مَلَك، وسَبَى إِذَا تَمَتَّع بِجَارِيَتِهِ شَبابَها كلَّه، وسَبَى إِذَا استَخْفَى، واسْتَبَاهُ كَسَباه. والسَّبْيُ المَسْبِيُّ والجمع سُبِيٌّ... والسِّباءُ والسَّبْيُ الاسم وتَسابَى القومُ إذا سَبَى بعضهم بعضاً يقال هؤُلاء سَبْيٌ كثير وقد سَبَيْتهم سَبْياً وسِباءً وقد تكرر في الحديث ذكر السَّبْيِ والسَّبِيَّة والسَّبايا فالسَّبْيُ النَّهْبُ وأَخْـذُ الناسِ عَبيداً وإِماءً والسَّبِيَّة المرأَة المَنْهوبة فعيلة بمعنى مفعولة وسَبَى الخَمْرَ يَسْبِيها سَبْياً وسِباءً واسْتَباها حَمَلَها من بلد إلى بلد وجاءَ بها من أَرض إلى أَرض فهي سَبِيَّة... والسَّبْيُ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ خاصَّة، إِمَّا لأَنَّهنَّ يَسْبِينَ الأَفْئدَةَ، وإِمَّا لأَنَّهنَّ يُسْبَيْنَ فيُمْلَكْنَ))[٣٠].

والسبي ناتج عن وجود النساء والصبيان في ميدان القتال ووقوع الأسر على الجميع ومن هنا أيضًا تساق النساء أسيرات إلى جنود المسلمين، وبعضهن يفقدن أزواجهن في المعارك، فيكون من الأكرم لهن أن يجدن من الجنود المسلمين من يكفلهن، ويحميهن من الانحراف والتسول، ومن هنا أبيح التسري بهؤلاء النساء، فهن بشر لهن شهوة، والتسري بهن لا عيب فيه، بل إشباع لرغباتهن الحسية. وفي ضوء ذلك، نستطيع أن نعي تسري الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ببعض الجواري، فهذا أمر كان شائعاً في معارك هذا الوقت ليس في بلاد العرب فقط، بل لدى جميع الشعوب[٣١]. وفي كل حال لا يصح اطلاق ذلك على نساء آل البيت عليهم السلام.

وفي هذا السياق أود الإشارة إلى أن الروايات التي ذكرت أن أهل البيت عليهم السلام قد ساقوهم كما يساق سبي الروم والترك فهو أمر بعيد عنهم لأن هذه اللفظة

وردت في المعجمات اللغوية ((المِلاءُ: المَلاحِفُ. والبَرْدَجُ: مَا سُبِيَ مِنْ ذَرَارِي الرُّوم وَغَيْرِهَا؛ شبَّه هَذِهِ الْبَقَرَ البيضَ الْمُسَرْوَلَةَ بِالسَّوَادِ بسَبْيِ الرُّوم، لبياضِهم وَلِبَاسِهِمُ الأَخفافَ السُّودَ))[٣٢] فسبي الروم إذا ناظر فيه إلى المظهر الخارجي لهن وليس ناظراً إلى ما جرى عليهن من رزايا ومصائب، وهذه طامة كبرى!، ونحن غافلون عنها. إذن ما الداعي لذكر هذه العبارات وتكرارها في المجالس والمحافل؟؟ وهي من الإساءات الواضحة لمقام أهل البيت؟؟ بل إن كل ما ذكر في كتب القدماء والمحدثين وهي أكثر من أن تحصى من أنهن حاسرات الرؤوس مكشفات الوجوه وغيرها من هذه الألفاظ بعيدة كل البعد عنهن، لأن الإمام وكما يذكر السيد المقرّم كان على يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول أنّ القوم؛ وإن بلغوا الخسّة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة لا يمدّون إلى النساء يد السوء، وقد أنبأ(سلام الله عليه) عن هذا بقوله لهنّ ساعة الوداع إذ قال لهن: ((البسوا أزركم، واستعدوا للبلاء، واعلموا أنّ اللهّ حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم))[٣٣] وبطبيعة الحال فإن القول الأول يخالف كلام المعصوم وينافي تطبيق الشريعة الإلهية والمحمدية.

أما لفظة (أسر) فتعني: ((الإِسارُ: الْقَيْدُ وَيَكُونُ حَبْلَ الكِتافِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الأَسير، وَكَانُوا يَشُدُّونَهُ بالقِدِّ فسُمي كُلُّ أَخِيذٍ أَسِيراً وَإِنْ لم يشدّ به. يقال: أَسَرْت الرجلَ أَسْراً وَإِسَارًا، فَهُوَ أَسير ومأْسور، وَالْجَمْعُ أَسْرى وأُسارى...وكلُّ مَحْبُوسٍ فِي قِدٍّ أَو سِجْنٍ: أَسيرٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الدهر)؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: الأَسير الْمَسْجُونُ، وَالْجَمْعُ أُسَراءِ وأُسارى وأَسارى وأَسرى))[٣٤].

وعبر النصوص اللغوية المتقدمة يتضح لنا الفرق بين لفظتي (السبية) و(الأسيرة) فدلالة لفظة (السبيّة) عند ابن الأعرابي أكثر توفيقاً من غيره في إعطائه المعنى اللغوي الأقرب إلى الواقع الذي يطلق على المرأة المملوكة أو التي تملك أو المتمتع بها أو المستخفى بها أيضاً، وكذلك تطلق كلمة (السبي)على النهب وأخذ النساء عبيداً وإماءً، وهذه الدلالات كلها لا يصح أن تطلق على أهل بيت الإمام الحسين لأنهن لسن كذلك!! ولعل ما ورد عن محاججة السيدة زينب في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية دليل على صحة ما نقول إذ روي أن ((فاطمة بنت علي قالت لما اجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقَّ لنا، وأمر لنا بشيء وألطفنا قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال:يا أمير المؤمنين: هب لي هذه يعنيني، وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي زينب، قالت وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت:كذبتَ والله ولؤمت ما ذلك لك وله. فغضب يزيد فقال: كذبتِ والله إن ذلك لي ولو شئتُ أن افعله لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، قالت فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين

بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله قالت: انت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، قالت فو الله لكأنه استحيا فسكت.ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً))[٣٥].

فالواضح من الرواية أنهم ليسوا برعية ليزيد ولم يكونوا عبيداً ولا إماءً له ولا لغيره فضلاً عن أن المرأة العربية والحرة لا تسبى بل تؤسر كما حصل لسفّانة الطائية بنت حاتم الطائي حينما أسرت في إحدى معارك المسلمين، ولم يتطرق أحد إلى سبيها[٣٦] فكيف ببنات الوحي والرسالة وعقائل النبوة؟؟! أما الأسر فحصل فيه قيد وحبال مدت من عنق علي بن الحسين عليه السلام إلى عضد عمته زينب عليها السلام لأنهما رؤوس المعارضة في ذلك الركب والمتصديين لمقارعة الظالمين. وعبر ما تقدم من فرق بين لفظتي (الأسر) و(السبي) في الدلالة نحن نرتأي أن يكون استعمال لفظة الأسارى والأسرى والأسيرات بديلاً عن استعمال لفظة (السبايا) لما فيها خدش للحياء والعفة التي عليها نساء أهل البيت عليهم السلام ولذا أرفض ذلك رفضاً قاطعاً لأن هؤلاء النسوة قدّمن درساً عملياً وتطبيقياً للوقوف بوجه الظلم والظالمين في الشريعة المحمدية الأصيلة، وعليه فهنَّ من باب الأَولى أن يكن هن المطبقات لتعاليم تلك الشريعة بكل تفاصيلها ولاسيما مسألة الحجاب والستر هذا من جانب، ومن جانب آخر فهو من باب التأدب والترفع عن كل ما يسيء لهن بقول أو فعل، وأن نبعد هذه اللفظة عن قواميس استعمالاتنا اللفظية.

ومن نافلة القول إن هنالك كثيراً من الحقائق التاريخية الواقعية والتأكيدات التي تشير إلى استعمال لفظة (الأسارى) من ذلك ما جاء في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف ((قال الراوي وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك أما عمرو فحيث وصله الخبر صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك فعظمت واعية بني هاشم وأقاموا سنن المصائب والمآتم وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وأهل بيتي بعد مفتقدي
منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي))[٣٧]

وبهذا القدر نكتفي بذكر الأخطاء اللغوية التي عليها كثير من الروايات التاريخية فيما يخص حادثة مثل حادثة كربلاء.

المحور الثاني:

قراءة في روايات طرق مسير الأسارى قبل يوم الأربعين

في المصادر التاريخية المذكورة آنفاً لم يتطرق أي أحد من المؤرخين إلى طبيعة المسير الذي كان عليه أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى الشام، ولم يتطرقوا

إلى ذكر المدة الزمنية التي استغرق المسير فيها، ولم يذكروا الأمكنة التي مروا بها وماهي الحوادث التي جرت لهم في تلك المواضع إلا النزر القليل الذي يجعلنا أمام حدث مجهول المعالم. ولذا فإن ((إحدى المسائل المبهمة والغامضة في تاريخ عاشوراء هي تشخيص مسير حركة قافلة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى دمشق، ولم يرو أيّ مصدر من المصادر التاريخيّة المتقدّمة الذكر، خبراً معتبراً يحدّد المسير الذي سلكته قافلة الأسرى من الكوفة إلى الشام. ولكن بالرجوع إلى المصادر التاريخيّة القديمة، والخرائط الجغرافيّة لهذه المنطقة يمكن القول إنّه كان يوجد في ذلك الزمان ثلاثة طرق للوصول إلى الشام))[٣٨].

الطريق الأوّل: وهو المسير أو **الطريق السلطانيّ** وهو الطريق الذي سلكه أهل بيت الجلالة عند انطلاقهم من الكوفة إلى الشام طريق تكريت- الموصل- نصيبين- حلب- الشام وهو طريق عامر يمرّ بجانب بعض المدن والقرى العامرة، ويوجد من الكوفة إلى الشام على ذلك الطريق ما يقرب حدود أربعين منزلاً وهذا الطريق عامر في معظم مسافته، وهذا ما ذكره العلامة المحدّث النوريّ[٣٩]، وصرّح به العالم الجليل عماد الدين الطبري[٤٠] من أنهم عبروا في سيرهم آمد[٤١] والموصل ونصيبين[٤٢] وبعلبك[٤٣] وميا فارقين[٤٤] وشيزر[٤٥].

ولا بد لهذا المسير من أن تقع فيه أحداث متعدّدة مع بعض الكرامات من ذلك قصة الراهب في قنّسرين، وأيضاً الكرامات الباهرة التي ظهرت من الرأس المبارك للإمام عليه السلام عبر هذا المسير، وقد نقل ذلك القطب الراوندي (ت٥٧٢هـ)[٤٦]، وابن شهر آشوب(ت ٥٨٨ هـ)[٤٧] إذ يقول: ((ومن مناقبه عليه السلام ما ظهرَ من المشاهد التي يُقال لها مشهد الرّأس من كربلاء إلى عسقلان، وما بينهما في الموصلان ونَصيبين وحماه وحمص ودمشق وغير ذلك)) وكذلك سبط بن الجوزيّ (ت٦٥٤هـ)[٤٨].

ولا يمكن طبعاً ردّ كلّ هذه الروايات وتكذيبها، خصوصاً أنّه لا يوجد في البعض منها أيّ دافع للجعل والوضع[٤٩].

وبعد مطالعة هذه المسألة والبحث فيها كتب أحد المحقّقين المعاصرين عن هذا الطريق السلطانيّ أن الطريق يمر بـ (تكريت. الموصل. لبا. كحيل. تل أعفر. نصيبين. حرّان. معرّة النعمان. شيزر. كفر طاب. حماه. حمص. دمشق.)[٥٠] أو كما وضحّها أحد الباحثين بصورة أكثر تفصيلاًمن السابق، بأن المدن الواقعة على هذا المسير هي: حصّاصة. تكريت. أعمى. دير عروة. صليتا. وادي الفحلة. وادي النخلة. أرمينياء.. لبا. كحيل. جهينة. الموصل. تل أعفر. سنجار. نصيبين. عين الوردة. الرقّة. جوسق. بشر. بسر. حلب. سرمين. قنّسرين. معرّة النعمان. شيزر. كفر طاب. سيبور. عقر. حماه. حمص. بعلبك. دمشق[٥١]. وهذا ما يظهر لنا في الخريطة رقم (١).

خريطة رقم (١) حركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب الطريق السلطاني

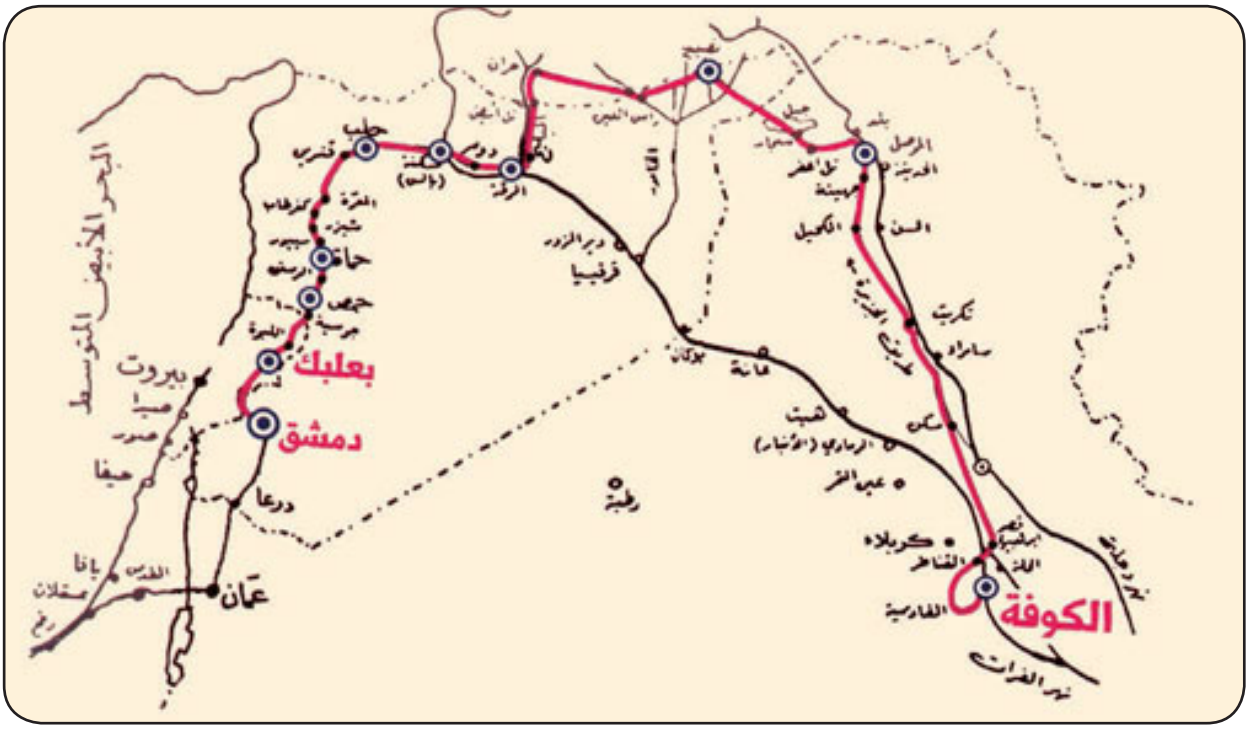

وبناءً على هذا المسير، فإنّ قافلة الأسرى سلكوا للوصول إلى دمشق، طريق تكريت إلى شمال العراق ثمّ دخلوا إلى ولاية الجزيرة (في شمال العراق الحالي والشمال الشرقي لسوريا) وبعده ذهبوا عن طريق الموصل وعند الخطّ الحدودي الحالي بين تركيا وسوريا ووصلوا إلى حرّان. وفي النهاية وصلوا إلى دمشق بعد قطع مسافة (١٥٠٠ كيلومتر) والعبور من المناطق السورية الغربية واجتياز مدن مثل: حلب معرّة النعمان حماه حمص[٥٢].

واستدلّ المحدّث النوريّ أنّ المسير كان على الطريق السلطانيّ بالبراهين والشواهد الآتية[٥٣]:

١. إنّ كتاب (مقتل أبو مخنف) الأصل، وإن كان مفقوداً وما هو موجود بين أيدينا قد سقط عن الاعتبار والاعتماد بسبب التغييرات الكثيرة التي طالته، ولكن ما هو متّفق عليه في كلّ النسخات أنّ أهل البيت عليهم السلام قد حُملوا إلى الشام عن طريق: تكريت والموصل ونصيبين وحلب، وهو الطريق السلطانيّ.

٢. ما ذكره عماد الدّين الطبريّ في كتابه (كامل البهائيّ) حيث كان يبيّن حركة الأسرى ويعدّد بعض المدن التي تؤيّد المسير السلطانيّ، إذ إنهم مرّوا في ذلك المسير على: (الآمد والموصل ونصيبين وبعلبك وميّا فارقين وشيزر) كما ذكرنا سابقاً، وروى بعض الحوادث التي وقعت في بعض المراحل والمنازل[٥٤].

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على قوة وإمكانية الخصم يزيد بن معاوية بمساندة قوات أخرى له من قوى الدول العظمى (بيزنطة والروم) من جانب وخسته وحقارته من جانب آخر، وقد أشرنا في بداية البحث إلى ذلك.

والراجح عندي أن هذا الطريق هو الذي ساروا به بأهل البيت عليهم السلام لوجود كثير من الأدلة والقرائن والشواهد التاريخية منها التي مرّ ذكر بعضها، وسنأتي على البعض الآخر منها أن دخولهم إلى دمشق كان يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأوّل على رأي عماد الدين الطبري[٥٥] وهو رأي يتوافق مع بعد المسافة وطول الطريق من جهة ومن جهة أخرى لورود عبارة له: ((وما كان بمقدور أحد من الناس أن يسلّم على أهل البيت هذه المدّة التي هي عبارة عن ستّ وستّين يوماً وهم بأيدي الكافرين، إلى أن انبرى للإمام زين العابدين شيخ وقال له: الحمد لله الذي قتلكم، فقال له الإمام زين العابدين: هل قرأتَ القرآن...))[٥٦] إلى آخر الكلام.

وهذا الطريق ينسجم مع كلام العقيلة زينب عليها السلام عند خطابها ليزيد: ((**أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ يحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناقل والمناهل**))[٧٥].

فضلا عن كل ما تقدم فقد قدَّم أحد المحققين[٥٨] تعريفا بالمشاهد التي شُيّدت في مواقعَ نزل فيها موكب أسارى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، في طريقه من كربلاء إلى الكوفة (موقع واحد)، ومن ثمّ في الطريق من الكوفة إلى دمشق الشام ضمناً (ثمانية مواقع)،

خريطة رقم (٢) حركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب طريق البادية

مع الإشارة إلى المشهد المشيّد في مدينة عسقلان في فلسطين. تلي ذلك، وقفة موجزة مع كيفيّة دخول الموكب النبويّ إلى الشام. وقد اعتُمد في إعداد هذا التحقيق -حصراً- على كتاب ((**نفَس المهموم في مصيبة سيّدنا الحسين المظلوم**)) للمحدّث الشيخ عبّاس القمّي (قدّس سرّه) وعلى كتاب ((**موكب الأحزان: خريطة الطريق**)) للشيخ الدكتور جعفر المهاجر، الصادر سنة ٢٠١١م، والذي يتناول المشاهد المشيّدة ما بين كربلاء والشام منها مشهد مسجد الحنانة ومشهد المُوصل ومشاهد نَصيبين ومشاهد بالسقط المسكنة ومشاهد جبل جوشن ومشهد حماه ومشهد حمص ومشهد بعلبك ومَشهد دمشق مشهد عسقلان.

وقد كتب الدكتور حيدر خير الدين تحقيقاً آخر في هذا الموضوع وذكر الأسباب التي ترّجح مسيرهم على هذا الطريق وعلّله بقوله: ((لأن الطريق الأقرب إليها هي عبر الموصل نصيبين، لذلك صدر الأمر بالترحيل عبر طريق الفرات الغربي الوافر بالكلأ والعامر بالخانات، وكان هذا الطريق بالأصل يطلق عليه طريق (البريد) لأمنه وعمارته بالقرى والدساكر التي تؤمن الزاد والعلف وهذا ما كانت تتطلّبه الأسفار حينذاك، لاسيّما وأن عديد الجند الأموي كان ألف فارس وفي رواية أخرى ألفاً وخمسمائة، وكان في موكب السبايا (الأسارى) ثمانية وسبعين رأساً يتقدّمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام مرفوعة على القنا، وثلاثون امرأة وفتاة من أخواته عليهن السلام وزوجات أبيه، ومواليه وجواريه وصبيانهم جميعاً، فكانت القادسية أوّل المنازل التي مرّوا بها بعد خروجهم من الكوفة ثم وصلوا بمحاذاة تكريت عند قصر هبيرة خوفاً من انتفاضة القبائل، وبعدها جدّو في المسير حتى دخلوا إلى دير عروة ثم صليتا، وادي نخلة، ثم لينا والكحيل ومنها إلى الموصل التي اجتمع فيها أكثر من أربعين ألفاً من الأوس والخزرج لمقاتلة القوم فعكفوا عنها...))[٥٩] إلى آخر كلامه عن مسيرهم عليهم السلام.

وفي هذا الصدد صدر في الآونة الأخيرة كتاب ((**رجوع الركب بعد الكرب**))[٦٠]، يبحث موضوع

خريطة رقم (٣) تقريبية لحركة مسير الأسارى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب طريق صفين

الكتاب في مسير أسارى الركب الحسينيّ من الكوفة إلى الشام ثـمّ عودتهم يـوم الأربـعين إلى كربلاء، ويتعرّض فيه المؤلّف إلى الإشكالات الّتي طرحها الشيخ حسين النوري (رحمه الله) في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) ومَن تبعه من تلامذته. وهو تحقيقٌ فريدٌ في بابه، إذ انبرى قلم المؤلّف إلى توثيق التواريخ وجمع الأدلّـة والشواهد الدالّة على إمكانيّة قطع الركب للمسافة ما بين كربلاء والشام ذهاباً وإياباً في ضمن مدة الأربعين يوماً. ولكني لم استطع الحصول عليه وقرأته.

الطريق الثاني: هو المسير المستقيم من الكوفة إلى الشام، والـذي يمرّ عبر بادية الشام، وقد احتمل المحدّث النوريّ المحدّث النوريّ في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) هذا المسير كما ذكرنا سابقاً، وهو مسير يبدأ من الكوفة ويمرّ عبر سنجار- نصيبين - حلب - دمشق وهو أقصر طريق بالنسبة إلى الطريق الأول، كما في خريطة رقم (٢).

وذكر أحد المحققين أن الطريق من الكوفة إلى الشام بشكل مستقيم غير ممكنة، وكذلك فإن العودة إلى المدينة عبر تبوك ومعان والثنية والصنمين في الأردن في ذلك اليوم عسيرة جداً وذلك لبعد المسافة أولاً، وللخوف من ردّة فعل أهل المدينة ثانياً[٦١].

وذكر المحدّث النوريّ[٦٢] أنه لو قبلنا أن مسير حركة أهل البيت عليهم السلام عن طريق البادية أو الصحراء، فـإنّ رجوعهم في الأربعين الأوّل سيكون ممتنعاً أيضاً، لأنّ المسافة الفاصلة بين الكوفة والشام في خطٍّ مباشر(١٧٥) فرسخاً (ما يعادل١٠٥٠ كيلومتراً) ودخول أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة كان في اليوم الثاني عشر من المحرّم، وكانوا في قصر ابن زياد في الثالث عشر منه، وحسب قول ابن طاووس في الإقبال فإنّ ذهاب المسافر من الكوفة إلى الشام وإيابه لا يمكن أن يكون في أقلّ من عشرين يوماً.

وهذا يعني أنه لو كان مسير قافلة الأسرى من الصحراء القاحلة والحارقة -وهي بادية الشام- فإنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت ستشكو من جوع وعطش وتعب الأطـفـال والنساء في القافلة، ولا يكون اعتراضها على المرور في المدن بحالة الأسر، والوقوع تحت أنظار وأعـين الغرباء والأجـانـب. هـذا من جانب، ومن جانب آخر ما ورد في رواية ابن الأعثم والخوارزميّ حول مسير القافلة من الكوفة إلى الشام إذ صرّحوا بأنّ أسرى أهل البيت عليهم السلام قد ساقوا بهم من بلد إلى بلد كما يُساق أسرى الترك والديلم[٦٣].

الطريق الثالث: وهو الطريق المعروف والمحدّد بين الكوفة والشام، وهو طريق يمرّ من الساحل الغربيّ لشطّ الفرات عبر مدن مثل: الأنبار، هيت، قرقيسيا، الرقّة، صفّين. وهو الطريق نفسه الذي سلكه جيش أمير المؤمنين عليه السلام للقتال مع معاوية، وهو الطريق الذي قطعه عسكر معاوية للوصول إلى منطقة (مسكن) من أجل مواجهة عسكر الإمام الحسن عليه السلام[٦٤]. كما يظهر لنا في خريطة رقم (٣).

ومن مميّزات هذا المسير أنّه ليس طويلاًكالطريق السلطانيّ ولا يوجد فيه مشاقّ الصحراء المحرقة والقاحلة مثل طريق بادية الشام، ولذا فالظاهر أنّ احتمال اختيار هذا الطريق الوسطيّ سيكون أقوى

لدى بعض المحققين[٦٥]. ولكننا لا نؤيده لأن الجيش إذا كان بإمكانه قطع هذا الطريق فلا يمكن لقافلة فيها أطفال ونساء ولها وضعها الخاص أن تقطعه؟!

فضلاً عن أن الشواهد الموجودة والكرامات الواردة عن رأس الإمام عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في مدن (حلب. قنّسرين. حماه. حمص. دير الراهب) لن تكون شاهداً لأحد طريقي الوسطيّ والسلطانيّ لأنّها مناطق مشتركة بينهما. نعم لو كانت هذه الشواهد قويّة فإنّها ستنفي سلوك طريق بادية الشام حتماً. ولكننا نرى أن هذا الطريق كان طريق الإياب لا طريق الذهاب.

وخلاصة القول في هذه المسألة الشائكة لو أخذنا بعين الاعتبار طريق السفر، مع أقلّ مدّة توقف عندها أهل البيت عليهم السلام في الشام، فإنّ رجوعهم في الأربعين الأوّل يعتبر من المحالات والممتنعات، لأن الإقامة شهراً كاملاًفي الشام، كما ذكر السيّد ابن طاووس، وقطع مسافة ثمانية فراسخ (ما يقرب من ٥٠ كيلومتراً) كلّ يوم -ليلاً نهاراً- يعني أن يبقوا على الطريق (٢٢) يوماً، فالمجموع سيكون أكثر من أربعين يوماً. طبعاً ما ذكرناه من الوقت ليس كافياً لقافلة تتألّف من نساء وأطفال، ليصلوا في الأربعين إلى كربلاء، لأنّ وصول هذه القافلة إليها يتطلّب وقتاً زائداً عن الأربعين يوماً[٦٦].

على أن هناك من رأى[٦٧] أن جيش الأعداء قد اصطحبوا الأسارى الى الكوفة في اليوم الحادي عشر من محرم، وأركبوهن على النياق وهي الجمال وكانت بلا وطاء ولا غطاء، وقد دخلوا الكوفة في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر محرم وكان انطلاق موكب الاسارى نحو الشام في اليوم التاسع عشر من محرم وفي قول آخر كان ذلك في اليوم الخامس عشر منه. وأن دخولهم إلى الشام كان في اليوم الأول من شهر صفر، وهذا يعني أن مدة المسير من الكوفة إلى الشام كانت حوالي ١٢ يوما على رواية، أو ١٧ يوما على القول الآخر. وأنهم سلكوا في طريق الذهاب الطريق الأطول ابتداءً من الكوفة نحو ما يعرف حالياً بشمال العراق حيث عبروا بغداد الى تكريت ثم الموصل وتلعفر، مروراً بنصيبين في الأراضي التركية حالياً، وبعدها إلى الأراضي السورية إلى الرقة وحلب (حيث مسجد النقطة) ثم إلى حماه وحمص ثم إلى شرق لبنان مروراً بمدينة بعلبك واتجهوا بعدها شرقاً نحو منطقة الزبداني وصولاً إلى مدينة دمشق من جهتها الغربية، لغاية أرادها الأعداء من استعراض قوتهم. أما في طريق عودتهم من الشام إلى كربلاء فقد سلكوا طريقاً أقصر وليس عامراً بالسكان كما هي حال طريق الذهاب، وهو قريب من حدود الأردن حاليًا عبر مرورهم بالأنبار إلى كربلاء قبل أن يكملوا عودتهم نحو المدينة المنورة، بعد أن أمضوا أياماً في الشام قدَّرها العلامة المجلسي بأنها عشرة أيام، وهي الأقرب الى الواقع.

وبالملاحظة لمسافة الطريق الطويل من الكوفة الى الشام فإنه يبلغ وفق الحسابات المعروفة في زماننا حوالي ١٩٠٠ كلم، وهذا يعني أنهم قطعوا يومياً ما بين ١٢٠ إلى ١٥٠ كلم وهذا أمر يسير بالنسبة لسير الجمال. مع ملاحظة أن الجمال لها قابلية السير لمسافات طويلة حتى بدون ماء، وأن معدل سرعتها

كما يقول الخبراء في زماننا يصل في حده الأقصى ولمسافات ليست طويلة الى ما يقارب ٦٥ إلى ٧٠ كلم في الساعة، وأما مع المسافات الطويلة فإن الجمال تستطيع أن تسير بمعدل ٤٠ كلم في الساعة، وأن معدل السير البطيء للجمل هو ما بين ٨ الى ١٠ كلم في الساعة، وهذا لا يزيد كثيراً عن سرعة الانسان الماشي الذي يسير بما معدله ٥ الى ٧ كلم في الساعة. فإذن القافلة قد سارت من الكوفة بسرعة اعتيادية جداً، فلم تكن بطيئة ولا سريعة وتقدر سرعتها بما بين ١٥ و٢٠ كلم في الساعة، بمعدل يتراوح بين ٨ و١٠ ساعات في اليوم ليس أكثر وهذا أمر اعتيادي أيضاً ولا غرابة فيه، رغم إمكانية أن يقطعوا تلك المسافة بزمن أقل لوجود نصوص تدلل على ان الأعداء كانوا يجدون بهنَّ السير. أما فيما يتعلق بطريق العودة إلى كربلاء، فلم يكونوا بحاجة إلى أكثر من خمسة أيام في رحلة العودة، ويبدو أنهم ساروا بسرعة أبطأ من سرعة الذهاب الاعتيادية، بعد أن غادروا الشام بعد العاشر من شهر صفر إذ لم يبقوا بها أكثر من عشرة أيام كما تشير إلى ذلك بعض النصوص[٦٨]، ولا وجه لبعض النصوص التي تشير إلى بقائهم أكثر إذ لم يكن ليزيد من مصلحة في إبقائهم في الشام أكثر، خاصة بعد وفاة رقية وتقلب المزاج العام نتيجة خطبة زينب وكلام زين العابدين عليهما السلام بحيث صار من مصلحته تعجيل إرجاعهم، فتكون النتيجة أن وصول الأسارى ومعهم الرؤوس إلى كربلاء كان في يوم الأربعين من نفس تلك السنة، طبقاً للنصوص الواردة ولا وجه لاستبعاد ذلك، كما وقع فيه بعض علمائنا السابقين لعدم التفاتهم الى تلك الخصوصيات التي أشرنا اليها.

وفي رأينا يبقى الواقع العملي والفعلي هو الحكم الفصل في هذه المسألة ومتى توافرت الظروف المناسبة التي تشبه ظروف تلك القافلة، وتهيأت لها الإمكانات الخاصة ونجعلها تسير كما سارت سوف نتبين حقيقة هذا الأمر ونرى أي الطرق سلكت، ونحدد وقتها والزمان الذي يمكن لها أن تقطعه من الكوفة إلى الشام مع مراعاة الظروف الجوية وطبيعة المناخ بعد أن نحدد في أي وقت كان يوم عاشوراء على اختلاف الروايات، ويؤخذ بنظر الاعتبار طبعاً الأعداد التي سارت في تلك القافلة والمنازل التي وقفوا عندها والاشتباكات والمناوشات التي حصلت وغيرها من تفصيلات الأمور، مع الأخذ بنظر الاعتبار طريق العودة الذي بيّناه أيضاً.

المحور الثالث:

قراءة في روايات يوم الأربعين (المؤيدون والمنكرون)، والردّ عليهم

بعد أن ذكرنا في المحور الثاني أهم الطرق التي من المحتمل أن يكون أهل البيت عليهم السلام قد سلكوها في رحلتهم من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام بحسب المرويات التاريخية التي وقفت عند هذه المسألة مع الأخذ والرد فيها، وترجيح الطريق الأول مع الأدلة والضوابط سنقف في هذا المحور على يوم الأربعين، ونرى هل حصل فعلاً في السنة الأولى بعد واقعة عاشوراء أم لا؟ وسنعرض أهم آراء المؤيدين لذلك والمنكرين له.

إن المتصفح في الروايات التاريخية يجد أن في هذه المسألة اختلافاً واضحاً في عدم تحديد يوم الأربعين

الأول وانقسموا في هذا الموضوع بين مؤيد لذلك وبين معارض بحسب ما رآه، لأن ((بعض العلماء، وبسبب الاختلافات الموجودة في بعض الروايات حول (في) زمان ورود أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق، ومدّة إقامتهم في الشام، لم يستطيعوا تقبّل مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين الأوّل بل اعتبروها - ولأسباب ما- مستبعدة، بل في حكم المحال))[٦٩].

وقد ذكر أحد الباحثين أسماء المنكرين[٧٠] في مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر سنة (٦١) منهم ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ) في كتابه (مثير الأحزان)، والسيد ابن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه (اللهوف)، وكذلك العلّامة المجلسيّ (المتوفَّى ١١١١هـ) في (البحار)، ومنهم أيضاً الميرزا حسين النوريّ (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) مؤلّف كتاب (مستدرك الوسائل) فهو بعد أن ينقل في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) كلام السيّد ابن طاووس في اللهوف الذي يؤيّد مسألة مجيء الأسرى إلى كربلاء، يأخذ بنقد ذلك الرأي وينفيه وسنأتي على ذكر ذلك في موضعه. كذلك الشيخ عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، ومن المنكرين أيضاً لهذه الحادثة العلّامة أبو الحسن الشعرانيّ (ت١٣٥٢هـ).

وأنكر الشهيد الأستاذ مرتضى المطهّري خبر لقاء جابر بأهل البيت عليهم السلام وقال: إنّ الشخص الوحيد الذي نقل هذا الأمر هو السيّد ابن طاووس في اللهوف، ولم ينقله أحد غيره، بل إنّ السيّد نفسه أيضاً لم يتعرّض لهذا الموضوع في كتبه الأخرى. ثمّ إنّ الدليل العقليّ أيضاً لا يتوافق مع هذا الرأي.

وهنا لا بدّ من التنبيه إلى أنّه إن كان مقصود الأستاذ المطهريّ من خبر اللقاء، هو اللقاء يوم الأربعين، فإنّ ابن طاووس- وكما نبّهنا عليه سابقاً- لم يقل بذلك أبداً حتّى في كتابه اللهوف[٧١].

ومن المنكرين أيضاً المحقّق محمّد إبراهيم آيتي الذي يعتبر مسألة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين من المآسي التاريخيّة حيث لا يمكن إيجاد أي سند موثّق ومؤكّد لها بين أيدينا. ومن المنكرين أيضاً لهذه الحادثة السيّد الدكتور جعفر الشهيديّ.

في مقابل هؤلاء المنكرين حدد بعض الباحثين أن هناك بعض المؤيدين من العلماء قد ذهبوا إلى القول بحضور أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في الأربعين الأوّل أو على الأقلّ هذا ما يُستفاد من ظاهر كلامهم. وكان من أبرزهم[٧٢]:

أبو ريحان البيرونيّ (المتوفَّى ٤٤٠هـ): قال ((وفي العشرين ردّ رأس الحسين عليه السلام إلى جثته حتّى دفن مع جثّته، وفيه زيارة الأربعين وهم حرمه، بعد انصرافهم من الشام))[٧٣].

ومن النص المتقدم يتضح أنّ البيروني وضح أن الرأس الشريف رُد ودفن مع جثته في العشرين من صفر، وقال (فيه) الهاء عائدة على العشرين أيضا زيارة الأربعين وهم عائلته عليه السلام بمعنى أن عددهم كان أربعين امرأة. وهنا أعطى بعداً آخر للأربعين.

ومن المؤيدين أيضا الشيخ البهائيّ (ت١٠٣٠هـ) إذ يقول: ((التاسع عشر- أي من صفر- فيه زيارة الأربعين لأبي عبد الله الحسين عليه السلام وفي هذ اليوم وهو

يوم الأربعين من شهادته عليه السلام كان قدوم جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) لزيارته عليه السلام واتفق ذلك اليوم ورود حرمه عليه السلام من الشام إلى كربلاء قاصدين المدينة على ساكنها السلام والتحية))[٧٤].

وألفاظ النص تكشف لنا أن قدوم جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) كان في يوم الأربعين من شهادته عليه السلام، أما ورود حرم الإمام الحسين عليه السلام من الشام فكان في هذا اليوم تحديداً، وهو أشبه بما ذكره الشيخ المفيد في (مسارّ الشيعة) والشيخ الطوسي في (مصباح المتهجّد) والعلّامة الحلّي في (العدد القويّة) و (منهاج الصلاح) والكفعميّ في كتاب (المصباح) من أنهم ليس فقط لم يذكروا حادثة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء، بل صرّحوا بأنّ يوم العشرين من صفر هو يوم رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام إلى المدينة. وكلمة (الرجوع) تعني يوم رجوعهم من الشام لا معنى وصولهم إلى كربلاء ودليلنا في ذلك قول ابن نما: ((ولمّا مرّ عيال الحسين عليه السلام بكربلاء))[٧٥]، وكذلك ابن طاووس لم يحدد لنا الزمان ولم يحدد لنا الراوي بل أكتفى بالقول:((قال الراوي ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مُرَّ بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المأتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً))[٧٦] فالنص فيه دلالة واضحة على أن الرجوع هو غير الوصول مع العلم أنه لم يذكر لنا يوم اللقاء، وإنما ذكر وقت اللقاء ما بين جابر وأهل البيت عليهم السلام.

و((الظاهر من كلام ابن طاووس أنّ جابراً قد وصل إلى كربلاء قبل أهل البيت عليهم السلام ولكن المحدّث النوريّ كأنّه حمل العبارة (فوافوا) على معنى أنّ أهل البيت عليهم السلام وجابر قد دخلوا سويّة إلى كربلاء!! مع أنّ ملاحظة الكلمتين (فوصلوا) و(فوجدوا) يبيّن أنّ المقصود من كلمة (فوافوا) هو مجرّد اللقاء والاجتماع لأجل العزاء والبكاء، لا بمعنى الدخول والوصول إلى كربلاء في نفس الزمان))[٧٧].

ومن المؤيّدين لتلك الحادثة أيضاً السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ إذ حاول إثبات إمكانيّة وصول أهل البيت عليهم السلام في الأربعين (عام ٦١هـ) عبر النقد والرّد على الشبهات التي وجّهها المحدّث النوريّ الذي أنكر ذلك الوصول.

ومنهم الميرزا محمّد الإشراقيّ المعروف بـ(أرباب) (ت ١٣٤١هـ)[٧٨]، إذ إنّه بعدما عرض كلام الطبريّ في (بشارة المصطفى) لزيارة جابر، قال: لم يذكر في هذا الخبر المعتبر أنّ زيارة جابر كانت في يوم الأربعين أم في غيره، ولم يذكر فيه أيضاً أنّ زيارة جابر كانت في السّنة الأولى لشهادة الإمام الحسين عليه السلام أم السّنة التي بعدها، وعلى ما يبدو فإن التشكيك واضح في قبول هذه المسألة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد المنكرين لها قياساً إلى عدد المؤيدين لها من جانب وحتى الذين يستشف منهم القبول لم يكونوا على درجة واضحة من التصريح.

ولكن المذكور في الكتب الشيعيّة كما يراها بعضهم[٧٩] أنّ هناك أمرين قد تحقّقا على كلّ حال:

الأوّل: أنّ الكثيرين من الخاصّة والعامّة قد ذكروا ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم الأربعين.

الثاني: وهو ثابت في السيرة والتاريخ، أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يسافروا أبداً إلى العراق بعد عام الشهادة (٦١هـ).

فضلاً عن كل ما تقدم فإن عدم ذكر هذه الحادثة في المصادر التاريخيّة القديمة دليل على أن هذه الحادثة لم تقع بالصورة المعهودة عندنا أو ربما وقعت، ولكن ليس بهذا الوقت المحدد إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مسافة الطريق وطول السفر، فالطبريّ[٨٠] والشيخ المفيد[٨١] مثلاً حينما نقلا أحداث عاشوراء عن أبي مخنف لم يأتوا على ذكر هذه الحادثة، وكذلك الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)[٨٢]، والخوارزميّ (ت ٥٦٨هـ)[٨٣] وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) وسبط بن الجوزيّ وعماد الدّين الطبريّ[٨٤] لم يتعرّض أيّ منهم لمثل هذه الحادثة[٨٥].

ثمّ يضيف المحدّث النوريّ في هذا الصّدد: ((ولا يمكن أن يكون أهل البيت عليهم السلام قد ذهبوا خلال سفرهم إلى كربلاء، وهناك يجتمعون مع جابر، ويقيمون العزاء لعدّة أيّام، ثمّ لا يرى الشيخ المفيد شيئاً من ذلك في أي مصدر معتمد، أو يراه ولكن لا ينقله في هذا المقام))[٨٦].

وفي ضوء ما مرّ يمكننا القول إن عدم الاتفاق في بعض الألفاظ التي مرّ ذكرها من مثل (وصول، رجوع، ورود) وعدم توحيدها بلفظة واحدة ربما هي التي أدت إلى الاختلاف في قبول هذه الحادثة وعدم قبولها، فالوصول إلى شيء ليس كمثل الرجوع والفرق واضح بين الاثنين، ولذا نرى أن الحادثة وقعت ولكن ليس بالصورة المعهودة عندنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العلماء نظروا إلى لفظة (الأربعين) واختلفوا في دلالتها فمرة أطلقت على الأربعين يوماً بعد شهادة الإمام عليه السلام، ومرة اطلقت على زيارته في الأربعين، ومرة أخرى اطلقت وأريد بها حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومرة أخرى كان فيه رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام، ومهما يكن من أمر فإن هذا اليوم يبقى يوماً آخر من أيام ملحمة كربلاء الكبرى التي ما يزال عطاؤها لا ينضب ويتجدد في كل زمان وفي كل حين.

وختاماً نورد نصاً عن أبي الفداء (ت٧٣٢هـ) في تاريخه لم يذكر أن أهل البيت عليهم السلام قد رجعوا إلى العراق فيقول: ((ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة فجهزهم إلى المدينة ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم....))[٨٧] وغيرها من الروايات التي تحتاج إلى التحقق والتتبع والدراسة. ونحيلها الى بحث قادم إن شاء الله تعالى.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من الخوض في هذه الجولة من الوقوف عند العديد من المصادر التاريخية القديمة والحديثة توصل البحث إلى جملة من النقاط أبرزها:

١. جعل البحث يوم الأربعين نقطة انطلاق لدراسة بعض الحوادث التي سبقت هذا اليوم ابتداءً من بعد يوم عاشوراء وما جرى فيه من حوادث.
٢. حدد البحث الخوض في جملة من المصادر

التاريخية المعتمد عليها في إيراد حادثة كربلاء وما تبعها من أحداث، وحللنا بعض ألفاظها تحليلاً لغوياً ومنطقياً وعقلياً بحسب المورد الذي وردت فيه.

٣. بيّن البحث عبر المحور الأول أن هنالك جملة من الأخطاء اللغوية في بعض المرويات التاريخية والتي هدف بعض كتابها كما اعتقد الاستهانة والإساءة المتعمدة لمقام أهل البيت عليهم السلام وهو ما أراده التنظير العباسي، أو لعله من باب الجهل باللغة من أبي مخنف وغيره الذين نقلوا هذه الروايات من غير تمعن وتمييز في ألفاظها ودلالاتها!.

٤. وفق تصورات البحث الذي درس بعض تلك الألفاظ رجّحت الباحثة اختيار لفظة التسيير أو الإرسال بدلاً من التسريح، ولفظة أسارى بدلاً من سبايا لما في ذلك خدش لحياء بنات الرسالة ومن باب التأدب مع آل الرسول صلى الله عليه وآله وغيرها من الألفاظ.

٥. عِبر المحور الثاني اتضح لنا أن الروايات التي بحثت في طرق حركة مسير أهل البيت عليهم السلام من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام كانت عبارة عن ثلاثة طرق يُعتقد أن أهل البيت عليهم السلام قد سلكوا أحدها.

٦. رجح البحث أن الطريق الذي ساروا به أهل البيت عليهم السلام هو طريق الدولة أو الطريق السلطاني كما كانوا يسمونه وذكرنا جملة من الدلائل والشواهد على ذلك.

٧. أما المحور الثالث فوقف على جملة من الاختلافات بين العلماء المتقدمين والمتأخرين بين منكر لذلك وبين مؤيد لها في مسألة حصول الأربعين الأول أو عدمه بناء على ما جاء من الروايات التاريخية في هذا السياق.

٨. أن عدد المنكرين لهذه المسألة فاق عدد المؤيدين لها فضلاً عن عدم ذكر هذه الحادثة في المصادر التاريخيّة القديمة التي حددنا في بداية البحث واعتمدناها كمصادر أساسية للبحث زيادة على الاستعانة بالعشرات من المصادر غيرها.

٩. كشف البحث عبر المرويات أن العلماء نظروا إلى لفظة (الأربعين) واختلفوا في دلالتها فمرة أطلقت على الأربعين يوماً بعد شهادة الإمام عليه السلام، ومرة اطلقت على زيارته في الأربعين، ومرة أخرى اطلقت وأريد بها حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومرة أخرى كان فيه رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام.

الهوامش

(١) اللهوف على قتلى الطفوف ٢٠١.

(٢) أننا نميل إلى الرأي الذي يقول بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت ضد بيزنطة العظمى وليس ضد الحكم الأموي وما يزيد إلا أداة منفذه لتلك الدولة العظمى وإلا بماذا نفسر امتداد هذه الملحمة الكبرى على مدار هذه الأعوام المتطاولة من الزمن من جهة؟؟ ومن جهة أخرى ما المبرر من دخول جيش المجففة ظهيرة اليوم العاشر من المحرم وكذلك دخول الكتيبة الحمراء أيضاً إلى ساحة المعركة لولا دعمها وإسنادها لجيش يزيد في ذلك؟؟! وهذا موضوع طويل وشائك ويحتاج إلى دراسة وتحليل وليس من همّ موضوعنا الآن.

(٣) مقتل الحسين: الخوارزمي ١ /١٨٩. وينظر: كتاب الفتوح ٥/ ٢١. وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية.

(٤) مقتل أبي مخنف للطبري٢١٢ـ إن هذا المقتل رواه أبو مخنف عن هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ) وهشام هو ((أبو المنذر الناسب الكلبي الإخباري النسابة العلامة، روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر وعن مجالد، وحدث عنه جماعة. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، وقيل: إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً، مات سنة أربع ومأتين، ومن الرواة عنه محمد بن سعيد وولده العباس بن هشام، وكان واسع الحفظ جداً. وذكره ابن أبي طي في الامامية وقص له قصة مع جعفر الصادق (رحمه الله تعالى)، ونقل أبو الفرج الاصبهاني عن أبي يعقوب الحريمي قال: كان هشام بن الكلبي علاّمة نسّابة وراوية للمثالب، وبلغت كتبه كما عدها ابن النديم في الفهرست مئة وأربعة وأربعين كتاباً)) مقتل أبي مخنف للطبري ٢ الهامش ١.

ومن الغريب أيضاً أن المقتل لأبي مخنف ولكن في الصفحة الثانية مباشرة، وفي بداية الكتاب في موضوع خلافة يزيد بن معاوية يذكر عبارة: ((قال هشام بن محمد عن أبي مخنف)) ولا ندري من روى عن من؟؟!. ولماذا لم يرو الطبري هو أيضا عن هشام فيقول مقتل الحسين لهشام بن محمد؟؟.

وقيل عنه ((هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن زيد. العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا. له كتاب مقتل الحسين عليه السلام. رجال النجاشي: ٤٣٤-٤٣٥ رقم ١١٦٦)) الملهوف على قتلى الطفوف/ علي بن موسى بن طاووس ٣٦.

(٥) مقتل أبي مخنف للطبري ٢١٦ـ وفي مقدمة الرواية ((قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله فبينا القوم محتبسون اذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا وأعهدوا، فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا)) مقتل أبي مخنف ٢١٦.

(٦) الثقات ٢/ ٣١٢.

(٧) تحقيق في زيارة الأربعين.

(٨) مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان ٨٤.

(٩) لسان العرب ٢/ ٤٧٨.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٦.

(١١) لسان العرب ٢/ ٤٧٩.

(١٢) كتاب الفتوح ٥/ ١٢٠.

(١٣) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٥.

(١٤) مقتل أبي مخنف ١٥١، وينظر: مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان ٨٣.

(١٥) تاريخ الأمم والملوك٤/ ٣٤٩، وينظر: مقتل أبي مخنف للطبري ١٥٢.

(١٦) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٦.

(١٧) مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان٩٠.

(١٨) رجال الشيخ الطوسي ١١٢.

(١٩) رجال الشيخ الطوسي ٢٤٠.

(٢٠) الأمالي ١٣٧.

(٢١) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٤٩. وينظر: مقتل أبي مخنف ١٥٢.

(٢٢) مقتل أبي مخنف للطبري ١٤٩.

(٢٣) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ٥/ ١.

(٢٤) كتاب الفتوح ٥/ ١٢٢.

(٢٥) اللهوف على قتلى الطفوف ١٤٤-١٤٥.

(٢٦) لسان العرب ١١/ ٢٨٠

(٢٧) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٤٥.

(٢٨) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٢.

(٢٩) تحف العقول ٢ / ٥٢.

(٣٠) لسان العرب ١٤/ ٣٦٧- ٣٦٨. مادة (سبى).

(٣١) ينظر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية ٢٩٠- ٢٩١.

(٣٢) لسان العرب ٢/ ٢١٣.

(٣٣) الدمعة الساكبة ٤/ ٣٤٦. وينظر: العباس عليه السلام عبد الرزاق الموسوي المقرم ١١٧.

(٣٤) لسان العرب ٤/ ١٩.

(٣٥) مقتل أبي مخنف ١٦٠.

(٣٦) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢ / ٥٧٨ -٥٨٠.

(٣٧) اللهوف على قتلى الطفوف ١٦٩- ١٧٠.

(٣٨) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والبحوث- قم المقدّسة.

(٣٩) ينظر: اللؤلؤ والمرجان ١٨٧.

(٤٠) ينظر: كامل البهائي ٢/ ٣٦٠- ٣٦١.

(٤١) تقع آمد حول دجلة كالموصل. ويقول محقق كتاب اللؤلؤ والمرجان أن آمد مدينة ديار بكر اليوم. الهامش ٢ الصفحة ١٨٨.

(٤٢) نصيبين هي مدينة تقع اليوم في تركيا.

(٤٣) المنزل الرابع (بعلبك) هي إحدى المنازل الثلاث من بلاد الشام وهي (قنسرين وشيزر وبعلبك).

(٤٤) المنزل الخامس يقع قرب (ديار بكر) وهي تابعة لبلاد الجزيرة.

(٤٥) المنزل السادس يقع قرب حماة بين حلب والشام.

(٤٦) ينظر: الخرائج والجرائح ٢/ ٥٧٨٠.

(٤٧) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٧٧- ٢٧٨.

(٤٨) ينظر: تذكرة الخواصّ ٢٦٤.

(٤٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام- ٤٣.

(٥٠) سيرة عليّ بن الحسين عليه السلام السيّد جعفر الشهيديّ ٦٢.

(٥١) فرهاد ميرزا معتمد الدولة القمقام الزّخار والصمصام البتّار ٢/ ٥٤٨-٥٥٠. ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٥.

(٥٢) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٥.

(٥٣) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٢-٤٣.

(٥٤) ينظر: كامل البهائيّ ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٥٥) تساءل محقق الكتاب المؤلف في هذا المورد إن كانوا في هذا الوقت ما يزالون في الطريق فمتى رجعوا إلى كربلاء؟ وحضروا أربعين الحسين في العشرين من صفر فيقول: لست أدري وليت المؤلف أشار إلى اختلاف هذا القول مع أقوال المؤرخين. ينظر: هامش (١)

(٥٦) كامل البهائيّ ٢ / ٣٦٧.

(٥٧) الاحتجاج ٢/ ٣٥، مقتل الحسين/ الخوارزميّ ٢/ ٧٢، بلاغات النساء ٣٥ وما بعدها. وفي هذا المورد لا بد من الاشارة هنا أن عبارة (هتكت ستورهن) كما أراها لا يعني نزع الحجاب والملاحف والمقانع عنهن، وإنما تعني هو مجرد خروجهن من خدورهن وتسييرهن من بلد إلى آخر هو هتك لسترهن، هذا إن صحت نسبة هذه الكلمات إليها عليها السلام وإلا فهو من باب إثارة المشاعر وتهييج العواطف.

(٥٨) ينظر: طريق (موكب السبايا مشاهدُ حسينيّة بين كربلاء

والشّام) تحقيق: أحمد الحسيني، مجلة شعائر السنة الثانية / العدد الحادي والعشرون.

(٥٩) ينظر: تحقيق: مسير السبايا من كربلاء إلى الشام، معارف إسلامية، السنة الثانية عشر، العدد ١٤٠، ١٢ آب ٢٠١٨ الموافق لـ ٣٠ ذو القعدة ١٤٣٩.

(٦٠) كتاب ((رجوع الركب بعد الكرب))، للسيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي، بترجمة وتحقيق: محمّد الكاظمي. مجمع البحوث الإسلاميّة/ الروضة الرضويّة المقدّسة يقع الكتاب في ٢٩٧ صفحة من القطع الوزيري.

(٦١) ينظر: تحقيق: مسير السبايا من كربلاء إلى الشام: الدكتور حيدر خير الدين السنة الثانية عشر العدد ١٤٠ معارف إسلامية ١٢ آب ٢٠١٨ الموافق لـ٣٠ ذو القعدة ١٤٣٩.

(٦٢) ينظر: اللؤلؤ والمرجان ١٨٩.

(٦٣) ينظر: الفتوح ٥/ ١٢٧، مقتل الحسين ٢/ ٦٢.

(٦٤) ينظر: وقعة صفّين نصر بن مزاحم المنقريّ ١٣٤، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب محمّد محمّدي الري شهريّ ٦/ ٥٥. الفصل ٦.

(٦٥) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٤-٤٥.

(٦٦) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٤.

(٦٧) ينظر: استفتاءات مكتب سماحة السيد محمد صادق الحسيني الروحاني، في ١ صفر ١٤٣٩ قناة الأحكام الشرعية. **https://telegram.me/adelaljohr**.

(٦٨) لكن هذا الأمر بحاجة إلى التحقيق لأنّ الطريق إلى المدينة لا يتقاطع ولا يشترك أبداً مع الطريق إلى العراق، فيجب البحث في الطريق الذي سلكه أهل البيت عليهم السلام في رجوعهم؟ لذا نبين أن علماء الجغرافيا السابقين، مثل ابن خرداذبه (ت٣٠٠ ق) ومثله ابن رسته، ذكروا مجموعة من المنازل وبحسب رأي علماء الجغرافيا الآن لا يوجد أي أثر واسم للمنازل والمناطق المذكورة سابقاً إلا نقطة وحيدة مشتركة بين الطريقين وهي منطقة (المنزل) حيث يفترق من هناك طريق المدينة عن طريق الكوفة.

ومن هنا يمكن القول إنّه حتّى لو نفينا وجود أيّ عزم وقصد لزيارة كربلاء عند أهل البيت عليهم السلام قبل الخروج من دمشق، فمن الممكن أنّ هذا العزم قد حدث في تلك النقطة المشتركة، وعليه فلو حملنا كلام السيّد ابن طاووس وابن نما (الذي سنذكره في المحور الثالث) على اعتبار أنّ الطريقين مشتركان على طول المسير، فهذا لا يمكن القبول به وليس صحيحاً، إلّا أن يقال بأنّ أهل البيت عليهم السلام رجعوا إلى المدينة عن طريق العراق عبر نفس الطريق الذي سلكوه من الكوفة إلى الشام.

وطبعاً هذا الاحتمال يمكن انطباقه على الواقع في حال كان أهل البيت عليهم السلام قد اختاروا هذا المسير وهم عند يزيد في دمشق، مع موافقته على ذلك، أو على الأقل يأخذون الموافقة منه قبل تجاوز النقطة الوحيدة المشتركة بين طريق الكوفة وطريق المدينة، أي منطقة (المنزل). وفي غير هذه الصورة لن يكون منطقيّاً اختيار أهل البيت عليهم السلام طريق العراق إلى المدينة ولن يكون له أيّ مسوّغ. ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٥٠-٥١.

(٦٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٢-٣٣.

(٧٠) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٣-٣٧. وينظر المصادر الآتية: مثير الأحزان ٨٦، اللهوف ١١٤، الإقبال، ٣/ ٣٧٠، الإقبال ٣/ ١٠٠-١٠١، بحار الأنوار ٩٨/ ٣٣٥-٣٣٦، بحار الأنوار ٩٨/ ٣٣٢. وغيرها من المصادر.

(٧١) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٣-٣٤، ذكر المحقق أنه ((لم يصرّح أيّ واحدٍ من هذين

العلمين في كلماتهما أبداً عن موضوع مجيء أهل البيت إلى كربلاء، في العشرين من صفر، بل اقتصر كلامهما على حكاية ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء والملاقاة مع جابر فقط، بل إنّ ابن طاووس (ره) نفى صراحة وصول أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم العشرين من صفر في كتابه (الإقبال بالأعمال الحسنة) والذي استمرّ في تأليفه منذ ما قبل وفاته بتسع سنوات إلى آخر عمره أي إلى العام السبعين من عمره فهو بعد أن ينقل رأي الشيخ المفيد (ره) والشيخ الطوسيّ (ره) والرأي القائل بأنّ يوم الأربعين هو يوم خروج الأسرى من الشام إلى كربلاء.. هناك ينفي صراحةً وصولهم إلى كربلاء في العشرين من صفر، وهذا كلامه: ((وجدت في المصباح أنّ حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا عليّ بن الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر. وفي غير المصباح أنّهم وصلوا إلى كربلاء أيضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر وكلاهما مستبعدٌ لأنّ عبيد الله بن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد يعرّفه ما جرى ويستأذنه في حملهم ولم يحملهم حتّى جاء الجواب إليه وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها لأنّه لمّا حملهم إلى الشام روي أنّهم قاموا فيها شهراً في موضع لا يكنّهم من حرّ ولا برد، وصورة الحال تقتضي أنّهم تأخّروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قتله عليه السلام إلى أن وصلوا إلى العراق أو المدينة.

وأمّا تعريجهم على كربلاء في طريق عودتهم إلى المدينة فيمكن ذلك ولكنّه لا يكون حينئذٍ وصولهم إليها يوم العشرين من صفر لأنّهم اجتمعوا -على ما رُوي - بجابر بن عبد الله الأنصاريّ، فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً، وعلى أن يكون جابر وصل من غير الحجاز من الكوفة أو غيرها كما هو ظاهر فإنّ ابن طاووس لم ينف من الأصل مجيء أهل البيت عليهم السلام لا في كتاب اللهوف ولا في كتاب الإقبال، وكذلك فإنّ العبارة الأخيرة للسيّد في الإقبال هي قرينة واضحة على أنّه لم يقل بوصول أهل البيت عليهم السلام في الأربعين إلى كربلاء- كما نسب إليه البعض خطأ- لأنّه لو كان رأيه هو هذا لبيّنه في كتاب (الإقبال) الذي كتبه بعد (اللهوف) بعدّة سنوات، فيقول مثلاً: إنّي قد رجعت عن قولي الذي ورد في كتاب اللهوف، وكلامي النهائيّ في هذه المسألة هو ما أذكره هنا))

(٧٢) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٦-٣٨.

(٧٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية: البيرونيّ ٣٣١.

(٧٤) توضيح المقاصد ٦.

(٧٥) مثير الأحزان ١٠٧.

(٧٦) اللهوف على قتلى الطفوف ١٩٦.

(٧٧) تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٧.

(٧٨) ينظر: الأربعين الحسينيّة: الميرزا محمّد الإشراقيّ (أرباب) ٢٠٥.

(٧٩) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٧.

(٨٠) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٥٣ ٣٥٤.

(٨١) ينظر: الإرشاد ٢/ ٢٢.

(٨٢) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى ١/ ٤٧٦.

(٨٣) ينظر: مقتل الحسين عليه السلام ٢/ ٨٢.

(٨٤) ينظر: كامل البهائيّ ٢/ ٣٠٢.

(٨٥) ينظر: تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٤٠.

(٨٦) اللؤلؤ والمرجان ٢٣٣.

(٨٧) تاريخ أبي الفداء١/ ٢٩٧.

المصادر والمراجع

١. الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ريحان البيرونيّ (ت٤٤٠هـ)، طبعة حجرية قديمة (د.ت، د.ط).

٢. الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمّد باقر الخرساني، دار النعمان/ النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.

٣. أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية: الدكتور عبد اللطيف عامر، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤. الأربعين الحسينيّة: الميرزا محمّد الإشراقيّ (أرباب)،

٥. الإرشاد: محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد/ بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦. إعلام الورى بأعلام الهدى: أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من اعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة: السيد رضي الدين، علي بن موسى بن طاووس الحلي (٦٦٤ -٥٨٩هـ)، دار الكتب الإسلامية – طهران الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ.

٨. الأمالي: الشيخ الصدوق، المكتبة الإسلامية الطبعة الرابعة المصححة ١٤٠٤هـ.

٩. بلاغات النساء: أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، المعروف بابن طيفور (٢٨٠- ٢٠٤هـ)، دار الشريف الرضي – قم.

١٠. تاريخ أبى الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء (ت٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.

١١. تاريخ الأمم والملوك: محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق نخبه من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان.

١٢. تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

١٣. تحقيق حول أربعين الإمام الحسين عليه السلام محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والبحوث- قم المقدّسة (بحث منشور).

١٤. تذكرة الخواصّ: تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حسن تقي زاده، مجمع أهل بيت عليهم السلام. الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ.

١٥. توضيح المقاصد: العلامة الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣٠هـ)، كتبه: الحاج عبد الرحيم الافشاري ابن المرحوم أبي الفضل الزنجاني ١٣٩٣- ١٣٥٢ مكتبة يعسوب الدين- الإلكترونية.

١٦. كتاب الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) (الجزء الاول) طبع بإعانة وزارة الحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٧. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت

٥٧٣هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مؤسسه الامام المهدي قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ.

١٨. الدمعة الساكبة: في أحوال النبيﷺ والعترة الطاهرة، محمّد باقر البهبهاني (ت ١٢٨٥هـ)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ -١٩٨٩م.

١٩. رجال الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٠. السيّرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢٨٨هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م.

٢١. العباسؑ: عبد الرزاق الموسوي المقرم، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، إصدارات مكتبة الروضة العبّاسيّة، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيتؑ (١٥٠)، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٢٢. مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة: الشيخ محمد جعفر الطبسي.

٢٣. كامل البهائيّ: عماد الدين الطبري من علماء القرن السابع الهجري، تعريب وتحقيق: محمد شُعاع فاخر، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤-١٤٢٦هـ.

٢٤. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٢٥. كتاب الفتوح: العلامة ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء/ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٦. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذليدار النشر: دار المعارف البلد: القاهرة

٢٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٢٨. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤هـ)، دار العالم (جهان) للنشر - طهران ١٣٤٨ هـ.

٢٩. اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: العلامة حسين النوري الطبرسيّ (ت١٣٣٠هـ)، تعريب: الشيخ إبراهيم البدري، دار البلاغة/ بيروت، الطبعة الأولى ٢٤- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٠. مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان: جعفر بن أبي إبراهيم، المعروف بابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، مدرسة الإمام المهديؑ الطبعة الثالثة، قم ١٤٠٦ هـ.

٣١. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

٣٢. مقتل الحسينؑ: الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى.

٣٣. مقتل الحسينؑ: مقتل أبي مخنف للطبري المؤرخ

الشهير لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي مستخرج من تاريخ الأمم والملوك، للمؤرخ المحدّث أبي جعفر محمد بن جرير الطبري استخرجه: الحسن بن عبد الحميد الغفاري من منشورات المكتبة العامة، لحضرة العلامة المحقق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، دام ظله الوارف مع التعاليق الهامة: لحجة الاسلام والمسلمين آية الله الحاج ميرزا حسن الغفاري دامت بركاته، المطبعة العلمية/ قم محرم الحرام ١٣٩٨.

٣٤. الملهوف على قتلى الطفوف المؤلف: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) ـ تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان «الحسون» إعداد: مركز الأبحاث العقائدية سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام.

٣٥. مناقب آل أبي طالب: الإمام الحافظ ابن شهر اشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ) قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الاشرف، قام بطبعه محمد كاظم الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية وله حقوق الطبع محفوظة ١٣٧٦ هـ =١٩٥٦م طبع في المطبعة الحيدرية في النجف.

٣٦. موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب: محمّد محمّدي الري شهريّ، المساعدان: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، إيران – قم المقدس، الطبعة الثاني ١٤٢٥.

٣٧. وقعة صفّين: نصر بن مزاحم المنقريّ (ت٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

المحور الرابع

الشعائر الحسينية في زيارة الأربعين

أثر الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي

م. د. خديجة حسن علي القصير

كلية القانون - جامعة الكفيل

الملخص

خلق الله الانسان وله حاجات مادية ومعنوية يسعى الى إشباعها، ونظراً للتفاوت في قدرات الافراد فمنهم من يملك ما يكفيه وزيادة ومنهم من لا يملك ما يكفيه، لذلك حثت الشريعة الإسلامية بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى من يملك فضلاً بتوجيهه للمحتاج إليه وذلك حتى يحقق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع وهذا ما يطلق عليه التكافل الاجتماعي في المنظور الإسلامي.

ومما لا يخفى أن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يجسدون خلال شهر محرم من كل سنة أروع صور التكافل الاجتماعي التي يعرفها التاريخ على مر العصور حيث نلاحظ خروج الآلاف من الموالين لأهل البيت عليهم السلام لتقديم الخدمة الطوعية في أي جانب يجدون أنه يحقق لهم ما يستحقون عليه انتسابهم الى شيعة أهل البيت والموالين لسيد الشهداء عليه السلام على وجه الخصوص. وسوف أحاول في هذا البحث الإشارة الى بعض الجوانب الشعائرية التي اتبعها المؤمنون بقضية الحسين عليه السلام من اجل تحقيق التكافل في شتى صوره وبقدر استطاعتهم.

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة محاور مع خاتمة احتوت على النتائج المبتغاة منه وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في إعداده، تناول المحور الأول: التكافل الاجتماعي في الاسلام وأثر أهل البيت عليهم السلام في دعمه وتكريسه وقد تطرق الى بداية نشأة التكافل الاجتماعي ونظرة الإسلام له من خلال ما ورد من نصوص قرآنية كريمة تحث عليه وتدعو الى إشاعته في المجتمع المسلم، فضلاً عن نماذج من حياة المعصومين عليهم السلام ودورهم في تحقيق التكافل الاجتماعي، بعيداً عن الإسهاب لئلا يخرج البحث عن هدفه الأساس الذي يتمخض في المحور الثاني الذي حمل عنوان: أثر الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي وقد تم فيه توضيح الدور الذي ساهمت فيه الشعائر الحسينية في تدعيم الألفة والتعاون بين أفراد المجتمع.

The impact of Husseini rituals in the development of social solidarity

Dr. Khadija Hassan Ali Al-Qaseer

Faculty of Law / Al-Kafeel University

Abstract

Allah created man with moral and material needs seeking to satisfy them, and because of the disparities in the capabilities of individuals, some of them have enough and some of them do not have enough, so the Islamic law has urged whoever have pare to provide the needy with it in order to achieve coherence among community members.

It is no secret that the followers of Ahl al-Bayt school and during the month of Muharram every year, are embodying the finest forms of social solidarity known to men throughout history, where we notice the departure of thousands of loyalists to provide voluntary service on any way they can.

In this research, I will try to refer to some of the ritual aspects followed by the believers in the Husseini case in order to achieve solidarity in various forms and as far as they can.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين. اللّهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وبعد:

خلق الله الانسان وله حاجات مادية ومعنوية يسعى الى إشباعها، ونظراً للتفاوت في قدرات الافراد فمنهم من يملك ما يكفيه وزيادة ومنهم من لا يملك ما يكفيه لذلك حثت الشريعة الإسلامية بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى من يملك فضلاً بتوجيهه للمحتاج إليه وذلك كيما يتحقق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع وهذا ما يطلق عليه التكافل الاجتماعي في المنظور الإسلامي.

ومما لا يخفى أن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يجسدون خلال شهر محرم من كل سنة أروع صور التكافل الاجتماعي التي ربما يعرفها التاريخ على مر العصور حيث نلاحظ خروج الآلاف من الموالين لأهل البيت لتقديم الخدمة الطوعية في أي جانب يجدون أنه يحقق لهم ما يستحقون عليه انتسابهم الى شيعة أهل البيت والموالين لسيد الشهداء عليه السلام على وجه الخصوص، وسوف أحاول في هذا البحث الإشارة الى بعض الجوانب الشعائرية التي اتبعها المؤمنون بقضية الحسين عليه السلام من أجل تحقيق التكافل في شتى صوره وبقدر استطاعتهم.

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة محاور مع خاتمة احتوت على النتائج المبتغاة منه، وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في إعداده، تناول المحور الأول: التكافل الاجتماعي في الاسلام واثر اهل البيت عليهم السلام في دعمه وتكريسه وقد تطرق الى بداية نشأة التكافل الاجتماعي ونظرة الإسلام له من خلال ما ورد من نصوص قرآنية كريمة تحث عليه وتدعو الى إشاعته في المجتمع المسلم، فضلاً عن نماذج من حياة المعصومين عليهم السلام ودورهم في تحقيق التكافل الاجتماعي، بعيداً عن الإسهاب لئلا يخرج البحث عن هدفه الأساس الذي يتمخض في المحور الثاني الذي جاء عنوانه: أثر الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي وتم فيه إيضاح الدور الذي ساهمت فيه الشعائر الحسينية بتدعيم الألفة والتعاون بين أفراد المجتمع، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوعنا هذا في كون عاشوراء هي ثورة انتصار الدم على السيف وقد اثبتت للعالم جميعاً وعلى مر العصور أن الحق هو المنتصر مهما كانت العقبات التي تواجه صاحبه، فثورة الحسين عليه السلام كانت ومازالت الشرارة التي انطلق منها الأحرار والشعلة التي أنارت طريق الحق ودفعت الأحرار في العالم للوقوف بوجه الظلم والطغيان ومواجهة طغاة عصرهم مهما بلغ جبروتهم والمطالبة بالحقوق المغصوبة، وأصبحت واقعة كربلاء تدريجياً المحور الاساس الذي نلتمس منه العديد من الايجابيات في حياتنا ونتخذه طريقاً نحو تحقيق كل ما من شأنه ان يؤدي الى الألفة والترابط بين فئات المجتمع كافة،

وإحدى المظاهر التي دعمتها عاشوراء ورسمت طريقها واضحاً هي التكافل الاجتماعي ودوره في تحقيق الترابط والتلاحم بين الفئات كافة دون تمييز.

أسباب اختيار الموضوع

تم اختيار هذا الموضوع من بين المواضيع المقترحة لعدة أسباب:

١. التأثير الواضح لعاشوراء الحسين عليه السلام في نفوس الناس بشكل عام والشيعة تحديداً في كل عصر.
٢. التنافس الشديد بين الموالين لأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً في أيام عاشوراء لتلبية احتياجات الزائرين والسهر على راحتهم.
٣. لقد حققت عاشوراء العديد من الظواهر الاجتماعية التي عادت بمردود إيجابي على المجتمع وفي مقدمة هذه الظواهر التكافل الاجتماعي الذي تحقق من خلال زيارة الأربعين.

اهداف البحث

تتمثل أهداف البحث بتحقيق المطالب الآتية:

١. وضع مفهوم للتكافل الاجتماعي في الفكر الإسلامي يوضح أهدافه وأهميته.
٢. تحديد دور أهل البيت عليهم السلام في تحقيق التكافل الاجتماعي.
٣. تحديد دور الشعائر الحسينية في تحقيق التكافل الاجتماعي.

منهج البحث

يتمثل منهج البحث بالاعتماد على المنهج التحليلي وذلك بدراسة الجانب الفكري للتكافل الاجتماعي وفق المنظور الاسلامي وما ورد في مصادر الشريعة الإسلامية وفي ضوء الدراسات والبحوث التي تمت في هذا المجال وذلك للتوصل لتحديد المفاهيم المتعلقة بالتكافل الاجتماعي ودور الشعائر الحسينية في تحقيقه وخصوصاً في فترة الزيارة الأربعينية.

اعتمد البحث على عدد ليس بالقليل من المصادر التي رفدت بالكثير من المعلومات عن المفردات التي تم تناولها في هذا البحث وأذكر منها لا على التعيين: كتاب الكافي لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني رحمه الله (ت:٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، وكتاب آخر بعنوان الأمالي للشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، وكان لكتب اللغة نصيب في هذا البحث وفي مقدمتها كتاب لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت:٧١١هـ)، فضلاً عن إحصائية بأعداد الزائرين يشرف عليها مركز كربلاء للدراسات والبحوث/ شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين تصدر باسم النشرة الاحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة، وغيرها من المصادر.

وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه.

المحور الأول:

التكافل الاجتماعي في الاسلام وأثر أهل البيت عليهم السلام في دعمه وتكريسه

أولاً: التكافل الاجتماعي في الإسلام

بادئ ذي بدء لابد لنا من إعطاء تعريف شامل لمفهوم التكافل الاجتماعي وهذا يتطلب البحث في

مفهومه اللغوي والاصطلاحي:

التكافل في اللغة مشتق من الفعل كفل، ومادة كفل في اللغة لها اشتقاقات كثيرة ومعاني متعددة والمعنى الأقرب لموضوع البحث هو الكافل بمعنى العائل والضامن ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ الله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] أي: ضمن القيام بأمرها والكافل الذي كفل إنساناً يعوله وينفق عليه[2] وفي الحديث الشريف:» أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا إذا اتقى الله عز وجل وأشار بإصبعيه، يعني السبابة والوسطى[3].

أما في الاصطلاح: فان الملاحظ للتعاريف الحديثة التي تناولت مفهوم التكافل الاجتماعي يجدها تختلف اختلافاً كبيراً عن المفاهيم السابقة التي تعنيه، فالمفهوم الحديث للتكافل الاجتماعي جاء من الاتساع والشمول[4] بحيث شمل كل شكل من أشكال العلاقات الإنسانية بين البشر كالتعاون والتراحم والمشاركة والتضامن والتوادد والإخاء والمساعدة والإحسان والصدقة، فجاء تعريف التكافل على أنه: «أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات، حكاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية كرعاية اليتامى أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الأضرار عن أفراده»[5].

وبهذا فالتكافل الاجتماعي يقوم على مفهوم أساسي مفاده التضامن والمساندة بين أبناء المجتمع الواحد لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده وهذا يتفق مع ما يقرره النص القرآني الصريح بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا الله ۖ إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[6].

إن التكافل الاجتماعي ليس بالظاهرة المستحدثة في تاريخنا وفي مجتمعاتنا وإنما هي ظاهرة قديمة جداً قدم وجود الإنسانية نفسها، والدين الإسلامي الحنيف يعدُّه ركيزة أساسية في المجتمع البشري فهنالك العديد من الأدلة القرآنية التي تدل على أهمية وجوده في المجتمع ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[7]. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللهَ ۖ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٨].

وبما إن الإسلام هو آخر الديانات السماوية وقد جاء للعالمين فليس غريباً أن يضع نظاماً شاملاً يضم في إطاره كل أحوال الإنسان وعلاقاته وأنشطته وسلوكه وأحاسيسه ومشاعره وأحلامه وتطلعاته وميوله ورغباته فيتناولها بالتنظيم والترتيب وبالعلاج والتهذيب، ومن أجل ذلك لم يلجأ الإسلام الى التلويح بالجزاءات والعقوبات لدفع الناس الى التماس السبيل الذي يؤدي الى قيام المجتمع الفاضل، وإنما لجأ الى حث الناس الى التمسك بالفضائل ونبذ الرذائل ودعا الى إفشاء المحبة والمودة والرحمة مخاطباً في ذلك ما لدى الإنسان من نوازع الخير ومحركاً فيه أنبل المشاعر وأطيب الأحاسيس[٩].

مما سبق يتضح لنا أن مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام يعني التزام الأفراد والدولة والمجتمع بإشباع الحاجات المادية والمعنوية لأفراد المجتمع كافة، فقد جاء التكافل الاجتماعي في الإسلام شاملاً لمضامينه لا يخلو من أي نوع من أنواع السلوك القويم لهذا نجد إن الأنشطة التكافلية في الإسلام تنوعت فبعضُها ماديٌ كالصدقة والزكاة وبعضُها الآخر معنويٌ وكلّها تتجه الى طريق واحد ألا وهو التعاون والألفة بين المسلمين.

ثانياً: أثر أهل البيت عليهم السلام في تدعيم التكافل الاجتماعي وتكريسه

كما هو معروف، إن أية ظاهرة اجتماعية لا تنشأ من العدم وإنما لها مسببات ودعائم أدَّت الى وجودها، وهكذا هو التكافل الاجتماعي فهو قديم قدم وجود الإنسان كما أشرنا وحاجته الى أخيه الإنسان في كل مفصل من مفاصل حياته، وإذا أردنا أن نعرف دور التكافل الاجتماعي عند أهل البيت عليهم السلام فلابد لنا من البدء بالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان له الأثر البالغ في تدعيم وترسيخ مبدأ التكافل من خلال تأكيده على مبدأ الإخوَّة وما يستلزمه من التزامات اجتماعية كقضاء حوائج الإخوان وإعانتهم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أطعِموا الجائع، وعودوا المريض، وفكّوا العاني»[١٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سعى في حاجة أخيه المؤمن، فكأنّما عَبَدَ اللهّ تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله»[١١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قضى لأخيه المؤمن حاجةً كان كمن عَبَدَ اللهّ دهرَه»[١٢] وقد طبق الرسول هذا المبدأ في أبهى صوره وأشرف مقاصده حين آخى بين المسلمين مرة، وآخى بين المهاجرين والأنصار مرة أخرى ليجسّد لنا روح الإسلام في أروع المعاني وأدلّ الصور في وقت لم يكن للدولة خزينة أو بيت مال ينفق منه على من يستحق النفقة فكان المسلمون وحدة متكافئة يساند بعضهم بعضاً.

ونسجت مدرسة أهل البيت عليهم السلام على هذا المنوال بأقوال عديدة تعكس حالة التضامن والتكافل التي ترغب في إشاعتها بين أفراد المجتمع، فهذا أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يقول: «خيرُ الإخوان من لا يحوج إخوانه إلى سواه»[١٣]، وقد رسم لنا الإمام عليه السلام فكره الخلاق هذا في الحفاظ والتأكيد على مفهوم التكافل وحقوق الفرد وخير مثال على ذلك ما جاء في عهده لواليه على مصر مالك الاشتر حينما قال

له: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنىً لبعضها عن بعض»[١٤]، أي إن فساد أيٍّ من هذه الطبقات سيؤثر سلباً على الطبقات الأخرى، ومن ثَمَّ يفقد المجتمع تماسكه وتجانسه، وبذلك نجده عليه السلام حثَّ على اتباع شتى الطرق لمحاربة الفقر والعوز في المجتمع فسعى الى إشاعة ثقافة العمل وبيان قدسيته والقضاء على الكسل والعجز، فورد عنه عليه السلام انه قال: «إني لأبغض الرجل يكون كسلاناً من أمر دنياه، فهو من أمر آخرته أكسل»[١٥].

وها هو الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام يرسم لنا أبهى صور التكافل والرعاية الاجتماعية التي نلحظها بشكل واسع من خلال رسالته في الحقوق التي بيَّن فيها أهمية أن يكون المسلمون متكاتفين فيما بينهم يساند بعضُهم بعضاً ويحافظ على حقوقه، فكان عليه السلام وحسب ما أوردت الروايات التاريخية يسعى الى شراء العبيد من الرجال والنساء حيث كان يشتري العشرات منهم ويقدّم لهم شتى أنواع الرعاية الاجتماعية، وكان يجمعهم لاسيما في عيد الفطر فيعتق رقابهم ويخيّرهم بين البقاء أو الاستقلال في منازل خاصة بهم، فضلاً عن ذلك إنه كان يوفر للذين يقدرون على العمل فرص العمل ومنحهم بعض الأموال، أو العمل على فتح بعض المشاريع الصغيرة التي تمكّنهم من توفير احتياجاتهم واحتياج عوائلهم، أو من خلال إعطائهم أراضي زراعية للعمل فيها، وكان عليه السلام لا يحضر مائدة الطعام دون وجود اليتامى والمساكين والمحتاجين ويطعمهم بيده، فضلاً عن ذلك فإنه عليه السلام كان يحمل لهم الطعام والحطب وما يحتاجون إليه من المؤونة على ظهره ويقوم بتوزيعه على بيوتاتهم، وفي أغلب الأحيان كان لا يُعَرِّف عن شخصيته، وقد ورد عن عمرو بن ثابت: لما مات الإمام علي بن الحسين عليه السلام فغسَّلوه جعلوا ينظرون إلى آثارٍ سودٍ في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة[١٦].

ومن الأساليب التي كان يتّبعها الإمام عليه السلام في مراعاة الفئات الفقيرة والمحتاجة ورعايتهم كرهه لجمع محصول التمر ليلاً لعدم وجود الفقراء والمساكين والمحتاجين في مثل هذا الوقت فيحرمون من إعطائهم حصصهم، ويذكر الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام السجاد عليه السلام كان يعيل مائة أُسرة من الفقراء والمحتاجين سراً، ولم تعرف هذه الأسر معيلها إلا بعد أن توفي الإمام عليه السلام[١٧].

ومن الاساليب التي كان الإمام عليه السلام يتبعها في مجال الرعاية الاجتماعية للفقراء والمحتاجين، الاحتفاء بهم وتكريمهم، اذ يرحب بالسائل وإذا أعطاه قبَّلَه وتلاطف معه خشية أن يشعر الفقير بالاستحياء وذلّ الحاجة، وكان الإمام عليه السلام يقول للسائل «مرحباً بمن يحيل زادي الى دار الآخرة»[١٨].

وكان الإمام عليه السلام لا يردُّ السائل ويرى في ذلك خدشاً واستنقاصاً من كرامة الإنسان، وقد ذكر أبو حمزة الثمالي إن الإمام عليه السلام كان يؤكد بشدة في كثير من أحاديثه الشريفة على مسالة إعطاء السائل، فيقول كنت أصلّي مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة فلما فرغ من صلاته نهض وذهب الى منزله وأنا معه فدعا جارية له فقال لها: لا يعبر على

بابي سائل إلا اطعمتموه فإن اليوم يوم جمعة[١٩]. وبهذا فإنه(عليه السلام) اتبع أساليب في مجال التكافل والرعاية الاجتماعية يلاحظ بأنها مبادئ رئيسة في مجال الرعاية الاجتماعية في وقتنا الحاضر.

في حين يرسم لنا حفيده الإمام الصادق(عليه السلام) معادلة إلهية هي: «إنّ اللهّ في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه»[٢٠]. وعنه(عليه السلام): «من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم كان اللهّ في حاجته، ما كان في حاجة أخيه»[٢١]، لذلك نجد إن إمامنا الصادق(عليه السلام) أوصى بمبدأ الإخوّة في مختلف الأحوال والظروف، عن محمد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبد اللهّ، فقال له عند الوداع: أوصني، فقال:» أوصيك بتقوى اللهّ وبرّ أخيك المسلم، وأحبّ له ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه... فوازره وأكرمه ولاطفه، فإنّه منك وأنت منه»[٢٢]. فقد أكد في أكثر من موضع على التعاون ومواساة المسلم لأخيه المسلم لأنّ الإنسان خلق وحده ضعيفاً لا يقدر على شيء إلاّ إذا توفرت له ظروف التعاون مع غيره، والقليل إلى القليل كثير، والضعيف إذا ساند الضعيف قوي، فالحياة الاجتماعية ما هي إلا تعاون أفراد المجتمع في سبيل توفير الطمأنينة النفسية لأفراده الذين يقعون تحت تأثير الحاجة أو الفزع أو القلق أو الاضطراب أو العجز عن تهيئة الإمكانيات التي تعيد الطمأنينة النفسية إليهم، فقد روي عن إسحاق بن عمّار أنّه سمع الإمام الصادق(عليه السلام) يقول: «يأتي على الناس زمانٌ مَنْ سأل الناس عاش، ومَنْ سكت مات، قلت: فما أصنع إنْ أدركتُ ذلك الزمان؟ قال: تعينهم بما عندك، فإن لم تجد فبجاهك»[٢٣]. فالدعوة إلى التعاون - إذن - لازمة مهما تغير الزمان وهي بدورها تشجع على ظاهرة التكافل الاجتماعي بين الأفراد.

وكان(عليه السلام) يحث على العمل ولا يحتقر ذلك لأنّ تكريم الإنسان في عمله، فحثَّ عليه قولاً وفعلاً، وقد تظافرت الأخبار بأنّه كان يعمل بيده ويتّجر بماله، فقد أورد إسماعيل بن جابر: أتيتُ أبا عبد اللهّ وإذا هو في حائط له وبيده مسحاة وهو يفتح بها الماء[٢٤]. فكان(عليه السلام) يشجّع على العمل ويحثّ عليه لأنّه يرى أنّ الكسالة تؤدّي الى الحطّ من كرامة المرء، وتقذف به في حضيض الهوان، وان الإسلام يرشد بتعاليمه الى الجدّ وطلب المعيشة في الدنيا، كما أرشد الى العمل وطلب الجزاء في الآخرة.

وعن الإمام الكاظم(عليه السلام): «مَنْ قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية اللهّ عزّ وجل»[٢٥]. فكان(عليه السلام) نموذجاً للتكافل الاجتماعي في مجتمع أصابه الجمود والاهتزاز بفعل سياسة الخلفاء الفاسدين فتعرضت للخطر قيمه الاسلامية وتعرضت الأمة الى هبوط معنوي فكان(عليه السلام) يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الطعام في الليل وهم لا يعلمون من أين، وكان يصل بالمئة دينار الى ثلاثمئة دينار وكانت صرار موسى مثلاً[٢٦]، فغايته(عليه السلام) من هذا العمل هو تشجيع أفراد المجتمع المسلم على التكافل لكي لا يبقى في المجتمع فقير ومحتاج وأن تكون الصدقة في السر لكي لا يشعر المحتاج بالذل والخجل حيث إن الإمام طول حياته لم يخبر أحداً عن صدقاته الليلية ولكن الناس أدركوا أنه

هو من كان يتصدق لانقطاعها بعد حبسه.

وبهذا فهناك إشارات عن أهل البيت عليهم السلام على أن قبول الأعمال العبادية متوقف على قضاء حوائج الإخوان المؤمنين، وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له، كتب الله عزّ وجل له بذلك أجر حجّة وعمرة مبرورتين، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام، وَمَنْ مشى فيها بنيّة ولم تُقضَ كتب الله له بذلك من حجّة مبرورة»[٢٧].

المحور الثاني:

أثر الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي

قبل أن نبدأ بالولوج الى موضوع بحثنا الأساس المتمثل بدور الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي في المجتمع، لابد لنا من إعطاء نبذة مختصرة عن المفهوم العام للشعائر وماذا تشمل، فعلى سبيل المثال لا الحصر يوضح لنا هذا المفهوم الشيخ الطوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٨] قائلاً لا تحلّوا حرمات الله ولا تضيّعوا فرائضه لأن الشعائر جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به فإشعار المعالم من ذلك وإذا كان كذلك وجب حمل الآية على العموم أولى[٢٩]، فالشعائر إنما هي عنوانٌ عام يمكن أنْ ينطبق على كل ما يمكن أن يكون علامة أو إعلام دين الله ولا تعني الدين نفسه.

ونجد في بعض المواضع – على سبيل المثال – انطباق مفهوم الشعائر على مفهوم الحج وهذا إنما هو من باب انطباق العام على أفراده، والشعائر الحسينية هي الآثار الظاهرة على جوارح الإنسان لإظهار الحب لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣٠].

أما ما يتعلق بأهمية الشعائر فتُعدُّ الولاية للرسول محمد صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام هي جوهر وحقيقة الإيمان في نظر القائلين بها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣١]، ومن مصاديق تجسيد مبدأ الولاية هو إقامة الشعائر الحسينية لأنها من ضروریاتها، فالشعائر الحسينية في أهدافها تسعى الى إشاعة روح التآلف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ هوية المجتمع وتنبيه الشباب الى خطورة الانحراف الفكري وضرورة الالتزام بالنهج القويم فضلاً عن محاربة الظلم والطغيان.

وعند التمعن بالدور الذي تؤديه الشعائر الحسينية في تنمية التكافل الاجتماعي نجد أنه دورٌ

مؤثرٌ في المجتمع الشيعي على حدٍّ سواء باعتبار أن أغلب المؤدّين للشعائر الحسينية هم من الوسط الشيعي وهـذا بـدوره ينعكس في تعاملاتهم مع الآخـريـن لتنمية الأواصر الاجتماعية وتشجيع التكافل الاجتماعي، فكربلاء تشهد أكبر تجمع عالمي يجتمع فيه ملايين الزوار وهذا التجمع من الممكن أنْ يعكس مظاهر إنسانية غاية في الروعة فما نلاحظه بالنسبة لأغلب الناس من التباري على تقديم الطعام والشراب والاحتياجات الأخرى لبعضهم البعض، وما تقدمه الهيئات والمواكب الحسينية من مختلف أنواع الخدمات الغذائية وجميع مستلزمات الزيارة طلباً للأجر والثواب ووفاءً للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الطيبين الأطهار والقيم العظيمة التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين في واقعة الطف الخالدة، فالسقي والإطعام من أبرز المظاهر الملازمة للشعائر الحسينية وهي من الامور الموجبة للمحبة والتواصل والتكافل الاجتماعي فالفقراء والاغنياء يطعمون ويسقون على حدٍ سواء، ويستحق ساقي الظمآن ومُطعمُ الطعام الأجر والثواب، فعن الرسول محمد صلى الله عليه وآله في حثّه على السقي والاطعام عندما سأله رجل عن أيّ الاسلام خير، قال صلى الله عليه وآله: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَنْ عرفتَ ومَنْ لم تعرف»، وقال صلى الله عليه وآله في أجر من سقى الماء: «من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل»[٣٢]، فهذا هو أسمى مظاهر التكافل الاجتماعي التي من الممكن أن نجدها في أي مجتمع من المجتمعات فعاشوراء إنما قرّبت القلوب ووحدت السبل للزائرين من شتى بقاع العالم، وهذه قيمة إنسانية قبل أن تكون مبدأ دينيٌ حيث يكتسب الانسان سمة العطاء في هذه الزيارة وهو بدوره يغرس فيهم قيماً أخلاقية حميدة كالكرم والجـود والإيـثـار والابتعاد عن البخل والأنانية والتمييز العنصري حيث تلاحظ بين صفوف الزوار مختلف القوميات والاتجاهات الفكرية يفتخر كلٌ منهم بمقدار ما يقدمه من خدمة للزوار بتوفيره احتياجاتهم على طول الطريق في المسيرة الى كربلاء خصوصاً إن زيـارة عاشوراء قد اكتسبت خلال السنوات الأخيرة أهمية خاصة حيث وصلت أعداد الزائرين وفق آخر إحصائية أجرتها مجموعة من الباحثين في مركز كربلاء للدراسات والبحوث إلى ما يقارب (١٥،٣٨٥،٠٠٠) لسنة ٢٠١٧[٣٣].

فمثل هذه الأعداد وبمثل الظروف الحالية التي يمر بها بلدنا العزيز خصوصاً مع الاستهدافات المتكررة لأمنه وسيادته ومـازال الإقبال على زيارة الأربعين مع مراعاة تمام مراسيمها وكل المظاهر الايمانية المرتبطة بها وفي مقدمتها البذل والعطاء من قبل أصحاب المواكب والشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام إنما هو بحد ذاته دليل على الجانب التنموي المبذول من أجـل تحقيق التكافل الاجتماعي بين مختلف فئات الزائرين للتبرك بمرقد الامام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام.

ومن صور التكافل الاجتماعي التي برزت بشكل واسع أثناء زيارة الأربعين التلاحم الإيماني والأخوي بين جميع الزائرين على اختلاف إنتماءاتهم المذهبية

والقومية وتنوعهم الثقافي والديني لإيمانهم ان مبادئ ثورة الحسين عليه السلام ليست لطائفة أو لفئة معينة دون غيرها وإنما هي للناس جميعاً[٣٤].

ومن مظاهر التكافل الاجتماعي الواضحة للعيان في زيارة الأربعين - وذلك بحسب ما أشادت به شبكة النبأ الاعلامية[٣٥] - اللطف والأدب في تعامل الزائرين بعضهم مع البعض الآخر مما ترك انطباعاً جميلاً عنهم وهم يؤدون طقوسهم بحرية وانضباطية مما يؤدي الى التلاحم الإيماني، فضلاً عن هذا فزيارة الأربعين قد حققت مبدأً مشروعاً تدعو الى تحقيقه كل المجتمعات ألا وهو التعاون والعمل التطوعي، ونلحظ هذا بشكل ماثل للعيان في التعاون اللامحدود بين أصحاب المواكب على طول الطريق الى كربلاء في مدِّ يد المساعدة للزائرين وتوفير احتياجاتهم من نصب الخيام لمبيتهم وتوفير الطعام لهم، ونلاحظ العمل التطوعي بشكل واسع بعد انتهاء زيارة عاشوراء وذلك في قيام الآلاف من الشباب المؤمن لتنظيف مدينة كربلاء.

ومن المشاهد الجاذبة للنظر في هذا المهرجان التطوعي الكبير هو اشتراك الأطفال والشباب والنساء على نحو واسع في تقديم هذه الخدمات، وهي ظاهرة إيجابية يعمل العراقيون على تنميتها واستثمارها لأنها تزرع في نفوس الأطفال والشباب والنساء وفي عقولهم حب العمل الطوعي الذي يرتكز على إدارة جماهيرية ذات طابع تنظيمي عالي وهو بدوره يعزز ثقافة التكافل بين الافراد[٣٦]، لذلك نجد أن المرجعية قد وجّهت في أكثر من موقف ومناسبة بضرورة نشر ثقافة العمل التطوعي، وانتهاز فرصة زيارة الأربعين لكي تتحول هذه الثقافة من صيغتها الوعظية المبدئية والفكرية الى مضمار التنفيذ العملي، وهذه الثقافة ينبغي أنْ يتصدى لنشرها الجميع لمردودها الايجابي في تعميق التكافل والتعاون بين الافراد.

الخاتمة

من الامور الملفتة للنظر في بحثنا هذا أن التكافل الاجتماعي لم يكن الظاهرة المستحدثة في تاريخنا وفي مجتمعاتنا وإنما هي ظاهرة قديمة جداً قدم وجود الإنسانية نفسها، والدين الإسلامي الحنيف يعدّه ركيزة أساسية في المجتمع البشري وقد أُشير له في العديد من الآيات القرآنية التي تدل على أهمية وجوده في المجتمع ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٣٧]. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣٨].

يتجسد لنا في بحثنا هذا أن ملحمة عاشوراء انما هي صورة حية كانت ولازالت راسخة في الاذهان

على مدى الدهر لا تمحى من صفحات التاريخ مهما سعى المغرضون الى ذلك، وقد جسدت لنا عاشوراء مظاهر إنسانية غاية في الروعة في مقدمتها مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي لا يمكن أن ينكرها أحد، فما نلاحظه من مظاهر البذل للطعام وتوفير الماء وسقايته وتقديم مختلف الاحتياجات للزوار القادمين من كل بقاع الأرض للتبرك بقبر الحسين وأخيه حامل اللواء أبي الفضل العباس(عليهما السلام) من العوامل المهمة التي تساعد في تفعيل مبدأ التكافل الإجتماعي بين المسلمين وإرساء حالة المحبة والمواساة والتكاتف بين أبناء المجتمع(عليهم السلام).

الهوامش

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت- لبنان، ج١١، ص ٥٨٩.

(٣) الكليني، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق رحمه الله (ت:٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، الكافي، ط٥، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،١٣٦٣هـ، مطبعة حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران- ايران، ج١، ص٤٠٦.

(٤) للمزيد حول مفهوم التكافل اصطلاحاً ينظر: أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الاسلام، وزارة التربية والتعليم، ١٤٠٥هـ، ص٣؛ محمد، عبد الرزاق هوبي، التشريعات في إدارة الوقف، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٩، ص٦١؛ محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١، ص٧؛ الخياط؛ د. عبد العزيز، المجتمع المتكافل في الإسلام، ط١، مؤسسة الرسالة، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨١، ص٧٤.

(٥) عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ص١٥.

(٦) المائدة:٢.

(٧) البقرة:١٧٧.

(٨) الحشر:٧.

(٩) د. محمد علي المجدوب، التكافل الاجتماعي في الاسلام وأثره في منع الجريمة والوقاية منها، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الامنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢، ص١٨٥-١٩٠.

(١٠) الكليني، الكافي، ج١، ص٩٥، باب الرد الى الكتاب والسنة.

(١١) الشيخ الصّدوق، من لا يحضره الفقيه، ط ٢، الناشر: جماعة المدرسين، قم،١٤٠٤ هـ، ج٢، ص١٩٠.

(١٢) الشيخ الطوسي، الأمالي ص٤٨١، المجلس السابع عشر.

(١٣) ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد الآمدي (ت٥٥٠هـ)، غرر الحكم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، بلا. ت، ج٣، ص٣٥٠.

(١٤) عبده، محمد، نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا. ت، ص٤١٧.

(١٥) الموسوي، ميسون محمد حسين، الفكر الإبداعي في تراث الإمام علي (نهج البلاغة نموذجاً)، إطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد، ٢٠٠٥م) ص٩٣.

(١٦) محمد الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧ه)، صفة الصفوة، تحقيق: احمد بن علي، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٠،ج١، ص٣٥٥.

(١٧) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، الحاج ميرزا حسين النوري، وسائل الشيعة ومستدركها، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، بلا. ت، ج٦، ص١٣٨.

(١٨) محمد الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص٣٥٥.
(١٩) باقر شريف القرشي، موسوعة سيرة أهل البيت (الامام زين العابدين)،ج ١٥، ط٢، دار المعارف، النجف، ٢٠١٢، ص٩٢.
(٢٠) ثواب الأعمال، ص ١٣٥.
(٢١) الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص١٩٣، باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.
(٢٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٩٧، المجلس الرابع.
(٢٣) الكليني، الكافي، ج٤، ص ٤٦ باب النوادر من كتاب الزكاة.
(٢٤) حيدر، أسد، الامام الصادقﷺ والمذاهب الاربعة، المجلد الثاني، ص٢٤.
(٢٥) الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص٣٦٦. باب من استعان به أخوه فلم يعنه من كتاب الإيمان والكفر.
(٢٦) الطبري، محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، ج٨، ص٥٢٩؛ الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيتﷺ، دار التعارف، بيروت، بلا. ت، ج٢، ص٢٠٢
(٢٧) الكليني، الكافي، ج٢، ص١٩٥.
(٢٨) المائدة:٢.
(٢٩) الشيخ محمد بن الحسن (ت:٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القرآن الكريم، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، الاعلام الاسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج٣، ص٤١٩.
(٣٠) الشورى:٢٣.
(٣١) المائدة:٥٥.
(٣٢) الاعرجي، صلاح نصر حسن، فقه الشعائر الحسينية، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠١٥، ص١٢٧- ١٢٨.
(٣٣) مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسينﷺ المباركة، مركز دراسات كربلاء للنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠١٨، ص١٥.
(٣٤) وكالة أرنا الجمهورية الإسلامية، زيارة الأربعين المليونية مظهر لتبلور قوة إقليمية جديدة، ص١.
(٣٥) https://annabaa.org/ashura/1429/103.htm
(٣٦) آل كزاز، مهند، ثقافة العمل التطوعي في زيارة الأربعين، مقالة منشورة في موقع انباء براثا، ٢٠١٥.
(٣٧) البقرة:١٧٧.
(٣٨) الحشر: ٧.

المصادر

١. خير ما نستهل به القرآن الكريم
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت:٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت – لبنان، ج١١.
٣. الكليني، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق رحمه الله (ت:٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، الكافي، ط٥، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،١٣٦٣هـ، مطبعة حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران– ايران، ج١.
٤. الفيروز آبادي، مجد الدين (ت: ٨١٧هـ ١٤١٤ م)، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، مصر، د. ت، ج٤.
٥. البستاني، عبد الله، معجم البستان، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٦٧، ج٢.
٦. ابو زهره، التكافل الاجتماعي في الاسلام، وزارة التربية والتعليم، ١٤٠٥هـ.
٧. عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الاسلام.
٨. محمد، عبد الرزاق هوبي، التشريعات في إدارة الوقف، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٩.

٩. محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١.
١٠. الخياط، د. عبد العزيز، المجتمع المتكافل في الإسلام، ط١، مؤسسة الرسالة، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨١.
١١. د. محمد علي المجدوب، التكافل الاجتماعي في الاسلام وأثره في منع الجريمة والوقاية منها، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الامنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢.
١٢. الشيخ الصّدوق، من لا يحضره الفقيه، ط ٢، الناشر: جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤ هـ، ج٢.
١٣. الشيخ الطوسي، الأمالي ص٤٨١، المجلس السابع عشر.
١٤. ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد الآمدي (ت٥٥٠هـ)، غرر الحكم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، بلا. ت، ج٣.
١٥. الشيخ محمد بن الحسن (ت:٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القرآن الكريم، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، الاعلام الاسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج٣.
١٦. مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث للنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠١٨.
١٧. وكالة أرنا الجمهورية الإسلامية، زيارة الأربعين المليونية مظهر لتبلور قوة إقليمية جديدة.
١٨. عبده، محمد، نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا. ت.
١٩. الاعرجي، صلاح نصر حسن، فقه الشعائر الحسينية، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠١٥.
٢٠. آل كزاز، مهند، ثقافة العمل التطوعي في زيارة الأربعين، مقالة منشورة في موقع انباء براثا، ٢٠١٥.
٢١. https://annabaa.org/ashura/1429/103.htm

زيارة الأربعين في الشعائر الحسينية

الباحث: السيد علوي الموسوي البلادي

استراليا

الملخص

منذ استشهاد الامام الحسين بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله أقيمت مآتم العزاء والبكاء عليه وعلى أهل بيته واصحابه الكرام وجاءت الروايات الكثيرة عن أئمة الهدى عليهم السلام حاثة على البكاء والجزع على الحسين عليه السلام وزيارة قبره ومع مرور الزمان تطورت الحالة تدريجيا من مجالس الشعر والنياحة في البيوت وعند قبر الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام الى ابتكار مظاهر عامة في الأسواق والطرقات ولعل البداية زمن الدولة البويهية. قال ابن الاثير: فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٣٥٢هـ) عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ، أَمَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ النَّاسَ أَنْ يُغَلِّقُوا دَكَاكِينَهُمْ، وَيُبَطِّلُوا الْأَسْوَاقَ وَالْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، وَأَنْ يُظْهِرُوا النِّيَاحَةَ، وَيَلْبِسُوا (قِبَابًا عَمَلُوهَا) بِالْمُسُوحِ، وَأَنْ يَخْرُجَ النِّسَاءُ مُنَشِّرَاتِ الشُّعُورَ، مُسَوِّدَاتِ الْوُجُوهَ، قَدْ شَقَقْنَ ثِيَابَهُنَّ، يَدُرْنَ فِي الْبَلَدِ بِالنَّوَائِحِ، وَيَلْطِمْنَ وُجُوهَهُنَّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَفَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسُّنَّةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ لِكَثْرَةِ الشِّيعَةِ ؛ وَلِأَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُمْ[1].

وظلت حركة احياء ذكرى شهادة الامام الحسين عليه السلام تمر بمراحل واطوار مختلفة ولسنا هنا بصدد الدخول في تفاصيل ذلك، وما نود الإشارة إليه هنا هو ان هذه الحركة المباركة -والتي وضع بذرتها أهل البيت عليهم السلام وسقوها بتعاليمهم وغذوها بممارساتهم- هذه الحركة بأطوارها المختلفة ساهمت بإبقاء جذوة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وقادةً، غير أنه وقعت حوادث مؤسفة تمثلت في اعتداءات على الشيعة في بغداد وسواها منذ تلك القرون الخالية والى اليوم يدفع الشيعة ثمن ولائهم للإمام الحسين عليه السلام دما عبيطا لا ينقطع، تطالعنا به وسائل الاعلام اليوم في العراق وأفغانستان وباكستان والقطيف وغيرها من الأماكن التي يستهدف فيها الشيعة لانهم يمشون لزيارة الامام الحسين عليه السلام في مناسبة الأربعين أو يقيمون النياحة والبكاء عليه، أو لمجرد حبهم له واعتقادهم بإمامته.

والملاحظ ان أئمة بيت العصمة والطهارة عليهم السلام حثوا شيعتهم على احياء امرهم والبكاء والنياحة على مصاب الامام الحسين عليه السلام وزيارة قبره الشريف لكنهم عليهم السلام لم يستعملوا اصطلاحا خاصا وعنوانا محددا لهذا

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج٨، ص ٥٩.

الاحياء فقد استعملوا تعابير متعددة وعناوين مختلفة تهدف للتشجيع على إقامة الذكريات الحزينة وإبقاء وهجها فعالا، وبحكم اتساع احياء الذكرى الأليمة وتعدد صورها ابتكر الشيعة عناوين كثيرة للممارسات ولمن يقوم ببعض المهمات، كالمواكب الحسينية أو مجالس العزاء أو عنوان الخطيب الحسيني والمنشد وسقّاء الماء وغير ذلك الكثير فقد انبثقت أسماء وعناوين مختلفة مثل (المظاهر الحسينية) أو (المراثي الحسينية) أو (مظاهر العزاء) أو (التذكار الحسيني) أو (المأتم الحسيني) أو (المظاهرات العزائية) أو (المراسم الحسينية) أو نحو ذلك، ولم يشع استعمال عبارة (الشعائر الحسينية) أو (الشعائر العاشورية) أجل ورد مثل هذا الاستعمال في حدود معينة، لكنه انما شاع في الأزمنة المتأخرة.

ولعل الداعي لشيوع عنوان (الشعائر الحسينية) ذهاب جملة من الاعلام لدخوله تحت عنوان (شعائر الله) في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)[٢].

(٢) الحج ٣٢.

The Arbaeen pilgrimage in the Husseiniya rituals

Researcher: Sayyid Alawi Al-Mousawi Al-Biladi

Australia

Abstract

Since the martyrdom of Prophet Muhammad's grandson, Imam Hussein bin Ali, there were condolences processions established everywhere for weeping him, his family and his great companions.

So, the Hadiths came to support the narrations about crying over the beloved Imam and visiting his grave. With the passage of time, this atmosphere gradually evolved from the mourning in councils or in private houses into creating public manifestations in the markets and roads, especially at the beginning of the Bowaihi state.

It is noted that Ahl al-Bayt "peace be upon them" have urged their Shiites to revive their story and to cry for the tragedy of Imam Hussein and to visit his grave, but they did not use a specific term or certain title for these rituals, but using instead different expressions and titles to encourage the establishment of sad events and to keep their glare effective.

المقدمة

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

أهداف الدراسة :

- تأكيد استحباب إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بالبكاء على مصائبهم وزيارة قبورهم وإقامة المجالس ونحو ذلك.
- البحث حول دلالة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ﴾[1] على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام.
- الأدلة الخاصة على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين.

وبعد

منذ استشهاد الامام الحسين بن علي عليهما السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله أقيمت مآتم العزاء والبكاء عليه وعلى أهل بيته واصحابه الكرام وجاءت الروايات الكثيرة عن أئمة الهدى عليهم السلام حاثة على البكاء والجزع على الحسين عليه السلام وزيارة قبره ومع مرور الزمان تطورت الحالة تدريجيا من مجالس الشعر والنياحة في البيوت وعند قبر الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام الى ابتكار مظاهر عامة في الأسواق والطرقات ولعل البداية زمن الدولة البويهية. قال ابن الاثير: فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٣٥٢هـ) عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ، أَمَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ النَّاسَ أَنْ يُغَلِّقُوا دَكَاكِينَهُمْ، وَيُبَطِّلُوا الْأَسْوَاقَ وَالْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، وَأَنْ يُظْهِرُوا النِّيَاحَةَ، وَيَلْبَسُوا (قِبَابًا عَمَلُوهَا) بِالْمُسُوحِ، وَأَنْ يَخْرُجَ النِّسَاءُ مُنَشَّرَاتِ الشُّعُورِ، مُسَوَّدَاتِ الْوُجُوهِ، قَدْ شَقَقْنَ ثِيَابَهُنَّ، يَدُرْنَ فِي الْبَلَدِ بِالنَّوَائِحِ، وَيَلْطِمْنَ وُجُوهَهُنَّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَفَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسُّنَّةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ لِكَثْرَةِ الشِّيعَةِ - وَلِأَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُمْ[2].

وظلت حركة احياء ذكرى شهادة الامام الحسين عليه السلام تمر بمراحل واطوار مختلفة ولسنا هنا بصدد الدخول في تفاصيل ذلك، وما نود الإشارة إليه هنا هو ان هذه الحركة المباركة - والتي وضع بذرتها أهل البيت عليهم السلام وسقوها بتعاليمهم وغذوها بممارساتهم- هذه الحركة بأطوارها المختلفة ساهمت بإبقاء جذوة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وقادةً، غير أنه وقعت حوادث مؤسفة تمثلت في اعتداءات على الشيعة في بغداد وسواها منذ تلك القرون الخالية والى اليوم يدفع الشيعة ثمن ولائهم للإمام الحسين عليه السلام دما عبيطا لا ينقطع، تطالعنا به وسائل الاعلام اليوم في العراق وأفغانستان وباكستان والقطيف وغيرها من الأماكن التي يستهدف فيها الشيعة لانهم يمشون لزيارة الامام الحسين عليه السلام في مناسبة الأربعين أو يقيمون النياحة والبكاء عليه عليه السلام، أو لمجرد حبهم له واعتقادهم بإمامته.

والملاحظ ان أئمة بيت العصمة والطهارة عليهم السلام حثوا شيعتهم على احياء امرهم والبكاء والنياحة على مصاب الامام الحسين عليه السلام وزيارة قبره الشريف

لكنهم عليهم السلام لم يستعملوا اصطلاحا خاصا وعنوانا محددا لهذا الاحياء فقد استعملوا تعابير متعددة وعناوين مختلفة تهدف للتشجيع على إقامة الذكريات الحزينة وإبقاء وهجها فعالا، وبحكم اتساع احياء الذكرى الأليمة وتعدد صورها ابتكر الشيعة عناوين كثيرة للممارسات ولمن يقوم ببعض المهمات، كالمواكب الحسينية أو مجالس العزاء أو عنوان الخطيب الحسيني والمنشد وسقّاء الماء وغير ذلك الكثير فقد انبثقت أسماء وعناوين مختلفة مثل (المظاهر الحسينية) أو (المراثي الحسينية) أو (مظاهر العزاء) أو (التذكار الحسيني) أو (المأتم الحسيني) أو (المظاهرات العزائية) أو (المراسم الحسينية) أو نحو ذلك، ولم يشع استعمال عبارة (الشعائر الحسينية) أو (الشعائر العاشورية) أجل ورد مثل هذا الاستعمال في حدود معينة، لكنه انما شاع في الأزمنة المتأخرة.

ولعل الداعي لشيوع عنوان (الشعائر الحسينية) ذهاب جملة من الاعلام لدخوله تحت عنوان (شعائر الله) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٣].

استحباب إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام

لا ريب في استحباب ورجحان كثير من الممارسات التي يقوم بها محبو أهل البيت عليهم السلام كالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام وزيارة قبره الشريف والمشي للزيارة بل واللطم على الصدور وسير مواكب الحزن في الطرقات وغير ذلك الكثير اما بالعنوان الخاص كالبكاء واما بالعنوان العام كالجزع على الحسين عليه السلام، ولوضوح هذا الجانب لا حاجة لاسهاب الكلام في هذا الجانب.

كما لا ريب في استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام بالعناوين العامة، وما يثبت رجحان زيارته عليه السلام كثير بالنسبة للزيارة العامة وللزيارة الخاصة في الأربعين، وهنا نستعرض بعض الأدلة العامة والخاصة لإثبات استحباب زيارة الأربعين، فهنا مقامان:

المقام الأول: الأدلة العامة على رجحان زيارة الأربعين

أولاً- آية تعظيم الشعائر

وردت عبارة (شعائر الله) في القرآن الكريم في عدة مواضع وهي:

الموضع الأول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[٤].

الموضع الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[٥].

الموضع الثالث: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[٦]. وغني عن البيان ان كلمة (من) في الآية الأولى للتبعيض فيكون الصفا والمروة بعضا من شعائر الله واما الآية الثانية فمقتضى السياق إرادة مناسك الحج ومعالمه، ويحتمل إرادة حدود الله وكل ما جعله الله وشرعه، فيكون مفادها النهي عن تحليل الحرام وانتهاك حدود شريعته تبارك وتعالى، واما الآية الثالثة فستعرف الكلام عنها لاحقا.

الموضع الرابع: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ

نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّـهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّـهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّـهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّـهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّـهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّـهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّـهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّـهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّـهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧].

ما يهمنا في المقام هو محاولة تفسير جملة (شعائر الله) الواردة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٨]، فهذا المورد هو الذي قد يستنبط منه كبرى تعظيم الشعائر ومحاولة تطبيقها على موارد كثيرة.

تفسير عبارة (شعائر الله)

المعاني المحتملة لـ (شعائر الله)

اقوال علماء اللغة

قال الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٠هـ = ٧١٨ - ٧٨٦م): والمَشْعَرِ: موضع المنسك من مشاعر الحج من قول الله: فَاذْكُرُوا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ[٩] وكذلك الشِّعارة من شعائر الحج، وشعائر الله مناسك الحج، أي: علاماته، والشّعيرة من شعائر الحج، وهو أعمال الحج من السعي والطّواف والذبائح، كل ذلك شعائر الحجّ. والشعيرة أيضا: البَدَنَةُ التي تُهْدَى إلى بيت الله، وجُمِعَتْ على الشَّعائر. تقول: قد أَشْعَرْتُ هذه البَدَنَةَ لله نُسُكا، أي: جعلتها شعيرة تُهْدَى. ويقال: إشعارها أن يُجَأَ أصل سَنامها بسِكّين. فيسيل الدَّمُ على جنبها، فيُعرَفُ أنّها بَدَنَة هَدْيٍ. وكَرِهَ قوم من الفقهاء ذلك وقالوا: إذا قلّدتَ فقد أشعَرْتَ[١٠].

وقال الرازي (فرغ من تأليف الكتاب ٦٦٦هـ = ١٢٦٨م): وَالشَّعِيرَةُ أَيْضًا الْبَدَنَةُ تُهْدَى. وَ (الشَّعَائِرُ) أَعْمَالُ الْحَجِّ وَكُلُّ مَا جُعِلَ عَلَمًا لِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْوَاحِدَةُ (شَعِيرَةٌ) قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (شِعَارَةٌ). وَ (الْمَشَاعِرُ) مَوَاضِعُ الْمَنَاسِكِ. وَ (الْمَشْعَرُ) الْحَرَامُ أَحَدُ (الْمَشَاعِرِ) وَكَسْرُ الْمِيمِ لُغَةٌ. وَالْمَشَاعِرُ

أَيْضًا الْحَوَاسُّ. وَ (الشِّعَارُ) بِالْكَسْرِ مَا وَلِيَ الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ. وَشِعَارُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ عَلَامَتُهُمْ لِيَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَ (أَشْعَرَ) الْهَدْيَ إِذَا طَعَنَ فِي سَنَامِهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَسِيلَ مِنْهُ دَمٌ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هَدْيٌ[11].

وقال ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١م): والشَّعِيرة: الْبَدَنَةُ الْمُهْداةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنه يُؤْثَرُ فِيهَا بِالْعَلَامَاتِ، والجمع شعائر. وشِعارُ الْحَجِّ: مَنَاسِكُهُ وَعَلَامَاتُهُ وَآثَارُهُ وأَعمالُه، جَمْعُ شَعِيرَة، وَكُلُّ مَا جُعِلَ عَلَماً لِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالْوُقُوفِ وَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَالرَّمْيِ وَالذَّبْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَن جِبْرِيلَ أَتى النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مُرْ أُمتك أَن يَرْفَعُوا أَصواتهم بِالتَّلْبِيَةِ فإِنها مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ.

والشَّعِيرَةُ والشِّعارَةُ. والمَشْعَرُ: كالشِّعارِ. وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: شَعَائِرُ الْحَجِّ مَنَاسِكُهُ، وَاحِدَتُهَا شَعِيرَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَاذْكُرُوا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ؛ هُوَ مُزْدَلِفَةُ، وَهِيَ جمعٌ تُسَمَّى بِهَا جَمِيعًا. والمَشْعَرُ: المَعْلَمُ والمُتَعَبَّدُ مِنْ مُتَعَبَّداتِهِ. والمَشاعِرُ: المَعالِمُ الَّتِي نَدَبَ اللهُ إِليها وأَمر بِالْقِيَامِ عَلَيْهَا؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ المَشْعَرُ الْحَرَامُ لأَنه مَعْلَمٌ لِلْعِبَادَةِ وَمَوْضِعٌ؛ قَالَ: وَيَقُولُونَ هُوَ المَشْعَرُ الْحَرَامُ والمِشْعَرُ، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَهُ بِغَيْرِ الأَلف وَاللَّام. وَفِي التَّنْزِيلِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: كَانَتِ الْعَرَبُ عَامَّةً لَا يَرَوْنَ الصَّفَا والمروة مِنَ الشَّعَائِرِ وَلَا يَطُوفُونَ بَيْنَهُمَا فأَنزل اللهُ تَعَالَى: لَا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ؛ أَي لَا تَسْتَحِلُّوا تَرْكَ ذَلِكَ؛ وَقِيلَ: شَعَائِرُ اللهِ مَنَاسِكُ الْحَجِّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي شَعَائِرِ اللهِ: يَعْنِي بِهَا جَمِيعَ مُتَعَبَّدَاتِ اللهِ الَّتِي أَشعرها اللهُ أَي جَعَلَهَا أَعلاماً لَنَا، وَهِيَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفٍ أو مَسْعًى أو ذبح، وإِنما قِيلَ شَعَائِرُ لِكُلِّ عَلَمٍ مِمَّا تُعُبِّدَ بِهِ لأَن قَوْلَهُمْ شَعَرْتُ بِهِ عَلِمْتُهُ، فَلِهَذَا سُمِّيَتِ الأَعلام الَّتِي هِيَ مُتَعَبَّدَاتُ اللهِ تَعَالَى شَعَائِرَ. وَالْمَشَاعِرُ: مَوَاضِعُ الْمَنَاسِكِ. والشِّعارُ: الرَّعْدُ؛ قَالَ: وقِطار غادِيَةٍ بِغَيْرِ شِعارِ[12].

وقال ابن الاثير (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠م): قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ «الشَّعَائِرِ» وشَعَائِرُ الْحَجِّ آثارُه وعلاماتُه، جمعُ شَعِيرَةٍ. وَقِيلَ هُوَ كُل مَا كَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ كالوُقُوف والطَّواف والسَّعْي والرَّمْي والذَّبح وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ الأزهري: الشَّعَائِرُ: المعالمُ الَّتِي نَدَب اللهُ إِلَيْهَا وَأَمَرَ بالقِيام عَلَيْهَا.

(س هـ) وَمِنْهُ «سُمِّي الْمَشْعَرُ الحرامُ» لِأَنَّهُ مَعْلَم لِلعبادةِ ومَوْضع.

(هـ) وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: مُرْ أُمَّتَك حَتَّى يَرْفَعُوا أَصْواتهم بالتَّلْبِيَة فَإِنَّهَا مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ».

(هـ) وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «أَنَّ شِعَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي الغَزْوِ يَا منصُورُ أَمِتْ أَمِتْ» أَيْ عَلامَتهم الَّتِي كَانُوا يتعارفُون بِهَا فِي الْحَرْبِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ.

(س [هـ]) وَمِنْهُ «إِشْعَارُ البُدْن» وَهُوَ أَنْ يَشُقَّ أَحَدَ جَنْبَيْ سَنَامِ البَدَنة حَتَّى يَسِيل دمُها ويَجْعل ذَلِكَ لَهَا عَلامة تُعْرف بِهَا أَنَّهَا هَدْيٌ.

(هـ) وَفِي حَدِيثِ مَقْتل عُمَرَ «أَنَّ رجُلا رَمَى الجَمْرة فَأَصَابَ صَلَعة عُمَر فدَمَّاه فَقَالَ رَجل مِنْ بَنِي لِهْب:

أُشْعِرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» أَيْ أُعْلِم للقَتْل، كَمَا تُعْلم البَدَنة إِذَا سِيقَتْ للنَّحْر، تَطيَّر اللِّهْبِيُّ بِذَلِكَ، فحَقَّت طِيرَته، لِأَنَّ عُمَرَ لَمَّا صَدَر مِنَ الْحَجِّ قُتِل[١٣][١٤].

القدر المتيقن من معنى شعائر الله

المعاني المقطوعة بنص القرآن الكريم هي:

ألف-الصفا والمروة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[١٥].

باء-البُدن جمع بَدنة في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[١٦].

فهذان معنيان استعمل القرآن الكريم فيها جملة (شعائر الله) وهذا هو المقدار المتيقن من معنى شعائر الله بشكل عام بغض النظر عن الاستعمال في كل مورد على حدة، ولكن دراسة القرائن قد تفضي لدلالة جملة (شعائر الله) على معنى أوسع من القدر المتيقن.

الزائد على القدر المتيقن

يتلخص كلام أهل اللغة في معنى شعائر الله بما يزيد على القدر المتيقن في معنيين:

المعنى الأول: مناسك الحج وافعاله كالطواف والسعي ومعالمه بمعنى متعبدات الله سبحانه التي جعلها مواضع لعبادته كالكعبة والمسجد الحرام والصفا والمروة وعرفات ومنى والمشعر الحرام.

المعنى الثاني: أوسع من المعنى الأول وهو جَمِيعَ مُتَعَبَّدَاتِ اللهَّ الَّتِي أَشْعرها اللهُّ أَي جَعَلَهَا أَعلاماً لَنَا، وَهِيَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفٍ أو مَسْعًى أو ذبح وهو المنسوب للزجاج، ويظهر من هذا القول ان شعائر الله كل عبادة كالصلاة والحج وكل مواضع العبادة التي امر الله سبحانه وتعالى بان تكون محل عبادته كالمطاف والمسعى.

قام الفاضل النراقي (قده) (١١٨٦-١٢٤٥هـ ١١٧٢-١٨٢٩م) في عوائد الأيام بنقل جملة من كلمات اللغويين والمفسرين واستخلص منها وجوهاً أربعة قائلا: «إن المستفاد من جميعها أن المراد بـ (شعائر الله) يحتمل وجوهاً أربعة:

الأول: البُدن خاصّة.

الثاني: مناسك الحجّ وأعماله كلّها.

الثالث: مواضع مناسكه ومعالمه.

الرابع: علامات طاعة الله وأعلام دينه»[١٧].

والسيد المراغي (قده) (م١٢٥٠هـ = ١٨٣٤-١٨٣٥م) ذكر نفس الوجوه الأربعة إذ قال:

أحدها: أن يراد علامات دين الله وطاعته عموما وهذا على كونه جمع الشعار - وهو العلامة والإضافة إلى الله - يكتفى فيها بأدنى مناسبة.

وثانيها: أن يراد به البُدن خاصة.

وثالثها: أن يراد مناسك الحج وأعماله جميعا.

ورابعها: أن يراد به مواضع مناسكه ومعالمه. الى ان قال: معنى العلائم وإرادة تعظيم معالم دين الله في حج أو غيره[١٨].

ويتضح من خلال ذلك كله ان أوسع الاحتمالات احتمال شمول عنوان (شعائر الله) لكل مناسك الحج ومعالمه وكل عبادة وحد من حدود الله تبارك وتعالى وكل معلم من معالم دينه بتشريع منه، كالصلاة والصيام والحج والصفا والمروة والكعبة والقرآن الكريم والمساجد ويدخل ضمن ذلك زيارة الأربعين.

فمحل النزاع هو سعة الشعائر لكل العبادات ومعالمها المنصوصة أو ضيقها لخصوص مناسك الحج ومعالمه أو لخصوص البدنة فما لا يكون عبادة في نفسه ليس محلا للنزاع.

تأسيس الأصل:

وقبل الورود في تفصيل احتمالات المعنى المستعمل فيه في الآية الكريمة نشير الى مقتضى الأصل، وهو انه إذا ورد لفظ في الكتاب أو السنة فان كان لهذا اللفظ معنى ظاهر أخذ به، وإذا تعدد المعنى أو تردد بين أكثر من معنى، فان استظهر الفقيه أحد المعاني من النص الشرعي وفقا للقرائن فله ان يعتمد على هذا الاستظهار ولكن إذا لم يتم الاستظهار وتردد المراد بين معنيين أو اكثر كما لو تعددت اقوال علماء اللغة، فان لم يكن في المقام قدر متيقن كما لو تردد المعنى بين متباينين لم يثبت أي منهما وجرت القواعد في المقام كالعمل بالعلم الإجمالي ان كان منجزا، وان كان في المقام قدر متيقن أخذ به، وفي المقام يؤخذ بأضيق المعاني وهو البَدنة والصفا والمروة لأنه القدر المتيقن فلا يكون لعنوان (شعائر الله) حجية في المعنى الأوسع وان كان محتملا، اذ الاحتمال لا يمكن البناء عليه مع انتفاء الظهور.

وعلى تقدير ان المعنى المستظهر لا يخرج عن مناسك الحج وشك في الزائد أخذ بهذا القدر المتيقن أيضا وسقطت حجية (شعائر الله) فيما عدا مناسك الحج، وهكذا الحال لو فرضنا فقيها أحرز ظهور عبارة (شعائر الله) في كل ما ثبت استحبابه واحترامه في الدين بدليل مستقل وبصورة مسبقة وشك في المعنى الأوسع من ذلك فيسقط اعتبار الشعائر للحالات الجديدة، وهكذا نخلص الى ان الأصل هو عدم دلالة الآية الكريمة والاقتصار على القدر المتيقن.

وقد أخذ بالقدر المتيقن المحقق النراقي (قده) في عوائد الأيام كما ستعرف وفي المقابل أخذ السيد المراغي (قده) بعموم الشعائر لكل مناسك الحج ومعالمه ولكل عبادة وطاعة، وبذلك تدخل زيارة الأربعين في الشعائر وفق ما ذهب له السيد المراغي قدس سره.

خلاصة كلام علماء اللغة

وفق ما تقدم نقله عن مهرة اللغة والتفسير فان جملة (شعائر الله) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ﴾[19]، لا تخرج عن أحد معان ثلاثة:

المعنى الأول: بهيمة الأنعام أو الأنعام المذكورة فيما سبق هذه الآية وهي الْبُدْن التي ذكرتها آية لاحقة فهي قبل الإشعار بهيمة الأنعام أو الأنعام وبعده بَدنة أو بُدْن، والاشعار هو شق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي وَالْبُدْن جمع بَدنة وهي الإبل.

قال الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ = ٩٩٥-١٠٦٧م): الْبُدْن جمع بَدنة وهي الإبل المبدنة بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الإبل أي سمنتها وقيل أصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدن بدنا وبدنا إذا ضخم وبدن تبدينا إذا أسن وثقل لحمه بالاسترخاء[20].

فالشعائر على هذا جمع للشعيرة بمعنى البَدَنَة[21] وسميت شعيرة لشق سنامها علامة على انها هدي، وليس جمعا للشعار بمعنى العلامة.

المعنى الثاني: مناسك الحج ومعالمه.

المعنى الثالث: جميع حدود الله وعباداته ومواضع العبادة التي عينها الله سبحانه كذلك كالمطاف والمسعى والمساجد، وعلى هذا المعنى الثالث تدخل زيارة الامام الحسين عليه السلام عموما بما في ذلك زيارة الأربعين في الشعائر.

اما بناء على الاحتمال الأول يكون معنى الشعائر الأنعام والبُدن وتعظيم الشعائر بمعنى اختيار الحسان السمان وغالية الاثمان كما ذكره غير واحد من المفسرين.

هذا بغض النظر عن المعنى اللغوي في نفسه إذ الكلام في متعلق المتعلق للحكم وهو شعائر الله فلا يهمنا ما هو المعنى الأصلي لكلمة الشعائر بل المهم هو خصوص موضوع الحكم وهو شعائر الله وذلك لوضوح انه لم تأت الآية بصيغة (تعظيم الشعائر من تقوى القلوب) ومجردة عن القرائن حتى يتأتى الأخذ بالمعنى اللغوي واعمال الاطلاق ومقدمات الحكمة.

قال المشهدي (م بعد ١١٠٧هـ - ١٦٩٥م) في بيان قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ﴾[٢٢]: دين اللهّ، أو فرائض الحجّ ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنّها من معالم الحجّ، وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختار حسانا سمانا غالية الأثمان[٢٣].

فهم المفسرين وعلماء اللغة

فهم المفسرون وعلماء اللغة اختصاص الشعائر بما جعله الشارع في الجملة برغم اختلافهم في تفسير الشعائر تفصيلا، الا ان الأمر المشترك والجامع بينهم كون الأمر مجعولا من قبل الشارع نفسه، فبمراجعة كلمات المفسرين تجد ذلك واضحا، واليك جملة من ما قاله اللغويون والمفسرون فيما يلي:

قال في الصحاح: والشَعيرَةُ: البَدَنَةُ تُهْدى. والشَعائِرُ: أعمالُ الحجِّ. وكلُّ ما جُعل عَلَماً لطاعة الله تعالى. قال الأصمعي: الواحدة شَعيرةٌ. قال: وقال بعضهم: شِعارَةٌ. والمَشاعِرُ: مواضع المناسك. والمَشْعَرُ الحرام: أحد المَشاعِر[٢٤].

وفي لسان العرب: والشَّعِيرَةُ والشِّعارَةُ. والمَشْعَرُ: كالشِّعارِ. وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: شَعَائِرُ الْحَجِّ مَنَاسِكُهُ، وَاحِدَتُهَا شَعِيرَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؛ هُوَ مُزْدَلِفَةُ، وَهِيَ جمعٌ تُسَمَّى بِهَا جَمِيعًا. والمَشْعَرُ: المَعْلَمُ والمُتَعَبَّدُ مِنْ مُتَعَبَّداتِهِ. والمَشاعِرُ: المَعالِمُ الَّتِي نَدَبَ اللهُ إِليها وأَمر بِالْقِيَامِ عَلَيْهَا؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ لأَنه مَعْلَمٌ لِلْعِبَادَةِ وَمَوْضِعٌ؛ قَالَ: وَيَقُولُونَ هُوَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ والمِشْعَرُ، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَهُ بِغَيْرِ الأَلف وَاللَّام. وَفِي التَّنْزِيلِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهَّ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: كَانَتِ الْعَرَبُ عَامَّةً لَا يَرَوْنَ الصَّفَا والمَروة مِنَ الشَّعَائِرِ وَلَا يَطُوفُونَ بَيْنَهُمَا فأَنزل اللهُ تَعَالَى: لَا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهَّ؛ أَي لَا تَسْتَحِلُّوا تَرْكَ ذَلِكَ؛ وَقِيلَ: شَعَائِرُ اللهَّ مَنَاسِكُ الْحَجِّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي شَعَائِرِ اللهَّ: يَعْنِي بِهَا جَمِيعَ مُتَعَبَّدَاتِ اللهَّ الَّتِي أَشْعرها اللهُ أَي جَعَلَهَا أَعلاماً لَنَا، وَهِيَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفٍ أو مَسْعًى أو ذبح، وإِنما قِيلَ شَعَائِرُ لِكُلِّ عَلَمٍ مِمَّا تُعُبِّدَ بِهِ لأَن قَوْلَهُمْ شَعَرْتُ بِهِ عَلِمْتُهُ، فَلِهَذَا سُمِّيَتِ الأَعلام الَّتِي هِيَ مُتَعَبَّدَاتُ اللهَّ تَعَالَى شَعَائِرَ. وَالْمَشَاعِرُ: مَوَاضِعُ الْمَنَاسِكِ[٢٥].

قال الشريف الرضي: قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّه﴾ وهذه استعارة، والمراد مستعبدات اللهّ التي أشعرها للناس، أي بينها لهم. من قولهم: أشعرت البَدنة، إذا جرحتها في سنامها

ليسيل دمها، فيعلم أنها هدى لبيت اللهّ سبحانه: وهذا الفعل علامة لها، ودلالة عليها[٢٦].

وقال الشيخ الطوسي: واختلفوا في معنى شعائر الله على سبعة أقوال، فقال بعضهم: معناه لا تحلوا حرمات الله، ولا تعدوا حدوده، وحملوا الشعائر على المعالم. وأرادوا بذلك معالم حدود الله وأمره ونهيه، وفرائضه ذهب إليه عطا وغيره. وقال قوم: معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا شعائر الله على معالم حرم الله من البلاد. ذهب إليه السدي، وقال آخرون: معنى شعائر الله مناسك الحج. والمعنى لا تحلوا مناسك الحج، فتضيعوها. ذهب إليه ابن جريج، ورواه عن ابن عباس، وقال ابن عباس: كان المشركون يحجون البيت، ويهدون الهدايا، ويعظمون حرمة المشاعر، ويتجرون في حججهم، فأراد المسلمون ان يغيروا عليهم، فنهاهم الله عن ذلك، وقال مجاهد: شعائر الله الصفا والمروة والهدي من البُدن، وغيرها. كل هذا من شعائر الله، وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بهما، فنهاهم الله عن ذلك وهو قول أبي جعفر عليه السلام وقال قوم: معناه لا تحلوا ما حرم الله عليكم في إحرامكم. روي ذلك عن ابن عباس في رواية أخرى، وقال الجبائي الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، والحرم نهاهم الله أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام. وقال الحسين بن علي المغربي: المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة. وهو قول الزجاج واختاره البلخي. وأقوى الأقوال قول عطا من أن معناه، لا تحلوا حرمات الله، ولا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسك الحج، وتحريم ما حرم في الاحرام، وتضييع ما نهى عن تضييعه واستحلال حرمات الله، وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه، لان كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم أولى[٢٧].

وقال في موضع آخر: والشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة، وهي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، وهو مأخوذ من شعرت به: أي علمت، وكل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، وواحد الشعائر شعيرة، فشعائر الله أعلام متعبداته قال الكميت بن زيد:

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم

شعائر قربان بهم نتقرب[٢٨]

وفي زبدة البيان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾[٢٩].

أي لا تجعلوا محرمات الله حلالا ومباحا ولا العكس يعني لا تتعدوا حدود الله، فعلى هذا يحمل الشعائر على المعالم، أي حدود الله وأوامره ونواهيه وقيل هي فرايضه وقيل هي جمع شعيرة، وهي أعلام الحج ومواقفه، يعني لا تجعلوا ترك مناسك الله حلالا فتتركوها[٣٠].

قال العلامة الطباطبائي (قده): والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وكأن المراد بها أعلام الحج ومناسكه[٣١].

وقال في موضع آخر: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٣٢] «ذلك» خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك الذي قلنا، و الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة، و شعائر الله الأعلام التي نصبها الله تعالى لطاعته كما قال: «إن الصفا و المروة من شعائر الله» و قال: «و البُدن جعلناها لكم من شعائر الله» الآية، والمراد بها البُدن التي تساق هديا وتشعر أي يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي على ما في تفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[٣٣] إلخ، وقوله بعد: ﴿وَالْبُدْنَ جعلناها﴾ الآية، وقيل: المراد بها جميع الأعلام المنصوبة للطاعة، والسياق لا يلائمه[٣٤].

وانت ترى اجماع هذه الأقوال واتفاقها على ان شعائر الله سبحانه مجعولة من قبله سبحانه وتعالى بغير آية تعظيم الشعائر وخلاصة هذه الأقوال (معالم حدود الله وأمره ونهيه، وفرائضه) أو (معالم حرم الله من البلاد) أو (مناسك الحج) أو (الصفا والمروة والهدي من البُدن، وغيرها) أو (العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم، نهاهم الله أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام) ونحوها وكلها تتفق على ان الشعائر انما تكون كذلك بجعل مباشر من الشارع بصورة سابقة لآية تعظيم الشعائر.

وعلى هذا الأساس تدخل زيارة الأربعين في الشعائر باعتبارها زيارة عامة ثبت رجحانها واستحبابها على تقدير المعنى الأوسع.

قال السيد المراغي قده: ان قوله تعالى: والبُدن جعلناها لكم من شعائر الله دال على أن المراد بالشعائر: جميع المعالم، لا نفس البُدن، لأن كلمة (من) ظاهرة في التبعيض، مع أن ظاهر الآية مطلوبية التعظيم للشعائر من كل أحد، مع أنه جمع مضاف، ولا يراد من المحرم الواحد إلا بدنة واحدة غالبا، وهذا يدل على كون المراد جميع المعالم، لا خصوص البُدن. وبعبارة أخرى: تكون هذه الآية بمنزلة كبرى كلية تثبت بها مطلوبية تعظيم البُدن أيضا، فإذا انتفى احتمال الاختصاص بالبُدن فلا وجه لتخصيصه بمناسك الحج أو محال أعماله، لكونها أيضا مخالفين لصدر الآية وذيلها، فالحمل على العموم وكون الشعائر بمعنى العلامة أولى وأوفق معنى ولفظا[٣٥].

ويظهر منه رحمه الله توسيع الشعائر لجميع ما ثبت أنه من شرع الله ودينه بصورة مسبقة فقد قال: لا كلام في أن إهانة ما هو المحترم شرعا والاستخفاف به حرام الى ان قال: إنما البحث في وجوب التعظيم وعدمه. ثم قال: وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٣٦]، فيظهر من ذلك ذهاب السيد المراغي رحمه الله تعالى الى أن عموم الشعائر يتنأول ما هو محترم في الدين وعلامة له بدلالة الدين نفسه، ومن ذلك زيارة الأربعين.

وجلي ان ظاهر الآية الكريمة استعمال عبارة (شعائر الله) في هذا المورد في معنى أوسع من معنى البُدن وان لـ (شعائر لله) مصداق غير البُدْن، ولعل هذا ما استدعي القول بان المقصود بالشعائر في آية التعظيم ما يتجاوز البُدْن ومناسك الحج معا، فتدخل كل العناوين التي ثبت استحبابها وحث الشارع عليها كزيارة الامام الحسين عليه السلام ولو في الأربعين.

ثانياً- آية تعظيم حرمات الله

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[٣٧] وهذه عامة لكل حرمات الله وحدوده وظاهر التعظيم الاحترام والالتزام بشرائع دين الله، فليس في الآيات الكريمات اهمال لمناسك الحج وسائر الحدود والاحكام، وشمول هذه الآية الكريمة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مما لا ينبغي الريب فيه.

وهنا يحسن نقل ما أفاده الفاضل النراقي (قده) في عوائد الأيام وما أفاده السيد البجنوردي (قده) في القواعد الفقهية:

قال المحقق النراقي: عائدة (٢) في وجوب تعظيم شعائر الله، قد تكرر في كتب الفقهاء، الحكم بوجوب تعظيم شعائر الله، وبه يتمسكون في أحكام كثيرة من الوجوب والحرمة، كحرمة بيع المصحف وكتب الحديث من الكفار، ودخول الضرائح المقدسة على غير طهر، وأمثال ذلك.

والأصل فيه: قوله تعالى وسبحانه في سورة الحج بعد ما ذكر طائفة من مناسك الحج: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٣٨] ثم نقل جملة من اقوال اللغوين والمفسرين وعقب على ذلك بقوله: «إن المستفاد من جميعها أن المراد بـ (شعائر الله) يحتمل وجوهاً أربعة:

الأول: البُدن خاصّة.

الثاني: مناسك الحجّ وأعماله كلّها.

الثالث: مواضع مناسكه ومعالمه.

الرابع: علامات طاعة الله وأعلام دينه، والمعنى الصالح للتمسّك بالآية في وجوب تعظيم شعائر الله على ما يستدلّ به القوم هو الرابع، دون غيره من الثلاثة الأول، فالتمسّك بها يتوقّف على تعيين ذلك المعنى، ولا دليل على تعيينه إلّا عموم اللفظ، من حيث كونه جمعاً مضافاً، ومع ذلك يخدشه [أي المعنى الرابع] أمران:

احدهما انه انما يفيد لو كان الشعائر جمعا للشعار بمعنى مطلق العلامة وهو غير ثابت لاحتمال كونه جمعا للشعيرة التي هي البَدَنَة وثانيهما ان عموم الجمع المضاف انما هو في الافراد المنسوبة إلى المضاف اليه، والمضاف اليه هنا وان كان هو الله، ولكنه لما لم يصح يحتاج إلى تقدير لا يتعين ان يكون هو دين الله أو طاعته أو عبادته أو امثال ذلك، بل يمكن ان يكون هو طاعته المخصوصة أي الحج فان ادنى ملابسة كاف في الاضافة هذا مع ان تظاهر المقام لا يلائم التعميم بل يناسب احد الثلاثة كما مر في كلام البيضاوي لكون المقام مقام بيان اعمال الحج بل ما بعد هذه الآية وهو قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[٣٩] الخ... يعين ارادة احد هذه الثلاثة اذ لا يوافق قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[٤٠] إلى قوله سبحانه إلى البيت العتيق لإرادة التعميم من شعائر الله الا بارتكاب امور كثيرة مخالفة لأصل من تقدير وتخصيص كما مر في كلام الطبرسي بل في الروايتين اللتين مر ذكرهما في كلام الصافي عن الكافي والفقيه تصريح بتفسير قوله تعالى ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[٤١] إلى اخره بما لا يوافق الا احد الثلاثة بل في بعض الاخبار اشعار بإرادة البُدن خاصة من

الشعائر وهو ما رواه في الكافي بإسناده عن ابن عمار قال قال أبو عبد الله عليه السلام: اذا رميت الجمرة فاشتر هديك ان كان من البُدن أو من البقرة والا فاجعل كبشا سمينا فحلا فان لم تجد فموجوء من الضأن فان لم تجد فتيسا فحلا فان لم تجد فما تيسر عليك وعظم شعائر الله فان رسول الله صلى الله عليه وآله ذبح عن امهات المؤمنين بقرة بقرة نحر بدنة هذا ولكن الظاهر من قوله سبحانه بعد هذه الآيات وَالْبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله عدم اختصاص الشعاير بالبُدن حيث ان الظاهر من لفظه من هو التبعيض وظهر بذلك ضعف ما يستفاد من كلام جمع من الفقهاء من حمل شعائر الله على العموم[٤٢].

وواضح ان الفاضل النراقي (قده) مال الى اختصاص الشعائر بمناسك الحج ومعالمه - اعتمادا على الاجمال- مقابل عموم العبادات وما ثبت تشريعه بدليل مستقل، فلا كلام عنده في عدم شمول ما يخترعه الناس، والوجه في ذلك قوله: إن المستفاد من جميعها أن المراد بـ (شعائر الله) يحتمل وجوهاً أربعة: الأول: البُدن خاصّة الثاني: مناسك الحجّ وأعماله كلّها، الثالث: مواضع مناسكه ومعالمه، الرابع: علامات طاعة الله وأعلام دينه.

وغني عن البيان ان أوسع المعاني هو الرابع وهو خاص بما ثبت رجحانه شرعا بشكل مستقل، شاملا زيارة الامام الحسين عليه السلام خصوصا ان ما نقله عن اللغويين والمفسرين لا يتعدى ما ثبت انه من الدين بنحو مسبق.

ولما ناقش الاحتمال الرابع ونفى ظهور الآية الكريمة فيه، تكون النتيجة عدم قبوله دلالة الآية الكريمة على سعة الشعائر.

وقال السيد البجنوردي (١٣١٦-١٣٩٦هـ= ١٨٩٨- ١٩٧٦م): هذه الآيات لا ظهور لها في وجوب التعظيم وأما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ﴾[٤٣] إلى آخر الآية وإن كان النهي ظاهرا في التحريم كما قرر في الأصول، ولكن ليس المراد من إحلال شعائر الله هو إهانة ما هو محترم في الدين كي يكون دليلا على حرمة مطلق إهانة المحترمات، بل الظاهر منها بقرينة فقرات البَعد هي حرمة ترك فرائض الحج ومناسكه وأيضا حرمة عدم الاعتناء بالشهر الحرام أو القتال فيه إلى آخر الفقرات[٤٤].

ثالثاً- الروايات الدالة على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام

وهذه الروايات بلغت من الكثرة حد التواتر ولنذكر بعضا منها:

١. صحيح ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام عارفا بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٤٥].
٢. صحيح أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سأل بعض أصحابنا أبا الحسن الرضا عليه السلام عمن أتى قبر الحسين عليه السلام؟ قال: تعدل عمرة[٤٦].
٣. صحيح صفوان ابن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام قال: تعدل عمرة[٤٧].

ومن الجلي ان زيارة الامام الحسين عليه السلام العامة التي ثبت استحبابها وتأكد الحث عليها بالأخبار المتواترة تشمل يوم الأربعين بلا أدنى دغدغة.

المشي لزيارة الامام الحسين عليه السلام

ورد في روايات عديدة استحباب المشي لزيارة الامام الحسين عليه السلام نذكر منها

١. خبر الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام إن كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة، وحط بها عنه سيئة، (وإن كان راكبا كتب الله له بكل حافر حسنة، وحط عنه بها سيئة)، حتى إذا صار بالحائر كتبه الله من الصالحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: له: أنا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى[٤٨].

٢. خبر بشير الدهان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنبه[٤٩].

٣. خبر أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة[٥٠].

٤. خبر علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يا علي زر الحسين ولا تدعه، قلت: ما لمن زاره من الثواب؟ قال: من أتاه ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة[٥١].

٥. خبر سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام قال: ما أتاه عبد فخطا خطوة إلا كتب الله له حسنة، وحط عنه سيئة[٥٢].

٦. خبر أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفة له فسمعته يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً، كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل[٥٣].

المقام الثاني: الأدلة الخاصة على رجحان زيارة الأربعين

١. محمد بن الحسن قال: روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[٥٤].

٢. عن صفوان الجمال قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين تزور ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولى الله وحبيبه... وذكر الزيارة «إلى أن قال: وتصلي ركعتين، وتدعو بما أحببت وتنصرف»[٥٥].

الخاتمة في بيان فوائد إضافية دينية ودنيوية لزيارة الامام الحسين عليه السلام

ترسخ السيرة العملية للموالين بزيارة الإمام الحسين عليه السلام على مر السنين، خصوصا في مناسبة الأربعين، اكسبها زخما كبيرا، وهذا التوافد الكبير أعطاها هيبة وعظمة فغدت من علائم المؤمنين ومن أساليب ترويج المذهب والدين وإشاعة القيم الدينية الكريمة ومن دواعي التضامن الاجتماعي والتلاقي

بين المؤمنين والتواصل بين المتباعدين في الجغرافيا فتكبر فوائد اعانة الفقراء وتتوسع أساليب تقديم يد العون للضعفاء، كما ان هذه الاعداد الكبيرة من الزوار تستدعي حركة مستمرة لبناء وتطوير البنية التحتية لكربلاء المقدسة مما يترتب عليه من خلق فرص عمل كبيرة لأهل العراق من جهة كما يخلق فرصا استثمارية لأصحاب الأموال من جهة أخرى فيستثمرونها في توسعة وتطوير البنية التحتية من بناء فنادق وطرق ووسائل مواصلات حديثة فيعم الخير جميع الناس فقيرهم وغنيهم، وهكذا يعود النفع للعوائل ويساهم في اعتماد الكثيرين على كد أيديهم وكسب عملهم، فهذه فوائد إضافية ترجع في النهاية للمصلحة العامة فتجتمع مصلحة الدنيا مع صلاح الدين.

نتائج الدراسة:

- ثبوت استحباب إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بالبكاء على مصائبهم وزيارة قبورهم وإقامة المجالس ويدخل في ذلك زيارة الامام الحسين عليه السلام يوم الأربعين وفي غيره من الأيام وقد ثبت ذلك كله بأدلة كثيرة.
- دلالة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ﴾[٥٦] على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام، بناء على مذهب السيد المراغي (قده)
- يمكن الاستدلال يقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[٥٧] على استحباب تعظيم الامام الحسين عليه السلام بتعظيم ضريحه وبزيارته باعتبار شمول الآية الكريمة لكل حرمات الله وحدوده ولما كان ظاهر التعظيم الاحترام والالتزام بشرائع دين الله، وسائر الحدود والاحكام، أمكن دخول زيارة الإمام الحسين عليه السلام تحت هذه الآية الكريمة.
- الأدلة العامة على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام تثبت ضمنا استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام يوم الأربعين باعتبارها من مصاديق الزيارة العامة ولا يهم عندئذ ثبوت استحباب العنوان الخاص وعدمه.
- توفرت روايات دالة على استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام يوم الأربعين بشكل خاص.
- تجمع ملايين الزوار في مناسبة يوم الأربعين له آثار اجتماعية كبيرة ويعد من ترويج الدين وتقوية الارتباط بأهل البيت عليهم السلام ويكفي هذا الامر مزيةً إضافيةً تضفي على المناسبة مزيدا من الفوائد الدينية والوانا من الفوائد الاجتماعية والمصالح الدنيوية للمؤمنين.

الهوامش

(١) الحج: ٣٢.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج٨، ص ٥٩.
(٣) الحج: ٣٢.
(٤) البقرة: ١٥٩.
(٥) المائدة: ٢.
(٦) الحج: ٣٦.
(٧) الحج: ٢٥-٣٧.
(٨) الحج: ٣٢.
(٩) البقرة: ١٩٨.
(١٠) كتاب العين ج١، ص ٢٥١.
(١١) مختار الصحاح ص ١٦٥.

(١٢) لسان العرب ج٤، ص ٤١٤-٤١٥.

(١٣) قال محقق الكتاب في الحاشية: في الهروي والدر النثير: كانت العرب تقول للملوك إذا قتلوا: أُشْعِرُوا؛ صيانة لهم عن لفظ القتل.

(١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢، ص ٤٧٩. علق محقق الكتاب قائلا:

(١٥) البقرة: ١٥٩.

(١٦) الحج: ٣٦.

(١٧) عوائد الأيام للفاضل احمد النراقي ١١٨٥ - ١٢٤٥هـ العائدة الثانية ص ٢٩.

(١٨) العناوين الفقهية ج١، ص ٥٥٨ -٥٦٠.

(١٩) الحج: ٣٢.

(٢٠) التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٥٣.

(٢١) القاموس المحيط: والشَّعِيرةُ: البَدَنَةُ المُهْداةُ ج: شَعائرُ. ج١، ص ٤٣٤. وفي مختار الصحاح: والشَّعيرة أيضاً البَدنة تُهْدَى ص ١٦٣.

(٢٢) الحج: ٣٢.

(٢٣) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ج ٩، ص ٩٢.

(٢٤) مختار الصحاح، ص ١٦٣.

(٢٥) لسان العرب ج ٤، ص ٤١٤-٤١٥.

(٢٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، ص١٣١.

(٢٧) مجمع البيان ج ٣، ص ٤٩١. للشيخ الطوسي ٤٦٠هـ.

(٢٨) مجمع البيان للشيخ الطوسي ٤٦٠ه ج ٢ -ص ٤٣.

(٢٩) المائدة ٢.

(٣٠) زبدة البيان في أحكام القرآن للمقدس الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣.

(٣١) الميزان في تفسير القرآن ج ٥، ص ١٦٢.

(٣٢) الحج: ٣٢.

(٣٣) الحج: ٣٣.

(٣٤) الميزان في تفسير القرآن ج ١٤، ص ٣٧٣.

(٣٥) العناوين الفقهية للسيد المراغي ج١، ص ٥٦٠.

(٣٦) الحج: ٣٢.

(٣٧) الحج: ٣٠.

(٣٨) الحج: ٣٢-٣٣.

(٣٩) الحج: ٣٣.

(٤٠) الحج ٣٣.

(٤١) الحج: ٣٣.

(٤٢) عوائد الأيام للفاضل احمد النراقي ١١٨٥ - ١٢٤٥ هـ العائدة الثانية ص ٢٩.

(٤٣) المائدة ٢.

(٤٤) القواعد الفقهية/ الجزء الخامس للسيد محمد حسن البجنوردي م ١٣٩٥هـ.

(٤٥) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤١٩.

(٤٦) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤١٩.

(٤٧) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٢٦.

(٤٨) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٣٩.

(٤٩) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٤٠.

(٥٠) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٤٠.

(٥١) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٤١.

(٥٢) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٤١.

(٥٣) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٤١.

(٥٤) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٧٨.

(٥٥) وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٧٨.

(٥٦) الحج: ٣٢.

(٥٧) الحج: ٣٠.

المحور الخامس

الأبعاد النفسية والتربوية في زيارة الأربعين

القيم التربوية المستوحاة من واقعة الطف (زيارة الأربعين)

أ. م. د حسين رحيم عزيز الهمّاش

جامعة واسط / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

الملخص

سلّط هذا البحث الضوء على أهمية واقعة الطف كفكر إنساني وإسلامي، والدور الإيماني والعقائدي الثابت والراسخ للإمام الحسين عليه السلام وتضحيته من اجل هذه العقيدة كي يكون هذا الفكر دروس بليغة لكل من يسعى الى تربية وإعداد الاجيال نحو دين محمد صلى الله عليه وآله وترسيخ مبادئ التضحية والايثار، والجهاد في النفس والعيال وهما غاية في الجود، كما سلط البحث الضوء على مراحل مسيرة الإمام الحسين عليه السلام من مكة الى كربلاء والفكر والعقيدة التي أظهرها الإمام عليه السلام خلال هذه المسيرة الطويلة، وتضمن المباحث الآتية:

أ. المسير من مكة الى كربلاء.

ب. كربلاء وإدارة المعركة والفكر الذي ترجم في هذه المعركة.

ج. الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات.

The educational values from Al-Taf episode (the Fortieth visit)

Dr.Hussein Rahim Aziz Al-Hamash

Wasit university - Physical Education and Sports Sciences College

Abstract

This research deals with the importance of Al-Taf episode as human and Islamic idea and the fixed role of belief and ideological from Imam Al-Hussein peace on him and his episode for the sake of confession in order to make this idea as a great lesson for everyone who tries to educate people for Mohammed`s religion to fix the principles of sacrifice and strive as the aim. Also this report deals with Al-Hussein's demonstration from Mecca to Karbala and this include the following:

A. Walking from Mecca to Karbala
B. Karbala and the management of the battle and the idea of the battle.
C. Conclusions، Tips and suggestion.

المبحث الأول:

أولاً- مشكلة البحث:

رغم اعتراف بعض المفكرين الغربيين والساسة ونذكر منهم المهاتما (غاندي) والمستشرق الفرنسي (جون لوك)، والمسيرات المليونية في العراق والبلدان الاسلامية إلا أن فكر وفلسفة واقعة الطف وما ترجم عنها من مبادئ وقيم إسلامية وإنسانية، لم نجد بحوثاً ودراسات قد تخطت هذه الواقعة وأبرزتها الى حيز التطبيق والتنفيذ كي تكون مناراً لكل الشباب في خارطة طريق واسلوب حياتي. وما هذا البحث الا لتسليط الضوء على هذه الواقعة واستخلاص العبر والدروس واستنباطها كي تكون أهدافاً سلوكية يتسلح بها كل من آمن بفكر الإمام الحسين عليه السلام.

ولقد كانت زيارة الأربعين محرَّمة على المسلمين كافة من قبل النظام السابق، ولكن بعد ٢٠٠٣ أصبح هناك هامش من الحرية لممارسة هذه الطقوس فاندفع المسلمون من كل انحاء العالم والعراق لهذه الزيارة. مما تقدم يمكن ابراز مشكلة البحث بالاتي:

١. انشاء قيم التسامح والتضحية والايمان بالعقيدة الحسينية
٢. الحر والبرد
٣. تقديم الخدمات
٤. التضحية بالنفس بالوقت الذي كان الارهاب يضرب المسيرات الحسينية
٥. تزايد عدد الشباب الحسيني سنة بعد سنة

ثانياً- أهمية البحث:

الاهمية التطبيقية للبحث الحالي من خلال الكشف عن المعاني والدلالات التاريخية والإنسانية للواقعة، مثل تلك المعلومات نجد ضرورة في استجلائها بما لذلك من فائدة مضافة على الصعيد النظري المعرفي الذي لا يقل في أهميته عن الجانب الميداني، ذلك إن هناك فجوة في تراثنا العلمي يتوجب ردمها إذ لا يوجد في مكتباتنا دراسة واحدة تغطي تلك الواقعة المهمة على الأقل من ناحية نفسية اجتماعية على حد علم الباحث فضلاً أن هناك جملة من التساؤلات تلح في صدور الكثيرين سواء من المختصين، أو من الجمهور العام حول الواقعة...

يحاول البحث الحالي الإجابة عنها بما ينعكس تباعاً بالتبصير في جوانب متنوعة من المؤكد أنها ستستثير دراسات وبحوث لاحقة، وذلك سيؤدي حتماً الى تطوير وإغناء ثقافة حسينية رصينة تكون قاعدة فكرية معرفية للمشاعر الوجدانية بما يضمن لها السير في آفاق وقنوات تكون معها أكثر تصويباً وفاعلية، ونصل بها إلى سلوك جاد يسهم في بناء نفسي فكري لمجتمع أكثر وعياً واستقراراً...

ذلك أن الطاقة الوجدانية تظل قاصرة من دون أن تدعم بالبنية الفكرية المعرفية كي توجه بالشكل الذي يؤمن الوصول إلى الغايات والأهداف المثلى (صالح، ١٩٨٨، ص٨١).

وتجدر الإشارة إلى أن البحث الحالي لم يعتمد أو يستمد فقراته ما عدا تلك التي استحضر فيها تفسيرات علمية نفسية لمصطلح معين من مصادر

نفسية أو تلك التي وقعت عليها يد الباحث كما يلحظ، والسبب في ذلك ببساطة يعود لغياب أو عدم وجود دراسة واحدة في العراق تصدت لتلك المشكلة من الجانب النفسي الاجتماعي على حد علم الباحث.

وما يجدر بالإشارة أيضاً إن البحث الحالي لا يمثل وجهة نظر الباحث الشخصية، بالرغم من الاجتهادات التي تظهر في مواقع متفرقة منه، بقدر ما هو توظيف لوجهات النظر العلمية النفسية والاجتماعية في معالجة الموضوعات والقضايا المختلفة التي سبقت الواقعة، وكانت كعوامل سببية في نشأتها وحدوثها من جهة، وكذلك المواقف المتضمنة في ميدان وقوعها وما لها من أثار نفسية واجتماعية نستشعر أنها وراء الكثير من الأحداث والمشكلات ونقاط الخلاف حتى يومنا هذا، والتي دائما ما تستغل من قبل أعدائنا وللأسف بوعي منا من دون أن نسعى أو نبذل جهدا للنقاش والمعالجة.

ثالثاً: منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على المصادر.

المبحث الثاني:

تحليل علمي لإدارة الإمام الحسين عليه السلام لواقعة الطف

لقد اقتضى التحليل تناول الواقعة في مرحلتين وكالآتي:

مرحلة ما قبل المعركة: وهي المرحلة السابقة للمعركة، حيث جرت فيها الأمور والأحداث ذات الصلة المباشرة بقرار المعركة اللاحق فضلاً عن أنها المرحلة التي تضمنت إجراءات الإعداد والتعبئة البشرية والمادية، وما اتصل بذلك من مواقف ذات دلالات نفسية واجتماعية. ويمكن اجمالها في المحاور الآتية:

المحور الأول: مواقف وعوامل التمهيد للثورة

ويتضمن ما يلي:

١. الحسين عليه السلام في يثرب بين رسائل النجدة ومسؤولية اتخاذ القرار

بعد أن تعدت سلوكيات وممارسات الأمويين الحدود، وأفرغ الإسلام من محتواه الأساسي ولم يبقَ منه إلا الاسم فقط، بدأت الأمة تضيق ذرعاً أمام هذا الحال المتردي، وكانت مشاعر الامتعاض والضجر تلك تعم جميع أمصار الدولة العربية الإسلامية آنذاك، وعلى رأسها الكوفة كونها تأخذ أهمية خاصة باعتبارها عاصمة الدولة في أثناء خلافة الإمام علي عليه السلام، وكانت مسرحاً للتحديات والصراعات بين علي عليه السلام ومعاوية، لذلك بقي المجتمع الكوفي يتصدر الشارع العربي والإسلامي في تعاطيه مع القضايا التي كانت تبرز على ساحته. وها هي الكوفة ترسل أكثر من (١٢) ألف إمضاء في رسائل يستحثون فيها الحسين عليه السلام على الثورة ويبايعونه على النصرة. وعلى أثر ذلك قام الحسين عليه السلام بإجراء سلسلة من المشاورات مع الصحابة ووجوه المدينة في المسجد النبوي الشريف، انتهى الأمر فيها بالقرار على ضرورة النهضة ومواجهة الفساد الذي ألمَّ بالأمة. عند ذاك أرسل الحسين عليه السلام سفيراً إلى الكوفة يستطلع

له الأمر، ويقف على حقائق الأمور تمهيداً لقدومه، وكان المرشح لمثل تلك المهمة ابن عمه مسلم بن عقيل(رض). (حسين، ١٩٦٨، ص٦١).

يستدل الباحث مما تقدم على عدة مؤشرات منها: دلالة على إعطاء الحسين عليه السلام عناصر الحياة حقها من الأهمية والاعتبار، ولم يركن إلى القدر الذي يؤمن به ويعيه كما يعي نفسه إنه واقع لا محال، وأن الأمر سينتهي بقتله ومن معه في ذلك المكان، وهو ما بلغ الإمام الحسين عليه السلام به من قبل جده الرسول صلى الله عليه وآله وأبيه عليّ بإجماع الرواة. مما يدعونا للتساؤل: لماذا الاهتمام بإجراءات الإعداد والتعبئة؟ وكان على الحسين عليه السلام وهو عالم بمصيره أن ينهض على الفور ويدعو المسلمين معه للجهاد وينتهي الأمر، ويتجنب إرسال مسلم للكوفة، ويوفر على نفسه الجهد والوقت الذي استنفده بسلسلة المشاورات التي قام بها في المدينة. وكإجابة على ذلك باعتقاد الباحث إنه وفي الوقت نفسه الذي قد يصدق فيه ذلك استناداً للعناصر الغيبية الأكيدة في ذات الحسين عليه السلام الملهمة، فإنه أي الحسين عليه السلام كإنسان لا يمكن أن يفصل نفسه عن عناصر الحياة ومتغيراتها المادية هذا من جهة، وكي يقوم بمسؤوليته تجاه الجمهور الذي لا يعي ما يعيه الحسين عليه السلام من أمور غيبية ويحتاج إلى إجراءات تتناسب ومستوى إدراكه في استحثاثه للثورة من جهة (مظاهر الفساد والظلم)، وكذلك العدة المادية والبشرية في مواجهة ذلك الفساد (حشد الطاقات وجمع الأفراد) للنصرة.. مع الأخذ بالاعتبار مستوى الإيمان لكل منهم وهو العنصر الذي طالما شدد عليه الحسين عليه السلام، وهو في الوقت نفسه ما أدى الى أن لا يبقى مع الحسين عليه السلام إلا القلة القليلة التي وصل بها إلى كربلاء. وانفراج الكثيرين عنه في الطريق بعد قناعتهم بأنه لا أمل في الحصول على مكاسب ومغانم دنيوية من وراء تلك النهضة (الحلي، ١٩٦٧، ص٢٣١).

..... وخلاصة الأمر نريد القول بأنه على الرغم من أن الدافع الإيماني الأخروي كان هو العامل الأكبر، إلا أن ذلك لم يمنع الحسين عليه السلام من القيام بإجراءات التعبئة المادية الجماهيرية ولكن بالقدر الذي يخدم العنصر المعنوي، ذلك إنَّ العامل المعنوي نفسه بالأساس سيعتمد عليها في الوصول إلى غايته المبدئية الصرفة (الزبيدي، ١٩٨٨، ص٤١).

٢. الحسين عليه السلام مع الانطلاقة الأولى

بعد أن أكمل الحسين عليه السلام مهمته في إعداد الركب الذي تكامل من الاهل والأصحاب ليبلغ (٧٦) فرد، ذلك إنه شدد منذ البداية بأن لا يفرض الالتحاق به فرضاً على جمهور المسلمين، وأن لا يكون معه من هو مكره على الخروج غير راغب فيه....

وهنا وقفة نتساءل عندها...

لماذا قام الحسين عليه السلام بذلك ولم يفرض الجهاد على الأمة، على الرغم من إنَّ كربلاء لم تكن معركة شخصية بين الحسين عليه السلام والنظام الأموي بقدر ما كانت معركة الأمة كلها ضد الفساد والطغيان الذي لحق بها؟... وجواباً على ذلك يرى الباحث إنَّ سلوك الحسين عليه السلام في ذلك المحط إنما كان اختبار لدرجة الإيمان في الأمة واختياراً للصفوة المؤمنة فيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الحسين عليه السلام من

الإيمان بجهادية وعدالة نهضته إلى الحد التي لا تحتاج إلى الفرض والإجبار فهي الحجة الثابتة وصورة الحق الناصعة التي لا يدانيها أي شك فمن تخلف عنها خسر ومن التحق بها فاز. لذا كان الحسين﵇ من القناعة الأكيدة بذلك بحيث إنّهُ رأى في عمق قضيته ومبدئيتها ونقاوتها بما لا تحتاج به إلى الإلزام في النصرة.

..... ثم انطلق بعد ذلك جاعلاً خط مروره بمكة، في تلك الأثناء بلغ الحسين﵇ من بعض الأشخاص المارة في الطريق بخبر مقتل مسلم. كان لذلك الخبر وقع بالغ الألم عليه، لاسيما وأنه الخبر الأول الذي تعرضت له نفس الحسين﵇ وبداية المأساة في الفصل الحسيني الدامي، وما كان لهُ إلا أنْ أسرع مباشرة لإخبار عيال مسلم وصبيته، ومكث عندهم يحادثهم ويضمهم إلى صدره ويشاركهم مشاعر الحزن والأسى. وفي ذلك إنما يقدم الحسين﵇ لنا مثلاً واضحاً على المواساة الاجتماعية وأثرها وأهميتها، وكان هذا حاله مع الجميع فيما بعد فما كان يغادر ذوي أحد من الشهداء إلا بعد أن يطمئن أن عبرتهم سكنت ونفوسهم قد استقرت.

بعد خبر استشهاد مسلم﵇ قرر الحسين﵇ الاندفاع بالمسير بحماسة وإصرار أكثر.

وهنا وقفة نتساءل فيها:

على وفق الافتراض الأول حول إرسال مسلم من قبل الحسين﵇ بهدف تقصي الحقائق والوقوف على رأي الجمهور، لكي يحدد وفقه قراره بالخروج، فأن المفترض لما علم بأمر الانتكاسة في قتل مسلم وانقلاب الجمهور أن يرجع عن قراره ويعود. هذا أن استبعدنا إيمان الحسين﵇ المطلق بضرورة القيام بالثورة ولو بنفسه فقط، إذن وعلى هذا الأساس فأن السلوك المنطقي هنا هو أن يكون لمقتل مسلم أثر في الاندفاع أكثر بالثورة بدلاً من أن يكون سبباً للركون والتراجع، وهو ما فعله الحسين﵇.

أما بالنسبة إلى ميله للمرور بمكة، فأن له عدة مبررات منها: أن مكة تعد البلدة التي تشكل الثقل الأكبر في بلاد العرب عامة والمسلمين بصفة خاصة، لذا فهي تحمل أكثر من دلالة للحسين﵇ ومن معه وللقضية بأكملها، ففيها الكعبة المشرفة، ورمز التوحيد ومنطلق الإسلام، كما انطلق جده منها رافعاً راية الثورة ضد الظلم والانحراف ومعلناً بداية عهد جديد للحرية. (المدني، ١٩٧٤، ص١٨).

..... فهي على موعد مع الانطلاقة الثانية على يد حفيده الحسين﵇ ضمن المسار الرسالي التصحيحي نفسه. والمبرر الآخر هو إنَّ الحسين﵇ أراد أن تكون تلك إطلالته الأخيرة على البيت الحرام وليجدد عهده فيه ويذهب بمباركته فهو المعين الذي يستمد منه طاقته وهو معقل المباديء التي خرج الحسين﵇ يناضل من أجلها.

٣. من مكة استعادة المسير وبوادر الانتكاسة في الطريق

بعد قيام الحسين﵇ بإجراءات التعبئة وحشد النصرة في مكة على غرار ما حصل في المدينة، كانت النتيجة أن يلتحق به جيش قوامه الآلاف ليتوجه بهم قاطعاً الصحراء إلى العراق. وفي كل محطة للاستراحة

كان الحسين عليه السلام يؤكد مجدداً على الجمهور اللاحق به بأنهم في حال بأن يتركوه وقدره أو يتبعوه عن قناعة تامة، ولا ينتظروا من وراء تلك النهضة أية مكاسب دنيوية قد يأمل بها البعض عادة من وراء الحروب.... وفي ذلك السلوك دلالة واضحة على أن الحسين عليه السلام ما كان ينظر ولا يغتر بالكثرة بقدر ما كان ينظر ويستشعر إلى ما في داخله من كبر المعاني النبيلة الحقة في ما يناضل وما هو ذاهب من أجله إلى الدرجة التي تجعله يسير ويشعر بأنه أمة بأكملها ولا يهمه مع إحساسه هذا عدد الذين يسيرون معه بقدر ما يهمه أن تكون النفوس التي معه بمستوى عالي من الإيمان والثبات على المبدأ وليست ببعيدة عنه.

.... ويعتقد الباحث إنها كانت ذات الأسباب والدوافع التي استعرضت في صدر المحور السابق لدى الإمام الحسين عليه السلام، وكانت النتيجة أن بدأ الأفراد بالتسرب عنه في الطريق شيئاً فشيئاً لينتهي الأمر ببقاء الثلة القليلة المنتخبة من النفوس التي كان يرى الحسين عليه السلام أن كلاً منها تعادل جيشاً....

وبهذا إنما أراد الحسين عليه السلام أن يقدم لنا مثلاً حياً، ويعطينا درساً علمياً عملياً بأن النفس هي المفصل الأساس بما تحمله من خصائص فريدة، وليس هناك معنى في كثرة الأفراد التي تكون دون ذلك وإن كانت تحقق النصر المادي، فالحسين عليه السلام كان يصبو ويتطلع إلى نصر أكثر ديمومة، ومثل ذلك النصر لا يتحقق إلا في معانيه التي تظهر فيما بعد وتخلد، هو انتصار القيم والمثل، وهي الأبقى، وليس النصر المتعارف عليه مادياً في الحروب بالقضاء على الخصم. (الصدر، ١٩٧٥، ص١٣).

ودليل إثبات نجاح نظرية الحسين عليه السلام تلك هو بقاؤه مثلاً للتضحية والفداء كل تلك القرون رغم فنائه، لوعيه التام بأنه لا يمكن أن يحقق هذا الخلود إلا بتلك الصيغة، ذلك إن الفناء هو المصير الحتمي لجميع بني البشر، ولكن هناك اختلاف كبير بين ان تعيش مغتراً بنصر مادي حياتي يترتب عليه أن توضع نبراساً ومثلاً للمعاني والمبادئ العليا. إذن الحسين عليه السلام انتهى وأعداءه إلى فناء، ولكن العبرة في الموقف لكل منهم والذي جعل الحسين عليه السلام قمراً ونجماً خالداً أبد الدهر واعداءه بؤراً أو أمثالاً للعدوان والتدني والجحود، فاستحقوا النسيان أو الذكر مع اللعنة. إذن الحسين عليه السلام كان منتبهاً وحريصاً على ذلك الأمر منذ البداية، بل أن قضيته كلها تكاد تنحصر في إثبات وتحقيق هذا الدرس أو تلك الغاية، كواقع سلوكي ميداني، فالمعيار لدى الحسين عليه السلام هو ما تحمله النفس من معاني التضحية والفداء والثبات على المبدأ، لا النصر المادي الذي يزول بعد دهر.

عندما شارف ركب الحسين عليه السلام دخول أرض العراق استقبلته طلائع العدوان بمجاميع يقودها كل من شمر بن ذي الجوشن والحر بن يزيد الرياحي، وقد كلفت تلك المجموعات من قبل ابن زياد بمهمة الإغارة على الحسين عليه السلام واتباعه في الطريق بهدف بث روح الذعر في نفوسهم والنيل من عزمهم، مع إنهم في حل من محاربة الحسين والإجهاز عليه في الطريق ان كانوا يستطيعون ذلك، على أن المهمة الأساس لتلك المجموعات كانت حرف خط سير الحسين عليه السلام عن الكوفة والاتجاه به نحو كربلاء، وذلك تم بحسب إشارة الأشعث بن القيس، الذي

كان تبريره أن الحسين عليه السلام لازال يشكل مكانة كبيرة في نفوس المسلمين عموماً والجمهور الكوفي بشكل خاص، وأن دخوله الكوفة ورؤية الكوفيين له قد تؤجج لديهم روح الثورة المستعرة، وينقلب الوضع بالكامل للدرجة التي يصعب السيطرة عليه. وإشارة الأشعث تلك كانت حقيقة واقعة.

وحالما اصطدمت تلك المجموعات بضعن الحسين عليه السلام وبدأت بمزاولة سلوكياتها الاستفزازية، أمر الحسين عليه السلام أصحابه بضبط النفس، وذخر العزم لساحة المعركة لأن تلك الممارسات تقع في نطاق الحرب النفسية التي يعلم الحسين عليه السلام القصد منها جيداً، ولكنها في النهاية حققت الغاية في اجبار الحسين على تغيير خط سيره باتجاه كربلاء والنزول فيها.

وهنا وقفة ندعو فيها للتساؤل: لماذا لم يقاتل كل من قادة المجموعات (الشمر والحر) الحسين في الطريق مع أنهم كانوا مخيّرين بقتاله والإجهاز عليه أن كانوا باستطاعة من ذلك.

ويعتقد الباحث هنا أن كلاً من الشمر والحر كانوا متفقين على الغاية في تجنب مقاتلة الحسين عليه السلام وإنهائه في الطريق حتى لو كانوا قادرين على ذلك، ولكن الدوافع الذاتية لكل منهم كانت مختلفة. فمن ناحية كان الشمر يرى في الحسين عليه السلام مناسبة لتحقيق مكاسب أكبر وأبعد مدى من مؤامرة الطريق تلك، فالحسين عليه السلام لدى الشمر فرصة لاستعراض القوة والبأس في القتال امام الحشود كي يعلن عن نفسه بصورة مباشرة أو لا مباشرة كفارس غليظ القلب لدرجة وبشاعة العدوان غير المسبوقة وهو ما سيجد صداه في قلوب الجند من خشية وإتباع من ناحية، وهذا سيمتد بشكل أو آخر على القادة الآخرين من ناحية أخرى، وهو ما سيؤدي بالتالي إلى نتيجة عند القيادة الأموية في أن تضع الشمر بغاية اعتبارها بمنصب القائد مستقبلاً، كيف لا وهو قاطع رأس الحسين عليه السلام... وهل هناك أعظم من رأس ابن بنت رسول الله. وهل هناك أجرؤ من قاتله وأكثر تعبيراً عن الولاء للأمويين، إذن هو كان يسعى لتحقيق مطامح إعلامية ومناصبية كبيرة من قتل الحسين عليه السلام، وما يعزز رأي الباحث في هذا المقام هو تكرار أكثر من حادث خلاف بينه وبين عمر بن سعد قائد الجيش قبل وأثناء وحتى بعد انتهاء المعركة، ما يدلل بوضوح على وجود حالة الصراع من أجل المكاسب.

المبحث الثالث:

مرحلة إدارة المعركة

ويتضمن ما يلي:

١. الحسين عليه السلام على ثرى الطف وإجراءات التعبئة للقتال:

أ. ليلة الاجتماع الاول

بعد أن وضع الحسين عليه السلام رحله في كربلاء، أمر أصحابه بنصب الخيام، ثم قام بتوزيع الضعن من الأهل والاصحاب عليها، جاعلاً خيمته في سط المعسكر، ثم بدأ بعد ذلك بتفقد المكان المحيط بمعسكره، وكان قلقه الأكبر يتمركز حول توفر الماء، بالرغم من وجود نهر الفرات بمسافة قريبة

إلى حد ما، ولكن خشيته أن يقطع العدو الطرق بينه وبين هذا المصدر، ثم أمر بتهيئة الطعام للمعسكر. بعد ذلك دعا القوم إلى اجتماع وهو الاجتماع الأول على تراب الطف وكان ليلاً، في ذلك الاجتماع قام الحسين عليه السلام بتقسيم القوم إلى مجموعات، وعيَّن رئيساً لكل مجموعة، ثم وزعهم على المواقع، فجعل حبيب بن مظاهر على الميمنة، وزهير بن القين على الميسرة، وأخاه العباس على اللواء، وهو يكون في دائرة الوسط ومعه ابنه عليّ الأكبر. في نهاية ذلك طلب خلوة إلى نفسه. ويعتقد الباحث إنما طلب الحسين لتلك الخلوة رغبة في التأمل والمراجعة فيما اتخذه من قرارات وما قام به من استحضارات وهو أسلوب يؤكده المنظور السلوكي المعرفي الذي يقوم على إجراء مراجعة فكرية تفحص بها الفرد ما قام به من سلوك (ما قد يتضمنه من ايجابيات وسلبيات)، كي يحدد ايضاً في ضوء ذلك ما عليه القيام به من سلوك يصل به إلى أفضل صورة ممكنة. (Donovan، 1999، p.189) ولم ينم الحسين ليلته تلك حتى الصباح.

ب. صبيحة اليوم الأول

كربلاء بين النصح ونداء السلام وبين الإصرار على العدوان.

في ذلك الصبح وقف الحسين محدقاً نظره إلى الجيش المقابل وقد تكامل على الـ (٧٠) ألفاً، مستقرئاً عناوين القيادة فيه ومتفحصاً حالتهم المعنوية، ثم أدار نظره إلى معسكره مدققاً على ان كل فرد مركزه الذي حدد له، ثم ابتدأ بعد ذلك بخطاب وجهه إلى العسكر المقابل مذكّراً وناصحاً ومستبيناً لهم الأسباب والأهداف التي يبتغيها من نهضته، وموضحاً لهم تبعات ما قد يقدمون عليه والذي هو في غير صالحهم. وبهذا إنما أراد الحسين أن يلقي عليهم الحجة ويستعرض لهم حقيقة الأمور التي ضلّلها عليهم مَنْ ساقوهم إلى حرب هي بالأصل موجهة ضدهم لا في سبيلهم ومن ذلك قوله عليه السلام ((ما لكم اقتدحتم علينا ناراً اقتدحناها نحن وأنتم على عدو الله وعدوكم)) فكان تأثير ذلك الخطاب واضحاً على الجند في معسكر العدو، إذ بدأوا يتهامسون فيما بينهم وكأنهم استبصروا الحقيقة بعد أن كانت أذهانهم قد غسلت وملئت بالزيف الذي صوّره لهم جلاوزة يزيد وأعوانه والذي سرعان ما انهار وتلاشى إمام المفاهيم والحجج الحقة. ثم تطور ذلك الهمس ليصل إلى محاورة واضحة وقرار بالتمرد، الأمر الذي أحدث من جراءة اقتتال في معسكر بن سعد أودى بحياة العشرات من الجنود كما يؤكد ذلك الرواة، وكاد أن يتطور إلى انقلاب كامل لولا اعطاء بن سعد الأوامر لمعالجة المتمردين وضرب معسكر الحسين بالسهام. وكان ذلك فعل القتال الأول في كربلاء.

وهنا وقفة للتساؤل من ناحيتين:

الأولى هي وقوف تلك الثلة المؤلفة من (٧٦) فرد يمثلون معسكر الحسين عليه السلام أمام ذلك السيل العارم من الحشد المقدر بـ (٧٠) ألف فرد بما لم يحدّثنا تاريخ المعارك به من قبل، وما لا ينسجم مع قياسات التعبئة العسكرية والميدانية في المصادر النفسية العسكرية، فأين وجه الموازنة وأين وجه المقارنة أمام ذلك الفرق الهائل، ثم ما يؤلفه ذلك الحشد المتعاظم على تلك الثلة القليلة من أثر نفسي للكثرة يصل إلى درجة

مهولة لا يمكن أن تتحملها الشخصية البشرية وليس لها إلا أن تتقهقر وتنهار، وهو ما لم يلحظ ولو لحالة واحدة في معسكر الحسين عليه السلام بل العكس هو الذي حصل، إذ يحدثنا الرواة عن ذلك فيقولون كان الواحد من اصحاب الحسين عليه السلام عندما يبرز إلى الميدان فأنه يواجه بمجموعة يشدون عليه فيشد عليهم فيرجعهم إلى وسط الساحة، وكان في ذلك يرتجز ثم يندب الحسين عليه السلام فيرد عليه ليعود ببأس أكبر إلى ساحة القتال وهو كالليث الغضبان (كما يصور الرواة) ويبقى على هذهِ الحال ليقتل جماعة كثيرة ويستمر كذلك إلى آخر رمق منه حتى يستشهد.

هذهِ الطاقة الجبارة وهذا الصمود النفسي البدني الاسطوري لا يمكن أن نجد تفسيراً له في علم النفس بتلك الدرجة اللامعقولة. يضاف إلى ذلك عامل العمر وكان الكثير منهم بأعمار متقدمة كحبيب بن مظاهر وهو رجل في الـ (٦٨) من عمره وهو ما لا يتناسب مع تلك القدرة الهائلة في الفعل القتالي وتحمل أهوال الميدان. وإن ما يجدر بالذكر أن هذهِ الطاقة تنبه لها الحسين عليه السلام وحرص على ترقيتها واستثمارها في الميدان وقد فعلت فعلها وهي ما تسمى الآن في علم النفس العسكري بـ (المعنويات) وهي من الاكتشافات التي يفخر بها علماء النفس في العصر الحديث (الزبيدي، ١٩٨٨، ص٤٠)، إذ نجد صورة واضحة عملية تطبيقية لها عند الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء قبل (١٤٠٠) سنة.

أما الناحية الثانية، فهي وقع الخطاب الموجه من قبل الحسين عليه السلام على أفراد جيش الخصم والذي يزودنا بدلالتين الأولى هي تعضيد لرأي الباحث في بداية البحث حول مشاعر الامتعاض والكره من قبل الجمهور تجاه الامويين وبالتأييد الى ما يرسمه ويصوره ويعمل عليه معاونو النظام الأموي ومريدوهم، وما التحشيد الذي يقوم به الأمويون للجمهور ضد قادة الحرية الا هو انجاز التعبير كسلطة الذئب في سوق للغنم سرعان ما تنقلب عليه عند تحررها منه، والدلالة الثانية هي قدرة الحسين عليه السلام على امتصاص زخم التأثير النفسي والمعنوي المضاد بل ومقابلته بتأثير أقوى يصل إلى غاياته في بث الانهيار والتزعزع في نفس العدو، أي أن الحسين عليه السلام وأصحابه لم ينجحوا فقط في مواجهة الحرب النفسية لذلك الحشد المهول، بل زادوا على ذلك بأنهم هم قاموا باستثمار العوامل والمقومات المتوفرة في شخصياتهم وميدانيتهم في شن حرب نفسية مضادة بقيت تفعل فعلها حتى آخر المعركة وهو ما لا يتفق مع كل القواعد والقياسات المنصوص عليها في علم النفس العسكري.

ج. من مواقف الفداء والتضحية اللا معهودة في اليوم الأول

كان الشوط من القتال في الطف قاسياً وصعباً ومؤلماً أشد الألم حيث انتهى ذلك اليوم على مصرع (٤٠) رجلاً من اصحاب الحسين عليه السلام وفتيان اهل بيته وكان لكل مصرع موقف يحمل معاني نفسية واجتماعية حية.

ومن بين أهم واشد تلك المواقف إيلاماً وقسوة على نفس الحسين عليه السلام هو مصرع ابنه علي الأكبر. كان علي الأكبر غلاماً يؤكد الرواة إنه كان في مقتبل عمره

ويحصرون ذلك بعمر من (١٧-١٩) سنة، وهو ما تحدده المصادر النفسية بعمر المراهقة (Adlosecant)، وتطرح تلك المصادر بأن هذهِ المرحلة تعد حرجة في النمو البدني وكذلك النفسي عادة ما يغلب على الذات طابع التذبذب في المزاج، ضعف الاتزان الانفعالي، وصعوبة في الاستقرار على رأي واتخاذ الاتزان الانفعالي، وصعوبة في الاستقرار على رأي واتخاذ للقرار (Kandel، 1978) (Katel، 1968، p.56) (p.23).

وأن أردنا تطبيق هذا البروفايل (المخطط) النفسي البايلوجي الحتمي على موقف علي الأكبر لوجدنا خروجاً واضحاً عنه، فقد كان من النضوج والحزم في التلبية والقناعة والثبات على المبدأ والاستشهاد في سبيله بمراحل متسامية.

فقد برز علي الأكبر للميدان وعيون أبيه الحسين عليه السلام ترقبانه وهل هناك أكثر قرباً من الإبن لأبيه، فهو جزء منه وما يطلق عليه دارجاً بـ (فلذة كبده)، وأن أردنا فحص مدى انطباق هذا الوصف العامي على الحقيقة لوجدنا حقيقة نفسية مشاعرية داخلية تقابل ذلك.

وثب علي الأكبر في نهاية الأمر وتعرض لمواقف كانت تستنفض الوجدان الانساني من اعماقه، رجع مرة من ساحة الوغى إلى أبيه يشكو إليه الظمأ، ويرجو منه اشباع واحدة من أهم حاجاته الأساسية للبقاء وهو الماء فما توفر له، ثم رجع على تلك الحال لينتهي منهكاً ممزقاً في ساحة القتال.

كان الحسين عليه السلام متابعاً لكل ذلك المشهد، رأى بأم عينه كيف قتل ولده بذلك المنظر البشع الذي لا تقوى على تحمله النفس البشرية، فجاء إليه وهو مرمياً على الأرض فرمى بنفسه عليه مجهشاً بالبكاء بصوت سمع في انحاء المعسكر.

كان هذا الموقف الأشد ألماً على قلب الحسين عليه السلام كيف لا وهو الولد (فلذة الكبد)، وأطال الحسين عليه السلام المكوث عند علي الأكبر والقوم من حوله متحيرون لا أحد يجرأ أن يقول له سيدي قم من عند ولدك، تقديراً لفداحة الأمر وضخامة الحدث، إلى أن خرجت إليه أخته زينب عليها السلام وهي باكية صارخة.

ويقول الراوي هنا خرجت زينب لتحافظ على أخيها لأنه إن بقي عند ولده يخاف عليه من الموت.

وهنا وقفة للتساؤل:

هل كانت لزينب معرفة بأن للانفعال أثراً على باقي الفعاليات الحيوية ومن أهمها القلب الذي يمكن أن يشهد ما يسمى في علم الطب الحديث بالجلطة من جراء انفعال حاد.

وهو ما يدلل على المعرفة العالية للعرب ولأهل البيت بشكل خاص بأمور شتى منها الأمور النفسية والبدنية. عندما حضرت زينب عند الحسين عليه السلام لم يكن له إلا أن استجاب لمقدمها والعودة الى مكانه أمام المخيم.

هذا الصراع بين عاطفة الأبوة والفداء والمرابطة على المبدأ هو بحد ذاته انسجام للخصائص الوجدانية البشرية والقيم المثلى للأنا العليا.

بعد ذلك الفقد العظيم صمم الحسين عليه السلام على الاستمرار والمواصلة بشحذ الهمة في النفس لأعلى

درجة ممكنة، هذهِ الذات الصلدة والمحيرة بنفس الوقت تعود لمركزها تمارس القيادة دون أن تدع مجالاً للوهن أن يتملكها ويتمكن منها، وليس هناك صدمة أقسى وأكبر من صدمة فقدان العزيز وخصوصاً الإبن.

.... إذ تشير الدراسات إلى أن نسبة (٤٠٪) من حالات الإصابة باضطراب ما بعد الصدمة (**Post Trauma Stress Disorder**) يمثلها آباء وأمهات قد شهدوا وفاة أبنائهم او أعزائهم بموقف حادث مريع (**DSM- IV، 1994، P.42**).

.... لكننا لم نلحظ ذلك على سلوك وشخصية الحسين عليه السلام، بل على العكس عاد بنفس ما كان عليه من الاستقرار والثبات قبل الحادث بإجماع الرواة.

.... بعد استشهاد عليّ الأكبر تقدم البعض من آل البيت وانتهوا على نفس الشاكلة، وما رافق ذلك من مظاهر أسى وحزن نفسي انفعالي مؤلم.

د. الموقف الشجاع والقرار الجريء

أمام تلك المشاهد التي لا تحتمل النفس الإنسانية السوية هضم ألمها، ولا يمكن أن تحتملها من دون تأثر إلا الذات المعتلة نفسياً بالعدوان.

وإزاء تلك المشاهد المروعة للقتل والتنكيل كانت هناك ردود أفعال وانعكاسات نفسية قوية على الافراد في معسكر العدو، فهناك من عبر عن امتعاضه صراحة لتلك المبالغة في العدوان، وهناك من انتقد تلك الفضاعة في التعدي والتجاوز على الحرمات، وهناك من وقف متحيراً أمام براهين لا يمكن التغاضي عنها، وفيها دلالة واضحة على وجود قوى غيبية تقف وراء تلك الثلة وبقي لا يعرف ما يقول وما يفعل.

والبعض الآخر كان من الشجاعة والاعتراف بالحق، والسأم من الباطل من القوة بحيث ترجمه إلى موقف سلوكي أسطوري في نصرة الحق وأن قلَ أهله وكثر أعداؤه، كان يراه في ذاته ويستشعره بوجدانه، ذلك الوجدان الذي بقي نقياً رغم وجوده في ركب الانحراف والضلال، فقرر قراره البطولي بوثوق وثبات ومن دون أدنى تردد، فاستحق بجدارة أن يشعه التاريخ مثلاً للموقفية الملحمية، ويخط اسمه بأحرف من نور، فقد طبق نظرية انتصار الأنا الأعلى بأرقى مستوياتها، وأعطى مثلاً حياً لسمات الشخصية الراسخة مقابل الشخصية المنحرفة المفروغة من القيم الإنسانية، وهي إمثولة واضحة لا لبس فيها عن الصراع بين ارادتي الخير والشر، تجلت على ثرى الطف في موقف وشخص الحر بن يزيد الرياحي تلك الشخصية التي تستشم وتستشعر عبقها من كلمات الرواة وتتلمس عمقها من السطور التي حملت وصفها.

كان الحر ينظر مثل الآخرين إلى مسرح المعركة، إلا أنه كان يختلف عنهم في شعوره الداخلي إزاء ما يحصل من جرائم، وكان يستجيب لها داخلياً بأعلى درجات الحسرة والمرارة والألم، ذلك أن ما يراه خارج عن كل الموازين ولا يمكن أن يستوعبه العقل والذات الإنسانية السوية، وبنفس الوقت كان يستوعب ما يراه من مشاهد للبطولة والتضحية والإيثار كونها تنسجم مع خصاله وقيم ذاته النيرة، فكان مثله كالشمعة في وسط الظلام او كالنور في القمة.

فما كان لتلك الخصال في النهاية إلا أن تظهر جلية وما كان للحر أن يهد حاجز صمته ويزيل الستار عن تلك المشاعر التي لم يعد يطيق احتمال كبتها في نفسه، وكانت مظاهر ذلك الصراع قد باتت عليه، فسأله صاحبه الذي كان بجانبه وقال له: (ويحك يا حر أترتَجِف خوفاً، والله لو سئلت من أشجع الكوفة لما عدوتك ((أي لما قلت غيرك))، فرد عليه الحر: لا يا هذا ما ذلك الذي تظن أني أخير نفسي بين الجنة والنار، وهو شاهد على الصراع الذي يعتمل في نفس الإنسان بين إرادتي الخير والشر، إلا أن الحر في نهاية الأمر اختار طريقه الذي لم يكن يوماً في مبعدة أو انحراف عنه، فردد بصوت عالٍ مدوي: لا والله لا اختار على الجنة شيئاً وضرب فرسه متجهاً صوب الحسين عليه السلام، ولما وصل عنده جثا على ركبتيه آسفاً معتذراً على ما جرى منه، طالباً منه الصفح، فباركه الحسين عليه السلام وأثنى على موقفه الشجاع العزوم، وثمن ذلك بابيات من الشعر قالها فيه، ثم قال له انهض يا حر إنك حر في الدنيا وفي الآخرة.

عندها طلب منه الاذن بالقتال فإذن له، فقاتل قتالاً جاوز فيه حدود البطولة واستحق به ان يكون نجماً وعنواناً للتضحية والفداء والنضال ضد الطغيان حتى انتهى صريعاً في ذلك الموقف، فأتاه الحسين عليه السلام وبكاه وحزن له كحزنه على أيٍّ من اولاده واهل بيته وأصحابه النجباء. وسجل موقف الحر كمنعطف رئيس مميز في الواقعة كانت له انعكاساته على مجريات الاحداث اثناؤها وبعدها، وإلى الآن ظل موقف الحر وأسمه يتلألآن في سماء الملحمة، ويشكلان محطة استثنائية خاصة لا يمكن تجاوزها، ولا يسع الكل من المهتمين بالقضية الحسينية سواءً المختصين او الجمهور العام الا الوقوف عندها وتأملها والاستبصار فيها واستخلاص المعاني والدروس من سمات غنية عديدة تضمنتها على رأسها الوفاء والتضحية والقناعة والاعتراف بالحق والجرأة في اتخاذ القرار والاندفاع الثوري والانتصار على الذات وميلها الفطري للبقاء، حتى ليكاد الحر بموقفه يشكل مدرسة لوحده في الإطار النظري والميداني النفسي الاجتماعي الكربلائي.

هـ. اليوم الأخير ومواقف أكثر ألماً وأسى

في نهاية أكثر من مأساوية، وعندما لم يبق مع الحسين عليه السلام أحدٌ من أهله إلا أخيه العباس، نظر إلى الساحة وجدها خالية سوى القتلى من الأعزة الذين صمموا نذر أنفسهم لمقارعة الشر ونصرة القيم العظمى. فطلب من أخيه الحسين عليه السلام أن يقاتل بين يديه وهو آخر ما بقي عنده، فأشار إليه بأن يجلب شيئاً من الماء لعياله، فأجابه لذلك واتجه نحو الماء، وعند الماء همَّ العباس عليه السلام بشرب الماء كونه كان يتلظى عطشاً، وعلى علمنا إن الكائن الحي لا يمكن له الاستغناء عن إرضاء حاجاته الفسيولوجية فترة طويلة مهما أراد واولاها الماء والطعام، ذلك إنها حاجات بايولوجية ملحة لا يسع الكائن الحي إرجاء اشباعها مهما كانت الاحوال والظروف، ولكن نجد هنا صورة مغايرة لذلك كالعادة، لتبقى كربلاء متفردة بكل مواقفها وجزئياتها ومحيرة للفكر والعلم الإنساني في الوقت نفسه. فالعباس عليه السلام رغم ما هو فيه من نقص حاد وحاجة للماء أبى أن يسد حاجته لأنه

تذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام فرمى الماء من فمه، إن ذلك السلوك يعطي دلالة واضحة على الأثر العالي للروابط والقيم الوجدانية الاجتماعية لتلك النماذج الشخصية الاسطورية.

بعد ذلك عاد العباس عليه السلام ممسكاً بيد لجام فرسه وبالأخرى قربة الماء التي ينتظرها أطفال ونساء المخيم بشوق إلا إن الاعداء حالوا دون وصول هذا الماء إلى من كان ينتظره، إذ اعترضوا طريق العباس وأردوه صريعاً، استبطأه الحسين عليه السلام فذهب باحثاً عنه فوجده مرمياً على الأرض يعالج أنفاسه الأخيرة، فأتى به إلى المخيم على تلك الحال فاجتمع حول الصبية والنسوة والحسين عليه السلام ينظر إلى هذا المشهد الدامي الملهب للعاطفة والصعب على قلب إنسان احتماله، ويا لها من نفس تحتمل كل تلك الضغوط الصدمية الهائلة.

بعد ذلك المطاف لم يعد للحسين أحدٌ إلا نفسه فعزم على ملاقاة الحشود، فدعا بثياب خرقة لا يرغب فيها أحد ليضعها تحت ثيابه كي لا يسلبها، فأتته أخته زينب بثوب من الخام الخشن، فرد عليها وقال لها اختاه أنا أبن ابيك هذا ثوب من ضربت عليه الذلة، فأتته بثوب من الخز (أي الحرير)، ففزره أي مزقه ووضع تحت ثيابه.

وهنا وقفة تستدعي التساؤل:

إن الحسين عليه السلام وهو في تلك الحال يطلب شيئاً ويؤتي به ويتفحص نوعه ويرفضه ليأتوه بشيء آخر، معنى ذلك إنه برغم كل الجراحات ورغم كل الصدمات التي تعرض لها يبقى على حالة الاستقرار النفسي المعنوي الذاتي ومن دون إهمال او ضعف انتباه لكبائر الأمور وصغائرها والاشياء، ونحن تعودنا إن نلحظ الفرد في ساعة وقوع المحنة بوفاة أحد الأعزة فأنه يتخلى عن جملة من الاشياء، إذ يكون مشوشاً أو مندهشاً بما هو فيه من أعراض الصدمة، وبذلك فأن تلك الصورة النفسية السلوكية للحسين عليه السلام تفرض ذاتها كواحدة من أعاجيب الدهر التي لم تُرَ في غيره من قادة البشر وليس في حكمنا هذا أدنى مبالغة، ذلك إن للأفراد جميعاً طاقة للتحمل عادة ما يقفون عندها وهو ما تؤكده معظم المصادر النفسية، وتظهر عليهم ملامح التدهور بعد تكالب واجتماع أكثر من ضغط وليس بمقدور أكثرهم تحملاً لتلقي نبأ وفاة ابنٍ له ولا يظهر شيئاً من الاختلال في سلوكه، فكيف وهو رأى ابنه يُقتل أمامه بل وأكثر من ابن واحدٍ وأخ، وفي خضم معركة يقابل فيها سبعون فرداً سبعين ألف فرد، فالبديهي والواقع السائد الحتمي أن تشهد الرضوخ والانهيار وطلب الاستسلام، وهو ما لم يلحظ منه شيء على سلوك الحسين عليه السلام بل كان في غاية الوثوب والاستقرار النفسي والانفعالي يقاتل بضراوة وصمود لآخر لحظة حتى مصرعه.

المبحث الرابع:

أ. الاستنتاجات:

١. لقد انتهى ذلك المشهد باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على يد الشمر بن ذي الجوشن ولكنه لم ينته كعنوان بل طبع على صدر التاريخ بأحرف الفخار والكبر جزاءً بما قدم وضحى.
٢. أعطاه ذلك الموقف فرصة لحياة أكبر في الدنيا

وجزاءً أعظم في الآخرة وخلد ومن معه من الأهل والأصحاب رمزاً للشهادة والنضال من أجل الحرية، وخلد قاتلوهم أيضاً مثلاً للشر والانحراف والنفس المريضة بالعدوان.

٣. هكذا كانت كربلاء وستبقى أنشودة للوفاء والكرامة ولكل المثل العليا، وهكذا كان الإمام الحسين عليه السلام ولا زال وسيبقى الصوت الناطق لكل مظلوم على وجه الأرض، والمعين لكل الأمم في نضالها ضد الطغيان وسعيها للتحرر.

٤. ٤- أسس الإمام الحسين عليه السلام فكراً تحررياً للثورة ضد الظلم وعدم الخنوع للباطل، حيث شعوباً كثيرة اعتمدت هذا الفكر مسلمة وغير مسلمة.

٥. ٥- ستبقى كربلاء عبير الجراح وزهو الدم العلوي الابي وصرح مجد بناه الحسين عليه السلام فابدع برصفه المعجب.

ب. التوصيات:

في ضوء استنتاجات البحث الحالي يوصي الباحث بما يلي:

١. إجراء المزيد من الدراسات والبحوث عن استراتيجيات إدارة معركة واقعة ألطف.

٢. الاقتداء بإدارة المعركة للإمام الحسين عليه السلام في واقعة ألطف كونها تمثل أعظم ثورة إدارية في التاريخ القديم والمعاصر على مستوى السياسة والمؤسسات المختلة.

٣. ادخال القيم التربوية الواردة في هذا البحث والمستنبطة من معركة الطف في مناهج وزارة التربية والتعليم العالي.

٤. مسؤولية رجال الدين لا تنحصر على المحاضرة النظرية في المساجد والمؤسسات الاخرى وانما تحويل القيم الى سلوك عملي لدى مريدي المساجد والمأتم وغيرها.

٥. تلعب الاسرة دوراً كبيراً في تنشأة الاطفال في المراحل العمرية المبكرة على قيم وفكر الإمام الحسين عليه السلام التربوية.

٦. طبع كتيبات عن الواقعة مصورة لنشرها للعالم الاسلامي وغير الاسلامي وتبصيرهم برسالة الإمام الحسين عليه السلام ضد الظلم.

ج. المقترحات:

استكمالاً لنتائج البحث الحالي وتطويراً له يقترح الباحث إجراء الدراسات اللاحقة الآتية:

١. دراسة عن الأبعاد السيكولوجية لإدارة معركة ألطف.

٢. دراسة عن البعد التفكيري وإدارة الإمام الحسين عليه السلام لواقعة ألطف.

٣. الادوار التربوية لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف.

المصادر

١. حسين، عزيز، الفكر الإداري لواقعة ألطف، بغداد، ١٩٦٨.

٢. الحلي، عز الدين، الإمام الحسين عليه السلام انموذجاً وقدرة العراق، ١٩٦٧.

٣. الزبيدي، باسم، ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة متجددة، العراق، كربلاء، ١٩٨٨.

٤. الشبلي، جابر، دروس مستنبطة من ثورة الإمام

الحسين عليه السلام، النجف الأشرف، ١٩٧٨.

٥. صالح، قاسم حسين، الشخصية العراقية، بغداد، ١٩٨٨.

٦. الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، العراق، ١٩٧٥.

٧. المدني، أحمد، الحكمة الإدارية لواقعة ألطف، طهران، ١٩٧٤.

٨. مظهر، كمال، الفكر الفلسفي لواقعة ألطف، بغداد، ١٩٨٤.

٩. هيكل، محمد حسين، الإمام الحسين عليه السلام، معجزة التاريخ، القاهرة، ١٩٨٦.

١٠. الوردي، علي، طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

١- DSM- I- V. battle Management. N.y 1994.
٢- DonoVan، M. K. Personal Psychology. N.y 1999.
٣- Katel، organizational behaviour. U. S. A 1968.
٤- Kandel، V. L. group Management. N. y. 1978.

المقابلات

١. مقابلة الاستاذ الدكتور كاظم كريم رضا الجابري، الخبير والمتخصص في الشؤون التربوية والنفسية بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١٨، عميد كلية صدر العراق الجامعة.

٢. مقابلة الاستاذة الدكتورة سهيلة محسن كاظم الفتلاوي الخبيرة والمتخصصة في الشؤون التربوية بتاريخ ٢٢/ ٦/ ٢٠١٨، جامعة واسط - كلية التربية الاساسية.

المسايرة لدى زوار زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام

حنين كاظم هندي الحسناوي

ماجستير علم النفس

مركز الارشاد الاسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة

الملخص

يهدف البحث الحالي الى التعرف على المسايرة لدى أفراد العيّنة (زوار مسيرة زيارة أربعينية الامام الحسين)، والفروق ذات الدلالة الإحصائية في المسايرة وفق متغير سبب السير، ولأجل تحقيق ذلك قامت الباحثة ببناء مقياس يتكون من (٢٢) فقرة بثلاثة بدائل، وبعد عرضه على الخبراء في مجال تخصص علم النفس تم قبول المقياس بعد إجراء بعض التعديلات عليه ورفض فقرتين منه، وبعدها تم تطبيق المقياس على عيّنة تبلغ (٥٠٩) زائراً وزائرة من مختلف انحاء العراق وبعد استخدام الحقيقة الإحصائية تبين أنَّ العيّنة لديها سلوك مسايرة وكان الهدف المرجو هو من اجل أداء شعيرة زيارة الأربعين.

Coping in the Creed - Arbaeen pilgrimage as an example

Researcher: Haneen Kadhim Hindi al-Hasnawi

Family Guidance Center / The Holy Shrine of Imam Hussein

Abstract

The objective of the current research is to identify the members of the sample (visitors to the march of the Imam Hussein)، and the statistical significance of the passage according to the variable of the reason of the walk. In order to achieve this، the researcher built a scale consisting of (22) The criterion was applied to a sample of (509) visitors and visitors from different parts of Iraq. After using the statistical truth، it was found that the sample had a consistent behavior. The goal was to perform a ritual Visit the Forty.

مشكلة البحث والحاجة إليه

لقد خلق الله الكائن البشري كائناً اجتماعياً بطبيعته، حيث أنه لا يستطيع أن يحيا منفرداً بعيداً عن جماعة اجتماعية يكون عضواً فاعلاً فيها، فهذه فطرة إنسانية لابد أن تستوفي حقها فهي تسد حاجته الأساسية من حاجات النمو الاجتماعي بانتمائه للجماعة، فالجماعة المحيطة بالفرد قد تؤثر على شخصيته وسلوكه وتطبيعه بطبائعها ومن هنا كانت البدايات الأولى للإنسان تقتضي منه الاندماج في الكيان الاجتماعي، وأن يجعل ذاته جزءاً من النسيج الاجتماعي المكون للجماعة البشرية. إلا أنه كلما ازداد هذا النسيج الاجتماعي تعقيداً أو تركيباً أو امتداداً ازدادت معه عمليات الضغط التي تمارسها الجماعة على أفرادها رغبة منها في المحافظة على كيانها واستمرارها (خليل، ٢١٩: ١٩٩٩).

وبما أن مطالب الحياة الاجتماعية متعددة ومتشابكة فهي قد لا تتفق دائماً مع المطالب الشخصية لأفرادها لذلك عندما نتحدث عن التنوع السلوكي الذي يصدر عن الفرد في الجماعة التي ينتمي إليها رغبة منه في تحقيق أهدافه وإشباع رغباته والتي ربما تكون مخالفة في بعض الأحيان لرغبات الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ولكي يستطيع الإنسان أن يصل إلى غاياته ويحقق أهدافه لا بد وأن يساير الجماعة الاجتماعية،لأن هناك مواقف متعددة ومختلفة يتعرض لها الإنسان في حياته تحكم علاقته بالآخرين إيجاباً وسلباً ولمن أراد أن يكون قوياً في أعين الناس يجب أن تنطلق قوته من داخله وهذا يعني أن القوة تسكن في أعماق الإنسان فإذا استطاع أن يساير في المواقف التي تحتاج إلى ذلك وأن يغاير في المواقف الأخرى بحيث لا يتعارض مع إرادة الجماعة فسوف تكون إرادته قوية وقراراته صائبة وبالتالي يتمتع بشخصية قوية مؤثرة، (عثمان، ١٩٨٧: ٩٧).

للمسايرة دور بارز في مساعدة الافراد على فهم العالم الذي يعيشون فيه والاستجابة له بشكل فعال فالافراد يتبعون سلوك وآراء الاشخاص الآخرين لأنهم يعتقدون بأنهم يمتلكون المعرفة الصحيحة للقيام بهذا الامر ويسمى هذا النوع من التأثير بالتأثير الاجتماعي المعلومات وهنالك نوع آخر من التأثير هو التأثير الاجتماعي المعرفي الذي يدفع بالفرد الى مسايرة الجماعة للحصول على قبولها ورفضها واستحسانها (Passer & Ronald، 2001، P: 503).

تمثل المسايرة الموضوع الذي يحقق إشباعاً لحاجات الجماعة او يقربها من اهدافها. ان نمط الشخصية له علاقة بتحديد متغيرات مختلفة في الشخصية ذات ابعاد متعددة كالجسمية والاجتماعية، والانفعالية، والعقلية، وتتكامل في الشخصية قوى الفرد الجسمية والعقلية والانفعالية ككائن اجتماعي وبدون هذه الصفة لا يتسنى له ان ينمو كإنسان وتحتوي هذه الابعاد بدورها مكونات متعددة ويرى البعض ان هنالك سمات معينة ترتبط بحدوث بعض الامراض وهذا ما أشارت إليه العديد من الدراسات بان الشخص بما يتملكه من صفات تختلف عن غيره في تفاعله مع الاحداث التي تجعله عرضة للإصابة بهذه الاضطرابات اكثر من غيره (Kenneth، 1992، P. 84).

لذا فأن مسيرة الأربعين محطة خالدة في التاريخ الإسلامي وهي ثورة اسلامية ناعمة رسالتها التضحية من اجل العقيدة وهذه المسيرة الملايينية مظهر للطاقات الإيمانية لعموم الأمة، باعتبار ان مشاركيها جاءوا من شتى انحاء الأرض، دفاعاً عن الإسلام المحمدي وتجسد حالة تعبوية موّاجة، فكل فرد يمارس شعيرة زيارة الأربعين يكون لسبب ودافع يختلف عن الآخر، والبعض الآخر يكون قد خضع لإرادة الآخرين في هذه المسيرة، وقد يكون لاجل الترويح عن النفس، لكن النسبة الاعم هي لاجل العقيدة وبدافع فردي.

لذا فأن الباحثة ارتأت التعرف على سلوك المسايرة لدى افراد السير لمسيرة الأربعين للامام الحسين(عليه السلام).

الأهداف

يهدف البحث الحالي الى التعرف على:

١. المسايرة لدى افراد العيّنة (زوار مسيرة الأربعين).
٢. الفروق ذات الدلالة الإحصائية في المسايرة وفق متغير سبب السير.

حدود البحث الحالي: (جميع افراد مسيرة زيارة الأربعين لعام ٢٠١٧).

تحديد مصطلحات: المسايرة وعرفها كل من:

أ. ألان (allan:١٩٦٥) (المسايرة أنها تغير في سلوك الفرد راجع إلى تأثير الجماعة وينتج عنها ازدياد في التقارب بين سلوك الفرد والجماعة (الرحيلي، ٢٠٠٦: ٣٤).

ب. (عبده: ١٩٨٧) المسايرة: هو السلوك الاجتماعي للفرد يصدر من خلال سماته التفاعلية مع الآخرين والتي هي نوع من الاستعدادات الثابتة نسبياً وذات ملامح مميزة لاستجابة الفرد (عبده،١٩٨٧: ١٩٣). واعتمدته الباحثة في بناء مقياس المسايرة.

التعريف الإجرائي: الدرجة الكلية التي يحصل عليها افراد زيارة اربعينية الامام الحسين(عليه السلام) من خلال الاستجابة على فقرات مقياس المسايرة المعد من قبل الباحثة.

الاطار النظري:

المسايرة وبعض المفاهيم: (الاتباعية، التشاكل)

أولاً: مفهوم المسايرة يختلف عن مفهوم الاتباعية والتي تشير إلى التشابه في أساليب وأنماط السلوك المتعارف عليها والشائعة والمستقرة التي يواجه بها مجموع المواقف والمناسبات والمشكلات المتكررة في حياته الاجتماعية (سيد عثمان،١٩٨٧: ٦).

وكما يرى (جابر وكفاني) فان الاتباعية هي سمة شخصية تتسم بالاهتمام المفرط والالتزام غير المرن بالعادات الاجتماعية وقيم الطبقة الوسطى ومعايير السلوك وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى احدى السمات التي ترتبط بالشخصية التسلطية (جابر وكفاني،١٩٨٩: ٧٥٥).

ثانياً: المسايرة والتشاكل: يختلف مفهوم المسايرة عن مفهوم التشاكل حيث ينم مفهوم التشاكل عن التماثل في الاتجاهات المسايرة والاتباعية والعقائد

والسلوك القائم على الانتشار والعمومية والذيوع بين افراد جماعة ما والتماثل والتشابه هنا كما في الاتباعية ليس ناتجاً عن ضغوط الجماعة أو عن صراع بين الفرد والأغلبية كما هو الحال بالنسبة للمسايرة.

ولقد تم تقسيم المسايرة إلى عدة مستويات منها:

١. المسايرة المفرطة:

وهي التي يسلم فيها الفرد نفسه كليا للجماعة ويتمسك بعقائدها ويتبنى اتجاهاتها بدرجة كبيرة، وهذا النوع من المسايرة تحدث عنه النبيﷺ عندما حذر من الانسياد والاستغ ا رد في تيار الجماعة بينما اتجه وحيثما صار ونبه إلى ضرورة الاحتفاظ بالذات المستقرة الواعية الحرة أمام الجماعة.

٢. التعصب والتصلب الاجتماعي:

والمقصود به أن يكون الفرد متمسكاً بعقائد وأحكام وتصرفات الجماعة التي ينتمي إليها بحيث لا يخرج عن نطاقها ويستجيب ويتصرف بطريقة تتفد معها ويكون معارضاً لأي أحكام تأتي من جماعات أخرى تكون مخالفة لأحكام الجماعة التي ينتمي إليها ويرفض بشدة الضغوطات التي تحركه في الاتجاه المخالف لجماعته التي ينتمي إليها.

٣. المسايرة الظهرية أو النفعية:

في هذا المستوى من المسايرة نجد الفرد يتفد مع الجماعة ظاهرياً بينما مختلف عنها داخلياً ويختلف هذا المستوى عن المسايرة المحقة السابقة في انه لا يتوافر فيه الاتفاق داخلياً أو خارجياً أي لا يكون فيه تطابق بين ما يبديه الفرد أو يخفيه، وهذا النوع من المسايرة مؤقت وغير مستمر لان الفرد يعود لسابق أحكامه وعقائده الخاصة، ويطلق على هذا النوع من المسايرة (تقية) بمعنى أنها توفر الحماية من العقاب أو الضرر الذي يمكن أن يلحق في الفرد لو لم يساير (ملاخة،٢٠١١: ٢٣).

٤. اللامسايرة:

ويشير هذا المصطلح إلى تجنب المسايرة، أو إلى الحياد في مواجهة أحكام الجماعة وعقائدها ومعاييرها وتصرفاتها، هنا لا يساير الفرد ولا ينصاع ولا يتخذ التقية سبيلاً كما انه لا يقف ضد ضغوط الجماعة (عثمان،١٩٨٧: ٨).

٥. المضادة:

وفيها يقف الفرد متحدياً الجماعة ومعارضاً إياها وبشكل ايجابي، ويتميز موقفه هذا من الجماعة بالعداء والعناد للخروج المقصود على ما تتعارف عليه والاستخدام، وعلى هذا فيمكن أن نقول أن الجماعة في هذه الحالة تؤثر في عقائد الفرد وأحكامه ومعاييره وتصرفاته ولكن بطريقة عكسية، وقد تكون المضادة في هذه الحالة مسايرة جماعة أخرى (شعبان،١٩٩٧: ١٦٧).

٦. الاستقلال:

ويتميز هذا المستوى عن المسايرة المضادة بأن الفرد يقرر بنفسه ولنفسه مسار حكمه وعقيدته وتصرفه من غير خضوع مستسلم للجماعة ولا تمرد جامح عليها أي أن موقفه يتميز بايجابية اكبر منه في اللامسايرة (الطواب،١٩٩٠: ٢٧٢).

٧. الاغتراب:

عندما لا يستطيع الفرد أن يساير فيخضع لضغوط الجماعة، ولا يقف موقف المضادة أو المقاومة أو المعارضة ولا يقف موقف الاستقلال ولا أن ينصاع لضغوطها ظاهرياً ويخالفها داخلياً ولا يثبت على موقف حياد ازائها عندئذ يحمي نفسه ويحمي ذاته وراء حدود الاغتراب (عثمان، ١٩٨٧: ٩).

العوامل التي تساعد على المسايرة:

١. الرغبة في اتباع السلوك السوي وذلك على اعتبار ان ما تفعله الجماعة هو الصحيح وان كان هذا الاعتقاد من منظور الفرد في بعض الاحيان.
٢. رغبة الفرد في الارتباط بالجماعة من اجل الحصول على قبولها وعدم رفضها له ومن ثم تلقي المعاملة الجيدة.
٣. رغبة الفرد في التأكد من فهمه لسلوك الجماعة أو آرائها أو اتجاهاتها نحو شخص من الاشخاص او شيء من الأشياء وبالتالي يفضل مسايرة سلوكها.
٤. رغبة الفرد في الحصول على مساندة من قبل الجماعة لأفكاره وآرائها وبالتالي فهو يبادر في مسايرة أفرادها كي يضمن تأييد الآخرين له.
٥. إن الجذور العميقة للمسايرة هي الحاجة للانتماء، فالأشخاص ذوو الحاجات الشخصية القوية للانتماء يميلون بالذات للمسايرة في الظروف الاجتماعية المختلفة) ملاخة،٢٠١١ ١٣:).

سمات المسايرة

يبدو إن سمة المسايرة ترتبط بأبعاد او سمات عدة في الشخصية منها:

١. الايثار.
٢. الحساسية الاجتماعية.
٣. العطاء.
٤. التمركز حول الآخرين.
٥. التبعية.
٦. المسالمة.
٧. الاندماج.
٨. الانسجام.
٩. الثقة الاجتماعية.
١٠. ا لتعاون.
١١. الانفتاح.
١٢. التسامح (الرحيلي،٢٠٠٦: ٣٥).

إجراءات البحث:

١. المجتمع

يشير (Barg) إلى أنه لا يمكن أن تستخدم أية أداة من أدوات الاختبار او المقياس مهما أوتيت من دقة ما لم يوصف المجتمع الذي تؤخذ منه العيّنة وصفاً دقيقاً لأن لكل مجتمع صفاته الخاصة (Barg، ١٩٨١: ١٧٠). ويقصد بمجتمع البحث العناصر التي يسعى الباحث إلى ان يعمم عليها نتائج دراسته (عودة وملكاوي، ١٩٩٢: ١٥٩)، ويشمل مجتمع البحث الحالي كلّ زائري الامام الحسين في زيارة الأربعين مشياً على الاقدام من كل انحاء العالم.

٢. العيّنة

تعرف العيّنة على إنها جزء من المجتمع تتم دراسة الظاهرة عليه من خلال المعلومات عن هذه العيّنة لأجل تعميم النتائج على المجتمع (النجار،

٢٠١٠:١٤٩). وقد اختارت الباحثة عيّنة البحث بالطريقة العشوائية وكان عددها (٥٠٩) من أفراد السير في زيارة الاربعين.

٣. أداة البحث

نظراً لعدم توفر أداة عراقية أو عربية لقياس المسايرة – المغايرة عند زائرين المشي على الاقدام للامام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين (على حد علم الباحثة) تتناسب مع أهداف وعيّنة البحث الحالي قامت الباحثة ببناء مقياس يتكون من (٢٢) فقرة كما في ملحق (١) بالاعتماد على الاطار النظري للبحث. وتم عرض المقياس على (٨) خبراء في تربية وعلم النفس كما في ملحق (٢) وتبين موافقة الخبراء على كل فقرات مقياس المسايرة – المغايرة ما عدا الفقرتين (٢١ و ٢٢) فكانت نسبة الموافقة عليهما (٢٠٪).

عرض النتائج وتفسيرها:

الهدف الأول: التعرف على المسايرة في العقيدة لدى أفراد السير لزيارة الأربعين.

لتحقيق هذا الهدف طبق مقياس المسايرة على عيّنة التطبيق المكونة من (٥٠٩) فرد، إذ قامت الباحثة باستخراج المتوسط الحسابي للعيّنة وقارنته مع الوسط الفرضي البالغ (٤٠) درجة، ولمعرفة دلالة الفرق بين المتوسطين استعملت الباحثة الاختبار التائي لعيّنة واحدة وتبين إن

جدول (١) القيمة التائية لدلالة الفرق بين المتوسط الحسابي للعيّنة والمتوسط الفرضي لمقياس (المسايرة)

المسايرة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة ٠,٠٥
						المحسوبة	الجدولية	
للعيّنة ككل	٥٠٩	٦٤٦,٤٤	٣٢٥,١١	٤٠	٥٠٨	٥,١٥٦	١,٩٦	دالة

الفرق بين المتوسط الحسابي والوسط الفرضي دالٌ معنوياً، أي أنَّ العيّنة لديها سلوك المسايرة في العقيدة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) فظهرت النتائج كما موضحة في الجدول(١).

الهدف الثاني: الفروق ذات الدلالة الإحصائية في المسايرة وفق سبب السير (رغبة في المشي، الامتثال لأوامر الآخرين، أداء الشعيرة بدافع العقيدة).

ولمعرفة دلالة الفروق لافراد السير على وفق سبب السير استعملت الباحثة تحليل التباين الأحادي بالاعتماد على الاوساط الحسابية الموضحة في جدول (١)، وقد أظهرت نتائج البحث أنَّ هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية وفق سبب السير،إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة (٦، ٥١٥) وهي أكبر من القيمة الفائية الجدولية (٣) عند مستوى دلالة (٠٥ , ٠) وبدرجة حرية (٢،٥٠٦) والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

المتغير	الفئات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
سبب السير	رغبة في المشي	١٨	٩٤٤،٤٧	٣٥٧،١١
	امتثال لامر الاخرين (الأصدقاء)	٣٠٤	٦٥١،٤٢	٣٤٧،٩
	أداء الشعيرة بدافع العقيدة	١٨٧	٥٧٢،٤٧	٤١٧،١٣

وتدل هذه النتيجة على وجود فروق في سلوك المسايرة لأفراد السير على وفق متغير سبب السير، ولمعرفة هذا الفرق تم استعمال اختبار شيفيه للمقارنات البعدية وكانت النتيجة كما موضحة في جدول(٣).

جدول (٣) تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفرق في المسايرة لافراد السير على وفق سبب السير

(رغبة في المشي، امتثال لأمر الآخرين (الأصدقاء)، أداء الشعيرة بدافع العقيدة)

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	بالقيمة الفائية(*)	الدلالة
بين المجموعات	٥٨٦،٣٠٠٦	٢	٢٩٣،١٥٠٣	٢٣٩،١٢	دالة
داخل المجموعات	٧٥٩،٦٢١٥١	٥٠٦	٨٣٠،١٢٢		
الكلي	٣٤٦،٦٥١٥٨	٥٠٨			

(*) القيمة الفائية الجدولية تساوي(٣) عند مستوى (٠، ٠٥) وبدرجة حرية (٢، ٥٠٦).

جدول(٣) اختبار شيفيه للمقارنات البعدية

رقم المقارنة	فئات التحصيل الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الفرق بين الوسطين	قيمة شيفيه الحرجة	الدلالة
١	الرغبة في المشي	١٨	٤٧،٩٤٤	٥،٢٩٣	٦،٥٨٥	غير دالة
	امتثال لأمر الآخرين (الأصدقاء)	٣٠٤	٤٢،٦٥١			
٢	الرغبة في المشي	١٨	٤٧،٩٤٤	٠،٣٧٢	٦،٦٩٩	غير دالة
	أداء الشعيرة بدافع العقيدة	١٨٧	٤٧،٥٧٢			
٣	امتثال لأمر الآخرين (الأصدقاء)	٣٠٤	٤٢،٦٥١	٤،٩٢٠	٢،٥٢٢	دالة لصالح أداء الشعيرة بدافع العقيدة
	أداء الشعيرة بدافع العقيدة	١٨٧	٤٧،٥٧٢			

تفسير النتائج:

١. اتضح من النتائج التي تم التوصل اليها أن العيّنة لديها سلوك مسايرة.

٢. وهناك فروق دالة إحصائياً لصالح سبب السير أداء الشعيرة بدافع العقيدة أي ان الأفراد يمارسون الشعيرة بتأثير قوى داخلي وهو حب الامام الحسين عليه السلام واتباع العقيدة والامتثال لما ورد من أخبار الأئمة وأقوالهم من حيث وجوب أداء شعيرة الأربعين وتعظيمها وحتى ذكر الله في كتابه الكريم (ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب).

المصادر

١. عثمان، سيد(١٩٨٧): علم النفس الاجتماعي التربوي، التطبيع الاجتماعي والمسايرة-المغايرة، مكتبة الانجلو، القاهرة، مصر.

٢. جابر، كفافي (١٩٨٨): معجم علم النفس والطب النفسي، الجزء الثاني، دار النهضةالعربية، مصر.

٣. ملاخة، زهير بسام (٢٠١١): المسايرة المغايرة وضغوط العمل لدى الشرطة العاملين في المباحث العامة في محافظة غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية.

٤. شعبان، محمد عايدي (١٩٩٦): المسايرة المغايرة وأثرهما في التربية، مجلة التربية، السنة ١٨، العدد ١٤٣ ١٤١، فبراير، لسنة الثانية عشر، صفحات (١٦٣- ١٨٢)،الامارات العربية.

٥. الطواب، سويد (١٩٩١): المسايرة والتفكير لدى عينة من تلاميذ المرحلة الإعدادية، مجلة كلية التربية، مجلد ٣ عدد ٢ الإسكندرية مصر.

٦. الرحيلي، عهود (٢٠٠٦): المسايرة المغايرة الاجتماعية وعلاقتها بالذكاء الاجتماعي لدى عينة من العاملات وغير العاملات بمحافظات جدة، دراسة وصفية ارتباطية مقارنة جامعة أم القرى - جامعة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة أم القرى، الرياض.

٧. عودة وملكاوي، احمد سليمان وفتحي حسن (١٩٩٢) أساسيات البحث العلمي في التربية وعلم النفس. ط ٢، مكتبة الكناني.

٨. النجار، جمعة نبيل (٢٠١٠) القياس والتقويم، دار الحامد، الاردن.

٩. خليل، عبود الله محمود عبود الظواهر (٢٠٠٤): مدى فاعلية العلاج العقلاني والانفعالي والتدريب التوكيدي في خفض الفوبيا الاجتماعية لدى المعلمين في جامعة أسيوط، دراسة ماجستير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر.

١٠. عبده، عبد الهادي (١٩٨٧): السمات المميزة لسلوك المسايرة المغايرة لمعلمي مرحلة التعليم الأساسي (الحلقة الأولى) وعلاقتها بالتفاعل السلوكي لتلاميذهم، مجلة كلية التربية بطنطا، العدد ٥، الجزء الثاني، (ص ١٨٩ – ٢٠٧).

١. **Barg، W.R (1981). Applying Educational Research A practical Guide for teachers، New York.**

٢. **Passer. Michael W. Ronald E. smith (2001)، psychology prontiers an0d applications، printed a cid free paper. P. 503.**

٣. **Kenneth J. Veit، Do. (1991): the Journal of clinical medicine، Vol (9)، No (4) April. P. 84.**

الملاحق

ملحق (١)

الاسم	التخصص	الجامعة / الكلية
أ. د. رجاء ياسين	علم النفس التربوي	جامعة كربلاء / كلية التربية / قسم العلوم التربوية والنفسية
أ. م. د. هناء عبد النبي	علم النفس التربوي	جامعة البصرة / تربية علم النفس
أ. د. امل طالب	علم النفس التربوي	جامعة بغداد/ كلية التربية علم النفس
أ. د. حيدر ميسر	علم النفس التربوي	جامعة بغداد/ كلية التربية علم النفس
د. عبد عون المسعودي	علم النفس العام	الكلية المفتوحة

ملحق (٢)

الاستاذ الفاضل الدكتور.....المحترم.

تحية طيبة...

تروم الباحثة إجراء بحثها الموسوم «المسايرة في العقيدة.. مسيرة الأربعينية انموذجاً..». ولقياس المسايرة – المغايرة قامت الباحثة ببناء مقياس اعتماداً على التعريف هو السلوك الاجتماعي للفرد يصدر من خلال سماته التفاعلية مع الآخرين والتي هي نوع من الاستعدادات الثابتة نسبياً وذات ملامح مميزة لاستجابة الفرد علماً أن المقياس يتكون من(٢٢) فقرة وبدائل الاستجابة هي ثلاث (دائماً، أحياناً،لا أبداً).

ونظراً لما تتمتعون به من خبرة علمية واسعة، تعرض الباحثة عليكم الفقرات الآتية لبيان رأيكم بالفقرات ومدى صلاحيتها وصلاحية البدائل المعتمدة للاستجابة، ووضوحها، واقتراح التعديل المناسب اذا احتاج ذلك، علماً إن اوزان الاجابة ستكون على التوالي(٣، ٢، ١).

تقبلوا فائق الشكر والاحترام.

الباحثة

حنين كاظم الحسناوي

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	الملاحظات
	تنسجم أفكاري وأفعالي مع الآخرين في المشي			
	أميل للدفاع عن الثقافة السائدة في الآخرين التي انتمي اليها			
	أقتنع بأفكار المحيطين بي بسهولة			
	اشعر بالحرج عندما أوافق كلام الآخرين			
	أثق بجماعتي وآخذ بقولهم دون تفكير			
	أحاول اتباع طرق تفكير زملائي في حل المشكلات			
	أضطر لتنفيذ مسوؤليات أكبر من قدراتي إرضاء للآخرين			
	أميل للصمت حتى لا أجرح الآخرين في المواقف المختلفة.			
	أتفاعل مع الآخرين رغبة في إرضائهم.			
	تمثل لي الحياة الاجتماعية البقاء في حالة سلام			
	أشعر بالحرج عندما لا أوافق كلام الآخرين			
	أرى الأشياء من زوايا متعددة ومختلفة عن رؤية الآخرين			
	أتنازل بصعوبة عن قناعاتي للتوافق مع الآخرين.			
	اضيف دوماً الجديد على آراء الآخرين ولا أُسَلّم لاقتراحاتهم.			
	أميل الى فعل ما أقتنع به.			
	اهتم بقضايا المحيطين بي			
	أرغب في تقليد الشخصيات المشهورة.			
	اتبنى الأفكار الجديدة لتطوير ذاتي والآخرين			
	استطيع الاستقلال بالرأي رغم مخالفته لجماعتي.			
	أميل للاطلاع بشكل مستمر على ما هو جديد في مجالات الحياة المختلفة.			
	أميل للمجازفة في سبيل تحقيق أهدافي.			
	أسعى بأن يكون سلوكي مميزاً عن الآخرين			

ملحق (٣)

عزيزي الزائر، عزيزتي الزائرة:

تحية طيبة...

أمامكم مجموعة من الفقرات، فيرجى تفضلكم بقراءتها والإجابة عنها لما ينطبق عن شعوركم الحقيقي علماً أنه لا توجد إجابة صحيحة وأخرى خاطئة، بل إن جميع إجاباتكم تحظى باحترام الباحثتين وتقديرهن وسوف لن يطلع عليها أحد ولاتستعمل إلا لأغراض البحث العلمي لذا لا حاجة لذكر الاسم، كلُ ما نطلبهُ الإجابة بصدق عن تلك الفقرات وبما يعبر عن انطباعكم الشخصي كما ترجو الباحثتان عدم ترك أية فقرة من دون إجابة وذلك بوضع علامة (✓) تحت البديل الذي ترينه ينطبق عليكِ تماماً.

يرجى الإجابة على المعلومات الاتية:

- الجنس:
- التحصيل الدراسي:
- سنوات السير:
- المحافظة (المسافة التي تقطعها في المشي – بتقدير الأيام):
- سبب السير:

أ. رغبة في المشي.

ب. امتثال لأمر الآخرين (الأصدقاء).

ج. هروب من الواقع الاجتماعي.

د. أداء الشعيرة بدافع العقيدة.

ت	الفقرات	دائماً	أحياناً	لا أبداً
	تنسجم أفكاري وأفعالي مع الآخرين في المشي			
	أميل للدفاع عن الثقافة السائدة في الآخرين التي أنتمي إليها			
	أقتنع بأفكار المحيطين بي بسهولة			
	أشعر بالحرج عندما أوافق كلام الآخرين			
	أثق بجماعتي وآخذ بقولهم دون تفكير			
	أحاول اتباع طرق تفكير زملائي في حل المشكلات			
	أضطر لتنفيذ مسؤوليات أكبر من قدراتي إرضاءً للناس			
	أميل للصمت حتى لا أجرح الآخرين في المواقف المختلفة.			
	أتفاعل مع الآخرين رغبة في إرضائهم.			
	تمثل لي الحياة الاجتماعية البقاء في حالة سلام			
	أشعر بالحرج عندما لا أوافق كلام الآخرين			
	أرى الأشياء من زوايا متعددة ومختلفة عن رؤية الآخرين			
	أتنازل بصعوبة عن قناعاتي للتوافق مع الآخرين.			
	أُضيف دوماً الجديد على آراء الآخرين ولا أُسَلّم لاقتراحاتهم.			
	أميل الى فعل ما أقتنع به.			
	أهتم بقضايا المحيطين بي			
	أرغب في تقليد الشخصيات المشهورة.			
	أتبنى الأفكار الجديدة لتطوير ذاتي والآخرين			
	أستطيع الإستقلال بالرأي رغم مخالفته لجماعتي.			
	أميل للإطلاع بشكل مستمر على ما هو جديد في مجالات الحياة المختلفة.			

المحور السادس

فعالية زيارة الاربعين في ترسيخ مبدأ التعايش

الصورة السياحية الدينية ودورها في تحقيق التعايش السلمي في محافظة كربلاء المقدسة

(الزيارة الأربعينية - دراسة حالة)

الباحث حيدر ضياء سلمان العبيدي الباحث مصطفى مكي جواد الفتلاوي

الملخص

ان الدراسات الخاصة بموضوع السياحة الدينية وخصوصاً تجاه التعايش السلمي بالرغم من توافد المجاميع العربية والأجنبية الوافدة إلى محافظة كربلاء لم تشغل حيزاً في الأبحاث الجارية في العراق على الرغم من أهميتها الأساسية في إشباع رغبات المسلمين من جهة واعتبارها ركناً اساسياً في الاقتصاد القومي من جهة أخرى، اذ هنالك مئات الآلاف من الزوار العرب والأجانب القادمين إلى كربلاء من مختلف قارات العالم عدا قارتي أمريكا الجنوبية واستراليا متخطين المعوقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي فرضتها الدولة في العراق، ويمكن تلخيص الأفكار الاساسية الواردة في البحث والتي تُعرض تباعاً حسب تسلسل الرسالة.

أن العالم اليوم يغلي غليان بأصحابه فبين وقت وآخر تخرج علينا طوائف متطرفة تدمر البلاد وتكفر العباد وتعيث في الأرض فساداً ترفع شعارات اسلامية والاسلام منها براء ونتج عن ذلك تصاعد حملات الكراهية ضد الاسلام وتعالي أصوات المحذرين منه والمحرضين عليه استغلالا لوجود هذه الظواهر التطرفية التكفيرية في العالم الاسلامي، إن كل هذا يوجب على علماء الأمة ومفكريها وباحثيها وكتابها أن يبني نوايا الصورة الحقيقية للإسلام ووسطيته واعتداله، وتسامحه ورحمته وقيمته الحضارية وأخلاقه الحسنة وما يدعوا إليه من التعايش السلمي بين مكونات الأسرة الانسانية على قواعد تحترم حقوق الانسان وكرامته وتراعي سنة الاختلاف والتعددية بين البشر. تناول المبحث الأول مفاهيم الصورة السياحية الدينية، في حين ركز المبحث الثاني على مفاهيم التعايش السلمي، اما المبحث الثالث فقد تضمن تقديم عرض شامل السياحة الدينية في كربلاء المقدسة، فيما ركز المبحث الرابع على واقع السياحة الدينية في زيارة الأربعين ودورها الفعال في تحقيق التعايش السلمي، وقد توصلت الدراسة الى جملة من الاستنتاجات المستخلصة من نتائج البحث والتي على ضوئها تم وضع عدد من المقترحات التي يأمل الباحث ان تكون مفيدة لتطوير هذه الثروة.

الكلمات الافتتاحية: الصورة السياحية الدينية، التعايش السلمي، السياحة الدينية، الشعائر الدينية.

The image of religious tourism and its role in achieving peaceful coexistence in the holy province of Karbala

(The 40th study model visit)

Lecturer. Haidar Dhia Salman Al-Obaidi / Lecturer. Mostafa Makki Jawad Al-Fatlawi

Abstract

The studies on the subject of religious tourism، especially towards peaceful coexistence، despite the influx of Arab and foreign groups coming to the province of Karbala did not occupy space in the ongoing research in Iraq، despite its importance in satisfying the wishes of Muslims on the one hand and considered a cornerstone in the national economy on the other hand، There are hundreds of thousands of Arab and foreign visitors coming to Karbala from different continents except South America and Australia، overcoming the political، economic، social and psychological obstacles imposed by the state in Iraq. In the search، which are presented sequentially in sequence.The world today is boiling boiling Bosahabh Between the time and the last we graduated sects extremist destroy the country and atone slaves and wreak havoc raise Islamic and Islam slogans such as innocent and resulted in the escalation of hatred against Islam and the Almighty voices Mahdhiran him and the instigators of the campaigns exploited the existence of these phenomena extremist infidels in the Islamic world، All this requires the scholars of the nation and thinkers and scholars and writers to build the intentions of the true picture of Islam and moderation and moderation، tolerance and mercy and cultural value and good morals and what they call for peaceful coexistence between the components of the human family on the rules of Tahtar Human rights and dignity and takes into consideration the year of diversity and pluralism among human beings.The third topic focused on religious tourism in Karbala، while the fourth topic focused on the reality of religious tourism in the fortieth visit and its effective role in achieving peaceful coexistence.The study reached a number of conclusions from the research results، in light of which a number of proposals were developed which the researcher hopes will be useful for developing this wealth.

Opening words: religious tourism، peaceful coexistence، religious tourism، religious rites.

المقدمة

اختصت كربلاء بمكانة متميزة لدى عشاق السيرة الحسينية من مختلف الاديان والاعراق كونها أحتضنت تلك الملحمة الخالدة التي توجت مسيرة الجهاد الحسيني، كربلاء التي تهفو اليها قلوب الملايين من محبي أل بيت النبوة، كلهم أمل في الوصول الى هذه البقعة المباركة، وتلك الروضة الشريفة للتبرك بثراها الطاهر قربة الى الله تعالى.

إن السياحة الدينية تجمع عوامل عديدة منها اقتصادية واجتماعية وثقافية وديموغرافية وتكنولوجية وسياسية فهي مهمة في حياة البشر فهي تحقق الاتصال الروحي بين الإنسان وخالقه من الأماكن المقدسة.

لقد كان اندفاع الإنسان لزيارة الأماكن المقدسة قوياً وعنيفاً على مر العصور فهو يجتاز كل الحواجز والحدود والتضحية بقطع الرأس أوالأيدي من أجل مسك ضريح أو تقبيل التراب، إن هذا الشعور أدى إلى جذب أعداد متزايدة من الزوار مما أدى إلى تطور المدن الدينية وازدياد أهميتها، إن العتبات الدينية منتشرة في كثيرٍ من محافظات العراق وكانت محافظة كربلاء هي اختياري للبحث لما تتصف به هذه المحافظة من شهرةٍ على المستوى المحلي وعلى مستوى العالم الإسلامي، إذ تضم مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس وأصحابهما عليهم السلام.

منهجية الدراسة:

أولاً: أهمية الدراسة

١. تعتبر الصورة المرسومة في ذهن السائح، سواء كانت واقعية أم خيالية، هي الأساس عملية اتخاذ القرار بزيارة المقصد السياحي وكذلك الحال في التأثير على قرارات السياح الآخرين في هذا الخصوص.
٢. يندرج المجال السياحي الديني المتمثل بمرقد الامام الحسين واخيه ابا الفضل العباس وآل بيته عليهم السلام بالخصوص من بين المجالات التي تراهن عليها محافظة كربلاء لتنويع اقتصادها، والروج من تبعيتها للصناعات النفطية.
٣. قلة الدراسات في هذا الموضوع، فرغم وجود بعض الدراسات، إلا أنها لا تتناسب مع أهمية الموضوع في سياق التحديات التي تستهدف القيم السلمية للإسلام في التعايش وقبول الآخر.
٤. تصحيح التصورات الخاطئة التي كرستها أطراف لتغيير المعاني والمقاصد لمعنى التعايش السلمي، وصولاً إلى نزع فتيل التوتر بين أبناء المسلمين أنفسهم وتحقيق السلم الاجتماعي والوطني، أو بين المسلمين وغيرهم.
٥. تحقيق التعايش السلمي داخلياً وخارجياً، ورد الدعوات الخبيثة التي تتهم الإسلام بالعدوانية والانغلاق.

ثانياً: أهداف الدراسة

١. إظهار فضائل الأمام الحسين وآل بيتهم عليهم السلام بمكانتهم العظيمة في سعيهُ للتعايش والتسامح واحترام الإنسان.

٢. إبراز أهمية الصورة السياحية الدينية في محافظة كربلاء ودورها المؤثر في خلق التعايش السلمي الايجابي للسياحة الداخلية.
٣. التعرف على الصورة الذهنية الفعلية لكربلاء من وجهة نظر السياح الأجانب والعرب.
٤. نشر ثقافة التعايش، والوقوف على مقوماتهُ ومرتكزاتهُ، وتطبيقاتها، والوعي بأصولهُ.
٥. إبراز مكانة التسامح والتعايش السلمي والحضاري مع مختلف الأديان والثقافات.
٦. الوقوف على الوجه الصحيح لتعامل المسلمين مع غيرهم، باختلاف انتماءاتهم الدينية والطائفية والثقافية والعرقية.
٧. الاسهام في تقديم أضافة توضح قدرة الاسلام والاسلام والمسلمين في تحقيق مبدأ التعايش السلمي وقبول الآخر كما جاءت في الأدلة المتنوعة منها القران الكريم.
٨. تقديم الاستنتاجات والتوصيات لصناع القرار السياحي للاستفادة منها في تسويق كربلاء سياحياً من خلال تحقيق التعايش السلمي الذي يوجد على ارض الواقع في المحافظة.

ثالثاً: مشكلة الدراسة

أن التباين الصورة الذهنية المرسومة لدى السياح الأجانب والعرب فيما بينهم حول المقاصد السياحية الدينية المختلفة شيء بديهي في محافظة كربلاء التي يأتي على رأسها مرقد الأمام الحسن وآل بيتهعليهم السلام، ولكن أهميته تكمن بأنه يشكل احد الاسس الرئيسة للقرارات السياحية المتعلقة بزيارة المقصد السياحي والإقامة فيه، ولذا جاءت الدراسة في محاولة للتعرف على الصورة الذهنية الفعلية لدى السائح الاجنبي والعربي حول الجوانب المتعلقة بتحقيق التعايش السلمي على المستوى الخارجي والداخلي للمحافظة، وعليه تنطلق الدراسة من سؤال رئيس:

ما موقف الصورة السياحية الدينية التي تتكون في زيارة (٢٠ صفر) اربعين الامام الحسين وآل بيتهعليهم السلام من التعايش السلمي كمفهوم وممارستهُ؟ ويتفرع السؤال أسئلة فرعية عدة أهمها:

- كيف يتم تأصيل مفهوم التعايش السلمي بواسطة الصورة السياحية الدينية لمحافظة كربلاء؟
- ماهي الأسس والقواعد التي تساعد على التعايش السلمي؟

رابعاً: فرضية الدراسة

أن فرضية الدراسة جاءت لتواكب حقيقة مفادها: ان الصورة السياحية والتعايش السلمي تربطهما علاقة وثيقة تعبر عن حاجة اجتماعية في أطار تطور مجتمعي، كون كربلاء شهد تحدياً جديداً تمثل في تغلب السياحة الدينية بشكل واسع المتمثل بمراقد اهل البيتعليهم السلام، فعليه تنص الفرضية على أنه:

الصورة السياحية الدينية لها القدرة على تحقيق التعايش السلمي بشكل خاص في محافظة كربلاء محلياً ووطنياً وبصورة ايجابية أتجاه المستوى الخارجي للعراق.

خامساً: الحدود المكانية والحدود الزمانية

تتمثل الحدود المكانية في محافظة كربلاء المقدسة (الزيارة الاربعينية)، والحدود الزمانية تحدد من فترة (٢٠٠٠ – ٢٠١٧م).

المبحث الأول:

الاطار النظري للصورة السياحية

تعد الصورة السياحية من التغيرات الأساسية المفسرة لسلوك السائح وعاملاً مهما في اختيار الموقع السياحي سواء كان موقع أثري أو ديني، وفي ما يلي عرض الإطار النظري لهذا المفهوم:

أولاً: مفهوم الصورة السياحية

ت	الصفحة، السنة، الباحث	المفهوم
١	Abdelwahab،2000،p86	"مجموعة المعتقدات والانطباعات التي تم تكوينها على أساس معالجة المعلومات من مصادر متنوعة بمرور الوقت "
٢	Beerli،2004،p660	"بأنها الانطباع العام للمقصد السياحي الذي يتكون في ذهن السائح بمرور الزمن معتمداً على معرفته العامة بخصائص وسمات المقصد السياحي من خلال مصادر المعلومات المتنوعة "
٣	Zaki،2007،p14	" الانطباع العام لشيء ما أو مكان ما عبارة عن بناء عقلي يتطور بواسطة الفرد على أساس انطباعات قليلة مختارة بين مجموع الانطباعات"
٤	Abdalla،2008،p38	" بانها مجموعة من الأفكار والانطباعات التي يتوقع أن يحصل عليها السائح عند زيارته للمكان او المقصد السياحي، ولتي تتضمن معلومات عن جغرافية البلد أو الناس أو عن التسهيلات المتاحة أو المناخ أو عن الاسعار أو عن التاريخ هذا المكان "
٥	Budiman،2008،p15	" المشاعر والأفكار والخبرات الشخصية لفرد أو مجموعة من الأفراد والتي تتعلق بشيء محدد أو الانطباع البصري أو العقلي للأشخاص عن بلد المقصد السياحي "

ويمكن استنتاج أن الصورة المقصد السياحي هي «الصورة العقلية التي تتكون في أذهان الناس عن المواقع السياحية المتنوعة والمؤسسات المختلفة، وقد تتكون هذه الصور من التجربة المباشرة أو غير مباشرة، وقد تعتمد على الأدلة أو على الشائعات والأقوال غير الموثقة، ولكنها في نهاية الأمر تمثل واقعاً صادقاً بالنسبة لمن يحملونها في رؤوسهم.

ثانياً: خصائص الصورة السياحية

هنالك العديد من السمات والخصائص المتلفة التي تتسم بها الصورة السياحية، نذكر منها ما يلي:

١. عدم الدقة: أن صورة الوجهة السياحية هي مجرد انطباعات لا تصاغ بالضرورة على أساس علمي موضعي، بل تعد تبسيطاً للواقع، كما أنها لا تعبر بالضرورة عن الواقع الكلي ولكنها تعبر في معظم الأحيان عن جزئية من الواقع الكلي، لاسيما وأن السياح عادة يلجؤون إلى تكوين فكرة شاملة عن الوجهة السياحية من خلال معلومات قليلة يحصلون عليها لعدم القدرة على جمع المعلومات الكاملة.(الدسوقي،٢٠٠٣:٥)

٢. المقاومة للتغيير: تميل الصورة السياحية إلى الثبات ومقاومة للتغيير، وتتعدد العوامل التي تحدد وتؤثر في وقت وكيفية التغيير المحتمل في الصورة.

٣. التغيير البطيء: إن صورة الوجهة السياحية تتغير ببطء حيث أن العنصر الأساسي في تغييرها هو كمية المعلومات الجديدة وحجمها التي يتعرض لها السائح من مختلف وسائل الإعلام، حيث أن ثبات واستمرار المعلومات الجديدة الملقاة لمدة طويلة خاصة إذا كانت تتعارض مع الصورة الحالية عموما فإنها تؤدي إلى تغيير تدريجي في صورة الوجهة وتكوين صورة جديدة بالكامل.

٤. الصورة السياحية غير موضوعية: تؤدي صور الوجهات السياحية إلى تكوين إدراكات متحيزة لدى السائح، لذا فإنها تؤدي إلى إصدار أحكام متعصبة ومتحيزة بعيدة عن الموضوعية، فمن خلال الصورة السياحية يرى السائح جوانب من الحقيقة، ويهمل جوانب أخرى لأنها لا تتماشى مع معتقداته واتجاهاته، ولا تتفق مع طريقة تفكيره.

٥. التنبؤ بالمستقبل: تسهم الصورة الذهنية للسائح عن الوجهة السياحية في التنبؤ بالسلوك والتصرفات المستقبلية له تجاه هذه الوجهة أي هل يزورها أم لا.(زكي، ٢٠٠٨: ١٣)

ثالثاً: مكونات الصورة السياحية

يرى معظم الباحثين بأن المكونات أو الأبعاد الاساسية للصورة الذهنية للوجهة تتمثل فيما يلي:

١. المكون المعرفي: يتمثل في المعلومات والافكار والاتجاهات التي على أساسها يكون السائح صورته الذهنية حول الوجهة وقد تم اكتساب هذه المعلومات بشكل مباشر من خلال ما جربه كسائح زار تلك الوجهة أو بشكل غير مباشر من خلال وسائل الإعلام أو الاتصال الشخصي وغير ذلك من مصادر الحصول على المعلومات ووفقاً للبعد المعرفي فإن الأخطاء في الصورة السياحية المتكونة لدى السياح هي أخطاء ناتجة أساساً عن المعلومات والمعارف الخاطئة التي حصل عليها هؤلاء السياح.

٢. المكون النفسي أو العاطفي: هو تقييم السائح للوجهة من خلال تكوين اتجاهات عاطفية نحوها ويتشكل هذا الجانب مع الجانب المعرفي، ومع مرور الوقت تتلاشى المعلومات والمعارف وتبقى الجوانب العاطفية حيث تنقسم مشاعر السائح تجاه الوجهة السياحية إلى مشاعر ايجابية أو سلبية أو محايدة.

٣. المكون السلوكي: إن سلوك السائح يعكس طبيعة الصورة السياحية المشكلة لديه، حيث ترجع أهمية الصورة الذهنية في بعدها السلوكي إلى أنها تمكن من التنبؤ بسلوك السائح من خلال رغبته في قصده لزيارة الوجهة السياحية في فترة معينة من عدمها.(قطب و عتريس،٢٠٠٧: ٢٠).

وعليه فان هذه المكونات الثلاثة للصورة السياحية تعمل في إطار مجتمعي معين: فالصورة تنبع من المجتمع وتوجد فيه وتختلف تبع لخصائص وسمات كل مجتمع.

رابعاً: مراحل تشكل صورة المقصد السياحي

حتى الآن أغلب الدراسات الخاصة بفهم عملية تشكيل صورة المقصد السياحي تنصب ضمن مقاربتين هما: المطابقة الساكنة (static) والمطابقة الحركية (Dynamics)، حيث إن كلا المقاربتين

تتأثران بنظريات ونماذج سلوك السائح.

١. **المطابقة الساكنة (static)**: تتناول العلاقة بين الصورة وسلوك السائح كالرضا واختيار المقصد، ومن أبرز الأبحاث التي انتهجت هذه المطابقة أعمال كل من (غان و فاكاي وكرومبتون).

أقترح غان نموذجاً لتكوين صورة الوجهة يمر بسبعة مراحل ضمن ثلاث مستويات أساسية كما هو موضح في الشكل أدناه:

شكل (١) نموذج غان لتكوين صورة المقصد السياحي

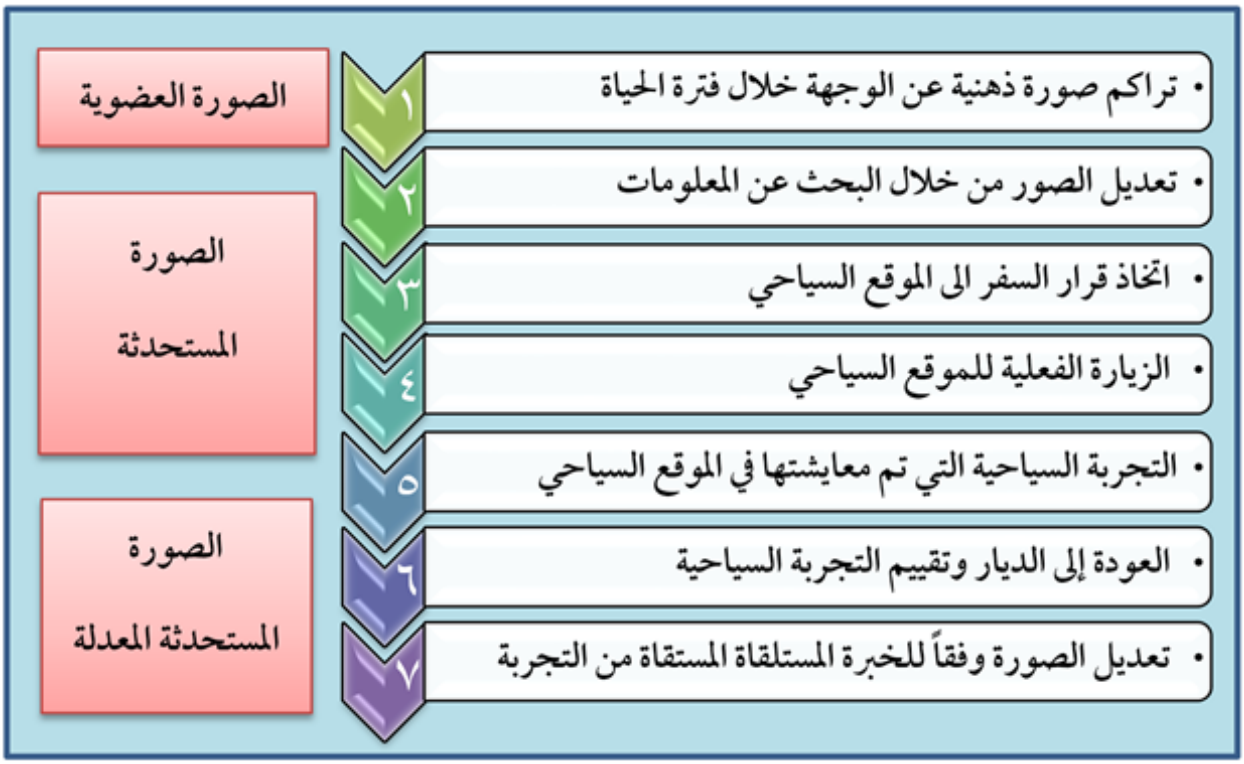

Source: Gunn، C. Vacations cape:Designing tourist regions. Austin: University of Texas.1972، P 120.

وقد اقترح كل من (فاكاي وكرومتون) نموذجاً بمثابة امتداد لنموذج غان الذي اعتمد على الصورة العضوية والصورة المستحدثة، حيث أضاف إليه مكوناً آر وهو الصورة المعقدة وسلط الضوء على مختلف العلاقات بين هذه المكونات، وتعبر الصورة المعقدة عن الخبرات الفعلية للسائح التي كونها من زيارته للموقع السياحي، وفي هذه المرحلة فإن صورة الموقع السياحي تميل إلى التأثر بدرجة التوافق بين الصورة العضوية والمستحدثة والواقع.

وهكذا يتأكد السائح من صحة الصور السابقة من عدمها، وما من شك ان درجة رضا السائح عن اتياره للوجهة تتوقف إلى حد كبير على نتيجة هذه المقارنة، فإذا تطابق صورة الموقع مع تفضيلات السياح وتوقعاتهم فإن الموقع السياحي سيحظى برضاهم. (سامي، ٢٠١٦: ١٧٤).

الصورة الشاملة للوجهة والمكونة من الشقين:

الشكل (٢) نموذج (فاكاي وكرومبتون) لتكوين صورة المقصد السياحي

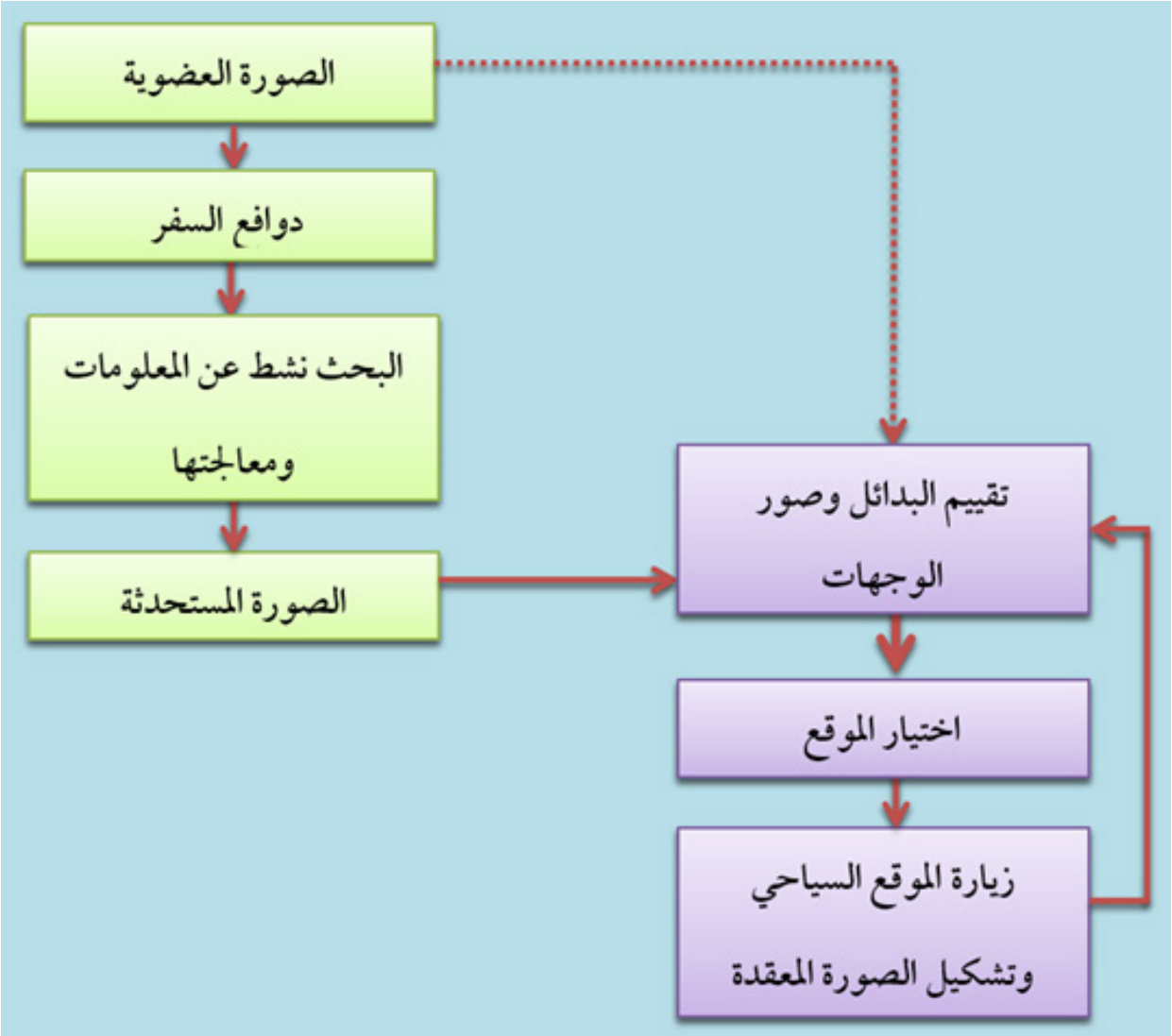

المصدر: د. بلبخاري سامي، أثر الإعلام السياحي على تحسين صورة السياحة الداخلية في الجزائر من وجهة نظر السياح المحليين - دراسة ميدانية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات الإدارية والاقتصادية - المجلد الثاني، العدد السادس، حزيران، ٢٠١٦، ص١٧٥.

٢. **المطابقة الديناميكية (Dynamics)**: تركز هذه المطابقة على دراسة عملية تشكيل صورة المقصد السياحي في حد ذاتها ومحاولة تحديد العوامل التي تؤثر فيها، ومن أبرز الدراسات التي انتهجت هذه المطابقة دراسة بيرلي ومارتن، حيث اقترح الباحثان نموذجاً بيّنا من خلاله أن المعرفي، العاطفي تتأثر خلا مراحل تكوينها بعاملين أساسيين هما: مصادر معلومات(مصادر ثانوية ومصادر أولية) والعوامل الشخصية (الحوافز، البرة السابقة، الخصائص الاجتماعية والديمغرافية) كما هو موضح في الشكل (٣)،

وقد ميز الباحثان بين السياح الذين يزورون الوجهة لأول مرة وأولئك الذين يكررون الزيارة.(Beerli،٢٠٠٤:٦٥٦)

شكل (٣) نموذج بيرلي ومارتن لتشكل صورة الموقع السياحي

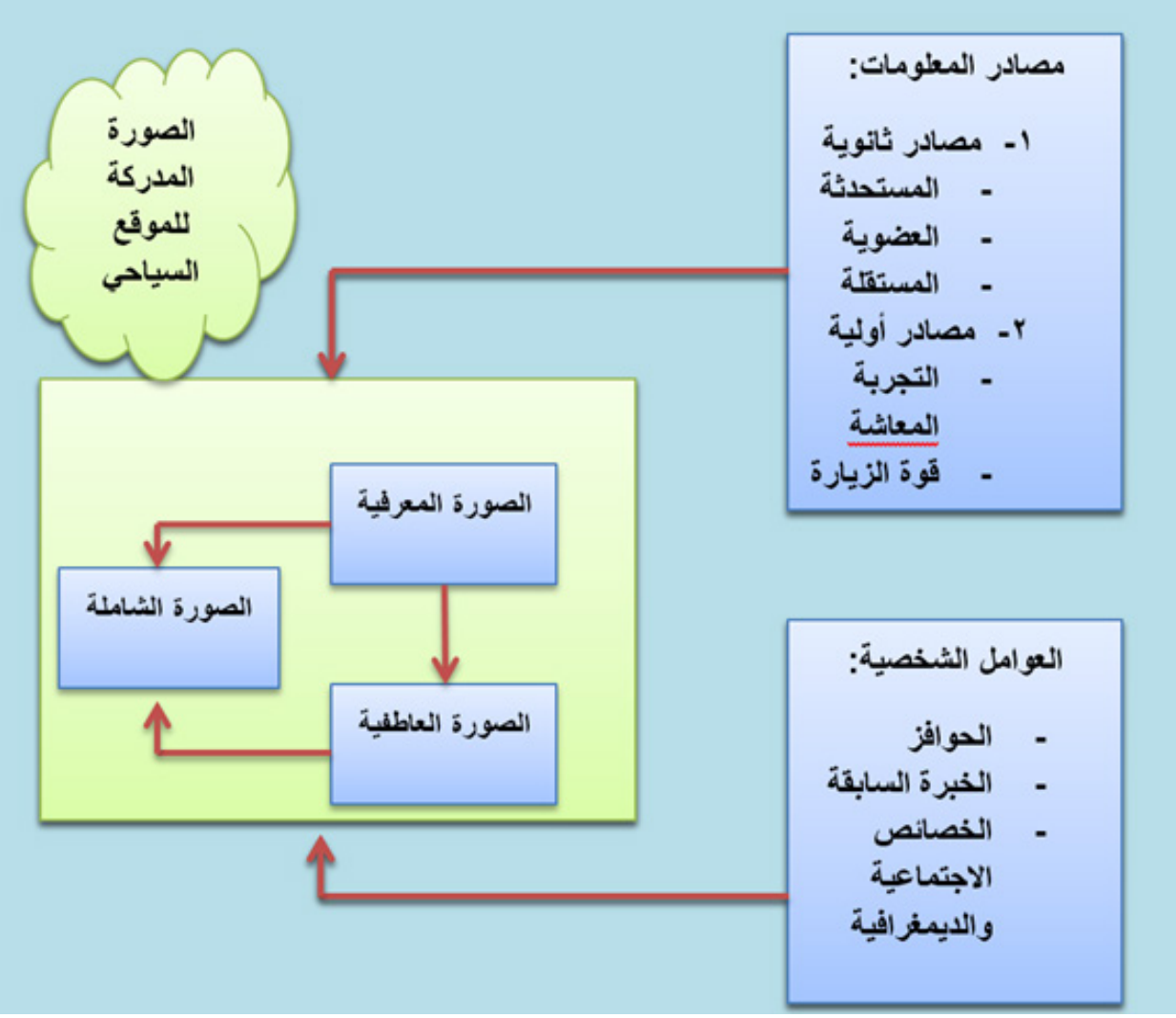

خامساً: عوامل تحسين الصورة السياحية

١. تشجيع الاستثمارات وجذب المستثمرين وعدم فرض ضرائب وتقديم تسهيلات لهم.
٢. توفير وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي.
٣. نشر أبار ايجابية عن العراق بصورة عامة وعن محافظة كربلاء بالأخص.
٤. التنسيق بين الجهات المعنية بالقطاع السياحي.
٥. المساهمة في المهرجانات والمؤتمرات والمعارض.
٦. تفعيل النشاطات الاجتماعية والثقافية والدينية بالمناطق السياحية لبث الطمأنينة للعالم بتمتع البلد بالاستقرار والأمان.
٧. الاهتمام بمكاتب السياحة وشركات نقل السائحين.
٨. التنسيق بين المؤسسات الاعلامية وهيئة السياحة والجهات المعنية لإبراز مقومات السياحية في البلاد.(عبد الفتاح وآخرون،٢٠١٧:٢٣٨)

المبحث الثاني:

الاطار النظري للتعايش السلمي

يعتبر التعايش السلمي من الاساسيات الضرورية التي يجب ان يتم انخراطه في المجتمعات التي يكون فيها تعدد للطوائف بهذا يساعد على تحقيق التسامح والعدالة والقوانين في هذا المجتمع وبالتالي تحقيق أهداف ايجابية في بنائهُ، وبهذا يمكن إظهار مفاهيم التعايش السلمي فيما يلي:

اولاً: مفهوم التعايش السلمي

ان بداية ظهور التعايش السلمي كان قديماً، وتبين ظهورهُ في كتاب الله الكريم وذكر فيه التعايش السلمي في محطات عديدة ومنها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وفي تفسير لهذه الآية يقول سيد قطب (١٣٨٥هـ) وهو يطلعهم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، وإنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، وإنما هنالك ميزان واحد تحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس والكريم حقا هو الكريم عند الله وهو يزنكم عن علم وعن برة بالقيم والموازين. (الشاربي،١٣٨٥: ٥٣).

وظهرت صيغة التعايش السلمي رسمياً لأول مرة في نص اتفاقية «بانش شيلا» بين الصين والهند عام ١٩٢٢ م، وتجلت معاني المصطلح دلاليا بوضوح في إطار المعنى السياسي بين النظامين الخصمين: الاشتراكي والرأسمالي، ويشار إلى أن أول من استخدم التعايش السلمي هو الرئيس السوفيتي (خروتشوف) ضمن تصور يحقق فيها أهداف بطريقة تنسجم مع مقتضيات التغيرات التي يطرأ على المسرح الدولي، كوجود ما يعرف بتوازن الرعب، والحد من الصراع، أو العمل على احتوائه، وهذا هو المستوى الأولفي استخدام المفهوم، فيما استخدم المفهوم لاحقاً اقتصادياً أيضاً، ليرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية من قريب أو بعيد، كما استخدم المصطلح على المستوى الثقافي بمعانٍ عدة، مما أثار لبساً لدى المتلقي.(العنزي،٢٠١٧: ١٨٥).

وان مصطلح التعايش السلمي لم يدخل قاموس العلاقات الدولية إلا في خمسينيات القرن العشرين، بعد أن أضيف إليه جملة توضيحية بين «دول ذات أنظمة اجتماعية مختلفة «(منذر،٢٠٠٢: ١٨٩).

وجاء التحول في معنى آخر مع مؤتمر (باندونغ) حيث تم استخدام مفهوم التعايش، وذلك بهدف خلق بيئة دولية أكثر سلمية، وكان (نهرو) قد دعا لمفهومه للتعايش السلمي بين القوتين العظيمتين من حيث المبادئ المسة: الاحترام المتبادل لسلامة الأراضي وسيادتها، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشؤون

الداخلية لبعضها البعض، والمساواة، والمصالح المتبادلة، وذلك من خلال فكرة التعايش التي كانت متجذرة في إستراتيجية غاندي(ساتياغراها)، أو نبذ العنف.

وبعد ان ادرك الغرب أن الاتحاد السوفيتي بدعوته للتعايش السلمي سيظهر وحدة داعية سلام أمام الرأي العام يطرح منذ أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات شعار الشرق والغرب معاً «عش ودع غيرك يعيش» (عناد،٢٠١٨:٣١).

وعليه يعرف مفهوم التعايش السلمي بأنه «سياسة خارجية تنتجها الدولة المحبة للسلام وتستند الى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الامكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق اقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية.

بينما يرى (فرانسوا شاتليه) إلى ان التعايش السلمي لا يقوم بين الدول فقط وانما بين الشعوب ايضاً وهما تكمن الأهمية والضرورة معاً، اذ ان محرك السلم كمحرك الحرب تماماً ليس علاقة دولة بدولة، وانما بصورة اعمق معناه علاقة الشعوب بعضها ببعض.

وبناء على ما تقدم أصبح التعايش يعني: القبول بوجود الاخر والعيش معه جنباً الى جنب من دون سعي لإلغائه او الاضرار به سوء أكان ذلك الاخر فرداً ام حزباً سياسياً ام طائفة دينية ام دولة مجاورة أم غير ذلك.

وفي هذا الصدد يقول (انطوينا نسايز): التعايش يعني «مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس متلف الاعراق والاجناس والاديان منسجمين مع بعضهم بعضا، ولا يتطلب ذلك أي شيء للتعايش سوى ان يعيش اعضاء تلك الجماعات معاً من دون ان يقتل الاخر» (عبد الستار،٢٠١٦:٣١٣).

التعايش في اللغة: كلمة مشتقة من تعايشوا، أي عاشوا على الألفة والمودة، وعايشه: أي عاش معهُ، والعيش معناه الحياة، والتعايش هو العلاقة بين نوعين من الأحياء التي تستفيد خلالها كلاهما من الآخر (أبن منظور،١٩٩٥:٣٢١).

وبصورة اوسع يعني أية تفاعلات ثابتة وطويلة الأمد بين نوعين أو أكثر من الأنواع الحية، إذ تكون مفيدة أو حيادية أو مضرة لأحدها أو جميعها، وفي حالة استخدام المصطلح بمعناه الواسع يسمى التعايش بمعناه الضيق تنافعاً إذا كان مجبوراً، أو تعايشاً تعاونياً إذا كان مخيراً.(محي الدين و ياس،٢٠١١:١٨٩).

ويتضح من التعريف اللغوي أن التعايش السلمي هو تعايش ومودة وسلام دون حرب أو قتال أي السلامة لكافة الأطراف وهذا مطلب من مطالب الصحة النفسية.

يقصد بالتعايش تعلم العيش المشترك والقبول بالتنوع بما يضمن وجود علاقة مع الاخر، والسمة البارزة فيه وجود علاقة يعترف الاخر بوجوده، اذا لا يكفي ان يشعر الناس بانتمائهم للدولة الا إذا كانوا يشعرون بأن الاخرين ينتمون اليها، وكل هؤلاء الارين يشعرون بأن الجميع ينتمون اليها أيضاً، ومن ثم لابد من وجود إدراك مشترك بوجود الاخر، وان

الاخر وجوده مقترن بوجودنا والعكس صحيح. (محمد،٢٠١٣:٩٤).

أما (سفن سبيجمان) فيعرف التعايش بأنهُ: نموذج لاستئناف حياة منتجة آمنة ونظام اجتماعي يمكن للأفراد الذين انخرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد بعضهم البعض ان يعيشوا ويعملوا معاً دون ان يدمر احدهم الاخر.

ويعرف (ابلين بايت) التعايش السلمي بأنه من الناحية العلمية (اقامة علاقة بين اثنين أو اكثر من الجماعات المختلفة الهوية التي تعيش بتقارب يشمل اكثر مجرد العيش بجانب بعضهم البعض كما يشمل درجة معينة من الاتصال والتفاعل والتعاون يمكن ان يمهد التعايش لتحقيق المصالحة على أساس السلام والحقيقة والعدالة والتسامح. (شبوط،٢٠٠٧:٨٢).

وعرفت (اليونسكو) التعايش السلمي في بيان لها بأنه «احترام الآخرين، وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بي الأفراد، والقبول بالآخر، وتقدير التنوع الثقافي «(الكبيسي و الحديثي،٢٠١٢:٦٢).

ومن هنا فالتعايش السلمي هو العيش المشترك بين الشعوب والحضارات في جّوٍ من التفاهم والتعاون والتضامن والتسامح وتبادل المنافع والمصالح بعيداً عن الصراعات والنزعات والعنف والاضطهاد، حتى يسود الأمن والسلام.

ثانياً: مستويات التعايش السلمي

من خلال التعاريف نجد ان هذا المصطلح يقودنا إل جملة من المعاني محملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفها إلى مستويات أربعة:

المستوى الأول: سياسي، أيديولوجي: يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، او العمل على احتواءه، أو التحكم في ادارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضي ضرورات الحياة المدنية والعسكرية، وقد عرف التعايش أول ما عرف على هذا المستوى. (التويجري،١٩٩٨:٧٦).

المستوى الثاني: اقتصادي: يرمز إلى علاقات بين الحكومات والشعوب فيما له صله بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية.(جون لوك،١٩٩٧:٧٤).

المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري: ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني والتعايش الحضاري والمراد به ان تلتقي ارادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل ان يسود الأمن والسلام في العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الآخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً من دون استثناء. (الزركاني،٢٠١٢:٤٣).

المستوى الرابع: الاجتماعي: فقد ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية تعريف التعايش السلمي بأنهُ: (معيشة جماعات مع بعضها البعض أو في نفس الوقت، وقد يتجه هذا التعايش نحو الانصهار أو نحو الاندماج بحيث يزول بعضها ويذوب في البعض الآخر، أو هي تحافظ على التفرقة العنصرية بحيث تقيم من عاداتها وقوانينها ونظمها حواجز فاصلة بين بعضها البعض). (بدوي،١٩٧٠:٦٨).

ثالثاً: مميزات التعايش السلمي في المنظور الاسلامي: (جياد،٢٠١٢: ١٧٠)

١. يكسر الحواجز الناجمة عن الاختلاف بين الناس، ويفتح أفقاً لحوار وقبول الخر، لترسيخ فضيلة الاحترام المتبادل استناداً إلى الأصل الإنساني الواحد.
٢. يؤكد على المنهج الإصلاحي في العلاقات الإنسانية، فمقياس العلاقة الجيدة هو حجم الإصلاح الناجم عنها في عمارة الأرض، مما يجعل المفهوم الإسلامي للتعايش منسجماً تماماً مع مفهوم الآخر في الإسلام.
٣. يستند إلى أسس شرعية تقر بحتمية الاختلاف وضرورة التجانس والتكامل بين الأفراد والجماعات، مما يزيد من قدسيته ووجود، ولاتفرضه ضرورات آنية ناجمة عن الصراع بين الأفراد والجماعات.
٤. يجفف منابع العداء بين الناس، ويقطع أسباب الخراب سواء على مستوى الدولة الواحدة، أم على المستوى الإنساني عند الالتزام بشروطه ومعاييره من جميع الأطراف.
٥. إن التعايش والتعارف والتكامل والتفاهم وإزالة الحواجز النفسية والتعرف على المداخل الحقيقية للوصول إلى الآخر الديني والتفاهم معه، هو الذي ينتج القوانين والأعراف ووسائل الضبط الاجتماعي ويحرر الحقيقة العلمية، ويؤدي للتراكم المعرفي وتبادل الخبرات وترسيخ الأعراف.

رابعاً: أسس التعايش السلمي

الاساس الأول: الارادة الحرة المشتركة: بحيث تكون الرغبة في التعايش نابعة من الذات، وليست مفروضة تحت ضغوط مهما كان مصدرها، أو مرهونة بشرط مهما تكن مسبباتها.

الاساس الثاني: التفاهم حول الاهداف والغايات: حتى لا يكون التعايش فارغاً من أي مدلول عملي، أو لا يحقق فائدة للطرفين، بحيث يكون القصد الرئيس من التعايش هو خدمة الاهداف الانسانية السامية وتحقيق المصالح البشرية العليا والحيلولة دون القيام أسباب الحروب والنزاعات، وردع العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات، واستنكار كل السياسات والممارسات التي تهضم فيها حقوق الشعوب على أي مستوى من المستويات، ومحاربة العنصرية والعرقية والطائفية. (حكمت،٢٠١٣: ٣٨٨)

الاساس الثالث: التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، ووفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش.

الاساس الرابع: الاحترام والثقة المتبادلين: حتى لا ينحرف التعايش عن مساره، ولا تتغلب مصلحة طرف ما على مصلحة طرف الآخر، من خلال الاحتكام على القواسم المشتركة، وإلى المبادئ والقيم التي لا خلاف ولا نزاع حولها.(نور الدين و حميد،٢٠١١: ٢٧٩)

الاساس الخامس: الاتفاق على إحلال الحوار بدلا من الصراع: لاستمرار التعايش بين الاطراف وهذا

لا يتأتى إلا من خلال وجود بيئة ديمقراطية، كمسرح للتعايش السلمي، لضمان التفاعل الطبيعي بين الأطراف المتعايشة مع بعضها. (سبع،٢٠٠٩:١١٦)

خامساً: سبل ترسيخ التعايش السلمي في العراق

١. إلغاء نظام المحاصصة الطائفية التي تثير النزاعات والسعي لبناء دولة وطنية ديمقراطية.
٢. وضع ضوابط للأطر العامة لخطب أئمة الجوامع وعلماء الدين، لإشاعة المفاهيم الدينية الصحيحة بين أفراد المجتمع، وطبع الكتيبات والكراس التي تحث على مناهج التعايش بما يضمن ابتعادها عن تكريس النزاعات الطائفية والعرقية.
٣. منح زعماء العشائر والقبائل وشيوخها دوراً حقيقياً في عملية راب الصدع في المجتمع العراقي، وإبعاد شبح الحرب الأهلية والطائفية عنهُ.
٤. تعزيز مبدأ المواطنة وتفعيله من لال الاتفاق فيما بين الكتل المشاركة في العملية السياسية، وقيامها بدور المشجع على التقارب والتسامح والاختلاط، لإعادة الثقة للمواطن بأنه جزء فاعل ضمن حركة العامة للمجتمع.
٥. العمل على تنمية الجانب الثقافي عن طريق خلق ثقافة وطنية شاملة وموحدة تشعر جماعة مهما كانت لغتها وديانتها ومذهبها، بأنها عراقية ومتساوية مع الجماعات الاجتماعية الأخرى، أي تعلم ثقافة الديمقراطية وممارستها.
٦. لابد من وجود جهة سياسية تسعى إلى توجيه عملية التعايش السلمي داخل المجتمع العراقي، ونرى أن تكون تلك الجهة هي البرلمان بالتعاون مع مجلسي الرئاسة والوزارة.
٧. ومن أجل بناء الوطن على الأسس الحضارية والديمقراطية، فلابد من إلقاء الماضي الأليم وراء ظهورنا وعدم العودة إليه مجدداً، وبهذا فقط من الممكن ان يتقدم العراق ويترسخ فيه التعايش والمواطنة الحقيقية، وبالتالي دفع تجربة التحول الديمقراطي للوصول إلى غاياتها. (حكمت،٢٠١٣:٣٤٨)

المبحث الثالث:

السياحة الدينية في كربلاء المقدسة

تمهيد:

تتصف الموقع الدينية في كربلاء المقدسة بالتميز والتفرد النوعي لما تحتويه من منزلة عظيمة بحكم الروحية التي تربط المسلمين بها، وذلك لاحتضان ثراها جسد المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومرقد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وتعتبر مدينة كربلاء المقدسة مركزاً مهماً للسياحة الدينية ومحط أنظار الزائرين من داخل وخارج العراق، مما جعل السياحة الدينية النشاط الأكثر تميزاً فيها، على الرغم من أنها تمتلك مقومات سياحية أخرى، بحيث أنها لم تجذب العراقيين وحدهم، بل تعد على مدار السنة محركاً أساسياً للسياحة الداخلية والسياحة من الدول العربية والأجنبية الإسلامية، إذا لها مردود اقتصادي في تحسن مستوى دخل الفرد، وتعتبر من المصادر المهمة للحصول على العملة الاجنبية، وإن هذه الخصوصية تعطي ميزة في تعظيم الفوائد المحققة من

خلال استقطاب أعداد كبيرة من السياح في الداخل والخارج، وبقائهم أطول فترة ممكنة في المدينة المقدسة.

أولاً: نشأة ومفهوم السياحة الدينية

إن الرجوع إلى الجذور التاريخية لمفهوم السياحة الدينية يتم بالرجوع إلى وادي الرافدين حيث إقامة المعابد والطقوس الدينية، لقد كان السفر لغرض العبادة هو أحد الدوافع التي كانت تشجع الأشخاص على السفر والانتقال، ففي العصور الوسطى كان عدد كبير من الحجاج على اختلاف دياناتهم مسيحيين، ومسلمين، بوذيين، يقومون برحلاتهم الدينية إلى الأماكن المقدسة التي غالباً ما كانت تتعدهم عن موطنهم مسافات طويلة متكبدين مشقة هذه الرحلات وأخطارها سائرين على الأقدام، إذا لم تتيسر لهم الموارد المالية، أو على ظهور الجياد إذا كانوا ينتمون إلى طبقة ميسورة، إن من الدلالات على وجود السياحة الدينية في العراق قديماً، قيام السومريين بالاحتفال السنوي بعيد الزواج المقدس، والبابليين بعيد اكيتو في مدينة بابل، ثم أصبح بعد ذلك عيداً واحداً يعرف برأس السنة البابلية ضمن حضارة وادي الرافدين. (الاسدي،٢٠١٢:٤٥).

وبهذا أصبح للسياحة مفاهيم متنوعة وعليه عرفت السياحية الدينية «أنها نمط من أنماط السياحة وهي استجابة للطلب الروحي والعواطف الدينية والرغبة لإشباعها من خلال التوجه لأماكن العبادة أو الأضرحة والمقامات والمزارات والأماكن الدينية الأخرى لأداء مراسم الطقوس الدينية لما في ذلك راحة وترو نفسي كبير وفعال تنعكس آثاره الإيجابية على نفسية وسلوك الفرد. (مطلق،٢٠٠٤:١٤).

وجاء تعريف آخر للسياحة الدينية بأنها «ذلك النشاط السياحي الذي يقوم على انتقال السائحين من أماكن إقامتهم إلى مناطق أخرى وذلك بهدف القيام بزيارات ورحلات دينية داخل وخارج الدولة لحقبة من الوقت». (عبد الوهاب،١٩٨٧:٢٤).

وعرفت كذلك السياحة الدينية «ذلك التدفق المنتظم والمنظم من السياح القادمين من دخل وخارج البلد يمتلك أماكن الجذب السياحي الديني المقدس بقصد إشباع الجانب الروحي لهم وفق ما تمليه عليه اعتقاداتهم الدينية». (الاسدي،٢٠١٢:٤٥).

ومن ذلك التعاريف اعلاه يتضح أن الاعتقادات الدينية هي التي دفعت بالكثير من الأفراد لمغادرة بلدهم متحدين الأخطار باذلين كل غالٍ ونفيس لغرض ممارسة الشعائر الدينية وخير مثال ذلك الزيارة الأربعينية للأمام الحسين عليه السلام وآل بيته الأطهار.

ثانياً: الروضة الحسينية المقدسة والروضة العباسية المقدسة

١. الروضة الحسينية المقدسة

وتضم مرقد الإمام الحسين ومرقد أبنائه عليهم السلام، وتمتاز هذه الروضة عن باقي العتبات المقدسة بسعة صحنها، وكثرة أواوينها المزخرفة، حيث تبلغ مساحة الصحن (١٥٠٠٠م٢)، وله عشرة أبواب هذه الأبواب لها تسميات منها (باب القبلة، قاضي الحاجات، السدرة، علي الأكبر، الكرامة، السلام،

السلطانية، الرجاء،الزينبية، رأس الشريف) ويحيط بالروضة ستة أواوين وفي كل إيوان حجرة زَينت جدرانها من الخارج والداخل بالفسيفساء، وقد أُعدت هذه الغرف ليتلقى فيها طلاب العلوم الدينية دروسهم، كما أُعدت بعض منها مقابر للسلاطين والملوك،ولرجال الدين الكبار، وكبار العلماء، وهناك صندوق إلى يمين على الأكبر بن الحسين عليه السلام ضم تحته أجساد الشهداء في معركة الطف، وتعلو الروضة قبة شاهقة يبلغ ارتفاعها (٣٧م)، وهي مطلية من أسفلها إلى أعلاها بالذهب الخالص، ويوجد في أسفلها (١٢شباكاً) تعتليها منارتان شاهقتان، مكسوتان بالذهب الخالص يبلغ ارتفاعها (٤٤م)، بالإضافة الى وجود متحف توجد فيه السجاد الفاخرة ومجموعة من الأسلة والبنادق الخفيفة يعود تاريخها الى ١٨٠ عام مهدات من التراث العثماني ويوجد الكثير من محامل الشمع وغيرها من التراث القديم، كذلك وجود مكتبة تحتوي على ١٥٠٠٠ كتاب وبحوث متعددة المجالات. (الموسوي والطويل،٢٠١٦:٩٦).

٢. الروضة العباسية

وتقع على مقربة من مرقد الإمام الحسين وتسمى الروضة العباسية نسبة إلى العباس بن علي وهو أخو الحسين من أبيه، ويبعد مسافة (٣٥٠م) من الجهة الشمالية للروضة الحسينية، وتبلغ مساحة الروضة العباسية بما فيها الصحن(١٨٣٦م٢)، وللصحن ثمانية أبواب أربعة منها في الجهة الغربية من الصحن، وتسمى بأسماء الأئمة من سلالة علي بن أبي طالب منها الحسين، صاحب الزمان عجل الله فرجه موسى بن جعفر، علي بن موسى الرضا، أما الجهة الجنوبية ففيها باب واحد يسمى باب الرسول، وحالياً يطلق علية باب القبلة، كما أن هناك في الجهة الشمالية باباً آخر يسمى باب الإمام محمد الجواد وتحيط بالصحن(٥٧) غرفة دُفن فيها العلماء والسلاطين، وتتوسط صحن الروضة العباسية وتعلوا فوقها قبة ذهبية نقشة في أسفلها الآيات القرآنية، وفي أطراف القبة مئذنتان كما أن ساعة أثرية واقعة على باب القبلة، ويبلغ ارتفاع القبة (٣٩م) ويبلغ ارتفاع المنارة (٤٤م)، ويوجد في الروضة مكتبة تحتوي تقريباً على ٤٠٠٠ كتاب وبحوث متعددة، بالإضافة الى المتحف الذي يحتوي على الآثار مثل ثريات من الذهب والفضة، والشمعدان والمباخر والقلائد والى العديد من الرمزيات التراثية.(الموسوي والطويل،٢٠١٦:٩٨).

جدول(١) المناسبات الدينية المخصوصة في كربلاء

ت	تاريخ المناسبة	المناسبة الدينية
١	١٠ محرم	استشهاد الإمام الحسين عليه السلام
٢	٢٠ صفر	أربعينية الإمام الحسين عليه السلام
٣	١ رجب	الزيارة الرجبية
٤	١٣ رجب	مولد الإمام علي عليه السلام
٥	١٥ رجب	الزيارة الرجبية
٦	٣ شعبان	مولد الإمام الحسين عليه السلام
٧	٤ شعبان	مولد الإمام العباس عليه السلام
٨	١٥ شعبان	مولد الإمام الحجة عجل الله فرجه
٩	ليلة ويوم ١٩ رمضان	جرح الإمام علي عليه السلام
١٠	٢١ رمضان	استشهاد الإمام علي عليه السلام
١١	٣٠-٢٠ رمضان	العشرة الأخيرة من رمضان
١٢	٩ ذو الحجة	يوم عرفة

١٣	ليلة العيد ويومها	زيارة العيدين (الفطر والأضحى)
١٤	ليالي الجمع	تستحب الزيارة فيها، وعددها ٥٢ ليلة في السنة

المصدر: البكري، هيام مجيد، المورفولوجية الحضرية لمدينة كربلاء المقدسة، رسالة ماجستير، مقدمة إلى مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص: ٥٦.

ثالثاً: الزيارة الأربعينية والشعائر الحسينية

أكدت أحاديث الأئمة عليهم السلام عن أهمية زيارة الأربعين ومن ضمنها كما جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنهُ قال: «إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً وما اختضبت امرأة منا و لا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعدهُ».

لقد دُفن جسد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث عشر من المحرم أي بعد مقتله بثلاثة أيام ولكن رأس الحسين عليه السلام بقي على أطراف الرماح وبأيدي الأعداء وبين يدي ابن زياد ويزيد (لعنهما الله) حتى أعاده الإمام زين العابدين إلى كربلاء عندما رجع من الأسر وألحقه بالجسد الشريف، وذلك بعد أربعين يوماً من مقتله أي في العشرين من شهر صفر، وهذا أصح الأقوال وأقربها إلى الاعتبار. (السعدي،٢٠١٧: ٨١)

اتفق الباحثون جميعاً على ورود الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك التاريخ بعد استشهاده بأربعين يوماً، فقد عظم عليه نبأ قتل الحسين عليه السلام وهو في المدينة فخرج منها متوجهاً إلى كربلاء لزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام واصطحب معه رجلاً يقال له بن عطيّة العوفي وغلاماً لهُ، وصادف وصوله إلى كربلاء يوم التاسع عشر من صفر، أي قبل ورود أهل البيت عليهم السلام بيوم واحد، فلما وصل جابر إلى كربلاء اغتسل بماء الفرات ثم توجه إلى قبر الامام الحسين عليه السلام والشهداء عليهم السلام برفقة عطيّة العوفي، ثم التقى جابر بن عبد الله الانصاري في اليوم الثاني بالإمام زين العابدين عليه السلام عند قبر الحسين عليه السلام واستمع منه إلى تفاصيل ما جرى هناك فكثر البكاء والعويل حول قبر الحسين عليه السلام واقيمت المآتم من قبل أهل السواد والنواحي الذين كانوا قد توافدوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام على زين العابدين وبنات الرسالة واستمروا على تلك الحالة ثلاثة أيام ثم بعد ذلك ارتحل زين العابدين عليه السلام بالعائلة من كربلاء مواصلاً سيره نحو المدينة. (السعدي،٢٠١٧: ٨٢).

وبهذه المناسبة الحزينة تكونت زيارة الأربعين، إذ تأتي المواكب العزائية والآلاف الزائرين إلى كربلاء يوم العشرين من شهر صفر فكأنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد عليه السلام وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه يجددون الولاء بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الحسين عليه السلام والشهداء عليهم السلام، من هنا بدأت زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، إذ أنه اليوم الذي رجعت فيه رؤوس أهل البيت عليهم السلام.

نجد مما تقدم أن هذه الحادثة مؤشر تأريخي إلى بداية انطلاق طقوس الحداد في يوم الأربعين على

الحسين عليه السلام إذ يظهر أن البكاء واللطم ومظاهر الحزن كانت علامة المميزة للممارسة طقوس الحداد على الحسين عليه السلام بعد استشهاده مباشرةً.

وتوضح أهمية هذه الشعائر وفاعليتها ونتاجاتها على الفرد والمجتمع من النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية، إذ ارتبطت مراسيم العزاء الحسيني بمأساة كربلاء الدامية مثلما ارتبطت بتأريخ الحزن والشهادة، فلا توجد أرض مدماة مثل أرض كربلاء ولم يحزن شعب على فقيده مثل حون المؤمنين ولا سيما في العراق على الحسين عليه السلام حتى أصبح الحزن والعزاء سمة من سمات شخصية الفرد العراقي في الوسط والجنوب.

يقصد بالشعائر الحسينية «مجموعة مراسيم يؤديها أحباب أهل البيت عليهم السلام وإقامة المجالس الحسينية والبكاء عليه، وقد طغت تسمية الشعائر على مراسيم الحزن على سيد الشهداء، إذ أنها اختصت بذكر الإمام الحسين عليه السلام وآل بيته، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

ويتضح مما سبق أن الزيارة الاربعينية تشير الى أمور عديدة وهي: (السعدي،٢٠١٧: ٨٣).

١. بروز كربلاء كمركز له حضور تاريخي والروحي عند الشيعة بسبب تحوّل هذا المكان إلى موقع مقدس ومهم للزيارات، وكذلك موقعاً رئيساً لاستذكار معركة الطف الأليمة وإعادة إحيائها والتفاعل مع أحداثها بصورة مادية ومعنوية.
٢. أن أهمية مدينة كربلاء المقدسة تتبلور من خلال ما تحتويه من منزلة عظيمة بحكم العلاقة الروحية التي تربط المسلمين بثراها الطّاهر، إذ يرقد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأخوه أبو الفضل العباس عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الأطهار عليهم السلام، فمنذ ذلك الوقت أصبحت هذه المدينة محط أنظار المسلمين حتى تبوّأت مكانتها الرفيعة ومنزلتها.
٣. إن الشعائر الحسينية بكافة أشكالها وجميع أنواعها هي شعارات حضارية راقية، وإذا ما قُرنّت ببقية الشعائر الموجودة لدى غير المسلمين اليوم لرأيناها هي أرقى الشعائر التي يمتلكها أصحاب الأديان والمبادئ الأخرى، وهذه المواكب والشعائر الحسينية المتداولة عند المؤمنين اليوم هي غير جديدة وإنما هي قديمة وعريقة.
٤. إن الأعمال العزائية التي يقوم بها المؤمنون أيام الأربعينية إنما يُعبرون بها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحق واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.
٥. من أهم النتائج والآثار لمأساة الحسين وحادثة كربلاء، انتشار التشيّع وظهور مذهب أهل البيت أكثر فأكثر وتزايد عدد المؤمنين في العالم الاسلامي.
٦. لقد أجمع المؤرخون بأن فاجعة كربلاء من أشد الوقائع أثراَ في النفوس ذلك لما وقع على ساحة طف كربلاء يوم العاشر من محرم سنة (٦١هـ) لذلك حين يحلّ هذا التاريخ من كّل عام، ويهل هلال محرم الحرام يستعد المسلمون في معظم أنحاء المعمورة لتغبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية ولاسيما في يوم العاشر من محرم والأربعين منهُ.

المبحث الرابع:

واقع السياحة الدينية في زيارة الأربعين ودورها الفعال في تحقيق التعايش السلمي

إن الزيارة الأربعينية تلعب دور كبير في المجتمع الكربلاء بالخصوص كون في هذه الزيارة تتحد جميع المؤسسات في جميع البلاد وتتوجه لمحافظة كربلاء من كافة النواحي الخدمية والصحية وغيرها، بالإضافة الى توافد جنسيات متعددة من جميع أنحاء العالم لقصد والتبرك بالزيارة، واشارت الاحصائيات التالية أن التعايش السلمي بين المجتمع الكربلاء والعراق بصورة عامة مع كافة الجنسيات الى تعامل انساني مغرس بالمحبة والايمان والتبادل الثقافي المستمد من رسالة الامام الحسين عليه السلام الى الاسلام والتضحية التي تجسدت بآل بيته الكرام عليهم السلام، وعليه يمكن توضيح أهم الاساسيات التي تحقق التعايش السلمي في كربلاء فيما يأتي:

أولاً: اعداد الزوار الوافدين الى كربلاء اثناء الزيارة الاربعينية عام ٢٠١٧.

جدول (٢) اعداد الزوار الوافدين الى كربلاء اثناء الزيارة الاربعينية عام ٢٠١٧

ت	الدولة	العدد
١	العراق	١٢٨٠٤٨٤٠
٢	ايران+ القنصليات العامة+ المكاتب	٢٣٨٤٥١٤
٣	باكستان	٦٩٣٣٠
٤	البحرين	٣٧٢٥٤
٥	لبنان	٣٤٠٩٤
٦	الكويت	١٩٢٥٨
٧	الهند	١١٠٦٤
٨	اذربيجان	١٠٣٠٠
٩	بريطانيا	٣٥٤١
١٠	امريكا	٢٠٦٠
١١	تركيا	١٥٠٢
١٢	كينيا	١٣٧١
١٣	المانيا	١١١٦
١٤	استراليا	٩٤٩
١٥	كندا	٧٨٠
١٦	قطر	٣٨١
١٧	روسيا	٣٣٥
١٨	جورجيا	٢٩٨
١٩	فرنسا	٢٨٩
٢٠	اندنوسيا	٢٦٦
٢١	ماليزيا	٢٤٦
٢٢	بلجيكا	٢٤١
٢٣	النروج	١٩٦
٢٤	نيجريا	١٩٤
٢٥	الدنمارك	١٨٣
٢٦	جنوب افريقيا	٧٣
٢٧	اليونان	١٧
٢٨	فنلندا	١١
٢٩	السويد	٢٩٧
٣٠	المجموع	١٥٣٨٥٠٠٠

المصدر: سلسلة زيارة الأربعين (١)، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام المباركة، اعداد مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، إصدارات العتبة ٤١٠، إصدارات المركز ٩٢، ٢٠١٧، ص ١٦.

ثانياً: عدد الفنادق السياحية ونزلائها خلال زيارة الأربعين

جدول (٣) عدد الفنادق السياحية ونزلائها خلال زيارة الأربعين

عدد الزائرين الاجانب	عدد الزائرين العرب	عدد الفنادق المسجلة	مجموع الزائرين
١٣٢٩٥٦	٤٧٤٥٢	٧٧٠	١٨٠٤٠٨

المصدر: سلسلة زيارة الأربعين (١)، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام المباركة، اعداد مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، إصدارات العتبة ٤١٠، إصدارات المركز ٩٢، ٢٠١٧، ص ٧٨.

ثالثاً: عدد الشركات السياحية والفندقة في مدينة كربلاء المقدسة

جدول (٤) عدد الشركات السياحية والفندقة في مدينة كربلاء المقدسة

عدد الفنادق السياحية	عدد الشركات السياحية	عدد الكوادر الوظيفية	عدد الاليات الخدمية	نسبة الإسكان والايواء في مركز المحافظة	الحوادث واصابات العمل
٥٠٨	٨٣	٢٧	٢	٨٠٪	٠

المصدر: سلسلة زيارة الأربعين (١)، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام المباركة، اعداد مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، إصدارات العتبة ٤١٠، إصدارات المركز ٩٢، ٢٠١٧، ص ٨٠.

رابعاً: المتطوعين المشاركين خلال زيارة الأربعين لسنة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧ م

جدول (٥) المتطوعين المشاركين خلال زيارة الأربعين لسنة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧ م

ت	جهة التطوع	العدد
١	متطوعي الشباب والرياضة	٢٠٠
٢	متطوعي لواء النهضة الحسينية	١٠٠٠
٣	متطوعي لواء الخدمة الحسينية	١٠٠٠
٤	متطوعي جمعية الهلال الأحمر	٥٠٠
٥	متطوعي الإدارة المحلية	٣٠٠
٦	المتطوعات من النساء	١٨٠٠
٧	متطوعي الوقف الشيعي	١٠٠٠
٨	متطوعي فريق بادر	١٨٠
٩	متطوعي فريق البشائر	١٠٠٠
١٠	المتطوعين للعتبة الحسينية المقدسة	٨٠٠٠
١١	المتطوعين للعتبة العباسية المقدسة	٣٥٠٠
١٢	المتطوعين مع قوة حماية بين الحرمين	٧٠٠
	المجموع	١٩١٨٠

المصدر: سلسلة زيارة الأربعين (١)، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام المباركة، اعداد مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، إصدارات العتبة ٤١٠، إصدارات المركز ٩٢، ٢٠١٧، ص ٨٩.

خامساً: وسائل الاعلام المشاركة خلال زيارة الأربعين لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م

جدول (٦) وسائل الاعلام المشاركة خلال زيارة الأربعين لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م

المجموع	عدد الإعلاميين			وسائل الاعلام	عدد سيارات S.N.G
	عربي	أجنبي	عراقي		
٩٢٣	١٠٠	٧٦	٧٤٧	٧٦	٢٢

المصدر: سلسلة زيارة الأربعين (١)، النشرة الاحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام المباركة، اعداد مركز كربلاء للدراسات والبحوث شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الاربعين، إصدارات العتبة ٤١٠، إصدارات المركز ٩٢، ٢٠١٧، ص ٩١.

سادساً: أعداد الزوار الوافدين إلى محافظة كربلاء المقدسة خلال المدة ٢٠١٦ - ٢٠٠٠ من مختلف الجنسيات

جدول (٧) أعداد الزوار الوافدين إلى محافظة كربلاء المقدسة خلال المدة ٢٠١٦ - ٢٠٠٠ من مختلف الجنسيات

السنوات	أعدد الزائرين العراقيين	أعداد الزائرين العرب والأجانب	المجموع
٢٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	٣٤٠١٤٤	١٦٤٠١٤٤
٢٠١٠	١٥٥٥٠٠٠٠	١٢٥٣٨٠٢	١٦٨٠٣٨٠٢
٢٠١١	١٩٨٤٠٠٠	١٤٢٩٣٣٥	٢١٢٠٦٠٦٥
٢٠١٢	٢٤١٨٠٠٠٠	١٦٠٤٨٦٢	٢٥٦٠٨٣٣٠
٢٠١٣	٢٨٥٢٠٠٠٠	١٧٨٠٤٠١	٣٠٠١٠٥٩٤
٢٠١٤	٣٢٨٦٠٠٠٠	١٩٥٥٩٣٤	٣٤٤١٢٨٥٨
٢٠١٥	٣٧٢٠٠٠٠٠	٢١٣١٤٦٧	٣٥٨١٥١٢٢

المصدر: دائرة صحة كربلاء، ٢٠١٦.

لقد ازداد أعداد الزائرين من (١٣٠٠٠٠٠) زائرًا عراقيًا لعام ٢٠٠٠ إلى (٣٧٢٠٠٠٠٠) زائرًا عراقيًا لعام ٢٠١٥ ويعود التزايد في أعداد الزائرين إلى عدة أسباب لعل أهمها القيود التي وضعها النظام البائد قبل عام ٢٠٠٣ على الزائرين من داخل العراق وثانياً ارتفاع متوسطات الدخول وتحسن المستوى المعاشي، وهذا يتطلب الاهتمام بجانب العرض السياحي بوصف أن السائح هو المادة الحقيقية لصناعة السياحة، كون هنالك قصور في العرض السياحي.

وإزداد أعداد الزائرين العرب والأجانب إلى كربلاء المقدسة من (٣٤٠١٤٤) زائر عام ٢٠٠٠ إلى (١٩٥٥٩٣٤) زائرًا عام ٢٠١٥ إذ كان لغزو الكويت والحصار الاقتصادي على العراق وضعف الحالة الاقتصادية للمواطن العراقي وانقطاع العراق سياسياً واقتصادياً خلال فترة نظام البائد خلال فترة ١٩٩٠ ولغاية ٢٠٠٣ دور في انخفاض الطلب ٢٠٠٣، إلا أن بعد ٢٠٠٣ بدأ العراق يشهد الانفتاح على دول العالم المختلفة ومنها الإسلامية وبالخصوص الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد ان شهدت المحافظة الاستقرار الأمني النسبي، ومن المتوقع في السنوات المقبلة تزايد في أعداد الزائرين العرب والأجانب.

سابعاً: اجمالي الزوار الوافدين (ضمن الاتفاقية) و(خارج الاتفاقية) حسب الاشهر لعام ٢٠١٦

جدول (٨) اجمالي الزوار الوافدين (ضمن الاتفاقية) و(خارج الاتفاقية) حسب الاشهر لعام ٢٠١٦

الشهر	ضمن الاتفاقية (ايرانيين)	خارج الاتفاقية (متعددة الجنسيات)	المجموع
كانون الثاني	٥٥١٤٢	٤٦٤٣٨	١٠١٥٨٠
اشباط	٦١١٢٢	٣٥٦٥٦	٩٦٧٧٨
آذار	١١٩٢٩٤	٣٧٧٩٤	١٥٧٠٨٨
نيسان	٨٠٣٢٢	٣٩٢١٧	١١٩٥٣٩
مايس	٨٨١٧٦	٣٦٦١١	١٢٤٧٨٧
حزيران	٩٩٧٨٦	٣٣١٨١	٤٢٩٦٧
تموز	٢٣٨٢٠	١٧٥١٣	٤١٣٣٣
آب	٤٤٧٣٣	٣٤٥٣٣	٧٩٢٦٦
أيلول	٨١٠١٨	٣٩١٠٠	١٢٠١١٨
تشرين الأول	٢٧٩٢٠	٢٢٨٠١	٥٠٧٢١
تشرين الثاني	١٦٥٩	٢١٩٦٥	٢٣٦٢٤
كانون الأول	٧٧٥٤	٨٦٣٧٩	٩٤١٣٣
المجموع	٦٠٠٧٤٦ زائر	٤٥١١٨ زائر	١٠٥١٩٣٤ زائر

المصدر: هيئة السياحة – قسم الاحصاء والمتابعة – ٢٠١٧.

يتضح مما سبق في الجداول اعلاه قد تحققت فرضية الدراسة التي تشير الى (الصورة السياحية الدينية لها القدرة على تحقيق التعايش السلمي بشكل خاص في محافظة كربلاء محلياً ووطنياً وبصورة ايجابية أتجاه المستوى الخارجي للعراق)، كونها تشكل اكبر تجمع بشري في العالم في محافظة كربلاء المقدسة بسبب تنوع الجنسيات والاديان والطوائف والانتماءات في هذه الزيارة المقدسة التي بدورها تعطي كل الاطمئنان لدى النفوس لمحبين أهل البيت عليهم السلام، وان الامام الحسين عليه السلام يبقى رمز السلام والاسلام الى الأبد وعلى مر العصور.

الاستنتاجات:

١. ان ثورة الامام الحسين عليه السلام دعت الى التعايش السلمي لكل الاديان والطوائف وساعدت على تحقيق الاهداف الموسومة للدين الاسلامي.
٢. ان محافظة كربلاء غزيرة بالمقومات السياحية الدينية ومن خلال استخدام اساسيات الصورة السياحية الناجحة يساعد على توافد اعداد كبيرة لدى المسلمين من كل انحاء العالم، هذا ما موضح في الاحصائيات حيث بلغت عدد الزائرين لعام ٢٠١٧ الى (١٥٣٨٥٠٠٠).
٣. هنالك خدمات مقدمة من محبين أهل البيت عليهم السلام المتمثلة في المواكب الحسينية التي تقدم كل ما يحتاجه الزائر.
٤. بالإضافة الى المواكب الحسينية التي جاءت الى محافظة كربلاء المقدسة من العراق أو خارجه لكن هنالك نسبة كبيرة من الفنادق السياحية في كربلاء التي تبلغ (٥٠٨ فندق سياحي) و (٨٣ شركة سياحية)، هذا دليل قاطع على ان التعايش السلمي والتسامح موجود في هذه الزيارة المباركة.
٥. ان المحبين للأمام الحسين وال بيته عليهم السلام هم الدليل القاطع على التعايش السلمي في محافظة كربلاء

كون اتضح هنالك اكثر من (١٩١٨٠ متطوع) اثناء الزيارة الاربعينية تطوعوا مجاننا في خدمة الزائرين وهذا يعتبر شيء فريد في العالم ككل.

٦. ان الاعلام يلعب دور كبير في نقل التعايش السلمي في البلدان، اما في الزيارة الاربعينية فقد كانت هنالك (٩٢٣) وسيلة اعلام في محافظة كربلاء، وبهذا اصبت جميع دول العالم ان هذه الزيارة تشكل اكبر تجمع بشري في العالم ويحقق تعايش السلمي بصورة ناجحة وفعالة ومستمرة.

التوصيات:

١. الحث على تشجيع ونشر التعايش السلمي من خلال استخدام المقومات السياحية الدينية والأثرية الموجودة في محافظة كربلاء المقدسة.

٢. العمل على تطوير وسائل الاعلام والتسويق الناجح للنشر ثقافة التعايش السلمي في داخل العراق وخارجة لمعرفة ما هي قضية الامام الحسين التي استشهد من أجلها.

٣. توجيه الشخصيات الدينية والمساجد والحسينيات على نشر الثقافة والتسامح والتعايش في كافة المؤسسات الحكومية والغير حكومية.

٤. عقد ندوات ومؤتمرات في الجامعات الحكومية والاهلية في عموم العراق فيما يخص قضية التعايش السلمي للبلاد بالاعتماد على تضحيات اهل البيت عليهم السلام من أجل غرسها في نفوس المجتمع العراقي.

٥. استغلال الطاقات الشبابية والحملات التوعية في قضية التعايش السلمي كونهم السلاح الوحيد للنشر اكبر قضية في البلد والتي تستخدم بصورة واعية ومثقفة.

٦. العمل على تحقيق العدالة والتشريعات القانونية في المجتمع وهذا يساعد على تحقيق التسامح والتعايش السلمي في البلد.

المصادر

القران الكريم.

٧. التويجري، عبد العزيز، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.

٨. الاسدي، سلام جعفر عزيز، أثر البية في التنمية السياحية كربلاء المقدسة أنموذجاً، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياحية، الجامعة الاسلامية، لبنان، ٢٠١٢.

٩. البكري، هيام مجيد، المورفولوجية الحضرية لمدينة كربلاء المقدسة، رسالة ماجستير، مقدمة إلى مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد،٢٠١٢.

١٠. الشاربي، سيد قطب ابراهيم حسين في ظلال القران، (١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط / ١٧، ١٤١٢ هـ.

١١. الكبيسي والحديثي، صبحي أفندي، عبد الله حسن حميد، الوسائل الاقتصادية في التعايش مع الغير المسلمين في الفقه الاسلامي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، المجلد الاول،الجامعة العراقية،٢٠١٢.

١٢. الموسوي، أ. م. د. صفاء عبد الجبار، الطويل، م.م.حسين محمد علي، دالة الاستهلاك السياحي بين النظرية والتطبيق، دار الأيام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان – الأردن،٢٠١٦.

١٣. حكمت، د. منى حمدي، مفهوم التعايش السلمي

ومعوقاته في العراق، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٣.

١٤. شبوط، محمد عبد الجبار، خطوات في بناء الدولة الحديثة، مجلة المواطنة والتعايش، العدد (١) شباط، مركز وطن للدراسات، بغداد، ٢٠٠٧.

١٥. عبد الستار، م. د. خالد عبد الاله، الأسس الفكرية لثقافة التعايش السلمي في المجتمعات، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد، ٢٠١٦.

١٦. عبد الفتاح وآخرون، ولاء محمود ع، غادة محمد وفيق، مروة صلاح قاعود، الأزمات الأمنية وتأثيراها على الصورة الذهنية لمصر كمقصد سياحي، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد (١١)، العدد (٢/ ١) سبتمبر، ٢٠١٧.

١٧. عبد الوهاب، صلاح الدين، السياحة الدولية، دار إلهنا للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧.

١٨. محمد منذر، مبادئ العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢.

١٩. محمد، د.وليد سالم، تعايش الثقافات وتكوين الهوية، مدخل لبناءالدولة العراقية الحديثة، ندوة (سبل تعزيز التعايش السلمي والثقافة الوطنية في العراق)، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد،٢٠١٣.

٢٠. مطلق، علاء كريم، مقومات الجذب السياحي الديني لمدينة سامراء، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤.

٢١. ميسون محمد قطب، فاتن فروق عتريس، ثقافة الصورة، بحث مقدم إلى مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ٢٠٠٧.

٢٢. واحد عمر محي الدين و رشيد عمارة ياس، التعايش السلمي في العراق الواقع والمستقبل، السليمانية، ٢٠١١.

٢٣. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ). لسان العرب، مج٦، دار صاد، (بيروت،١٩٩٥).

٢٤. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة ابنان، بيروت، ١٩٧٠.

٢٥. جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة: مني البوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاعرة، ١٩٩٧.

٢٦. خالد عليوي جياد، حقوق الاخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة، تأصيل اسلامي لمبدأ التعايش، مجلة رسالة الحقوق، العدد الثاني، جامعة كربلاء، ٢٠١٢.

٢٧. الزركاني، د. خليل حسن، التعايش في الحضارة العربية الإسلامية، ندوة علمية بعنوان (سبل تعزيز التعايش والثقافة الوطنية في العراق، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢.

٢٨. سامي، د. بلبخاري، أثر الإعلام السياحي على تحسين صورة السياحة الداخلية في الجزائر من وجهة نظر السياح المحليين - دراسة ميدانية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات الإدارية والاقتصادية - المجلد الثاني، العدد السادس، حزيران، ٢٠١٦.

٢٩. سبع، أ. م. د. سداد مولود، الهوية الوطنية وتعزيز

التعايش السلمي في العراق، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية، جامعة بغداد، العدد الثامن والستون، ٢٠٠٩.

٣٠. عناد، أ. د. وجدان فريق، المنهج القرآني والتعايش السلمي في المجتمع الإنساني، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، المجلد ٤، العدد ٨، السنة الرابعة، حزيران ٢٠١٨.

٣١. العنزي، د. عبد ربه عبد القادر حسن، التعايش السلمي في المنظور الاسلامي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الحادي والاربعون، ٢٠١٧.

٣٢. نوري و حميد، د. اسراء علاء الدين، د. حازم صباح، دور المصالحة الوطنية في تعزيز التعايش السلمي في العراق بعد ٢٠٠٣، في مؤتمر (التعايش السلمي في العراق الواقع والمستقبل)، جامعة السليمانية، ٢٠١١.

٣٣. أحمد الدسوقي، ورقة عمل حول موضوع الصورة الذهنية لرجل الشرطة لدى الرأي العام المصري، مقدمة الى احدى دورات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – مشروع دعم) ٢٠٠٣،

٣٤. داليا محمد تيمور زكي، الوعي السياحي والتنمية السياحية مفاهيم وقضايا، مؤسسة شباب الجامعة،٢٠٠٨.

٣٥. السعدي، انتصار عبد عون محسن، المسار التاريخي لزيارة الاربعينية النشأة والتطور، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والحوث، العدد ٤، السنة الثانية، ربيع الثاني ١٤٣٨هـ- كانون الثاني ٢٠١٧م.

٣٦. دائرة صحة كربلاء.

٣٧. هيئة السياحة العراقية.

38. **Abdalla،G.(2008) Egypt is image as a tourist destination -A perspective of foreign tourists، an international Multidisciplinary journal of tourism.**

39. **Abdelwahab،s. (2000) Tourist Destination Image And Its Impact Upon The TouristFlow To Egypt، PHD.Disseration، Faculty of Tourism And Hotel Management، Helwan University.**

40. **Beerli، A.، et Martin، J. O. Factors influencing destination images. Annals of Tourism Research، 31 (3)، 2004.**

41. **Budiman، A.(2008) Virtual Online Communities: Astudy Of Internet Based Community Interaction. PHD Dissertation، Ohio University.**

42. **Gunn، C. Vacations cape:Designing tourist regions. Austin: University of Texas.1972**

43. **Zaki،D. (2007)، The Destination Image Before And After The Destination Visit (AnAnalyzing Study Of The Egyption Tourism Image)،PHD. Dissertation،،Faculty of Tourism And Hotel Management Alex. University.**

المحور السابع

الأبعاد الأدبية والثقافية في زيارة الأربعين

أثرُ المقاربة التداولية في بيان مضامين الخطاب

(نص زيارة الأربعين إنموذجاً)

الباحث علي محمد نور مجيد عباس

ماجستير في لغة القرآن وإعجازه

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين إلى قيام يوم الدين.

وبعدُ: تحتوي زيارة الأربعين المقدسة على الكثير من العبر والدروس التي لا بد لكل مؤمن وموال لأهل البيت ﷺ معرفتها والانتباه اليها لما في ذلك من صلاح للإنسانية جمعاء. وقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة رغبة مني في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى توسلاً بالإمام الحسين ﷺ عسى أن تكون لي صدقة جارية وذخيرة باقية في دار الآخرة. وكان من دوافع البحث في هذا الموضوع أنني لم أجد بحسب اطلاعي المتواضع أحداً من الباحثين قد تناول دراسة نص زيارة الأربعين دراسةً تداولية.

وقد أحببت أن أهدي عملي هذا إلى مولانا صاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف فأسأل الله تعالى أن يجعلنا من أنصاره وأعوانه..إنه سميع مجيب.

وقبل البدء بالحديث عن زيارة الأربعين العظيمة وما اشتملت عليه من تعاليم وقيم ودروس وعبر مبثوثة فيها، لا بد من التعرف في بادئ الأمر على معنى المضامين التداولية بشكل مختصر لكي تتضح الصورة أمام القارئ الكريم.

المضامين التداولية التي جاءت في هذا البحث المتواضع تعني في أبسط صورها المضامين التي تظهر صراحة على سطح الملفوظ تارة، وتارة أخرى تأتي مبثوثة ضمناً بين كلماتها، وهذا الأمر راجع إلى بلاغة التعبير الخطابي الذي وصل إلينا على هذه الشاكلة التي نراها اليوم في كتب الثقاة من الرواة.

ومن هذا المنطلق لا بد من التعرف على معنى التداولية في اللغة والإصطلاح.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، التداولية، الاشارة، الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق، القول المُضمر، الفعل الكلامي.

The impact of the deliberative approach in the statement of the contents of the speech

(The text of the visit forty examples)

Ali Mohammed Noor Majeed Abbas

Master in the language of the Quran and its miracle

Abstract

Bismillahi r-Rahmani r-Rahim, prayers and peace be upon the Seal of Prophets and Messengers Abu al-Qasim Muhammad and his pure family and companions to the Day of Judgment.

And yet: the visit of the forty holy contains a lot of lessons and lessons that every believer and loyal to the people of the house peace be upon them to know and pay attention to it for the good of all humanity. This modest study came my desire to approach God Almighty begged Imam Hussein may I have a charity ongoing and ammunition remaining in the Hereafter. One of the motives of the research in this subject was that I did not find, according to my modest knowledge, any of the researchers had dealt with the study of the text of the visit forty deliberative study.

I have loved to dedicate this work to Mawlana His age and time Imam Mahdi expected, ask God Almighty to make us of his supporters and his aides.. He is an answer.

Before starting to talk about the visit of the great forty and the contents of the teachings, values, lessons and lessons learned, it is necessary to learn at the outset the meaning of deliberative content in a concise in order to clear the picture before the reader.

The deliberative implications that came in this modest research mean in its simplest form the contents that appear explicitly on the surface of the vocabulary at one time, and at other times comes implicitly among its words, and this is due to the eloquence of the rhetorical expression that arrived to us as we see today in the books of confidence from the narrators.

In this sense it is necessary to recognize the meaning of deliberation in language and terminology.

Keywords: linguistics, deliberative, reference, dialogue necessity, presupposition, atrophied, verbal verb.

مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح

طفقت النظرية التداولية تتبلور حديثاً في إطار اللسانيات، فأصبحت موضوعاً مألوفاً في تحليل المظاهر اللغوية، ومن ثم فإن التداولية أصبحت من أحدث فروع العلوم اللغوية في اعتنائها بتحليل الخطاب. وهو درس لا يزال غزيراً حيوياً منتجاً يمدّ ساحة الدراسات اللغوية والمعرفية بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة، ويقيم الروابط العلمية بين فروع علمية متعددة.

١. مفهوم التداولية في اللغة

وردت مادة (دول) في المعجمات العربية، تقول العرب: دَالَ يَدُول دَوْلا ودالَةً: صارَ شُهْرَةً، ودَالَت الأَيامُ أَي دَارَتْ، وتَداوَلَتِ الأيدي الشيءَ: أَخَذَتْهُ هذه مرَّة وتلك مرَّة، وَيُقَالُ: تَداوَلْنا العملَ والأَمر بَيْنَنَا بِمَعْنَى تعاوَرْناه فعَمِل هَذَا مَرَّة وَهَذَا مَرَّةً [١]. فالمتداول هو المشهور، أو هو المتعارف عليه، أو هو الدارج.

٢. مفهوم التداولية في الاصطلاح

إن تقديم تعريف للتداولية يلمّ بجميع جوانبها أمر عسير؛ ذلك أنها نظرية لم يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأنها تتقاذفها مصادر معرفية كثيرة[٢]، فضلاً عن أنها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ولذلك سنكتفي بإيراد أهم ما جاء في تعريفاتها.

ولعل أقدم هذه الحدود وأشملها هو حدّ موريس عام (١٩٣٨) الذي عرّفها في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات بقوله: ((التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات))[٣].

وحدّها هلل: بأَنَّها دراسة الارتباط المهم لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع اللغوي وبالمقام غير اللغوي، وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة وجود تلك المعرفة[٤].

ويقدم مسعود صحراوي تعريفاً إجرائياً للتداولية، إذ يربطها بالتواصل ويجعلها شديدة الالتصاق به، فالتداولية عنده: ((هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير «التداولية» من ثم جديرة بأن تسمى علم «الاستعمال اللغوي»))[٥].

فمن خلال ما تقدم تتضح لنا أهمية التحليل التداولي الذي يكشف لنا عن المعاني الصريحة والضمنية التي تحويها زيارة الأربعين المقدسة.

متن زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام

رواها الشيخ في التهذيب والمصباح عن صفوان الجمّال قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول[٦]:

اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ اللهِ وَحَبيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى خَليلِ اللهِ وَنَجيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، اَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهيدِ، اَلسَّلامُ على أسيرِ الْكُرُباتِ، وَقَتيلِ الْعَبَراتِ، اَللّهُمَّ إنّي أَشْهَدُ اَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفائِزُ بِكَرامَتِكَ،

أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطيبِ الْوِلادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السادَةِ وَقائِداً مِنَ الْقادَةِ، وَذائِداً مِنْ الذادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَواريثَ الأَنْبِياءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِياءِ، فَأَعْذَرَ في الدُّعاءِ، وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ، لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى في هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ، وَحَمَلَةَ الأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ، فَجاهَدَهُمْ فيكَ صابِراً مُحْتَسِباً، حَتّى سُفِكَ في طاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ، اَللّـهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبيلاً، وَعَذِّبْهُمْ عَذاباً أَليماً، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسُولِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الأَوْصِياءِ أَشْهَدُ أَنَّكَ اَمينُ الله وَابْنُ اَمينِهِ، عِشْتَ سَعيداً، وَمَضَيْتَ حَميداً وَمُتَّ فَقيداً مَظْلُوماً شَهيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّ الله مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ الله، وَجاهَدْتَ في سَبيلِهِ حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اَللّـهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ أَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ، بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يا بْنَ رَسُولِ الله، اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها، وَأَشْهَد أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدّينِ وَأَرْكانِ الْمُسْلِمينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنينَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ، وَاَشْهَدُ اَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَأَعْلامُ الْهُدى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ على أَهْلِ الدُّنْيا، وأَشْهَدُ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَبِاِيابِكُمْ مُوقِنٌ، بِشَرائِعِ ديني وَخَواتيمِ عَمَلي وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْري لأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَأْذَنَ الله لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، صَلَواتُ الله عَلَيْكُمْ، وَعلى أَرْواحِكُمْ وَأَجْسادِكُمْ، وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ، وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ.

التحليل التداولي للزيارة المقدسة

- **اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ الله وَحَبيبِهِ**

في هذه الجملة القصيرة معنى يطالعنا بإشارة اجتماعية، يحثنا المخاطِب على الالتزام بها، إذ ينتج المرسِل خطابه حسب إستراتيجيات متفاوتة وكثيرة، ولكنه يعمد إلى اختيار إستراتيجية معينة مراعاة لمعايير يأخذها بعين الاعتبار، ومن تلك المعايير هي المعايير الاجتماعية[٧]، إذ لا يخلو مجتمع ما من العلاقات، فقد تكون علاقات اجتماعية أو وظيفية أو غيرها، وتتصف العلاقة بأهميتها السياقية في إنتاج الخطاب، مما يحفز عمل بعض القوالب وخصوصًا القالب الاجتماعي[٨].

فبدأ الكلام بـ كلمة (السلام) هي إشارة اجتماعية رسمية، تحيل إلى شخص معين، وتبين العلاقة الرسمية بين المتخاطبين، وتدخل فيها صيغ التبجيل، أو مراعاة المسافة الاجتماعية، أو الحفاظ على الحوار في إطار رسمي[٩]. وتتلخص هذه الإشارة في (تعظيم المُحَيِّي للمُحَيَّى للتأليف بين القلوب) أي إلى التأدب في خطاب الإمام الحسين عليه السلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى تشير كلمة (السلام) التي أكدتها الشريعة الاسلامية إلى فعل كلامي توجيهي غير مباشر، إذ

يفضّل المتكلم في أحيانٍ كثيرة استعمال صيغٍ تعارف الناس عليها اجتماعياً وعرفياً في منأى عن مقصدها الحرفي، فقد يقصد المتكلم من وراء قوله شيئاً ليس بالضرورة هو بعينه المقصود الظاهر من الجملة، أي: لا يوجد تطابق بين قصد القول وقصد الجملة المباشر. ويطلق على هكذا نوع من الأقوال بـ(الأفعال الكلامية غير المباشرة)[١٠]. ويتضح لنا هذا الفعل التوجهي من خلال التحضيض على بدء الكلام بالسلام، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: (من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه)[١١]، وعن الباقرﷺ: إنّ الله يحبّ إفشاء السَّلام[١٢]. كما ورد عن النبيّﷺ: ((من قال السَّلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال السَّلام عليكم ورحمة الله كُتب له عشرون حسنة، ومن قال: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة[١٣].

ويطالعنا معنى آخر في كلمة (السلام) لا يظهر صراحة على سطح الملفوظ، إذ المتعارف عليه في صحة السلام حضور المسلَّم عليه وتواجده في زمن الخطاب، وهنا لا بد من التفتيش عمّا يكمن وراء اللفظ الصريح. فالذي نلاحظه هنا أن المرسِل قد خرق في خطابه أحد مبادئ التعاون في الحوار؛ ((من أجل توليد تلويح معتمد للمستمع وليس من أجل خداعه وتضليله))[١٤]. فالخرق هنا على رأي التداوليين قد حدث في مبدأ الطريقة الذي ينص على أن يكون الكلام مرتباً، موجزاً، بعيداً عن الالتباس والغموض[١٥]، وهنا قد يتبادر إلى ذهن ضعيف النفس والمشكك في منزلة أهل البيتﷺ عند الله تعالى، ما مضمونه: كيف يتم توجيه الخطاب إلى الإمام الحسينﷺ وهو ليس من الأحياء؟! وللرد على هذا التشكيك نقول: إن الكلام يحمل معنى مستلزماً يتمثل في (أنّ أهل البيت جميعاً أحياء عند ربهم ويرزقون بموائد العلم والمعرفة) ويدلّ على ذلك من العقل براهين ساطعة ومن النقل أخبار كثيرة. عن الإمام الرضاﷺ ((اَشْهَدُ بالله أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقامي، وَتَسْمَعُ كَلامي، وَتَرُدُّ سَلامِي، وَأَنْتَ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّكَ مَرْزوق...))[١٦]، وعن الباقرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ لأصحابه: حياتي خير لكم تحدّثون ونحدّث لكم، ومماتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيتُ حسناً جميلاً حمدت الله على ذلك، وإن رأيتُ غير ذلك استغفرت الله لكم)). ومن خلال هذا الكلام يمكن أن نستنتج أن الخرق الذي حدث في مبدأ الطريقة كان كفيلاً بنقل المعنى من الظاهر إلى ما ورائه، وتسيير المحادثة نحو الإفهام وتحقيق الهدف الخطابي[١٧]. وهذا ما يطابق قول التداوليين من أن خرق قاعدة ما من قواعد التعاون الحواري تفضي إلى فرضيات تفسر هذا الانتهاك أو ذلك من أجل الوصول إلى المعنى المستلزم[١٨].

يزاد على ذلك أن عبارات (ولي الله)، (خليل الله)، (صفي الله)، (أسير الكرُبات)، (قتيل العبرات)، تسترعي انتباه القارئ أو الناطق، ومعنى (الولي) في اللغة تعني القرب والدنو[١٩] وتعني: العالِم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته[٢٠]، أما معنى الخليل فهي بمعنى الصَّدِيقُ[٢١] وهي صفة مشبّهة على وزن (فعيل) من الخُلّة: أيّ المودّة والصداقة، فالخليل هو الصديق الذي يخالل في أمرك ويتدخل في شؤونك، أو يكون حبّه متخللاً وداخلاً في باطن

القلب. أما (الصفي) فهو الصديق المُخْتَار[٢٢]، وتعني كلمة (أسير): المأْخوذ في الحرْب[٢٣]. ومعنى الكربات: الغمّ الذي يأخذ بالنفس[٢٤]، أما القتيل: فيدل على المبالغة في القتل، وقد حدث ذلك لهعليه السلام حيث لم يُسمع في التاريخ أن أحداً قتل وارتكبت معه جريمة كما ارتكبت في حق أبي عبد الله الحسينعليه السلام وأهل بيته، وقد بكاه كل ما في الوجود، وورد أنّ الله تعالى يذكر مصيبته لأنبياء من فوق عرشه منها ما خاطب كليمه موسى بن عمرانعليه السلام قائلاً: ((يا موسى لو تراهم صغيرهم يميته العطش وكبيرهم قلبه منكمش))، أما العبرة فهي الدمعة والحزن. وعَبَرَ عَبراً: حزن وسالت عبرته ودموعه، وفي الحديث عن الإمام الحسينعليه السلام: أنا قتيل العبرة وصريع الدمعة[٢٥].

من خلال ما تقدم يقودنا الكلام إلى معنى الافتراض المسبق، أي: إن القائل بهذه العبارات السابقة الذكر لديه معلومات مسبقة تتعلق بالإمام الحسينعليه السلام أي إلى المعرفة التي تسوّغ القول بذلك، إذ الافتراض المسبق هو: ((شيء يفترضه المتكلم قبل التفوه بالكلام))[٢٦]، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل[٢٧]. ومن هذا يتبين لنا أن معرفة ما قيل سابقاً في حق الإمام الحسينعليه السلام – تفضي بنا إلى أن الإمام الحسينعليه السلام – هو القريب من الله تعالى وهو خليله وهو المغموم، ويتضح من ذلك: كيف بالغ أعداؤه في قتله لعنهم الله، وتظهر قيمة الافتراض المسبق واضحة حينما أصبح التحليل التداولي بديلاً لا غنى عنه للوجهة الدلالية في عملية التواصل[٢٨]، فقد يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطَب على أساس مما يُفترض سلفاً أنه معلوم له[٢٩]، ومن خلال ذلك يجب أن يكون زائر الإمام الحسينعليه السلام عارفاً بحقه ومتوفرة لديه المعلومات المسبقة التي تثبت أحقية الإمام المعصوم وولايته، فقد جاء في الروايات ((مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَعليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تَأَخَّرَ))[٣٠]، وعن أبي عبد اللهعليه السلام ((إن بظهر الكوفة لقبراً ما أتاه مكروب قط إلا فرَّج الله كربته، يعني قبر الحسينعليه السلام))[٣١].

ومن ثَمَّ فإن المتتبع لهذه الافتراضات يصل إلى نتيجة مفادها: أن الافتراض المسبق من الممكن وصفه بأنه أداة تبث إلينا ما نعهده من أمرٍ، وسؤالٍ، وإعلانٍ[٣٢]، وهنا يمكن أن نسأل: ما المعرفة المسبقة التي يجب أن تتوافر لدى زائر الإمام الحسينعليه السلام؟.

وللجواب عن ذلك نقول: من الواجب على شيعة أهل البيتعليهم السلام أن يزدادوا معرفة بهمعليهم السلام ومعرفة كلامهم وأدعيتهم وزياراتهم؛ لأن التزود في معرفتهمعليهم السلام تمنح الإنسان الأدب والخضوع والخشوع والمودّة والطاعة، ومن ثَمَّ ينال الإنسان القرب من الله ويفوز بسعادة الدارين. ومن هذا المنطلق تُعدّ زيارة أربعين الإمام الحسينعليه السلام خطوةً في طريق معرفة أئمة أهل البيتعليهم السلام.

فبهذه المعرفة يزداد الإنسان عملاً صالحاً فقد جاء في الحديث الشريف: ((المعرفة تدل الإنسان على العمل والعمل على المعرفة)) وعن الإمام الصادقعليه السلام

قال: ((لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل))[٣٣].

- **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَابْنَ رَسُولِ اللهِ**

في هذه الجملة تطالعنا إشارة اجتماعية متباينة، وهي الإشارة التي تختلف في إحالتها من مجتمعٍ إلى آخر[٣٤]، إذ تستعملها العرب عند الخطاب لمن يحترمون مقامه ويعظمون إكرامه[٣٥]، ثم إن هذه الإشارة تتعاضد مع جهد تداوليّ آخر كي تصل بنا إلى قولٍ مُضمر لا يظهر صراحة في بنية القول الملفوظ، بل يكون الملفوظ بمثابة الضوء الكاشف عنه وهو((مرتبط بوضعية الخطاب ومقامه))[٣٦]، تقول أوريكيوني: ((القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث))[٣٧]، ويشير جورج يول إلى أن القول المضمر معلومات يتم إيصالها إلى المتلقي دون قولها[٣٨]، ويشير إلى هذا المعنى بعض الباحثين المحدثين، فالقول المضمر هو معلومات يتضمنها الخطاب لا تظهر بصورة صريحة، ويبقى تأويلها رهن السياق الذي وَردت فيه[٣٩].

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الكلام يمكن تأويله بأكثر من وجه، فعبارة (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَابْنَ رَسُولِ الله) قد يكون المراد منها أنّ الزائر أراد من خطاب الإمام الحسين عليه السلام أن يشهد عليه السلام على ما انطوى عليه قلبه من الاعتقاد بولايتهم، أو أن الإمام عليه السلام هو محبوب له وأراد أن يبين مدى حبه له، وأراد أن يُشهد الإمام عليه السلام على ما يذكره الزائر من الاقرار بالجمل السابقة للزيارة من جهة المعاهدة والميثاق المؤكد مع الإمام عليه السلام بما يعتقده من علوّ مقامهم. وقد يكون المعنى أن الزائر كان في نفسه بعض الصفات الرذيلة فكأنه استحيا أن يطلب من الإمام عليه السلام النظر إلى قلبه، مع أنه يعلم أن الإمام مطلع على ما في القلوب من العقائد الحقة فهو (الزائر) لأجل هذه الأُمور قال: «بأبي أنت وأُمي» ليقبل عليه السلام منه هذه الشهادة ولا يرده عن بابه، بل يجعله مشمولاً لألطافه الخاصة رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين[٤٠]. وعلى هذا القول فإن المعلومات المُضمرة تُفهم عبر تأويل السياق؛ لأن الأقوال المضمرة تتضمن قائمة من التأويلات المفتوحة بتعدد سياقاتها المقامية التي تُنجز ضمنها[٤١]، يقول فان دايك: إن الخطاب المُنجز قد يحمل في طياته معاني لا يقع التعبير عنها مباشرة، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أُخر قد عُبر عنها تعبيراً صريحاً[٤٢].

- **اَللّٰهُمَّ اِنّي اَشْهَدُ اَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالْأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ مِنْ دَعآئِمِ الدّينِ وَاَرْكانِ الْمُسْلِمينَ، اَشْهَدُ اَنَّكَ الْإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ، اَشْهَدُ اَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَاَعْلامُ الْهُدى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ على اَهْلِ الدُّنْيا، اَشْهَدُ اَنّي بِكُمْ مُؤمِنٌ، وَبِاِيابِكُمْ مُوقِنٌ.**

في كل جملة من الجمل السابقة نجدها تبدأ بالفعل (أشهد) وهي تعني القسم، من ذلك قولهم: ((اشْهَدْ بِكَذَا أَي احْلِف))[٤٣]، إذن هي أفعال كلامية إثباتية مباشرة؛ لأننا نستطيع باللغة توظيف هذا النمط من الأفعال الكلامية بأن نستنتج، ونلخص، ونؤكد، ونقسم[٤٤]. فهي الأفعال التي تتحدد نقطتها

التمريرية بالتعهد للمستمع بحقيقة الخبر، ونقله نقلاً أميناً صادقاً بوصفه تمثيلاً لحالةٍ موجودةٍ في العالم لنجاح الفعل وتمامه[٤٥].

ويمكن ملاحظة تكرار كلمة (أشهد) لأكثر من مرة خلال الزيارة المقدسة، وهذا ما يُضمر معنى مستلزماً (استلزام حواري) يمكن أن نستنتجه من خلال أسلوب التكرار، فالتكرار يأتي لدواعٍ أو فوائد[٤٦]. فالاستلزام الحواري ضربٌ من الفاعلية العقلية تستهدف تحقيق التواصل بين المتكلمين، وهذا الاتصال محكوم بمبدأ عام هو(مبدأ التعاون)[٤٧]. وصيغته كالآتي: ((لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلّبه منك في المرحلة التي تجري فيها ما تم ارتضاؤه من هدف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها))[٤٨]. وعند النظر في نص الزيارة نجد خرقاً قد حدث لأحد مبادئ التعاون الحواري المتمثل في خرق مبدأ الكم الذي ينص على أن تجعل إفادتك المخاطَب بالقدر المطلوب من الكلام دون أن تزيد أو تنقُص عليه[٤٩].

وعند التدقيق في الجمل السابقة نجدها تتكون من معانٍ صريحة وأُخرى ضمنية. فالمعاني الصريحة التي تدل عليها صيغة الجملة نفسها تتمثل بالمحتوى القضوي والقوة الإنجازية الحرفية، فالمحتوى القضوي الذي يمثل معاني مفردات الجملة المضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد يتمثل في قضية (الإقرار بولاية الإمام الحسين عليه السلام)، أما القوة الإنجازية الحرفية التي تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية معينة فإنها تتمثل في أسلوب التكرار الذي يتمثل في تكرار لفظة (أشهد)، أما المعاني الضمنية التي تتضح من خلال السياق فإنها تشتمل على معانٍ عرفية وأُخرى حوارية، فأما العرفية التي ترتبط بالجملة ارتباطاً وثيقاً وتلازمها في مقام معين فإنها تتمثل في اقتضاء تكرار لفظة (أشهد)، وأما المعنى الحواري الذي يتولد طبقاً للمقام الذي تُنجز به الجملة فإنه يتمثل في مضمون الجملة الذي تبلغه بصورة غير صريحة[٥٠]، أي: المعنى غير الصريح المستلزم الذي يبلغه تكرار لفظة (أشهد)، الذي يتمثل في (تأكيد المعنى).

ومن خلال ما مرّ يتبين لنا أن المعنى المستلزم قد تولد طبقاً لمقتضيات ضمنية تتحدد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه[٥١]. فالمقام هنا مقام يحتاج إلى تكرار لكي يتمكن المعنى في النفس من أن الإمام الحسين عليه السلام هو ولي الله وابن وليه، وصفيه، و هو من دعائم الدين، وغيرها من المواضع التي تحتاج إلى تأكيد المعنى التي وردت فيها كلمة (أشهد).

- **عِشْتَ سَعيداً وَمَضَيْتَ حَميداً**

عند التأمل في هذه العبارة نجدها تؤدي فعلاً إخبارياً مباشراً، إذ يتعهد المتكلم بهذه العبارة بنقل واقعة معينة من خلال نطقه لشيء ما بوصفه حقيقة واقعة، متعهداً بصدق ما ينقله، هادفاً من وراء ذلك إلى تقرير عمله القولي[٥٢]، ومن النظرة التداولية نرى أن الجملة تتكون من الفعل القضوي وتمثله قضية أن الإمام الحسين عليه السلام عاش سعيداً؛ لأنه أدى ما فرض الله تعالى عليه من الطاعة لله تعالى وهدى الأمة المرحومة إلى الصراط المستقيم[٥٣]، أما الفعل الإنجازي فهو فعل الإثبات المباشر الذي يمثله فعل

الإخبار، فالمرسِل هنا قد وظف الفعل توظيفاً مباشراً للوصول إلى هوية الفعل المتضمن في القول وقوته الإنجازية الإخبارية.

وفي الوقت نفسه هناك معنى غير مباشر يمكن أن نطلق عليه: فعل كلامي توجيهي غير مباشر متمثلاً في دعوة المخاطب إلى السير على نهج الإمام الحسين عليه السلام كي يعيش سعيداً ويمضي حميداً، فقد جاء في الزيارة الجامعة ((... سَعُدَ من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جهلكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدي من اعتصم بكم))[٥٤]. فالمرسِل قد يقصد مع الاستراتيجية المباشرة استراتيجية أخرى غير مباشرة، فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، ليُنتج عنه مقصداً يستلزمه الخطاب ويفهمه المرسَل إليه[٥٥]، وبتعبير آخر: إن الفعل التوجيهي غير المباشر يؤدى من خلال فعل مباشر آخر[٥٦]. وعلى وفق هذا الكلام يمكن القول: إن الجهود التداولية قد تظافرت لتعطينا معنيين في آن واحد يتمثل الأول في معنى الإخبار والثاني في معنى التوجيه.

- **وأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ**

جملتان تحملان معنى ظاهراً وآخر باطناً، وهنا يتداخل المعنى ليدل على بلاغة ورصانة نص الزيارة المقدسة، فلو تأملنا الجملة الأولى لوجدنا معنى الإخبار يتداخل مع معنى الإلزام، ويمكن أن نطلق على هذا النوع من الأفعال (فعل كلامي مركب)، فالإشهاد هو فعل كلامي إخباري مباشر يتضمن معنى القسم، أما الفعل الآخر فهو الفعل الكلام الإلزامي المباشر الذي يتضمن معنى الوعد. فالأفعال الإلزامية هي: ((الأفعال التي يتعهد فيها المتكلم بمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري))، وتعني بتعبير آخر: ((التزام المتكلم بفعل شيء للمخاطب في المستقبل))[٥٧]. وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعودٍ وتهديدات وتعهدات،... الخ[٥٨]. أما الفعل المركب الذي تكون من الفعل الإخباري المباشر والفعل الإلزامي المباشر فقد أدى إلى معنى جديد يمكن أن نتوصل إليه من خلال الافتراض المسبق بالذات الإلهية التي لا يمكن أن تخلف الميعاد. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد:٣١)، ومما سبق يمكن أن نستنتج أن الفعل الكلامي المركب يتمثل في (أن وعود الله تعالى محققة الوقوع)؛ لأن الله تعالى يخبر عن معلوم، وكل ما تعلق به العلم تجب مطابقته[٥٩]. وليست مثل وعود الكفار ومن شابههم التي لا يمكن أن تتحقق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (العنكبوت: ١٢)، فهم بهذا القول قد ألزموا أنفسهم بفعل شيء للمخاطَب في المستقبل[٦٠]. وعند ملاحظة نص الآية كاملاً يتبين لنا أن الفعل الكلامي الإلزامي قد دخل ضمن دائرة الفعل الكلامي الإلزامي الذي لا يمكن أن يتحقق؛ لأنه افتقر إلى أهم عنصر من عناصر إنجازه، وهي صدق المتكلم ورغبته الحقيقة في إنجاز الفعل، ومَنْ هذه صفتُهُ لا يكون قادراً على إحداث الملاءمة[٦١].

- **فمعكم معكم، لا مع عدوكم**

جملتان يطالعنا فيهما معنى التصريح؛ فبعض الألفاظ يحدث تغيير في وضع ما عن طريق التصريح، فقول القائل (معكم معكم، لا مع عدوكم) يعني أنه بعد الإيمان بأهل البيت عليهم السلام حدث تغيير في الواقع، ((فمعكم في حال حياتي باتباع أوامركم ونواهيكم ومعكم في الرجعة لنصرتكم والانتقام من أعدائكم؛ لأنه ليس المراد من المعيّة الزمانية أو المكانية، بل المراد منها: المعنوية، وهي الحاصل من الإقرار بتلك الجمل والفقرات السابقة والاعتقاد بها مضافاً إلى أن المعية معهم هو المأمور بها من الله تعالى))[٦٢].

والأفعال الكلامية التصريحية هي: الأفعال التي يُحدث التصريح بها تغييراً في العالم[٦٣]، وتتجلى بوضوح أثناء إنجازها بنجاح، وإحداث التوافق بين الكلمات والعالم، أي بين محتوى قضايا أفعالها الإنجازية والعالم الخارجي[٦٤]، ويشترط لنجاحها أن يكون الكلام واضح الدلالة على المراد بحيث يفهم منه إيقاع الفعل المراد فهماً لا لبس فيه، وأن يكون زمن الفعل حاضراً أو مستقبلاً لفظاً ومعنى أو معنى فقط، ويشترط لنجاحها وجود عرف غير لغوي؛ لأن هذه الأفعال تحتاج إلى مؤسسة يحتل كل من المتكلم والمستمع مكانة خاصة فيها[٦٥].

- **وَأَشْهَدُ اَنّي بِكُمْ مُؤمِنٌ، وبِإيابِكُمْ مُوقِنٌ**

قوله: ((**وبِإيابِكُمْ مُوقِنٌ**)) يحتمل أن يتعلّق بمؤمن أي مؤمن بكم وبإيابكم إلى الدُّنيا في زمن الرجعة.

ويحتمل أن يتعلّق بقوله موقن أي مؤمن بكم وموقن بإيابكم، وهذا أظهر، وفي الكلام تصريح بثبوت رجعتهم عليهم السلام إلى الدنيا لمّا وعدهم الله من الدولة والنصرة.

يتبين من ظاهر الكلام أن الرجعة لآل البيت عليهم السلام حقيقة لا ريب فيها، والأدلة على ذلك كثيرة جداً، وأخبار متواترة فقد جاء في الزيارة الجامعة: ((... معترف بكم، مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم...))[٦٦].

وفي بعض الأخبار عن الصادق عليه السلام: ((أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة))[٦٧].

وفي بعض الروايات أنّ الصادق عليه السلام قال: ((إن أول من يكرُّ في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه))[٦٨].

وفي بعضها أنه عليه السلام فسَّر قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾ (التكاثر: ٣-٤) بقوله: مرّة بالكرّة، وأُخرى يوم القيامة[٦٩].

ومما مرّ يمكن أن يكون نصّ الزيارة الآنف الذكر فعلاً كلامياً إخبارياً (إثباتياً) مباشراً، أي: إن المتكلم عن طريق هذه الأفعال يقوم بنقل واقعة معينة من خلال نطقه لشيء ما بوصفه حقيقة واقعة، متعهداً بصدق ما ينقله، هادفاً من وراء ذلك إلى تقرير عمله القولي، وهو بعمله هذا قد أدى أفعالاً كلامية يطلق عليها بـ(الأفعال الكلامية الإثباتية)[٧٠]، وعند البحث عن المعنى الباطن يظهر لنا فعل كلامي توجيهي غير مباشر موجه لنا نحن زوار الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن نتوصل إليه من خلال السياق الخارجي لنص

الزيارة المقدسة، ففي الأفعال الكلامية التوجيهية يحاول المخاطِب (جعل المستمع يتعرض بطريقة تجعل من تعرضه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه) أي: إن غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطَب (نحن) إلى فعل شيء معين، وهنا لا بد من إظهار ماهية هذا التوجيه، وهو (عدم السماح) إلى الملاحدة الذين يلقون الشبهات إلى الضعفاء باستبعاد هذا الأمر وإنكاره (أمر الرجعة)، وما هذا إلّا كاستبعاد المعاد ونحوه من الضروريات، وظاهر الأخبار بل صريح كثير منها أنّهم عليهم السلام يرجعون إلى الدُّنيا بأشخاصهم وأجسادهم التي كانوا عليها، ولا قيمة للذين يؤولون هذه الأخبار إلى خلاف ظاهرها من غير برهان قاطع، متابعة لهوى أنفسهم وسوء آرائهم فيقولون: إنّ المراد رجعة حقائقهم وصفاتهم، في هياكل متجدّدة وأجساد غير ما كانوا عليه في الأزمنة السابقة[٧١].

ومن جانب آخر تتضمن جملة ((**وبِإِيابِكُمْ مُوقِنٌ**)) إشارة زمانية، تقع ضمن المحددات الزمانية التي تربط عناصر الخطاب (المتكلم والمخاطَب) بلحظة التلفظ، أو التي تشير إلى زمان معين وقع فيه خطاب ما[٧٢]. فلو نظرنا إلى قول الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١) فقد قال: ((ذلك والله في الرجعة))، وقال عليه السلام: (أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة)[٧٣]، فكلمة (يوم) من الإحالات الزمانية التي تدل على مدة محددة[٧٤]. وهذا ما يتعاضد مع التحليل التداولي، فالمدة الزمانية المحددة التي أحالت عليها جملة ((وَبِإِيابِكُمْ مُوقِنٌ)) هي يوم الرجعة. وبهذا تتبين لنا أهمية الإشاريات الزمانية في الوصول إلى مقاصد الخطاب، ومن أجل ذلك عمد التداوليون إلى تحديد لحظة التلفظ من أجل توظيف الإشاريات الزمانية توظيفًا صحيحًا في سياق الخطابات[٧٥].

- **شَرائع ديني وَخَواتيمِ عَمَلي**

يتضمن هذا الخطاب فعلاً كلامياً إخبارياً مباشراً، وفي الوقت نفسه يتضمن فعلاً كلامياً توجيهياً غير مباشر، فالمتكلم في أحيانٍ كثيرة يفضل استعمال صيغٍ تعارف الناس عليها اجتماعياً وعرفياً في منأى عن مقصدها الحرفي، فقد يقصد المتكلم من وراء قوله شيئاً ليس بالضرورة هو بعينه المقصود الظاهر من الجملة، أي لا يوجد تطابق بين قصد القول وقصد الجملة المباشر. ويطلق على هكذا نوع من الأقوال: (الأفعال الكلامية غير المباشرة)[٧٦].

ويتبين من نص الزيارة المقدسة الإشارة إلى فعلين كلاميين: الاول مباشر والثاني غير مباشر، فمن خلال المقومات السياقية يمكن القول: إن الجملة تحمل معنى باطناً، إذ السياق يوضح المعنى الدقيق النابع من معطيات الاستعمال[٧٧]، فالسياق يكشف عن قصد المرسِل ونواياه الظاهرة والخفية، ثم إن للسياق مجالاتٍ متعددةً تتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشرط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان[٧٨].

فالإخباريّ المباشر هو إخبار عن الإيمان بأهل البيت عليهم السلام، وهذا الإخبار يحمل في مضمونه فعلاً توجيهياً غير مباشر (إلينا نحن)، ويحمل معنى

التوجيه المتمثل بوجوب الائتمار بأوامرهم، والانتهاء بنواهيهم، وإطاعتهم فيما شرعوه من الأحكام، والحدود، والانقياد لهم فيما يأمرون به، وينهون عنه فمن لم يكن كذلك فهمﷺ منه براء، ويدلّ على ذلك أخبار كثيرة[٧٩]. قال الباقرﷺ: ((أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبنا أهل البيت؟!.. فو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس، إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. إلى أن قال: فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته))[٨٠].

نتائج البحث

١. اقتفى البحث آلية الموازنة بين التراث والحداثة من أجل الكشف عن المخزون العربي الإسلامي الحافل بالتحليلات التداولية، وإن لم يُصرح بذلك مباشرة من قبل بعض الشُراح لزيارة الأربعين المقدسة.

٢. كشفت لنا عبارات زيارة الأربعين المقدسة عن مسوغات في اعتماد الإستراتيجية التلميحية التي يَعدل إليها المخاطِب لينتج دلالة يتطلبها الخطاب ويفهمها المرسَل إليه.

٣. تبين لنا من خلال نص زيارة الاربعين المقدسة أهمية السياق ومركزيته في منح الخطاب دلالات من أجل الوصول إلى قصدية الخطاب.

٤. توصل البحث إلى أهمية تفعيل مبدأ التعاون الحواري بين المتخاطبين.

٥. تعد متضمنات القول من المحاور الأساسية التي ترتكز عليها الدراسة التداولية؛ إذ تكمن حاجتها في وضع معين عندما نحتاج إلى تدقيق إضافي نتجاوز فيه المعنى الظاهر.

٦. يُعدُ الافتراض المسبق دعامة أساسية من دعامات التحليل التداولي، لأنه ذو أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ. فضلاً عن قيمته التي باتت واضحة حينما أصبح التحليل التداولي بديلاً لا غنى عنه للوجهة الدلالية في عملية التواصل.

٧. توصل البحث إلى نتيجة مهمة يمكن عَدّها أهم ما جاء في هذا البحث، ومفادها: (التمييز بين القول المضمر والفعل الكلامي غير المباشر) فـ (الأقوال المُضمرة) هي ما تحتمل عدة مقاصد، والفعل الكلامي غير المباشر هو ما احتمل مقصدًا باطنًا واحدًا فقط، وهذا أمر لم يتنبه إليه أغلب الباحثين.

٨. أشار البحث الى أهمية الأقوال المضمرة في التحليل التداولي، إذ إنها تفضي بنا إلى مساحات معرفية واسعة تمكننا من الوصول إلى معنى الخطاب الذي من أجله أنشده قائله، فقد نتكلم بشكل بين عن أمرٍ ما، في حين نقصد من كلامنا بشكل مضمرٍ أمراً آخر.

٩. أكد البحث أن الأمر في الأقوال المضمرة يستدعي الخروج عن النطاق اللغوي المحض؛ لأن الاكتفاء بالمعاني المعجمية يؤدي قصوراً في فهم التأويلات التي يتضمنها الخطاب، وأكّد

ضرورةَ امتلاك الكفاءة التخاطبية التي من شأنها أن تعين المتخاطبين على استعمال الجمل اللغوية، وتأويلها تأويلاً سليماً.

الهوامش

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (دول) ١١/ ٢٥٣،٢٥٢. تاج العروس، مادة (دول)، ٢٨/ ٥١١.

(٢) ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ٦٣.

(٣) المقاربة التداولية: ١٢. وينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٩.

(٤) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٢٢.

(٥) التداولية عند العلماء العرب: ١٦،١٧.

(٦) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ٤٨٠، ٤٨١.

(٧) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: vii (المقدمة): ٨٧.

(٨) ينظر: المرجع نفسه: ٨٨.

(٩) مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن للطوسي، علي محمد نور مجيد، بإشراف: أ.م.د.حيدر غضبان محسن، رسالة ماجستير، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، ٢٠١٧-٢٠١٨: ٦٧.

(١٠) مظاهر التداولية في التبيان، علي محمد نور: ١٧٥.

(١١) الكافي: ٢: ٦٤٤.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) مجمع البيان، ٣: ١٢٥.

(١٤) نظرية التلويح الحواري: ٣٣.

(١٥) ينظر المنطق والمحادثة: ٦٢٠. واللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٣٨. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤. والتداولية عند العلماء العرب: ٣٤.

(١٦) ضياء الصّالحين: ٢٦٧.

(١٧) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٩٦.

(١٨) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٧.

(١٩) لسان العرب: ١٥/ ٤١١.

(٢٠) فتح الباري: ١١/ ٣٤٢.

(٢١) مختار الصحاح: ٩٦.

(٢٢) المعجم الوسيط: ٥١٨.

(٢٣) المرجع نفسه: ١٧.

(٢٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٢١١.

(٢٥) النور المبين في شرح زيارة الأربعين، مهدي تاج الدين، ٨٠.

(٢٦) التداولية: ٥١.

(٢٧) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٣٠-٣١.

(٢٨) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٧.

(٢٩) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٦.

(٣٠) الكافي، ٤/ ٥٨٢.

(٣١) مستدرك الوسائل ١٠: ٢٣٩.

(٣٢) ينظر: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية: ١٣٥.

(٣٣) النور المبين في شرح زيارة الأربعين: ٨

(٣٤) مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن: ٦٧.

(٣٥) النور المبين في شرح زيارة الاربعين: ١٩٩.

(٣٦) التداولية عند العلماء العرب: ٣٢.

(٣٧) Catherine kerbrat. Oreccheoni، Limplicite،paris، Armand Colin،1986 p.39، نقلا عن التداولية عند العلماء العرب: ٣٢

(٣٨) ينظر: التداولية: ٧٦-٧٧.

(٣٩) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١١٣. والخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءة نصية تداولية حجاجية: ٩٩.

(٤٠) النور المبين في شرح زيارة الأربعين: ١٩٩.

(٤١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٣٢.

(٤٢) ينظر: النص والسياق: ١٥٦.

(٤٣) لسان العرب: ٣/ ٢٣٩.

(٤٤) ينظر: الخطاب اللساني العربي: ٢/ ٢٠٩.

(٤٥) ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢١٧.

(٤٦) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٢٨١. وعلم المعاني: ١٩١.

(٤٧) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٣٣.

(٤٨) المنطق والمحادثة: ٦١٢.

(٤٩) ينظر: المرجع نفسه: ٦١٩، ٦٢١. ونظرية التلويح الحواري: ٣١. والتداولية، جورج يول: ٦٨. وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ١٠٣- ١٠٤. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٦-٣٧.

(٥٠) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٤٧.

(٥١) ينظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، كادة ليلي، بحث منشور ضمن مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد ١، ٢٠٠٩م: ١٠٤.

(٥٢) مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن، علي محمد نور، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، رسالة ماجستير: ١٤١.

(٥٣) النور المبين في شرح زيارة الاربعين: ١٧٦.

(٥٤) بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ٩٩ / ١٥١.

(٥٥) إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٣٦٧.

(٥٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨١.

(٥٧) العقل واللغة والمجتمع: ٢١٨. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٤. وينظر: التحليل النحوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٤٣.

(٥٨) التداولية: ٩٠. وينظر: شعر المتنبي في ضوء نظرية أفعال الكلام: ٨٠.

(٥٩) التداولية عند العلماء العرب: ١٤٥.

(٦٠) ينظر: التداولية: ٩٠. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٤. والتحليل النحوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٤٣.

(٦١) ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢١٨. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٤. والتحليل النحوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٤٣. والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ١١٤.

(٦٢) النور المبين في شرح زيارة الاربعين: ٢٣٣.

(٦٣) ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢١٩.

(٦٤) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٦. والأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي: ٩٤. ونظرية الأفعال الكلامية: ٧٢.

(٦٥) ينظر: الخطاب القصصي القرآني دراسة اسلوبية تداولية، نور الدين خيار، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤: ٢١٩.

(٦٦) مفاتيح الجنان: ٥٥١.

(٦٧) الخصال: ١٠٨، الحديث ٧٥.

(٦٨) مختصر بصائر الدرجات: ١٨.

(٦٩) المصدر نفسه: ٢٠٤

(٧٠) مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ١٤١.

(٧١) النور المبين في شرح زيارة الأربعين، مهدي تاج الدين: ٢٢٥،٢٢٦.

(٧٢) ينظر: التداولية: ٣٩.

(٧٣) الخصال: ١٠٨، الحديث ٧٥.

(٧٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠.

(٧٥) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٨٤. والمعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: ١٠٤-١٠٥.

(٧٦) مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن، علي محمد نور: ١٧٥.

(٧٧) ينظر: مبادئ اللسانيات: ٣٦١.

(٧٨) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ١٥-١٦-١٧. ومظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي: ١٨٢.

(٧٩) النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين: ٢٢٧.

(٨٠) الكليني ٢: ٧٥،٧٤.

المصادر والمراجع

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة – دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤.

٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (د. ط)، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.

٣. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، مسعود صحراوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر باتنه، ٢٠٠٤م.

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره) ط٣، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، دار الهداية، (د. ت).

٦. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٩٩٣م.

٧. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ٢٠٠٣.

٨. التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان، الرباط، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠.

٩. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ٢٠٠٥.

١٠. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية اللاذيقية، ٢٠٠٧.

١١. الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١)، د. ط، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د. ت.

١٢. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد ال صوينت، ط١، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.

١٣. الخطاب القصصي القرآني دراسة اسلوبية تداولية، نور الدين خيار، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤م.

١٤. الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري(من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، بنعيسى عسو أزابيط، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠١٢م.

١٥. السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، ط١، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

١٦. شعر المتنبي في ضوء نظرية أفعال الكلام، محمد إبراهيم هريس جواد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٦م.

١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٨. ضياء الصالحين، محمد صالح الجوهرجي، ط١٢، مطبعة الآداب – النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ.

١٩. ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، كادة ليلي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد ١، ٢٠٠٩م.

٢٠. العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٦.

٢١. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ)، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩.

٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، د. ط، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٣. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠.

٢٤. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ط١، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٢٥. الكافي، الكليني (ت ٣٢٩)، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط٤، دار الكتب الاسلامية، طهران – ايران، مطبعة حيدري، ١٣٦٥هـ.

٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٧. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨.

٢٨. لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية اللاذقية، ٢٠١٠م.

٢٩. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ط٣، دار الفكر، برامكة – دمشق، ٢٠٠٨م.

٣٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبان، (د. ط)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، (د. ت).

٣١. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ط١، دار المرتضى، لبنان، بيروت، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٣٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة

العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيد، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٣. مختصر بصائر الدرجات، الشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلي، ط١، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م.

٣٤. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠ه)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٣، ١٤١١-١٩٩١.

٣٥. مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن للطوسي، علي محمد نور مجيد عباس، رسالة ماجستير، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، ٢٠١٧-٢٠١٨م.

٣٦. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهويمل، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

٣٧. المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار)، د. ط، دار الدعوة، د. ت.

٣٨. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، ط٢، دار المدار الاسلامي، بنغازي- ليبيا، ٢٠٠٧.

٣٩. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ط٢، دار الاضواء، بيروت لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٠. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، (د.ط)، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.

٤١. المنطق والمحادثة، غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، بحث منشور ضمن كتاب اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، الجزء الثاني.

٤٢. نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي، هشام عبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٣.

٤٣. النور المبين في شرح زيارة الأربعين، مهدي تاج الدين، د. ط، ١٤٢٦هـ.

استشهاد الحسين عليه السلام بين المشروطية التاريخية وقداسة العود الأبدي المطلق

د. اكسم احمد فياض

باحث سوري

الملخَّص

يدرس البحثُ قضيَّةً تاريخيَّةً مرتبطةً بحيِّزٍ زمانيٍّ ومكانيٍّ معيَّنين، ألا وهي دور زيارة الأربعين في التواصل مع قضيَّة استشهاد الحسين عليه السلام بوصفها اختصرت كلمة الشهيد لدى جزء كبير من الموروث المقدَّس الإسلامي بشخص الحسين عليه السلام الذي نذر نفسه للحقِّ والحقيقة، وقد حاول البحث وَضْعَ مقاربةٍ توضِّح محاور الدراسة:

يبدأ البحث بالتعريف في معنى الزيارة وارتباطها بالعتبة، مُظهراً قدسيَّتها بوصفها باباً يربط العالم البشري الدنيوي الفاني بالعالم النوراني الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان، ثمَّ ينتقل لبيان منزلة الحسين عليه السلام وبعضٍ من صفاته، لنصل إلى تحوُّل الزمن من لحظة تاريخية تتجاوز تاريخيتها إلى العود الأبدي المطلق، وتحوُّل المكان من حيِّز جغرافي مسمَّىً بكربلاء إلى مزار مقدَّس تحييه شعائر زيارة الأربعين في العشرين من شهر صَفَر من كل عام.

ولعلَّ المنهجَ الوصفيَّ المشفوعَ بالتحليل يكون الأمثلَ في مقاربة الموقف التواصليِّ للشعائر المقدسة لزيارة الأربعين، كما استعان البحث بالمنهج التاريخي لضرورات فرضتها طبيعة البحث في تتبُّع بعضٍ الأحداث المرتبطة باستشهاد الحسين عليه السلام وبالزيارة.

كلمات مفتاحية: زيارة الأربعين، العتبة، المكان المقدَّس، التواصل، كوزموس.

(The Martyrdom of al- Husayn Peace Be upon Him between the Historical Conditionality and the Sanctity of Infinite Eternal Return)

Dr. Aksam Ahmed Fayad

Abstract

The research studies a sanctified historical case which is related to specific spatio-temporal sphere; it is the role of commemorating the Fortieth-day Visit in the interconnection with the case of al- Husayn's Martyrdom (peace be upon him)، This cult enwraps the Islamic holy heritage of the word Martyr in the person of al- Husayn who dedicated himself for rightness and truth (peace be upon him)، The research thus endeavours to establish an approach illustrating the pivots of the study.

The research begins with defining the meaning of the Visit and its association with al-'Atabah، It demonstrates the latter's sanctity as a gate between the finite physical earthly sphere with its infinite luminous counterpart which transcends space-time limits، After that، the research manifests the elevated status and some characteristics of al- Husayn (peace be upon him)، At this point، we reach the transmutation of time from being a historical moment to the infinite eternal return; we reach the transformation of space from being a geographical sphere named Karbalāʾ to a holy shrine commemorated every year on the 20th of Safar by rites of the Fortieth-day Visit، The research، in this light، seeks to show the impact of these aspects on Man and society.

Perhaps the combination of descriptive and analytical methods could be the most appropriate way to approach the interconnective holy rites of the Fortieth-day Visit، The research depends as well on the historical method due to necessities imposed by the nature of the study which traces some incidents related to al- Husayn's martyrdom (peace be upon him) and to the Visit.

Keywords: Karbalāʾ، Fortieth-day Visit، 'Atabah، Sanctuary، Interconnection،، Cosmology.

مقدمة:

تعدُّ قضية استشهاد الحسين عليه السلام ملحمةً بطوليَّةً ما زال كثير من الباحثين ينهلون من فيض قدسيَّتها منذ تلك الواقعة التاريخيَّة إلى يومنا هذا، وكذلك الأمر مع زيارة الأربعين، حيث كثرت المؤلَّفات والمصنَّفاتُ والدراساتُ التي تحاول الإحاطةَ بهذه الواقعة التي حدثت في زمانٍ ومكانٍ معيَّنين، إلا أنَّ السرَّ العَدْلَ الذي لا ينالُه إلا ملك مقرَّب أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان يوجِّهُنا لمحاولةِ تلمُّس بعضٍ من خصوصيَّة البعد التاريخيِّ والجغرافيِّ لقضيَّةِ استشهاد الحسين عليه السلام والأدلَّـة الشرعيَّة لوجوب زيارته اقتداء بالسيدة زينب عليها السلام، والخواص من الأوائل الذين زاروا ضريح الحسين عليه السلام، فماذا تعني الزيارة في اللغة والاصطلاح؟ وكذلك العتبة وقدسيتها؟ وما هي زيارة الأربعين؟ ومتى بدأت؟

الزيارة في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب لابن منظور: (زوَرَ، الزَورُ: الصدرُ، وقيلَ: وسطُ الصدر، وقيلَ ملتقى أطراف الصدر حيث اجتمعت، وقيلَ هو جماعة الصدرِ من الخُفِّ..، والزور: العزيمة، وزاره يَزُورُهُ زَوْراً وزِيارَةً وزُوَارةً: قصدَه، فهو زائرٌ وزُوَرٌ وزوار، وجاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ٢، وفيه من زار أخاه في جانب المصرِ، أيْ قصده ابتغاء وجه الله، فهو زوره وحقٌ على الله أن يكرم زوره، أي قاصديه..، وازدارهُ: عادهُ..، المَزَارُ: الزيارة، وموضع الزيارة، وفي الحديث: (إنَّ لِزَورِكَ عليكَ حقّاً)[1]، وهذا يعني أنَّ المعنى اللغوي للزيارة يحمل معنى الذهاب إلى الغير، للاجتماع معه، وقصده المقرون بالاحترام والإكرام.

أمَّـا المعنى الاصطلاحي للزيارة، فيحيلُ إلى معنيين: أحدهما يطابق المعنى اللغويَّ، أما الثاني فهو أَخصُّ من اللغويِّ، وذلك من جهة الموضوع، حيث تطلق الزيارة والزائر على مَن قصدَ مكاناً خاصّاً، وهو زيـارة الأنبياء والأئمَّة والأولياء وأصحاب المقامات[2]، ثم حصل تخصيصٌ لمعنى المصطلح في السياق الإسلاميِّ، وذلك حين ارتبط المصطلح عبْرَ ما يسمَّى بالمصاحبة اللغوية بتركيبٍ إضافيٍّ مع لفظة الأربعين، لتصبح زيارة الأربعين علامة لغويَّةً (تتكون من دالٍّ ومدلولٍ) ينطقان بعظمة الموقف التواصليِّ، وشعيرةً دينيَّةً تُحيلُ إلى فعلٍ طقسيٍّ يقوم به المسلمون من أتباع آل البيت عليهم السلام كلَّ عام في العشرين من شهر صَفَر[3]، إذْ يتوجَّهون لزيارة مقام الحسين عليه السلام في كربلاء حيث العتبات المقدَّسة، فما هي العتبة؟ وما هو المكان المقدَّس؟ وماذا يقصد بالزمن المقدس؟

العتبة لغة واصطلاحاً:

جاء في لسان العرب، مـادة (عتب): (العتبَةُ: أُسْكُفَّة الباب التي توطَأ، وقيلَ العَتَبَة العليا، والخَشَبةُ التي فوق الأعلى: الحاجب، والأُسْكُفَّةُ: السفلى؛ والعارضتان: العضادتان، والجمع عَتَبٌ وعَتَباتٌ، والعَتَبُ الـدَّرَجُ..، وعَتَبَ من مكان إلى مكان، ومن قولٍ إلى قولٍ إذا اجتاز من مَوْضِعٍ إلى موضعٍ، والفعل عَتَبَ يَعْتِبُ، وعتبَةُ الوادي جانبه الأقصى الذي يلي الجَبَل..)[4]، وإنَّما سمِّيت بذلك لارتفاعها عن المكان المطمئِن السهل، لذا فهي تطلق

على مراقي الدرجة، وما يكون في الجبل من مراقي يُصعَدُ عليها[٥]، وبذلك يحيل المعنى المعجميُّ للعتبة إلى وجود مكانين جغرافيَّين تفصل بينهما العتبة على شكل بابٍ له أسكُفةٌ وعارضتان، أو على شكل درجٍ، وسوف نرجع لمناقشة ذلك بعد التعرُّف على المعنى الاصطلاحي.

تجدر الإشارة إلى أنَّ المعنى الاصطلاحي، للفظة «العتبة» قد حدَّده العُرْفُ، إذْ أُطلِق على أبواب قصور الملوك أو الزعماء ومداخل بيوتهم، وذلك إحالةً على مكانتهم الرفيعة التي تُقْضَى بواسطتها حوائج الناس من عفوٍ أو عطاء وغيرها من القضايا التي يحتاجها عامَّة الناس من ذوي السلطان أو أصحاب المقامات الرفيعة، حيث يتوجَّه طالبُ الحاجة إلى باب مضيّفه ويدخل عبْرَ عتَبتِهِ ليطلبَ منه حاجته، وقد يُقبِّلُ هذه العتبَة اعترافاً بالفضل والجميلِ[٦]، ولعلَّ تقادم الزمن من جهة، وتعاقبَ الأجيال من جهة أخرى جعل هذه الأماكنَ التي كانت تُقْضَى فيها الحاجات مزارات يعودُها الناس على مرِّ الأجيال، ويمكن أنْ يكونَ للذاكرة الجمعيَّة المختزنةِ وتناقُلِ الأخبار من جيلٍ إلى جيلٍ دور في تعظيم بعض هذه الأماكن وتقديسها، حيث (أقبلَ عليها الموالون والعارفون **بقدسيَّتها**..، وأَوْلَوْها عناية أكبر وقدسيَّةً انبعثت من أعماق نفوسهم وإيمانهم، ثمَّ توسَّعوا في عرفهم فسمَّوا الأضرحة كلَّها باسم العتبات، وأصبح اسم العتبة أكثرَ شمولاً وأعـمَّ، بمقتضى ما جرى عليه الاصطلاح والعرف)[٧].

وهكـذا نـرى أنَّ العتبة في معناها اللغويِّ والاصطلاحيِّ تحيل إلى وجود مكانين جغرافيين أحدهما أعلى مكانة تكون العتبة مرقاة «مدخلاً» له، أمَّا المكان الآخرُ فهو كلُّ حيِّزٍ جغرافيٍّ يحيط بالعتبة ويصلُ إليها.

في طبيعة المقدَّس وماهيَّته (بين المقدَّس والعتبة):

يظهر المقدَّس بوصفه حقيقةً من نظام آخر غيرِ الحقائق «الطبيعية» المعهودة لدى كثير من الحضارات البشرية المتعاقبة، حتى قبل الديانات السماوية، وخيرُ مثالٍ على ذلك طقوس العبادة وشعائرها في بابل وآشور والمايا والأزتـك..، وغيرها من المجتمعات البشرية على امتداد كوكب الأرض، فقد كانت المقدَّسات تمثيلاً للقوَّة المطلقة التي يراها الإنسان تتمثَّل في الشمس أو الكواكب أو النار أو المطر أو الحجر أو الشجر..، وغيرها، فكانت العبادة للقوَّة التي تتجلَّى في هذا الحجر أو الشجر، (فحجر مقدَّس يبقى حجراً وبحسب ظاهره «بدقَّةٍ أكثرَ: من وجهة نظر دنيويَّة» لا يميزه شيء عن الحجارة الأخرى، وبالنسبة لهؤلاء الذين يتكشَّف لهم أنه حجرٌ مقدَّسٌ، تتحول حقيقته مباشرة..، لحقيقة مما فوق الطبيعة، وبعبارة أخرى، بالنسبة لمن لديهم تجربةٌ دينيَّةٌ، تبدو الطبيعة برمَّتها أنها قابلة للتكشُّف بصفتها قداسةً كونيَّةً، فالكون في كلِّيته يمكن أنْ يصبح تجلِّياً قدسيّاً)[٨]، ويتحوَّلُ عَـبْرَ تتابعِ الأيـام إلى حقيقةٍ خالدةٍ تتوافقُ فيها **الروح مع الجسد** في تجلِّياتٍ تتلقَّفُها النفس في تجربتها الدينية وأبعادها الوجودية القارَّة في طهارة التواصل المرتبط بالسلوك والتفكير، ولعلَّنا في هذا السياق نشير إلى وجود نوعين من المقدَّسات:

١. البعد الجغرافي (المكان المقدَّس):

وهو المحدَّد بأبعاد هندسيَّةٍ تنبني على امتلاك نقطةٍ ثابتةٍ ترتبطُ بالاستقرار الدنيويِّ، وتتجلَّى فيها عظَمة القوى ما وراء الطبيعية، حتى بالنسبة للإنسان العاديِّ في مرحلة ما قبل التدين نجدُ ميلَه إلى التعلُّق بالأطلال وآثار الديار ومسقط الرأس..، وغيرها قد تصل إلى مرحلة القداسة الذاتية، فكيف يكون الحال على وفق الحالة المتديِّنة؟

تأخذ الديانات السماوية الحيِّزَ المكانيَّ بالتجلِّي المقدَّس للنورانيَّة التواصليَّة التي تعدُّ مركزاً تتبادل فيه السماوات والأرض رسائلَ التجلِّي بأنوارها الشعشعانية، وهنا لا بدَّ لكلام الله الفصل أنْ يحضرَ في مختلف الكتب السماوية، والقرآن خير شاهد على ذلك، فيذكِّرنا بعلامةٍ من التجلي النوراني على جبل الطور، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه: ١٢، وفي هذه الآية إشارة إلى وجود بقعةٍ مقدَّسةٍ تجلَّت فيها قدرة الله سبحانه وتعالى، وعلى الإنسان)موسى(عليه السلام) أنْ يتهيَّأَ لهذه الزيارة، ويخلعَ نعليه عند الدخول إليها، ولعلَّ العتبةَ تكون في المنطقة القريبة من المركز بعدَ خلع النعلِ؛ ثم جاء بناءُ المكان على الأرض المقدَّسة على وفق أبوابٍ ترتبط بمعارج السماء التي يعلم بها من خصَّهم الله تعالى برؤية تواصليَّةٍ فوق أرضيَّةٍ، (وإنَّ ظهور المقدَّس في المكان له قيمة كوزمولوجية، فكلُّ تقديسٍ مكانيٍّ، أو كلُّ تكريسٍ لحيِّز يعادل معرض التشابه كونَ "مسكن- جسد بشري" يؤسِّس للاتصال المتصاعد نحو السماء)[٩]،

١-١. المرجعيَّة في المكان المقدَّس الذي استشهد فيه الحسين(عليه السلام) (قطعة من الجنة):

وُجِدَ الإنسان في هذه الدنيا لعلَّة أرادها الخالق في تجسيد المعرفة حكمةً وتجربةً عُرضت على المخلوقات، ولكن بمشيئة الله حملها الإنسان المستمرُّ في تواصله مع فيض الرحمة من نبع العلم الخالد؛ وإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى المعرفة المتفوقة التي خصَّ الله بها الأنبياء وآل بيت رسول النبوة(صلى الله عليه وآله)، يحضرنا غيرُ حديثٍ شريفٍ يشير إلى ترتيب سماويٍّ قديمٍ لما سيحدث مع الحسين الشهيد(عليه السلام)، إنها هندسةٌ كوزمولوجيَّةٌ للمكان الأرضيِّ الذي سيحتضن الجثمان المقدَّس، ومنها الحديث الذي أورده الاصطهباناتي في كتابه: (عن كتاب الفتن للسَّليلي بإسناده المتَّصل عن عبد الله بن يحيى الكندي عن أبيه قال: كُنَّا مع عليٍّ بن أبي طالب(عليه السلام) فرجعنا من صفِّين، فلمَّا حاذى نينوى نادى عليٌّ(عليه السلام)، اصبِر أبا عبد الله بشطِّ الفرات، فالتفت إليه الحسن(عليه السلام) فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليٌّ: دخلت على النبيِّ(صلى الله عليه وآله) وعيناه تدمعان، فقلت له: ما بال عينيك تدمعان بأبي وأمِّي؟ فقال: (قام من عندي جبرائيل قبيل ساعة فحدَّثني أنَّ الحسين(عليه السلام) يُقتَلُ بشطِّ الفرات، ثمَّ قال: هل لك أنْ أُشِمَّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدَّ يده فقبضَ قبضة من تراب، ثمَّ ناولنيها، فلم أملك عينيَّ أن فاضتا)[١٠]، حيث إنَّه توجدُ في الرُّسل بوصفهم معصومين طبيعتان متعايشتان تميِّزهم عن باقي البشر، الطبيعة الإنسانيَّة والطبيعة النورانيَّة التواصليَّة (قضيَّة النبوَّة والوحي)[١١]، وبموجب هاتين الطبيعتين يحمل الرسول توجيهاً إلهيّاً يريد إيصاله إلى الناس لهدايتهم

وإرشادهم، وهذه حال سيِّدنا محمدﷺ الذي حمل شرعة الإسلام لهداية الناس إلى الدين الحقِّ، ولذلك فمن الطبيعي أنْ تحضر تربة الحسينؑ من المستقبل، وهذا ما سنناقشه في البعد التاريخي "الزماني" لاحقاً.

وثمَّةَ حديث آخرُ لأمير المؤمنين عليّؑ[١٢] يجلو الأبعاد الجغرافية للمكان الذي سيشهد موقعة كربلاء، وأمير المؤمنين عليٌّؑ (خازن علم النبيﷺ وباب مدينة علمه)[١٣]، نذكره على وفق ما جاء في كتاب نور العين: (عن عبد الله بن ميمون القدَّاح عن أبي عبد اللهؑ، قال: مرَّ أمير المؤمنينؑ بكربلاء في أناس من أصحابه، فلمَّا مرَّ بها أغرورقت عيناه بالبكاء، ثم قال: (هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وهنا تُهرَقُ دماؤُهم، طوبى لكِ من تربةٍ عليك تُهرَقُ دماءُ الأحبَّةِ)[١٤]، وإنَّ هذه النبوءة "الاستشراف" التي تحدَّثت عن مكان استشهاد الحسين قبل حدوثها الأرضيِّ تدلُّ على ارتباط عالم التكوينِ بواقعة استشهاد الحسين ضمن مَهمة توجيهيَّةٍ تعليميَّةٍ أُوكلت للحسينؑ، واختص بها ليواجه خصومه ممن يريدون إطفاء نور الحقِّ وحرف مسيرة النبوة، وعليه فإنَّ قداسة الحيِّز المكاني في الموقع الجغرافي الذي صار قطعة من قطع الجنة، ولذلك فهي أرضٌ مطهَّرةٌ مباركةٌ موجبة للزيارة والاحترام، كما تعدُّ زيارتها من المحفزات المهمَّة "الضرورية" للسير على خطى نهج المعصومين، وهي بمنجاة عن كلِّ إفسادٍ أرضيٍّ بوصفها باباً من بوابات التواصل بين الأرض والسماء.

١-٢. الدليل الشرعي على مكانة آل البيتؑ ومنزلة الحسينؑ (المعصومين):

أكّد القرآن الكريم منزلة آل بيت رسول اللهﷺ وأنَّهم مُطَهَّرون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب: ٣٣، وأجمع المسلمون كلُّهم على المنزلة الشريفة المباركة لآل البيتؑ، والدليل الشرعي لقداستهمؑ موثَّقة في مصادر علماء السنَّة والشيعة، نذكر من ذلك ما جاء في صحيح مسلم، ونصُّه: (عن زيد بن أرقم قال: ثمَّ قال: قام رسول اللهﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر، ثم قال: (أمَّا بعدُ ألا أيُّها الناس فإنَّما أنا بشرٌ يوشكُ أن يأتي رسول ربِّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمَّ قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..)[١٤]، كما ورد الحديث في سنن الترمذي: عن زيد أيضاً قال: (قال رسول اللهﷺ: (إنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟)[١٦]، إنَّها وصيَّةٌ واضحة توجِّه المسلمين إلى التمسك بما يقرّبهم إلى رضوان الله تعالى، وهما وصيتان متلازمتان لا تنفصلان أكَّد عليهما، كما تُعدُّ علامةً لأهل الحقِّ في تلك الفتنة التي ستحصلُ في الزمن الأرضيِّ لاحقاً، وكأنَّه يوجِّه الناس إلى

موالاة آل البيت ومناصرة قضيتهم الحقَّة، فانتصار الأمَّة في دينها مرتبطٌ بنصرة آل البيت عليهم السلام، وبذلك نجدُ حرص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله على نجاة البشرية وخلاصها، فتراه لا يترك مناسبة إلا ويوجه فيها إلى ضرورة الحذر مما قد يأتي في المستقبل، وما ينتظر الأمَّة من خيرٍ أو شرٍّ، وبيَّن أسباب ذلك وعوامله، كما وجَّه المسلمين إلى الطرق المناسبة للتعامل مع ذلك كلِّه، وكذلك كان صلى الله عليه وآله يجاهرُ بمنزلة الحسين الرفيعة، ويبيِّنُ حبَّه الكبير لهُ، ونرى ذلك واضحاً في الحديث الشريف على وفق روايات متعددة، منها ما جاء في مسند الشاميين، حديث يُعلَى بن مرَّة الثقفي عن النبي صلى الله عليه وآله: (حدثنا: عفان، حدثنا: وهيب، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يُعلى العامري أنَّه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له..، قال: فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم وحسين مع غلمان يلعبُ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ يأخذه، قال فطفق الصبيُّ هاهنا مرَّة وهاهنا مرَّةً فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه حتى أخذه..، فقبَّله، وقال: (حسين منِّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)[١٧]، ولعلَّنا نرى في هذا الحديث تجلِّي الطبيعة البشرية من خلال موقف اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بحفيده الحسين عليه السلام، وتجلِّي الطبيعةِ النورانيَّةِ التواصليَّةِ في قراءة الغيب الأقدس الذي تندمج فيه الروح بين الرسول صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام.

وتأسيساً على ما تقدَّم من مقاربة للمكان المقدَّس في التراث البشريِّ وفي القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وحديث أمير المؤمنين عليه السلام نرى العلَّة الشرعيَّة لقداسة المكان الذي احتضن جثمان الحسين عليه السلام، وقد حُدِّد المكانُ القدسيُّ في أكثرَ من رواية، منها ما جاء في الكافي: (عن سهل بن زياد، وأحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن عمَّار، قال: (سمعته يقولُ لموضع قبرِ الحسين عليه السلام حرمةٌ معلومةٌ من عرفها واستجار بها أُجيرَ، قلت صف لي موضعها، قال: امسح من موضع قبره اليومَ خمسة وعشرين ذراعاً من قُدَّامه وخمسة وعشرين ذراعاً عند رأسه وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وموضع قبره من يوم دُفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يُعْرَجُ منه بأعمال زوارها إلى السماء، وليس من ملك ولا نبيٍّ في السموات إلا وهم يسألون الله أنْ يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرُج)[١٨]، وهنا نستدلُّ علميّاً وتاريخيّاً على البعد الجغرافي المقدَّس الذي اصطفاه الله ورسوله، وحدَّده لهذه العتبة الحسينية (دام ظلُّها)، وسنتحدَّث لاحقاً عن المعاني القدسية لزيارة هذه الروضة المباركة.

٢- البعد التاريخي (الزمن المقدَّس في واقعة استشهاد الحسين عليه السلام):

يرتبطُ الزمن المقدَّس في عرف الحضارة البشرية بواقعةٍ ما تناقلتها الأجيال، واختزنتها ضمن منظومتها الفكرية، أو الدينية، أو العقائدية، ويعاد إحياؤها على صورة شعائر مختلفة من حضارة إلى أخرى، ومن الممكن استعادتها أو تكرارها إلى ما لا نهاية، ولعلَّها محاولة للتواصل مع الماضي لأهداف مختلفة، والأمثلة كثيرة في الديانات السماوية، وفي الدين الإسلامي نجدُ مناسبات كثيرةً ترتبط بوقائع

حصلت مع الأنبياء والرسل، ومنها ما حدث مع سيدنا محمدﷺ، وما زلنا نحتفل فيها إلى يومنا هذا.

أما واقعة استشهاد الحسين فلا بدَّ من التأنِّي كثيراً عند مقاربتها، لأنَّ الزمنَ التاريخيَّ الراهنَ الذي شَهِدَ ما حدث مع الحسينؑ ليسَ هو الحاضرُ الذي حصلت فيه الفاجعة، وذلك تأسيساً على استشراف ومكاشفة تُعدُّ معجزات وضَّحها الرسول محمدﷺ وأمير المؤمنين عليؑ في أكثرَ من حديث قدسيٍّ، فعندما يتحدّث الرسولﷺ عن زيارة جبريلؑ الذي أخبره عمَّا سيحدث مع الحسين بعد سنوات طويلة، وحين يحضر قبضة من تراب قبره ويشمُّها لأمير المؤمنين عليؑ، يحضر السؤال الآتي: ما هي خصوصية هذا الأمر الذي تنبَّأ به رسولنا الكريم وأمير المؤمنين؟ وما العلَّة الشرعية العلمية لهذا السفر إلى المستقبل؟ وهل ثمَّة حدثٌ أقدس من هذا البعد التاريخي لواقعة استشهاد الحسينؑ؟.

لعلَّ الترتيب الإلهيَّ لحيِّزي الزمان والمكان المرتبطين بقضية استشهاد الحسين يشيرُ إلى مقدَّس يختلف مفهوم الزمن فيه عن أيِّ حدثٍ آخر، إلى درجة يتماهى فيه الزمان والمكان الأرضيَّان بالزمن السماوي الذي يقبل الانعكاس من المركز وإليه.

زيارة الأربعين بين البعدين التاريخي والجغرافي المقدَّسين (الزمان والمكان المقدَّسين)

بعد التوصُّل إلى قدسيَّة مكان استشهاد الحسينؑ بوصفه قطعة من الجنة حُدِّدت، وتمَّ استدعاؤها قَبْليّاً بين يدي الرسولﷺ، وقدسيَّة اللحظة التاريخية التي حصل فيها الاستشهاد بوصفها لحظةً سماوية رتَّبتها أقدار السماء منذ الخلق الأوَّل لتحدُثَ في زمانٍ ومكانٍ أرضيَّين، وبعد معرفة سموِّ المنزلة النورانية للحسينؑ التي أشار إليها الرسولﷺ، والتي تقلَّد أنوارها الحسينؑ دنيويّاً بإمامته عارفاً بالدور"الفعل المقدَّس" المنوط به في تحقيق إرادة السماء، نراه يتوجَّهؑ مع قلَّةٍ من أهل بيته وخواصِّه إلى كربلاء، وتوجِّهُه الأقدار إلى معركة غير متكافئة مع الفئة الباغية، توجَّه ثائراً معتمداً قول النبيﷺ: (من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلًّا لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنَّة رسول الله، يعملُ في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر ما عليه بفعل ولا بقول، كان حقّاً على الله أن يُدخِلَه مدْخَله)[١٩]، وهنا استشهد الحسينؑ في العاشر من محرَّم سنة ٦١هـ، وعمره ٥٧عاما أو ٥٨عاما، واستشهد معه عدد من أهل بيته وأتباعه.

استشهد الحسينؑ للحفاظ على بيضة الإسلام وروحه وجوهره، ليؤكِّد رسالة الحقِّ في الدفاع عن الحقِّ؛ وتُؤكِّدُ الكلماتُ الأخيرة التي نطق بها الإمام الحسينؑ ذلك الدفاع، (وهو يُقتلُ في مذبح الحرية بعد أنْ هدَّته الطعنات وخارت قواه واستعدَّ المجرمون لحزِّ رأسه الشريف، قال: (إنْ كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي، فيا سيوف خذيني)[٢٠]، يؤكدُ قولُه هذا ضرورةَ البذل والتضحية للحفاظ على استقامة الدين وتصحيح مسار الأمَّة؛ مع أنَّه انتقل إلى العالم النورانيِّ وغُيِّبَ التواصلُ مع جسده حيناً، وظنَّ قاتلوه أنَّهم انتصروا، واستمرَّ حكمهم الدنيوي مدَّة من الزمن، وأنتجوا حكماً أتوقراطياً مارس القهر والظلم بحقِّ آل

البيت وكلَّ من يواليهم، وصاروا الملك العضوض، إلا أنَّهم قد خسروا في الحقيقة، وانكسرت شوكتهم أمام عظمة استشهاد الحسين عليه السلام بأبعادها القدسيَّة، أجل انتصر الحسين عليه السلام عليهم، وصار خالداً في السماء والأرض، أجل دخل الحرب وهو عارف بما قُدِّرَ له من قبل مولده، وعارف أنَّه سينتصرُ برمزيَّة الشهادة وإنارة الشعلة المقدَّسة لديمومة الحقِّ التي سيسير عليها القادمون من بعده، إنَّها الثورة الجهاديَّة الواعية الفاضلة ذات الشريعة السمْحة بشعلتها التي لن تنطفئ إلى يوم الدين، ومثالها انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث قال الخميني "قدس": (كلُّ ما لدينا من عاشوراء)، وكذلك الفتوى الشرعية لسماحة آية الله السيد السيستاني دام ظله، والتي غيَّرت مجرى الحرب الكونية التكفيرية على سوريا والعراق، وانتصر الحسين عليه السلام وسيبقى منتصراً يتكرَّر انتصاره إلى يوم الدين.

وبالعودة إلى استشهاد الحسين عليه السلام، وإلى ما فعلته الفئة الباغية عندما فصلت الرأس عن الجسد وحملوه إلى دمشق، ويمكننا القول عبْر التأويل الرمزي: إنَّهم بفعل الفصل ذلك أرادوا "رمزيّاً" إبعادَ الجزء السماوي عن الأرضيِّ الدنيويِّ، ويُعدُّ ذلك انحرافاً عن الناموس الناظم لحركة الطبيعة الكوزمولوجية، وابتعاداً عن هدي الرسول ومخالفة لوصاياه، فالدنيا من دون تواصل مع المقدَّس السماوي ليس لها معنى.

دفن أتباع الحسين عليه السلام الجسدَ المثخن بالطعنات، وحاولوا زيارته، (واشتهرَ أنَّ أوَّل الوافدين إلى زيارة قبر الإمام الحسين في العشرين من صَفَر: هو جابر بن عبد الله الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ موكب السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد اشتهرت بين علمائنا وتناقلته الألسن والأقلام، كيفية وصولهم ولقائهم بجابر بن عبد الله الأنصاري)[٢١]، وهنا كان دور زينب الحوراء عليها السلام التي خصَّتها السماء بفضل الحفاظ على سلالة الحسن والحسين عليهما السلام حين منعت الفئة الباغية من قتل الإمام زين العابدين فقد كان عليلاً اشتدَّ به المرض، وحمت الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام، وقد كان طفلاً لم يتجاوز العشر سنوات[٢٢].

تأتي المرحلة الثانية من معركة الطفِّ فتكون السيدة زينب عليها السلام بطلة الموقف، إذْ عادت مع الإمام علي زين العابدين عليه السلام ومعهم موكبُ نساء آل البيت عليهم السلام، يحملون الرأس المقدَّس، ويصلون إلى موضع ضريح الحسين عليه السلام في العشرين من صَفَر، ويُلحقون الرأس بالجسد، ولعلَّ هذا الفعل الرمزيَّ أعاد التوازن إلى كوزمولوجيَّة الهندسة الكونيَّة، وأحيا الفعل البدئيَّ من جديد، وذلك من خلال إعادة التواصل بين السماء والأرض وفتح طاقة العروج النورانية، ولعلها باب الدعاء والرحمة للتقرُّب من الله سبحانه وتعالى، بابٌ قدسيٌّ يرتبطُ ببعدٍ "جغرافيٍّ وتاريخيٍّ" يحيلُ إلى مكان مقدَّس تتعاظم أنواره في زمان مقدَّس هو يوم إلحاق الرأس بالجسد، ومن هنا جاءت قدسيَّة زيارة الأربعين التي تحولت إلى عيد سنويٍّ له طقوسه في إعادة إنتاج اللحظة التاريخية بوصفها تتجاوز مشروطيتها التاريخية لتصل إلى الزمن المطلق "الزمن المقدَّس"، وهنا يكون ذكرُ حديث الإمام العسكري مؤكِّداً لقدسيَّة زيارة الأربعين التي أظهرنا المسوِّغ العلمي والعقلي والشرعي لها، والحديث هو (روي

عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنَّه قال: (علامات المؤمن خمسٌ: صلاة إحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٢٣].

زيارة الأربعين ليست مجرَّد إحياء لذكرى حادثة استشهاد الحسين وتمثيل مظلوميته وسبي نساء آل البيت، وإلحاق الرأس بالجسد، وإنَّما هي إعادة تحيين لهذا الموقف، وجعله لحظيّاً، فاستشهادُ الحسين عليه السلام هو فعل بدئيٌّ تأسَّس عليه فعلٌ يتكرَّر دورياً "سنوياً" في يوم الأربعين، وتتأسس عليه هذه الزيارة، فتتغيَّر بنية الزمن الحاضر، وكأنَّ المقدَّس يحصلُ أمامنا مترافقاً مع ردَّات الفعل ذاتها التي تستدعي الإنغرام الأعلى في أنقى صورة من صور (التداعي الحر الذي يعتمدُ على تجارب الفرد والمجتمع في الماضي وعلى الأفكار التي يتبناها في الحاضر)[٢٤]، ووعيٌ بأنَّ هذا الإلحاق هو ضم الجسدِ إلى الجسد، يلي ذلك فتحُ طاقة العروج النورانية بوصف تربته المقدسة من الجنة، ولذلك فقد تكون بوابة للتواصل بين الأرض والسماء.

ولعلَّ هذا الانتصار المشرِّف للحسين عليه السلام بالشهادة، وقهره لأتباع الدنيا عبر الارتقاء السماوي من خلال بوابة المركز في المكان المقدَّس، يتطلَّب من العارفين بحقه أنْ يزوروا هذا المكان في كلِّ عام، لإعادة تحيين هذا الموقف رمزياً وعقائديّاً بوصفه تواصلاً مع الطقس السماوي المتجلِّي على الأرض، ويكون الانفتاح على فضاء الزمن المطلق زمن العود الأبدي الذي يستلهم الزائرُ من إيمانه المطلق معاني الشهادة إلى يومنا هذا، وعلى ذلك تنبني مرتكزاته الأيديولوجيَّة ومعتقداته الدينيَّة على وفق نهج اختار جانب الحق في طريق يوصله بخطِّ النبوة ومقام الحسين عليه السلام في سدرة المنتهى.

ويمثِّلُ تحمُّلُ مشقَّة السفر في مسيرة زيارة الأربعين عطشَ الإنسان المتديِّن العاشق لآل البيت عليهم السلام الذي يحتاج لملء جوارحه من معين مسيرة لا تنضب تتكرَّر كلَّ عام حاملة الخصب والنماء للبشريَّة جمعاء، كما يحمل الغيثُ ربيع الأرض، إنَّه حنين إلى تلك اللحظة البدئية التي انطوى فيها البعدُ التاريخي والجغرافي ليعبِّر عن رغبته بالعيش في كوزموس طاهر مقدَّس يدخل الإنسانُ عتبته المقدسة حافياً منتقلاً من الدنيوية إلى المكان المقدَّس ليجدَ خلاص نفسه فيه، فيمرُّ بمرحلة التطهير الذي يخلِّص النفس مما علق بها مدى الأيام السابقة، ويتحول صمت المكان إلى لغة روحانية تواصلية تتفاهم فيها جميع الألسن التي تحضرُ شعائر الزيارة في هذا الموكب القدسي المهيب، فنرى العربي والفارسي والهنديَّ والباكستاني..، وغيرهم لا يتكلَّمون العربية، ولكنَّهم يتواصلون من خلال لغة الشهادة التي تجمعهم في بعدها الروحي، وهذه الروضة المقدَّسة قد وحَّدتهم في هذا اليوم، وحَّدت الجغرافيا والتاريخ في هذا المركز المتعالي عن حدود الزمان والمكان، فانصهرت الاعتقادات والروحانيات، وتوحَّدت في لحظة معيَّنة عبْرَ هذا البعد المطلقِ البعد الذي تنفتح به طاقة السماء على الأرض، لتمثِّل الارتباط بين عالم التكوين وعالم التشريع، وخير ما يتجلى هذا الارتباط في يوم زيارة الحسين.

وفي الختام لعلَّ الزائر إلى هذا المكان المقدَّس يجدُ تواصلاً مع الوفاء الذي ينطوي عليه، وإنَّه ليشعر

بالحنين يلفه إلى الحسين عليه السلام، والشوق يعتمل في الصدور للقائه، شوق إلى عملٍ دؤوب يقرِّب من الله سبحانه وتعالى، إنَّه حنين الزمن إلى تاريخية هذا المقدَّس الذي تجلى إماماً وشفيعاً وثائراً، إنَّه في هذا المكان درعٌ للدفاع وفسطاط من الهيبة التي تختلط فيها الدموع بالابتسامة، إنّه فرح باستمرار هذه الزيارة للأسباب ذاتها، ولو بعد ألف جيل.

كربلاء وطن لا أسكن فيه ولا يسكنه كثير من الزائرين، ولكنه يسكن ذوات المؤمنين في ضمائرهم وفي قلوبهم، يحملونه في سلوكهم ونظرات عيونهم في سجودهم على أمل اللقاء بالحسين عليه السلام بين يدي الله سبحانه وتعالى.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نفصلها على وفق الآتي:

١. يُعدُّ تأكيد القرآن الكريم على وجود المكان المقدَّس توجيهاً للأمة للتعامل مع الأماكن المقدَّسة على وفق شعائر خاصة، وكذلك نبوءة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام التي اخترقت أقطار السماوات والأرض، وحددت مركز التربة المقدسة لروضة الحسين عليه السلام وأبعادها، بما يشير إلى قدسيَّة خاصَّة لهذا الضريح "السماوي الأرضي" الذي استدعى تراب الجنة فحضر منذ أن كان الحسينُ طفلاً صغيراً، ويؤسس لموجِّهات دينيَّة علميَّة عقائديَّة تعطينا المسوِّغ الشرعي والقانوني والأخلاقي والعلمي لتقديسه وزيارته.

٢. مضمون ثورة الحسين عليه السلام واستشهاده ليس مجرَّد قيام على الحاكم الجائر وإنصاف المسلمين، بل هو أرقى منهاج يقتدى به في بناء مجتمعات واعية تتواصل مع العترة المقدَّسة سلوكاً وعقيدة، تتجدَّد في زيارة الأربعين في العشرين من صَفَر من كل عام.

٣. يعدُّ البعدُ التاريخي والجغرافي استثماراً حيزيَّاً للزمان والمكان المقدَّسين الذي يعطي فرصة عظيمة للعارفين بميزان فضله أن يتطهَّروا ويستعيدوا فطرتهم الأصلية ونقاءهم الطبيعي، ويتعلموا أن التضحية والفداء درسٌ عظيم قدَّمه الحسين ليس لأتباع الولاية فقط، بل درسٌ للبشريَّة جمعاء.

٤. كما يقدِّم فرصة للنهل من مخازن الرحمة الإلهية التي تهب الزائرين المريدين وقتاً إضافيّاً لإعادة ضبط الذوات على وفق توجهات الشريعة ومقاصدها بما يؤدي إلى الصلاح في الدنيا والآخرة.

٥. أدَّت المرجعية السماوية دوراً فاعلاً في بناء رسالة الحق الإقناعية التي تجمع المؤمنين العارفين بفضل الحسين عليه السلام ومنزلته العلوية المقدَّسة.

الهوامش

(١) يُنْظَر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، مج٤، مادة (زور)، وينظر: الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، ج٣، ص ٣٢٠،

(٢) التميمي، الشيخ رائد: زيارة الإمام الحسين (بحث استدلالي في روايات الوجوب)، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدَّسة، كربلاء العراق، ط١، ٢٠١٤، ص١٥.

(٣) ينظر: زهر، كمال: زيارة الأربعين (دراسة موضوعية في إثبات مشروعيتها)، دار أمجاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩، مقدمة الكتاب.

(٤) يُنظَر: ابن منظور: لسان العرب، مج١، مادة (عتب).

(٥) ينظر: ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ج٤، مادة (عتب).

(٦) الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدَّسة، مؤسسة الأعلمي، الضاحية الجنوبية بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٤١، بتصرُّف.

(٧) المرجع نفسه، ج١، ص٤٢.

(٨) إلياد، مرسيَّا: المقدَّس والمدنَّس، ترجمة المحامي: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨، ص ١٧.

(٩) المرجع نفسه، ص٤٩، الكوزمولوجيا: علم الكونيات

(١٠) الاصطهباناتي، الشيخ محمد حسن: نور العين في المشي لزيارة قبر الحسين، دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥- ١٤١٦هـ، ص(٨٦-٨٧)، كثيرة هي معجزات الرسولﷺ التي يتفق عليها المسلمون جميعهم، والتي تظهرُ معرفته بعلم السابقين واللاحقين، وهنا نتذكَّرُ يوم انتقل النجاشي إلى جوار ربه حيث أخبر الرسول محمدﷺ أصحابه بوفاة النجاشي، وصلَّوا عليه صلاة الحاضر، إذْ حضرَ جثمان النجاشي أمام الرسول ليصلِّي وأصحابه عليه، ولذلك من المسلَّم به أنْ تحضر تربة الحسين بين يدي الرسول، وكذلك قولهﷺ لعمار بن ياسر: (..، تقتلك الفئة الباغية) رواه أحمد (٥- ٣٠٦، رقم ٢٢٦٦٣)، ومسلم (٤- ٢٢٣٥، رقم٢٩١٥)، والبيهقي (٨- ١٩٨، رقم ١٦٥٦٦) وغيرهم.

(١١) الحمداني، د، جميل: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣، ص١٠٧.

(١٢) أجمعت كتب علماء السنة والشيعة على امتلاك أمير المؤمنينؑ لعلم الأوَّلين والآخرين علم الغيب «المستقبل»، مثال ذلك حديث (سلوني قبل أن تفقدوني) الذي رواه:

(*) كتب الشيعة: كان أمير المؤمنين يقول مخاطباً أصحابه: (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء بينكم وبين الساعة، ولا عن فئةٍ تهدي مائة وتضلُّ مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحطِّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً)، ينظر: القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١٢هـ، ج١ - ١٣٩.

(*) كتب السنة: (روى الحاكم بن عامر بن واثلة، قال سمعت عليّاً قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء، فقال: من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار؟ قال: منافقو قريش،

قال: فمن الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً؟ قال: منهم أهل حروراء)، ينظر: النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠، رقم الحديث: (٣٣٩٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح عال.

(١٣) آل نصر الله، السيد عبد الصاحب: التضحية والرمز «دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين»، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص١٣٢.

(١٤) الاصطهباناتي، الشيخ محمد حسن: نور العين في المشي لزيارة قبر الحسين، ص ٨٦.

(١٥) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ج ٧، ص ١٢٣.

(١٦) الترمذي: سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ج ٥، ص ٣٢٩.

- كما ذكر في مسند أحمد: ج٣، ص ص (١٤-١٧)، وفي ج٤، ص (٢٦٧- ٢٧١)، وفي ج ٥، ص(١٨٢)، وفي ج٥، ص(١٨٩)
- وذكر في سنن الدارمي: ج٢، ص٤٣٢.
- وذكر في المستدرك على الصحيحين لـ الحاكم: ج٣، ص(١١٠-١٤٨).
- وذكر في السنن الكبرى للبيهقي: ج٢، ص١٤٨، وفي ج٧، ص٢٠، وفي ج١٠، ص١١٤،
- وذكر في مجمع الزوائد: ج٩، ص ١٦٢.

(١٧) رواه الترمذي (٣٧٧٥)، وابن ماجة (١٤٤)، وأحمد (١٧١١١)، وغيرهم.

(١٨) الكليني، إسحاق بن يعقوب: الكافي، مصادر الحديث الشيعية - قسم الفقه، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٣، ١٣٧٦، ج٤، ص ٥٨٨، وينظر: الفقيه، ج٢، ص٥٧٩، وينظر: التهذيب، ج٦، ص٧٢.

(١٩) آل نصر الله، السيد عبد الصاحب: التضحية والرمز «دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين»، ص٤٨٢.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٤٨٥.

(٢١) زهر، كمال: زيارة الأربعين (دراسة موضوعية في إثبات مشروعيتها)، ص٢٣.

(٢٢) ينظر: آل نصر الله، السيد عبد الصاحب: التضحية والرمز «دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين»، ص٥٦٧.

(٢٣) النيسابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ): روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦، ص٢١٥، وذكر في الوسائل ج١٤، ص ٤٧٨ آل البيت.

(٢٤) وتكمن خصوصية التأويل أنَّه إذا ما أثَّر فينا في الماضي سياق ما فإنَّ تَكَرُّرَ جزءٍ من ذلك السياق فحسب سيولِّدُ لدينا ردَّ فعلٍ يماثل ردَّ فعل سابق، فالعلامة مثير مشابه لجزء من مثيرٍ أصليٍّ، وهو كاف لاستدعاء الإنغرام الذي كوَّنه ذلك المؤثِّر، ينظر: همفري، روبرت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة د، محمود الربيعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٥، ص١٥٢، بتصرُّف.

- الإنغرام: هو الأثر الباقي لتكيُّف الكائن للمؤثِّر، وهو البصمة الدائمة في الفسيولوجيا العصبية وعلم النفس، وهي بصمة عضوية في النسيج العصبي للدماغ يولِّدها أيُّ مثير ذهنيٍّ مفسِّراً بذلك إلحاح الذكرى، ينظر: ريتشارد، أوغدن: معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، قدَّم الكتاب وترجمه د، كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠١٥، ص١٣٤-١٣٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢. ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

٥. الاصطهباناتي، الشيخ محمد حسن: نور العين في المشي لزيارة قبر الحسين، دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥ - ١٤١٦هـ،

٦. آل نصر الله، السيد عبد الصاحب: التضحية والرمز «دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين»، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٧. إلياد، مرسيًّا: المقدَّس والمدنَّس، ترجمة المحامي: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك (ت٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.

٩. التميمي، الشيخ رائد: زيارة الإمام الحسين (بحث استدلالي في روايات الوجوب)، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدَّسة، كربلاء العراق، ط١، ٢٠١٤.

١٠. الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدَّسة، مؤسسة الأعلمي، الضاحية الجنوبية بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١١. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي، مراجعة: فواز أحمد زمرلي- وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٢. ريتشارد، أوغدن: معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، قدَّم الكتاب وترجمه د. كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠١٥.

١٣. زهر، كمال: زيارة الأربعين (دراسة موضوعية في إثبات مشروعيتها)، دار أمجاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩.

١٤. الطريحي، العلم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين: مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتب النشر الثقافة الإسلامية، طهران، إيران، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٥. القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

١٦. الكُليني، إسحاق بن يعقوب: الكافي، مصادر الحديث الشيعية - قسم الفقه، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٣، ١٣٧٦هـ.

١٧. لحمداني، د، جميل: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.

١٨. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ -١٩٥٤م.

٢٠. همفري، روبرت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة د، محمود الربيعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٥.

السرد الوصفي في زيارة الناحية المقدسة

م. م. أحمد جاسم ثاني

كلية التربية – قسم اللغة العربية – جامعة البصرة

الملخص

ما زال تراث أهل البيت: بشكل عام ونصوص (الزيارة) بشكل خاص بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة والوقوف على مضامينها والحقائق التاريخية التي احتوتها، وفي هذا البحث نقف عند نص من نصوص الزيارة، وهي الزيارة المسماة بالناحية المقدّسة التي وردت عن الإمام المهدي المنتظر لنحلّل السرد الوصفي للوقائع والأحداث التي سجّلها هذا النص، ممهداً بالتعريف بالمصطلحات التي تألّف منها عنوان البحث، ومنتهياً بخاتمة تضمّنت نتائج البحث. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب. مصطلح (السرد الوصفي): للتعرّف على هذا المصطلح لابدّ من تفكيك جزئيه المتداخلين وتعريفهما، فالسرد يعني (قص الأحداث والأخبار، وحكايتها ونقلها من صورتها الحقيقية إلى صورة لغوية، سواء أكان هذا القص حقيقة أم خيالاً، وهو الطريقة التي يختارها المبدع أو المرسِل ليعرض من خلالها الحدث إلى المتلقي أو المرسَل إليه)، أما الوصف فهو (إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع. وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص). مصطلح (الزيارة): الزيارة في اللغة: من زاره يزوره زيارةً: بمعنى قصده، فهو زائرٌ وزَوْرٌ وزَوَارٌ، ويُسمى موضع الزيارة المَزَار، فالزيارة تعني: قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به، وحينما يقصد الزائر ذلك المكان يتوجه إلى المزور بقراءة نص قائم على السلام وذكر الفضائل لصاحب المزار، وقد يتضمن الدعاء للزائر والمُزَار، وهذا النص يطلق عليه مصطلح (الزيارة). ويكاد يتفرّد الدكتور محمود البستاني في ذكر (الزيارة) بوصفها جنساً أدبياً في بعض مؤلفاته الأدبية والبلاغية، فعرّف (الزيارة) بأنها (شكل فنّي يماثل الأشكال الفنية الأخرى من حيث أدوات الصياغة: لفظياً وإيقاعياً وصورياً وبنائياً، لكنها تتميز عنها بكونها تتضمن بعداً وجدانياً يتجه إلى النبي وأهل البيت: بصفتهم شفعاء ووسائل إلى الله تعالى من جانب، وبصفتهم شخصيات منتقاة قد مارست الوظيفة العبادية بالنحو المطلوب من جانب آخر...)، وقد تضمن البحث وصفاً لقصة السبي ومسيرة الاربعين بذكر بعض النصوص الواردة فيها.

Descriptive narrative of the pilgrimage to the holy shrine

Lecturer. Ahmed Jassim Thani

College of Education / Basra University

Abstract

The heritage of Ahl al-Bayt in general and the pilgrimage texts in particular, are still in need for further research and study in their contents and the historical facts they contained.

In this research, we stopped at one of those texts named "The pilgrimage to the holy shrine", which was received from Imam al-Mahdi "pbuh". The descriptive narrative of this text has been analyzed by defining its terms in the research body at first, and ending with a conclusion that included the research results.

The term (Descriptive narrative) has to be dismantled in order to identify it, where (Narrative) means telling events and news, and transfer them from their real image into a language, whether this story was real or fiction, which is the way chosen by the creator or the narrator to offer from which the event to the recipient or consignee, while the (Description) is a creation intended to deliver a mental image of a scene.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين..

ما زال تراث أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ونصوص «الزيارة» بشكل خاص بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة والوقوف على مضامينها والحقائق التاريخية التي احتوتها، وفي هذا البحث نقف عند نص من نصوص الزيارة، وهي الزيارة المسماة بالناحية المقدّسة التي وردت عن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه لنحلّل السرد الوصفي للوقائع والأحداث التي سجّلها هذا النص، ممهداً بالتعريف بالمصطلحات التي تألّف منها عنوان البحث، ومنتهياً بخاتمة تضمّنت نتائج البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

مصطلح (السرد الوصفي)

للتعرّف على هذا المصطلح لابدّ من تفكيك جزئيه المتداخلين وتعريفهما، فالسرد يعني ((قص الأحداث والأخبار، وحكايتها ونقلها من صورتها الحقيقية إلى صورة لغوية، سواء كان هذا القص حقيقة أم خيالاً، وهو الطريقة التي يختارها المبدع أو المرسِل ليعرض من خلالها الحدث إلى المتلقي أو المرسَل إليه))[1].

أما الوصف فهو ((إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع. وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص))[2].

مصطلح (الزيارة):

الزيارة في اللغة: من زاره يزوره زيارةً: بمعنى قصده، فهو زائرٌ وزَوْرٌ وزَوَارٌ، ويُسمى موضع الزيارة المَزار[3]، فالزيارة تعني: قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به[4].

وحينما يقصد الزائر ذلك المكان يتوجه إلى المزور بقراءة نص قائم على السلام وذكر الفضائل لصاحب المزار، وقد يتضمن الدعاء للزائر والمُزار، وهذا النص يطلق عليه مصطلح «الزيارة».

ويكاد يتفرّد الدكتور محمود البستاني في ذكر «الزيارة» بوصفها جنساً أدبياً في بعض مؤلفاته الأدبية والبلاغية، فعرّف «الزيارة» بأنها ((شكل فنّي يماثل الأشكال الفنية الأخرى من حيث أدوات الصياغة: لفظياً وإيقاعياً وصورياً وبنائياً، لكنها تتميز عنها بكونها تتضمن بعداً وجدانياً يتجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بصفتهم شفعاء ووسائل إلى الله تعالى من جانب، وبصفتهم شخصيات منتقاة قد مارست الوظيفة العبادية بالنحو المطلوب من جانب آخر...))[5].

ونص الزيارة يشابه الدعاء من حيث المظهر الخارجي له، فهو نص قائم على المحاورة الانفرادية، ((والفارق بينه وبين الدعاء أنّ الأخير يتّجه إلى الله تعالى، والأول يتّجه إلى المعصومين من خلال كونهم شفعاء، أو وسائل بين الفرد والله تعالى))[6].

وهي من النصوص الشرعية التي يختصّ بها المشرّع الإسلامي (المعصوم)، ولا يُسمح للآخرين بتقليدها، كما في سور القرآن الكريم والدعاء والذكر[7].

ومن الناحية الفنية فإن نصوص الزيارة تجمع بين الترسّل وبين العبارة الإيقاعية والمصوّرة، لكن دون تكثيف في الصور والإيقاع، لكونها خواطر موجهة إلى الله تعالى أو إلى المعصوم وليست موجهة إلى الناس العاديين فيحتاج الخطاب إلى صياغة تصويرية وإيقاعية لتحريك عواطفهم[٨].

الزيارة في القرآن والسُّنَّة:

يرى بعض المفسرين أن الحث على الزيارة ورد في القرآن الكريم بشكل ضمني، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤)، يقول الشيخ جعفر السبحاني: ((إنّ الآية تسعى لهدم شخصية المنافق، وهزّ العصا في وجوه حزبه ونظرائه، والنهي عن هذين الأمرين بالنسبة إلى المنافق، معناه ومفهومه مطلوبية هذين الأمرين (الصلاة والقيام على القبر) بالنسبة لغيره أي للمؤمن))[٩].

يُفهم من ذلك أن زيارة قبر المؤمن والصلاة عنده أمرٌ مُستحب في ضوء الآية المباركة، أما في السنة الشريفة، فقد ذكرت الروايات أن رسول الله ﷺ قام بزيارة القبور في البقيع وأمر بزيارتها وعلّم الناس كيفية التكلم مع المزور وبيّن بعض آداب الزيارة[١٠]. ولعل في هذا الخبر إشارة إلى تاريخ الزيارة وأن رسول الله ﷺ هو أول من سنّها ووضع أصولها، فصارت من المستحبات في الإسلام.

زيارة الناحية المقدسة

من النصوص المأثورة في تراث أهل البيت عليهم السلام زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء الموسومة بزيارة الناحية المقدسة، و«الناحية المقدسة» مصطلح أطلقه الشيعة في زمن الغيبة الصغرى على الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه وذلك للتقية الشديدة، فكانوا لا يذكرونه بإسمه وإنما يرمزون له باسم الناحية المقدسة، فحين يُقال زيارة الناحية المقدسة بمعنى إن هذه الزيارة آتية من هذه الجهة[١١]، فسُمّيت بذلك لكونها صدرت عن الإمام الحجة إلى أحد نوابه الأربعة[١٢].

وزيارة الناحية فيها مزيج رائع من المودة الصافية والمعرفة واللوعة الممزوجة بالتوسل والرغبة، التي تبعث في الزائر حالة الانكسار والحُرقة إحساساً بالمسؤولية، وتحرّكه في طريق الالتزام المسؤول[١٣].

وهي قائمة على سرد الأحداث وتجسيد واقعة الطف وتصوير المشاهد الأليمة التي وقعت في يوم عاشوراء، إذ تمكّن منشئ النص من تلخيص كل تفاصيل هذه الواقعة وما انطوت عليه من ويلات وحسرات وآهات بأسلوب أدبي رفيع وتعبير لغوي بليغ وتصوير فني رائع، يمكن أن يلحظه المتلقي بكل وضوح، كما يُعدُّ هذا النص مصدراً مهماً لتوثيق مقتل الإمام الحسين عليه السلام لدى أرباب المقاتل الذين طالما أفادوا منه واقتبسوا كثيراً من مقاطعه وعباراته، ولاسيما تلك المقاطع التي تصور الأحداث بدقة وتفصيل، وتلامس العواطف وتستدر الدموع وتثير الأحزان، من أمثال قوله: ((فلما رأينَ النساء جوادك مخزيّاً، ونظرنَ سرجك عليه ملويّاً، بَرَزْنَ

من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات...))[١٤]. فضلاً عن اقتباسهم خطاب الإمام المهدي عجل الله فرجه لجده وتعبيره عن لوعته وحسرته: ((فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ لك بدل الدموع دماً...))[١٥].

بنية السرد الوصفي في الزيارة

الاستهلال

من الطبيعي أن يُستَهل نص الزيارة بظاهرة السلام التي تُعد ركناً أساسياً فيه، فأول جملة ينطق بها الزائر هي: (السلام عليك...)، والهدف من ذلك بناء علاقة حميمة بين الزائر والمزور، فضلاً عن ذلك فإن هذه العلاقة هي علاقة حيّة، فالزائر حينما يبدأ بالسلام يستشعر حياة الذي يزوره ويتوقع أن يرد سلامه ويرى مكانه[١٦]، يؤيد ذلك ما رواه ابن فهد الحلي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((مَنْ كان له إلى الله تعالى حاجة فليقف عند رأس الحسين عليه السلام ويقول: يا أَبا عَبْدِالله، اَشْهَدُ أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقامي وَتَسْمَعُ كَلامي وَأَنَّكَ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّكَ تُرْزَقُ فَاسْأَلْ رَبَّكَ وَرَبِّي في قَضاءِ حَوائِجي، فأنها تُقضى إن شاء الله تعالى))[١٧].

فافتتح نص الزيارة بالسلام على أنبياء الله تعالى بالترتيب: آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وأيوب ويونس وعزير وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله[١٨]، إشارة إلى أن حرمة الإمام الحسين عليه السلام هي من حرمة الأنبياء عليهم السلام[١٩]، وتلميحاً إلى أنه وارثهم ويمثّل امتداداً لنهجهم ودعوتهم.

ثم يتدرّج النص بالسلام على أمير المؤمنين ثم السيدة الزهراء فالإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، وهنا يطول السلام لأن الإمام الحسين هو المخصوص بهذه الزيارة، فيبدأ النص معدداً مناقبه وصفاته: ((السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته، السلام على من أطاع الله في سره وعلانيته، السلام على من جعل الله الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على مَنْ الأئمة من ذريته...))[٢٠].

فمن أولى مناقب الإمام الحسين هي ما ختم بها حياته الشريفة وهي الشهادة في سبيل الله ودينه الحق، فالفعل «سَمَحَ» بمعنى: ((جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ))[٢١]، و«المُهْجَة» بمعنى: ((دم القلب، ولا بقاء للنَّفْسِ بعدما تُراقُ مُهْجَتُها))[٢٢]، فأبرز ما وُصف به الإمام الحسين عليه السلام أنه سيد الشهداء، لأن فاجعة كربلاء وما تعرّض له في يوم عاشوراء لم يشهد التاريخ مثيلاً له.

معالم واقعة الطف

لقد رسمت زيارة الناحية معالم واقعة الطف الأليمة، وعرّفت مقام الإمام الحسين عليه السلام، كما دعت الزائر إلى تبني موقف واعٍ من قضية التولي والتبري: التولي لإمامه الشهيد في طريق إحياء دين خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وتولي أصحابه وأنصاره الغر الميامين الذين تساقطوا الواحد تلو الآخر في سبيل العقيدة الحقة، والتبري من خط الظلام: خط الانحراف عن مسيرة الرسالة المحمدية البيضاء، الذي جسّده يزيد وأعوانه[٢٣].

وبعدما مهّد النص بالسلام على الأنبياء والأوصياء: انتقل إلى سلام خاص للإمام الحسين عليه السلام مقترن بوصف حاله وما نزل به من مصاب: ((السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء... السلام على شهيد الشهداء السلام على قتيل الأدعياء، السلام على ساكن كربلاء، السلام على من بكته ملائكة السماء...))[٢٤].

ومن بعدها ولج إلى الموضوع المركزي الذي دارت حوله عناصر النص، ألا وهو سرد الواقعة ووصفها، فهو يصور الوقائع عبر أسلوب السلام على أعضاء الجسد الطاهر للإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه: ويذكرها بالتفصيل، وفي كل مقطع من مقاطع النص تنتظم العبارات على نسق إيقاعي واحد من حيث توازن الألفاظ وتناسب الفواصل، مما يعطي النص مزيداً من الجمالية والتأثير في إيصال الرسالة للمتلقي: ((السلام على الجيوب المضرجات، السلام على الشفاه الذابلات، السلام على النفوس المصطلمات، السلام على الأرواح المختلسات، السلام على الأجساد العاريات، السلام على الجسوم الشاحبات، السلام على الدماء السائلات، السلام على الأعضاء المقطعات، السلام على الرؤوس المشالات...))[٢٥].

ويستمر النص بسرد المصائب مع تضمين بعض الحقائق القرآنية والتاريخية وتفاصيلها التي تشكّل محور اللوعة والحزن: ((السلام على الأبدان السليبة، السلام على العترة القريبة، السلام على النازحين عن الأوطان، السلام على المدفونين بلا أكفان، السلام على الرؤوس المفرقة عن الأبدان، السلام على المحتسب الصابر السلام على المظلوم بلا ناصر، السلام على ساكن التربة الزاكية، السلام على صاحب القبة السامية...))[٢٦]. فقد تضمن هذا المقطع الإشارة إلى قرب العترة من رسول الله صلى الله عليه وآله بصريح القرآن: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢٧]، كما تشير عبارة (النازحين عن الأوطان) إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام وخروجه بالنساء والعيال بدءاً من المدينة المنورة وانتهاءً بكربلاء، التي عبّر عنها النص بالتربة الزاكية، فضلاً عن تنبؤه عن مستقبل هذه البقعة المباركة من أرض كربلاء: ((السلام على صاحب القبة السامية))[٢٨]، إذ لم يكن بناء ولا قبة بهذا السمو آنذاك.

ويكرّر الإمام سلامه على أعضاء البدن الطاهر، وذكر بعض الأوصاف التي ترسم معالم سيد الشهداء وحالته من أمثال قوله: ((السلام على من أُريق بالظلم دمه، السلام على المُغَسَّلِ بدم الجراح، السلام على المُجَرَّعِ بكاسات الرماح... السلام على المنحور في الورى... السلام على المقطوع الوتين... السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام على البدن السليب، السلام على الثغر المقروع بالقضيب، السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السباع الضاريات))[٢٩].

وصف حالة الزائر (صاحب النص)

ثم ينتقل إلى وصف نفسه وحالته عليه السلام ومشاعره بوصفه زائراً، فيخاطب جده بقوله: ((... سلامُ مَنْ قلبُه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع الحزين الواله المستكين، سلام مَنْ

لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حدّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء))[٣٠]. وقد تمثّل السرد هنا بصورة فنية تقوم على أسلوب الفرضية، فالإمام يفترض أنه لو كان حاضراً في يوم عاشوراء مع جده لوقاه بنفسه وجاهد بين يديه ونصره وفداه بروحه وجسده وماله وولده... لذلك يُتبع هذه الصورة بقَسَم ومبالغة تعبيراً عن شدة حزنه وألمه: ((فلئن أخَّرَتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندُبَنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ لك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب، وغصة الاكتياب))[٣١].

العودة إلى سرد الوقائع

ويعود النص ليؤكد مرة أخرى ويكرر سرد الوقائع التأريخية الأليمة عبر تسلسل زمني منتظم، وتعبير أدبي وصفي، وبناء إيقاعي مؤثر، وعواطفَ حزنٍ صادقة: ((حتى إذا الجور مدَّ باعه، وأسفر الظلم قناعه ودعا الغيُّ أتباعه، وأنت في حرم جدك قاطن، وللظالمين مباين، جليس البيت والمحراب، معتزل عن اللذات والشهوات، تنكر المنكر بقلبك ولسانك، على حسب طاقتك وإمكانك))[٣٢]، فالإمام الحسين عليه السلام لما رأى استبداد الظلم والباطل والخطر المحدق بالإسلام نهض بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فترك مدينة جدّه التي هي ملاذه الآمن وآثر على نفسه بالخروج مع عياله وأهل بيته لأداء تلك المهمة الصعبة: ((ثم اقتضاك العلم للإنكار، ولزمك أن تجاهد الفجّار، فسرت في أولادك وأهاليك، وشيعتك ومواليك، وصدعت بالحق والبينة، ودعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأمرت بإقامة الحدود، والطاعة للمعبود، ونهيت عن الخبائث والطغيان، وواجهوك بالظلم والعدوان))[٣٣]، فما كان من أهل الفسوق والعصيان إلا أن يواجهوه بالظلم والعدوان على الرغم من أنه لم يبدأهم القتال بل ألقى عليهم الحجج ووعظهم وذكّرهم إلا أن نصحه لم ينفع مع قوم أستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله: ((فجاهدتهم بعد الإيعاز لهم، وتأكيد الحجة عليهم، فنكثوا ذمامك وبيعتك وأسخطوا ربك وجدك، وبدؤوك بالحرب))[٣٤].

وقد تخلّل هذا السرد ذكر بعض مناقب الإمام الحسين عليه السلام وصولاته في الحرب وشجاعته وشدة بأسه: ((فثبتَّ للطعن والضرب، وطحنت جنود الفجار، واقتحمت قسطل الغبار، مجالداً بذي الفقار، كأنك علي المختار. فلما رأوك ثابت الجاش، غير خائف ولا خاشٍ، نصبوا لك غوائل مكرهم وقاتلوك بكيدهم وشرهم))[٣٥].

وهكذا يستمر السرد لوقائع يوم عاشوراء وما ارتكبه معسكر الضلال من جرائم يندى لها جبين الإنسانية: ((وأمر اللعين جنوده، فمنعوك الماء وورودَه، وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكف الاصطلام، ولم يرعوا لك ذماماً، ولا راقبوا فيك أثاماً، في قتلهم أولياءك، ونهبهم رحالك...))[٣٦]،

وهنا بلغ النص ذروته في سرد الأحداث، فوصل إلى ذكر المصيبة ونعي الإمام الحسين عليه السلام الذي جاد بنفسه الزكية: ((فأحدقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح... حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها أو تعلوك الطغاة ببواترها... والشمر جالس على صدرك، ومولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القناة رأسك))[٣٧]، فما أعظمها من مصيبة بكت لها السماوات والأرض وما فيهن.

قصة السبي ومسير الأربعين

ولم يقف النص عند هذا الحد بل يسترسل بذكر المصائب التي أعقبت تلك الفاجعة من سبي وأسر وتعذيب لأهل بيته وعياله: ((وسُبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد، فوق أقتاب المَطِيّات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق يطاف بهم في الأسواق...))[٣٨]، إلى أن انتهت مسيرة السبي وعادوا إلى مدينة جدهم صلى الله عليه وآله: ((فقام ناعيك عند قبر جدّك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول قائلاً يا رسول الله قُتِل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسُبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك))[٣٩].

كما نقل الإمام ما حصل في عالم الغيب على إثر هذا المصاب الجلل لأبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه: ((فانزعج الرسول، وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين تعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلا عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها والجنان وخزانها، والهضاب وأقطارها، والبحار وحيتانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والاحرام))[٤٠]. فمفردات الحسرة والبكاء وندبة الصباح والمساء ستظل أنيسة صاحب الزمان عجل الله فرجه في غيبته إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور والأخذ بثارات جدّه عليه السلام.

الاختتام بالدعاء

ويختتم نص الزيارة بالتوجه إلى الله تعالى والدعاء والتوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وطلب الحاجات الدنيوية والأخروية للزائر: ((اللهم فبحرمة هذا المكان المنيف، صل على محمد وآل محمد، واحشرني في زمرتهم وأدخلني الجنة بشفاعتهم، اللهم إني أتوسل إليك...))[٤١].

خاتمة البحث

لعل أهم ما نتج عن البحث في هذا الموضوع أن (الزيارة) جنس أدبي، لا يختلف عن الأجناس الأدبية الأخرى في الصياغة اللفظية، إذ يحتوي على بنية صوتية وتصويرية وبنائية، إلا أنه يتميّز عنها بالبعد الوجداني الذي يمكن أن يُصنّف ضمن أدب الرثاء، رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، كما يشترك هذا اللون الأدبي مع أدب الدعاء في كون كل منهما يقوم على الحوار الانفرادي، إلا أن الدعاء موجه إلى الله تعالى، والزيارة موجهة إلى المعصوم (المُزار)، وقد اختار البحث أنموذجاً من نصوص زيارة الإمام

الحسين عليه السلام ألا وهي «زيارة الناحية المقدّسة» الواردة عن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فتبيّن البحث أنها قائمة على السرد الوصفي لأحداث النهضة الحسينية وحركتها ابتداءً من المدينة المنورة وانتهاءً بكربلاء وما حصل في يوم عاشوراء وما تبعها من أحداث أليمة من أسرٍ وسبيٍ وتعذيبٍ لآل محمد صلى الله عليه وآله وهو ما يعبّر عنه بمسير الأربعين، اختزلها النص بأسلوب تعبيري أدبي رثائي مفجع، ودوّن فيها أهم الحقائق التاريخية لهذه النهضة المباركة.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الهوامش

(١) مستويات السرد الوصفي القرآني، د. طلال خليفة سلمان: ١٦.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: ٤٣٣.

(٣) ينظر: مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي: ٣/ ٣١٩-٣٢٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٢٠.

(٥) تاريخ الأدب العربي، د. محمود البستاني: ٢٣٩.

(٦) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢٩١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٢.

(٨) تاريخ الأدب العربي: ٢٤٠.

(٩) الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني: ١٦.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

(١١) ينظر: مكتبة زهرائيون، موقع إليكتروني: www.zahraunmak.com

(١٢) ينظر: الصحيفة المهدية، الشيخ إبراهيم الكاشاني: ٣٥٢.

(١٣) ينظر: (مقال): قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net

(١٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٩٨/ ٣٢٢.

(١٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(١٦) ينظر: الناحية المقدسة، الشيخ شفيق جرادي: ١٨.

(١٧) عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي: ٥٦.

(١٨) ينظر: بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٧-٣١٨.

(١٩) ينظر: الناحية المقدسة: ٣٢-٣٣.

(٢٠) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٨.

(٢١) لسان العرب، ابن منظور، (سمح): ٢/ ٤٨٩.

(٢٢) المصدر نفسه، (مهج): ٢/ ٣٧٠.

(٢٣) ينظر: (مقال): قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net

(٢٤) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٨.

(٢٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٦) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٧) الشورى: ٢٣.

(٢٨) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٩) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٣٠) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(٣١) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(٣٢) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٤) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٦) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١-٣٢٢.

(٣٧) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٢.

(٣٩) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

(٤٠) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

(٤١) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٣هـ.

٢. تاريخ الأدب العربي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد- إيران، ط/ ١، (د.ت).

٣. الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت-لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٤م.

٤. الصحيفة المهدية، الشيخ إبراهيم الكاشاني، دار الحوراء، بيروت-لبنان (د.ت).

٥. عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي، مكتبة وجداني، قم-إيران، (د.ت).

٦. قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net.

٧. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د.محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد-إيران، ط/ ١، ١٤١٤هـ.

٨. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط/ ١، ١٤٠٥ هـ.

٩. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، طهران، ط/ ٢، (د.ت).

١٠. مستويات السرد الوصفي القرآني، د. طلال خليفة سلمان، منشورات الرافد، ط/ ١، ٢٠١٢م.

١١. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/ ٢، ١٩٨٤.

١٢. مكتبة زهرائيون، موقع إليكتروني:
www.zahraunmak.com

١٣. الناحية المقدسة، الشيخ شفيق جرادي، دار المعارف الحكمية، ط/ ١، ٢٠٠٨.

النهوض بزيارة الاربعين من خلال المسارح والمعارض والمكتبات

الباحثة	الباحث	الباحث المهندس
م. م. خولة خمري	عبد الكريم جعفر الكشفي	علي إبراهيم الليلو
جامعة محمد الشريف	مدير عام تربية ديالى السابق	مسؤول التعليم الالكتروني/ تربية ديالى
الجزائر	العراق	العراق

الملخص

تُعدُّ زيارة الأربعين من أهم الشعائر الدينية الحسينية المقدسة من حيث آثارها الثقافية وحجمها وتفاصيلها، فهي مناسبة إنسانية يشترك فيها الناس باختلاف دياناتهم وطوائفهم معتبرين أن الحسين عليه السلام رمزاً ثورياً للتحرر من الطغيان، والتسامح والمحبة والتضحية والايمان بالآخر وغيرها، وان زيارة الاربعين هي قاموس ثقافي جامع لكل المفردات التي نحن بحاجة اليها في وقتنا الراهن لننهض بوطنٍ وشعب وأرض اندثرت لولا وجود روح الحسين واهله واصحابه عليهم السلام.

ولا غرابة إن أصبحت هذه الزيارة المليونية نموذجاً حياً للتلاقح الثقافي الفكري والارتقاء الحضاري، وأضحت مثالاً حياً للتعايش السلمي وتطبيقاً ميدانياً للتكافل الاجتماعي ونموذجاً عبر التاريخ، ولا يوجد حدث بعد سقوط صدام عام ٢٠٠٣م يجسد المعاني الانسانية كزيارة الاربعين.

لذلك ينبغي علينا اليوم ونحن نحارب الارهاب الفكري والارهاب الاجرامي الذي يهدد الوجود الانساني في وقتنا المعاصر ان نوظف هذه الزيارة وهذا التقارب الثقافي الانساني الراقي، من خلال المعارض والمسارح والمكتبات في نشر وتجسيد أهداف ثورة الامام الحسين في محاربة التخلف الثقافي ونشر الوعي الرصين، وإشاعة ثقافة التسامح وقبول الآخر، ومحاربة الارهاب بكل انواعه والتكفير بكل صوره.

إن ثمار هذه الزيارة المباركة هي الدواء النافع والبلسم الناجع لشعوبنا الراقدة تحت تأثير الثقافات الخارجية ومن أبرزها ما يُقَدَّم عبر الانترنت من برامج وألعاب تجعل أبناءنا يقضون أوقاتهم فيها بما يسبب لهم الضرر.

هذا ما استحضرناه في هذه الوريقات المتواضعة والتي هي مشاعر تجيش في صدورنا اتجاه هذا الحدث

العالمي، وان قافلة العز والاباء ستسجل المشهد الاخير لأعظم واقعة عرفها التاريخ البشري، وهي تحمل بين أنفاسها جبال الآلام والاحزان التي كتب الله لها الخلود، لتظل حية حاضرة في نفوس الملايين من محبي الامام الحسين عليه السلام عبر التاريخ.

فزيارة الاربعين اصبحت نموذجاً حياً للتلاقح الفكري والارتقاء الحضاري، وأضحت مثالاً حياً للتعايش السلمي وتطبيقاً ميدانياً للتكافل الاجتماعي، ولا يبالغ المتتبع لأحداث تلك الزيارة إذا قطع بانه لا يوجد نموذج عبر التاريخ يجسد المعاني الانسانية كزيارة الاربعين، نقول يجب علينا ان نوظف هذا التقارب الانساني الراقي في هذه الزيارة المباركة لكل ما هو جميل ومبدع وانساني، وان نعكس الصورة المثلى لأهداف واقعة الطف الخالدة من خلال المسرح والمعرض والمكتبة باعتبار هذه الوسائل الثلاث من الامور المهمة في نشر الوعي وبناء ثقافة انسانية خالدة تتماشى واهداف الامام الحسين الخالدة.

The Promotion of Arbaeen through theaters, galleries and libraries

Researcher Lecturer. Khawla Khimri
University of Mohamed El-Sharif / Algeria

Researcher Abdul Karim Jaafar al-Kashfi
Former Director General of the Diyala Education Directorate/ Iraq

Researcher Eng. Ali Ibrahim El-Lailo
E - Learning Officer
The Diyala Education Directorate / Iraq.

Abstract

The visit of forty of the most important religious rituals of the Holy Husseini in terms of cultural effects, size and details, is a humanitarian occasion in which people share their religion and sects, considering that Hussein is a revolutionary symbol of liberation from tyranny, tolerance, love, sacrifice and faith in others and others. Vocabulary that we need in our time to go to the homeland and the people and land had been destroyed had not been the spirit of Hussein and his family and his friends.

It is no surprise that this visit has become a living example of intellectual cultural interchange and cultural development. It has become a living example of peaceful coexistence and a field application of social solidarity and a model throughout history. There is no event after the fall of Saddam in 2003.

Therefore, today we must fight intellectual terrorism and criminal terrorism that threatens human existence in our time. We should use this visit and this high-level human cultural rapprochement through exhibitions, theaters and libraries to spread and realize the objectives of Imam Hussein's revolution in the fight against cultural backwardness, And accepting the other, and fighting terrorism in all its forms and atonement in all its forms.

The fruits of this blessed visit are the beneficial medicine and the effective balm of our dancing people under the influence of foreign cultures, the most important of which is the online programs and games that make our children spend their time causing them harm.

This is what we have brought to light in these humble and sensational forms, which are the feelings of our hearts in the direction of this world event. The convoy of the best of our lives will record the final scene of the greatest event known to human history. It holds the mountains of pain and sorrow that God wrote for eternity, to remain alive in the hearts of millions. Lovers of Imam Hussein through history.

The visit of the 40s has become a living example of intellectual reconciliation and cultural advancement. It has become a living example of peaceful coexistence and a field application of social solidarity, and does not exaggerate the follower of the events of this visit. If we conclude that there is no model throughout history that embodies the human meanings such as the 40th visit, we must employ this noble human rapprochement. This blessed visit to all that is beautiful, creative and human, and reflect the ideal picture of the objectives of the eternal child through the theater, exhibition and library as these three important things in the dissemination of awareness and building a culture of humanity immortal in line with the objectives of the mother M. Al-Hussein immortal.

المحور الأول:

النهوض بزيارة الاربعين من خلال المسارح

كان المسرح في بدايته عند اكثر شعوب العالم فناً من فنون القول، ظهر كنشاطات مارسها الإنسان البدائي وبرزت فيها لمسات جمالية وذوقية، واختلط فيه العمل والتراتيل والإيقاعات المتعددة التي كانت لها حاجة يومية تتعلق بالظواهر شبه الدرامية التي شاعت في أماكن متعددة من العالم، وحينما انتقل هذا الفن إلى فنون الخشبة التي فرضتها فنون الأداء الصوتي والجسدي اخذ يصاغ بمنطق فني يستلهم أساسه من المعاناة والانفعال الحياتي الصادق تبعاً للمناهج والأساليب المتباينة ما بين اتجاه المعايشة واتجاه العرض، وهذه الامور كلها تخضع لمنظومة تعبيرية يؤطرها الجسد والصوت والأفكار والاحاسيس.

وبدأ فن المسرح يحتل موقع الريادة في قيادة المجتمع نحو التعبيرية في البنى الاجتماعية والاقتصادية على اعتباره محاكاة للواقع بكل تفاصيله الداخلية المكونة للحياة، ويعتمد كثيراً على الخبرة، وكما يقول جون ديوى: ((الخبرة مسألة تفاعل بين الكائن الحي وبيئته، والبيئة إنسانية كما هي مادية، بمعنى أنها تشتمل على عناصر التقليد والانظمة الاجتماعية، كما تشتمل على مواد البيئة المحلية))[1]، وهذا ما وجدناه يتجسد في مسرح واهداف واقعة الطف ذات الابعاد الانسانية الخالدة، والمسرح حسب رأينا القاصر هو فن يمكن اعتباره:

١. فن استطاع أن يكون المحصلة الكبرى لكل الأفعال والاحاسيس والآلام والانشطة سواء كانت علمية أو إنسانية.

٢. إن المسرح وان اختلفت وظائفه تبعاً للحاجة في بعض الأحيان، إلا انه يبقى يصب في معين مهم، حيث يجسد الحياة بصورها المختلفة: فرح، حزن، خوف وغيرها.

٣. المسرح يعرض الحياة التي نعيشها بمقوماتها الجمالية والفكرية وبالتالي يصنع الإنسان الواعي، ويخلق له العلاقة والكيفية في التعامل مع هذه المقومات الجمالية والفكرية، وتبعاً لذلك يكون المسرح وسيلة انسانية ثقافية توعوية للإنسان في قيادة مجتمعه وضمير شعبه.

٤. لقد ولد المسرح يوم ولد المجتمع، وهو في كينونته الأساسية ظاهرة شعبية انسانية تجسد حياة الانسان ونشاطه، والبحث والمزاوجة بين النظرية الفكرية والممارسة العملية حتى يكوّن شكلاً منسجماً مع المضمون ويعطي صورة انسانية خلاقة مقاربة للواقع المعاش.

٥. المسرح يزود المتلقي بالمعلومات المتنوعة عن الواقع الاجتماعي والتاريخي والثقافي والانساني، فهو يمثل طريقة متوازية للمعرفة، متميزة عن سائر الطرائق التي بواسطتها يتوصل الإنسان إلى فهم بيئته، عندها فقط يتاح لنا تقدير أهميته في تاريخ الجنس البشري[2]، الأمر الذي يساعد على تنوير حياته وتغييرها نحو الاحسن وفق واقع جديد وهذا هو الذي نتوخاه من المسرح الحسيني الواعد.

٦. المسرح هو علم الوجدان وتأريخ الإحساس البشري، فهو يرصد جوهر معاناة وقيم ومبادئ الإنسان واحاسيسه ليترجمه إلى حركة ولفظ

وإشارات، وبهذا يكون المتلقي فاعلاً ومنفعلاً معه وفيه، ومن هنا يمكن للمسرح أن يرصد الواقع الانساني ويعيد صياغته نحو الاحسن وفق التساؤلات التي تنشط عقله عندما يلمس التناقضات والغرابة في واقعه، وبذلك يكون هذا الفن مدخلاً أساسياً للتثقيف وشحذ الوعي عند المتلقي وايصاله للحقيقة.

٧. ان المسرح هو الفن الذي تلتقي عنده جميع الفنون وتستضيء فيه الحياة الإنسانية بالنور الروحي، فهو عمل مشترك بين المبدعين رغم اختلاف تجاربهم واهتماماتهم، يعتمد المؤثرات الصوتية والضوئية أو غير ذلك من العناصر التي تؤلف في مجموعها العرض المسرحي، فكل هذه الجوانب عناصر هامة متداخلة ومتفاعلة ويتألف منها فن المسرح، ولا نغفل الجمهور العنصر الهام الذي يتجه إليه برسالته الانسانية.

إن فن المسرح مرتبط بخاصية المحاكاة عند الإنسان وهذا ما موجود عند كل شعوب المعمورة، فهو نتاج للاحداث الواقعية والانسانية والموضوعية التي وقعت بين الناس والتي لها تأثيرها الفاعل والمباشر على حياته وعلى المتلقي لإدامة الصلة الحيوية بين الواقع المليء بالمتناقضات والمسرح الذي يعبر من خلال أدواته عن الدراما الإنسانية بكل ما فيها من مشاكل وأزمات حياتية وبصرف النظر عن اختلاف الزمان والمكان. وتأتي أهمية المسرح من كونه ثقافة لها القدرة على استقراء الواقع والمساهمة في تغييره، كما انه وسيلة للتواصل بين العناصر الحيوية للناس من خلال مبدأ المشاركة بين خشبة المسرح والقاعة وإيجاد جمهور فاعل ومنفعل لا يكتفي بالتسلية فقط، فضلاً عن ان المسرح هو أبداع يخرج الفرد من فرديته ويدخله في إطار الجماعة، ويخرجه من الظلمات الى نور الوعي، فكم له القدرة في الرسم التقريبي للزمن الآتي والفعل المستقبلي، وايجاد حلول لمعاناة الناس وبيان اهدافهم المرسومة، فالمجتمع يحتاج إلى الفنان، هذا العرّاف الأكبر، ومن حقه أن يطالبه بأن يكون واعياً مثقفاً. لا نستطيع أن ننكر أهمية وجود الفن في صميم الحياة الاجتماعي، لأن المجتمع نفسه قد اعتبر الفن وظيفة اجتماعية في كل زمان[٣].

إن فن المسرح هو القدرة على تغيير السلوك الجمعي لفترات انتقالية متعددة في بنية المجتمع وصولاً إلى الإنسان المعاصر المليء بالمعرفة، وخلال الحركات التعبيرية على المسرح، فضلاً عن ان المسرح مرتبط اساساً بعملية تغيير الواقع وتنويره من خلال استخدام الطرق العلمية التي تعكس المعاناة التي تهم الشعوب وصولاً إلى الغاية أو هدف معين، ولهذا يساهم في تنوير وتثقيف المجتمع، لأنه يعكس حلول مقومات حضارية مادية كانت أم معنوية عبر مسيرة البشر التكوينية، كما أنه وسيلة توعوية لكل البشر من أجل إغناء الحياة وتنويرها والمحافظة على النوع البشري للارتقاء به نحو القيم الانسانية وتخفيف كاهل المعيشة عنه، وهذا يشمل قمة ما يقوم به الإنسان. والإرادة اللازمة لإتمام الاندماج بين الفرد والمجموع هو الفن الذي يمثل قدرة الإنسان غير المحدودة على الارتقاء بالآخرين وعلى تبادل الرأي والتجربة معهم[٤].

ان المسرح وتحديداً المسرح الحسيني الذي نتطلع

له يستطيع أن يرفع الإنسان من التمزق والتشتت إلى الوحدة والتكامل والتسامح والايمان بالآخر، والتعريف بضرر الافكار المنحرفة، والتيارات التكفيرية الاجرامية وفضح ممارساتها، وتعريف الناس بالبدائل المهمة لكل التيارات الانحرافية، فضلاً عن ان المسرح الجاد يمكّن الإنسان من فهم الواقع، وهو لا يساعده على تحمله فحسب، بل يزيد من تصميمه على جعل هذا الواقع أكثر إنسانية وأكثر جدارة بالإنسان. ويمكننا أن نذكر وظيفة المسرح بغية التوصل إلى فهم جوهري له، ومن جانب صلته بالحياة الحضارية للمجتمع من جانب آخر، حيث يقول جون الفلاسفة ((ليس في وسعنا أن نفصل المسرح عن الحياة الحضارية لكل مجتمع مادامت الحضارة بمعناها الواسع هي مصدر شتى أنواع الفنون بما فيها التمثيل والغناء والموسيقى وغيرها، فالمسرح الجاد هو الأعمال المملة، وينبغي أن تحول دون ذلك تربية الجماهير من ناحية الوعي الاجتماعي، لان الفنان المسرحي يحاول فهم ماهية حياتنا البشرية نفسها، وإدراكنا لوجودنا البشري وتقديرنا لموقع مجتمعنا الاسلامي الإنساني في الكون وموقعنا وموقع ثورة الامام الحسين عليه السلام في المجتمع، وعلاقتها بالجماهير السائرة نحو قبة الفداء والتضحية، قبة سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وان عملية الإدراك هذه بعيدة عن التسلية وذلك لأن المسرح في صوره العليا لا يمكن تحديد وظيفته في أي من هاتين اللفظتين المتعة أو الفائدة بالمعنى المتداول لهذين التعبيرين، فإن المشاعر التي يثيرها المسرح والتجارب التي ينقلها أكبر عمقاً وتعقيداً وسعةً وشمولاً واستيفاءً وكمالاً[٥].

من خلال ما شهدناه في زيارة الاربعين من مسرحيات جسَّدت ملحمة الطف الخالدة التي هي وجه آخر للمسرح الحسيني، تبين لنا أن المسرح الحسيني مسرح رسالي، وعلى الكاتب المسرحي قبل كل شيء أن يكون مؤمناً إيماناً حقيقياً بمبادئ المدرسة الحسينية، وان يكون سعيه صادقاً من أجل تقديم هذا النموذج الى العالم بشكل جاد.

بعد سقوط نظام صدام الديكتاتوري الظالم في العراق عام ٢٠٠٣م أُنجزت مسرحيات حسينية كثيرة في طريق زوار الامام الحسين عليه السلام، نُفّذَ بعضها بشكل شخصي، والبعض الاخر نفذتها وحدة المسرح الحسيني التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، وقُدّمَ بعضها عن طريق طلبة كليات ومعاهد الفنون الجميلة بشكل تطوعي، ولا يخفى على احد ما للمسرح من دور كبير في عملية التثقيف لأنه خطاب بَصَري له الدور الكبير في خلق وتطوير الذائقة الفنية للمتلقي العراقي[٦].

اننا نعتقد بضرورة استعمال الوثيقة التاريخية واتخاذها اساساً جوهرياً في المسرح الحسيني، ولكن بشرط توفر عنصر الحداثة والحيوية وتوفر اسلوب الخلق والتخليق والابتكار في الكتابة، لأننا نعتقد ان الكاتب المسرحي الحسيني عليه ان لا يكون مجرد مؤرخ ينقل الاحداث كما هي، أو أن يكون خطيباً منبرياً ينقل الجانب المأساوي من الملحمة فقط، فلابد للمسرح الحسيني ان يقدم الرؤى الابداعية بأسلوب حضاري يبتعد عن الاسلوب الطائفي لان نهضة الامام الحسين وجدت للدفاع عن المحرومين والمضطهدين في كل انحاء العالم، وفي كل زمان ومكان. لذلك نحن نسعى في هذا الزمن الجديد، زمن الحرية والديمقراطية، ان نقدم نموذجنا

المسرحي الحسيني الحضاري الى كل شعوب العالم، ومن هنا تكمن أهمية الاعتماد على الوثيقة التاريخية الحقيقية بعيداً عن التحيز والطائفية لأن الحدث المسرحي يجب ان لا يتجاوز دوماً حدود الكتابة الدرامية، ذلك إن تمثيل الأدوار الاجتماعية الحقيقية أو الخيالية يثير رفضاً أو قبولاً أو مشاركة لا يمكن أن يثيرها أي فن آخر حتى السينما التي لا تقدم على المسرح ذلك الوجود الحي للممثلين[٧].

ومن هنا تأتي اهمية توفر النص على الاخلاص والابداع والابتكار والمعاصرة في الطرح مع توفر الجانب الفني من خلال كادر العمل ورؤية المخرج الابداعية التي باستطاعتها إثراء النصّ وتقديمه الى المشاهد بأسلوب يتوفر على الإمتاع والإدهاش والحيوية، وعلى هذا المسرح ضرورة إيصال النموذج الحضاري الخلاق الى الملتقى في أي زمان ومكان، ذلك النموذج الذي يليق بعطاء وجهاد وتضحية الامام الحسين عليه السلام.

واذا كانت القضية الحسينية هي القضية المركزية، وهي النموذج المتقدم فيها، فلا مانع ان يقتصر على تفاصيل ملحمة الطف فقط.

ان المسرح هو أكثر الفنون التصاقاً بالروابط الحية للتجربة الجماعية، وهو لا ينفصم عن نسيج الحياة الاجتماعية، لذا فإن صورة الإبداع ومشاركة الناس وصيغ التمثيل أمر مهم[٨].

ان قسماً كبيراً من شعبنا العراقي لا يعرف الكثير من القضايا الجوهرية من المدرسة الحسينية المحمدية ومنظومتها الفكرية، لذلك ترى البعض متمسكاً بالقشور وتاركاً الجوهر، وهذا ما يفرح الأعداء المتربصين بنا الدوائر ويحسبون علينا أخطاءنا ويقدمونها الى العالم بشكل مشوه ومنحرف ومبالغ به من خلال قنواتهم الفضائية المشبوهة المعادية لمنهج آل البيت الأطهار، ففكر الانسان المسلم وعقيدته هي النافذة التي يطل منها على العالم، وهي التي تحدد له اسلوب تعامله في المحيط المادي والاجتماعي[٩].

ان واقعة الطف وملحمتها الحسينية المحمدية الخالدة هي مبادئ عتيدة تصلح لكل زمان ومكان، وان الصراع بين قوى الحق والباطل، والخير والشر ما زال قائماً، وان على المسرح الحسيني ان يتواصل ويستمر في عطائه لتقديم النماذج المعاصرة المنطلقة من مبادئ المدرسة الحسينية من خلال الافلام والمسرحيات والالقاءات الشعرية الهادفة، لأن الإلقاء وسيلة من الوسائل الاكثر اهمية والتي تنقل مكنونات الناس[١٠]. ومن خلال الالقاء الشعري يمكن ان نبين مظلومية الامام الحسين عليه السلام ونبل أهدافه، فالاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وإن المسرح الحسيني هو مسرح الحياة وما بعد الحياة أيضاً لأنه خير مجسد لمبادئ الاسلام الاصيلة التي تسعى لأن يحصل الانسان على كرامته ويشعر بآدميته في الحياة الدنيا، ويسعى كذلك الى الوصول الى السعادة الابدية في الحياة الاخرى، ورحم الله من قال: ((اعطوني مسرحاً اعطكم شعباً مثقفاً)).

ان الثقافة وتحصيل العلم بات امراً ضرورياً في عصرنا الحالي لأن العالم من حولنا يتطور كل يوم، بل في كل ساعة تطوراً مذهلاً مما يجعل الجاهل يجد نفسه كالمرمى في بئر لا يستطيع النهوض والصعود

الى الأعلى، فالجاهل لا يكاد يفهم اللغة التي يتحاور بها أقرانه، ولا يستطيع معرفة الآليات والأدوات المستعملة في عصره فهو يعيش مغبوناً قليل الحظ تعيساً، لذلك نرى الأديان السماوية كافة تحث على التعلم وطلب العلم، كقوله عزَّ من قائل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[١١].

المحور الثاني:

النهوض بزيارة الاربعين من خلال المعارض

تعتبر المعارض الفنية بمختلف أنواعها مؤسسة تعليمية تكلم جماهير الناس بلغة يفهمونها جميعاً، ومعروضاتها هي أساس كيانها، وهي التي تؤثر على كل الحواس ولها قدرة هائلة على إيقاظ المشاعر، فهي مصدر إلهام وإيقاظ الفكر والوجدان البشري، وهي تُساعد الفرد على تثقيف نفسه، ويجد مكانه في المجتمع الإنساني نتيجة لارتباطها الفكري بثقافة الحاضر بالحاضر والمستقبل، وبذلك تصبح المعارض المؤسسة الثقافية المؤثرة التي لها وزنها الثقيل كما انها تعد عامل تطور هام في خدمة الإنسان في الحاضر والمستقبل.

كما إن معارض الكتب والصور والخط وقاعات العرض للفنون التشكيلية تعتبر المكان الذي يعرض فيه الفنان مجموعة من أعماله الفنية، حيث يرتبها ترتيباً معيناً ليُظهر من خلال ذلك الترتيب فكرة معينة ينقلها للآخرين. والمعرض لا يقدم للناس عناصر الحياة المرئية متباعدة في الزمان والمكان، وإنما يجمع بين شتاتها ويؤلف بينها في كل واحدة ويبرز فكرة واحدة تصل إلى المشاهد في أقصر وقت وخير أداء وأبلغ تعبير، ويختار منها الدال على الفكرة ويبرزها ويسلط الضوء عليها. والمعارض تعبر عن الحاجات الأساسية للجماهير، ويجب أن لا يكتفي المعرض بعرض الاحداث الفردية، بل يتخطى ذلك إلى تحليل انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية وتقرير كافة الوقائع التاريخية المتعلقة بالمجتمع[١٢].

ان المعارض الفنية في عصرنا الحاضر تؤدي رسالة حضارية ووظائف عديدة تربوية وثقافية وعلمية واجتماعية واقتصادية وغيرها، وهي تعمل على تنشيط الحركة الثقافية والفنية والعلمية وخلق النهضات الاجتماعية والشعبية، فكبار الفنانين والباحثين والكتاب والخطاطين والرسامين حققوا مجدهم العلمي والفني بفضل مشاركاتهم وترددهم على المعارض واطلاعهم على نتاجات الآخرين، مما ساعدهم على اكتشاف نواة أساسية لأفكارهم وأسلوبهم الفني والادبي والثقافي، هذا الامر يسهل ظهور أفكار جديدة لديهم، مما يسهم في تنشيط الحركة الثقافية الفنية والنهضة العلمية في المجتمع والتي نحن بأمَّس الحاجة لها.

ولا يخفى على لبيب أن المعارض بأنواعها المختلفة تهتم بحسن عرض أعمالها ومجموعاتها بأحدث الأساليب الفنية والطرق العلمية، متأثرة بما قدمه العلم وما ابتكرته الصناعة من مواد جديدة ومفيدة في رفع المستوى الثقافي والفني لعرض المعروضات المختلفة أو الأعمال الفنية، مما يجعل هذه المعروضات تلفت الأنظار وتجذب الانتباه، وتوحي للزائرين بالاقتباس من الخبرات الثقافية، ومن طرق العرض

المتبعة بالمعرض والاستفادة منها في تنمية ثقافتهم العامة والاجتماعية، وحتى في تجميل بيوتهم مثلاً، مما يسهم في تنمية الذوق الفني والحس الجمالي لديهم، وتساعد جدياً في تحقيق وتعميم الثقافة ونشر المعرفة وتنمية الكفاءة الفنية والخبرة العلمية، وتزيد من معلومات الزائرين وتوسع من آفاق اطلاعهم، وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة للمعرفة، وذلك بأسهل وأقصر الطرق، والمعرض لا يهدف فقط الى تقديم متعه تجربة جمالية لجمهوره، بل يدفعه لان يتخذ موقفاً عملياً من القضايا التي تهمه وتهم بلاده، وكل الوسائل التي تؤدي لهذه الغاية وسائل مشروعة[١٣].

وتعد المعارض بأنواعها المختلفة من أهم الوسائل المفيدة في الثقافة العامة والمجتمعية وتنمية طاقات الإنسان وحرية تفكيره وعمق تأمله ودقة ملاحظته، مما يساعده في اكتشاف نظريات وآراء وقيم جمالية ومفاهيم فكرية وغايات نفعية وأهمية حضارية تخدم المجتمع وتخدم الزائرين. وقد اعتاد الفنانون والكتاب والخطاطون والرسامون الآباء الواعون لمسؤولياتهم التربوية إن يشجعوا أبناءهم على المشاركة وحضور المعارض لكي تتاح لهم فرصة التأمل بعمق، والتفكير بحرية والاستنتاج برغبة ودقة، كذلك الاستفادة ثقافياً من هذه المعارض، والقيام بكل ما من شأنه أن يساعدهم على حسن تكوين شخصياتهم وتنمية طاقاتهم وإثارة انتباههم وتهذيب ذوقهم الاخلاقي والاجتماعي والفني لأن هذه المعارض تسهم بدور كبير في نشر التوعية الثقافية بين أفراد المجتمع حيث تنمي معلومات الزائر وتزيد سعتها نحو موضوع معين، كذلك تثير انتباهه وتصحح وجهة نظره نحو هذا الموضوع كالتوعية مثلاً بأهداف ثورة الحسين عليه السلام وبأصحابه وتاريخ كربلاء، واهمية وقيمة الشهادة في سبيل الاسلام والوطن، وفضح ممارسات الارهاب والاهابين، واهداف وقيمة المسير لأبي الشهداء الامام الحسين، وتبين اهداف وقيم زيارة الاربعين، هذا من جانب، أما من الجوانب الاجتماعية فهي مثلاً تبين أضرار التدخين أو المخدرات وشرب المسكرات ومخاطرها على الفرد والمجتمع، وتبين اهمية النظافة والصحة العامة، وآداب الطريق والعشرة واهمية التسامح والايمان بالآخر، واحترام الصغير والعطف على الكبير، واهمية الصداقة وحسن الجوار وغيرها، وبالتالي تكون المعارض قادرة على تحقيق وإيجاد علاقة بين المدركات البشرية والاجتماعية والذوية والبصرية والجمالية والمعرفية، كما انها تعتبر كدراسة لمعرفة الفن والذوق والفكر، وتعرّف الزائر السائر بمعارف واسعة لحضارات ونتاجات الشعوب المختلفة وفي ميادين عديدة مما يخلق تعاوناً ثقافياً واجتماعياً يعزز الصلة بين الباحثين والفنانين من جنسيات مختلفة الذين لديهم هدف نبيل هو الاسلام وحب الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وتجديد البيعة لسبط الرسول صلى الله عليه وآله، والكشف عن مكنونات وأفكار المساهمين بهذه المعارض ومعرفة أهمية هذه النتاجات في المجالات المختلفة، كما تساعد هذه المعارض في صياغة الأفكار وتكييف السلوك والاطلاع على مفاهيم من فلسفة الحياة. ويشعر الزائر المتلقي للمعارض بإغناء معلوماته وتطور تفكيره بعد اطلاعه على إبداعات المساهمين.

على المعرض أو المعارض أن تقدم للجماهير الزوار

عروضاً تحررهم علمياً وثقافياً، بما يتوازى مع قيام المؤسسة السياسية بالإعداد للتحرير الاجتماعي[١٤].

بعد أن منّ الله علينا بسقوط صدام عام ٢٠٠٣م، يتوجب علينا ان نكون من أوائل المساهمين بهذه التظاهرة المليونية، وكنا نتمنى ان نرى الكثير من محبي الامام الحسين ومحبي الثقافة وعشاق القراءة كل عام يعيرون اهتماماً إضافياً لتلك الظاهرة. ان تنظيم معارض للكتاب والخط والنحت والسيراميك والرسم وغيرها تجسّد وتعرّف جماهير (المشاية) وعشاق الإمام وأهل بيته بأهداف ومبادئ ثورة الامام الحسين، والهدف من المسير والهدف من المشاركة التي جذبت آلاف الزائرين من جنسيات مختلقة ومشارب متعددة وديانات كثيرة، وهذا الامر -حسب رأينا القاصر- يعتبر من أهم الموضوعات التي تجسد وتوثق هذه الزيارة المليونية التي يقف العالم باجلال لها لأن هذه المعارض تعتبر فرصة حقيقية لتلاقي الأفكار وتبادلها، ويحفل العالم العربي بكثير من المعارض التي يشارك فيها أهم الكتاب والفنانين والمثقفين المسلمين وغير المسلمين، بالإضافة إلى أهم دور النشر ومؤسسات الإنتاج الثقافي، وان هذه المعارض اضافة الى هدفها الثقافي والانساني ولّدت رؤيتين: الأولى اقتصادية وتقوم على تضييق المساحة الجغرافية أمام المثقف وطالب الكتاب والفنون الاخرى والباحث عن الجديد في عالم الثقافة، وبالتالي إتاحة الفرصة أمام الناشر والفنان والكاتب لعرض جديده أمام أكبر شريحة ممكنة من الناس في أشرف بقعة عرفها التاريخ ألا وهي كربلاء الحسين، كربلاء الشهادة، كربلاء التضحية والاباء، والثانية ثقافية تعرّف الزائر الماشي بأهمية هذه المعارض واهدافها، وتخلق جواً من التفاعل الفكري بين مشاية الامام الحسين أولاً وبين اصحاب هذه المعارض، ويشكل المعرض منبراً مفتوحاً على كل الثقافات، فتظهر الإبداعات الأدبية بكل مجالاتها الشعرية والروائية والنقدية والفكرية والسياسية والعلمية، فيقدم نتاجات النخب المخضرمة للأجيال الصاعدة في هذه المجالات. ان النتاج المعرضي يجب ان يستقطب الجماهير، وبدون مشاركتها يفقد المعرض معناه ويصبح شكلاً من أشكال الترف[١٥].

وبهذا المعنى نجد أن ممارسة الأعمال الفنية المختلفة من خلال المعارض ليست غاية في حد ذاتها، إنما هي وسيلة تعريفية لكسب الزوار عن طريق بعض القيم المعينة التي تنشرها هذه المعارض، وهذا هو المقصود بالتربية الثقافية والاجتماعية عن طريق المعارض، أي تعريف الزوار ببعض المهارات والعادات وتزويدهم ببعض المعلومات والمفاهيم وإكسابهم بعض الاتجاهات والميول عن طريق مشاهدتهم لبعض الأعمال الفنية والاستمتاع بها، لأن هذه المعارض الفنية تلعب دوراً فعالاً في تنشيط الإنتاج ودفع عجلة التقدم بما تحويه من أفكار مستحدثة وملامح متعددة ومسيرات خارقة يقف عندها المعلم والمتعلم بخبراتهما يمعنان النظر فيها والتفكير في المضي بها إلى ما هو أقوم وأرفع، ويتذوقون ما فيها من قيم فنية مختلفة، ويتعرفون على وسائل التعبير. إن أمام المعرض والمسرح مهمة كبرى، واننا ننتظر ان يسهم الدين في خلق نشاط تمثيلي، سوى ما شاع في عصر متأخر عن ظهور تمثيل مقتل الامام الحسين[١٦]،

والجديد من الأساليب والمبتكرات وطرق التنفيذ ومعالجة الخامات وتطويعها للعمل المنتج.

ولا بد لنا أن نمر على أنواع المعارض وهي:

١. المعارض الموجّهة أو الهادفة: وهذه هي التي نسعى لإيجادها في مسيرة الاربعينية الخالدة، إذ يشعر السائر بأهداف ومبادئ ثورة الامام الحسين ويتعلم مبادئ الثورة وأهمية الشهادة في سبيل المبادئ الحقة، وبيان مظلومية الامام الحسين وأهل بيته، وتجديد الولاء لهذه الثورة وهذه المبادئ الانسانية التي جاء بها الامام الحسين وضحى من أجلها.

قد يكون العمل الفني معرضاً للصور والخط ولنماذج مصنوعة من الفخار أو لوحات زخرفية للاستفادة منها أو أنسجة السجاد أو تزيينات جدارية توضح ملحمة الطف الخالدة، وربما لمناظر طبيعية تحمل روعة الطبيعة الأخاذة لعراقنا الأبي او لجوانب مدينة الحسين كربلاء الشهادة والتضحية لتنمية الحس الجمالي أو لأخذ فكرة عن هذه المدن والحوادث التي مرت بها، وقد يهدف المعرض الى تأكيد واكتشاف الاهمية الكبيرة للخامات البيئية والمحلية والمجالات التي يمكن استخدامها في الاغراض الفنية، وكل ذلك يجعل الفرص للتعريف اكثر والعمل بتلقائية ومبدئية، حيث ان نشر المعرفة وخاصة فكر الامام الحسين واجب وطني وانساني ومعرفي، وان ديننا الاسلامي القيّم يطالبنا أن نلبي احتياجاتنا واحتياجات امتنا في حقول المعرفة[١٧].

٢. معرض المناسبات أو الموضوع: وهذا هو مبتغانا في هذا المجال، لأن المعرض سيكون خلال زيارة الاربعين وخاصاً بملحمة الطف الخالدة، على أن يكون المعروض موحداً من حيث الموضوع يحمل فكرة واحدة فيكون الموضوع قد عالج أحداثاً مختلفة في أغلبها انسانية من زاوية خاصة حسب الامكانيات الفكرية والمهارات الفنية للمشتركين، وتثير هذه المعارض روح المنافسة نحو الافضل والابداع، ولا بأس ان يشترك جمع من المثقفين والفنانين في إنتاج فني يوحد الموضوع والفكرة. وهذه المعارض محببة للزائرين كونها تثير روح المنافسة، فضلاً عن ان لها أثراً نفسياً في توجيه الانتباه ولفت الانظار نحو فكرة محددة هي فكرة الموضوع، لهذا يجب ربط الموضوع بالمناسبة الزمنية، فيقام المعرض في الوقت نفسه الذي ينسجم مع المناسبة.

٣. المعرض العام: يقام هذا المعرض في الساحات العامة أو قاعة الدرس أو قاعة المرسم، ودراسة الجدران والفراغات المناسبة كوحدة ضرورية واساسية، ويراعى تناسق اشياء القاعة من أثاث وسبورة، ويستطيع القائم بالعمل إقامة المعرض في ركن معين من الساحة أو الصف أو على جدار معيَّن، والافضل وضع المعروضات على حوامل خاصة من الخشب، وتتبدل هذه المعروضات كلما تناول المشترك موضوعاً جديداً، ولا تترك المعروضات التي تنتمي لمناسبات قديمة زمناً طويلاً. ويجب ان نلاحظ ان تكثيف المعروضات يشتت الانتباه ويؤثر سلباً على التلاميذ أو المتلقين، فيجب مراعاة الانتقاء بعناية.

٤. المعرض السنوي: وهو المعرض الذي يمثل حصيلة العام الدراسي في المدارس والجامعات،

فيعرض فيه انتاج التلاميذ من الصفوف كافة ليكوّن فكرة صادقة عن نشاط الجامعة او المدرسة، وهذا المعرض ضروري وأساسي يجمع كل انتاج الطلاب خلال عام دراسي من نحت ورسم وأعمال يدوية وخط وزخرفة وفخار وغيرها، ويدعى لهذا المعرض المسؤولون وأولياء امور الطلبة، لذا فهو يثير ويبعث الحيوية والنشاط الثقافي، ويوطد الصلة بين المدرسة والبيئة.

ويجب أن تقام المعارض الخاصة بالأربعينية وفق أُسس وضوابط مدروسة واهداف معينة من اهمها:

١. ان يكون للمعرض هدف وفكرة تجسد ملحمة الطف الخالدة، حتى لا يكون مجرد عرض لبعض الاعمال والاتجاهات العشوائية.
٢. ان تكون هذه المعارض صورة صادقة لأعمال المشتركين واهدافهم ومستوياتهم الخاصة الصادرة عنهم.
٣. ان تعرض هذه المعارض اكثر من اتجاه واكثر من اسلوب وأكثر من هدف انساني، مما قد يضفي عليه الشمولية والتكامل على هذه الملحمة الخالدة.
٤. ان تكون هذه المعارض ذات اتجاه تثقيفي تعليمي انساني يتيح للزائر التعرف على الاهداف النبيلة للمناسبة، وعلى تطوير الخبرات والمهارات والاساليب المعروضة بالمعارض.
٥. ان تشتمل المعروضات على المعلومات الضرورية للعمل نفسه ومنتجه وموضوعه ووسيلة الأداء.
٦. ان يوظف الديكور بألوانه واشكاله وعوامل الاضاءة لخدمة العمل الفني وإبرازه.
٧. ان تكون المعارض في محتواها العام واسلوبها التنظيمية ذات طابع جمالي.
٨. ان تؤدي هذه المعارض الى زيادة الخبرة في معالجة السلوكيات العامة والكشف عنها وفهم طبيعتها وأسرارها وايجاد الحلول الناجعة لها، كي تتيح المشاركة والمشاهدة الواسعة للزوار لمداومة الحضور والمشاهدة والتمرس، وتولد عند الناس الاحساس بالمعاناة. يقول برناردشو: ان احساس الامة بالمعاناة هو من أهم الاحاسيس التي هي مشاعر وطنية غير مشوبة بالخجل[١٨].
٩. ضرورة ان تسهم المعارض في الكشف عن المشتركين الموهوبين، فيمكن تنميتهم ورعايتهم والأخذ بيدهم نحو النمو والتفوق.
١٠. تزيد من تبصير الزوار خلال مشاهداتهم، اذ بإمكان الربط بهذه المناسبة وبين سائر النشاطات في المواد الأخرى بتأصيل وحدة العمل وتكاملها فكرياً وفنياً وتطبيقياً.
١١. يمكن ان تزيد هذه المعارض من اهمية اهتمام الزوار بالبيئة وثمرات التراث الحافل بتقاليدنا وقوميتنا وعاداتنا الاسلامية العربية الأصيلة.
١٢. ان هذه المعارض هي وسيلة للتنافس المشروع والتسابق المجدي ووسيلة عملية لحل المشاكل المهمة.
١٣. تؤدي هذه المعارض دوراً هاماً في ثقافة الزائر والمشاهد، وتسهم في تطوير ونمو الجانب المهني للزائر والمشاهد والمشترك وتشجيعه على البحث والتقصي وتكوين اتجاهات حية نامية.

ان من خلال هذه الزيارة المليونية يجب ان نجسد

واقعة الطف بمثابة معادل موضوعي لعصر جديد يبحث ابناؤه عن بطل اسطوري وجذوة ثورية تحرك الساكن والراكد في مجتمعاتهم[١٩].

المحور الثالث:

النهوض بزيارة الأربعين من خلال المكتبات

عندما وعى الإنسان القديم وجوده وحياته أراد أن يعبّر عن دوافعه ورغباته الفطرية المتعددة لاسيما غريزة البقاء معتمداً في ذلك بداية الأمر على الإشارات والحركات التي رافقت الإنسان البدائي حتى الوصول إلى اللغة التي كانت مكتوبة تارة ومقروءة ثانية أو عن طريق الإشارة أو الأيقونة تارة أخرى والتي من خلالها فتحت الأبواب أمام الإنسان للتعبير عن انفعالاته ومشاعره وكل ما يجول في خاطره ويحدد علاقاته ومواقفه مع الآخرين، وبيئته ذات الغايات الدينية الاجتماعية والتي هي من المجالات الفنية المختلفة ومن ضمنها المعارض والمكتبات والمسرحيات او اللفظ التعبيري، والتعبير هو فن الاتصال سواء كان هذا الاتصال عن طريق اللغة أو الإيماءة او الصور أو الإشارة أو الحركة أو اللون أو الشكل وكلها تتبع كيفية إيصالها إلى المتلقي[٢٠].

عرف العراق القديم الذي كان يطلق عليه بلاد الرافدين ومهد الحضارات الإنسانية الأولى، التي أسهمت بفاعلية في نهوض الحضارات الإنسانية، على يد السومريين، عرف انواع الفنون، وكان للإنتاج الفكري الغزير في بلاد الرافدين الأثر المباشر في إنشاء العديد من المكتبات التي تجمع وتنظم وتيسر الإفادة من هذا الإنتاج، ووصل إلينا عدد كبير من مكتبات الحقب القديمة التي تحوي آلاف الرُقُم الطينية، منها مكتبة آشور بانيبال الموجودة محتوياتها من الألواح الطينية كاملة حتى الآن، وهي أولى المكتبات التي كانت في سومر، كما تم العثور على مئات من الرُقُم الطينية التي نقشت عليها الكتابة التصويرية، وهي الأقدم التي طورها السومريون في مدينة أوروك، وتعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وفيها نصوص تضمنت الأدب، والقوانين، والميثولوجيا، والفلك، والبيطرة، والتاريخ، وسادت الثقافة السومرية في بلاد الرافدين فترة طويلة تزيد على ١٥٠٠ سنة، تمكن خلالها الكتاب السومريون من تدوين عدد كبير من النصوص في موضوعات مختلفة، وفي نسخ متعددة، كبعض الحكايات الشائعة كما هو الأمر مع البطل جلجامش، التي حفظت في نسخ كثيرة وروايات متعددة، اما الحضارة الإسلامية فقد عنيت عناية فائقة بتصنيف وتأليف الكتب في مختلف العلوم والفنون، وواكب ذلك ظهور وانتشار ما يصعب حصره من المكتبات والخزائن العامة والخاصة، غير أن تظافر عدد من العوامل أدّى إلى اندثار كثير من تلك المكتبات والخزائن، مما نتج عنه فقدان ملايين الكتب والتصانيف التي لا نعرف اليوم إلا عناوين بعضها[٢١].

تلعب المكتبات العامة بمختلف انواعها دوراً كبيراً في نشر ثقافة القراءة، والمعرفة، وإحياء العقول، وبالرغم من وجود وسائل التكنولوجيا الحديثة التي سهَّلت عملية الحصول على الكتب، إلا أن بعض المكتبات لا تزال تحتفظ بروادها وزوارها، وتؤدي

دورها كمزود رئيس للكتب والمراجع المختلفة، كما أن المكتبات لم تعد للقراءة فقط، بل أصبحت اليوم مصدراً للمعلومات ولكسب المعارف والمهارات. وتعتبر المكتبات وعاءً ثقافياً في المجتمع لما تلعبه من دور في نشر الوعي، وتنشئة الأجيال فكرياً وثقافياً، فضلاً عن تنمية البحث العلمي، وتنمية الطلاب أيضاً، والتكنولوجيا الحديثة، فالبعض لا يزال يحرص على زيارة المكتبة واستعارة الكتب من المكتبات العامة بأنواعها التي عرفها علماء المكتبات أنها مؤسسات ثقافية تعليمية فكرية وتثقيفية تنشؤها الدولة، ويكون تمويلها من الميزانية العامة لها، تعمل على حفظ التراث الثقافي الإنساني والفكري ليكون في خدمة القراء والمواطنين من كافة الطبقات الاجتماعية، والمهنية على اختلاف مؤهلاتهم العلمية وعلى اختلاف أعمارهم[٢٢].

كلّنا يعرف ويدرك حجم مشكلة القراءة وضعفها السائد في المنطقة العربية، وحالة عدم الاكتراث بالمكتبات العامة والخاصة واعتبارها مكملات للجامعة أو البنية العامة في المجتمع وحجم التراجع المستمر في مدى الاهتمام الثقافي وبالتالي ضعف حركة النشر والترجمة، والاعتماد المتزايد على وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة مثل الانترنت والقنوات الفضائية والأقراص الليزرية وغيرها، رغم أن المعلومات هي عصب الحضارة اليوم، وهي تتعقد بحاجتها وأنواعها وآليات إعدادها وجمعها، ولكن رغم هذا التطور التقني المعلوماتي والثقافي وانتشار تقنيات الاتصال بغرض تداول المعلومات، إلا إن ذلك لم يرافقه تطور فكري ثقافي يعمق الاهتمامات والنقاش والتفكير، ومن هذه الزاوية فان المكتبات بأنواعها المختلفة ومدلولاتها التقنية المختلفة تشكل الأساس المعرفي لعصر المعلومات والمعرفة، خصوصاً وان إسلامنا المحمدي اكد على اهمية العلم كونه خير وسعادة مرهونة ومحاربة الجهل الذي هو شر تخلف وشقاء، وكما قال رسول الانسانية محمدﷺ ((العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله))[٢٣].

ان العقلية المرنة في هذا المجال والقادرة على التعامل الديناميكي للمتغيرات والتي تنمي ملكات التخيل والتفاعل والتقدير المتوازن للمواقف تتطلب نضجاً معرفياً لا ينضج إلا بتوازن المعارف والتفاعل المعلوماتي المستمر، وهذا يتطلب ان توجد أشكال مختلفة من المكتبات كخدمة في مختلف الأماكن الممكنة سواء أكانت جامعة أو مكتبة حي أو مكتبة عامة أو وطنية وحتى المكتبات الشخصية او سيارة، ولكن الواقع يقول أن المكتبات في البلدان العربية لا تلقى الرعاية اللازمة، وهناك اعتقاد دائم بأنها بطور الانتهاء أو الانهيار أمام التكنولوجيا والانترنت، وأن الكتاب الالكتروني سيسود في النهاية، ولكن الواقع يقول أن أساليب التربية والتعليم السائدة في مجتمعاتنا وسيادة الفكر الوصائي الابوي وضعف العقلية النقدية والتحليلية والبيئة السياسية والاجتماعية السائدة تمنع حالة التفاعل المعرفي المفتوح أمام مسلمات فكرية او وصائية على العقل تقلل من التفاعل مع العلوم عن طريق القراءة وتجعل عملية القراءة تعليمية بحتة بقصد الحصول على الشهادة وليس لبناء العقل المعرفي، ومن هنا تتكامل الاحتياجات المعرفية والمعلوماتية وتتناسب

احتياجات القراءة، وان استخدام التكنولوجية المتطورة في المكتبات ومراكز المعلومات إنما يزيدها قوة وتأثيراً وصلابة، وأن استخدام شبكة الانترنت والأقراص المدمجة والوسائط المتعددة في المكتبات وغيرها من مصادر ووسائط المعلومات الإلكترونية، فضلاً عن الفهارس الآلية وما إليها لا يعني بالضرورة أنها ستحل محل المكتبات وتقضي عليها.

وتشير دراسات متعددة قام بها علماء ومتخصصون في المعلومات والمعلوماتية إلى أن هذه التكنولوجية تزيد من أهمية المكتبات ومراكز المعلومات، وتجعل الباحثين يقبلون عليها اكثر من أي وقت مضى، لا سيما وان هذه التكنولوجيات لم تجعل أوعية المعلومات التقليدية حتى الآن فائضة عن الحاجة، بل وقفت إلى جانبها. ويشدد كثير من المستفيدين على أهمية وجود أوعية المعلومات الإلكترونية كالأقراص المدمجة والإنترنت لمساندة أوعية المعلومات المطبوعة، وجعل المعلومات بكافة أشكالها متاحة للمستفيدين، وتقديم افضل خدمات متاحة في المكتبات اليوم[٢٤].

لذلك نسعى من خلال زيارة الاربعين الى تقديم واقتراح آليات محددة في مجال التشجيع على اقتناء الكتاب واهمية القراءة والتطوير الوطني المستمر للمعرفة وبناء الموارد البشرية وخلق البيئة والتشجيع المناسب من خلال القاعات المناسبة والتقنيات المنتشرة والعائد الاجتماعي والمادي ومن خلال تطوير بنى المكتبات والاهتمام بالكتاب والثقافة والقراءة والمعلومات، والتركيز على دور المكتبات في نشر الوعي الجمعي، ونشر ثقافة الابتعاد عن الاهتمام والتركيز على الثقافة المسموعة والعموميات على حساب البحث والتفكير وتطوير الاهتمامات التخصصية مما ينعكس سلباً على دور المكتبات العامة والجامعية والمؤسسية وحتى المنزلية، لذلك لا بد من دعم مبادرات تحفيز القراءة وخطط النشر الوطني وتطوير تنظيم المكتبات ودراسة انتشارها حسب الأماكن والاختصاصات وتعزيز المكتبات باللغة العربية مع تعزيز التواصل باللغات العالمية الحية، وربط ذلك بالمتغيرات القادمة، منها خطط التطوير والتحديث، لذلك علينا ان نعتني بمكان تواجد المكتبة ومدى انضباط وحداثة خدماتها، وكذلك البيئة المناسبة من حيث الديكور والإضاءة والتجهيزات ووسائل الراحة والخدمات المختلفة التي تصنع شعبية لهذه المكتبات وحيوية لروادها، وقد ورد بالأثر ان المكتبات والندوات الثقافية ايام الدولة العباسية كانت تعقد في المساجد ودور العلم وبيوت الخلفاء انفسهم، وهذا الامر ادى الى توسع حب الاطلاع والبحث عن المزيد من المعارف والعلوم[٢٥].

لا بد أن تنطلق الخطط الوطنية لتطوير المكتبات التي نطالب بوجودها في طريق مشاية أربعينية الامام الحسين عليه السلام من رؤية ثقافية وطنية متكاملة تنظر لمعيار القراءة والاستفادة من المكتبات واكتمال العناوين وحداثة الموضوعات وطرق الارشفة والبحث والتوزيع الجغرافي والتقني للمكتبات ونسبة الصرف على المكتبات، والصرف على الثقافة والبحث العلمي وتنمية الموارد البشرية كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي، لذلك لا بد من مؤشرات

وطنية واضحة نستطيع من خلالها رصد حالة التطور في عدد المكتبات الموجودة في طريق زيارة الاربعين، واهمية ما تقدمه فيما يخص ملحمة الطف والتعريف بأهدافها، وتوزعها وأنواعها وخدماتها وحداثتها ومقارنتها بمقاييس عربية وعالمية ودراسة خطط نشر الكتاب المحلي والعربي وطرق دعمه وانتشاره، والتفريق بين الكتب الثقافية والفكرية والسياسية والفلسفية وكتب المدارس وكتب الجامعات، والجرائد والدوريات وإعارتها، او من حق المطالع او القارئ الاستفادة من التصوير لقاء رسوم رمزية[٢٦]. هذا الاجراء هو دعم للمكتبة والصرف على صيانة المراجع والكتب.

المكتبات أنواع متعددة هي:

١. المكتبات العامة.
٢. مكتبات المراكز الثقافية.
٣. المكتبات المتنقلة ومكتبات الريف النائي.
٤. المكتبات الالكترونية والانترنت.
٥. مكتبات البيع ومعارض وأسواق الكتب.
٦. المكتبات الشخصية.
٧. المكتبات الجامعية.
٨. مكتبات المدارس.
٩. مكتبات الشركات والمؤسسات والمكتبات المتخصصة فيها.
١٠. مكتبات الأحياء أو المناسبات، وهذا الاخير هو الذي ينطبق على زوار مشاية الامام الحسين عليه السلام، وهذا النوع من المكتبات يعتبر ضرورياً وحضارياً، ولكنه غير متوفر بشكل واسع وله توجهه الثقافي للمناسبات الدينية التي توجده مناسبة معينة، ويسعى هذا النوع من المكتبات الى الرغبة بالتنشيط والتفعيل الثقافي للمناسبة دينية او وطنية او اجتماعية، ويحدث هذا النوع من المكتبات بمبادرة محلية من قبل اشخاص يجمعهم هدف واحد، او مناسبة دينية او اجتماعية، ومن يقوم بهكذا نوع من المكتبات اصحاب المناسبات المذكورة، او أبناء الحي أو القرية لتعميم ونشر الثقافة والعلوم، لكن هذا النوع من المكتبات في المدينة يختفي على أساس وجود عدد من المراكز الثقافية ومكتبات المدارس والجامعات والمكتبات الخاصة وغيرها.

ولتفعيل مكتبات المناسبات لا بد من وجود رغبة لأصحاب المناسبة او الحي، يتبعها بناء مكتبات متنقلة اي غير ثابتة تفتح ايام المناسبة، وتستطيع هذه المكتبات ومن خلال المناسبات استقطاب شبيبة وطلبة المناسبة الدينية او الحي للتعلم والتثقف، ويتم ابراز هدف المناسبة من خلال اللقاءات والحوارات والتشارك والإعارة المتبادلة، وضرورة ان يجتمع أهل المناسبة او الحي على أرشفة المناسبة الدينية من خلال استقطاب مراجع دينية وشخصيات ثقافية وشعراء وكتاب وكل محبي الثقافة، وتقديم خدمات ثقافية يمكن ان تتحول تدريجياً لمركز ثقافي محلي نشيط. وان هذا النوع من المكتبات يتميز بمظاهر تعاون اصحاب المناسبة او الحي حول تقديم الخدمات، ويشكل حالة من تعاضد المصادر ويتميز بالقدرة على توفير الكتب والمجلات والقواميس والموسوعات وحتى أجهزة الدخول للانترنت يمكن توفيرها

مع توفير بيئة لتبادل المعلومات والمجلات والجرائد المشتركة والاشتراكات العلمية المناسبة، وهذا النوع من المكتبات يناسب التجمعات الدينية والاجتماعية التي تحدث في فئة من محبي الثقافة من مختلف الاعمار، حين يتركز وجودهم في مناسبة او أحياء محددة، ولا يخفى على لبيب ما لهكذا مكتبات من دور في التعريف بواقعة الطف واهدافها النبيلة، لاسيما وان المكتبات هي احدى الروابط التي تحوي الحاضر والمستقبل. وتعتبر المكتبات مرآة المجتمعات، وهي التي تعكس تاريخها واسلوب معيشتها وحضارتها في حفظ المواد والمصادر[٢٧].

وأهم مهام المكتبات:

١. المهمة الأولى للمكتبة: هي إعداد باحثين ومتعلمين ليس فقط بمنحهم مصادر وكتب، ولكن بتشجيع التبادل المعرفي والفكري مع العامة. تبدأ الخطوة الأولى في طريق المعرفة بهدم الأبراج العاجية المنزوية وتشجيع التلاقح العضوي للمعرفة بين الناس من كل الخلفيات، وكذلك تعريف إكتساب وحفظ الموارد التي تُطور مجالات المعرفة الفريدة، بهدف التواصل مع المنظمات الأخرى التي تملك موارد ترفد ما نحتاجه، وإلهام الرغبة وتوسيع الآفاق وإثراء وجهات النظر وبناء الأدوات التي تساعدنا على التواصل مع العالم في مجالات خبراتنا.

٢. المهمة الثانية: توضع المكتبة في لب المسار المعرفي بين الواهب والمتلقي. المكتبة هنا تقوم بواجبها الأول وهو تجميع المعارف في مكان واحد ومنحها لمن يحتاجها.

نُمكن مجتمعاتنا بتشجيع ممارسة المواطنة الكاملة والمشاركة في المجتمع وذلك من خلال تشجيع تطوير القدرات والمهارات الأساسية ومنح الموارد الحيوية من أجل مساعدة روّاد المكتبات للتفاهم والإنخراط في مجتمعنا، وكذلك خلق أماكن آمنه وموثوقة، حيث يمكننا وروّادنا من الإستمتاع والتكريم والإحتفال والمشاركة مع مجتمعاتنا، وتقديم موارد فريدة وموثوقة ذات قيمة تاريخية.

٣. مهمة المكتبة ليست فقط إتاحة القراءة للجميع، ولكن منح منصة للجميع لتبادل وجهات النظر بشأن المواد المقروءة، والقيام بفعاليات وأنشطة لتشجيع المشاركة العامة في بناء المعرفة والإحتفاء بمفرداتها، وتقريب وجهات النظر وفتح المجال أمام الجميع لإكتساب المهارات والوعي من أجل ممارسة مواطنة فاعلة في المجتمع.

٤. من مهام المكتبة نشر الاسلام المحمدي ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام وخاصة فكر واهداف صاحب المناسبة الامام الحسين عليه السلام، وما أحوجنا اليوم الى مكتبات تكون حلقة وصل بين الناس باختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم الفكرية، وليس مكاناً للتجميع والتكريس والتنميط. نحن بحاجة لنسخ مصغرة عن مكتبة تكون منارة معرفية لعدة قرون، وبحاجة للإستفادة من تجربة التواصل الثقافي الإنساني ليس فقط على الشبكة العنكبوتية بل في الحياة العامة أيضاً. وقد تأتي المكتبة هنا لتشكل مساحة حرة وآمنة وموثوقة للتحاور وتكون حجر أساس لبناء احترام الحريات بمذاهبها، تقبل النقد، تفعيل التفكير النقدي، ومراجعة المسلَّمات.

٥. وكذلك تأتي مهمة المكتبات بالبحث : إن

غياب مفهوم الثقافة العضوية وغلبة ممارسة العنجهية الثقافية من قبل محتكريها، وتكاثر أشباه المثقفين، وتحزّب أصحاب الاختصاص، وترك التيار الثقافي الإنساني للمجتمع عرضة للتقييم والتشكيك باجتهادات شخصية يغلب عليها الطابع الموجه كلها ظواهر سلبية في مجتمعنا، فنحن مطالبون بإيجاد مساحات حرّة وآمنة ومجانية في المكتبات العامة، ليس فقط من أجل تشجيع القراءة والبحث بل التواصل مع المصادر الموثوقة وخلق حيز حرّ للتحاور المبني على التسامح واحترام الآخر المختلف، ونشر روح التسامح التي جاء وضحى الحسين من اجلها، وكذلك المساهمة في ضخ المعرفة وتطويرها وانشاء قاعدة علمية وتربوية[٢٨].

وبهذا يمكننا أن نقول انه لا يمكن أن نلج هذا العالم الرحب، عالم السمو والشهادة ولا يمكننا أن نسبر أغوار ملحمة واقعة الطف الإنسانية الرائعة إلا من خلال معرفتنا بهذه الواقعة التي تجلت بأروع المعاني الإنسانية واكتسحت كل المفاهيم الدنيوية التي يمكن أن نستخرج منها العديد من الصور والمؤلفات والمسرحيات والقصص والرؤى والتصورات لتأثيراتها الواسعة والمتعددة على المجتمع العراقي والعربي والعالمي، فواقعة الطف تمثل بالنسبة لنا أروع قصص الشموخ لأنها كانت من صنعية الإيمان بالله، وصياغتها كانت عقيدة السماء المتمثلة بسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقمة من قمم الإنسانية الشامخة وبيرق من بيارق البطولة والفداء لدرجة يمكن القول معها إن كل الأشياء تقف صامتة في حضرة الحسين عليه السلام لتركع وتنهل من أساطير ولدت هزة لضمير الأمة وعامل بحث لإرادتها المتخاذلة وعامل انتباه للتضحية والفداء، فثورة الإمام الحسين عليه السلام التي انبعثت من ضمير الأمة الحي ومن وحي الرسالة الإسلامية المقدسة، لا شك أنها قد أحدثت في التاريخ الإنساني عاصفة قوضت الذل، وأنارت الدرب لكل المخلصين من أجل حياة حرة كريمة في ظل الله. إن القراءة الكتابة عن واقعة الطف يعني الكتابة عن عظيم من العظماء الربانيين ووارث علوم الأنبياء وعلو منزلتهم في الواقع[٢٩].

لقد تركت زيارة الأربعين وملحمة الطف الخالدة بصماتها في أكثر من منحى وعند اكثر من منعطف في حركة التاريخ، فكتبت بأحرف من ذهب وبمداد من نور، وسيخلدها التاريخ على مر الاجيال والعصور لنبل هدفها، فقد ألهمت الشعراء والكتاب والقصاصين والفنانين الذين رفدوا المكتبة بآلاف الكتب والمسرحيات والنقوش والخطوط وغيرها. وأن الإنسان العظيم هو الذي يصنع التاريخ، فكان يوم الطفوف عبرة ومأساة تركت بصمات لا تمحى. وكان الحسين أعظم قربان ملأ رفوف المكتبات بآلاف الكتب والمسرحيات والايقونات التي تجسد فكر ونضاله، كما ملأ قلب الزمن بروح نقية، لتكون شهادته من نمط آخر يلهم كل مسلم ومن هو خارج الإسلام، وليقف العديد بإجلال واندهاش وهم يضمون أدب الطف لروائع المؤلفات، فكما أن هنالك شعراً نسميه شعر المقاومة، كذلك فإن هنالك أدباً نسميه أدب الطف لشعراء كبار كالكميت بن زيد الأسدي، والحميري، ودعبل الخزاعي والشريف الرضي وغيرهم ممن

ظهر بعدهم، واستكملها من ظهر في عصرنا هذا، ناهيك عن شعراء آخرين ليسوا بمسلمين ولا عرب كالشاعر المسيحي بولص سلامة، والشاعر جورج جرداق، وروكس بن زائدة، وانطوان بارا والألباني نعيم فراشري وعشرات غيرهم رفدوا المكتبات بدرر ثمينة من امهات الكتب التي ستبقى القنوات الهامة للعلم والمعلومات التي لا يمكن الاستغناء عنها، والتي جعلت الثقافة في متناول افراد المجتمع، فهي ضرورة حضارية، وبانتشارها وما تتضمنه من اوعية للمعلومات، ومدى الاستفادة منها وبعدد مرتادیها يقاس رقي الامم والشعوب[٣٠].

النتائج:

من خلال هذا العرض السريع والموجز والمشوّق لدور المسارح والمعارض والمكتبات في النهوض بزيارة الأربعين يمكن أن نخلص الى النتائج الآتية:

١. أهمية المسارح في إيصال المعلومة الى المواطن، بما تحتويه من وسائل جذب للناس من خلال الابداع في تمثيل الأدوار ونقل الصورة بشكل فني رائع.
٢. لقد ولد المسرح يوم ولد المجتمع، وهو في كينونته الأساسية ظاهرة شعبية إنسانية تجسد حياة الانسان ونشاطه والبحث والمزاوجة بين النظرية الفكرية.
٣. المسرح يعرض الحياة التي نعيشها بمقوماتها الجمالية والفكرية فهو يصنع الإنسان الواعي، فيكون المسرح وسيلة انسانية ثقافية توعوية للإنسان في قيادة مجتمعه وضمير شعبه.
٤. فن المسرح له القدرة على تغيير السلوك الجمعي لفترات انتقالية متعددة في بنية المجتمع وصولاً إلى الإنسان المعاصر المليء بالمعرفة.
٥. ان المسرح وتحديداً المسرح الحسيني يستطيع أن يرفع الإنسان من التمزق والتشتت إلى الوحدة والتكامل والتسامح والايمان بالآخر، والتعريف بضرر الافكار المنحرفة والتيارات التكفيرية الاجرامية وفضح ممارساتها، وتعريف الناس بالبدائل المهمة لكل التيارات الانحرافية.
٦. ان المسرح هو الفن الذي تلتقي عنده جميع الفنون وتستضيء فيه الحياة الإنسانية بالنور الروحي، فهو عمل مشترك بين المبدعين رغم اختلاف تجاربهم واهتماماتهم.
٧. ان المسرح الحسيني مسرح رسالي، فالكاتب المسرحي في هذا المجال يكون مؤمناً إيماناً حقيقياً بمبادئ المدرسة الحسينية، ويكون سعيه صادقاً من أجل تقديم هذا النموذج الى العالم بشكل جاد.
٨. تعتبر المعارض الفنية مؤسسة تعليمية تكلم جماهير الناس بلغة يفهمونها جميعاً تؤثر على كل الحواس، ولها قدرة هائلة على إيقاظ المشاعر.
٩. تُساعد المعارض الفرد على ثقيف نفسه اذ تعتبر المؤسسة الثقافية المؤثرة التي لها وزنها الثقيل كما انها تعد عامل تطور هام للإنسان في الحاضر والمستقبل.
١٠. تسهم المعارض في نشر التوعية الثقافية بين أفراد المجتمع، حيث تنمي معلومات الزائر، كذلك تثير انتباهه وتصحح وجهة نظره كالتوعية مثلاً بأهداف ثورة الحسين عليه السلام وبأصحابه وتاريخ كربلاء، وأهمية وقيمة الشهادة في سبيل

الاسلام والوطن، وفضح ممارسات الارهاب والارهابيين، واهداف وقيمة المسير لابي الشهداء الامام الحسين، وتبين اهداف وقيم زيارة الاربعين.

١١. أهمية المكتبات تأتي في تنمية العقل البشري وتنشيطه من الخمول والكسل الذي يصيبه عند الابتعاد عن القراءة.

١٢. تلعب المكتبات العامة بمختلف أنواعها دوراً كبيراً في نشر ثقافة القراءة، والمعرفة، وإحياء العقول.

١٣. تعتبر المكتبات مهمة وضرورية في إعداد باحثين ومتعلمين من خلال تزويدهم بالكتب والمصادر وتشجيع التبادل المعرفي والفكري مع عامة المجتمع، وهي تعتبر المكان الثقافي لتجميع المعارف في مكان واحد ومنحها لمن يحتاجها.

التوصيات:

١. نوصي بإشاعة ثقافة المسارح والمعارض والمكتبات وأهمية التردد اليها خاصة فئة الشباب.

٢. على المسارح والمعارض والمكتبات أن تؤدي واجبها بشكل صحيح، فتنقل المعلومة الصحيحة والهادفة الى المتلقي بصورة فنية جميلة لتشويقه واستمالته.

٣. على الآباء وأولياء الأمور ومؤسسات المجتمع المدني والمثقفين أن يحفزوا الشباب على ضرورة تحصيل المعلومات المفيدة لزيادة الوعي والثقافة من خلال متابعة المسارح والمعارض الهادفة والتردد على المكتبات.

٤. ضرورة مشاركة الشباب في المسرحيات الرسالية لتنمية شخصيتهم واثبات وجودهم ومنحهم فرصاً جديرة بالنهوض مستقبلاً باعباء المهمة.

٥. السعي الى زيادة المسرحيات خاصة الرسالية والعمل على بناء مسارح ترتقي مع مسارح الدول المتقدمة للنهوض بالواقع نحو الأفضل.

٦. إنشاء وتأسيس مكتبات عامة في مراكز المدن وتحفيز الشباب على دخولها ولو من خلال عقد ندوات وتقديم الضيافة الجيدة من اجل التحفيز على الحضور.

٧. على الدولة مراجعة المناهج الدراسية وإدخال مناهج تبين أهمية المسارح والمعارض والمكتبات، واعتبارها من اهم مصادر الثقافة العامة.

٨. ادخال التلاميذ والطلاب الى مكتبات المدرسة والمراسم إن وجدت وحثهم على استعارة الكتب والمطالعة ورسم لوحات فنية معبرة في أوقات الفراغ.

٩. إقامة ندوات تثقيفية تشرح من خلالها دور المكتبات والمسارح والمعارض في تنمية وتنشيط عقل الانسان، وكذلك على المبلغين والخطباء ورجال الدين استغلال تواجد الشباب تحت منابرهم لإبراز أهمية هذه الأمور.

الهوامش

(١) سياسة في المسرح، علي عقله عرسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨م: ص١٥.

(٢) الفن والمجتمع، هوبرت ريد، ترجمة فارس متري، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م:ص١٧.

(٣) مشكلة الفن، زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص١٠٦.

(٤) ضرورة الفن، ارنست فيشر، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، لقاهرة ١٩٧١، ص٩.

(٥) محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، محمد النويهي، مطبعة الكمالية، القاهرة،١٩٥٨، ص٢٦.

(٦) الفلم الوثائقي العراقي، عدنان حسين احمد، دار الحكمة، لندن،٢٠١٤م ص٩.

(٧) سوسيولوجية المسرح، جان فينيو، ترجمة حافظ الجمالي، وزارة الثقافة والإرشاد دمشق، ١٩٧٦، ج١، ص٦ـ٧.

(٨) الفن والمجتمع عبر التاريخ، أر نولد هاو زر، ا، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩، ج١، ص١١١.

(٩) رسالتنا، محمد باقر الصدر، منشورات جماعة الفضلاء، النجف الاشرف ١٤٠١هـ، ص٧٨.

(١٠) علم الالقاء، د. حسين علي هارف، م. وضاح طالب دعج، دار الجواهري، بغداد،٢٠١٦ ص٢٠٣.

(١١) الزمر: ٩.

(١٢) مجلة الآداب الأجنبية / العدد الرابع، دمشق، نيسان ١٩٧٥م: ص٢٩٤.

(١٣) الفن والمجتمع، هوبرت ريد،مصدر سابق،ص١٧٧.

(١٤) محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، محمد النويهي، مطبعة الكمالية، بيروت ١٩٥٨ ص٢١٣.

(١٥) الفن والمجتمع عبر التاريخ، أر نولد هاو زر، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩ج١، ص ١٢٩.

(١٦) الاسلام والمسرح، محمد عزيزة، دار الهلال، القاهرة،١٩٧١ ص٤٤.

(١٧) الشباب والمستقبل، إصدار مؤسسة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، مطبعة الصدر، النجف الاشرف،٢٠٠٨م: ص١١.

(١٨) حرية الفن،هنورا اروندل،ترجمة حسن الطاهر زروق،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣م: ص٧٧.

(١٩) مسرح محمد علي الخفاجي الشعري، عالية خليل إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة/ ٢٠٠٩، ص٤٧.

(٢٠) الإمام الحسين من الميلاد إلى الاستشهاد، هيئة محمد الامين للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٢، ص٣٣.

(٢١) تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألّف في الكتب، العلامة المغربي الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م: ص ٥٣.

(٢٢) أساسيات في علم المعلومات والمكتبات،. احمد بدر، دار المريخ للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٥م: ص٢٦٣.

(٢٣) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي ت١١١١، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣،ج٧٤، ص١٧٥.

(٢٤) استخدام المكتبات في البيئة الإلكترونية دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، محمد بن صالح الخليفي، دار غريب للنشر، القاهرة،٢٠٠١م: ص ٢٥.

(٢٥) المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٠م: ص٩٤.

(٢٦) المكتبة المركزية في خمسين عاما، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، دولة الكويت،١٩٧٧، ص ٤٩.

(٢٧) من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، د. خيال محمد مهدي الجواهري، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠١١، ص٥.

(٢٨) التعليم في العراق، د. كريم محمد عودة، اصدار بيت الحكمة قسم الدراسات الاجتماعية، بغداد، ٢٠١١م: ص٧٦.

(٢٩) واقعة الطف بين التشابيه والمسرح، إبراهيم محسن، الشبكة الفنية، بغداد،٢٠٠٥م: ص٣.

(٣٠)الوجيز في تاريخ مكتبة الحرم المكي، الرئاسة العامة لشؤون الحرم والمسجد النبوي، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ: ص١٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أساسيات في علم المعلومات والمكتبات،.، احمد بدر، دار المريخ للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٥م.

٢. استخدام المكتبات في البيئة الإلكترونية دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، محمد بن صالح الخليفي، دار غريب للنشر، القاهرة،٢٠٠١م.

٣. الاسلام والمسرح، محمد عزيزة، دار الهلال، القاهرة،١٩٧١م.

٤. الإمام الحسين من الميلاد إلى الاستشهاد، هيئة محمد الامين للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٢م.

٥. التعليم في العراق، د. كريم محمد عودة، اصدار بيت الحكمة قسم الدراسات الاجتماعية، بغداد، ٢٠١١م.

٦. الشباب والمستقبل، اصدار مؤسسة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، مطبعة الصدر، النجف الاشرف،٢٠٠٨م

٧. الفلم الوثائقي العراقي، عدنان حسين احمد،دار الحكمة، لندن،٢٠١٤م.

٨. الفن والمجتمع، هوبرت ريد، ترجمة فارس متري، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م.

٩. الفن والمجتمع، هوبرت ريد، ترجمة فارس متري دار القلم بيروت، ١٩٧٥م.

١٠. الفن والمجتمع عبر التاريخ، أر نولد هاو زر، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

١١. الفن والمجتمع عبر التاريخ،أر نولد هاو زر، ا، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٢. المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٠م.

١٣. المكتبة المركزية في خمسين عاما، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، دولة الكويت،١٩٧٧م.

١٤. الوجيز في تاريخ مكتبة الحرم المكي، الرئاسة العامة لشؤون الحرم والمسجد النبوي، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

١٥. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي ت١١١١، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م.

١٦. تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألّف في الكتب، العلامة المغربي الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

١٧. حرية الفن، هنورا اروندل، ترجمة حسن الطاهر زروق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

١٨. رسالتنا، محمد باقر الصدر، منشورات جماعة

الفضلاء، النجف الاشرف ١٤٠١هـ.

١٩. سوسيولوجية المسرح، جان فينيو، ترجمة حافظ الجمالي، وزارة الثقافة والإرشاد دمشق، ١٩٧٦م.

٢٠. سياسة في المسرح، علي عقله عرسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨م.

٢١. ضرورة الفن،ارنست فيشر، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١.

٢٢. علم الالقاء، د. حسين علي هارف، م. وضاح طالب دعج، دار الجواهري، بغداد،٢٠١٦م.

٢٣. مجلة الآداب الأجنبية / العدد الرابع، دمشق، نيسان ١٩٧٥م.

٢٤. محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، محمد النويهي، مطبعة الكمالية، بيروت ١٩٥٨م.

٢٥. محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، محمد النويهي، مطبعة الكمالية، القاهرة،١٩٥٨م.

٢٦. مسرح محمد علي الخفاجي الشعري، عالية خليل ابراهيم. دار الشؤون الثقافية العامة/ ٢٠٠٩م.

٢٧. مشكلة الفن، زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٨. من تاريخ المكتبات فب البلدان العربية، د. خيال محمد مهدي الجواهري، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠١١م.

٢٩. واقعة الطف بين التشابيه والمسرح، إبراهيم محسن، الشبكة الفنية، بغداد،٢٠٠٥م.

تمثُّلات المكان في مسير السبايا يوم الأربعين

أ. د. عبدالإله عبد الوهاب هادي العرداوي

كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية – جامعة الكوفة

الملخص

ونحن في هذا البحث نحاول مقاربة بناء المكان القصصي الذي عن طريقه تتم معرفة التجربة المطروحة فكان أن وُسم البحث بـ (تمثلات المكان في مسير السبايا يوم الأربعين). جرى ذلك عن طريق مقدمة ومبحثين، تضمَّن المبحث الأول الحديث عن دوائر المكان ومكوناته على ثلاث فقرات، الأولى: مدينة كربلاء، والثانية مدينة الكوفة والثالثة الشام، وتحرك المبحث الثاني على تمثيل المكان وعلاقاته مقسماً على فقرتين، الأولى: تمثيل المكان وتوضحت في المكان (الواقعي ـــ الوهمي) والمكان (الأليف ـــ المعادي) والمكان المسرح، والفقرة الثانية: علاقات المكان وتجسدت في علاقة المكان بالزمان وعلاقته بالرؤية، وأخيراً الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

Representations of the place on the path of the captives at Arbaeen

Prof. Abdul-Ilah Abdul Wahab Al-Ardawi

College of Basic Education / Kufa University

Abstract

In this research, we are trying to approach the construction of the narrative place through which the experience is known to be called the research was (representations of the place in the path of Sabaya on Forty). This was done through an introduction and two topics. The placebo and the place (Elif - Maadi) and the place theater, and the second paragraph: the relations of the place and embodied in the relationship of space time and its relationship to vision, and finally the conclusion that included the most important findings of the study, then proved sources and references.

المقدمة

الحمد لله على آلائه التي لا تحصى والصلاة والسلام على خير بريته رسول الأنام محمدﷺ، وسلَّم وعلى أهل بيته المعصومين أعلام الهدى وسفن النجاة، وبعد:

جاءت الثورة الحسينية بكل ما تحمله الإنسانية من معان فقد تمثلت بشخص سيد الشهداء الذي ضحى بنفسه وأسرته في سبيل دين الله وإنقاذ البشرية من الظلم والاستعباد الذي فرضه بني أمية بعدما حرَّرهم رسول اللهﷺ منه.

جاءت الدولة الاموية وتحت غطاء الدين والخلافة باستعباد الناس ونشر المفاهيم الباطلة والعادات الجاهلية، وسفك الدماء واغتصاب الحقوق وغيرها من الانتهاكات بحق الامة آنذاك. فخرج ابن بنت رسول اللهﷺ مصلحاً في تلك الامة وكان قد علم بما سوف يجري عليه وعلى أهل بيتهعليهم السلام، ورغم وصول أنباء استشهاد سفيره مسلم بن عقيل وانقلاب أهل الكوفة ضده إلا أنه قرر الخروج وقد ترك فريضة الحج فما أعظم الرسالة التي كان حبيب رسول اللهﷺ يريد إيصالها لنا ونحن منهمكون بالغوص بالمآثم.

وقد يتبادر الى الذهن السؤال الآتي: لماذا السيدة زينب عليها السلام وعيال اهل البيتعليهم السلام في كربلاء؟

كثيرة تلك الأقلام التي تحدثت عن السيدة زينبعليها السلام ودورها في واقعة الطف والأحداث التي أعقبت تلك الثورة إلا انها اختلفت في مضمون خطابها، فالبعض عدَّ وجودها وسيلة من وسائل الضغط التي استخدمها الامام الحسينعليه السلام، وبعضها الآخر اختصر دورها بالإعلام عن نتائج الثورة، وبعضها الآخر تناول الامر بشكل عاطفي بحت فاختلق صوراً ومواقف رسم فيها ملامح الضعف والذلة بهدف استدرار الدمعة وتهييج المشاعر والأحاسيس.

ولعل هنالك حقائق واضحة تكمن في ان خروج السيدة زينب مع أخيها الحسينعليه السلام لم يكن وليد اللحظة التي انطلقت بها القافلة بل إنَّ الإعداد لتلك المصاحبة كان مخططاً له في وقت سابق يتضح ذلك في اشتراط الامام أمير المؤمنينعليه السلام على عبد اللهّ بن جعفر عندما تقدم لخطبتها بالسماح لها بالخروج مع أخيها الحسين لنلمس من ذلك الموقف بل نتيقن بأنَّ هنالك إعداد وتهيئة مسبقة للسيدة زينبعليها السلام لأداء مهام وأدوار مهمة في كربلاء.

وبالتالي فمن مراجعة ما وثقته كتب التاريخ عن السيدة زينب وجمع وجهات النظر نجد أنَّ من غير المنطقي أنْ يختزل دور السيدة زينب بموقف معيّن أو حادثة عفوية أو مفردة بسيطة بل أنها جمعت أدواراً ومواقف يعجز المداد عن وصفها، حيث أنَّ الامام الحسينعليه السلام حينما اصطحبها معه الى كربلاء قلَّد بذلك جدَّه رسول اللهﷺ الذي كان يصطحب معه بعض زوجاته وعدداً من النساء اللواتي شهد التاريخ ببطولتهن ومواقفهن الخالدة في معارك عدة، وبالتالي فإن السيدة زينب أعطت زخماً معنوياً كبيراً للإمام الحسينعليه السلام يوم عاشوراء، ولعل كتّاب المقاتل يذكرون أن الامام الحسين كلما استشهد أحد أولاده يرجع الى خيمة السيدة زينب لتعينه على ألم المصاب بل إنَّ الروايات أكدت أنها في ليلة عاشوراء

شحذت همم الأنصار كذلك، فضلاً عن موقفها في منع الامام زين العابدين الذي انصاع لكلمتها وعدل عن الخروج لنصرة أبيه الامام الحسين حتى لا تخلو الارض من نسل محمد وآل محمد.

كما إنَّ للسيدة زينب دوراً مهماً في الحفاظ على العائلة والأطفال من التشتت والضياع نتيجة الهجمات التي تعرضت لها الخيام، فضلاً عن دورها البارز في تأليب الرأي العام في الكوفة ومخاطبة أهل الشام وفضح الماكنة الإعلامية الاموية بالرغم من تأثيرها في المجتمع آنذاك، بل إن تصديها لإلقاء خطبة في الكوفة وعدم السماح للإمام السجاد عليه السلام في أن يخطب ساهمت بالحفاظ على حياته من أن يقتل قبل نزوله من على المنبر وأتاحت الفرصة له لإلقاء خطبته في مجلس يزيد.

كما إنَّ هنالك مواقف كثيرة من الصعب حصرها ولعل أبرزها الوقوف بوجه المجتمع الذكوري آنذاك الذي كان يعد المرأة أداة من أدوات المنزل بل إنها خلقت للرجل فأثبتت لذلك المجتمع أن دور المرأة لا يقل أهمية عن دور الرجل إذا ما نقول يفوق ذلك في كثير من المواقف، ناهيك عن رسم صورة مميزة للمرأة في تحمل الصبر والحفاظ على الحجاب في أحلك الظروف وعدم الضعف ومشروعية الجهاد والمحافظة على الصلاة الواجبة والمستحبة في المصائب وشكر الله والثناء له عند الشدائد.

ومن كل ما تقدم نرى إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام خالدة خلوداً أبدياً لم تمت بعد توالي الدهور، ولن تنسى، بل تزداد طراوة على مر السنين.

وخلود الثورة الحسينية يكمن في أسباب كثيرة منها هدفها الاصلاحي وقيادتها الحكيمة ثم انسانيتها التي تستلهم منها القيم والمثل، كما أن للمجالس الحسينية أثراً كبيراً في تخليدها لاسيما في أيام محرم وصفر، وهذه المجالس تحوي الوعظ والإرشاد، ومعرفة التشريعات وما يحتاجه الإنسان من علوم ومفاهيم أخرى، وقد أكَد الأئمة على إحياء هذه المجالس وإقامتها تعزيزاً لخلود أهداف الإمام الحسين عليه السلام وثورته.

ومنها: قراءة مقتل الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم واستعراض أحداثه، وكذلك الأمر في قراءة مسير السبايا بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومسير آل البيت عليهم السلام إلى الكوفة والشام وخطبهم ووعظهم للناس.

ونحن في هذا البحث نحاول مقاربة بناء المكان القصصي الذي عن طريقه تتم معرفة التجربة المطروحة فكان أن وُسم البحث بـ (تمثلات المكان في مسير السبايا يوم الأربعين). جرى ذلك عن طريق مقدمة ومبحثين، تضمَّن المبحث الأول الحديث عن دوائر المكان ومكوناته على ثلاث فقرات، الأولى: مدينة كربلاء، والثانية مدينة الكوفة والثالثة الشام، وتحرك المبحث الثاني على تمثيل المكان وعلاقاته مقسماً على فقرتين، الأولى: تمثيل المكان وتوضحت في المكان (الواقعي الوهمي) والمكان (الأليف المعادي) والمكان المسرح، والفقرة الثانية: علاقات المكان وتجسدت في علاقة المكان بالزمان وعلاقته بالرؤية، وأخيراً الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وختاماً هذا ما وفقنا الله إليه من انجاز البحث فإن أصبنا فهو نعمة من نعم الله علينا، وإن أخطأنا فحسبنا الضعف والهوان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين.

مدخل:

ارتبط مفهوم المكان بوجود الإنسان ارتباطاً حيوياً، إذ لا يمكن أن نتصور أن يعيش إنسان من دون مكان، كما لا يمكن أن نحدد مكاناً ما إلا في وجود الإنسان، لذا وجدت فكرة المكان مع خلق الإنسان ثم نمت وتطورت بنمو الفكر البشري وتطوره، ما جعل ياسين النصير يقول: ((إنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه. لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنه))[١]، لذا لا يظهر في النص بصفته شيئاً معزولاً منفرداً، أو بناءً أجوفاً يحمل من فراغات وجدان وغرف وسقوف، أنما يظهر بصفته نشاطاً إنسانياً مرتبطاً بالسلوك البشري يحمل عواطفَ ومشاعرَ ومواقفَ وهموماً وانفعالات الذين يسكنونه، إنه يحمل أسرارهم الصغيرة والكبيرة، ما هو معلنٌ منها وما هو مختفٍ، إنه تاريخ الإنسان[٢]، بل أن ((المكان هو الإنسان نفسه))[٣]، وكذا الإحساس بالمكان / الوطن إحساس له أصالته وعمقه في الوجدان البشري ما جعل المكان يصبح هنا هوية تاريخية ووطنية ونفسية[٤].

لقد حظيَ المكان بحضور متميز في المباحث الفلسفية ومباحث علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، بل إننا نجد المقابلة الآتية: الإنسان/ المكان في كل سطر نقرأه، وكأننا أزاء حقيقة أولية في كل فهم يروم النزول إلى أغوار الذات الإنسانية: شخصية، وفرداً، ووجوداً، وهوية، وفكرة.. وهذه حقيقة لم نجد لها في الدرس الأدبي إلاّ حضوراً باهتاً، أو كان حضورها في المناهج الاجتماعية حضوراً تابعاً لا متبوعاً، خدمة لوجهة النظر المهيمنة أصلاً على المنهج، وعلى النتائج المتوخاة من أدواته. والفرق بين في أن تكون «الموضوعة» متبوعة، تقيم اعتمادها على الوجود أولاً، وفي أن تكون تابعة تخدمها منفصلاً عنها[٥].

لذا نرى النقد العربي غير حافل بدراسة المكان بصفته عنصراً أساسياً من عناصر البناء الفني سواء في الأعمال السردية (رواية – قصة – مسرحية) أم في الأعمال المشهدية (سينما – فن تشكيلي)، وهذا ما يؤكده بعض النقاد بالقول: ((إن الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء في الحكي تعتبر حديثة العهد، ومن الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة في الفضاء المكاني، مما يؤكد أنها أبحاث لا تزال فعلاً في بداية الطريق، ثم أن الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اتجاهات متفرقة لها قيمتها، ويمكنها إذا هي تراكمت أن تساعد على بناء تصور متكامل حول الموضوع))[٦]، وقد أسس رأيه على ما ذهب إليه هنري متران الذي يقول فيه: ((لا وجود لنظرية مشكلة عن فضائية حكائية، ولكن هناك فقط مسار للبحث مرسوم بدقة، كما توجد مسارات على هيئة نقطة متقطعة))[٧].

أُعطيَ المكان أهمية كبرى بعد تطور الخطاب الروائي بصفته مكوناً أساسياً في الرواية، فقد أبدع

الأدبـاء في تشكيله وتصويره داخـل النص، وهذا ما دفع النقاد إلى تناوله بالدرس، ولعل أول بادرة اهتمام قد بـدأت مع ترجمة (غالب هلسا) لكتاب (شعرية الفضاء) لمؤلفه (غاستون باشلار)، إذ نقله إلى العربية تحت عنوان (جماليات المكان)[٨]، ثم تلته دراسات أخرى تمثلت بدراسة حميد لحمداني في كتابه الموسوم بعنوان (بنية النص السردي) الذي يعد فيه المكان بمثابة ((العمود الفقري لأي نص، إذ من دونه تسقط تلقائياً العناصر المشكّلة له))[٩]، وأخرى تمثلت بدراسة عبد الملك مرتاض الذي أعطاه أهمية قصوى في العديد من دراساته[١٠]، وأخرى تمثلت بدراسة علي مهدي زيتون في كتابه الموسوم (في مدار النقد الأدبي) وإلى غيرها من الدراسات.

يرتبط المكان بالشخصية ارتباطاً وطيداً في الخطاب الروائي، إذ لا يستطيع التشكيل بعيداً عنها، كما لا يمكن أن تعيش الشخصية أو أن تنجز أحداثاً خارجة عنه، فهو البيئة التي تتحرك فيه، وتمارس حياتها ولا يكتسب المكان قيمة إلا إذا اخترقته الشخصيات[١١]، وهـذا ما دعا عبد الفتاح عثمان إلى تجاوز المفهوم الهندسي للمكان الذي يعدّه رقعة جغرافية إلى دلالته الواسعة التي تشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها وتطلعاتها وتقاليدها، حيث يصبح المكان كائناً حياً، يمارس حركته في الخطاب يؤثر ويتأثر بباقي المكونات لا سيما الشخصيات[١٢].

لذا نرى الكاتب يضع في حساباته حين يشكّل الخطاب الروائي علاقة المكان بالشخصية، ويعمل على أن يكون بناء المكان موافقاً لطبائع الشخصيات، حتى لا يقع في مفارقات تربك البناء العام للرواية، نظراً للعلاقة الجدلية بين العنصرين، بل أصبح المكان بمقدوره الكشف عن نفسية البطل والمساهمة في نموه وتطوره، وقد يكون سبباً في تغيير حياته ووجهات نظره[١٣].

من هنا يمكن إعداد: ((إن الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتماداً على المميزات والتحديات التي تطبع الشخصيات، بحيث يجري التحديد التدريجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية، بل أيضاً لصفاته الدلالية، وذلك لكي يأتي منسجماً مع التطور الحكائي العام))[١٤].

١. دوائر المكان ومكوناته:

يحظى العنوان باهتمام كبير من الـدارسين، لما يحتضنه من إشـارات استباقية تـدل على مشاهد مستقبلية تنهض أمـام الـقـارئ، وتمـدُّه بعلامات واضحة عن النهايات التي ستكون عليها أحداث الرواية والمصائر التي ستصير إليها الشخصيات، وإذا كانت ((لعناوين الآثار الأدبية وظيفة وصفية، تسمى محتوياتها بالإجمال، فإن منها ما يكتسب – فضلاً عن التسمية – وظيفة إيحائية لما اشتمل عليه من أبعاد رمزية))[١٥].

يحكي النص (مسير السبايا) عن مسير سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. إذ انطلق الركب من كربلاء في اليوم الحادي عشر من محرم الحرام سنة ٦١ هجرية بعد الزوال، أي أن دائرة المكان الأولى هي مدينة كربلاء، لذا حريٌّ بنا أن ندرس هذه الدائرة، وما احتضنتها من مكونات.

أولاً: مدينة كربلاء:

لا يخفى على القارئ ما تحمله مدينة كربلاء من أهمية، فهي من المدن العراقية القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد البابلي[١٦]، ويذكر إن اسمها يعني (قرب الآلهة)، وذهب بعضهم إلى إن اسمها مشتق من كلمة (كور بابل) التي هي عبارة عن مجموعة من قرى بابلية قديمة منها نينوى والغاضرية وكربله بتفخيم اللام ثم كربلاء وعقر بابل والنواويس والحائر[١٧]، وذهب آخرون الى أنَّ اسمها مشتق من الكرب والبلاء[١٨]، لذا نراها حافلة في النص الأدبي.

تتسع هذه الدائرة لتشمل مكونات عدة وهي كالآتي:

أ - البيت

لقد ورد ذكر(البيت) في النص غير مرة، فورد بصيغة الجمع ووسمه بـ(بيوت آل الرسول) هذا المكون العجيب عنيت (البيت)الذي جذب الكثير من المعاني إليه، فتارة يكون سكناً، والله سبحانه وتعالى وصف المرأة بالسكن، حين قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٩].

وتارة يكون الحلم أو الذكريات، وهذا ما عناه (باشلار) حين قال أن البيت هو: ((واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيراً تتداخل أو تتعارض، وفي أحيان أخرى تنشط بعضها في حياة الإنسان ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية، لهذا فمن دون البيت يصبح الإنسان كئيباً مفتتاً))[٢٠].

ويتجلى حضور (بيوت آل الرسول) في مطلع النص:((تسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرة عين الزهراء البتول، فخرجن بنات رسول الله وحريمه يتساعدن على البكاء، ويندبن لفراق الحماة والأحبة))[٢١].

أعطى الرسول محمدﷺ، ذريته وأهل بيته منزلة خاصة، فوسم بيوتهم ببيوت الرسولﷺ، وهذا المعنى على ما يبدو قد أورده الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، إذ أعطى بعض البيوت خصوصية وهي، البيت العتيق، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢٢].

وكذلك البيت الحرام،إذ ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢٣].

كما أعطى النبي كرامة أخرى لآل بيته وهي المودة عوضاً عن الأجر. وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢٤].

وهذا إشارة إلى أن النبي الأكرمﷺ، ينفي أنْ

يكون طالباً للعوض والجزاء مقابل ما بذله من جهد في سبيل هداية هذه الأمة.

وبالرغم من هذه الخصوصية، بيد أن آل أمية لم يتوانوا في هتك حرمة هذه البيوت، وسفك دمائهم الزاكيات.

ب- الخيام

عند وصول الامام الحسين(عليه السلام) هو ومن صحبه من آل بيته وصحبه إلى إرض كربلاء، أقام خياماً لتحتمي بها أسرة النبي(صلى الله عليه وآله) من كيد آل أمية، وقد روي أن الامام الحسين حين نظر إلى تربة الخيام قال: بهذه التربة وعدني جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فها هنا محط ركابنا وسفك دمائنا ومحل ثبورنا، وهنا إشارة إلى ((حديث يروى عن شقيق بن سلمة: في معجم الطبراني وتأريخ ابن عساكر ومجمع الزوائد وغيرها واللفظ للأول، عن أبي وايل شقيق بن سلمة عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي(صلى الله عليه وآله) في بيتي فنزل جبريل(عليه السلام) فقال: يا محمد ان أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ووضعه إلى صدره، ثم قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): وديعة عندك هذه التربة، فشمَّها رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: ويح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي ان ابني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: ان يوما تحولين دماً ليوم عظيم))[٢٥].

أما بعد مقتل الامام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وصحبه، حرقوا الخيام وسبوا الأطفال والنساء، ونَهبوا كل ما كان لآل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويتجلى هذا في قول الراوي: ((أخرجوا النساء من الخيام، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات))[٢٦].

غادرنَ النساء حرائر آل الرسول(صلى الله عليه وآله)، وهنّ في حالة من الذعر والخوف، فقد أحرقوا المعسكر(الخيام) التي كانوا يحتمون به تاركات الأحبة والحماة، وهم بلا وال ولا معين، سوى فتى عليل أثقله المرض، فلا يقوى على النهوض.

ثانياً: مدينة الكوفة

تُعدُّ مدينة الكوفة عاصمة الخلافة الإسلامية في عهد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، حيث اتخذها عاصمة لحكومته بعد الانتقال من المدينة إليها، وتعد المركز الرئيس لوجود الكثير من العلماء المسلمين[٢٧]، عرفت بالكوفة من التكوف (التجمع) حينما مصرّها العرب، وسميت كوفاني (المواضع المستديرة من الرمل)، وكل أرض فيها الحصباء مع الطين والرمل تسمى كوفة، وسميت كوفان بمعنى (البلاء والشر) أو (ما بين الدغل والقصب والخشب)[٢٨].

تحتفي المدينة بالكثير من الميزات التي ازدانت بها مدينة الكوفة، لعل أولها كانت الكوفة تُعَدُّ مركزاً للقرار، لذا نرى أن سبايا آل محمد(صلى الله عليه وآله)، قد اختير لهم هذا المسار ليس اعتباطاً، بل كان بتدبير من ابن سعد، ولعل السبب يعود إلى أن الانتكاسة الأولى قد انطلقت من هناك، ألا وهي الغدر بمسلم بن عقيل سفير الامام الحسين(عليه السلام) وقتله.

أ- الطرقات:

من المكونات التي وردت في النص ضمن دائرة مدينة الكوفة هي الطرقات، ويتجلى هذا في قول الراوي: ((سار ابن سعد بالسبايا، فلما قاربوا الكوفة إجتمع أهلها للنظر إليهم..... وقد غصت الطرقات في وجوه أهل البيت))[٢٩].

اللافت للنظر أن النص أورد ذكر(طرقات) وأنها غصت بالناس، وهذه إشارة إلى أن هناك أمراً مهولاً يخشاه ابن سعد، أو لعل أن ابن زياد أراد أن يدخل الرعب في قلب أهالي مدينة الكوفة ويبسط هيمنته عليها، لأنه كان يخشى أنْ يشتعل فتيل الثورة، وهناك ثمة أمر ما، سيعضد هذا الرأي، ألا وهو يروى أن دخول السبايا الى الكوفة كانت هناك تدابير عدة عمل بها ابن زياد، منها أنه أمر في ذلك اليوم أن لا يخرج أحد من أهل الكوفة بسلاحه، وقد عيَّن عشرة آلاف فارس وأمرهم أن يأخذوا السكك والطرقات خوفاً من السواد من أن تحركهم الحمية والغيرة على أهل البيت إذا رأوهم أُسارى بهذه الصفة، وأمر أن تجعل الرؤوس في أوساط المحامل فوضعت[٣٠].

ب- قصر الإمارة

يعد مركز الدولة الاسلامية في مدينة الكوفة عاصمة المسلمين في بواكير الحكم الاسلامي، وفيه بيت المال ومركز السلطة آنذاك، بُنِيَ بعد ان تم انشاء مدينة الكوفة على أنْ تكون معسكراً ومنطلقاً لجند الفتوحات الاسلامية حتى جعلها الامام أمير المؤمنين في فترة خلافته عاصمة له[٣١]، تعاقب عليها الامراء والولاة لإدارة الحكم فيها، وحين قدم الامام علي عليه السلام الى الكوفة رفض الاقامة في دار الامارة هذا لسعته وكثرة مرافقه وفخامته قائلاً: انها دار الخبال[٣٢].

فقصر الأمارة يمثل المكان الذي يمارس ابن زياد سلطته وهيمنته ويتجلى ذلك في قول الراوي: ((أدخلوا نساء الحسين وصبيانه إلى مجلس ابن زياد، فجلست زينب ابنة علي ناحية من القصر متنكرة، فسأل عنّها، فقيل: هذه زينب ابنة علي عليه السلام))[٣٣].

ونجد مثل هذا في قول الراوي: ((جيء برأس الحسين فوضع بين يدي ابن زياد، فجعل ينظر إليه ويبتسم، وكان في يده سوط، فجعل يضرب ثناياه ويقول: إنه كان حسن الثغر.

ثم قال: لقد أسرع الشيب إليك أبا عبد الله! يوم بيوم بدر))[٣٤].

ثالثاً: الشام

هو اسم تاريخي لجزء من المشرق العربي يمتد على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط إلى حدود بلاد الرافدين، تشكّل هذه المنطقة اليوم بالمفهوم الحديث كلاً من (سورية ولبنان والأردن وفلسطين)[٣٥]، ضم بلاد الشام بين دفتيه، البيت الأموي الذي يعد مركزاً للقرار عن الخلافة الأموية، وقد اصدر كتاباً بحمل رأس الحسين ورؤوس من قتل معه، وحمل أثقاله ونسائه وعياله، ونجد مثل هذا في النص: ((**أدخل ثقل الحسين مع نسائه ومن تخلّف من أهل بيته على يزيد بن معاوية، وهم مقرنون في الحبال**))[٣٦]. وقد دخلوا من باب يطلق عليه اسم باب الساعات وهو أحد أبواب الشرقية لدمشق، وكان الناس مبتهجين ويقرعون الطبول ويرقصون فرحاً.

لا يخفى على القاصي والداني ما تضمره حكومة آل أمية من حقد دفين لآل الرسول الأكرمﷺ، إذ يعود إلى الجاهلية المغلفة بالشرك، فما الداعي لأن تهدى الرؤوس إلى الشام؟؟!! وما الداعي لأن تسبى حرائر آل الرسولﷺ؟؟!!

لا شك أن حكومة (آل أمية) كانت تهدف من هذه المسيرة، ترهيب الأمة وإذلال المنتفضين، والمزيد من التشفي والإذلال لأُسارى آل البيت رضوان الله عليهم، إلا أن الامام علي بن الحسين والعقيلة زينبعليها السلام، كلما نزلا منزلاً غيَّضا الناس على آل أمية، فانتفض أهالي هذه المناطق على الحكم، لذا نرى يزيدَ قد رضخ للأمر الواقع، فأمر بفك الأغلال عن اسارى آل محمدﷺ وحرَّرهم من الأسر، وسلّم لهم الرأس الشريف، وترك لهم أمر الرحيل فاختاروا السفر إلى المدينة والبقاء فيها، ويتجلى ذلك في النص: **((لما خشي يزيد الفتنة وإنقلاب الأمر، عجّل بإخراج الإمام زين العابدين والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم ومكَّنهم مما يريدون))**[٣٧].

والنص يقول: (مكنّهم مما يريدون) وهي إشارة إلى تسليمهم الرأس الشريف ورؤوس أهل بيته وصحبه، واختاروا الطريق إلى المدينة مروراً بالعراق وبكربلاء لزيارة القبر الشريف.

٢. تمثيل المكان:

أولاً: المكان (الواقعي - الوهمي)

تعني الواقعية ((البعد عن المثاليات وعن ركوب أجنحة الخيال))[٣٨]، وتؤكد ((انتماء العمل الأدبي للواقع الاجتماعي أو نسبته إليه))[٣٩]، ومن أجل تحقيق ذلك عمد الروائي إلى تحديد المكان من طريق منحه اسماً خاصاً يميزه عن الأماكن الأخرى، بهدف الإيهام بواقعية المكان المتخيّل، لإقناع المتلقي بأن الرواية التي يقرأها حقيقية[٤٠]، وهذا العمد لا ينفي صفة التخيل البتة، لأنه يجعل المتلقي ينظر إلى تموضع اسم المكان على الخارطة الجغرافية، فيستمد ((مصداقية ما قرأه من الواقع الخارجي... ويوفر نوعاً من الضغط الأسلوبي عليه، بحيث يتجه في قراءته، نحو مراد الروائي من الرموز والإيحاءات والدلالات))[٤١].

أما المكان (الوهمي أو المتخيل) هو الذي لا يمكن العودة فيه إلى أي مرجع أو مكان له ما يماثله خارج النص، فهو ينشأ في المخيلة مستمداً بعض خصائصه أحياناً من مكان واقعي[٤٢]، ويضع سعيد يقطين تعريفاً لهذا الأمكنة بأنها ((التي يصعب الذهاب إلى تأكيد مرجعية محددة لها سواء من حيث اسمها الذي تتميز به أو صفتها التي تنعت بها))[٤٣]، ولما كانت هذه الأمكنة هي وليدة المخيلة، لذا فإن نوعها وشكلها يتكون وفق طبيعة الخيال وإحساس الفرد فيها، فقد يكون مكاناً وردياً تحلم فيه الشخصية بتحقيق كافة أمنياته، أو قد تكون كابوساً لحالة معينة تمر فيها الشخصية.

بلا شك أن الأماكن التي وردت في النص (مقتل الامام الحسين ومسير السبايا)، هي أماكن واقعية، إذ شكّل حضور هذه الأماكن حضورا واسعا؛ فالحكاية تشير إلى وقائع تاريخية لا إلى وقائع متخيلة، ويتجلى هذا في قول الراوي (علي بن الحسين): ((أيها القوم

إن الله – وله الحمد– ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة.

قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس فأي رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟

أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضر عن إنهمالها؟

فلقد بكت السبع الشداد لقتله! وبكت البحار بأمواجها! والسماوات بأركانها!

والأرض بأرجائها! والأشجار بأغصانها!

والحيتان في لجج البحار! والملائكة المقربون!

وأهل السماوات أجمعون!

أيها الناس: أصبحنا مطرودين مشردين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك وكابل.

من غير جرم أجرمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق))[٤٤].

ثانياً: المكان (الأليف - المعادي)

ينطلق عالم الإنسان الأول من البيت ومنه تبدأ بدايته الجديدة محمية دافئة في صدر البيت، فأننا ((حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي في تلك المادة لفردوسنا المادي، هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله))[٤٥].

فالمكان الأليف حسب فكرة باشلار هو مكان المعيشة المقترنة بالدفء والشعور بأن ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته، إذ يركز على أكثر الأمكنة التي يألفها الكاتب وهو البيت الذي ولد فيه ونشأ[٤٦]؛ لأن ((البيت الذي ولدنا فيه، بيت مأهول، وقيم الألفة موزعة فيه، وليس من السهل إقامة توازن بينها، إذ تخضع للجدل.. فالبيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل عادي، وفي داخلنا، انه يصبح مجموعة من العادات العفوية))[٤٧].

لذا نرى الامام زين العابدين عليه السلام، قد قرر الرجوع إلى الوطن عندما أمر يزيد بفك اسرهم، ويتجلى هذا في قول الراوي: ((لما خشي يزيد الفتنة وانقلاب الأمر، أمر بإخراج الامام زين العابدين والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم))[٤٨].

فالوطن يقطن فيه الأهل والأحبة، لذا نراه يوفر مناخاً ينعم فيه الإنسان بالدفء والحنان والطمأنينة، على نقيض المكان المعادي يشعر فيه الفرد بفقدان الأمن. ويتجلى ذلك في النص من طريق حديثه عن مدينة الكوفة فما ان تحرك السرد وذكر الكوفة إلا ووسمها بأهل الغدر، ونجد مثل هذا في ((**يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر**))[٤٩].

ونجد مثل هذا في ((تباً لكم يا أهل الكوفة))[٥٠].

إذ لم تكن الأسر الحسينية عليهم السلام تألف هذا المكان طوال مدة إقامتها.

ثالثاً: المكان المسرح

إن المكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طوبوغرافية تحكمها المقاييس والحجم[٥١]، فالمكان

هو الإطـار المحدد لخصوصية اللحظة الدرامية المعالجة، والحـدث لا يكون في اللامكان، وليس ((ثمة فرق بين مكان مغلق وآخر منفتح في الفن، الفرق بينهما من حيث كونهما مكانين مسميين في الطبيعة، أما عند الفنان فقد يكون للمكان المغلق قيمة فنية وجمالية، رغم محدودية مساحته، وقد يكون أكثر ضيقاً مما هو عند كاتب ضعيف المخيلة))[٥٢]، فسعة المكان أو ضيقه، انفتاحه وانغلاقه، مرهونان إذن بسعة الحساسية الروائية، وهذا ما يفسر ميل ديستوفسكي لفهم المراحل ضمن الزمن الواحد ومحاولة وضعها متجاورة أو متقابلة، ومحاولته هذه ((المتسمة بالإصرار الكبير على رؤية أي شيء على أنه متعايش وأن يفهم كل شيء ويكشف عنه على سبيل التجاوز والتزامن، وكأنه يجري في المكان لا في الزمان، هذه المحاولة تقوده إلى أن يسبغ الطابع الدرامي في المكان حتى على التناقضات الداخلية وعلى المراحل الداخلية لتطور إنسان واحد))[٥٣].

يتحدث الـراوي فيقول: ((قـال سهل بن سعد الساعدي: خرجت إلى بيت المقدس، حتى توسطت الشام، فإذا بمدينة مطردة الأنهار، كثيرة الأشجار، وقـد علقوا الستـور والحـجـب والـديـبـاج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبت بالدفوف والطبول))[٥٤].

فالمدينة التي تجوّل فيها (سهل بن سعد الساعدي) لم يبد من معالمها أي معلم لافت للانتباه، كما لم يتبين منها أي بعد من أبعادها، فقد كان المكان حيادياً، مجرد خشبة تتم فوقها الأحداث دون أن يكون لها أي تأثير على الشخصيات أو على مجرى تلك الأحداث، فما تم على خشبتها من عرض اطراد للأنهار، وكثرة الأشجار وغيرها، تغيب المكان عن أداء اي وظيفة فاعلة في بعض أطوار الحكاية.

٣. علاقات المكان:

يرتبط المكان بوصفه مكوّناً من مكوّنات الحكاية، بالمكونات الأخرى (الرؤية، الزمان، الشخصية) ارتباطاً وثيقاً. وهذا ما سنحاول الكشف عنه.

١. علاقة المكان بالزمان

لاشك أن الزمان هو زمان (آل البيت) صلوات الله عليهم والمكان هو مكانهم، فمهما حاول الدهر الخؤون أن يطمس معالم (آل الرسول الأكرمﷺ)، واغتصاب الخلافة الحقة التي أوردها الله في كتابه العزيز منهم، أو يحول دون تحقيقها، وليس أدلّ على ذلك من تجلي هو ما نستشفه من قول الراوي الداخلي (العقيلة زينب) عند مخاطبة يزيد: ((فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، فما رأيك إلا فند؟ وأيامك إلا عدد؟ وجمعك إلا بدد؟

يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل))[٥٥].

٢. علاقة المكان بالرؤية

لا شك أن علاقة المكان بالرؤية علاقة واضحة،

وهو لا يحدد الرؤية فحسب، ولكن الرؤية تحدده وتفسره أيضاً. فرؤية الراوي الداخلي هي رؤية الامام (علي بن الحسين عليه السلام) إلى العالم والحياة والوجود، وهي التي اعطت المكان صفاته، فالإمام يرى في الثنائية الضدية وفق المنظور الديني (الموت/ الحياة) والثنائية الضدية (الدنيا/ الآخرة) من طريق علمه، الذي وصفه النص على لسان يزيد قائلاً: ((أنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً !!))[٥٦].

ويتجلى هذا في قول الراوي الداخلي (علي بن الحسين) ((أيها الناس: أحذركم من الدنيا وما فيها، فإنها دار زوال وانتقال، تنتقل بأهلها من حال إلى حال.

قد أفنت القرون الخالية والأمم الماضية الذين كانوا أطول منكم أعماراً وأكثر منكم آثاراً، أفنتهم أيدي الزمان، واحتوت عليهم الأفاعي والديدان، أفنتهم الدنيا، فكأنهم لا كانوا لها أهلاً ولا سكناً، قد أكل التراب لحومهم، وأزال محاسنهم، وبدد أوصالهم وشمائلهم، وغيَّر ألوانهم وطحنتهم أيدي الزمان))[٥٧].

الخاتمة

بعد أن وفقنا الله سبحانه وتعالى في إنهاء البحث لابد لنا أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا اليها وهي:

- بالرغم من عدم عناية السارد بوصف المكان وتقديمه إلا نادراً، إلا انه كان مكاناً له أهميته وخصوصيته، فهو يعكس الأماكن التي عاشت فيها الشخصيات، بأنواعها واتساعها، إذ كان مسرحاً لتلك القصص وإطارها الذي يحتوي أحداثها وشخصياتها، فكان عنصراً فعالاً ومؤثراً، يشعر المتلقي به سواء ذكر صراحة أو أشير إليه.
- انعكست الحالة النفسية للشخصية على المكان، فاصطبغ بها. لذا أصبح البيت الواسع ضيقاً جداً أحياناً، والعكس يمكن أن يكون في أحيان أخرى.
- احتضن المكان في مسير السبايا يوم الأربعين دوائر مكانية راكزة في العمق الروحي والانساني التي شكلت البعد المعرفي للسبي بما اختصت من تمثلات مكونات مكانية مثل مدينة كربلاء ودوالها المكانية من البيت والخيام ومدينة الكوفة ودوالها المكانية من الطرقات قصر الامارة وأخيراً الشام.
- اشتغل التمثيل المكاني في مسير السبايا يوم الأربعين على كينونة مكانية تحوي ثنائيات ضدية وهي: المكان (الواقعي الوهمي) والمكان (الأليف المعادي) مما يعطي للمكان لا سيما الواقعي جدلية تاريخية لوقائع حقيقية بينما تصارع المكان (الأليف المعادي) في الرؤية المكانية لمسير السبايا يوم الأربعين وتبادلت الأدوار في مسيرة أحداثها.
- ارتبط المكان ارتباطاً وثيقاً مع العناصر الحكائية في مسير السبايا يوم الأربعين من رؤية وزمان وشخصيات مما أعطى للمكان بتفاعله معهم زخماً نفسياً ومعرفياً رصدته البنية القصصية لمسير السبايا يوم الأربعين.

الهوامش

(١) كاظم الاحمدي قاصا: ٣٦.

(٢) الرواية والمكان: ١٦.

(٣) البنية المكانية في القصيدة الحديثة: مجلة الآداب.

(٤) دلالة المكان في قصيدة النثر: ٣٧.

(٥) جمالية المكان في شعر الانتفاضة: مجلة الآداب.

(٦) فلسفة المكان في الشعر العربي: ٤.

(٧) بنية النص السردي: ٥٣.

(٨) م. ن: ٥٣.

(٩) جمالية المكان في شعر الانتفاضة: مجلة الآداب.

(١٠) فلسفة المكان في الشعر العربي:٤.

(١١) بنية الخطاب الروائي:١٩١.

(١٢) بناء الرواية:٩٥.

(١٣) بنية الخطاب الروائي: ١٩٢.

(١٤) بنية الشكل الروائي: ٣٠.

(١٥) خطاب القصصية في الرواية العربية المعاصرة: ١٥٨.

(١٦) نهضة الامام الحسين: ٦٦.

(١٧) لغة العرب: ١٦٨.

(١٨) كربلاء في الذاكرة: ١٠.

(١٩) الروم: ٢١.

(٢٠) جماليات المكان: ٣٨.

(٢١) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا:١٠١.

(٢٢) الحج: ٢٩.

(٢٣) المائدة: ٩٧.

(٢٤) الشورى: ٢٣.

(٢٥) معالم المدرستين: ٣١.

(٢٦) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا:١٠١.

(٢٧) تاريخ الكوفة: ١٤٢.

(٢٨) م. ن: ١٤٢.

(٢٩) م. ن:١٠٥.

(٣٠) تاريخ الطبري:٤/ ٣٨٤.

(٣١) م. ن: ٤/ ٣٨٥

(٣٢) مجلة الولاية: العدد ٩٦.

(٣٣) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١١٧.

(٣٤) م. ن: ١١٥.

(٣٥) الموسوعة العالمية الحرة.

(٣٦) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٣٠.

(٣٧) م. ن: ١٤٦.

(٣٨) الكتابة القصصية في القرن الثاني:٣١٤.

(٣٩) في معرفة النص:٤٣.

(٤٠) البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله:١٣٢.

(٤١) بناء الرواية السورية: ٢٦٠.

(٤٢) الرواية والمكان: ٧٢.

(٤٣) قال الراوي: ٢٤٦.

(٤٤) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٥٤.

(٤٥) جماليات المكان: ٣٨.

(٤٦) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا: ٢٣٧.

(٤٧) جماليات المكان: ٣٨.

(٤٨) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٤٦.

(٤٩) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٠٦.

(٥٠) م. ن:١١١.

(٥١) اضاءة النص:٥٠.

(٥٢) الرواية والمكان:٦٥.

(٥٣) قضايا الفن الابداعي عند دستوفسكي: ٤١.

(٥٤) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا:١٢٨.

(٥٥) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٣٨.

(٥٦) م. ن: ١٤٠.

(٥٧) مقتل الامام الحسين ومسير السبايا: ١٤٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إضاءة النص، اعتدال عثمان، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٨م.

٢. بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩٨٢م.

٣. بناء الرواية السورية، سمر روحي الفيصل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٥م.

٤. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط ٢، بيروت ٢٠٠٩م.

٥. بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت ٢٠٠٩م.

٦. تاريخ الأمم والملوك، محمد جرير بن جرير بيت الافكار الدولية، الرياض،(د. ت).

٧. تاريخ الكوفة، السيد حسن بن السيد احمد البراقي النجفي، دار الاضواء للطباعة والنشر، ط٤، بيروت ١٩٨٧م.

٨. الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، محمد الخبو، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٩. دلالة المكان في قصيدة النثر، د. عبد الإله الصائغ، الأهالي، ط١، دمشق ١٩٩٩م.

١٠. الرواية والمكان، د. ياسين النصير، دار الحرية، بغداد ١٩٨٠م.

١١. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م.

١٢. فلسفة المكان في الشعر العربي، حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

١٣. في معرفة النص، د. يمنى العيد دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت ١٩٨٤م.

١٤. قضايا الفن الإبداعي عند دستويفسكي، باختين، ترجمة نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.

١٥. كربلاء في الذاكرة، سلمان هادي طعمة، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٨م.

١٦. معالم المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لأهل البيت، قم المقدسة (د.ت).

١٧. نهضة الامام الحسين عليه السلام، هبة الدين الحسيني الشهرستاني، منشورات رابطة النشر الإسلامي، ط٥ كربلاء المقدسة ١٩٦٩.

الرسائل والأطاريح:

١٨. كاظم الأحمدي قاصا، أياد جوهر عبد الله محمد، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٢م.

(خطاب الزيارة)

دراسة في الأبعاد التواصلية لآداب زيارة الأربعين لضريح الإمام الحسين عليه السلام

م. د. عالية خليل إبراهيم

كلية التربية – قسم اللغة العربية – الجامعة المستنصرية

الملخص

ليس اجتراحا من قبل الباحثة وإنما تقرير لما هو ثابت القول أن زيارات الأئمة الأطهار بشكل عام والزيارة الأربعينية للأمام الحسين عليه السلام بشكل خاص تتوفر على المحددات المعرفية للخطاب المؤسس بوصفه نظاما رمزيا يحدد مجال الدلالة ويقنن المعنى الذي يعبر عنه، يتميز خطاب الزيارة الأربعينية بأنه مجموعة أو شبكة من الملفوظات الموجهة تعضدها الممارسة، الملفوظ اللساني والممارسة الشعائرية كلاهما له علاقة تأسيسية بأصول المجتمع العقائدية، فهو خطاب موجه ذو مقاصد محددة محكوم بمعايير ومرتبط بسياق ثقافي واجتماعي يضمن له ديمومته واستمراره.

إن تمدد نظرية الخطاب على مختلف العلوم والتخصصات المعرفية في الوقت الراهن وتعدد مناهج دراستها اقتضى تحديد وجهة الدراسة من أجل تبليغ الغاية المرجوة من البحث، سوف أقوم بدراسة البعدين التواصلي لخطاب الزيارة الأربعينية مستندة على منهج وظائف العملية التواصلية للخطاب في دراسة نص الزيارة، وعلى مقاربات الانثروبولوجيا الرمزية التأويلية في دراسة الممارسة الشعائرية السنوية والتي باتت تعرف بالاصطلاح الثقافي الشعبي–المشاية–، وقد قدمت البحث بتوطئة عن التواشج بين مصطلحي(آداب الزيارة) و(خطاب الزيارة). أما نهاية البحث أدرجت فيها بعضا من الرؤى الثقافية عن أهمية دراسة الشعائر في ضوء نظرية الخطاب واخرا قائمة بأهم المصادر والمراجع التي طالعتها أثناء كتابة البحث.

ونحن في هذا البحث نحاول مقاربة بناء المكان القصصي والتي عن طريقها تتم معرفة التجربة المطروحة فكان ان وسم البحث بـ (تمثلات المكان في مسير السبايا يوم الأربعين) جرى ذلك عن طريق مقدمة ومبحثين، تضمن المبحث الأول الحديث عن دوائر المكان ومكوناته وعلى ثلاثة فقرات، الأولى: مدينة كربلاء، والثانية مدينة الكوفة والثالثة الشام، وتحرك المبحث الثاني على تمثيل المكان وعلاقاته مقسماً على فقرتين، الأولى: تمثيل المكان وتوضحت في المكان(الواقعي – الوهمي) والمكان (الأليف – المعادي)

والمكان المسرح، والفقرة الثانية: علاقات المكان وتجسدت في علاقة المكان بالزمان وعلاقته بالرؤية وأخيراً الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وختاماً هذا ما وفقنا الله اليه من انجاز البحث فان أصبنا فهو نعمة من نعم الله علينا، وان أخطأنا فحسبنا الضعف والهوان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين.

Pilgrimage speech - a study on the communicative dimensions of the Arbaeen's ethics

Prof. Aalya Khalil Ibrahim

Faculty of Education / Al-Mustansiriya University

Abstract

Is not an attempt by the researcher, but rather a report of what is confirmed that the pilgrimages to the Imams in general and the Arbaeen of Imam Hussein in particular, are based on the cognitive determinants of the founding speech as a symbolic system that defines the area of significance and legalize the meaning of the expression.

The Arbaeen speech is characterized as a set or network of directed linguistics supported by practice. Oral and ritual practice are both have a constitutive relation to the origins of the dogmatic society. It is a guided speech with specific purposes, governed by standards and linked to a cultural and social context that guarantees its permanence and continuity.

In this research, we try to approach the narrative place building through which the presented knowledge will be known. The research was divided into an introduction and two chapters: The first chapter deals with the space circles, while the second one deals with the representation of the place and its relations, and finally the conclusion, which included the most important findings of the study, and then the sources and references.

المقدمة

ليس اجتراحاً من قبل الباحثة وإنما تقرير لما هو ثابت القول أن زيارات الأئمة الأطهار بشكل عام وزيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام بشكل خاص تتوفر على المحددات المعرفية للخطاب المؤسس بوصفه نظاماً رمزياً يحدد مجال الدلالة ويقنن المعنى الذي يعبر عنه، يتميز خطاب زيارة الأربعين بأنه مجموعة أو شبكة من الملفوظات الموجهة تعضدها الممارسة، الملفوظ اللساني والممارسة الشعائرية كلاهما له علاقة تأسيسية بأصول المجتمع العقائدية، فهو خطاب موجه ذو مقاصد محددة محكوم بمعايير ومرتبط بسياق ثقافي واجتماعي يضمن له ديمومته واستمراره.

إن تمدد نظرية الخطاب على مختلف العلوم والتخصصات المعرفية في الوقت الراهن وتعدد مناهج دراستها اقتضى تحديد وجهة الدراسة من أجل تبليغ الغاية المرجوة من البحث، سوف أقوم بدراسة البعدين التواصلي لخطاب زيارة الأربعين مستندة على منهج وظائف العملية التواصلية للخطاب في دراسة نص الزيارة، وعلى مقاربات الانثروبولوجيا الرمزية التأويلية في دراسة الممارسة الشعائرية السنوية التي باتت تعرف بالاصطلاح الثقافي الشعبي – المشاية –، وقد قدمت البحث بتوطئة عن التواشج بين مصطلحي «آداب الزيارة» و«خطاب الزيارة». أما نهاية البحث فقد أدرجت فيها بعضاً من الرؤى الثقافية عن أهمية دراسة الشعائر في ضوء نظرية الخطاب وأخيراً قائمة بأهم المصادر والمراجع التي طالعتها أثناء كتابة البحث.

توطئة: آداب الزيارة / خطاب الزيارة

لقد تنبه الشيعة الأوائل لأهمية الزيارة الخطابية «العقائدية» فأردفوا الكلمة بمصطلح «الأدب» فقد قيل «آداب الزيارة» تمت إضافة كلمة الزيارة المحددة بإطار ممارساتي اجتماعي إلى مصطلح الأدب الذي تتشعب دلالته من المادية المحسوسة وترد بمعنى المأدبة ومرادفاتها الاجتماع والتواصل إلى المعنوية بمعنى «الحسن» أو الظرف[1] ومرادفها الجماليات ثم جرى انتقال في الدلالة من المعجم إلى الاصطلاح أدب الزيارة أو آدابها والتي تعني الملفوظات اللسانية الفنية والجمالية شعراً ونثراً "يشير الأدب إلى حالة اللغة من حيث هي حروف مكتوبة وإلى حالتها كما تتجسد في في أعمال تستند إلى الأنواع الأدبية"[2]، الأدب كلمة مرادفها النص، والنص إذا ارتبط بسياق محدد يعد خطاباً، فهنالك آداب للزيارة منها الممارسات الوجدانية والحسية التي يؤديها الزائرون مثل صدق النوايا والتوجه القلبي والتطهر والمشي إلى قبر الإمام الحسين التي تعد مختبراً سيميولوجيا وانثروبولوجيا تحلل فيه مرتكزات الخطاب للجماعات التي تشترك بذلك الطقس، والممارسات العبادية مثل الصلاة والصيام والطواف والبكاء، ومنها الملفوظات النثرية والشعرية التي يتلفظ بها الزائرون طلباً للمغفرة والشفاعة.

وبذلك تعد «آداب الزيارة» خطاباً موجهاً وإن كان يأخذ شكل الممارسة الطقوسية «إن ما نفهمه أولاً في الخطاب ليس شخصاً بل مشروع أي معالم طريقة جديدة للوجود في العالم»[3].

لقد وردت كلمة خطاب في المعاجم بمعانٍ متباينة منها «الخطاب ملفوظ يساوي أو يفوق الجملة، ويتكون من متوالية تتشكل منها رسالة ذات بداية ونهاية»[٤].

يعرّف علماء الاجتماع الخطاب بأنه «كل خطاب يتركب من عدد من الوحدات الدالة التي لا تكتسب دلالاتها من ذاتها بل من علاقتها المتبادلة داخل ذلك النظام بل إن عدداً من الخطابات عندما تتم المقارنة بينها تبدو كما لو كانت مجرد تحولات وتنويعات لخطاب واحد يعلوها ويتسامى عليها»[٥].

أما تعريف «ميشيل فوكو» للخطاب: «النظام الرمزي الذي يعين مجال الدلالة والفعل للعناصر المنضوية تحته»، أنه وفي آن واحد ما يتبدى في الأشياء بوصفه قانونها الداخلي، والشبكة السرية التي ينظر من خلالها بمعنى ما، بعض هذه الأشياء البعض الآخر، وما لا يوجد إلا عبر شبكة نظرة أو انتباه أو لغة»[٦].

الخطاب عند «فوكو» نظام معرفي لساني أو اجتماعي أو طقوسي أو أنثروبولوجي، ولكل مجتمع أنظمته الرمزية الخاصة التي تتحكم في إنتاج الحقيقة وتوزيعها وتأويلها وتأكيد شرعيتها بمعنى إضفاء سلطة عليها لذلك فإن الخطاب نظام معرفي يؤسس لسلطة سياسية أو اجتماعية ويكون في خدمتها في الوقت ذاته. وبذلك يمكن النظر لخطاب زيارة الأربعين من الوجهة الآنفة بأنه منظومة رمزية من العلاقات المتبادلة المؤتلفة والمختلفة تعد في مجملها تحولات لخطاب يعلوها ويتسامى عليها.

أما تحليل الخطاب فهو الفن «الذي يدرس اللغة باعتبارها استعمالاً لغايات اجتماعية تعبيرية وإحالية»[٧].

ومن هذه الأبعاد والمحددات:

١. الأبعاد التواصلية لملفوظ زيارة الأربعين:

التواصل ضرب من الجواب عن القضية الكبرى للجماعة الاجتماعية، فالتواصل يمكن الناس من إقامة علاقات بينهم تحملهم على تقدير ما يجمع بينهم، وهم بذلك يكوّنون وعياً بالذات فردياً وجماعياً في آن واحد[٨]، هنالك مرحلتان لدراسة التواصل، تمثلت المرحلة الأولى باهتمامات الفلسفة وعلم النفس والانثروبولوجيا باعتباره طريقة لبناء علاقات اجتماعية.

تمثلت المرحلة الثانية باهتمام نظرية الإعلام بالتواصل باعتباره عملية نقل بين مصدر"الباث" وشخص هو هدف الرسالة وهو المتلقي أو المستقبل وبذلك بواسطة مفاهيم القناة والمقام والتشفير وفك التشفير، حيث أن التواصل البشري لا يتم بواسطة إشارات لغوية شفاهية أو كتابية محددة فقط وإنما بالحركات والإيماءات والأيقونات والرموز، فقد تم اكتشاف الأبعاد السيميائية للتواصل التي لا تقل في أهميتها عن الأبعاد التأويلية والتي كرستها العلوم الاجتماعية، ومن ثم تلقفت اللسانيات هذه النظرية ووضع «رومان ياكبسون» مخططه التواصلي الشهير الذي حدد جوهر التواصل اللساني وجعله قائما بستة عناصر هي على التوالي: المرسل، والمرسل اليه، الرسالة، السياق وقناة الاتصال، ولكل عنصر

من هذه العناصر وظيفة تداولية ولسانية مختلفة، والوظيفة من وجهة النظر الشكلانية هي نظام تقنين الدلالة وإيجاد أسس لتحديد المعنى بناء «على أهمية الشكل في تحديد المضمون»[٩].

أدخلت (أوريكيوني) تعديلاً على نظرية ياكبسون يتوافق مع الرؤية التداولية للتواصل ويكمن هذا التعديل فيما يتعلق بالمرسل والمرسل اليه فأدخلت إلى جانب العناصر الستة السابقة، الكفايات اللسانية المتمثلة بالتحديدات النفسية، والكفاية الثقافية والإيديولوجية لكل من المرسل والمرسل إليه التي لها أثر مهم في بناء المرسلة وفك رموزها[١٠].

وإذ ندرس زيارة الأربعين في ضوء نظريات التواصل نلاحظ تعدد قنوات الإرسال والاستقبال وتداخلها في آن واحد، أو لنقل إنها منظومة تواصلية توليدية تبدأ من المرسل «الإمام الحسين عليه السلام والرسالة هي الثورة «واقعة الطف» إلى المرسل إليه الإنسانية المضطهدة عموماً و«الجماعة الشيعية» على وجه الخصوص.

الإرسالية التواصلية الآنفة لواقعة كربلاء تولد خطاب الزيارة حيث يرجع الإرسال في ملفوظ الزيارة من الزائر الى «الأثر» أو ثورة الإمام الحسين في سيرورة تواصلية الهدف منها ضمان ديمومة العقيدة الاثني عشرية ورسوخها عند معتنقيها.

في مجال البعد التواصلي لزيارة الأربعين تطرح اسئلة عن الشيفرة التواصلية التي تنقلها هذه الزيارة، واسئلة أخرى عن المرسل إليه الافتراضي والحقيقي.

خطاب الزيارة يدخلنا في إطار إشكاليات عملية التواصل، فهذا التغيير في مواقع قنوات البث والإرسال قد لا تنهض به الدراسات اللسانية التي تحدد موقعاً محدداً لأطراف الارسالية وإنما تدرس في مجال أثنية التواصل، فيدرس بوصفه فعلاً اجتماعياً «وهي معرفة متضافرة بمعايير النحو ومعايير الاستعمال»[١١].

يعرف الملفوظ بأنه «الجملة بوصفها كينونة لسانية يمكن أن تستخدم في أوضاع مختلفة لا نهاية لها، وبين التلفظ الذي يتميز عن الأول بكونه إنتاج خاص للغة تقوم به ذات متكلمة محددة في وضع محدد تم انجازه»[١٢] يجب أن لا يفهم من الشخص المتكلم الشخص الذي أنتج العبارة فعلاً وإنما هو الشخص الذي يكون معطى بوصفه مصدرا للتلفظ.

نقرأ ملفوظ الزيارة وهو القريب من المناجاة أو الدعاء مثل قوله «السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا بن البشير النذير وابن سيد الوصيين، السلام عليك يا بن فاطمة سيدة نساء العالمين»[١٣].

لو شئنا تحديد أطراف العملية الإرسالية سيكون المرسل الحقيقي هو الزائر بحسب الملفوظ، أما المرسل الضمني للخطاب هو واقعة الطف» العقيدة الامامية» المطلوب تبليغها للمسلمين والانسانية جمعاء وبذلك يكون الزائر باثاً للملفوظ ومستقبلاً للخطاب العقدي، أما الرسالة فهي مجمل الملفوظات والممارسات الإيمانية في المعطى الحقيقي أما الرسالة الضمنية فهي نهضة الإمام الحسين اسبابها ونتائجها والوظيفة الدينية والتاريخية والمذهبية التي تبلغها للمجتمع المسلم / الشيعي، أما المرسَل إليه اللساني

هو الإمام الحسين المخصوص بالزيارة والمناجاة أو الله سبحانه وتعالى فملفوظ الزيارة مقسم بين المناجاة والدعاء، بينما المرسل إليه الخطابي «الضمني»، قد يمثل الآخر من عموم المسلمين الغافلين غير الموالين للإمام أو الآخر المناوئ المخالف والقصد من تدبيج الخطاب الذي يهدف لإقناع المخاطب بعدالة القضية التي استشهد من أجلها الإمام الحسين «كما ورد في النص» منح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى وشرى آخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى في هواه واسخطك واسخط نبيك وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين النار فجاهدهم فيك صابراً محتسباً»(١٤).

لو تناولنا شيفرة التواصل أو السنن الميتا لساني الذي يجمع بين أطراف الإرسالية «المرسل والرسالة والمرسَل اليه» هو الدفع بخطاب العقيدة الشيعية من الهامش المظلوم والمقموع إلى المركز القوي والمهيمن، ولذلك نلاحظ إن البعد التواصلي في الزيارة يتصاعد سنة بعد أخرى لأنه يمثل ردة فعل جماهيرية على عقود من الإقصاء والتهميش الذي مارسته السلطات السابقة ضد العقيدة الشيعية ومعتنقيها.

٢. الأبعاد التواصلية للمسيرة الشعبية «المشاية»:

المسيرة الراجلة إلى ضريح الإمام الحسين التي أصطلح عليها شعبياً «المشاية» أوسع تظاهرة اجتماعية شعائرية تواصلية يمارسها العراقيون كل سنة بانتظام في ذكرى الأربعينية، وقد امتد تأثيرها للمجتمعات المجاورة منها الإيراني والكويتي والبحريني وذلك لما تنهض به من وظائف عقائدية نفسية وأخلاقية تساهم في خدمة الإنسان الروحية والنفسية والاجتماعية وترسيخ مبادئ الدين الحنيف.

المشاية طقوس ذات طابع أيديولوجي وعقائدي واجتماعي يحصل المشاركون فيها على بعض ما يطمحون إليه من حلول في مواجهة واقعهم والتغلب على الصعوبات والمخاطر التي تعترض طريقهم سواء كانت هذه الحلول نفسية أو اجتماعية»(١٥).

اهتم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بالشعائر والطقوس فقد عدّوا الإثنتين أنساقاً ثقافية رمزية تمثل الذاكرة الجماعية للأمة تعبر الشعائر عن نفسها في نظام من الحدود والاعراف والممارسات تتبناها جماعة بعينها، ولأن الثقافة ذاكرة أو سجل لتجربة الجماعة فإنها ترتبط بماضي الخبرة التاريخية للأمة بوصفها تمثيلاً جمعياً لهذه الخبرة هدفها حفظ وتنظيم المعارف والسلوكيات من أجل ضمان الاستمرارية الثقافية أو (التواصل). إن لهذه الاستمرارية وجهين، استمرارية النصوص المعرفية للذاكرة الجمعية واستمرارية النظام الرمزي أو النظام الشفري للذاكرة الجمعية (١٦).

عالم الأنثروبولوجيا «ليفي شتراوس» من أوائل الذين أكدوا أن المجتمع يمثل ماكنة اتصال انساني على مستويات مختلفة، وإن الثقافة هي عملية اتصال رمزي شبيهة بنظام اللغة التي تتألف من ارتباط وجهي الدال والمدلول وما ينتج عنهما من دلالة محايثة للنص/ الخطاب بناءً على ما طرحة عالم اللغويات «فرديناد دي سوسير».

يقول شتراوس «خلافاً لما ظل البعض يزعمونه مدة طويلة، من أن الأساطير والطقوس هي من نواتج الوظيفة التخريفية التي تدير ظهرها للواقع، فإن القيمة الرئيسة لهذه الأساطير والطقوس تكمن في أنها تحفظ حتى أيامنا، على شاكلة الرواسب، أساليب من التفحص والنظر»[١٧].

يرى شتراوس أن كل ثقافة مجموعة من الانساق الرمزية مثل اللغة والقرابة والدين والاسطورة ترتبط مع غيرها من الأنساق المجاورة بعلاقات تكافؤ أو اختلاف ويخضع كلاهما لتحولات وانزلاقات متزامنة ومتعاقبة بينما يبقى النظام الكلي محافظاً على بنيته الداخلية ومكتفياً بنفسه، ثمة نظامين بنيويين اجتماعيين هما النظام الزراعي البدائي في المجتمعات التقليدية والنظام الرأسمالي المديني في المجتمعات المتقدمة. فيما بعد تجاوزت طروحات «الأنثروبولوجيا الثقافية» مقولات المنهج البنائي الموضوعي الذي اعتبر أن علوم الإنسان تقارب علوم اللسان استناداً على ثنائية الدليل والنظام المغلق، وانفتحت على نظرية تحليل الخطاب واللسانيات التداولية والسيميائيات التأويلية والظاهراتية والفرويدية والماركسية الجديدة بغية فهم الظاهرة الثقافية لدى المجتمعات كافة فهما معمقا يحيط بأبعادها إحاطة شاملة.

وإذ تعد «المشاية» إلى مرقد الإمام الحسين ظاهرة اجتماعية / ثقافية يمارسها سنوياً الشيعة الاثني عشرية استعادة وتمثلاً جسدياً وروحياً للرحلة المضنية لسبايا آل الرسول من الشام إلى المدينة، وفي طريق العودة من الأسر مرّوا بقبر الإمام الحسين وقاموا بأداء زيارة الأربعين مع الصحابي (جابر بن عبد الله الأنصاري) الذي حضر للزيارة بعد رؤيته الرسول محمدﷺ في المنام وهو يكلّفه بإقامة شعيرة الزيارة، ومنذ ذلك العهد بدأ المؤمنون الشيعة بإقامة شعيرة الزيارة سنوياً راجلين أو راكبين.

أجد أن المشي يتعامل مع ثلاث رموز ثقافية رئيسة هي «ترويض الجسد من خلال المشي» أولاً، رمزية الزمن التاريخي والنفسي وعلاقته بدورة الأفلاك ثانياً، رموز الطعام وعلاقتها بالتودد والمحبة وتأمين الحماية ثالثاً، قبل الشروع بالكلام عن هذه الرموز أشير للفرق بين الشعيرة الدينية وبين الرموز الوضعية التي يبتكرها البشر، الرمز «تأويل مفتوح فردي فيه يحتفظ الوجه الدال بقيمته الخاصة، كثافته، الرمز لازم بحيث لا ينفك مع ذلك عن دلالة»[١٨] تعد الشعائر الدينية بداية تعبيراً رمزياً عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل لكنهما يختلفان من بعض النواحي فبينما يقتضي الرمز تعبيراً ذاتياً نموذجياً مستقلاً بذاته عن المراجع التاريخية فأن الشعيرة قادرة على صياغة المضمون والسيطرة عليه لأن منشأها ديني متعال[١٩].

أ. ترويض الجسد / المشي:

الجسد ظاهرة طبيعية بيولوجية مشحونة بفهم ثقافي وتاريخي واجتماعي، فالجسد يقوم بدور مركزي في قدرة الإنسان على الفعل والتغيير والتأثير على الطبيعة والاجتماع والتاريخ، وقد أصبح الجسد منذ العقد الأخير من القرن العشرين موضوعاً تأسيسياً للنظريات الفلسفية والاجتماعية بعد قرون من هيمنة العقل وافتراض سيطرته على الجسد واستئثاره بالدراسات الانسانية سابقاً[٢٠].

أما المشي فهو رياضة جسدية لها علاقة بجميع فعاليات الجسم ولأهميتها الإيجابية على صحة البدن والصحة النفسية فإن دلالة المشي تتعلق بالجوانب الروحية والنفسية قدر تعلقها بالنشاط الجسدي الدليل على ذلك أن من أقدم المدارس الفلسفية في اليونان أسسها أرسطو ٣٣٥ ق.م أطلق عليها الفلسفة المشائية لأن أرسطو كان يشرح لطلابه وهو يمشي في الرواق[٢١]. فالمشي رياضة وفلسفة للروح والجسد. هنالك مقاربات رئيسة في دراسة الجسد الإنساني وعلاقته بالممارسة الاجتماعية سوف أختار منها ما يناسب رمزية شعيرة المشاية، المقاربة البنائية للجسد عن «ميشيل فوكو» تتعامل مع الجسد بوصفه جزءاً حيوياً من آليات تشكيل الخطاب وتنظيم السلطة والنفود في المجتمع وقد ظهر توجهه هذا في دراساته لظواهر التأديب التي ابتكرتها الأنظمة المعاصرة مثل السجون ومستشفيات المجانين «لا يعتبر فوكو الأجساد كيانات مختلفة طبيعياً يحدد تكوينها البيولوجي ويقيد بشكل مستمر قدرات أصحابها، بل يعتبرها ظاهرة طيعة إلى حد كبير يمكن شحنها بمختلف أشكال القوة المتغيرة»[٢٢]. إن تطبيق ما طرحه "فوكو" على ممارسة المشي والتي تمثل المجاهدة الجسدية الأهم ضمن آداب الزيارة يشير إلى أن الخطاب الديني الإسلامي/ العقائدي يؤسس لفكرة الفداء ومجاهدة النفس وتحمل المكاره في سبيل ديمومة الدين وضمان استمراريته، وقد ورد ذلك في نص الآية القرآنية التي أمر الله فيها نبيه إبراهيم أن يذبح ابنه من أجل إقامة الدين ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٢٣]، وقد ورد في الأدبيات الشيعية إن الإمام الحسين هو الذبيح المقصود في الآية ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ولذلك فإن المشاية تمثيل جسدي رمزي للخطاب الديني/ المذهبي الذي يؤمن بمجاهدة النفس وفناء الجسد في سبيل الله ولذلك يتلذذ الموالون في مشي مسافات شاسعة تقدر بآلاف الكيلومترات فناءً في ذات الحسين الذبيح. اجساد المشاة في هذه المقاربة تعيش حالة ترويض من قبل الخطاب الديني ولا تحقق وظيفتها الاجتماعية التواصلية بل بالعكس قد تعيش حالة انقطاع عن بعضها، فما يتحقق وهم التواصل فالجسد يتلاشى خلف شبكة المعاني التي يفرضها الخطاب.لا أجد أن مقاربة «فوكو» للجسد تفي بدراسة شعيرة أساسها التواصل الاجتماعي وإن فسرت نظرية فوكو بعضا من جوانبها.

يتحدث عالم الاجتماع «جوفمان» عن ترويض الجسد في المجال الاجتماعي، فالجسد يقوم بدور توسط العلاقة بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية «يرسم جوفمان صورة للأفراد كممثلين يرمون تحقيق مصالحهم عبر مسرحة أداءات تتعرض بشكل مستمر للتهديد بسبب إحراج الفشل»[٢٤]، يعبر الجسد عن كينونته من خلال تمثيلات جسدية لها دلالتها الاجتماعية، هذه الدلالات يتم استيعابها من قبل الأفراد فيصبح تدبر تشكيل الأداء الجسدي أكثر مركزية لتمثيل صورة الذات بحيث تؤمن أساساً صلباً لإعادة بناء معنى للعالم جدير بالثقة، وبالتالي نستطيع القول إن تأدية المشي إلى الضريح المقدس وما

يقوم به الشيعة عموماً من فعاليات جسدية ممسرحة في شهر محرم الحرام تمثل صورة للذات الفردية الشيعية يبتغي الأفراد التماهي وهم يؤدون الشعائر، تمثل المشاية ظاهرة مرآة للهوية الذاتية للأفراد وهي تستعيد قيم ودروس واقعة كربلاء في التوق للحرية ومحاربة الظلم ومقارعة القهر والفساد والعودة بالواقع إلى المجتمع الاسلامي المحمدي الأول الذي دافع عنه الحسين في نهضته واستشهد من أجله.

"أرثر فرانك" نظريته عن الجسد الاتصالي خلافاً للجسد المرآتي عند جوفمان، الجسد الاتصالي في حال خلق ذاتي يتم عبر التفاعل مع الآخرين تتعلق الأجساد الاتصالية بالقدرة على الادراك التي يتم تعزيزها عبر السرديات المشتركة[٢٥]، يرتبط الجسد الاتصالي بنفسه كونه يهنأ بصحبتها عوضاً عن الاغتراب عنها. إن إيمان المشاء بالسردية الكبرى لاستشهاد الإمام الحسين وتضحيته في سبيل الدين يجعل جسده إتصالياً بالمشاة الآخرين ليس جسداً تسلطياً ولا مرآتياً، إنه جسد بان ومؤسس لقيم ومثل إنسانية ثورية.

تتبقى مقاربة بورديو للجسد في ضوء كلامه عن الرأسمال الرمزي الذي يشترك به الفاعلون في الفضاء الاجتماعي، الرأسمال الرمزي هو «مبدأ بناء الفضاء الاجتماعي بوصفه نظاماً من المواقع الاجتماعية المتمايزة»[٢٦] ويذكر "بورديو" أن الرأسمال الرمزي الديني المبدأ الباني للفضاء الاجتماعي في المجتمعات التقليدية والذي يحدد توزيع الفاعلين والجماعات فيه إلى أصناف متمايزة، يتضمن تحليل بورديو للجسد اختباراً للسبل المتعددة التي تم من خلالها تسليع الجسد في المجتمعات الحديثة، وعلى النقيض من المجتمعات التقليدية للجسد الحديث دور معقد في ممارسة القوة وفي إعادة انتاج الاجحاف الاجتماعي[٢٧]، من هذا المنطلق يمكن توصيف المشاية بأنها شعيرة دينية وحركة مقاومة في الوقت ذاته مناهضة لتسليع الجسد والتحكم فيه كما أشاعت ذلك الحداثة الاستهلاكية، إنها حركة مقاومة لهيمنة قيم رأس المال واقتصاديات الربى التي استحوذت على المجتمعات المعاصرة ومنها المجتمع العراقي فقد تغيرت منظومته الاقتصادية والاجتماعية منذ عقدين ونيف من الزمن بفعل سياسات العولمة والتوزيع غير العادل للثروات. تستعيد المشاية الماضي ولكنها لا تقف عند عتبته بل تحاول أن تؤسس جسداً ناصعاً قوياً وشجاعاً يقاوم مغريات العولمة وامتهانها لبني البشر.

ب. رمزية الزمن:

يقول القديس أوغسطين «ما الزمن إذا لم يستفسر مني أحد عنه فأني أعرفه وإذا ما سئلت عنه فأنني أكف أن أعرفه»[٢٨]، يمثل الكلام عن الزمن وفلسفته، مكوناته، تمثله الإنساني، الشعور به وعلاقته بالمكان من أعقد الإشكاليات الفلسفية التي شغلت عقل الإنسان منذ القدم، وإذ يستغلق الكلام عن الزمن بحد ذاته فأن مقاربة الوعي بالزمن أقرب للمتناول، الوعي جملة من التصورات والأفكار التي تكتسبها الذات في تفاعلها مع العالم[٢٩].

ثمة وعيين يتنازعان الفكر الانساني، الأول جدلي تاريخي يشيده الفكر العملي لا يهتم بتشييد عوالم ما وراء الحس، نطالع كشوفات هذا الوعي في

الأيديولوجيات الفكرية والسياسية المتصارعة عبر التاريخ. النوع الثاني للوعي هو الذي نطلق عليه الوعي العرفاني أو الاستبطاني والذي أخذ يشغل اهتمام المفكرين مع تبلور نظريات الخطاب، يصف «يوري لوتمان» أحد الباحثين في مجال سيمياء الدلالة هذا النوع من الوعي» الوعي البشري ينجز نماذجه انطلاقاً من ثوابت مثل دورة الأرض مسار الشمس في الأفق حركة النجوم الدورة الطبيعية للفصول الثوابت الفيزيولوجية للجسم البشري»[٣٠]، ويضيف "أن قوة الجاذبية والوضع العمودي للجسم أنتج مفهوماً كونياً حاضراً في كل الثقافات التقابل بين الأعلى والاسفل"[٣١]، في دراسة شعيرة المشاية وعلاقتها بالزمن وتوأمه المكان والوعي بهما نحن بحاجة لاستكناه الرؤى العرفانية والمعرفة الصوفية القلبية الحدسية وعدم الاكتفاء برؤية تاريخية للوعي الديني التي تقول أنه وعي دائري ينتهي من حيث يبدأ" نستطيع تحديد بداية الطقس الشيعي وغايته محصورة بين الانطلاق من الزخم الرمزي لأيقونة الإمام الحسين والتي هي إعادة تكرار للماضي وصولاً الى انجاز التواصل مع أيقونة الإمام المهدي التي تمثل ضماناً للمستقبل، يظهر أن الطقس الشيعي يتحرك ضمن بعدين هما الماضي والمستقبل يغيب عنهما البعد الثالث وهو الحاضر»[٣٢]، أثبتت المشاية أن الجماعة الشيعية بوصفها جماعة ثقافية قد ساهمت في إعادة الوعي بالزمان والمكان ليس على أساس السيرورة التعاقبية التي تقسم الزمن بين ماض ومضارع ومستقبل «ديكاروني» وإنما هو تاريخ للفعل والممارسة الثقافية «سانكروني» دلالته انتقائية «ما يجعل التاريخ أمراً ممكناً هو أن تكتسب مجموعة فرعية من الأحداث والوقائع الدلالة نفسها تقريباً في نظر جماعة من الأفراد الذين لم يعيشوا بالضرورة تلك الوقائع ويستطيعون استخلاص عبرها حتى على بعد مسافة تقدر بقرون عديدة»[٣٣]، إن المعرفة التاريخية لا يمكن أن تكون إلا تصنيفية لا تكمن في التعاقب الخطي للأحداث بل تكون ممهورة بطابع الانفصال وعدم الاستمرار هكذا يصبح التاريخ الذي يبدو من وجهة نظر المقاربة التاريخانية بوجهيها المادي والمثالي، تواريخ متعددة يحتل فيها البعد السانكروني الأولوية، فالفكر الديني «البري» يدرك العالم بوصفه كلية تعاقبية ومتزامنة في آن واحد فتأتي معرفته به أشبه ما تكون بالمعرفة التي تمنحها لنا مرايا غير متوازية مثبتة على جدران متقابلة[٣٤]. هنالك وجهتا نظر في دراسة التاريخ، تاريخ يخبر أكثر ويفسر أقل وهو التاريخ التعاقبي، وتاريخ يخبر أقل ويفسر أكثر ويمثل تواريخ الشعوب منفصلة عن بعضها، أما الشعائر الدينية وبخاصة شعائر وسرديات واقعة الطف الخالدة فإنها تفسر التاريخ وتأوله وتخبر عن قصصه وتحولاته في الوقت ذاته.

في رمزية الزمن أثناء أداء شعيرة المشي حيث تعامد الجسد وارتفاعه مع الأفق وعلاقته بالجاذبية الأرضية نتكلم عن رمزية النهار ومعادلتها الشمس.

يقول باشلار «إن عملية واحدة للفكر البشري تحملنا نحو النور والارتقاء معا»[٣٥]، تستعيد المشاية رموز الارتقاء البشري باستقامة الجسد وتطلعه نحو الأفق في سبيل استرداد قوة مفقودة وحيوية أضعفها الخضوع أو السقوط، هو ارتقاء نحو فضاء

ميتافيزيقي أرحب مركزه أرض كربلاء (ضريح الإمام) تمارس هذه الشعيرة خلال النهار خاصة حيث يصافح الجسد رموز الارتقاء، النور، النهار، الشمس، الضوء، زرقة السماء" يؤكد علم النفس المعاصر هذه الصفة المميزة لزرقة السماء، للأزرق الشاحب، الأزرق هو اللون الذي يسبب أقل نسبة من الصدمات الانفعالية، ويؤمن السكينة والراحة النفسية"[٣٦]. الشمس وبخاصة الشمس المشرقة المضيئة باللون الذهبي تصبح بمظاهرها المختلفة من الارتفاع والنور الأقنوم الأمثل للقوى السماوية، الشمس رمز للخير والعطاء،الصعود المنير هو الذي يعطي للشمس قيمتها الايجابية، والشرق كلمة تحمل معاني الخير، ولذلك نتوجه اليه في صلواتنا.

المشاية من أكثر الممارسات الزمنية إشراقاً وبحثاً عن السمو والرفعة، تمثل حالة توق انساني للخير والنور والعدالة، توق لشمس تبدد ظلام التاريخ المزيف الذي عايشه الشيعة سابقاً وما زالوا يعيشونه في ظل هيمنة استبدادية غربية على السياسة والثقافة والاقتصاد والاخلاق.

أما رمزية القمر فإنها وثيقة الصلة بتسلط فكرتي الموت والزمن على الإنسان، ويظهر تاريخ الأديان الدور الذي يلعبه القمر في تشكيل الأساطير الدورية، أساطير الطوفان والتجدد،أساطير الولادة والنمو، أساطير فناء البشرية التي تستند جميعها إلى أطوار القمر، وهذا ما يجعل مارسيا الياد يقول» إن حاولنا أن نلخص بعبارة واحدة تعدد الدلالات القمرية فإننا نستطيع القول أنها تعبر عن الحياة التي تجدد على الدوام»[٣٧]، بناء على ما ورد نلاحظ إن الزائرين غالباً ما يكفون عن المشي في الليل ويتفرغون لإقامة طقوس العزاء التي تعبر عن الحزن والفجيعة باستشهاد سيد الشهداء ظمآناً، رمزية الليل والقمر اللذين يعبران عن تزاحم الاضداد مثل الموت والحياة، الحزن والفرح، الدمعة والابتسامة، الهجوع والقلق تساعد على إقامة طقوس العزاء في الليل.

يحج الزائرون مشياً على الأقدام باتجاه نور الشمس متحدين انسيابية الزمن ومتجهين نحو بؤرة مكانية مركزية هي القبر أو الضريح ومن دلالات القبر الاحتواء والمأوى والملاذ» المركز هو سرة الكون، وحتى الجبال المقدسة مثل جبل الطور وغيره، يحق لها أن تسمى سرة الأرض، وجنة كثير من الشعوب السامية»[٣٨] ضريح الإمام الحسين يمثل مركز الكون وسرة الأرض للمشاة التواقين للوصول إلى جنتهم، يبتغي الإنسان من هذا المسير نحو مركز الدائرة قدرته على التجدد الدائم، فيصبح المركز المقدس نموذجاً للزمن المقدس، وكما يبدو فإن النظرة الوجلة للزمن لا تأتي إلا بعد مرحلة أساسية هي مضاعفة المكان[٣٩].

ج. رمزية الطعام:

تشكل عادات واعراف تناول الطعام عند كل شعب من الشعوب، لغة رمزية تنقل المعاني من خلال بنيتها ومكوناتها وتسهم في بناء العالم الطبيعي والاجتماعي، الطعام نسق من أنساق التواصل لأن الناس من جميع أنحاء العالم ينظمون طرق تعاملهم مع الطعام في نسق يخضع لنظام مواز للأنساق الثقافية الأخرى[٤٠]، من وظائف بذل الطعام وتقديمه مجاناً

أثناء المشي وظيفة الكفالة التي تفهم من حيث ما فيها من إطعام الطعام كما يطعم الوالدان طفلهما الصغير لكي يصح جسمه ينمو ويكبر، تناول الطعام مع الناس تأكيد للقرابة ومشاعر المودة والاندماج.

مفهوم الكفالة بما يتضمنه من معان إنسانية سامية جاء في صميم نهضة الإمام الحسين بمواجهة الظلم والاستبداد والكراهية وانعدام المساواة بين البشر

لقد كفل الإمام الحسين الفقراء والمساكين النساء والرجال المسلمين دعاهم جميعاً إلى كنف رعايته وحمايته وأغدق عليهم عطفه ومودته من غير تفرقة في النسب أو العرق أو الدين وعندما هجم عليه بنو أمية أباح لذوي كفالته مفارقته إن كانوا لا يرغبون بالموت لكنهم فضلوا الشهادة على الحياة بذل المسكنة وتحت نير الاستبداد، وبذلك ضرب الإمام الحسين مثلاً للإنسانية وضح فيه معنى كفالة بني البشر بعضهم لبعض ومثله كان أخوه العباس في عنايته بالأطفال والنساء خاصة حتى أطلق عليه لقب (الكفيل)، وقد أكملت خلق الكفالة من بعد استشهاد أخويها في الطف السيدة العقيلة(زينب). لذلك فإن بذل الطعام والتفاني في تقديم الخدمة للمشاية من قبل المتطوعين من الأهالي من أجل بلوغ معنى التواصل والوفاء لشهداء الطف.

إن الأفراد والجماعات لا يتواصلون بينهم باللغة والعادات السلوكية بل يتواصلون بتبادل الأطعمة وأنواعها وطرائق طبخها وتقديمها وآكلها، للطعام في مجتمعات الانسان علامات تضج بالدلالات ومعاني الحميمية والتراحم. يقدم الطعام للمشاية بكثرة بالغة فالعوائل العراقية ناهيك عن المواكب والحسينيات تحرص جميعها على المشاركة في شراء المواد الغذائية ثم طبخها وتقديمها للزائرين، تعبر تلك المشاركة الجماهيرية الواسعة عن طلب المساهمين في إعداد الطعام للأجر والثواب في الآخرة وقضاء الحوائج الدنيوية التي تحقق لهم جزاء على كرمهم ناهيك عن ما تجلبه تلك المساهمة من تأييد ورضى المجتمع والذكر الطيب بين الناس، أما طرائق تقديم الطعام في أوعية عريضة تكفي لمجموعة من الناس وطريقة المناداة الجهرية للطعام أقرب للأسلوب العربي البدوي أو الريفي وليس المديني المتحضر، هذا الأسلوب في تقديم الطعام والترغيب فيه له علاقة برغبة العراقي بالطعام وشغفه به فالولع به والشراهة في تناوله يعني المزيد من الرغبة الحسية، فالشعائر بشكل عام تعبر احتفاء بموارد الرغبة، بعض تلك الرغائب علني مثل الطعام، والبعض الآخر ضمني مرجأ مثل الرغبة الجنسية «تناول الناس للطعام معاً تلميح ضمني للحميمية وكثيراً ما يشير ضمناً إلى الحميمية الجنسية أو القرابة وينتج عن كل من الأكل والجماع اختلاط اجتماعي»[٤١]، يقول "باشلار": «الشراهة تأكيد لمبدأ الهوية»[٤٢]، إن مبدأ الهوية مبدأ استمرارية الخصائص الجوهرية يتلقى دافعه الغريزي من المعدة وهو تمثل يمثل سرية وحميمية تحدث داخل الجهاز الهضمي، والباطنية والاستبطان تعد جوهر المادة الحيوية، ترمز الشراهة إلى نضال الطبيعة التي لم تخضع للترويض ضد الثقافة في المأكل والتحكم الاجتماعي في سلوك البشر[٤٣].

إن القوة الرمزية للطعام تمكن المحظورات والمحرمات من الدلالة على الحدود الاجتماعية، والاستقامة الدينية، والمكانة، الفوارق بين الرجال والنساء، يرمز الطعام إلى الكفالة والتبني والعائلة المتكاتفة.

الخاتمة:

زيارة الأربعين لضريح الإمام الحسين بوصفها شعيرة دينية وتجمع اجتماعي ثقافي رمزي يحييه الملايين من المؤمنين كل عام أضحت الظاهرة الاجتماعية العراقية الأبرز والأوسع تأثيراً في السنوات الأخيرة مما يقتضي دراستها وتمحيص دلالتها في ضوء نظرية الخطاب التي أخذت تجتاح الدراسات الإنسانية بحقولها كافة وذلك لشموليتها وأتساعها وانفتاحها على مناهج متعددة في دراسة الظواهر اللغوية والاجتماعية والانثروبولوجية وغيرها، شعيرة الزيارة بحاجة معرفية وثقافية لعرضها على نظرية الخطاب في سبيل فهم أعمق وأكثر تمحيصاً واستيعاباً معرفياً، وفي دراسة الخطاب تطوير للأدوات المنهجية الرصينة للباحث العراقي.

الزيارة تظاهرة ثقافية بما تمثله من ذاكرة للأمة وممارسة حية هدفها (التواصل) وضمان استمرارية الذاكرة الجمعية ودوام إقامة شعائرها التي تمنحها البقاء والامتداد، واستمرارية النظام الرمزي «الشيفرة» وما يتضمنه من مقاصد ودلالات ضمنية مرتبطة بالعقيدة المذهبية.

خطاب زيارة الأربعين بشقيه اللغوي والأدائي منظومة تواصلية توليدية يتبادل فيها المشاركون في الإرسالية مواقع البث والاستقبال ويجرى تحديث دائم لمضمون الرسالة ورموزها وطرائق تمثيلها للتاريخ وتكثيف رموزها المكتنزة بالمعاني مثل رموز التعازي والمشي وتقديم الاطعام والمأوى من أجل تبليغ الشيفرة أو السنن التواصلي والذي يركز على الدفع بخطاب ثورة الإمام الحسين ضد الظلم والإقصاء من أطراف الشرق الأوسط إلى مركز الاهتمام الديني والسياسي العالميين.

تمثل ثقافة الجسد بما يكتسب من دلالات رمزية قطب الرحى من شعيرة الزيارة، من الممكن القول أن الجسد يمثل خطاب السلطة الدينية بحسب مقاربة «فوكو» للجسد، وقد تكون المشاية ظاهرة مرآة للهوية الشيعية الفردية والجماعية المؤمنة بالمبادئ والقيم التي استشهد الإمام الحسين في سبيلها فتحاول الذات الشيعية أن تتمثل صفات تلك الهوية وتندمج معها. إلا أن جسد مشاية الأربعين أقرب إلى الجسد الاتصالي الذي نادى به «آرثر فرانك». إن دراسة رمزية الزمن عند إقامة الشعائر تجعلنا في تماحك مع الأزمنة العرفانية بوصفها «يوتوبيا أدبية» تقرأ في ضوء سيمياء دلالة ورمزية الشمس والقمر لكونهما يمثلان الجانب المحسوس من حركية الزمن.

ليس هنالك أدل من رمزية الطعام على تواصل الجماعة الإسلامية أثناء تأدية شعائر الأربعين بما يمثله من كفالة وتودد وحميمية.

الهوامش

(١) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، اعداد وتقديم محمد عبد المرعشلي،٦٨.

(٢) نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي،٦٧.

(٣) المصدر نفسه،٦٧.

(٤) في سوسيولوجيا الخطاب، عبد السلام حيمر،١٤. وقد ذكر المؤلف أن معنى كلمة "خطاب" في معجم اللسان "مرجعة الكلام، وهو مشتق من فعل خطب الذي معانيه الشأن والأمر"/ ١٤.

(٥) في سوسيولوجيا الخطاب، ٥٨.

(٦) التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، السيد ولدأباه، ١٠٩.

(٧) في التداولية المعاصرة والتواصل، ك، أوريكيوي، ت: محمد نظيف،٤٣.

(٨) ينظر معجم تحليل الخطاب، ١٠٩.

(٩) التحليل السيميائي للنصوص، فريق أنترفون، ت حبيبة جرير،١٤.

(١٠) ينظر في التداولية المعاصرة والتواصل، ك أوريكيوني، ت محمد نظيف.

(١١) معجم تحليل الخطاب،٢٢٧.

(١٢) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان،/ ٦٤٦.

(١٣) مفاتيح الجنان، عباس القمي، زيارة عاشوراء.

(١٤) مفاتيح الجنان، عباس قمي،٤٨٦.

(١٥) تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث، طقوس زيارة الأربعين، فرج الحطاب، مجلة الكوفة المُحَكَّمة ١٧٤.

(١٦) ينظر مدخل إلى السيميولوجيا، لأنظمة العلامات في اللغة والادب والثقافة، سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد،٣٣ سيميوطيقا الثقافة٣٣٥،٤.

(١٧) مقالات في الأناسة، كلود ليفي شتراوس، ت: د حسن القبيسي،٣٣.

(١٨) نظريات في الرمز، تزفيتان تودوروف، ت: محمد الزكراوي،١٣.

(١٩) ينظر مدخل إلى السيميوطيقا،٣٣٦.

(٢٠) ينظر الجسد والنظرية الاجتماعية، كرس شلينج، ترجمة منى البحر نجيب الحصادي،١٥/ ١٨.

(٢١) الفلسفة المشائية وتطورها على يد الفلاسفة المسلمين، عماد الدين بن عبد الرحمن، مقال على الانترنت

(٢٢) المصدر نفسه،١١٤.

(٢٣) الصافات: ١٠٢.

(٢٤) الجسد والنظرية الاجتماعية،١٨٢.

(٢٥) المصدر نفسه،١٤٣.

(٢٦) في سوسيولوجيا الخطاب،٣٦٩.

(٢٧) ينظر الجسد والنظرية الاجتماعية،١٧٠، ١٧١.

(٢٨) من النص إلى الفعل، بول ريكور، ت:٣٧.

(٢٩) ينظر تاريخ الوعي، مونيس بو خضرة،١٧.

(٣٠) سيمياء الكون، يوري لوتمان، ترجمة عبد المجيد نوسي،٣٧.

(٣١) الكتاب نفسه، ٣٨

(٣٢) الأيقونية الشيعية، الدلالات الرمزية لصور الأئمة لدى الشيعة، علاء حميد إدريس، ١١٩.

(٣٣) نقلا من كتاب في سوسيولوجيا الخطاب،١٣٥، العبارة للفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي.

(٣٤) ينظر في سوسيولوجيا الخطاب ١٣٧/ ١٥٥.

(٣٥) الأنتروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، جيلبير دوران، ترجمة مصباح الصمد،١٢٢.

(٣٦) المصدر نفسه،١٢٤.

(٣٧) المصدر نفسه،٢٧٢.

(٣٨) الأنتروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها،٢٢٤.

(٣٩) المصدر نفسه،٢٢٧.

(٤٠)ينظر أنثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع والمعنى والقوة،كارول كونيهان، ترجمة سهام عبد السلام، ٣٨،٣٩.

(٤١)انثروبولوجيا الطعام والجسد، ١٠٦.

(٤٢)الأنثروبولوجيا رموزها، أساطيرها، أنساقها،٢٣٤.

(٤٣)ينظر أنقروبولوجيا الطعام والجسد،٤٨.

المصادر والمراجع

١. انثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع والمعنى والقوة تأليف: كارول م. كونيهان، ت: سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١،٢٠١٣.

٢. الأيقونة الشيعية، علاء حميد إدريس، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بيروت، بغداد، ط١،٢٠١٥.

٣. الأنتروبولوجيا رموزها، أساطيرها، أنساقها، جيلبير دوران، ت: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٣-١٩٩٣.

٤. تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق، طقوس زيارة الأربعين، فرج الحطاب، مجلة الكوفة المُحَكَّمة، العدد،١٧٤.

٥. التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، السيد ولد أباه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١،٢٠٠٤.

٦. جدلية علم الاجتماع بين الرمز والاشارة، أينو حوزي، ت: قيس النوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١،١٩٨٨.

٧. الجسد والنظرية الاجتماعية، كرس شلنج، ت: منى البحر، نجيب الحصادي، دار كلمة للنشر والتوزيع، الامارات، ط١، ١٤٣٠-٢٠٠٩.

٨. التحليل السيميائي للنصوص، فريق أنترفون، ت: حبيبة جرير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، دمشق،٢٠١٢.

٩. سيمياء الكون، يوري لوتمان، ت: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١،٢٠١١.

١٠. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، اوزوالد ديكرو، جان مار سشايفر، ت: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١،٢٠٠٦.

١١. في سوسيولوجيا الخطاب، عبد السلام حيمر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط١،٢٠٠٨.

١٢. مدخل إلى السيميولوجيا، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، نصر حامد أبو زيد، سيزا قاسم، دار التنوير للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

١٣. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت: محمد يحاتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ١٤٢٨-٢٠٠٨.

١٤. معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردو، دومينيك منغنو، ت: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز القومي للترجمة، تونس، ط١، ٢٠٠٨.

رثاء الامام الحسين عليه السلام في شعر أبي المحاسن الكربلائي

(دراسة فنية)

أ. م. د. حازم علاوي الغانمي أ. م. د. مسلم مالك الاسدي

كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وعلى اله وصحبه المنتجبين، وبعد:

تحاول هذه الدراسة تتبع ما جادت به قريحة الشاعر ابي المحاسن الكربلائي من ابداع في رسم ملامح الثورة الحسينية من خلال قصائد الرثاء التي تسطرت في ديوانه.

وتبعا لمقتضى البحث فد ضم اربعة مباحث اهتم الاول بدراسة الالفاظ التي تكررت في شعره والتي انمازت بوجهتها الفنية (الموت، والاعلام، والمكان، والزمان، والسلاح، ومن ثم دراسة الايقاع وعناصره التي استغلها الشاعر لعرض تجربته والتي احتاجت للجرس العالي لا سيما وانها قصائد كانت تلقى من على المنابر وامام حشود كبيرة كانت متجهة لزيارة الامام الحسين عليه السلام في اربعينيته. وهذه العناصر(التكرار، الجناس، الطباق، والتصدير) واهتم المبحث الثالث بدراسة الصورة الفنية في شعره ثم خاتمة بينا فيها اهم النتائج ومنها: تطغى في نصوص الشاعر ابي المحاسن الكربلائي كنايات تحقق في مضانها مدلولات الالفاظ دون ذكرها فمعنى الموت يطغى في بعض القصائد دون ذكره ولعل سبب ذلك التأكيد من قبل الشاعر ان مقتل الحسين تجاوز مفردة الموت الى ما هو اعلى واسمى الى الخلود والذكر الدائم والسبل المعبدة بالحق المتطلب والايمان الحقيقي.

The lamentations of Imam Hussein in the poetry of Abu Al-Mahasin Al-Karbalai - an artistic study

Prof. Hazem Allawi Al-Ghanimi Prof. Muslim Malik Al-Asadi

Faculty of Islamic Sciences / Karbala University

Abstract

Once the fifth of the Prophet Muhammad's household fell as a martyr in the battle of Karbala, incandescent flashes began to flow in the minds and hearts of poets, rhyming in pain and lamentations about every large or small details of those who were killed wrongfully.

Those poets muttered, shouted, and preached about the martyrdom of the son of Prophet's daughter, so it's not unusual that this tragedy to take the souls and pens of every author by storm, including the famous poet "Abu al-Mahasen al-Karbalai", who reminisced the injustice made upon Imam Hussein and family and companions with some of his long-lived poems.

The study was divided into four chapters, the first one was concerned about the words that were repeated in Al-Karbalai's poetry, while the second chapter was about studying the rhythm and its elements. The third chapter dealt with the artistic image in his poems, as for the fourth chapter, it focused on a conclusion about all the results made in the previous chapters.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وعلى اله وصحبه المنتجبين؛ وبعد:

ما أن سقط خامس اصحاب الكساء صريعا على رمضاء كربلاء حتى وبدأت تنساب في عقول الشعراء وخلجاتهم ومضات، تنشد وتشدوا نوحا وألما ورثاء تصف وتتذكر وتتحقق من كل صغيرة وكبيرة لمن قُتل،وتذم وتهجو وتبشر بالويل والثبور من قَتَل، تستذكر بقية الله وابن رسوله وابن علي وبضعة الزهراء واخي الحسن، نعم انه الحسين منارة الشعراء ونور الارض بؤرة العلم وولد المرتضى لذا لا نستغرب ان تلهج بقضيته السنة الشعراء واقلامهم ومنهم الشاعر ابي المحاسن الكربلائي الذي تذكره رثاءً ببعض قصائده فتذكر مقتله وموقفه الخالد من الظالم ورده عليه وتقديم نفسه فداء في سبيل رفعة دين الرب ولتعبيد السبل امام مريديه وشيعته فدرب الحق مقترن بالشهادة والفداء كل هذا بالبحث الموسوم رثاء الامام الحسين عليه السلام في شعر أبي المحاسن الكربلائي دراسة فنية.

وتبعا لمقتضى البحث فد ضم اربعة مباحث اهتم الاول بدراسة الالفاظ التي تكررت في شعره والتي انمازت بوجهتها الفنية، ومن ثم دراسة الايقاع وعناصره التي استغلها الشاعر لعرض تجربته والتي احتاجت للجرس العالي لا سيما وانها قصائد كانت تلقى من على المنابر وامام حشود كبيرة كانت متجهة لزيارة الامام الحسين عليه السلام في اربعينيته.واهتم المبحث الثالث بدراسة الصورة الفنية في شعره ثم خاتمة بينا فيها اهم النتائج فقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الاول: الالفاظ

ساير شعراء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في نتاجاتهم مضاني المدرسة القديمة بعصورها الزاهية وقلدوا في اعمالهم نتاجات تلك المدرسة ولم يخرجوا عنها الا ما ندر وعندما نتابع الفاظ الشاعر ابي المحاسن الكربلائي التي اجتمعت في قصائد الرثاء للإمام الحسين عليه السلام نجدها تخرج من المعين نفسه الذي تعاوره الشعراء القدماء من وصف للمآثر والتضحية والفداء ولكنه اختلف عنها في امر هو ابتعاده عن النواح والعويل بل كان يأخذ من الرثاء صفته الايجابية المتمثلة بالبناء ووصف اسباب النهوض وما حدث في تلك الملحمة الخالدة التي سطرها الامام واهل بيته وأصحابه في رمضاء كربلاء، ومن وفقها سيحاول الباحثان تتبع اهم الالفاظ التي اشتملتها قصائد الرثاء التي انشدها الشاعر ومحاولة سبر اغوارها وبيان اسباب اكثاره من بعضها دون الاخر للوصول الى الآلية التي بنى الشاعر منها نصه الابداعي لا سيما وان الالفاظ هي المرتكز الاول الذي يبني الشاعر منها ادبه وفنه[1] وهي المدار الذي يصنع منه الكلام واداة التواصل والبناء لأية لغة[2] وعند تتبعنا لشعره نجده قد اعتمد في بنائه على جملة من المرتكزات اللفظية التي جعلها الاساس الذي ينطلق منه لبناء النص واهمها:

١. الفاظ الموت:

على الرغم من كون الموت ظاهرة متكررة

ومعتادة، وحتى مع اكتشاف حتمية حصوله، فإنَّه كان وما يزال يؤدي إلى حدوث صدمة عميقة عند إحساس الإنسان باقترابه، فالإنسان لم يتقبل من دون مقاومة مشهد انفصاله عن الأرض وبهائها، أو انفصاله عن أحبابه وأصحابه[٣] او انفصالهم عنه لأي سبب كان لا سيما وان الموت يتلقفهم سراعا دون مقدمات تذكر او تمهيد.

وهذه المفردة ما انفكت تدور في الارض عامة و في بقعة العرب خاصة تجول في وديانها حاملة في طياتها الجيد والرديء الغني والفقير الطفل والكبير تجول سراعا من غير توقف حتى اصبحت لهول وقعها تستأثر بغرض شعري (الرثاء) يكاد يكتسب قدم السبق هو والمدح من الاغراض الاخرى للشعر لكثرة نزول هذا الخطب(الموت)، ولاضطراب هذه البقعة منذ امد غير محتسب. ولكوننا في حكم دراسة غرض الرثاء للإمام الحسين عليه السلام عند الشاعر ابي المحاسن الكربلائي سنحاول تتبع هذه اللفظة في طيات تلك القصائد المائزة وبيان كيفية ورود لفظة الموت او مرادفاتها وآلية ورودها الفني فيها ومن تلك الموارد التي ظهرت فيها دلالة هذا اللفظة تذكر فيها لحظات قتل الامام وطريقة مقتله وما حدث بعدها[٤].

ظمئان تنهل بيض الهند من دمه

فيستهل لها بشرا ويعتنق

دريئة لسهام القوم مهجته

كأنه غرض يرمي ويرتشق

لو ان بالصخر ما قاساه من عطش

كادت له الصخرة الصماء تنفلق

موزع الجسم روح القدس يندبه

شجوا وناظره بالدمع مندفق

فما رأى ناظرا من قبل طلعته

بدرا له من انابيب القنا افق

بين عطش يكاد يذهب بالكبد ويفتته وبين سيوف تنهل منه دما وبين سهام متطايرة ترتشق فيه غير محتسبة لمكان سقوطها وبين جسم قد تمزقت اوصاله بين نصال القوم وحرابهم يطوف الموت سراعا ليحقق تلبية الحسين لنداء ربه الاعلى ويرتفع بدرا لينير درب الاحرار في كل بقعة ومكان حتى فوق قنا القاتلين ومن لف لفهم فهو يكاد يطغى على الجميع بطلته الربانية الباهرة، حقق الشاعر كل ذلك واصفا حالة الموت حتى مع عدم ذكرها بمسماها الصريح ولكن النص يبرزها للعلن ولعل عدم الذكر كان مقصودا من لدن الشاعر فما قدمه الحسين عليه السلام يفوق هذه المفردة وقعا فهي عنده ربما تكون بوابة لشيء اعظم ومقصدا اسمى واهم انه الخلود.

وقوله[٥]:

حتى اذا جالت الخيلان صاح بهم

ضرب يطيش به المقدامة النجد

فاحجموا حيث لا ورد ولا صدر

والسمهرية في احشائهم ترد

ياعين لا تعطشي خدي فأنهم

قضوا عطاشا وماء النهر مطرد

ويستمر الوصف لحادثة الموت التي لم تصل اليه دون ان يأخذ من اعداء الاسلام ما كثر عده ولكنهم تعاوروا عليه وعلى اصحابه الاكارم لتنتهي القصة بالموت الذي رفت اجنحته على رمضاء كربلاء لترتفع من خلال صولته مئة وثلاثة عشر روحا بأجنحتها الى افق السماء تندب نفوسا شابتها افة الطمع والكره والبغي فقتلت ابن بنت نبيها طمعا بثواب الامير نعم لقد قضوا وتجرعوا كأس الموت ولكنهم اكتسبوا خلودا وعبدوا طريقا للحق لا تغلق امامه السبل طريقا جعلوه املا للسائرين في سبيل الحق في سبيل القضية في سبيل العيش الكريم.

٢. ألفاظ الاعلام:

تزخر قصائد الرثاء في شعر ابي المحاسن الكربلائي بجملة من الاسماء التي تشير بمعظمها الى ذوات لأعلام حقيقية لا تخرج في اغلبها عن اسماء اهل بيت النبوة واصحابهم وبعض اعدائهم عكس الشاعر من خلال تمازجها في متن النص شكل صاحبها وتصرفاته وافعاله حتى اصبحت رموزا تعكس الهيئات التي كانوا بها كما وصلت الينا من خلال كتب التاريخ وضمنها الشاعر في قصائه الرثائية ومما ورد منها ما وجد في قوله[٦]:

دعوتم حسينا للعراق ولم تزل

تسير اليه منكم الرسل والكتب

ان اقدم الينا يابن بنت محمد

فانك ان وافيت يلتئم الشعب

فلما اتاكم واثقا بعهودكم

اليه اذا مرعى وفائكم جدب

قصة معروفة ذكرها الشاعر بأبيات تكاد تطغى عليها صفة التقريرية المباشرة لا سيما في البيتين الاول والثاني ولكن بعض الشاعرية تظهر في البيت الثالث عندما وصف وفاء القوم وكانه مرعى فارغ لانبت فيه واسماء الاعلام هنا تكررت في النص بصفة الضمير الذي قصد به اهل الكوفة ودعوتهم المتكررة للإمام الحسين الذي تكرر اسمه مرة صريحا واخرى باللقب الاحب الى نفوس اصحابه (ابن رسول الله).

وقوله ايضا في ابيات يذكر فيها لقب الحسين وصلته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٧]:

كأنما رقمت آي السجود به

فكلما استله من غمده سجدوا

فحاولت عبد شمس ان يدين لها

قوم لها ابن رسول الله منتقد

بين اشارة من خلال قرينة كنى بها الشاعر عن الامام علي عليه السلام دون ذكر اسمه الذي دلت عليه اية السجود التي اقترنت باسمه والسيف الذي اقام بنصله دعائم الدين واسهم في توطين دولته بين شراذم الكفر. كما احتوى البيت الثاني اسمين الاول عبد شمس كبير بني امية وجدها الاكبر وبه تنتسب وهو اول من جارى العداء لسلالة النبي الاكرم ولأهل بيته عداء تغذى بعده واستفحل حتى حاق بأذاه شيعة ابن رسول الله ومريديه والذي جاء اسمه

في النص مكنى عنه بـ (ابن رسول الله) لكي يواصل في دلالته التوكيد على الحقد الذي عاش واستفحل في مشارب القو حتى انتقل إلى سلالاتهم والتي توجوا اعمالها بقتل خامس اصحاب الكساء وامام العصر وبقية المصطفى.

ومنها ايضا قوله مكنيا عن الانصار انصار الحسين (رضوان الله عليهم) ذاكرا منزلتهم التي لا تقل شأوا عن منزلة البدريين وان كانوا سباقين في نصرة بيت النبوة ولكن عمل اصحاب الحسين كان مشرفا تبوأ الانصار فيه مكانة الدارين شهادة الدنيا والصيت الطيب وخلود الاخرة في جنة الخلد يقول[٨]:

رجال صدق قضوا في الله نحبهم

دون الحسين وفيما عاهدوا صدقوا

وقام يومهم بالطف اذ وقفوا

بيوم بدر وان كانوا بها سبقوا

وقى اولئك في بدر نبيهم

وهؤلاء بهم آل النبي وقوا

ومن يتتبع ما استعمله الشاعر من اسماء بدائل يجد انه لا يخرج فيها عن دوائر اهل البيت واصحابهم وكذلك الفئة الثانية المناوئة لهم في الدين والسياسة ال شمس ومن لف لفيفهم وسايرهم في العداء لصفوة البشرية واشرف خلقها، كما نرى انها كانت تمور بشيء من المباشرة والتقريرية، ولكن الشاعر حاول في بعض المواضع اخراجها من ذلك بوساطة الابتعاد عن ذكر الاسم الصريح والذهاب الى ما يدل عليه من خلال القرائن والسياق.

٣. ألفاظ المكان:

يعد المكان جزءاً رئيساً من أجزاء العمل الفني، وعنصراً لا غنى عنه في التجربة الادبية[٩] فهي مسرح لكلمات الشاعر وموحياته، اذ إن كثيرا من مفردات لغته تنتمي مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى المكان[١٠] فهو جزء اصيل من الحكاية او الموقف او الذكرى، فالشاعر لصيق بالمكان وابن شرعي لأحواله[١١] يتغنى به مدحا او ذما حسب ما تفرضه الاحوال او الذكرى او الموقف.

لقد حفلت قصائد الشاعر ابي المحاسن الكربلائي بمدلولات المكان فأكثر منها على اختلاف انواعها سواء أكان الاسم بمعناه الحقيقي ام كان مكنى فيه عن موقف معين او حادثة ما ومنها قوله واصفا الارض التي عبر عنها بمفردة الثرى التي اغبر وجهها بفقد سيد البرية ومعدن الرسالة وقبس النور الذي استمد ضياءه من محمدﷺ ولكن زهت من خلاله جنان الخلد فها هو ربيع محمد وريحانته وخامس اصحاب الكساء وابن علي وفاطمة يلتحق بها مضمخا بعبير الشهادة مرفوعا اليها بدم النصر بالثبات بالخلود. يقول[١٢]:

واغبر من بعدهم وجه الثرى وزها

ببشرهم في جنان الخلد مرتفق

هنالك اقتحم الحرب ابن بجدتها

يطوي الصفوف بماضيه ويخترق

ومنها قوله[١٣]:

الطاعنين اذا ابطالها انكشفت

والمطعمين اذا ما اجدب البلد

في معشر ضربت فوق السماء لهم

ابيات فخر لها من مجدهم عمد

وصف لآل محمد فها هم ابطال الطعن وكاشفي الكرب واسود الهيجاء وحاملي الوية النصر، ومطعمي الناس في الجدب وفي الرخاء قوم لاجتماع الصفات الحميدة فيهم ضربت لهم في السماء مكانة لا يتعداها احد من البشر حفظت في لوحه الله المحفوظ وطافت حولها الملائكة محدقة مباركة لهذا التكريم الرباني.

الزمان

تتجلى العلاقة بين الزمان واللغة الشعرية «في مقدار استيعاب الجملة الشعرية لبحث الشاعر عن زمنه الجديد[١٤] فالزمان عنصر من عناصر البنية الكلية للقصيدة، لأنَّه «ليس زماناً خارجياً، بل ذاتي مؤثر ومتأثر بالذات الإنسانية، وببنية الكلام الفني»[١٥].

وعند تتبعنا لما جادت به قريحة الشاعر ابي المحاسن الكربلائي من منازل الزمان ومنطلقاته وما اثقل كواهل اهله من النوائب والمحن قوله[١٦]:

عدمناك من دهر خؤون لأهله

اذا ما انقضى خطب لنا راعه خطب

على ان رزء النائ يخلق حقبة

ورزء بني طه تجدده الحقب

دعاء بإزالة الزمان ورفعه من منازل الحياة لأنه دهر خائن تتسارع به المحن والنوازل واحدة بعد الاخرى تزيل تباعا أي فرحة مسروقة قد تحققها الايام ولكنها عابرة تكاد لا تحسب ضمن مدارج وقتها،، رزايا وآلام حتى مع عظيم وقعها ولكنها زائلة بتقادم الايام والسنين ولكن اين ذلك من الرزء الاعظم والالم الاكبر الم مقتل الحسين واهل بيته الاطهار على رمضاء كربلاء رزء تجدده الايام وتتناقله الاجيال لعظيم المصاب ولشدة الوقع والمصيبة التي افرغت ديار ال هاشم من رجالها وجعلتها قفر لا يسمع فيها سوى النحيب واللوعة.

ويقترب مما تقدم قوله[١٧]:

فيا يوم عاشوراء اوقدت في الحشا

من الحزن نيرانا مدى الدهر لاتخبو

قضى ابن رسول الله فيك على الظما

وقد نهلت منه المهندة القضب

تأكيد من الشاعر على قيمة الزمن وخلوده اذا ما مس في تباريحه ال محمد وما اصابهم فها هو العاشر يعود مرة اخرى ليشعل نيرانا ويوقدها في حشا مريدي اهل البيت واصحابهم نيران حزن لا تخبوا مهما تعاورتها الايام ومهما مرت عليها السنون والحقب كيف لا وقد قضى الحسين فيها شهيدا مظلوما محتسبا لربه اصحابه واهل بيته ممن سبقه الى الرفيق الاعلى.

٤. ألفاظ السلاح:

يعد الاهتمام بالحياة، والرغبة في جعلها آمنة

ومستقرة من أهم الأسباب التي جعلت الإنسان يفكر بالوسائل التي تحقق له ذلك[١٨] والسلاح بالنسبة للعربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني، فهو رمز للشجاعة، والقوة، والنخوة[١٩] ونتيجة لما ذكرنا، وبسبب الحروب المستمرة في هذه البقعة من الأرض (العالم العربي) فقد أصبح السلاح عنصراً ملازماً للفرد العربي، بل أصبح يشكل جزءاً من شخصيته.

ووردت الفاظ السلاح كثيرا في قصائد الشاعر لأنه في مدار وصف معركة شكلت لقصائده البؤرة التي انطلق منها فوصفها ومن اشترك فيها وما هي دوافعهم واسلحتهم التى كنى من خلال بعضها عن جلدهم وقوة قلوبهم التي وصفها وكأنها الدروع المسبغة التي لا تخترقها نصل السيوف ولا حراب الرماح يقول[٢٠].

ينهل في السلم والهيجاء من يده

وسيفه الواكفان الجود والعلق

تقلدوا مرهفات العزم وادرعوا

سوابغ الصبر لا يلوى بهم فرق

والصبر اثبت في يوم الوغى حلقا

اذا تطاير من وقع الضبا الحلق

ينهل الشاعر في النص من مدونة السلاح الكثير من الالفاظ التي يخرج في بعضها الى معان اخر فينهل السيف من الدماء جعلها مقترنة بالجود والكرم والدين في السلم وعلى سبيل الحقيقة الدماء في ساعة الهيجاء، جمال لفظي جمع فيه الشاعر بين متناقضات عدة لا تجمعها في النص سوى لفظة السيف وراحة اليد فحتى مع تلامسهما فهما يتغايران في العمل الجود من اليد والعلق (الدماء) من السيف الجود في السلم والدماء في الحرب الاول معنوي الاخر لفظي مشخص وكلها اكملت لغة النص ودلالته.

ومنها قوله محتذيا شيئا من بيت ابي تمام المشهور[٢١]:

السيف اصدق انباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

يقول متحدثا عن السيف واثره الكبير في حياته[٢٢]:

والسيف اصدق محبوبا وثقت به

ان لم تجد صاحبا في وده تثق

وامنع العز ما ارست قواعده

سمر الاسنة والمسنونة الذلق

فالسيف في الشطر الاول يشخص على سبيل الاستعارة وكانه حي مرافق صديق صدوق وصاحب موقف لا تقترب افة الخيانة منه ولا ترد في سبله، فهو حافظ للنفس مدافع عنها كما يرى الشاعر، وفي الشطر يكمل الشاعر ما بداه ليبني قواعد العز التي ستدوم دولتها ولا تنقض اركانها مادامت محفوظة تحت جناب سمر الاسنة والمسنونة الذلق حراب الرماح انها دعوة للعزم والاستعداد للبناء لجمع القوة ورفعة الهمم واقتباس الطريقة والسبل من المثل الاعلى وامير الشهداء الامام الحسين عليه السلام.

المبحث الثاني: الايقاع

يحد الايقاع في الاصطلاح النقدي «النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام، أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة»[٢٣] فهو يعد بمنزلة الدم الساخن الذي يبعث الدفء والتوتر داخل الشعر[٢٤] لما يمتلكه من عناصر جمالية موسيقية تحقق انجذاب القلوب والآذان للنص وللملقي ولما يتمتع به هذا المستوى من اثر في موسيقى الشاعر فسيحاول الباحثان تتبع اهم عناصره المتوافرة في قصائد الرثاء عند الشاعر ابي المحاسن الكربلائي متتبعا فيها النغمة التي وفرتها الموسيقى الداخلية للقصيدة من تكرار وجناس وطباق وغيرها ومعرفة مكامن الجمال التي حققتها في النص الرثائي الحسيني.

١. التكرار:

التكرار بأنه تناوب الألفاظ وأعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره[٢٥] مما يؤدي إلى تقرير المعنى وتأكيده في نفس المتلقي وتثبيته[٢٦]، والتكرار احد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها، بحيث نطلع عليها، أو هو جزء من الهندسة العاطفية للعبارة، يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته لإقامة أساس عاطفي[٢٧] بينه وبين المتلقي لشعره يعكس فيه من خلال التكرير بيان الاثر الذي ولدته الحادثة التي هو بصدد طرحها وبثها للعلن قال واصفا حال الشهداء والمحاربين عن الحق والعقيدة قبل وبعد موتهم[٢٨].

ولا بسين ثياب النقع ضافية

كأن نقع المذاكي الوشي والمزق

مستنشقين من الهيجا طيب شذا

كأن ارض الوغى بالمسك تنفتق

يكرر الشاعر لفظة النقع في شطري البيت الاول لبيان ما ترسب من دماء على الثياب بفعل جراح النصال والسيوف وما اصابها من رشقات السهام فأجسادهم حمراء بفعل الدماء وكأنها استأثرت بهذه المادة ومنحت السيوف مزق الملابس والوشي وكلها صورة افاد منها الشاعر في الختام لبيان جلد هؤلاء النفر وقوة بأسهم والتضحية التي قدموها للإنسانية والدين فاستأثروا برضى الرب وحازوا خلودا دنيويا في قلوب الناس وتملكوا الاخرة بحسن اعمالهم.

وقوله[٢٩]:

على ان رزء الناس يخلق حقبة

ورزء بني طه تجدده الحقب

حدا لهم ركب الفناء ابائهم

وسار بمغبوط الثناء لهم ركب

تكررت في النص ثلاث مفردات بين شطريه (رزء، وحقبة، وركب) وكل تكرار منها يكاد يصدح عاطفة وجمالا في الوصف ومزيدا في الاثر ومبينا لعظم العاطفة التي انسابت تباريحها في وجدان الشاعر فأخرجها نسمات وصف فيها من خلال التكرار عظم الالم الذي يشعر به فالمصاب العادي لأي من البشر شيء تتناساه الناس ما ان تمر عليه حقبة ينتهي

ويتلاشى ولكن عظم الرزية في الحسين واولاده واصحابه واثرها في البسيطة ومن يعيش في كنفها لا يمكن ان تزول بل ستتجدد مع الايام والحقب، لقد ركبوا الفناء واختاروا الشهادة اباء من ان يكونوا عبيدا بيد سلطان جائر فركبوا الموت ولكنهم تحصلوا من خلاله الثناء الدائم في الدنيا والاخرة.

٢. الجناس:

ويدخل ضمن ضروب التكرار التجنيس، والذي يعرف بأنه: اتفاق الحروف كليا أو جزئيا في الألفاظ بما يفيد تقوية النغم وتناسقه في البيت، ويعاضد المعنى الذي قصد إليه الشاعر، بما تثيره من تصورات موحية في مخيلة المتلقي[٣٠] وترد انواع الجناس الثلاثة في قصائد الرثاء في شعره (التام والناقص والاشتقاقي) بل نجد هذا العنصر يتسيد بقية العناصر الواردة في تلك القصائد لما يوفره من موسيقى منمقة حزينة احيانا واخرى تشع بالقوة والصلابة وتدل على العزم والانمياز الذي رافق صناديد اهل البيت واصحابهم في حلهم وترحالهم.

وعند تتبعنا لما جادت به قريحة الشاعر من هذا العنصر نجده يرد على ثلاثة انواع (التام، والناقص، والاشتقاقي).

ومما اتى منها على النوع الاول قول الشاعر[٣١]:

يمشون خطرا ولا يثنيهم خطرا

عن قصدهم وأنابيب القنا القصد

وافى بها الاسد الغضبان يقدمها

أسدا فرائسها يوم الوغى اسد

يجانس الشاعر بين خطرا التي هي بمعنى المشيء المتبختر عند الصولة والتوجه لطلب النزال والثانية الخطر الشدة والخوف من الاذى نعم انه يصف اسود الهيجا وملاعبي الاسنة وخير البرية حسبا ونسبا وشجاعة وحكمة تمكنهم من ان يتبوأ مكان القطب من الرحى لا يثنيهم وقع الموت وانيابه عن اداء حق الرب في عباده ورعيتهم حتى لو كان تحقيق ذلك وبالا ينتهي بالموت المحتم لكن المطلب بحاجة الى تضحية وفداء والدين بحاجة الى مقوم لاعوجاجه فلا بد من كبش فداء يقدم نفسه قربانا لله للشعائر للدين للإنسانية.

اما الجناس الناقص فيتمثل بقوله[٣٢]:

اذا عطلت اجيادها من حليها

تحلت بدمع سقطه اللؤلؤ الرطب

تعاتب صرعى لو يساعدها القضا

اذا وثبوا غضبى وعنها العدا ذبوا

يجانس الشاعر بين (وثبوا، ذبوا) تجتمع فيهما حروف ثلاثة وتختلفان في الحرف الاول ليحقق قيمة موسيقية متاتية من الترجيح الصوتي المتحصل من تكرار الحروف نفسها في الكلمتين مع اختلاف في حرف واحد وهذا ما يعطي النص انسيابية ايقاعية تسهم في وصوله بوصله موسيقية اخاذه الى القافية.

ويرد الجناس الاشتقاقي كثيرا في شعره ومنه قوله[٣٣]:

من يخلق الله للدنيا فأنهم

لنصرة العترة الهادين قد خلقوا

كـأنهـم يـوم طـافـوا محـدقـين به

محـاجـر وهـم مـا بـيـنـهـم حـدق

يـرد هـذا النوع من الجناس كثيرا في شعر ابي المحاسن الكربلائي يحقق عند وروده تموج صوتي ومعنى دلالي متطلب من قبل الشاعر الاول يتحقق بتكرير حروف الكلمة نفسها والتي تنبثق من الجذر نفسه (يخلق، خلقوا) والثانية اتت فعلا مضارعا يدل على الاستمرارية والتجدد والاخرى جعلها منتهية بالفعل الماضي لإثبات الامر فمن خلق للدنيا بحق هؤلاء سيكون عملهم نصرة ال محمد لا غير لا سيما ان الكلام هنا كما يظهر في وصف الملائكة ومن ارسل لنصرة الحسين ولم يتحقق لهم الامر فأصبحوا محدقين بقبره بناء على طلبهم والتماسهم الامر لرب العزة.

٣. الطباق:

تسري في شعر ابي المحاسن الكربلائي مجموعة من الثنائيات الضدية يطابق فيها بين معنيين او اتجاهيين متناقضين كما انها اسهمت في خلق تشكيلات صوتية داخلية منحت البيت الشعر لديه نغمة موسيقية خاصة تساهم في تنويع الموسيقى لديه وجعلها مشحونة بالعاطفة وشيء من اللوعة المتطلبة في قصيدة الرثاء احيانا ومن المواضع التي ورد فيها هذا العنصر قوله[٣٤]:

اذا دجـى لـيـل خـطـب او نـبـا زمـن

فاستشعر الصبر حتى ينجلي الغسق

فـكـل شـدة خـطـب بـعـدهـا فـرج

وكـل ظـلـمـة لـيـل بـعـدهـا فلق

فـلا يـغـرنـك عـيـش طـاب مـورده

فـرب عـذب اتـى مـن دونـه الـشرق

يطابق الشاعر في نصه بين دجى الخطب انزل ظلامه وسواده على البسيطة مع انجلاء الظلام مع اول تباريح انوار الفجر واشراقة الشمس بنور جديد بأمل قادم، نور الحرية الذي بدا يسري في دماء الثوار بعد ان عبد اليهم ابو عبد الله الحسين درب الشهادة والفداء،كما يظهر في البيت الثاني في لفظتي الشدة وبعدها الفرج والظلمة وبعدها الفلق لمتاهات الالم والحزن والسواد وتحقيق المطلوب من النهوض والثورة كما ان الطباق هنا ي اكثر من مفردة ساهم في احداث تنويع موسيقي تحقق من خلال تغيير التشكيلات الموسيقية بوساطة الالفاظ المتقابلة في المعنى والصوت فحققت له فضلا عن القيمة الصوتية دلالات جديدة.

ومنها ايضا وقوله[٣٥]:

فابعد بطيب العيش عني فليس لي

بـه طـائـل ان لم يـكـن بـيـنـنـا قـرب

الا في ذمـــام الله عـين تحـملـت

بـسـرب مـها للدمع في اثـرهـا سرب

(بعد وقـرب) بـدأت الشطر الاول من البيت بطلب الفراق ولكن معناه بقى متماهيا عن الفهم الا بعد ان وردت متضادة للمفردة الاولى اسهمت في رصد المعنى وبيانه انها القرب المتحصل من الحبيب واي حبيب مقصود انه حبيب محمد وحبيب العترة وحبيب امة انه الحسين عليه السلام.

٤. التصدير

هو كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسميه[٣٦] سواء أكان في فقرتي النثر أو في شطري بيت الشعر. وهو على ثلاثة اقسام هي:

ما وافق اخر الكلمة فيه آخر كلمة في نصفه الاول مثل قول الشاعر[٣٧]:

والصبر اثبت يوم الوغى حلقا

اذا تطاير من وقع الضبا الحلق

رسوا كأنهم هضب بمعترك

ضنك عواصفه بالموت تختنق

اذ وافقت كلمة الحلق (حلقات الدرع) مع حلقات الرجال استعدادا للنزال وهي مفردة تكررت لتأكيد المعنى ولإثبات صفة الشجاعة لهؤلاء الفتية الذين اجتباهم الله من خلص عباده ومريديه للوقوف في هذا اليوم وقفة الشرف والكمال فظلا عن ان تصدير الكلمة من الصدر الى العجز اسهم في رفع الاداء اللفظي وزيادة الطاقة الموسيقية في النص الشعري طاقة متحصلة عن طريق اعادة الاصوات نفسها والوصول بها الى القافية بجمال اخاذ استطاع الشاعر ان يناوب في الكلمة نفسها ويستعمل فيها الجناس التام على الرغم من انها كلمة واحده ولكن الساق الذي وردت فيه كان كفيلا بخروجها الى معنى اخر في العجز خالف المعنى المتوفر في الصدر وهذا من جميل ما يقال وينشد.

والقسم الثاني ما وافق آخر كلمة منه اول كلمة في نصفه الاول ومثاله قول الشاعر[٣٨]:

عشق الحسين دعاهم فاغتدى لهم

مر المنية حلو دون من عشقوا

تبرز قيمة الجمال في البيت عندما يقرر الشاعر ان يعمد الى اعادة مفردة العشق التي وردت في بداية الصدر في عجزه متوخيا الاثارة المتحصلة من ذلك ليشعرنا ان لهذا الصنيع غاية ما هي الطلب من المتلقي العودة الى الصدر واعادة النظر فيه وفي المراد منه فعشق الحسين جعل مر المنية حلوا كالشهد او الذ طعما منه، وهذا العشق جعلهم في موضع الباذل لكل شيء في سبيل ان يتحقق القرب من هذا المؤيد بالحب الرباني فلا حاجة للحياة بعده ما دام من عشقه قد ضمن له مكانا في جنة الخلد قريبا من معشوقه وولي امره وامامه المؤيد.

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه مثل قوله[٣٩]:

نعلل النفس بالوعد الذي وعدوا

اني وقد طال في انجازه الامد

ان كان غير بعد العهد ودهم

فودنا لهم باق كما عهدوا

يصدر الشاعر مفردة العهد التي وردت في عجز البيت مع العد الاولى التي وردت في الشطر الاول وفيه ايضا محاولة التكرير لكي يثبت عشقه مهما تغيرت الاحوال وتغيرت الانفس ويبدوا في النص شيء من الالتفات فالعهد الاول عهد بين الناس او الاحبة وعهده الاخر في العجز هو عهد لا ينقطع ولا ينقض لأنه عقد مع المعصوم مع الاحبة من ال بيت محمد صلى الله عليه وآله.

المبحث الثالث: الصورة الفنية

في أبسط معانيها رسم قوامها الكلمات، أن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن ان تخلق صورة، أو أن الصورة يمكن ان تقدم ألينا في عبارة او جملة يغلب عليها الوصف المحض، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئاً أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية[٤٠]. وفي هذا المبحث سنحاول تتبع اهم الصور الفنية التي احتوتها قصائد الرثاء الحسيني في شعره

١. التشبيه:

هو (عقد الصلة بين شيئين أو أشياء لا يمكن أن تفسر على الحقيقة لأنها لو فسرت كذلك لأصبح كذباً)[٤١] (ويلجأ إليها الشاعر ليزيد المعنى وضوحاً ويحرك الأذهان)[٤٢] يفيد منه الشعراء في عرض معانيهم بجمالية وتأثير، وقد وظّف الشاعر هذا الفن بأساليبه المختلفة لتصوير المعركة ومشاهدها، ومن ذلك استعمال الكاف في قصيدة يرثي فيها الحسين عليه السلام والمستشهدين معه قال[٤٣]:

مصالت كسيوف الهند مرهفة

فرندها كرم الأحساب والصيد

المرتقين من العلياء منزلة

شماء لا يرتقيها بالمنى أحد

يبدأ الشاعر بمديح الإمام الحسين عليه السلام والمستشهدين معه، إذ يصفهم بالسيوف الصقيلة المرهفة، ويحاول من خلال هذا التشبيه الولوج إلى الصفات الأخرى، إذ إن جوهر هذه السيوف هو الكرم والخلق العظيم والمراتب العالية، ومما يلفت الانتباه أن الشاعر خلط بين المديح وأدوات المعركة، فوظّف المصالت والسيوف للتعبير عن صفات إنسانية بحتة عن طريق الصورة التشبيهية، ومن التشبيه أيضاً صورة ينسجها الشاعر من الطبيعة باستعمال الفعل (تخال)[٤٤]:

تخال تحت عجاج الخيل أوجههم

كواكبا في دجى الظلماء تتقد

يتصدر فعل التشبيه البيت الشعري لينبه المتلقي ويلج به إلى الصورة التشبيهية البصرية فالشاعر يريد أن يعبر عن تقوى وشجاعة آل الحسين وأنصاره فمثلها بالنور الذي يتقد في الظلماء، موظفاً التضاد الحاصل بين (النور الظلماء)، ومن تشبيهه باستعمال الأداة (كأن) قوله[٤٥]:

كأن مرهفه والضرب يوقده

شمس الهجير وأرواح العدى برد

كأنما رقمت آي السجود به

فكلما استلّه من غمده سجدوا

يحاول الشاعر هنا وصف سيف الإمام الحسين عليه السلام في المعركة بتشبيهٍ مأخوذ بشكلٍ مباشر من الواقع، فالسيف يضيء من كثرة الحركة وانعكاس أشعة الشمس فيه، ومن شدته كأنه شمس الهجير (أي الشمس شديدة الحرارة) وأن أرواح الأعداء كأنها البرد (قطع الماء الجامد النازلة من الغيوم).

إن التضاد الحاصل بين البرد والشمس والمقارنة بينهما وفق قوانين الطبيعة تعطي للمتلقي تصوراً

كاملاً حول قوة المعركة وقوة الضرب وشدة ما أوقعه الإمام بأعدائه ويُكْمل هذا التصور بتشبيه جميل يكمن في البيت الثاني من خلال وصف السيف بآية السجود، حيث يسجد الأعداء كلما استُلْ، أضف إلى ذلك فإن الشاعر زاد من فاعلية الصورة من خلال التأكيد على استعمال الأداة (كأن) التي (تحمل معنى التخييل فلها من القوة ما يكفي بجعل التشبيه بها أسمى درجة من التشبيه بالكاف فمعها تخطو خطوة نحو التسوية بين العنصرين الأساسيين)[٤٦].

ومن تشبيهاته يصف الإمام شهيداً على رمضاء كربلاء[٤٧]:

قضى ابن رسول الله فيك على الضما

وقد نهلت منه المهندة القضب

وحفت به سمر القنا فكأنه

لدى الحرب عين والرماح لها هدب

يصور الشاعر للمتلقي لحظات الفاجعة وهي استشهاد ابن رسول الله في كربلاء، ويصوره بعد أن أصابته الرماح بأنه عين والرماح أهدابها للدلالة على كثرة الرماح وإحاطتها للإمام من كل جانب.

٢. الاستعارة:

تركيب يوصل المعنى للمتلقي إذ (يجمع بين المتخالفين ويوفر بين الأضداد ويكشف عن إيحائية جديدة لا يحسها السامع في الاستعمال الحقيقي)[٤٨] ويقول بعض البلاغيين بأنه أبلغ من التشبيه لما يمتاز به (من الإشارة بقليل اللفظ وحسن العرض وتوكيد المعنى[٤٩] استعمله الشاعر في قصائده الرثائية كقوله[٥٠]:

من معشرٍ ضربت فوق السماء لهم

أبيات فخرٍ لها من مجدهم عمد

يتكلم الشاعر هنا عن الإمام الحسين عليه السلام وآلِ بيته الأطهار، ويصف مراتبهم العالية من خلال الاستعارة التي يضمنها الشطر الثاني من البيت وهي (أبيات فخرٍ) و(مجدهم عمد)، إذ يشخص الشاعر الفخر والمجد بأشياء قريبة من واقع المتلقي وهي البيت وأعمدته ليبث فيهما الحركة والحياة ليؤديان الغاية، فالتشخيص (لون من الوان التخيل يتمثل بخلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية)[٥١]، ولزيادة قوة المعنى قصد الشاعر عامل المكان وهو فوق السماء، ليوصل المعنى بشكل دقيق للمتلقي.

ومن الاستعارة قول الشاعر أيضاً[٥٢]:

نفسي الفداء لشاك حرَّ غلته

والماء يلمع منه البارد الغدق

موزع الجسم روح القدس يندبه

شجواً وناظره بالدمع مندفق

والشمس طالعةٌ تبكي وغائبة

دماً به شهد الإشراق والشفق

يحاول الشاعر رسم صورة حزينة لموقف الاستشهاد في طف كربلاء من خلال توظيف أحد أركان الطبيعة، فيعبر عن مشاعر وعواطف إنسانية مثل البكاء ويقرنها بالشمس بتوظيف الاستعارة المكنية، الشاعر أفاد من ألوان الطبيعة كذلك ليعطي للمتلقي تصوراً أدق عن حجم الفاجعة، الشمس

تبكي بدل الدموع دماً ويشهد لها الشروق والغروب في ذلك، وتسمو الصورة وتزداد جمالاً وتأثيراً (كلما كانت أكثر ارتباطاً بشعور الشاعر وإحساسه الأصيل بالأشياء)[٥٣].

٣. الكناية:

تتمثل الكناية في (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع لهُ في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفهُ في الوجود فيوحي بهِ إليه ويجعله دليلاً عليه)[٥٤]، تتميز بـ((قوة الدلالة الوجدانية وكشفها من الجوانب الخفية من النفس الإنسانية أكثر من اقترانها بحركة الواقع المادي الذي لا يتطلب مزيد تأمل وقوة إستيحاء.ذلك أن الكناية تقوم على أساس تداعي الصّور)[٥٥]، وظفها الشاعر للتعبير عن مشاعره ومعانيه ومن ذلك ما قاله أيضاً في قصائده الرثائية في الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره كقوله يصف الكرم والشجاعة[٥٦]:

الطاعنين إذا أبطالها انكشفت

والمطعمين إذا ما أجدب البلد

يتضمن البيت صفتين هما (الشجاعة) في الشطر الأول، و (الكرم) في الشطر الثاني، وظفهما الشاعر عن طريق الصورة الكنائية، فالتركيب الأول يدل على الشجاعة ولكن في زمن لا يوجد فيه أبطال غيرهم، والكلام هنا يدل على أهل البيت عليهم السلام وخاصة في طف كربلاء بعدما تخلى عنهم الكثير، والتركيب الثاني يدل على الكرم في زمن الجدب لا غيره وتتكامل الصورتان في التعبير عن المعنى و (يتحول التعبير الكنائي في دلالته المتآزرة، ليكون وشائج متداخلة معبرة عن موقف متكامل)[٥٧].

ومن كناياته أيضاً[٥٨]:

واغبرّ من بعدهم وجه الثرى وزها

ببشرهم في جنان الخلد مرتفق

يحاول الشاعر رسم صورة مأساوية للحال بعد الفاجعة، ويستعمل الصورة الكنائية للدلالة على الحال الجديد، فوجه الثرى يغبر للدلالة على حالة من الحزن طغت على طف كربلاء ولكن سرعان ما يستبشر ويزهو لأنه سيرافق آل البيت عليهم السلام في جنان الخلد، ويدعم الشاعر الصورة الكنائية بالصورة الاستعارية في تركيب (وجه الثرى)، فالصورة الكنائية لم تكن مباشرة وفيها (إيهام، ولكنه إيهام ليس ملغزاً وإنما إيهام يحمل مفتاحه معه)[٥٩].

الخاتمة:

بعد ان وصل البحث إلى خاتمة المطاف تبين للباحثين جملة من النتائج كان أهمها:

١. تطغى في نصوص الشاعر ابي المحاسن الكربلائي كنايات تحقق في مضانها مدلولات الالفاظ دون ذكرها فمعنى الموت يطغى في بعض القصائد دون ذكره ولعل سبب ذلك التأكيد من قبل الشاعر ان مقتل الحسين تجاوز مفردة الموت الى ما هو اعلى واسمى الى الخلود والذكر الدائم والسبل المعبدة بالحق المتطلب والايمان الحقيقي.
٢. لم تحقق الفاظ الاعلام ما كان متطلبا منها فهي لم تقدم للنص شيئا يذكر وولدت فيه بعض المباشرة والتقريرية بسبب ان هذه الاسماء كانت تدل على ذوات حقيقية.

٣. حفلت مدلولات المكان بالكثير من الانفتاح النصي وبالمعنى الواسع فالمكان قد اتسع ليشتمل الارض جمعاء ولتصبح كلها كربلاء كلها الطف.

٤. اسهم الايقاع في رفع الاداء اللفظي وزيادة الطاقة الموسيقية في النص الشعري طاقة متحصلة عن طريق اعادة الاصوات نفسها والوصول بها الى القافية بجمال اخاذ استطاع الشاعر ان يناوب في الكلمة نفسها او بتكرار الجمل والاساليب من التحصل على موسيقى خلابة تأسر القلوب وتشد الاسماع وتحقق المراد منها.

الهوامش

(١) ينظر: في لغة الشعر: ٩١.

(٢) ينظر: بنية اللغة الشعرية: ٤١.

(٣) ينظر: الموت في الفكر الغربي: ٢٣

(٤) ديوان أبي المحاسن: ١٣٥

(٥) ديوان أبي المحاسن: ٤٩.

(٦) ديوان أبي المحاسن: ١٨.

(٧) م.ن: ٢٣٤.

(٨) ديوان أبي المحاسن: ٢٤٤.

(٩) ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: ٢٤٣-٢٤٤.

(١٠) ينظر: جماليات المكان: ٢٣١.

(١١) الاسس النفسية للتجريب الشعري: ٤٦.

(١٢) ديوان أبي المحاسن: ١٣٦.

(١٣) ديوان أبي المحاسن: ٤٧.

(١٤) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي؛ تلازم التراث والمعاصرة: ١٨٧.

(١٥) كتاب المنزلات: ٢ / ٣٢.

(١٦) ديوان أبي المحاسن: ٢٠.

(١٧) ديوان أبي المحاسن: ٢٣.

(١٨) ينظر: شعر الحرب عند العرب: ٥٠.

(١٩) ينظر : لغة شعر ديوان الهذليين: ٥٠.

(٢٠) ديوان أبي المحاسن: ١٣٧.

(٢١) ديوان أبي المحاسن:٢٣.

(٢٢) ديوان أبي المحاسن ١٣٦.

(٢٣) في الشعريَّة: ٥٢.

(٢٤) ينظر: اللغة الشعرية، دراسة في شعر حميد سعيد: ٢٢.

(٢٥) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

(٢٦) ينظر: لغتنا الجميلة: ١٦٣.

(٢٧) ينظر: البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع): ٢٤٩.

(٢٨) ديوان أبي المحاسن: ١٤٦.

(٢٩) ديوان أبي المحاسن:٢٧.

(٣٠) ينظر: موسيقى الشعر: ٤٥.

(٣١) ديوان أبي المحاسن:٦٠.

(٣٢) ديوان أبي المحاسن: ٢٥.

(٣٣) م.ن. ١٣٩.

(٣٤) ديوان أبي المحاسن: ١٤٤.

(٣٥) ديوان أبي المحاسن:٢٢.

(٣٦) ينظر: بديع القرآن: ٣٦.

(٣٧) ديوان أبي المحاسن: ١٣٨.

(٣٨) ديوان أبي المحاسن:١٤٦.

(٣٩) م.ن: ٥٥.

(٤٠) الصورة الشعرية:٢١.

(٤١) فنون بلاغية:٢٧.

(٤٢) دراسات بلاغية ونقدية:٤٤.

(٤٣) ديوان ابي المحاسن:٤٧.

(٤٤) م.ن: ٤٧.

(٤٥) م.ن: ٤٧.

(٤٦) خصائص الاسلوب في الشوقيات ١٤٧.

(٤٧) ديوان ابي المحاسن:٦.

(٤٨) الصورة الفنية في المثل القرآني:٢٠٠.

(٤٩) الادب والبلاغة:٤٧.

(٥٠) ديوان ابي المحاسن:٤٧.

(٥١) التصوير الفني في القرآن الكريم:٦١.

(٥٢) ديوان ابي المحاسن:١٣٧.

(٥٣) الصورة في شعر بشار بن برد: ٥٨.

(٥٤) دلائل الاعجاز: ٥٢.

(٥٥) الصورة المجازية في شعر المتنبي: ١٠٧.

(٥٦) ديوان ابي المحاسن: ٤٧.

(٥٧) فلسفة البلاغة: ٤٨.

(٥٨) الاسس الفنية لاساليب البلاغة العربية: ٢٣٠.

(٥٩) الاسس الفنية لايساليب البلاغة العربية: ٢٣٠.

المصادر والمراجع

١. الأدب والبلاغة: إبراهيم علي أبو الخشب مطبعة المعرفة–ط٢– القاهرة ١٩٥٩م.

٢. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبد القادر فيدوح، منشورات: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٢م.

٣. الأسس النفسية للتجريب الشعري، د. ريكان إبراهيم، مجلة (الأقلام)، ع (١١– ١٢) بغداد، ١٩٨٩م.

٤. بديع القرآن لابن ابي الاصبع المصري تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر.

٥. البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، علي الجارم، مصطفى امين، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران – إيران، ط٣، ١٤٢١ هـ.

٦. بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

٧. التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، القاهرة ١٩٥٩م.

٨. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د: ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د

٩. جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: ليون يوسف، وعزيز عما نويل، دار المأمون، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

١٠. ديوان أبي المحاسن، ودراسة عن حياته والاتجاهات السياسية في شعره، نوري كامل محمد حسن، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

١١. شعر الحرب عند العرب، نوري حمودي القيسي، دار الجاحظ للنشر، بغداد - العراق، ١٩٨١م.

١٢. الصورة الشعرية، سي دي لويس، ترجمة: احمد نصيف الجنابي وآخرون: ٢١.

١٣. الصورة في شعر بشار بن برد(عبد الفتاح صالح نافع) دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٣: ص٥٨.

١٤. في لغة الشعر، د: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، د. ت.

١٥. كتاب المنزلات، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد - العراق، ١٩٩٥.

١٦. اللغة الشعرية، دراسة في شعر حميد سعيد، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م.

١٧. لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم محمد علي المصلاوي، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٩٩٩م.

١٨. اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي (تلازم التراث والمعاصرة)، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط١، ١٩٩٧م.

١٩. لغتنا الجميلة، فاروق شوشة، دار العودة، بيروت، د. ت.

٢٠. الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ترجمة: كامل يوسف حسن، مطبعة الرسالة، الكويت، ١٩٨٤م.

٢١. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٥م.

المحور الثامن:

زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات

زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات

(نموذج العراق ولبنان)

الباحثة إيناس شريم

لبنان

الملخص

معركة هابيل وقابيل، بين الحق والباطل، معركة يومية، وكذلك كربلاء وقفة الحق ضد الباطل، ومن هذا نقول كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، فكل وقفة حق هي تأييد لكربلاء.

وإن أقل الولاء للإمام الحسين عليه السلام:

- ينبغي أن تقرأ وقائع عاشوراء بدقة وبالمقدار الذي جاء في كتب إبن طاووس والمفيد، وتبيان أحداثها وأهداف الإمام الحسين عليه السلام المتجسدة بكلماته الخالدة طلباً للإصلاح في أمة جدي، وقد قال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[1].
- كما ينبغي التركيز على أهداف النهضة الحسينية وربطها بقضايانا المعاصرة. الإمام الحسين عليه السلام أعاد إحياء الإسلام والدين المحمدي صلى الله عليه وآله ويجب الإستمرار على نفس النهج الذي سلكه، ولقد برزت العديد من الحركات الإصلاحية النهضوية في عصرنا الحديث في سائر أرجاء الكون، باستخدام كربلاء والإستمداد من قوتها وعزيمتها، حيث تشحن الهمم والنفوس والطاقات من هذه الواقعة، والعمل على شاكليتها لمواجهة كل أشكال الطغاة والإستبداد الذين يظلمون الشيعة والسنة والمسيحية....

من هنا فإن من أهم الأمور الحرص والمحافظة على هذه المواكب والمآتم التي تجمع الناس إلى بعضهم البعض لما لها من دور نهضوي وأهمية في وحدة الموقف في مواجهة وتحدي الظالمين.

- عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، هي الطريق الذي رسمه لنا لإصلاح المجتمعات والنهوض بالأمم، فلو كنّا جميعاً كربلائيين بكل المعاني والمفاهيم لسارت حركة العالم نحو الصلاح بشكل أسرع، ومهدت الأرض لظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه.

Visit the forty in international relations and dialogue of civilizations

(Iraq and Lebanon model)

Researcher Inas Shraim

Abstract

The battle between Abel and Qabil, between truth and falsehood, is a daily battle, and so is Karbala, the right stance against falsehood. From this we say every day Ashura and all the land of Karbala.

The least loyalty to Imam al-Husayn is:

You should read the events of Ashura accurately and in the amount that is mentioned in the books of Ibn Tawoos and the Beneficent, and to explain the events and objectives of Imam Hussein embodied in his eternal words for the sake of reform in a serious nation. He said: O people, the Messenger of Allah said: «Who saw you as an unjust, God is naktha to the covenant of God, and he did not change it by saying or doing anything that was really right for Allaah to enter into His entrance. "(1)

The focus should also be on the goals of the Renaissance and linking them to our contemporary issues. Imam al-Husayn has revived Islam and Muhammad's religion and must continue the same approach he has taken. Many reformist movements have emerged in modern times in the rest of the universe, using Karbala and deriving from its strength and determination, as it loads the minds, souls and energies of this incident. Its formality to confront all forms of tyranny and tyranny who oppress the Shiites, Sunnis and Christians.

Hence, one of the most important things to be careful and maintain these processions and mansions that bring people together because of the role of renaissance and importance in the unity of the situation in the face and challenge of the oppressors.

Ashura Imam Hussein, is the way he painted for us to reform societies and the advancement of nations, if we were all Karbalayany all meanings and concepts of the movement of the world towards goodness faster, and paved the ground for the emergence of time.

مقدمة

عند أول سهم غدر، إنطلق نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ومع دخول قرار التصدي للظلم والفجور إلى حيّز المواجهة المعلنة والمفتوحة، صارت كل كلمة وكل موقف، كل ذكر صلاة وجهاد ووداع وحادثة جرت في كربلاء. وضمن هذا الخط الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام تمثل علماً ومعلماً من أعلام الحق والعدالة والمقاومة والنهوض.

فمن دم الحسين عليه السلام وإشراقة وجهه وهو يكابد الموت وجلاوزة الطاغوت، ولدت شهادة الحياة. ومن يقين إيمان علي الأكبر عليه السلام بالحق الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام انبعثت أطروحة «أَوَ لسنا على الحق... إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا»، ومن سبي زينب عليها السلام ومواقف العز التي أطلقتها من سرّ الإيمان واليقين بالله...ما رأيت إلا جميلاً، إنتفضت العقيدة والإرادة. ومن عطش الأطفال نبعت أنهار الحزن، ومن موقف أم وهب نستمد نصرة أهل الحق، ومن بأس العباس عليه السلام ولد الإيثار والوفاء في قلب كل مقاوم، ومن تراجع الحر عن الباطل برز الموقف، ومن حبيب الشيخ الطاعن في السن، ومن خوض جهاد قاسم ووهب،ومن تضحية نافع واستعداده للفداء بين يدي أبي عبد الله عليه السلام. ومن كل العبر والتأثيرات والمواقف التي لا تجف ولأجل أن تكون الواقعة رمزاً إلى دلالات لا تتوقف. كانت زيارة الأربعين وإحياء الأمر لما لها من دور ووظيفة وديمومة.. وقد ورد في القرآن الكريم لمثل هذا النهج «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكُم».

كربلاء التي شكّلت منعطفاً تاريخياً في الشعب والجماعة، تلك المدرسة التعليمية التربوية الخالدة إلى الأبد التي تعلمنا شجاعة الجهاد والفداء.. تُعلمنا كيف نموت فنعرف بعد ذلك كيف نعيش ! لان من لا يختار طريقة موته لا يعرف طريقة حياته. جاءت زيارة الأربعين من الأوقات والأحداث التي برز فيها التدخل الإلهي بشكل واضح وجلَي، فالزيارة من الأيام التي تنير قلوب الناس بنور الواحد الأحد، النور الذي لا يقبل الظلم والذُل لأمته وقومه والذي لا يسكُت عن الحق، هذا النور الذي انبعث في قلب الناس منذ الواقعة، نور التحرر من الجهل والتخلف والتقاعس، وهو يقبل الإستمرار والديمومة بفعل الإحياء والزيارة التي توقظ في النفس كل عبر أيام الله.

أولاً: المعنى اللغوي والإصطلاحي للزيارة:

الزيارة، من الزَور، والزَورُ أعلى الصدر.

وزرت فلاناً: تلقيته بزَوري، أي بصدري، أو قصدتُ زَوره، أي صدره.

وزاره يزوره زوراً، وزيارةً، وزارةً: عاده، وزار فلانٌ فلاناً: مال إليه.

والزورة: المرة الواحدة.

ورجل زائر، وإمرأة زائرة، من قوم زُور، وزوَار، وزور. والأخيرة إسم للجمع.

والزَور: الذي يزورك، يقال: رجل زور، وقومٌ زور، وامرأة زور، ونساءُ زور، يكون الواحد والجمع والمؤنث والمذكر بلفظ واحد لأنه مصدر.

وقد تزاوروا: زار بعضُهم بعضَهم.

والتزوير: كرامة الزائر، وإكرام الزائر، وإكرام المزور للزائر، يقال زوَروا فلاناً: أي أكرموه، وقد زوَر القوم صاحبهم تزويراً، إذا أحسنوا إليه.

واستزاره: سأله أن يزوره.

وتطلق الزيارة ويُراد بها، عندما يبح عن حكمها، زيارة القبور غالباً.

وقد ورد في القرآن الكريم: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول»[٢].

إن يوم الأربعين هو اليوم العشرون من شهر صفر، وفيه وصلت عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، قادمين من الشام، وهم في طريقهم إلى المدينة المنورة. وسمي بـ«يوم الأربعين» لأنه يصادف مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: الزيارة وآدابها:

إن الزيارة نحو من أنحاء التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهي تؤكد على طبيعة فهم وتعاطي الإسلام مع ما يقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، ذلك أن الغاية المعنوية فيما يقرب إلى الله هي التي ينبغي أن تكون حاضرة ونابعة من تقوى القلب وحب الله، أي أن تكون تأدية الزيارة لمجرد أمر الله عز وجل، فالعبادة والطاعة لله، بحيث يكون إذا زار مع كثرة زائرين، فكأنه زار وحده دون الخلائق، فلا يكون ناظره وخاطره متعلقاً بغير رب العالمين، «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»[٣]. كما أن الشكل والأسلوب المعتمد شرعاً ينبغي أن يكون حاضراً في تأدية الزيارة.

ومن فضل هذه الزيارة كما روي عن أبي جعفر الطوسي عن مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس:

١- صلاة إحدى وخمسين.

٢- وزيارة الأربعين.

٣- والتختم باليمين.

٤- وتعفير الجبين.

٥- والجهر بسم الله الرحمان الرحيم[٤].

وحتى تستقيم الزيارة، فلا بُدَ أن تُغير من مواصفات الزائر النفسية والعقلية والأخلاقية، بل وأن تغير من قيم نظرته للوجود والحياة، كما تحدث تغييراً في علاقته مع الواقع، وسلوكيات علاقته بالواقع من حوله.

وإن إحياء الزيارة مناسبة شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه (رض) هو إحياء لدين الله سبحانه وتعالى. وقد ورد الأمر بأصل قيامة هذه الزيارة من قبل المعصومين عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا».

وجاء في الحديث بمورد طلب بإحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، بل إن وسيلة تأدية هذه الزيارة قد وردت في الأخبار والمواقف التي نقلتها سيرة النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام. إذ ليس المقصود بـ«أحيوا أمرنا» إلا تلك الرسالة التي صدع بها رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله رسول الرحمة، والأئمة الأطهار عليهم السلام. واعتماد أساليب التعبير التي حثَوا على إثارتها وتفعيلها بغية إحياء أمر الله، والتي ينبغي أن تكون معظمة بحيث تؤكد على مضمون التقوى في النفوس، ولا تفضي للتوهين بالزيارة أو التحلل من الإلتزام بها بل ينبغي أن تنضبط بجملة من الضوابط

الشرعية والعقلائية ليصدق عليها أنها أداء يشير إلى إتباع طريق الحق والعدالة والهداية، وإذا لحق أداء الزيارة ببعض الممارسات شوائب معينة فهذا لا يصح أن يكون سبباً في الحكم على أصل الزيارة ككل.

فعلى الحسينيين أن يعيشوا مشاعر التوبة إذ ليس في الآداب الإسلامية مقايضة بين الظلم والمظلوم، بل هي قرارٌ من قبل الظالم على تحسين وضعية علاقته بالمظلوم. فالمبدأ لا يقول أن الناس في الزمن الراهن يتحملون مسؤولية أخطاء قام بفعلها غيرهم في الماضي، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٥]، فإذا كان رد فعل في العمل على استنهاض كل المقومات للإلتحاق بركب قضية محقة وتجييش بكل الوجدان للثبات والإستقامة في سلوك درب تلك القضية، لأن القضية إذا امتزجت بالمظلومية صارت هدفاً إنسانياً سامياً، وصارت صراطاً عقائدياً توحيدياً.

فكل فرد في الإسلام يرتبط أولاً وبالأصل والأساس بالله مباشرة دون أية وسائط، وعندما يشعر بأنه بحاجة إلى معين وشافع فإنه يطرق باب أولياء الله متوسلاً بهم للوصول إلى الأصل. والإمام الحسين عليه السلام أعطى كل ما يملك لذا يعتبر معين الضعفاء في قضاء الحاجات. والإرتباط والتقرب بالزيارة متعلق بحب الله أولاً وحب الحسين عليه السلام ثانياً، أي لحب الله للحسين عليه السلام.

فإحياء أداء الزيارة ما هو إلا تحقيق للنهوض الإسلامي بإحياء الرسالة والعمل الجهادي لإحياء سنن العدالة والجهاد والإستشهاد للوصول الى حياة كريمة خالية من الذل والظلم والفساد.

فالزيارة ليست فقط الذهاب والمشي بل لها آدابها وأساليبها في الممارسة من تعظيمات الصلوات الخاصة والأدعية وقراءة نصوص الزيارة وقراءة القرآن الكريم، والإستشفاء بالحسين عليه السلام وشدة الحزن والبكاء والسلام على صاحب القبر ووداعه.

فمن أبرز الأمور المعنوية للزائر:

١. أن يزوره عارفاً بحقه عليه السلام محتسباً أمره إلى الله سبحانه تعالى، فعن أبي عبد الله عليه السلام «من أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له، عارفاً بحقه، يريد به وجه الله، والدار الآخرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٦].

٢. أن يحسّن خُلُقَهُ بعلاقته بالناس، بحيث يكون من علامات تدل على حسن تأثير والولاء للإمام في أخلاق الزوار.

٣. أن يجعل من الزيارة تجديداً للولاء للرسول صلى الله عليه وآله وللأئمة الأطهار عليهم السلام، لما فيه رضاهم ورضا الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، وذلك بالصدق والإخلاص والتهيؤء والإستعداد والجهوزية للإستشهاد لمثل هذه القضية التي استشهد الإمام الحسين عليه السلام لأجلها، والتهيؤ للنهضة الكبرى المنتظرة على يد إمامنا الحجة عجل الله فرجه.

٤. أن يزور حباً وشوقاً ولهفةً، فعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام «من أتى قبر الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الأمنين يوم القيامة»[٧].

كما أن أئمتنا الأطهار عليهم السلام لم يكتفوا بمجرد الدعوة والحث على الزيارة، بل هم قد مارسوا الزيارة بأنفسهم، كما فعل الإمام زين العابدين عليه السلام.

كما توضح رواية معاوية بن وهب منطلقات الزيارة والأهداف التي تحملها عندما استأذن

الدخول على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فأذن له فوجده في مصلاه يصلي فلما فرغ سمعه يناجي ربه ويقول عليه السلام: اللهمَ يامن خصَنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصَنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برَنا ورجاءً لما عندك في وصلتنا وسروراً داخلوه على نبيِّك وإجابةً منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدونا، وأرادوا بذلك رضاك، فكافئهم بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلقوا بأحسن الخلق وأصحبهم وأكفهم شرَّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشرَّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أمَّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهمَ إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً لهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيَرتها الشمس، وأرحم تلك الخدود التي تقلَّبت على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأبدان، وتلك الأنفس حتى ترويهم على الحوض يوم العطش الأكبر[٨].

وأيضاً هناك حديث يتناول مكان دفن الإمام الحسين عليه السلام وهو «الحائر»[٩].

عن أبي عبد الله عليه السلام: موضع قبر الحسين بن علي عليه السلام منذ يوم دفنه روضة من رياض أهل الجنة. وقال: موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترُع الجنة[١٠].

ويجب التأكيد على أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ارتبطت بزيارة أهله والأصحاب الذين استشهدوا بين يديه.

ثالثاً: تكوين الهوية الجمعية:

زيارة الأربعين هذه الظاهرة الفريدة، مناسبة تعتبر محطة للتزود بالقيم والمثل والنبل من أبرز الصفات التي تختص بالتطور والرقي للشعوب، كما أنها تشحذ الهمم والنفوس بالمعنويات التي تعتبر الغذاء الروحي لمواجهة التحديات والمشاكل، وهذا الغذاء يستمر معهم ويتحرك في دماء محبي الحسين عليه السلام ويدفعهم عند وجود أي ظلم أو طغيان، وإن ما نراه من حروب ونزاعات في المجتمعات وكيف إن فئة صغيرة تستمد القوة من هذا الغذاء وتندفع لمواجهة الطغاة والكفرة والمفسدين وتنتصر رغم قلة العدد والعديد. كما فعل الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الظلم والنفاق الديني والسياسي الذي كان يمارسه الحكم الأموي والتأسيس للوعي الإسلامي في حياة الناس الذين فتك بهم معاوية وأوصلهم إلى مرحلة الوعي المهزوم، وأقصد هنا بالوعي المهزوم، ذاك الوعي الذي يخنق أي قابلية واستعداد على مواجهة الواقع السيء، وخلق ظروف ومناخات نهضوية بديلة عن واقع التردي والإنحلال، بل يصل الوعي المهزوم إلى مرحلة فقدان الذاكرة التاريخية، والعقيدية، والتلبس بما يقدمه العنف والإرهاب النفسي والفكري لواقعة سلطة الجور والظلم، أي إخراج الأحداث من دائرة

العتمة إلى دائرة الوضوح في الصراع المفتوح أبداً بين الحق والباطل. ولأن السكوت عن يزيد ذاك الذي يرتكب الحرام جهاراً ونهاراً، صاحب العقلية المشبعة بالترف الجاهلي والثأر من رسول الله محمدﷺ، ودين الإسلام وهذا يؤكد على انتهاء الإسلام شكلاً ومضموناً. وخاصة أن الأمويين لن يتركوا الإمام حياً في مشروعهم القضاء على أصل الإسلام فكان لا بد من المواجهة الإستشهادية التي إن قتل فيها الثوار كانوا شهداء يشقون عهد نهوضي إسلامي واع وجديد، وإن إنتصروا فإنهم يؤسسون لفتح نهضوي يقوّم ما اعـوَجَّ من الدين والسياسة والأخلاق. وهذا يؤكد على أن هذه الثورة النهضوية الحسينية، لم تكن قبليةً واجه فيها بنو هاشم الأمويين، وإن عبَّر يزيد عن قراءة قبلية للصراع، وطلب السلطة حينما أخبروه بمقتل الإمام الحسينؑ حيث قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل[11]
لاستهلوا واستطاروا فرحاً
ولقالوا يا يزيد لا تشل
ما أبالي بعد فعلي بهم
نزل الويل عليهم أم رحل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من أبنائهم
وعدلناه ببدر فاعتدل
فبذاك الشيخ أوصاني به
فانبعث الشيخ في قصد سيل
لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل[12]

فالإمام الحسينؑ كان من أهم أهداف بثورته إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية التي حاول طمسها الأمويون بالتزييف والترهيب. وقد رسمت نهضته الإستشهادية في الوعي الإسلامي وتأكيد على الإلتزام بالأمر الإلهي بسيادة العدالة والحق في الحياة، ورسمت المواجهات الدموية، الصورة والقدرة والعظمة، رغم قلة العدد والعديد، الروحية والمعنوية التي ينبغي أن تتحلى بها كل الحركات النهضوية الإسلامية. وقد قال عندما هدده أحدهم بالموت قالؑ: «ليس شأني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه».

أفبالموت تخوّفني؟!هيهات طاش سهمك، وخاب ظنك، لست أخاف الموت، وإن نفسي لأبكر، وإن همتي لأعلى من أجمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي؟!

مرحبا بالقتل في سبيل الله، ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي، ومحو عزي، فإذن لا أبالي بالموت[13].

وهذه الأمور التي أفسحت طاقة هائلة على إحياء أمر الله رسوله محمدﷺ، وأمر الدين الإسلامي، وآل البيت الأطهارؑ. لذا الإحياء لزيارة المرقد الشريف (الإمام الحسينؑ) وشهداء كربلاء هو إحياءٌ مجبول بدم الحسينؑ وإيثار الصلحاء وجهد المجاهدين.

أيضاً لقدسية هذا المكان وخاصته، حيث تنزل الملائكة الذين يذكرون الله سبحانه وتعالى، ويزورون الإمامؑ الحسين كما الأنبياءؑ، يصبح الزائرون في وضع ذهني وروحي يؤهلهم الإلتحاق بهذه القدسية

العظيمة في مسيرة الكدح نحو الله سبحانه وتعالى. كما يخلق عندهم رؤية الإنتماء الذي يولد الهوية الجمعية السياسية العقائدية للولاء، هذا التغيير في الأنفس والتشكيل الجماعي لهوية الولاء الحضاري المستمر.

رابعاً: تداخل الحضارات بفضل الزيارة:

أ- مفهوم الحضارة والثقافة الإسلامية:

اختلفت التفسيرات وتنوّعت في تحديد كلّ من معنى الثقافة والحضارة على حدة، فلم يُجمع الباحثون على معنى واحد لكلّ منهما، كما درج بعضهم على المزج بينهما، مُعتبراً أنَّ الحضارة بمعناها الأثنوغرافي (أي ذو الصلة بوصف شعوب العالم) هي كلٌّ مترابط يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وأية قدرات وعادات أخرى مكتسبة من الإنسان كعضو في المجتمع، فيما يرى البعض أنها نظام مستنبط تاريخياً من أشكال الحياة التي تميل لأن تكون مشتركة من قبل أفراد أو مجموعة، على أن يتضمن اللغة والتقاليد والعادات والمؤسسات والمعتقدات والقيم المحفزة وتجسيدها في أدوات مادية[٤١]. فالحضارة هي المرحلة الأخيرة للثقافة وهي قابلة للتراكم وغير قابلة للنكوص والتراجع، أما أجزاء الثقافة فإنها فريدة وشديدة القابلية للتغيّر ولا تقبل الزيادة، ومما يلاحظ أن هؤلاء الباحثين يميلون إلى تغليب الجانب المادي للحضارة[١٥].

من ناحية أخ لا يقتصر الخلط على مفهومي الحضارة والثقافة بل يتعدى إلى مصطلحي الحضارة والمدنية[١٦]، فتُعرف المدنية بصورة قريبة إلى الحضارة باعتبارها رقة المعاملة والسلوك المهذب الذي ابتدعه سكان المدن ويساعد على ذلك ما تقدمه الصناعة من وسائل الراحة والترف في الحياة، كذلك تفرغ بعض الناس للعلوم المختلفة والفلسفة في حين ينشغل الآخرون بالإنتاج المادي، في إشارة إلى الجانب المعنوي للحضارة[١٧].

ومن خلال هذا الاستعراض للمفاهيم المختلفة للحضارة يمكن أن نضع تعريفاً للحضارة بأنها الجهد المادي والمعنوي الذي خلَّفه لنا الإنسان في منطقة معينة من معتقدات دينية وأدب وفنون وعلوم وقوانين وعادات وتقاليد وآثار مادية من بناء وصناعات غيرها، أما المدنية فيمكن القول إنها تركز على المعرفة الحالية والتطور العلمي والمادي.

على هذه الأساس الذي يدمج بين الثقافة والحضارة يمكن تعريف النهوض الحضاري العام بأنَّه يتناول الجانب الثقافي والحضاري في آن معاً، بحساب أنَّ الثقافة تحتوي الحضارة، والنهوض الحضاري العام يعني النهوض بالواقع الثقافي على نحوٍ يتجاوز المكان إلى العالمية الثقافية والحضارية، وتبيان مدى التعامل مع الخصوصيات الثقافية في الدعوة لتكريسها أو تجاوزها[١٨].

من هنا نستطيع أن نقارب المسألة الثقافية باهتمام، وبحث عميق في العديد من المسائل الحضارية والمشاكل الكامنة فيها، وأهمّيَّة الدين في حلّها، خصوصاً أنَّ مشكلة الحضارة في العصر الحديث لا تخصّ شعباً من الشعوب فقط، بل إنّها تعمّ جميع الشعوب المتخلفة والمتقدّمة، وهنا ينبغي التركيز على الثقافة الحسينية والحرص على الانطلاق بها إلى الثقافة العالمية المُستندة لمفهوم التطور والتحوّل، والحراك الفكري والعلمي الذي يرفض مناخ

التقوقع والانعزال والتعصب، مُستلهمين من القرآن الكريم أُسس هذه الثقافة ومن الرسالة المحمدية ﷺ، والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

فالكلام عن الثقافة الإسلامية من خلال محور الاهتمام الأساس، وهو الإنسان باعتباره الركيزة التي تكوّن المجتمع الذي بدوره يتطوّر ليؤسس حضارة لها وجود ملموس، تتفاعل مع الحضارات الأُخرى، وتُساهم في بناء الحضارة الإنسانية عموماً، فأنَّ الإنسان موجود عيني يختلف عن الموجودات العينية بحرية الاختيار، وهذا يدلّ على أنّ أفعاله تصدر عن تأصُّل وإرادة، ولو بصورة نسبية، وهو كائن اجتماعي يتفاعل تلقائياً مع بني نوعه، وهو يتأثّر إلى حدّ كبير بالموجودات الكونية المُحيطة به، وهي الطبيعة، وفوق كلّ هذا هو مخلوق لله خالق الكون والحياة، وتحكمهُ قوانينه وشرائعه بما لها من تأثير على علاقاته بالموجودات الأُخرى.

لذلك فإنَّ الفرد هو محور البناء الحضاري الإسلامي لكونه الأصل، بل مفتاح كلّ الأُصول لحقيقة أصل المُجتمع، وإنَّ تراجع الفرد وانزواءه وتقوقعه على نفسه ساهم في تراجع دور المجتمع الإسلامي بكلّ الأبعاد الفكرية والقيمية والإيمانية، ماساهم بدوره في تراخي مفاصل هذا المُجتمع، وفي تفكّك روابطه[١٩].

كما إنَّ الجانب الثقافي الإسلامي يرتكز على دعامتين هما:

الأُولى: المفهومات الإسلامية، ووظيفتها تكوين شخصية المُسلم عبر الأركان الثلاثة، وهي العقائد، والأعمال، والأخلاق، فالإسلام، ومن خلال هذه الأركان يجعل للمُسلم قاعدة فكرية تُعد أساساً لإيمانه وعبادته وحقوقه وواجباته ومُثُله الأخلاقية، وهذه المفهومات هي النقطة الأولى في الثقافة الإسلامية، وهي حجر الزاوية في بناء عقائد المُسلم وأفعاله وأخلاقه[٢٠].

الثانية: التعاليم الإسلامية، ومهمتها تزويد المُسلم بالثقافة في مُختلف أبوابها، فالعقائد والتشريع والتربية الخُلقية والأدب والفن والأمثال والقصص المُوجهة ملأت أفكار المسلمين وطوّرت عقولهم وهذّبت نفوسهم، وهذه الدعامة مُرتكزة إلى القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة[٢١].

ب- الثقافة الإسلامية والحسينية:

أولاً - تعريف الثقافة الإسلامية:

يمكننا تعريف الثقافة بأنَّها تتضمّن أبعاداً متنوّعة ضمن دائرة الأفكار والتعاليم والعقائد التي خرج بها الإسلام وحددها القرآن الكريم، وتُشكّل الحياة العقلية للإنسان أحد هذه الأبعاد، بمعنى اكتشافات وإبداعات العلوم في مجالات التشريع الحقوقي، والفلسفة، والعلوم، والأخلاق، وسائر الآداب والفنون، ما يجعلها تنفتح على جانبين لا يخلوان من أهمية كبيرة، لكون أحدهما ينطوي على بُعد نظريّ، والآخر على بُعد عملي تطبيقي، ولكنَّ الأهمّ من هذا كله هو أنَّ تحديد مفهوم الثقافة على هذا النحو لا يرتبط بالتفسير الغائي للثقافة، بمعنى ما يجب أن تكون عليه، وإنَّما ينطلق التفسير لهذا المفهوم من واقعها العملي لدى الشعوب، ما يعني أنَّ ثمَّة اعترافاً

بخصوصيات ثقافية نابعة من طبيعة التجربة التاريخية وظروفها الناشئة.

غير أنَّ هذا الاعتراف المتضمِّن، في مفهوم الثقافة، لما هو خاصّ لا يعني التّجمّد والانغلاق في إطار هذه الخصوصية، وإلا فليس ثمّة دعوة منفتحة على ما هو عام وكُلِّيّ، خصوصاً لدى المفكرين والمصلحين الذين تزخر أفكارهم ومبادئهم بما هو إنساني عام.

إنَّ الثقافة بهذا المعنى تحتوي على عناصر مادية ومعنوية مختلفة، وينبغي التناسق والانسجام بين دعامتيها أي بين المفهومات والتعليم التي من خلالها يمكننا تحديد المعالم الرئيسة للثقافة الإسلامية المحمدية، وهي:

١. الربانية: وهي أنَّ الثقافة الإسلامية المحمدية، تربط بين السماء والأرض وتوصل المخلوق فرداً وجماعة بخالقه، فتتصف بالربانية والقوة وترضي بهذه الصفة جميع مشاعر الإنسان من دون أن تكون هذه الصفة حائلاً بين العقل والتفكير الموضوعي في الكون، وفي مختلف مجالات الحياة العقلية، فالكون كلّه بأوضاعه ومجتمعاته وأفراده خاضع لقانون العلّة العامة[٢٢].

٢. الثبات: فالثقافة الإسلامية المحمدية، ممتدة الجذور إلى الكون وخالقه، وهذا ما يُكسبها صفة الثبات والأبدية، وظاهرة الثبات تنعكس على الحقول الدينية المختلفة في العقائد والأحكام وفي الأخلاق، ولها أثرها في تحقيق الهدف الرسالي الذي يوجب الثقة في النفس والقوة في الإرادة والإرضاء للعاطفة اللانهائية في الإنسان، لكنّ هذا الثبات لا يعني جمود الفكر أو عدم اجتهاد الرأي[٢٣].

٣. الدينامية: إنَّ الثقافة الإسلامية تُحرك الإنسان حركة دائمة نحو التَّقدُّم في مختلف مجالات التطوّر العقلي وتتحمّل كلّ جديد، وكلّ معرفة بقلب مشتاق، وتعتبرها سلوكاً إلى الله ومعرفة له وكمالاً للإنسان، وهي مرتكزة إلى حرية التصرُّف للإنسان[٢٤].

٤. الوحدة: ومعنى هذا أنَّ الثقافة الإسلامية في أي حقل تربط بين الأنشطة الثقافية في مختلف الحقول في وحدة منسقة تعكس في سمع المثقف السيمفونية الكونية، وتسبيح الموجودات عليها[٢٥].

٥. الشمول: أحد مميزات الثقافة الإسلامية هي الشمول وأتساع دائرة الموضوعات الداخلة فيها والمساحات التي تشغلها والتراث الثقافي الخطير الذي خلفته الحضارة الإسلامية لهو الدليل على ما كان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الإسلامية[٢٦].

إنَّ هذه النظرة التي تهتم بالعناصر والأجزاء المكونة للثقافة الإسلامية الطابع المادي والروحي والعقلي والإجتماعي تتوزّع بين طبقات ومستويات تشمل العبادات والقيم والتربية والبيئة والعلاقات والآداب وغيرها.

ثانياً- الثقافة الحسينية:

إن الثقافة الحسينية هي ثقافة الحق، والموقف الإنساني الجليل الرافض للظلم تُعد ذات الثقافة الإسلامية الصرفة، إنما كانت بمرحلة حاول فيها الأمويون أن ينحرفوا بالمجتمع عن الخط الذي رسمه النبي محمدﷺ وأهل البيت الأطهارعليهم السلام لثقافة

المجتمع، فجاء ترسيخ الإمام الحسين عليه السلام لهذا الخط المحمدي الأصيل، من إنطلاق رسالة القرآن، وتنبيه الناس من الغفلة عن هذا الطريق. هادفاً بخروجه لمواجهة الطغيان عملاً يصب في إصلاح الأمة والحفاظ على الدين الإسلامي. وقد قال «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

هذه الثقافة تتنامى بالإندماج بين المجتمعات قالباً وقلباً، لما تحمله قضية الإمام الحسين عليه السلام من رمزية وثقل قيمي هائل، هو موقع قوة ونقطة مضيئة في تاريخنا، وثورته هي الثورة الأنصع التي قدمت تضحيات للدفاع عن الحق ولإصلاح الإنسان، وبالتالي فهي قوة جاذبة في الإعلام الولائي.

فلو عرضنا بعض آراء المفكرين والباحثين غير المسلمين على سبيل المثال: ما قاله الباحث الإنكليزي «جون أشر»: في كتابه (رحلة إلى العراق): «إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الإستشهاد في سبيل العدل الإجتماعي».

وفي رأي آخر للكاتب الإنكليزي «توماس لايل» في كتابه «دخائر العراق»:... ولم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلىء بالحيوية في الإسلام، بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة، ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين...».

فالثقافة التي يحملها الزوار القادمون من كل بقاع الأرض من كافة الألوان، والأعراق، والجنسيات على أرض كربلاء تتجلى بالخلق الحسن والتهذيب، والإنضباط، هي تأكيد على الولاء والصلة والتقرب والحب لآل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، حيث نرى أن جميع هؤلاء ينطلقون من منطلق نفسي وجداني تسوده الرحمة لآل محمد صلى الله عليه وآله، التي يتماهى بها كل صادق مخلص في ولايته لهم عليهم السلام، وهذا التقرب والمناجاة، بدوره يفتح عقل الزائر على مصدر الرسالة، وعلى قيم الزيارة الحقيقي. وتصبح مناراً يضيء للناس دروبهم.

لأن الزيارة ليست سياحة أو سفراً عابر يراد منها تغيير الأجواء. وليست طقوساً جامدةً لا تحفل إلى العناء والتعب، وليست مبررات ووقود فتنة بين جماعة المسلمين، وليست مسوغات الرضوخ لحاكم، أو لمؤسسة تفتك بالإنسان تحت يافطة القداسة. أنها الحياة النابضة بالتفاعل بين الإسلام وأتباعه، إنها العهد المتجدَد بين النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من جهة، وبين من يوالون إحياء فيها، ومن مشروعية الأمر والحث، الذي أكده الأئمة عليهم السلام عليها، وهؤلاء نتيجة هذا الشحن الروحي الذي يبقى يتحرك في داخلهم عند إنتهاء الزيارة يشكل الدافع لمحاربة الباطل والفساد بكافة أشكاله في المجتمعات، هذا الغذاء الروحي هو ذخر لهم لإستمرار السير على النهج الحسيني، واليقظة الدائمة للحفاظ على الذكر المحمدي صلى الله عليه وآله، وبحفظه تحفظ الرسالة حتى ظهور الموعود الحجة المهدي عجل الله فرجه.

ثالثاً-دمج الثقافات والحضارات في زيارة الأربعين:

إن معالم تبيان الاستفادة من ثقافة الحضارات الأُخرى يصل إلى استنتاج، وهو أنَّ الإسلام يهتم

بتكوين ثقافة إسلامية مؤمنة للمسلم، ويفتح صدره لقبول الثقافات البشرية، ويرحب بكلّ حركة فكرية إيجابية، وكلّ تطوير عقلي سليم، فيقتبس هذه الثقافات، ويعتبرها من واجبات الإنسان المسلم في الحياة ورسالته في الكون.

ينطلق الإسلام مع الحضارة المتفاعلة من موقع القوة الجاذبية الحضارية، بل ينطلق من عنصر الثبات مهما علا شأن تلك الحضارة، فالإسلام يتحمل كل جديد، بل الثقافة الإسلامية تحرك الإنسان حركة دائمة نحو التقدم، غير إن عملية الاستيعاب للجديد ترتبط في جعل العناصر الثقافية المكتسبة متكاملة مع الإيمان بالله وبغاية الوجود والعروج نحو المطلق.

من هنا فإنَّ عملية التثاقف مع حضارات أخرى نجده أثناء زيارة الأربعين لا يشبهه أي تفاعل، يكون الأفراد مجردين عن المادة، بل ينحصر الإرتباط عندهم بالإيمان.

إذ لا يغدو الفرد واحداً منفرداً تحركه الغرائز والشهوات، ومنحصراً في بعده الجسماني، وإنما يشكّل الفرد مع غيره واحداً في جسد تتداعى أعضاؤه بالسهر إذا أشتكى فيه عضو واحد، وهو موجود بجسمه وروحه في وحدة متكاملة متفاعلة في حقل العقيدة والإيمان. (جسم واحد وروح واحدة وهدف واحد وشعار واحد «يا حسين») بعيدة عن كل الماديات، تخرق كل الحضارات لتشكل حضارة بحد ذاتها لها قواعدها وأسسها على مر التاريخ. بل تحمل أرقى وأسمى معاني الإنفتاح والحضارة والتقدم والإصلاح، حضارة الحرية والعدالة لما تشكله هذه الواقعة الإنسانية، في علاقات الناس وتعارفهم وتلاحمهم وهذا ينعكس بحد ذاته على تلاحم الشعوب وإندماجها مما يخلق هذا صيغ جديدة للتعاون بين جميع الدول.

إذن عاشوراء الحسين عليه السلام لا حدود ولا حواجز ولا تفضيل لأحد على أحد، إنها توحد البشرية نحو السلام والحق والتخلص من الآفات والفساد، إذ نرى فيها كل معاني ومظاهر التقدم الحضاري، أي ما جاء به الإسلام(الحوار والتعاون والتعايش والتعارف...)،لا وجود لنزاعات وحروب، كل القلوب والنفوس تأتي بقلب صاف،بل تُوظف كل النتاجات الإيجابية للحضارات معاً لأجل هذه الواقعة، ويعودون وهم يحافظون على هذه الثقافة الحضارية الروحية التي لا تفرق بين العربي والعجمي.

خامساً: تبادل الثقافات بين الشعوب من خلال زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام نموذج (لبنان والعراق)

أ. تعاون الزوار:

لقد وجهنا الإسلام إلى التفاعل مع العمل الجماعي، حيث يكون محط بركة الله كما يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «يد الله مع الجماعة»، ودعوة للتعاضد كما في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢٧] وتوجيهاً نحو التنظيم، كما في وصية الإمام علي عليه السلام «الله الله في نظم أمركم»، وإن مثل هذه المفاهيم نجدها تتجسد في زوار الأربعين، نرى العمل الجماعي، وتوزيع الأدوار والمهام وتنمية المجتمع دينياً وثقافياً، وكذلك طبيعة الإرتباط العقيدي والروحي الذي بدوره يساهم في تفعيل الحفاظ على ديمومة ومواصلة

الثقافة الحسينية، لما تشكله من سمة حضارية تفتقدها المجتمعات.

إن زيارة الأربعين هي معجزة بحد ذاتها تتجدد كل عام، فكيف لهذه الرقعة الجغرافية أن تستطيع إستيعاب هذه الأعداد دون أن تعاني من نقص في المياه لتلبية هؤلاء؟ أو كيف لا يفيض الصرف الصحي في هذه المدة القصيرة من هذا الكم الهائل من البشر؟.

وما هو السر الذي يعمل على ارتباط الناس بعضهم بالبعض الآخر، مشكلين هوية سياسية إعتقادية لم تستطع أي منظمة أو دولة أن تشكل مثلها عبر الأزمان؟.

هذه الزيارة بمضامينها المعلنة مستقاة مما دعا إليه واستشهد لأجلة الإمام الحسين(ع). إنها تاريخ يعيد نفسه كل عام وكأن الحدث ليس بماضٍ بل يعيشون المأساة والمواساة كأنها تحصل الآن، مستمدين طموحاتهم وآمالهم المستقبلية منها. هذه المدرسة العريقة التي أعطت ولا زالت تعطي جملة من المبادىء التي يتوجب الإلتزام بها، حيث يتوحد المسلمون ويتقارب العراقيون وتتضح بوادر ومظاهر الوحدة في الأنشطة المختلفة التي يباشر بها الشباب الحسيني وأهالي المدن العراقية فيستقبلون حشود الزوار من الداخل ومن بلدان العالم كافة، وهم يتوجهون إلى كربلاء المقدسة نحو ضريح الإمام الحسين(ع)، لإحياء مراسم الزيارة مساهمة ونصرة منهم للمبادىء التي ثار من أجلها أبو الأحرار.

وهذه الزيارة تعتبر من أهم مظاهر الديمقراطية العراقية بحرية ممارسة العقائد، بل هي عامل مساعد على التقارب فيما بينهم وبين الشعوب والمجتمعات الأخرى، بالأخص فيما يخص تبادل الثقافات وتوحيدها على هذه الرقعة المقدسة مثل نمو وإزدهار حالات التكافل، والتسامح، والتعاون، والقبول بالآخر، وإزدهار التنوع المجتمعي، مع توافر وحدة الموقف، والإلتزام بالضوابط التي تحفظ حقوقهم وكراماتهم، حيث يعمل الجميع على بذل العطاء بما في ذلك تأمين الأمن والحماية للزوار والسهر على رعايتهم وإستقبالهم، حيث يساهم آلاف المتطوعين للخدمات والإرشاد والمراقبة والإستطلاع.

وإن هذا العطاء والبذل لأجل هذه الواقعة ورمزيتها، وأهميتها ليس فقط على أرض العراق، إنما تعمل السفارات الممثلة للعراق في كافة أنحاء العالم على المساهمة والمساعدة للزوار الذين يريدون القدوم لإحياء الزيارة حيث توقع إتفاقيات التعاون بين العراق و مختلف الدول. ومن هذه الدول لبنان حيث يتم التعاون بين البلدين على تسهيل أمور الزوار الوافدين من لبنان إلى العراق لإحياء مراسيم زيارة الأربعين عبر تنسيق إتفاقيات تعاون بين شركات من كلا الدولتين بالعمل على تنظيم أعداد الزائرين وتسهيل أوراقهم القانونية لعبور الدولتين، وتأمين رحلات الطيران من الذهاب إلى الإياب.

واللافت أن السفارة العراقية تسمح لكل من يريد الذهاب لا تستثني المسلمين الشيعة فقط، بل كل من يريد إحياء هذه الذكرى العظيمة، هذا التعاون ليس فقط من الجهات الرسمية بل والأهلية إذ نشهد سنوياً خلال مدة زمنية محددة تنطوي في باطنها عدة نشاطات من مواكب، موحدة لخدمة

زوار الحسين(ع)، ويستمر التعاون بين كلا الشعبين أثناء وصول الوافدين اللبنانيين، حيث يتم تحويل الثقافة الحسينية من معناها وجوهرها العظيم إلى حيز الفعل الإنساني الملموس باليد والمرئي بالعين والمسموع بالأذن، حيث يتفانى الجميع في تقديم الخدمات للزوار وبأرقى صور الحضارة، إذ يستقبل العراقيون الزوار استقبالاً لم نرَ مثله بأي دولة في العالم عبر التاريخ، ليس فقط فتح بيوتهم للزوار وغيرها من الخدمات على أرض كربلاء، بل نرى البعض يغسل أرجل الناس التي تمشي إلى كربلاء، وأن المرء ليعجز عن وصف هذا الترحيب والإستقبال، أيضاً الزوار اللبنانيون يشاركون في تقديم الخدمة للزوار، فيصبح الزائر ضيفاً ومُضيفاً، وهذا يؤكد حالة التعاون والتكافل، ونشر ثقافة التسامح والسبق في العطاء المتبادل واللاعنف، مما يساهم في التلاحم بين أبناء الشعبين، وتبادل الثقافات والعادات الإيجابية. كالمبادرة من الجميع لتقديم الخدمات للغير من دون مقابل مادي أو مصلحي، وأن كل ما يفعلونه بنظرهم لا يُذكر أمام ما قدمهُ الإمام الحسين(ع) إذ ضحى بروحه. وينتج عن هذا تعميق النهج الإيماني، التحرري، التعاوني، المتسامح، بين عموم المسلمين وغيرهم بين هذين الشعبين. وهذه السمات الحضارية التي يفتقدها الكثير من المجتمعات الكبيرة والمتقدمة، رغم كلما توصلت من إختراعات وتأسيس أنظمة متطورة.

واللافت أن ظاهرة الأربعين هذه تزداد كل سنة من كل أقطار العالم لا سيما لبنان حيث بلغ عدد الزائرين في السنة الماضية عام ٢٠١٧ (٧١٧٩٧) زائراً بالتنسيق بين ٢٠ شركة سفر عراقية و٢٣ شركة سفر لبنانية. وهذا الرقم يُعد رقماً لايُستهان به بالنسبة للبنان البلد المتعدد الطوائف والمذاهب، والأبرز أن من الزوار اللبنانيين هناك عدد من المسيحيين. وهذا يؤكد أن الإمام الحسين(ع) إستطاع أن يكون عابراً للطوائف والمذاهب والملل وأن ثورته على الظلم والظالمين ستبقى خالدة ما بقي الدهر.

ب. دور الإعلام اللبناني في الزيارة الأربعينية:

أولاً: دور الإعلام:

إن الأهمية الكبيرة التي تحظى بها زيارة أربعين الإمام الحسين(ع) تأتي من إن هذه المسيرة تتميز بحركتها الإجتماعية الفريدة التي لا تشبهها حركة في مفاصل المجتمعات، وهي تُعد من أهم المنعطفات الثقافية في التاريخ.

فالإعلام يلعب دوراً هاماً في نقل المعلومات والأخبار وسردها وتحليلها، ومثل هذه الواقعة ينبغي أن تكون مورد عناية وتدقيق في معرفة حقيقتها وصدقيتها، بأصغر تفاصيلها وأكبرها، وليست مجرد سرديات لا علاقة لها بعقيدة الناس وحياتهم، بل هي مما يبني في نفوس المتلقين كل أبعاد العقيدة، والقيم، والأحكام الإسلامية بصورتها الحيوية والمتحركة، والمؤثرة النافذة في مرتكزات المجتمع الإسلامي، وهي بذلك تحمل هدفاً تاريخياً ومصيرياً. وإن أول إعلام نقل حقيقة ما جرى في كربلاء هما السيدة زينب والإمام زين العابدين(ع) في خطبهما التي أطلقوها بجموع الناس، والتي تخللها الكلام العقيدي، والوجداني، والسياسي الذي

فيه كل صنوف التحدي والثورة، والإستنهاض الممزوجة بالعواطف الجياشة، وما رافق هذه الخطب من نياحة، وبكاء وعويل وتفجُعات حصلت بين الناس المصغين إلى خطبهاعليها السلام. وكذلك أثناء انتقال آل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله من الشام فالعراق فالمدينة، وطريقة نقلهم للناس ما جرى مع الحسين وأصحابه وأهلهعليهم السلام.

وهنا لا بد من إبراز دور الإعلام في المثابرة والإستمرارية في نقل أحداث الواقعة، منذ تلك الأيام إلى يومنا هذا حيث نرى تنقل زيارة الأربعين كل عام، ويتم تغطية هذه الظاهرة من أغلب وسائل الإعلام المحترمة، وأقصد هنا بكلمة المحترمة التي تغطي كافة الأحداث في العالم ولا تتجاهل مثل هذا الحدث العالمي، كون مهمة الإعلام الحقيقية والخلاقة هي نشر الحقائق والأخبار والآراء عن طريق الوسائل الإعلامية، والهدف من النشر أو البث اللاسلكي هو تزويد الناس أو الجمهور بالمعلومات الصحيحة والصادقة،دون تلفيق أو إخفاء الحقائق مهما كانت طبيعتها وتأثيراتها، لكننا سنوياً نجد العديد من وسائل الإعلام تتغافل عمداً تغطية وعرض هذا الحدث الجماهيري الضخم، وفي مختلف أنحاء العالم العربي والغربي، وعدم تسليط الضوء عليه، رغم أننا نشاهد ونسمع طيلة أيام السنة،كيف تتم تغطية مظاهرة صغيرة لا تتجاوز المئات من الأشخاص في هونغ كونغ أو في فرنسا، أو أي تجمع صغير لعدد من الأشخاص في أي مكان من دول العالم، والمستغرب أن ملايين الأشخاص من كل الفئات العمرية (النساء والشيوخ والأطفال والشباب...) يتواجدون في هذا التجمع العلمي، دون تمييز بين اللون أو الجنسية أو المذهب أو... متزاحمين لبذل العطاء والمحبة، ومتوحدين بالهدف، مجسدين كل صفات السلام والخير في أدائهم، وكيف مثل هذا لا يتم بثه أو عرضه عبر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، فهي بحد ذاتها تعتبر مادة ثَرية لإنتاج الأفلام كونها أضخم ملحمة تاريخية شهدتها الكرة الأرضية، يفوق عدد الزائرين أضعاف المشاركين في مواسم الحج بمكة المكرمة، بل تتميز بمشاركة أشخاص من كافة المذاهب، فالسنة والنصارى والصابئة والإيزديون والمسيحيون يشاركون في تقديم الخدمات للزائرين معتبرين الإمام الحسينعليه السلام رمزاً للتضحية والعطاء والعدل عابراً للحدود والملل.

هذا بالحد الأدنى ما يجب على الإعلام المحترم عرضه بل السَبق في تغطية هذا الحدث، وهذا إن دلَ على شيء فإنه يدل على أن هذا الحدث لا يتناسب مع تطلعات الدول المهيمنة، التي تسعى لسياسة تمزيق الشعوب وإتباع سياسة فرق تسد، بل أن ثمة قوى سياسية تقف وراءها وتمتلك زمام التأثير في توجيه الرأي العالمي، من خلال هيمنتها على إدارة ماكنة الإعلام العالمي مدركين أن هذا الحدث يشكل خطورة بالتصدي للمشروع الصهيوني الأمريكي، المراد به تمزيق الشعوب في المنطقة، والسيطرة على ثرواتها وأملاكها، وبطبيعة الحال هذه المسيرة الضخمة التي ليس لها مثيل في المسيرات السياسية والدينية على مر التاريخ ولازالت، تشكل هاجس خوف لهذه الدول وغيرها، التي تحاك المؤامرات للشعوب، ولاسيما المتبعين لخط ونهج الإمام الحسينعليه السلام، حيث يشعرون

بأن هذه الأعداد الكبيرة لو وجهت نحو الطغاة والمفسدين الذين يهددون السلم الأهلي في هذا العالم،،لحكمت العالم برمته، ذلك لأن هذه الجموع تحمل فكر الحسين(ع)، والدليل أن هذا الفكر لم ولن يُطفأ مادامت البشرية، بل إلى يوم الدين، فالأعداد تكبر والحشود تتعاظم والإيمان يترسخ،والدافع هو الإلتزام بهذا الفكر والنهج الحسيني.

فمنذ الواقعة ما زالت المحاولات لطمس هذا الفكر والقضاء عليه، لكن نور الحق والعدالة والإيمان بالله الواحد الأحد والسير على خطى آل محمد(ص)، نراه يشع يوماً بعد يوم.

ثانياً: دور وسائل الإعلام الفاعلة اللبنانية في نشر الحدث لنشر الإستفادة من حركة مسيرة الأربعين وسماتها العلمية، من أبرزها:

١. تعمل الجهات المختصة أو الشركات التي تتكفل سير عملية الزيارة من الذهاب إلى الإياب، بالتركيز على إستقطاب الزائرين بأكبر عدد ممكن، وذلك عبر وسائل الإعلام التي يستخدمونها للإعلان عن برامجهم السنوية المختصة بزيارة الأربعين، وهي تتميز عن باقي الرحلات أو الزيارات لما تمثله من أهمية.

٢. الإعلان أن مدة الزيارة ليست محصورة بيوم واحد بعينه، وإنما تمتد أياماً معدودة، ليكون المجال مفتوحاً أمام كل من يرغب أن يسجل شعوره تجاه قيم الإنسان، التي تمثلت بمسيرة الإمام الحسين(ع) والمستشهدين بين يديه.

٣. تسليط الضوء على الدور الهام في تمثيل الجميع جسماً واحداً وشعاراً واحداً، وهذا الأمر تعجز عنه أي حكومة في الأرض، رغم تطور الأجهزة لديها والتقنيات والمحفزات، من أن تؤلف بين أبناء مدينة واحدة كما تؤلف ثورة الحسين بين كل الأديان والمذاهب والإنتماءات السياسية وغيرها.

٤. إبراز مبادىء الثورة الحسينية والعمق الأخلاقي في نفوس المجتمع، بتجسيد هذه المعرفة من خلال مسيرة الأربعين، التي تعكس إيمان هذه الجموع وجهوزيتها للتعامل مع القيادة الإلهية بكل وفاء وإخلاص.

لا يقتصر دور الإعلام اللبناني الذي يهتم بهذه الظاهرة فقط على الجهود في الإعلان عن الحملات، بل مواكبة الزوار على أرض كربلاء، حيث نرى أن المراسلين يرافقون الزوار، وينقلون الأحداث، وما يجري في هذه المسيرة الضخمة إلى العالم بشكل صادق وموضوعي وعلمي، لكن تتميز هذه التغطية أن هذا الكادر الإعلامي، لا يمكنه فصل العاطفة عن العلم، فنقل أحداث زيارة الأربعين، ليس كنقل أي معلومة أو خبر، فلا يستطيع أي شخص على أرض كربلاء إلا ويتأثر بهذه الجموع المليئة بالعواطف والحرارة والحب للإمام الحسين(ع)، وهذا بحد ذاته يولد شغف عند المشاهد لمعرفة كربلاء ومعرفة هذا الرجل الذي يجتمع الملايين حباً له.

كما ينبغي لفت الإهتمام بإعطاء حيز إلى الأبعاد الأخرى الجانبية، التي يقوم بها بعض الحملات، التي تبغي إستغلال هذه المناسبة للحصول على الأموال بشكل جنوني، وهذا لا يتناسب مع السمات العلمية

والأخلاقية لمبادىء زيارة الأربعين. ففي كل سنة تشهد الساحة اللبنانية تزاحماً بين أصحاب الحملات على كسب أعداد الزائرين، وإرتفاع التكلفة المادية للزائر الواحد، إلا أن هذا لا يغير الصورة عند محبي الإمام الحسين(ع)، حيث نرى أن الأعداد تزداد كل سنة.

نلاحظ أن هناك تفاوتاً كبيراً في أسعار الحملات لزيارة الأربعين، تبدأ من ٦٥٠ دولاراً، وتصل إلى ١٠٠٠ دولار، وكل ذلك يعتمد على مجموعة تفاصيل تتعلق بمستوى الخدمة التي تقدمها كل حملة، بما في ذلك مستوى الفنادق، عدد الكوادر، مرافقة مزور خاص إلى جانب البرامج الروحية.

وبالرغم من شكاوى إرتفاع الأسعار إلا أن الإقبال على الزيارة يشهد هو الآخر زيادة مضطردة، وهو الأمر الذي يتماشى مع منطقية القاعدة الإقتصادية الشهيرة «كلما زاد الطلب ارتفعت الأسعار».

ونجد أسعار الحملات قد واصلت إرتفاعها، متجاوزة حاجز الألف دولار، وربما إستغلال لقلة أعداد الفنادق الفخمة في العراق، عبر زيادة الأسعار، أمام الأعداد الهائلة، أو إستغلال أصحاب الحملات ذلك لجني الكثير من الأموال. والدليل لهذه الأخيرة أنه لماذا هناك من يقنع بربح لا يتجاوز ٦٥٠ دولاراً، فيما البعض يسعى لأكثر من ذلك؟!

الهوامش

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجرات ص ٤٩.

(٣) القرأن الكريم، سورية البينة، الآية ٥.

(٤) مصباح المتجهد ٧٨٧ :٢، عنه البحار٣٤٨ :٩٨، الوسائل٣:٤٢.

(٥) الأنعام: ١٦٤.

(٦) القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، دار الفقاهة، قم، ١٤١٧، ص١٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٨) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ١٢٥-١٢٦.

(٩) المراد بالحائر ما دار سوى المشهد، والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه، لأن ذلك هو الحائر حقيقة، لأن الحائر في لسان العرب، الموضع المطمئن الذي يحار الماء فيه، أنظر كتاب السرائر للعلامة الحلي، جامعة المدرسين في قم ١٤١٠ هـ.

(١٠) ابن قولويه، كامل الزيارات م. س، ص ٤٥٦.

(١١) كل ما رقق من الحديد من سيف أو سكين أو سنان.

(١٢) الأصفهاني كتاب، مقاتل الطالبيين، ص ٨٠.

(١٣) معهد تحقيقات باقر العلوم(ع)، كلمات الإمام الحسين(ع)، منظمة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦، ص ٣٦٠.

(١٤) بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م)، ص١٠٩.

(١٥) محمد جواد أبو القاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة: حيدر نجف، ط١، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص٣٩.

(١٦)بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، مصدر سبق ذكره، ص١٠٩.

(١٧)ول ديو رانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ج١، د.ط، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م)، ص٥.

(١٨)غسان فوزي طه، النهوض الحضاري في فكر موسى الصدر، ط١، (بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧م)، ص٩.

(١٩)محمد علي مهتدي وآخرون، المشروع الوطني والنهوض المُقاوم عند الإمام موسى الصدر، ط١، (بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧م)، ص٥-٦.

(٢٠)يعقوب ظاهر، مصدر سبق ذكره، ج١، ص١٣٦.

(٢١)المصدر السابق، ص١٣٨.

(٢٢)المركز العربي للمعلومات، المحاضرات، ج٩، ص ١٢.

(٢٣) يعقوب ظاهر، مسيرة الإمام السيد موسى الصدر، مجلد١، ص١٤٠.

(٢٤)المركز العربي للمعلومات، المحاضرات،ج٩، ص١٥-١٦.

(٢٥)يعقوب ظاهر، مصدر سبق ذكره، ج١، ص١٤٣.

(٢٦)المصدر السابق، ص١٤١.

(٢٧)المائدة: ٢.

البعد العالمي لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

أ.د. خليل حسن الزركاني

كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد

الملخص

إن عالمية الثورة الحسينية تجعلنا نأخذ من مناهجها الدروس والعبر، فتلك القيم الإيمانية مناهجٌ لتطور الفكر الإنساني نحو إرساء عالم متحضر متآخٍ خالٍ من الاستبداد والظلم والإرهاب.

إن زيارة الأربعين تكتسب بعدها العالمي من المشاركة المتنوعة للشعوب والأمم والطوائف،

إنها إجلال لكل مبادئ وقيم الثورة والنهضة الحسينية وتجسيد حي للولاء لها والبراءة من أعدائها.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على البعد العالمي لزيارة الأربعينية من خلال محاور متعددة أبرزها: عالمية الحسين واستحقاق الوعي الجماهيري زيارة الأربعين مثالاً، وتسجيل زيارة الاربعين على لائحة التراث العالمي، وزيارة الأربعين في عيون الغرب، وزيارة الأربعين في الصحف الغربية وزيارة الشخصيات الغربية إلى كربلاء للمشاركة في زيارة الأربعين، وزيارة الأربعين في منظور المثقفين الغربيين، والمواكب العربية والأجنبية التي شاركت في إحياء زيارة الأربعين، ثم الخاتمة.

١. عالمية الحسين واستحقاق الوعي الجماهيري، زيارة الأربعين مثالاً.

لم يفهم الغربيون الإسلام إلا من خلال توافد عشرات المستشرقين على البلاد الإسلامية خلال القرون الماضية، فدرسوا التراث والنصوص والمعالم، وعلى أساسها رسموا صورة معينة عن الإسلام وأحوال المسلمين، فدرسوا الحج وبحثوا في أمر البقاع المقدسة، كما بحثوا في القرآن الكريم، وأيضاً سائر مصادر العلم والمعرفة والأدب، كل هذا وغيره ساعدهم على إيجاد الطريقة الأفضل – بالنسبة لهم– للتعامل مع الشعوب الإسلامية.

٢. تسجيل زيارة الاربعين على لائحة التراث العالمي.

مع الاستعدادات التي تجريها العتبة الحسينية المقدسة لاستقبال شهرَي محرم وصفر، حيث سيتوافد الملايين من المسلمين لأداء زيارة عاشوراء وزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، كشف مركز كربلاء للدراسات والبحوث، التابع للعتبة الحسينية المقدسة عن سعيه لإدراج «زيارة الأربعين» على لائحة التراث العالمي في منظمة اليونسكو باعتبارها جزءاً من التراث العراقي.

٣. **زيارة الأربعين في عيون الغرب.**

قدمت لنا المجتمعات في كل مراحل العصور حضارات مختلفة، سجلت تقدماً في عدة مجالات، منها كانت عمرانية أو صناعية أو زراعية، بيد أنَّ هنالك بعض الحضارات في كل تاريخ العالم، قدمت لنا تقدماً في مجال العلم والفنون في مجالاتها المختلفة، لكن كل الحضارات قد أهملت الفرد بشكل خاص والاسرة بشكل عام.

٤. **زيارة الأربعين في الصحف الغربية.**

يُعدُّ تعامل الصحافة الغربية مع الشعائر الحسينية حديث العهد مقارنة بما كتبه وبيَّنه العديد من المستشرقين والاختصاصيين الغربيين في مجال تأريخ الإسلام منذ عقود، خاصة وإن انتشار هذه الشعائر وحرية إقامتها قد ظل حتى وقت قريب ما بين مد الحكومات الطاغية وجزر فترات التحرر التي تمر بها الشعوب المسلمة.

٥. **زيارة الشخصيات الغربية إلى كربلاء للمشاركة في زيارة الأربعين.**

قام ٧٠ أكاديمياً وفناناً وإعلامياً من ٢٢ دولة حول العالم بزيارة جماعية لطريق النجف – كربلاء للاطلاع على مسيرة الأربعين المليونية الراجلة باتجاه كربلاء باعتبارها أكبر تجمع بشري يشهده العالم.

٦. **زيارة الأربعين بمنظور المثقفين الغربيين.**

تعتبر زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام ظاهرة فريدة لم يشهد التاريخ الإنساني لها مثيلاً لا في الأديان السابقة ولا الأمم الغابرة ولا في العصر الراهن ولن تشهد الإنسانية مستقبلاً كظاهرة زيارة الأربعين أبداً.

٧. **المواكب العربية والأجنبية التي شاركت في إحياء زيارة الأربعين.**

اعتبر رئيس قسم الشعائر والمواكب والهيئات الحسينية في العراق والعالم الإسلامي إن الشعائر والمواكب الحسينية بدأت تأخذ الطابع العالمي من خلال مشاركة أغلب الدول الأجنبية والإسلامية والعربية بمواكب فعالة وضخمة في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

The global dimension of the visit of the fortieth Imam Hussein

Prof.Khalil Hassan Al - Zarkani

College of Islamic Sciences - University of Baghdad

Abstract

The universal values of the Husseiniya revolution make us take lessons and lessons from their curricula. These values are the means of developing human thought towards establishing a civilized and brotherly world free of tyranny, injustice and terrorism.

The visit of the 40th is gaining the global dimension of the diverse participation of peoples, nations and communities,

It is a tribute to all the principles and values of the revolution and the rise of Husseini and a vivid embodiment of loyalty to it and innocence of its enemies.

The purpose of this research is to highlight the global dimension of the visit to Al-Arbaeen through several axes, notably: the universality of Al Hussein and the merit of public awareness. The 40th anniversary of the visit, the registration of forty visits to the World Heritage List, the 40th visit to the West, To participate in the visit of forty, and the visit of the forty in the perspective of Western intellectuals, Arab and foreign processions that participated in the revival of the visit of forty, and then the conclusion.

Al Hussein and the public awareness, visit the forty example.

The Westerners understood Islam only through the influx of dozens of orientalists over the Islamic countries over the past centuries. They studied the heritage, texts and monuments, and based on this they drew a specific picture of Islam and the conditions of the Muslims. They studied Hajj and discussed the holy places as discussed in the Holy Quran. Knowledge and literature, all this and other help them find the best way - for them - to deal with the Muslim peoples.

Registration of forty visits to the World Heritage List.

With preparations for the holy month of Muharram and Safar, where millions of Muslims will flock to perform the Ashura visit and the 40th visit of Imam Hussein, the Karbala Center for Studies and Research, affiliated with the holy threshold of Husseiniya, As part of Iraqi heritage.

Visit the forty in the eyes of the West.

Societies in all ages have presented us with different civilizations, which have progressed in

many areas, including urban, industrial or agricultural. However, some civilizations throughout the world have made progress in the field of science and arts in their various fields. The individual in particular and the family in general.

Visit of forty in the Western newspapers.

The treatment of the Western press with the rituals of Husseiniya is new compared to what has been written by many Western Orientalists and specialists in the field of the history of Islam for decades, especially since the spread of these rites and freedom of residence has until recently been between the extension of tyrannical governments and the islands of periods of liberation experienced by Muslim peoples.

Visit Western characters to Karbala to participate in the fortieth visit.

70 academics, artists and media from 22 countries around the world visited the Najaf-Karbala road to see the 40-million-foot march towards Karbala, the largest human gathering in the world.

The fortieth visit of the Western intellectuals.

The visit of the forty Imam Hussein is a unique phenomenon that human history has never seen before, neither in the previous religions nor the ancient nations nor in the present age.

Arab and foreign processions that participated in the revival of the fortieth visit.

The head of the rituals and processions and the Husseiniya bodies in Iraq and the Islamic world considered that the rituals and processions of Husseiniya began to take on a global character through the participation of most foreign, Islamic and Arab countries in the effective and huge maneuvers in the 40th Imam Hussein.

المقدمة

في البلد الأكثر خطراً بسبب الإرهابيين التكفيريين، أمساخ الفتاوى المضللة والمعتقدات المنحرفة، والفكر الانغلاقي اللاإنساني الذي يعادي كل اعتقاد صحيح وكل رسالة إنسانية إسلامية تنبع من موارد النبع الصافي للقرآن والسُّنَّة النبوية السليمة.

في البلد الأكثر حاجة الى البنى والمرافق الأساسية من خدمات وطرق وجسور ومنشآت، تستفيق دروب العراق على مسيرات مليونية من حاملي رايات المحبة والسلام، وعشاق الحرية، ومنارات القيم والمبادئ من زوار الإمام الحسين.. الإمام الخالد في ذاكرة الشعوب والأمم والتاريخ.

مسيراتُ حبٍّ وولاء من كل بيت، من كل قرية، من كل مدينة، ومن شعوب العالم أجمع.

ملايين تزحف نحو كربلاء في كرنفال البراءة.. تتلاشى المعاناة، تتصاغر العوائق، تتهاوى الحواجز أمام ذلك الإيمان العقائدي بنهج الحسين عليه السلام ونهضته وثورته الخالدة..

بالرغم من كل ما يمنع المشاركة العالمية في زيارة الأربعين من معاناة – وعوائق – وتهديدات – ومخاطر – وحواجز – بكل أنواعها ومستوياتها..

بالرغم من كل ذلك يلتئم شمل الشعوب في حضرة سيد الشهداء عليه السلام ليمنحها عطاءه الإنساني والعقائدي والثوري.

إن زيارة الأربعين تكتسب بعدها العالمي من المشاركة المتنوعة للشعوب والأمم والطوائف.

إنها إجلال لكل مبادئ وقيم الثورة والنهضة الحسينية وتجسيد حي للولاء لها والبراءة من أعدائها.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على البعد العالمي لزيارة الأربعين من خلال محاور متعددة أبرزها، عالمية الحسين واستحقاق الوعي الجماهيري زيارة الأربعين مثالاً، وتسجيل زيارة الاربعين على لائحة التراث العالمي، وزيارة الأربعين في عيون الغرب، وزيارة الأربعين في الصحف الغربية، وزيارة الشخصيات الغربية إلى كربلاء للمشاركة في زيارة الأربعين، وزيارة الأربعين بمنظور المثقفين الغربيين، والمواكب العربية والأجنبية التي شاركت في إحياء زيارة الأربعين، ثم الخاتمة.

عالمية الحسين واستحقاق الوعي الجماهيري، زيارة الأربعين مثالاً

لم يفهم الغربيون الإسلام إلا من خلال توافد عشرات المستشرقين على البلاد الاسلامية خلال القرون الماضية، فدرسوا التراث والنصوص والمعالم، وعلى أساسها رسموا صورة معينة عن الإسلام وأحوال المسلمين، فدرسوا الحج وبحثوا في أمر البقاع المقدسة، كما بحثوا في القرآن الكريم، وأيضاً سائر مصادر العلم والمعرفة والأدب، كل هذا وغيره ساعدهم على إيجاد الطريقة الأفضل – بالنسبة لهم– للتعامل مع الشعوب الإسلامية وتحديداً الإنسان المسلم، ويعتقد البعض أن عهد الاستشراف قد طواه الزمان واستنفد أغراضه، بيد أن معطيات الواقع تشير الى أن الغربيين الذين يرون أنفسهم

رعاة الحضارة المعاصرة، ما يزالون يبحثون عمّا خفي عليهم من حقائق تتعلق بالحضارة والإنسانية، إن لم يكن تحت عنوان الاستشراق، فانه ربما يأخذ عناوين أخرى جديدة.

ومن أبرز الحقائق الكبيرة المتعلقة التي لم يتوصلوا بعدُ إلى صورة متكاملة لها هي النهضة الحسينية كحدث تاريخي ذي دلالات عميقة، وكثقافة وفكر تتبناه شريحة واسعة في الأمة يتمثل في إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ضمن شعائر وطقوس خاصة أيام عاشوراء وأيام زيارة الأربعين. لذا فإننا نلاحظ محاولات جادّة من علماء وأدباء وفنانين لفهم الدوافع لما يرونه من أعمال مذهلة خلال زيارة الأربعين – مثلاً– مثل المشي لمسافات طويلة صوب مرقد الامام الحسين عليه السلام، وتقديم مختلف أنواع الأطعمة وتوفير السكن والراحة وغيرها كثير.

هذه الظاهرة الثقافية لا تكشف لنا الآن حقيقة عالمية النهضة الحسينية، لأن البعد الإنساني في القضية كان الاشارة الاولى التي التقطها الغربيون سريعاً من أول يوم سمعوا فيه بخبر الواقعة، ربما قبل أكثر من ألف عام، إنما الجديد في الأمر الأبعاد الواسعة لهذه العالمية، ففيما مضى من الزمن كانت القضية في طيات الكتب المخطوطة، وفي أدمغة المستشرقين وأهل العلم والمعرفة، وهم معدودون في بريطانيا أو فرنسا – مثلاً– بينما اليوم تخترق النهضة الحسينية وأبعادها الانسانية مشاعرَ الاطفال والنساء وتفاصيل حياة الانسان الغربي، بل وأي إنسان في العالم بفضل التقدم في تقنية الاتصالات ووسائل الإعلام.

فعندما يسمع الانسان الغربي عن حادثة استشهاد الامام الحسين عليه السلام، في القرن السابع الميلادي، فإن المعنيين بأمر الثقافة في البلاد الغربية سيجدون أنفسهم مطالبين بملء هذا الفراغ الذهني الجديد بما يرونه مناسباً لهم، والإجابة عن التساؤلات وتقديم التفسيرات لما جرى، كما حدث تماماً بالنسبة للدين الاسلامي عندما وصل الى المجتمعات الغربية من خلال الكتب المترجَمَة والمطبوعات العامة وانتشار المبلغين وغيرهم، من ثم جاء دور السينما وفيلم «الرسالة» لتقريب الصورة أكثر الى الاذهان.

هذا التطور الجديد في أمر انتشار النهضة الحسينية الى العالم، يضعنا أمام استحقاق جديد لمواكبة هذا الانتشار بالوعي الكامل – ما استطعنا الى ذلك سبيلاً– بكل تفاصيل القضية، لأن الصورة الجديدة التي تنعكس من النهضة الحسينية ستحمل معها مشاهد الزحف المليوني للزائرين في الأربعين الحسيني، أو مشاهد المواكب الخدمية والتفاعل المثير للطفل والمرأة والمعوّق وغيرهم مع هذه الزيارة، ومراسيم العزاء أيضاً[1].

ورُبَّ سائل عن علاقتنا بما يفعله المصور الصحفي والكاتب والأديب والسينمائي من بريطانيا أو فرنسا أو أميركا أو أي بلد آخر، خلال تواجده في زيارة الأربعين؟ كما لو أن هؤلاء يجرون تغطية صحفية لمهرجان أو «كرنفال» يتعلق بالزهور أو الأزياء وما شابه ذلك، في حين أن مشاهد المشاة على الطرق الخارجية لمسافات بعيدة، وتقديم الطعام والدواء والسكن، والحضور الاجتماعي المتنوع، كل ذلك يشكل بالنسبة للزائر الأجنبي «المستكشف» جزئيات

وقطعاً صغيرة يصففها ليشكل منها الصورة التي يريد أن يفهم من خلالها النهضة الحسينية، أو السبب في الاهتمام المنقطع النظير بهذه الزيارة بالذات، وهذا يحتاج منّا أن نكون على درجة من الوعي بكل ما يتعلق بالنهضة الحسينية، بما يمكننا من الإسهام في تشكيل تلك الصورة بأحسن ما يكون[٢].

تسجيل زيارة الاربعين على لائحة التراث العالمي

مع الإستعدادات التي تجريها العتبة الحسينية المقدسة لاستقبال شهرَي محرم وصفر، حيث يتوافد الملايين من المسلمين لأداء زيارة عاشوراء وزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، كشف مركز كربلاء للدراسات والبحوث، التابع للعتبة الحسينية المقدسة عن سعيه لإدراج «زيارة الأربعين» على لائحة التراث العالمي في منظمة اليونسكو باعتبارها جزءاً من التراث العراقي.

في هذا الإطار صرح رئيس المركز عبد الأمير القريشي للموقع الرسمي «إننا نسعى الى تسجيل زيارة الأربعين في منظمة اليونسكو باعتبارها جزءاً من التراث العراقي وهناك من يدعمنا في هذا الموضوع، وهما وزارة الخارجية الايرانية والمستشارية الثقافية الالمانية».

وأكد القريشي، أن لدى مركزه تنسيقاً عالياً مع جهات خارج العراق في أوروبا وآسيا، مثل الجامعة الألمانية ومركز التراث الألماني.

ودعا مراكز الفكر إلى دراسة ظاهرة زيارة الاربعين من كافة النواحي الخدمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية بالإضافة الى الجانب العقائدي «لإدامة زخم الزيارة وتذليل العقبات أمام الزائر وترسيخ القيم الإنسانية التي أفرزتها هذه الزيارة»[٣].

زيارة الأربعين في عيون الغرب

قدمت لنا المجتمعات في كل مراحل العصور حضارات مختلفة، سجلت تقدماً في عدة مجالات، منها كانت عمرانية أو صناعية أو زراعية، لكن هناك بعض الحضارات في كل تاريخ العالم، قدمت لنا تقدماً في مجال العلم والفنون في مجالاتها المختلفة، بيد أنَّ كل الحضارات أهملت الفرد بشكل خاص والأُسرة بشكل عام. إنَّ تمزق المجتمعات وانحصار العلاقات بالمصالح فقط، كان عاملاً مهماً في تحطيم البنية الأساسية للمجتمع الغربي، حيث وصلت بهم الى الاجتماع مرة واحدة في السنة، في "الكرسمس" ذكرى ولادة المسيح، وإن الكثير من العوائل لم تحقق هذا الاجتماع لعدة سنوات. حيث أن العائلة التي تحقق اجتماعاً سنوياً تعد مترابطة، وهناك فرصة لمعرفتهم أحوال بعض والتقارب فيما بينهم، هذا ونحن نتكلم عن عائلة صغيرة، مستوى قرابتهم من الدرجة الأولى -أب وأم وأبناء- حيث وصل الحال الى إنشاء مؤسسات، وتوفير الأموال الطائلة لدعم ترابط المجتمع. إن تجمع الأُسرة في يوم واحد بالسنة شيء جميل وترابط أسري، فما بالكم بتجمع طائفة كاملة من مختلف جنسياتها وأعمارها وألوانها في مكان واحد ويوم واحد أو عدة أيام، بطريقة تجد فيها الأشخاص

يخدمون بعضهم البعض، ويقدمون الطعام والسكن ويبذلون كل ما لديهم؟

إن هذا يسمى ترابط وتعارف وامتزاج كل الاعراق في هذه الطائفة وينتج تقارباً فيما بينهم. هذه ما يدور في عقول الغرب عن زيارة الأربعين في العراق، حيث صدرت الكثير من التقارير حول هذه الزيارة، وسميت بأنها أكبر تجمع بشري في العالم، وذكرت التقارير أيضاً أنهم منظمون دون الحاجة للدولة لتنظمهم، وأشار آخر الى أنه أكبر مهرجان بالعالم، لكنه لم يأخذ حيّزه الإعلامي بعد، وأن مشاركة ملايين من الإيرانيين تعد رسالة سياسية لواشنطن. إن زيارة الأربعين هي رمز شيعي وعلامة فارقة تميز بها المسلمون الشيعة عن مسلمي العالم وباقي الأديان الأخرى، حيث أن هذه الزيارة بالأعداد الغفيرة التي وصلت لها الإحصائيات، لم تسجل حالة خرق تذكر أو حالات موت جماعية من التدافع أو الزخم السكاني، كما أن اهل العراق تميزوا بين كل شيعة العالم بأنهم مَنْ يقدّم الضيافة للزوار ويستقبلونهم في البيوت والحسينيات ويقدمون لهم الطعام مما جعل كل شيعة العالم تحب وتمتدح أهل العراق. لقد جعلت زيارة الأربعين ارتباط شيعة العالم بمرجعية العراق وشيعته، حيث أصبح العراق وجهة الشيعة في العالم ومقصدها، وهذا أخذ بعين الاعتبار عند الغرب الذي اعتبر أن هذا كان من أثر هذه الزيارة، وفاق الترابط بين هذه الشعوب موضوع الفرد والاسرة أيضاً، هنا كسبنا ترابطاً من نوع جديد، ترابط شيعي بين أقوام وأعراق من بلدان مختلفة تربطهم زيارة الاربعين والتشيع بحد ذاته، لم تحصد اي من الحضارات التي سبقت هذا النوع من التطور والتقدم صادق القيم في الشأن البشري.

زيارة الأربعين في الصحف الغربية

يعد تعامل الصحافة الغربية مع الشعائر الحسينية حديث العهد مقارنة بما كتبه وبيَّنه العديد من المستشرقين والاختصاصيين الغربيين في مجال تأريخ الإسلام منذ عقود، خاصة وإن انتشار هذه الشعائر وحرية إقامتها قد ظل حتى وقت قريب ما بين مد الحكومات الطاغية وجزر فترات التحرر التي تمر بها الشعوب المسلمة.

وإذا ما فرّقنا بين كتابات المستشرقين وتقارير الصحافة الغربية عن هذه الشعائر، فإننا سنجد أن هذه الصحافة أخذت طابعاً استكشافياً متأخراً للشعائر الحسينية، خاصة فيما يتعلق بوصف هذه الشعائر وشرح ما تعنيه وفق المفاهيم التي أقيمت من أجلها. فكيف ذلك؟

أ. صحيفة الاندبندنت البريطانية: أكبر تجمع عالمي

الكاتبة البريطانية ليزي ديدرين اكتشفت أن زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام هي أكبر تجمع عالمي، ولم يفتها إلقاء الضوء على الشعائر الحسينية، وعلى المخاطر التي تحدق بالزائرين القادمين إلى مدينة كربلاء المقدسة في تقريرها الذي جاء تحت عنوان «أكبر وأخطر تجمع عالمي للزائرين»، والذي نشرته صحيفة الاندبندنت البريطانية، خلال زيارة الأربعين التي جرت مراسيمها نهاية عام ٢٠١٤م.

أشـارت ديـدرن في تقريرها بـأن الملايين من الزائرين يعرّضون حياتهم للمخاطر قاطعين مئات الأميال نحو مدينة كربلاء المقدسة الواقعة على ٦٢ ميل جنوب غرب العاصمة بغداد، وذلك لتأدية زيارة الأربعين في ١٢ من شهر كانون الأول حيث مرور أربعين يوم على استشهاد الحسين بن علي وهو سبط نبي الإسلام محمد».

وأضافت: «الشيعة في العالم تقوم في هذا اليوم باستذكار واقعة كربلاء حين قام يزيد بقتل سبط النبي وجميع أصحابه بطريقة وحشية».

وأكدت ديدرن وجهة نظرها بأن «هذا التجمع الذي يحضره قرابة العشرين مليون زائر من أكثر من ٤٠ دولة يعد الأكبر في العالم»، مشيرة إلى الانتهاكات التي حصلت على زائـري كـربـلاء حيث قالت: «بالرغم من استهداف الزائرين وتعرضهم للقتل حيث انفجرت سيارة العام الماضي لتودي بحياة ٢٤ زائر وغيرها من الأحداث التي تحصد أرواح الكثير من البشر بالإضافة إلى تهديد العصابات الإجرامية المتمثلة بداعش باستباحة دم المسلمين الشيعة وإقامة الخلافة الإسلامية في العراق والشام، لكن الزائرين غير مبالين بما يحصل».

ب. الأندبندنت البريطانية: زيارة الأربعين الأكبر عالمياً

وصفت أكـبر صحيفة الكترونية في بريطانيا (الاندبندنت) زيارة الأربعين في العراق بأنها أكبر تجمع بشري في الكون، منتقدة طريقة تعاطي الإعلام الغربي مع هذه الزيارة المليونية.

وقالت الصحيفة في مقال لها: ان (هذا المحفل العالمي يفوق مهرجان «كوم ميلا» الهندوسي الذي يقام كل ثلاث سنوات، إضافة إلى انه تفوق على موسم الحج بخمس مرات).

وذكر كاتب المقال في الصحيفة الذي استهوته قصة الشاب الاسترالي الذي زار الامام الحسين عليه السلام ماشياً وأعلن إسلامه، بأن (ما يقدمه المتطوعون من وجبات غذائية مجانية يقدَّر بـ٢٠٠ مليون وجبة وهذا يفوق ما قدمته وزارة الدفاع الامريكية لضحايا زلزال هاييتي والذي بلغ ٤ ملايين وجبة).

وانتقد الكاتب (طريقة تعاطي الاعلام الغربي مع الزيارة «متهماً» إياها بتضليل الناس وتعمّدها إخفاء حقيقة ما يجري في العراق).

وأشار إلى أن (هذه الزيارة تستحق أن تدخل في موسوعة غينيس وتحصل على ثلاثة أرقام فهي أكبر تجمع بشري في الكون، إضافة لأكبر عدد متطوعين في العالم، فضلاً كونها أكبر مائدة في التأريخ "مبيناً أن" ما يجري في هذا التجمع يعكس الأخلاق العالية والتسامح ونكران الذات والذوبان في نصرة المظلوم وهذا هو الدين الذي جاء به النبي محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ومن خالفهم وحاربهم هم أنصار منظمة داعش الإرهابية)[٤].

ج. صحيفة هافينجتون بوست: أعظم تجمهر ديني على الأرجح لم تسمع به

ويستعرض مقال نشرته صحيفة هافينجتون بوست المتابعة في بريطانيا والولايات المتحدة تحت عنوان «أعظم تجمهر ديني في العالم يحدث الآن،

وأنت على الأرجح لم تسمع به»، يستعرض الأدلة التي جعلت من زيارة الأربعين أعظم وأكبر وأرقى تجمهر ديني في العالم، حيث يفوق عدد الزائرين عدد الحجاج بخمسة مرات.

ويستطرد المقال «إنه أهم من مهرجان «كوم ميلا» الهندوسي لأن الأخير يحدث مرة كل ثلاث سنوات. كما أن زيارة الأربعين تجري في أجواء أمنية خطيرة، وفي خلفية التفجيرات، ما يمثل تحدياً للإرهاب ورسالة إلى العالم كله.

ثم يذكر المقال قصة لرجل استرالي أسلم وتخلى عن ديانته الكاثوليكية وقد بدأت رحلته الاستكشافية بعد مشاهدة تقرير عن زيارة الأربعين الأولى بعد سقوط الطاغية في العراق عام ٢٠٠٣م، ومن خلال عرض مقارنات بين التجمهر المليوني في زيارة الأربعين ومشاريع دولية كبيرة مثل المساعدات التي قدمتها وزارة الدفاع الأمريكية لضحايا زلزال هايتي حيث تم توزيع ٤ ملايين وجبة طعام، بينما تم توزيع ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون وجبة في العراق خلال مدة الزيارة، وكل ذلك من نفقات الفقراء والخيرين.

فيطالب الكاتب بإدراج الزيارة في موسوعة الأرقام القياسية، وفي عدة خانات منها: أكبر تجمع بشري، أطول مائدة طعام في العالم، أكبر عدد للمتطوعين في حدث واحد، الخ.

ثم يوجه الكاتب انتقاداً للإعلام الغربي لتعاطيه المسيَّس مع القضية الحسينية ويتساءل كيف يتم تغطية مظاهرة صغيرة في لندن أو مسيرة لبضع المئات في هونغ كونغ أو تجمع محدود في روسيا ويتم غض الطرف عن أعظم تجمهر بشري سلمي في العالم حيث السيل الجارف من النساء والرجال والأطفال؟

ويعزو الكاتبُ التعتيمَ الإعلامي على زيارة الأربعين إلى عدم اكتراث الإعلام الغربي بالقصص الإيجابية الملهمة.

كما يشير إلى أن الزائر بإمكانه أن يجد في المشاة إلى الحسين قصصاً من الفداء والصبر والتحمل والعطاء وكل مفردات الخلق الرفيع ما يحتوي على مادة ثرية لإنتاج أفلام ضخمة، إلا أن هوليوود مهتمة بالشخصيات الخرافية أكثر من الأبطال الحقيقيين الذين يرسمون من خلال ظاهرة الأربعين أعظم ملحمة إنسانية.

ويختم الكاتب مقالته بالقول: إذا أردت أن تتعرف على الإسلام الحقيقي فعليك بزيارة الأربعين، فإنها مهرجان المثل والقيم التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم) خلافاً لما يقوم به شرذمة التكفيريين الذين يمثلون أولئك الذين قتلوا الحسين في عاشوراء، وإذا أردت أن تتعرف على جذور «داعش» فعليك بمعرفة أعدائه[٥].

ولم يغفل المقال تفصيلاً بسيطاً عن قضية الإمام الحسين عليه السلام وآلامه التي ألهمت عشرات الملايين إلى تبني قضيته والنظر إلى مصيبته على أنها مصيبتهم[٦].

زيارة الشخصيات الغربية الى كربلاء للمشاركة في زيارة الاربعين

قام ٧٠ اكاديمياً وفناناً واعلامياً من ٢٢ دولة حول العالم بزيارة جماعية لطريق النجف – كربلاء للاطلاع على مسيرة الاربعين المليونية الراجلة باتجاه كربلاء باعتبارها أكبر تجمع بشري يشهده العالم.

وقالت الإعلامية من أمريكا مارسيا هاشمي لـ«الجورنال نيوز» "أنا أمريكية وجئت هنا مع بعض الناطقين باللغة الإنجليزية للاطلاع ميدانياً على هذه المسيرة الكبيرة ولمعرفة جوانبها الانسانية والروحية".

من جانبه أكد الفنان الاميركي انبارك محمد لـ «الجورنال نيوز» "نريد أن نكون جزءاً من هذه التجربة لنعرف حقائقها"، مشيراً إلى أن "قيم الحسين الإنسانية تدعو الى العدل والحق والسلام يجب أن نستفيد منها في مواجهة خط الشر الذي ما زال موجوداً حتى الآن".

فيما بيَّن عضو اللجنة العليا للمشروع التبليغي الذي اطلقته المرجعية الدينية الشيخ محمد الكعبي لـ «الجورنال نيوز» ان "حضور الأديان السماوية معناه أن المسيرة تأخذ خطاً تكاملياً إنسانياً"، مضيفاً: إن حضور النخب من المفكرين في هذه المسيرة معناه انها تتجه بالاتجاه الصحيح، وأكد: إن الذي يقوم بدور الحصانة الاجتماعية والفكرية هي النخب الفكرية، والمؤسسة الدينية طيف من هذه الاطياف ولا يمكن اختزال الحصانة الفكرية والاجتماعية بالمؤسسة الدينية فحسب[٧].

وثمة فيلم أمريكي بعنوان «الأربعين العظيمة» عن مسيرة زيارة الأربعين بكلفة أولية ٢٠٠ مليون دولار، ومخرجة الفيلم تصل البصرة للمشاركة في المسيرة الى مرقد الإمام الحسين(عليه السلام)، وهي المخرجة الأميركية كاثرين بيجلو أول امرأة في العالم تنال «الأوسكار» إذ تصل البصرة للمشاركة في مسيرة أربعين الإمام الحُسين(عليه السلام) بغية الإطلاع عن كثب على المسيرة والزيارة ولمسافة ٦٠٠ كم مسير على الأقدام وتتعرف على واقع أكبر مسيرة سلمية في العالم والتي تُناهز الـ ٢٥ مليون مشارك «مسلم شيعي» وستتولى إنتاج الفيلم «شركة سوني بيكتشرز إنترتينمينت للإنتاج السينمائي العالمية» وهي من أكبر واشهر الشركات التي تعمل في هوليود، وخصصت ٢٠٠ مليون دولار كميزانية للفيلم.

وستكون برفقة المخرجة كاثرين، الصحفية والمونتيرة البريطانية ذات الأصول الجزائرية المستبصرة سارة بن باديس، التي كانت تعمل في بي بي سي الإنجليزية في المملكة المتحدة ومن ثم التحقت بشركة «سوني بيكتشرز إنترتينمينت للإنتاج السينمائي العالمية في هوليود»[٨].

زيارة الأربعين بمنظور المثقفين الغربين

تعتبر زيارة أربعين الامام الحسين(عليه السلام)، ظاهرة فريدة لم يشهد التاريخ الانساني لها مثيلاً لا في الأديان السابقة ولا الأمم الغابرة ولا في العصر الراهن ولن تشهد الإنسانية مستقبلاً كظاهرة زيارة الاربعين أبداً.

أ. تقول الكاتبة الإنكليزية فريا ستارك:

إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها على مسافة غير بعيدة من كربلاء جُعجع الحسين إلى جهة البادية، وظل يتجول حتى نزل في كربلاء وهناك نصب مخيمه، بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس إلى يومنا، هذا كما كانت قبل ١٢٥٧ سنة، وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء.

ب. ويقول المفكر والكاتب المسيحي المعروف أنطون بارا:

إن زيارة الأربعين يعجز الانسان عن وصفها، إن لهذه الزيارة سحراً إلهياً خاصاً يعجز العقل عن استيعاب فكرة ملايين من الناس يتركون منازلهم ويقطعون آلاف الكيلومترات قاصدين زيارة الحسين عليه السلام والتبرك بالشباك المقدس، والناس متحابين فيما بينهم لا ترى سوى الإحسان والخدمة الجميلة التي تزداد سنة بعد أخرى.

الكلام عن زيارة الأربعين يطول ويطول ولكنني سأختم المقال بمقتطفات من رواية تحت عنوان: ج.(على سور المدينة)، التي يعود تاريخ كتابتها إلى أكثر من مئة عام، وبالتحديد عام ١٨٨٨م، ومكان الحدث هو مدينة لاهور الباكستانية، والحدث -كما هو واضح وجلي- عاشوراء الحسين، ولكن المهم في الموضوع هو كون كاتب هذه السطور رجلاً بعيداً عن الثقافة الإسلامية، فهو ليس رجلاً هندياً، أو عربياً بل وليس حتى شيعياً، وإنما هو شاعر وروائي بريطاني حائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٧م. انه (روديارد كبلينغ)، حضر العديد من مواسم عاشوراء إبان الاحتلال البريطاني للهند، وكتب عنها في الصحف والمجلات، ثم كتب روايته: (على سور المدينة)، والتي تشكلت فصولها من مشاهداته تلك.

(لقد شكلت الشعائر الحسينية وثورة الإمام الحسين عليه السلام، مادة للبحث العلمي لدى الكثير من الدارسين والباحثين منذ القدم، فقد وجدوا فيها مادة تستحق البحث والتنقيب، فعمدوا إلى البحث عن المعنى والدلالة والأسباب، فانطلقوا من توصيف المظاهر إلى الغور في عمق المعاني المتجلية من هذه الشعائر، وكثيراً ما رأينا كتباً ودراسات لمفكرين وباحثين بعيدين عن الإسلام وعن التشيع، ولكنهم تكلَّموا بلسان من يفهم هذه القضية ويعيش تجلياتها، ويعاين عمق معانيها.

وليس ذلك بالأمر الغريب فثورة الإمام الحسين عليه السلام ليست حكراً على فئة أو طائفة، وإنما هي ثورة عالمية انطلقت من مدينة كربلاء وامتدت على طول خط الزمان و المكان، ولعبت

دوراً كبيراً ومؤثراً في الكثير من منعطفات التاريخ ومستجداته، وكان الحكام الظلمة يحسبون لها حسابات عديدة)[٩].

٨. المواكب العربية والأجنبية التي شاركت في إحياء زيارة الأربعين

اعتبر رئيس قسم الشعائر والمواكب والهيئات الحسينية في العراق والعالم الإسلامي أن الشعائر والمواكب الحسينية بدأت تأخذ الطابع العالمي من خلال مشاركة اغلب الدول الاجنبية والإسلامية والعربية بمواكب فعالة وضخمة في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، مبيناً أن هناك مواكب متميزة من خلال البعد التاريخي للمشاركة واخرى متميزة بعدد المشاركين وطريقة التنظيم.

ان هناك مواكب من دول أجنبية تأتي بشكل منفرد من بريطانيا وأمريكا وآذربايجان الى كربلاء واما الدول التي فيها أعداد قليلة تشارك بموكب واحد مجتمعة، مبيناً أن من المواكب الاجنبية التي تكون متميزة جداً في كل عام هو موكب ألمانيا الذي ينزل بعدد يتراوح بين (١٠٠٠-١٥٠٠) شخص فيهم من اصول عراقية ومستبصرين والقسم الآخر من اصول المانية. وأضاف السلمان ان أغلب الدول الاسلامية تشارك في هذه الزيارة المليونية فلإيران وضع خاص من ناحية تاريخها ومشاركاتها القديمة والجديدة والآن أصبحت المواكب الإيرانية أكثر والزائرون الايرانيون يصل عددهم الى الملايين، بالاضافة الى مواكب من استنبول في تركيا ومن باكستان وافغانستان والهند ودول افريقيا مثل كينيا وتنزانيا وساحل العاج. وأشاد رئيس قسم الشعائر والمواكب والهيئات الحسينية في العراق والعالم الاسلامي بدور الدول العربية التي شاركت اغلبها بمواكب كبيرة منها لبنان وسوريا وجمهورية اليمن العربية وكذلك دول الخليج، مبيناً أن أعداد المواكب والزائرين من السعودية والبحرين كان هو الأكثر ووصل عددهم الى (٧٠-٧٥) الف زائر من كل دولة، فيما أشار الى ان سلطنة عمان كانت هي الأكثر مشاركة تاريخياً حيث تمتد مشاركتها في المواكب الحسينية الى أكثر من قرن من الزمن وأن موكب جمهورية مصر العربية كان هو الموكب الأكثر تميزاً من الناحية التنظيمية وكذلك عدد المشاركين[١٠].

الخاتمة:

١. دعوة الشخصيات الإسلامية من كل أنحاء العالم الإسلامي لمشاهدة زيارة الاربعين.
٢. تقديم التسهيلات للزوار الأجانب والعرب للوصول الى كربلاء يوم الزيارة الحسينية.
٣. العمل على إيجاد قناة تلفزيونية تعمل على نقل مراسم الزيارة الحسينية.

الهوامش

(١) متاح على الموقع http://www.alhodamag.com/index.php/post/1348

(٢) متاح على الموقع http://www.alhodamag.com/index.php/post/1348

(٣) متاح على الموقع http://alwaght.com/ar/News/

(٤) متاح على الموقع https://al-ahd.net/2016/11/13

(٥) متاح على الموقع http://al-http://al-serat.com/content.php?article=898&part=maintable

(٦) مجلة الروضة الحسينية، العدد ٨٣.

(٧) https://www.aljournal.com/

(٨) http://www.akhbaar.org/home/2016/10/219729.html

(٩) http://www.alhikmeh.org/news/archives/117438

(١٠) http://www.non/

زيارة الأربعين مثالٌ لحوار الحضارات الانسانية

الباحثة ابتسام سلمان عبد السادة الشحماني

الملخص

حينما تصل الكتابة عند أسوار ظاهرة زيارة الاربعين المباركة محولة تقديم وصف او تفسير لبعض اشكال ومضمونات هذه الظاهرة الاسلامية والانسانية المباركة..فأن اللغة تعلن ـ بكل شجاعة ـ عن عجزها التام عن اقتحام مثل هذا الموضوع الخطير، ذلك ان الضاهرة المذكورة فوق آليات الوصف والكشف، ومستوياتها اعمق من امكانيات الغوص البياني والتجسيد اللغوي. لهذا ولغيره، سوف نبذل ما بوسعنا عبر هذه الورقة المتواضعة تقديم ما يمكن التقاطه من دلالات ومعاني مختلفة تجسدت في زيارة الاربعين.. ليكون فيها ((الفكر العقيدة التضحية الانسانية.....)) هي التي تُزار اكثر من زيارة المادة والجسد والمرئي والملموس....، فعند هذه الزيارة الاربعينية تصبح الزيارة للأحياء اكثر منها بكثير زيارة للتوديع ورسم ملامح النهاية والانقطاع، وهذه الفكرة بالضبط، هي ماينطبق على زيارة الاربعين الحسينية، التي يمارسها الملايين من محبي اهل البيت .

تكون بحثنا هذا من مقدمة وخاتمة ومبحثين تناولنا في المبحث الاول مفهوم الزيارة في اللغة والاصطلاح فضلا عن مفهوم الزيارة في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، اما المبحث الثاني: فتضمن حوار الحضارات الدولي في زيارة الاربعين وتفصيل ذلك في التعارف والتقارب من خلال السير على الاقدام وزيارة مراقد اهل البيت من كل الجوانب اذا كان من جانب الولاء والحب لااهل البيت او من جانب الاطلاع على الاثار والقدسية للمراقد المطهرة. فكل المعاني شملت التقارب والوحدة من خلال اهل البيت. فضلا عن القرب لله تعالى والى رسوله واهل بيته من خلال زيارة الاربعين كونها من علامات المؤمن، ثم بينا على ما نص عليه الدستور الدولي في الامم المتحدة على اهمية حقوق الانسان في العالم وكان من احد هذه الشروط ان لكل الشعوب والدول الحق في ممارسة مراسيمها وطقوسها الدينية والقدسية حسب مقتضياتها الخاصة بها..

واما عن الصعوبات التي واجهتني فهي ان الموضوع واسع ومتشعب في فروعة وجوانبه المختلفة فضلا عن كثرة المصادر واختلاف الروايات في بعض النصوص.

Arbaeen pilgrimage is an example of the dialogue of international civilizations

Researcher: Ibtisam Salman Al-Shahmani

The Holy Shrine of Imam Ali

Abstract

When we try to write about the phenomenon of the Holy Arbaeen in order to provide a description or explanation for some of the forms and content of this Islamic and human phenomenon, the language will simply declare its inability to break into such a dangerous subject.

The reason behind that inability is that the mentioned phenomenon is above the mechanisms of description and disclosure, and its levels are deeper than the possibilities of graphic diving and linguistic embodiment. Therefore, we will do what we can through this modest research to provide what can be captured of various meanings and signs embodied in the Arbaeen pilgrimage such as thought, doctrine, and human sacrifice... etc., which are far more wanted than the material entities, as the Arbaeen became more for the living than to bid farewell, and this idea exactly, is can be applied on the pilgrimage practiced by millions of lovers of Ahl al-Bayt.

This research is divided into an introduction, conclusion, and two chapters, the first chapter is dealing with concept of pilgrimage in language and terminology, while the second one includes the dialogue of international civilizations in the Arbaeen by acquaintance and convergence through the long walk to Karbala, or by loyalty and love to Ah- al-Bayt.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

حينما تصل الكتابة عند أسوار ظاهرة زيارة الأربعين المباركة ومحاولة تقديم وصف أو تفسير لبعض أشكال ومضمونات هذه الظاهرة الإسلامية والإنسانية المباركة، فإن اللغة تعلن بكل شجاعة عن عجزها التام عن اقتحام مثل هذا الموضوع الخطير، ذلك ان الظاهرة المذكورة فوق آليات الوصف والكشف، ومستوياتها أعمق من امكانيات الغوص البياني والتجسيد اللغوي.

لهذا ولغيره، سوف نبذل ما بوسعنا عبر هذه الورقة المتواضعة لتقديم ما يمكن التقاطه من دلالات ومعانٍ مختلفة تجسدت في زيارة الأربعين ليكون فيها ((الفكر، العقيدة، التضحية، الإنسانية)) هي التي تُزار أكثر من زيارة المادة والجسد والمرئي والملموس.

فعند ذاك تصبح زيارة الأربعين زيارة للأحياء أكثر منها بكثير زيارة للتوديع ورسم ملامح النهاية والانقطاع، وهذه الفكرة بالضبط، هي ما ينطبق على زيارة الأربعين الحسينية،التي يمارسها الملايين من محبي أهل البيت عليهم السلام.

لقد تضمن بحثنا هذا مقدمة ومبحثين تناولنا في المبحث الأول مفهوم الزيارة في اللغة والاصطلاح فضلاً عن مفهوم الزيارة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، وفي المطلب الثاني فضل زيارة أهل القبور وفضل زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام وبيّنا أهمية زيارة القبور بصورة عامة وما لها من تأثير على الشخص، وخاتمة.

وهناك ميزة وأهمية في زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام حيث تتوافد له المحبين من كل بقاع العالم، وبيّنا من خلال الروايات إن الزهراء عليها السلام تستقبل زوار ولدها الحسين عليه السلام وتتضرع الى الله بقضاء حوائجهم، وقد أجمعت الأُمة الاسلامية على استحباب زيارة القبور والحث عليها وأخذنا عدة أدلة وروايات تحث على زيارة القبور ومنها قول النبي محمد صلى الله عليه وآله: (بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وقد بيّنا من خلال قول الرسول بأنَّ هنالك أهمية للقبر والحث على التمسك بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام هو نفس رسول الله حيث قال (حسين مني وانا من حسين).

أما المطلب الثالث فيتضمن: فضل وقدسية المساجد ومراقد أهل البيت عليهم السلام. إنّ الأماكن المقدسة التي يُذكر فيها الله تعالى ورسوله وآل بيته ويتضرع الشخص من خلالها الى العبادة لله تعالى والتوسل بالأولياء عليهم السلام يكون في غاية السكينة والوقار مما يجعل له آثاراً روحية ونفسية، كما بيّنا الحث على الصلاة والدعاء في المساجد ومراقد أهل البيت عليهم السلام، وهنالك الكثير من الروايات التي بينت هذا.

أما المبحث الثاني: فقد جاء في أربعة مطالب ورد في المطلبين الاول والثاني: حوار الحضارات الاجتماعية والانسانية والدولية في زيارة الاربعين وتفصيل ذلك في التعارف والتقارب من خلال السير على الأقدام وزيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام من كل الجوانب سواء كان من جانب الولاء

والحب لأهل البيت عليهم السلام أو من جانب الاطلاع على الآثار والقدسية للمراقد المطهرة، فكل المعاني شملت التقارب والوحدة الدولية من خلال أهل البيت عليهم السلام، ومن ثم بيّنا التعرف على زيارة الأربعين وأهميتها وماهي الغاية منها وماهي الأهداف من خلال زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، وتناولنا في المطلب الثالث الأدلة على زيارة الأربعين التي من خلالها توصلنا على مراتب عدة ومن أهمها أنها من علامات المؤمن، وما لها من أجر وثواب لأنها تعد عبادة وإحياء شعيرة ومواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله وابنته الزهراء عليها السلام فضلاً عن القرب لله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وآله «وآل البيت» عليهم السلام «من خلال زيارة الأربعين كونها من علامات المؤمن، وتناولنا في المطلب الرابع: حوار الحضارات من خلال زيارات أربعين الحسين عليه السلام ثم بيّنا ما نصَّ عليه ميثاق الامم المتحدة في الامم المتحدة من أهمية حقوق الإنسان في العالم وكان من أحد هذه الشروط: لكل الشعوب والدول الحق في ممارسة مراسيمها وطقوسها الدينية والقدسية حسب مقتضياتها الخاصة بها. وقد نصَّ الاسلام على حقوق الإنسان في كافة جوانب الحياة كون الانسان خليفة الله تعالى في الأرض، فلا تعدي على حقوق الآخرين وآرائهم ومقدساتهم، واحترام الكل بدون فرق.

وأما عن الصعوبات التي واجهتني فتمثلت بأن الموضوع واسعٌ ومتشعبٌ في فروعه وجوانبه المختلفة فضلاً عن كثرة المصادر واختلاف الروايات خاصة فيما يتعلق بـ«السير» ولكن في جانب الآخر من البحث هنالك اختلاف في المصادر عن الحضارات والدول مع تشعبها.

مع هذا كان الموضوع في غاية الأهمية كونه موضوعاً يرتبط بحياتنا ومقدساتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مفهوم الزيارة

المطلب الأول:

تعريف الزيارة في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة

الزيارة في اللغة: هي القصد والملاقاة.

والزور (الزائر) وهو الذي يزورك يقال: رجل زور، وفي الحديث أن لزوارك عليك حقاً، وهو في الأصل مصدر وضع موضع الإسم كصوم ونوم، بمفرد صائم ونائم[1].

وأما المعنى الاصطلاحي للزيارة: فإنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي وإن «كان المتبادر هو زيارة القبور غالباً[2].

إن زيارة القبور من الامور التي أجمعت الأُمة الإسلامية عليها وعلى استحبابها بلا فرق بين مذاهبها المختلفة، ومارس ذلك كبيرهم وصغيرهم اللهم إلا من شذ وندر، وقبل أن تنطرق الى بعض الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام نبين بأن أحد الامور الأساسية التي أقرها الاسلام بالعقل والنقل، هو وجود الحياة بعد الموت، وإن الأرواح تعيش في عالم برزخي بين الدنيا والآخرة، فيها النعم وفيها العذاب. فعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد

لله عليه السلام: «الموتى تزورهم؟ قال: نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال: إي والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم[٣]. دل ذلك على أن هنالك باباً مفتوحة بين الأحياء والأموات وقد أرشدت الشريعة الناس الى طرقه لغايات وأهداف نبيلة وشريفة[٤].

هنالك طائفة من الأدلة القرآنية التي يستدل بها على مشروعية زيارة القبور، نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...﴾[٥].

فالمراد بالصلاة هنا هو خصوص الصلاة على الميت، وموضع الاستدلال لدينا على المطلوب هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إذ ذهب كثير من المفسرين الى أن المراد يتجاوز الوقوف عنده وقت الدفن الى عموم الأوقات. يستفاد من الآية المذكورة جواز الوقوف على قبور المؤمنين والدعاء لهم والترحم عليهم لأن النهي الوارد في الآية مختص بالمنافقين. وعلى هذا فان الآية تعني بمفهومها جواز زيارة قبور المؤمنين، أي الوقوف على قبورهم والدعاء لهم. فالآية تدل على «مشروعية الوقوف على قبور الموتى من المؤمنين والترحم عليهم وزيارة قبورهم والتردد إليها».

وقوله تعالى في شأن أهل الكهف: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً﴾[٦].

تعد هذه الآية من الآيات القرآنية الواضحة في بناء القبور واتخاذها مزارات ومساجد بمعنى كونها مكاناً لعبادة الله وتذكر اليوم الآخر، وهذا كان أمراً جرى عليه المؤمنون منذ حياتهم وكذلك بعد مماتهم لما في ذلك من فوائد معنوية بالغة «ولو كان بناء المسجد على قبورهم أو قبور سائر الأولياء أمراً محرَّماً لتعرض عند نقل قولهم بالرد والنقد لئلا يضل الجاهل».

ما ورد عن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله «وأهل البيت» عليهم السلام والشهداء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٧].

ويعقب الامام السبكي على هذه الآية قائلاً: «دلّت الآية على الحث للمجيء الى الرسول صلى الله عليه وآله» والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له لا تنقطع بموته تعظيماً له[٨].

وقد روي من طرق الخاصة، كما في صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في آداب دخول المدينة المنورة وزيارة النبي صلى الله عليه وآله: اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظلموا أَنْفُسَهُمْ جَآءُوكَ فاستغفروا الله واستغفر لَهُمُ الرسول لَوَجَدُواْ الله تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[٩].

«وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي، وإني أتوجه بك الى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي «فالآية تدل على جواز المجيء الى قبر الرسول صلى الله عليه وآله من أجل الاستغفار وطلب التوبة عند جنابه الشريف[١٠].

المطلب الثاني:

فضل زيارة أهل القبور وفضل زيارة قبر الحسين عليه السلام

- عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حريز، عن فضل بن يسار قال: «إن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبور الشهداء وزيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.
- عن أحمد بن محمد عن بن محبوب، عن إبان عن السدوسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة.
- عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن المعلى أبي شهاب قال: قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما لمن زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلصه من ذنوبه.
- عن أبي عبد لله عليه السلام قال: سمعته يقول: عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم تُرَى كاشرة ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الإثنين والخميس فتقول: هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وهاهنا كان المشركون. وفي رواية اخرى عن أبي عبد الله عليه السلام إنها كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت عليها السلام.
- محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن اسماعيل بن بزغ، عن صالح بن عقبة، عن يزيد بن عبد الملك قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرَّ قوم على حمير فقال: أين يريد هؤلاء؟ قلت: قبور الشهداء قال فما يمنعهم من زيارة الشهيد الغريب؟ فقال رجل من أهل العراق: وزيارته واجبة؟ قال: زيارته خير من حجة وعمرة وحجة حتى عدَّ عشرين حجة وعمرة ثم قال: مقبولات مبرورات قال: فو الله ما قمت حتى أتاه رجل فقال له: إني قد حججت تسع عشر حجة فادع الله ان يرزقني تمام العشرين حجة قال هل زرت قبر الحسين عليه السلام قال: لا قال: لزيارته خير من عشرين حجة[11].

إذن هنالك الكثير من الاحاديث والروايات تدل على زيارة القبور ومالها من أهمية بالغة وتأثير على النفس، ولكن هنالك منزلة وفضل وأجر عظيم عند قبر الحسين عليه السلام فما وراء هذا السر!؟

ذكرنا إنَّ زيارة الحسين عليه السلام تعادل عشرين حجة وأفضل من عشرين عمرة وحجة. ما لهذا الفضل العظيم؟.

عن الإمام الباقر عليه السلام: (لو يعلم الناس ما في زيارة قبر الحسين من الفضل لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات. ثم قال: من أتاه شوقاً كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله تعالى، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات في سنته حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله

وأكفانه والاستغفار له يشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويُفتح له باب إلى الجنة ويُعطى كتابه بيمينه، ويعطى يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زار قبر الحسين عليه السلام شوقاً إليه، فلا يبقى في القيامة إلا تمنى يومئذٍ أنه كان من زوار الحسين بن علي.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنّ فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر لزوّار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين منّي وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط) فهذا هو نفس رسول الله هذا هو الحسين ابن علي عليه السلام[١٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما بين قبر الحسين بن علي عليه السلام إلى السماء السابعة مختلف الملائكة.

تشيع الملائكة: فانّه إذا خرج من منزله شيّعه ستمائة ملك في جهاته الست: (الفوق والتحت والشمال والجنوب والشرق والغرب) أي يحاط بالملائكة ويكون كالدرّة في قبضة اليد الملائكيّة الطاهرة والقدسيّة، وكذلك تشيعه وتستقبله صنف آخر من الملائكة.

عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعا في عشرين ذراعاً مكسراً روضة من رياض الجنة وفيه معراج إلى السماء فليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره ففوج يهبط وفوج يصعد[١٣].

فمن خلال الروايات المذكورة يمكن القول بأن:

(أول ما يشعر به الزائر عند قبر الحسين عليه السلام هو قربه من الجنة أو الشعور بأنه في جنة الأرض، ثم يشعر الزائر أنه قريب من رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال حسين مني وأنا من حسين «لأن نفس رسول الله والقرب من فاطمة عليها السلام».

لقد بيّنا في الأحاديث أنها سلام الله عليها تستقبل زوار ولدها الحسين عليه السلام، ثم وجود ملائكة تحيط بقبره الشريف وبزائره، كما ورد في الزيارة: السلام عليك وعلى الملائكة التي أحاطت في قبرك الشريف، ومن جانب آخر عندما يقول الشخص السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أبا عبد الله الحسين فإن الحسين عليه السلام يرد السلام لكن الذنوب تحجب صوته عنا ويقول إذ يقول عليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيبعث الله له السلام والرحمة والبركة التي طلبها الحسين عليه السلام لذلك الزائر فيحس بالراحة والاطمئنان والسكينة. وهذه الصيغ من السلام كثيراً ما وردت عن أهل البيت عليهم السلام، فأي شخص يسلم ويرد في هذه الصيغة تصل له الرحمة والبركة، فكيف لو كان من يرد علينا السلام ابن بنت رسول الله. فتكون الرحمة لها طعم خاص.

ولهذه المنزلة والكرامة للرسول صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام إذا اقبل الزائر الى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، تبدأ من أول خطوة يخطوها إذ تتوقف الذنوب وتزول الهموم وترتاح النفوس ويبدأ الشعور بأنه في الجنة، كرامةً للرسول صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام وللدماء الزكية التي بُذلت من الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه من أجل الدفاع عن الدين واستقامته.

هذا من باب ومن باب اخرى يشاهد زائر قبر الحسين عليه السلام فضل الشهادة في سبيل الله وماهي الكرامة والرفعة للشهداء، وكم لها رفعة ومنزلة يحظى بها حتى زائر يزور الشهيد الذي استبيحت دماؤه في سبيل الله والدين كما نالها شهداؤنا الابطال في الحشد الشعبي المقدس اقتداءً بإمامهم الحسين عليه السلام والسير على نهجه والدفاع عن المقدسات والدين..).

المطلب الثالث:

فضل وقدسية المساجد ومراقد أهل البيت عليهم السلام

إن جميع الطوائف اتفقت على أجر وثواب الصلاة والدعاء والتضرع في «المساجد» ليكون الشخص في تقرب وخشوع ولما لها من قدسية وأجر، كما ورد عن رسول الله: ألا طوبى لمن كانت المساجد بيوته، ألا طوبى لعبد توضأ في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة.

كما ورد إن المساجد بيوت الله فيها يعبد، وفيها يُذكر إسمه وإنّ من شأن الكريم أن يكرم من زاره في بيته وإنّ المساجد في الأرض مزار الملائكة في السماء، منها تصعد الأعمال وإليها تنزل الرحمات، تبنى المساجد لإقامة الشعائر وإظهار أعلام الدين. تبنى المساجد فيفرح ببنائها أهل السماء والأرض ويجعلها الله مهبط الرحمة والرضوان، إذن إن قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام مهبط الملائكة والرحمة، وفيها يذكر اسم الله وفيها يتضرع الانسان الى الله تعالى ويكون الأئمة عليهم السلام الذين يحضر اليهم الناس سبلاً للتوجه لله تعالى، أو يكونون وجها عند الله يتخذهم الناس لما لهم من فضل وشأن ومنزلة، وبما أن عامة الناس تحيطه الذنوب والغفلة والشهوة ويشغلهم هم الدنيا وما فيها فيكون الدعاء ضعيفاً أي محجوباً، بينما الأئمة عليهم السلام نذروا انفسهم لله واشتروا الآخرة بثمن الدنيا، فتقسم الناس لله بعظمتهم وتضحيتهم.. بقضاء حوائجهم وتيسير امورهم.

كما ان هذه المقامات مفتوحة للجميع، أي جميع الطوائف والاديان لو نشاهد ما يوجد فيها بين مصلٍ وتالٍ للقرآن الكريم، وبين باكٍ وزائرٍ، أي أن ذكر الله عز وجل هو الذي يطفح في هذه المقامات.

لو نظرنا الى زيارة الامام الحسين عليه السلام فإنه وصل الى اعلى مرتبة من اليقين لما بذل من دماء زاكية في سبيل الله والدين، وهذا ما دلت عليه زيارته: أشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين، ومن ثم ورد: السلام عليكم يا أنصار دين الله السلام عليكم يا أنصار رسول الله.

إن هذه الكلمات فيها تقرب لله والرسول صلى الله عليه وآله قبل الحسين عليه السلام تدل على فدائه نفسه لله والدين والرسول، ولهذه الكرامة والمرتبة للإمام الحسين عليه السلام يدعو زوار الامام الحسين عليه السلام ويتوسلون متضرعين به الى الله كما ورد: أسأل الله بالشأن الذي لك عنده وبالمحل الذي لك لديه. فلننظر الى الزيارة المعتبرة والمعتمدة في حرم مولاي أمير المؤمنين وهي زيارة أمين الله، التي هي أربع أو خمس أسطر ففيها أروع صور المناجاة مع رب العالمين: (اللهم اجعل نفسي مطمئنة

بقدرك، راضية بقضائك..). فهذه المقامات في الواقع هي محطات لذكر الله عز وجل. وفي الزيارة الجامعة – التي هي من بركات الإمام الهادي عليه السلام نلاحظ أن هناك دعوة إلى التكبير، أي كبر الله قبل أن تزور، من أجل استحضار المعاني التوحيدية، قبل استحضار المعاني الولائية.

إن رب العالمين عندما يتكلم في كتابه الكريم، يذكر آخر ما يمكن أن يقال في هذا الباب، ليس كتاب مجاملة ولا كتاب شعري عندما يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٤] فكل حركات الوجود ينبغي أن ترتبط مع هذا الهدف لأجلي، وأئمة أهل البيت عليهم السلام ليس لهم وجود مستقل في قبال الله عز وجل، فهدفهم هو هدف رب العالمين: وهو إيصال العباد ودلالتهم على قمة العبودية لله عز وجل، إذ هم المصداق لقوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[١٥]، فالمعصومون الأول فالأول الأمثل فالأمثل هم الذين حققوا هذا الشعار. فإذن أئمة أهل البيت يريدون مَن يسلمون أيديهم إليهم ليوصلوهم إلى الغاية المنشودة وأما بالنسبة إلى إحياء ذكرهم وزيارتهم والاهتمام بهذه المظاهر والمشاهد فهذه كلها تعود إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١٦].

الملاحظ أن القرآن الكريم في مقام بيان الكليات العامة، فهو يدعونا إلى تعظيم الشعائر، ولكن كيف نعظم الشعائر؟ من خلال مسرحية، من خلال فيلم سينمائي، من خلال إنشاء فضائية، من خلال تشييد مرقد يزوره الناس ليذكروا الله عز وجل. إن الكعبة على رأس هذه المشاهد، وهي بنيان حجري، والحجر الأسود يمين الله في الأرض، ومن المعلوم أن المسلمين يقبّلون الحجر بإجماعهم، فهذه مظاهر لمعاني توحيدية، وكذلك مراقد أهل البيت.. والنبي الأكرم لماذا جعل الروضة بين القبر وبين المنبر؟ رغم مصداقية رسول الله لا ينطق عن الهوى، فخصص الجنة بين قبره ومنبره ليكون التمسك بالقبر والمنبر وما بينهما، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أهمية وضرورة القبر وما يتعلق به من قدسية وكرامة، وما يتعلق بالمنبر وما بينهما أي الروضة، فلو كانت هنالك كراهية للقبر لما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين يتعلقون بما بين القبر والمنبر، وكما أن المسجد مكان مقدس فكذلك الروضة النبوية إنما اكتسبت الروضة شرافتها لوجود هذا القبر الطاهر فيها. فإذن السياسة الشرعية قائمة على استغلال كل فرصة من أجل ربط الناس بالمعاني التوحيدية تارة، وبالمعاني الولائية تارة أخرى[١٧].

ومن خلال التفاسير والروايات المذكورة يمكن القول: (ان التفاسير تشير الى أن بيوت الله في الأرض هم الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى التي يذكر فيها ذكر لله تعالى والدعاء، وما لهم من كرامة وفضل عظيم، وقد ورد في تفسير الثقلين بيت النبي صلى الله عليه وآله وبيت علي عليه السلام. ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: حسين مني وأنا من حسين.. «إذن هو نفس نبي الله، ثم هو ابن فاطمة بنت رسول الله وعلي بن أبي طالب الذي نصر رسول الله والدين والاسلام. فعندما تكون الزيارة للمراقد لها فضل وأجر عظيم فزيارة الحسين عليه السلام لها فضل وميزة خاصة كما ذكرنا في المحاور السابقة).

المبحث الثاني:

زيارة الأربعين تطبيق لحوار الحضارات

المطلب الأول: ماهية زيارة الاربعين؟

«زيارةُ الأربعين» هي زيارةُ الإمامِ الحسين عليه السلام في العشرينَ من صَفَر أربعين الامام الحسين، حيث يؤمه الملايين من المسلمين من الكثير من البلدان العربية والاسلامية إضافة الى العراق.

روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام انه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة احدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ». وقد استدل على استحباب زيارة اربعين الحسين عليه السلام في يوم الاربعين من خلال كلمة الامام «زيارة الأربعين»[١٨].

قال السيد ابن طاووس: «قال الراوي: ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا الى العراق قالوا للدليل: «مُرَّ بنا على طريق كربلاء «فوصلوا الى موضع المصرع».

وقال السيد محمد بن أبي طالب: فسألوا يسار بهم على العراق، ليجددوا عهداً بزيارة أبي عبد الله عليه السلام.

وقال القندوزي: «ثم أمرهم يزيد بالرجوع الى المدينة المنورة فسار القائد بهم، وقال الامام والنساء للقائد: بحق معبودك أن تدلنا على طريق كربلاء، ففعل ذلك حتى وصلوا كربلاء».

قال الشيخ البهائي: «التاسع عشر من صفر فيه زيارة الأربعين لأبي عبد الله عليه السلام وهي مروية عن الصادق عليه السلام وقتها عند ارتفاع النهار، وفي هذا وهو يوم الاربعين من شهادته كان قدوم جابر بن عبد لله الانصاري رضي الله عنه لزيارته عليه السلام واتفق في ذلك اليوم ورود حرمه عليه السلام من الشام الى كربلاء، قاصدين المدينة على ساكنها السلام والتحية».

السيد ابن طاووس في كتاب «إقبال الاعمال» حيث قال: «وجدت في المصباح أن حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسن عليه السلام يوم العشرين من صفر، وفي غير المصباح انهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر وكلاهما مستبعد لأن عبيد الله بن زياد لعنه الله كتب الى يزيد يعرّفه ما جرى ويستأذنه في حملهم ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه وهذا يحتاج الى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها، ولأنه لما حملهم الى الشام روي أنهم أقاموا فيه شهراً في موضع لا يكنّهم من حر ولا برد، وصورة الحال يقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قتل عليه السلام الى أن وصلوا العراق او المدينة، وأما جوازهم في عودتهم على كربلاء فيمكن ذلك ولكنه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر لأنهم اجتمعوا على ما رواه جابر بن عبد لله الانصاري فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً وعلى أن يكون جابر وصل من غير الحجاز من الكوفة أو غيرها»[١٩].

المطلب الثاني:

الادلة على زيارة الاربعين

لقد ذكر العلماء جملة من الأدلة التي تشير الى استحباب زيارة الأربعين، وقبل الدخول في

صلب الموضوع نذكر الآية الكريمة التي تحث على الصلاة والدعاء والتضرع في بيوت الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[٢٠].

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قالا: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية «في بيوت أذن الله أن ترفع» فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها - بيت علي وفاطمة-؟ قال: نعم من أفاضلها.

أقول: ورواه في المجمع، عنه ﷺ مرسلاً، وروى هذا المعنى القمي في تفسيره بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام ولفظه: قال: هي بيوت الأنبياء وبيت علي عليه السلام منها[٢١].

عن محمد بن همام قال: حدَّثنا جعفر بن محمد بن مالك قال: حدثنا القاسم بن الربيع عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن منخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال: هي بيوت الانبياء وبيت علي منها[٢٢].

وفي عيون الاخبار في الزيارة الجامعة لجميع الائمة عليهم السلام المنقولة عن الجواد عليه السلام: خلقكم الله انوراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منَّ علينا بكم فجعلكم الله «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه».

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة في باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام بأسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: انما الحجة في آل ابراهيم لقول الله عزو جل: «ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً «والحجة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء حتى تقوم الساعة لان كتاب الله ينطق بذلك، ووصية الله جرت بذلك في العقب، من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس، فقال: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى[٢٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان الحسين عليه السلام تحمله أُمه. فأخذه النبي ﷺ وقال: لعن الله قاتلك ولعن سالبك، وأهلكَ الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة الزهراء عليها السلام يا أبت أي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون الى القتل، وكأني انظر الى معسكرهم والى موضع رحالهم وتربتهم، قالت: يا أبه وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلاء وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الامة، يخرج عليهم شرار امتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السموات والارضين ما شفعوا فيه وهم المخلدون في النار، قالت: يا أبه فيقتل؟ قال: نعم يا بنتي، وما قتل

قتلته أحد كان قبله، ويبكيه السموات والأرضون والملائكة والوحوش والنباتات والبحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الارض متنفس، «ويأتي قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الارض أحد يلتفت إليه غيرهم، اولاك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم اذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض وبهم ينزل الغيث «ويتضح من قول النبي ﷺ القوم المحبون هم زوار ومحبو الامام الحسين عليه السلام الذي يتوافدون إليه من كل بقاع العالم[٢٤].

فمن خلال ما ذكرنا يمكن القول:

ان سيرة المتدينين الشيعة، العلماء منهم والعوام، على مواضبتهم لزيارة الامام الحسين عليه السلام الذين حثوا على الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام بل كانوا يوالون بعض مواليهم للدعاء تحت قبة الامام الحسين عليه السلام، بل علمنا سابقاً إن الامام السجاد عليه السلام زار أباه يوم العشرين من صفر مما يدل على استحباب هذا العمل، ولا يخفى ان سيرة المتشرعة حجة يستكشف منها مشروعية الفعل الدال على الوجوب والاستحباب، وحيث ان المؤمنين ولا سيما المتشرعة منهم يواظبون على زيارة الأربعين الحسينية دل ذلك على استحبابها ورجحان مشروعيتها[٢٥].

المطلب الثالث:

الغاية من المشي في زيارة أربعين الامام الحسين عليه السلام

المشي معناه الانتقال من مكان الى مكان.

والمشي بهذا الاعتبار ليس فيه ما يدعو الى الذم أو المدح، ولكنه قد يتحول الى عبادة يحصل عليها الانسان على أجر وثواب ضمن شروط معينة ذكرتها النصوص الاسلامية. منها المشي في القرآن الكريم: كما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٦].

فإن مثل هذا الاعمار يقتضي من الانسان أن ينتقل من مكان الى مكان ويسير ويمشي من جهة الى جهة اخرى، فاقتضى ذلك وضع مجموعة من القواعد والارشادات لهذا الانسان تبين له آداب وسنن هذا المشي والسير في الارض، كما ان النصوص الاسلامية قرآناً وسنة التي تناولت هذه الجزئية من جوانبها المتعددة وذلك لارتباط هذا الامر بشكل كبير في طاعات الانسان وعبادته بشكل عام وبالأمام الحسين عليه السلام وأهل بيته بشكل خاص من خلال زيارتهم والسعي والمشي اليهم في هذا الطريق.

تحدث القرآن عن المشي من جوانب متعددة فمن جهة ذكر إن هذه الظاهرة وهي المشي تمثل نعمة من نعمة من نعم الله تعالى على الانسان وغيره حيث أشار في بعض آياته الى أن هذا الامر غير مختص بالإنسان يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٧].

حيث أشار الى أن بعض الموجودات تمشي على بطنها كالثعابين وبعضها يمشي على رجلين كالإنسان وبعضها يمشي على اربع كما عند الحيوانات كالأسد وغيره، ومن جهة ثانية: اشار الى أ، هذا المشي بعضه مذموم وبعضه ممدوح نقلاً عن لقمان عن وصيته لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٢٨].

ولا شك ولا ريب ان هذا اللون من المشي مذموم أي يكون مشي الانسان على نحو التبختر والاختيال او على نحو شدة الفرح نحو الأشر والبطر على اختلاف المعاني المفسرة لكلمة «مرح». يقول ابن منظور في لسان العرب مرح: المرح شدة الفرح والنشاط حتى يجاوزه قدره، وقيل المرح التبختر والاختيال، وقيل المرح الاشر والبطر. وهذا بعيد كل البعد عن زائري الامام الحسين عليه السلام لعدة امور منها:

١. لانهم في حزن ومواساة للزهراء عليها السلام.
٢. ان لهم غاية وهدفاً منها الأخذ بثأر الامام الحسين عليه السلام.
٣. انهم متأثرون ومتأسون بالامام الحسين عليه السلام مما جعلهم يقتدون به، وهذا ما يجعلهم يختصون بلقب «حسينيون» والنساء بلقب «زينبيات».

واما من جانب آخر فهناك مشي ممدوح بيّنه الله تعالى في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢٩].

حيث أشار الى ان هذا المشي المعبر عنه بالهون هو الناشئ من التواضع والدال على النفس العالية، قال الفراهيدي: «الهون: مصدر الهين في معنى السكينة والوقار».

وقطعاً ليس المراد بالهون هنا ان يكون مشي الانسان كالمريض يرفع قدماً ويضع اخرى بهدوء تصنعاً ورياءً بحيث تراهم كأنهم يمثّلون هذا الامر أمام الناس تمثيلاً وهم أكثر الناس استعلاءً وكبراً في طبيعتهم وتعاملاتهم، لا ليس المراد بالهون هذا بلا أدنى ريب، وانما المراد به ان يكون مثل هذا الوقار وهذه السكينة نابعة حقيقة من إحساسهم بالتواضع أمام الناس لأجل الله عزَّ وجلَّ من دون جبر ولا فرض وإنما هي الطبيعة التي جبل عليها هؤلاء[٣٠].

المشي في الروايات:

١. المشي الى المساجد:

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من مشى في ظلمة الليل الى المسجد لقي الله عزَّ وجلَّ بنور ساطع».

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من أحسن وضوءه ثم مشى الى المسجد فهو في صلاته مالم يحدث.

٢. المشي الى صلاة الجمعة والجماعة:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخطو خطوة الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة».

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ان اعظم الناس اجراً في الصلاة أبعدهم اليها ممشى، فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجراً من الذي يصليها ثم ينام».

٣ـ المشي الى الحج والعمرة:

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال ابن عباس: «ما ندمتُ على شيء ندمي على اني لم احج ماشياً لأني سمعت رسول الله يقول: من حج بيت الله ماشياً كتب الله له سبعين الف حسنة من حسنات الحرم، قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: حسنة ألف ألف حسنة. وقال صلى الله عليه وآله: فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم». روي عن الحسن بن علي عليه السلام، قال: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا وحارث الأعور، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (يأتي قوم في آخر الزّمان يزورون قبر ابني الحسين عليه السلام، فمن زاره فكأنّما زارني، ومن زارني فكأنّما زار الله سبحانه، ألا ومن زار الحسين عليه السلام فكأنّما زار الله في عرشه[٣١].

ومن خلال ما ذكرنا يمكن القول:

ان شعيرة المشي على الأقدام بشكل واضح في زيارة يوم الأربعين يوم العشرين من شهر صفر، حيث يمشي الموالون على الأقدام قاصدين مرقد أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام بزيارة الأربعين معاً. إن زيارة الحسين مستحبة في كل الايام بل يُستحب في كل وقت، إذن، ما هو السرّ فيما نراه اليوم من اختصاص المشي بزيارة الحسين يوم الأربعين؟ لعل ذلك يرجع إلى عدة امور منها:

الأول: إنّ أول مَن زار مرقد الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين مشياً على الأقدام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله، فالناس يزورون الحسين عليه السلام في هذا اليوم تأسّياً بهذا الصحابي الجليل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد حثّ الأئمّة عليهم السلام على الزيارة في هذا اليوم وجعلوها من علامات المؤمن، قال الإمام العسكري عليه السلام: «**علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**». وبضميمة الروايات الآتية الواردة في استحباب المشي لزيارة الحسين عليه السلام ونيل الاجر والثواب كونه باب الله الذي منه يؤتى، كما حصولهم على أجر المشي في طاعة الله تعالى كما ذكرنا استحباب المشي على وضوء، واذا كان ذاهباً الى صلاة أو دعاء، فكل هذه الصفات تجسدت في زائري ومحبي الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: إنّ هذا اليوم قد رجع فيه أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام من الشام إلى كربلاء، بعد ما لاقوا العذاب والعناء الشديد والظلم، وفي هذا اليوم حصل لقاء الإمام زين العابدين عليه السلام بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي جاء لزيارة الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام، فالموالون من الشيعة إنّما يزورن الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على عيال الحسين عليه السلام.

الثالث: ان هذه الشعيرة والنهضة الحسينية مواساة للرسول الله صلى الله عليه وآله لحفيده الذي كان يقول عنه «حسين مني وأنا من حسين...» وللزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يقول عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها أمناء ربّي وهم حبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوى ومواساة لعليّ عليه السلام ومواساة لمولانا

صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الذي يطلب بثأر الامام الحسين ويأخذ به، فلذلك يمشون على الاقدام رغم المعاناة والتعب وفي الحر الشديد والبرد الشديد حُباً لإمامهم الحسين عليه السلام.

الرابع: إن هذه النهضة المباركة تجسدت فيها أبشع وأروع أنواع الظلم على مر العصور، فكان الحسين عليه السلام وعياله وأصحابه خرجوا لنصرة دين محمد وآل محمد وإعلاء كلمة الحق وادحاض الباطل، فحقاً على الموالين أن يخرجوا متأسين بإمامهم زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام بما مرَّ عليهم بعد استشهاد الحسين عليه السلام. ومن باب آخر إحياء هذه النهضة الحسينية المباركة في كل العصور ليعرف العالم مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

المطلب الرابع:

زيارة الأربعين مثال لحوار الحضارات الاجتماعية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٢].

التقوى أغلى القيم الإنسانية:

كان الخطاب في الآيات السابقة موجهاً للمؤمنين وكان بصيغة: يا أيها الذين آمنوا وقد نهى الذكر الحكيم في آيات متعددة عما يوقع المجتمع الإسلامي في خطر، وتكلم في جوانب من ذلك. في حين أن الآية محل البحث تخاطب جميع الناس وتبين أهم أصل يضمن النظم والثبات، وتميز الميزان الواقعي للقيم الإنسانية عن القيم الكاذبة والمغريات الباطلة. فتقول: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. والمراد بـ(خلقناكم من ذكر وأنثى) هو أصل الخلقة وعودة أنساب الناس إلى «آدم وحواء»، فطالما كان الجميع من أصل واحد فلا ينبغي أن تفتخر قبيلة على اخرى[٣٣].

راينا في زيارة الأربعين ظاهره تجمع السنة والشيعة، بل أكثر الأديان تتجمع في نهضة الامام الحسين عليه السلام أليس هذا أفضل سبيل للاتحاد في وحدة المسلمين؟

هذا بلا شك، فهذه الحركات الشاذة في حياة الأمة، إنما تنجح في تنفيذ شذوذها، إذا رأت هنالك مجالًا للدخول في صفوف المسلمين، أما الصف المتراص الذي يعبر عنه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً)، فهنا لا مجال للدخول في صفوف هذه الأمة. ولو أن المسلمين كافة في العراق شيعة وسنة، تلاحموا وأغلقوا دورهم وقراهم ومدنهم أمام هؤلاء الذين – كما عرفنا من سيرتهم – لا يمتّون إلى الدين بصلة لما وقعت هذه المآسي في صفوف الأمة، فهذا شعار القرآن، وشعار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وشعار أئمة أهل البيت عليهم السلام في أننا أمة واحدة، ومن تكليفنا في كل عصر أن نقوِّم من دعائم هذه الأمة الواحدة.

والقرآن الكريم يخبر أن أول ما نبه الانسان بالاجتماع تفصيلاً واعتنى بحفظه استقلالاً نبهته به النبوة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[٣٤]. قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾[٣٥].

حيث ينبئ أن الانسان في أقدم عهوده كان أمة واحدة ساذجة لا اختلاف بينهم حتى ظهرت الاختلافات وبانت المشاجرات فبعث الله الأنبياء وأنزل معهم الكتاب ليرفع به الاختلاف، ويردهم إلى وحدة الاجتماع محفوظة بالقوانين المشرعة.

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..﴾[٣٦]. فأنبأ أن رفع الاختلاف من بين الناس وإيجاد الاتحاد في كلمتهم إنما كان في صورة الدعوة إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه، فالدين كان يضمن اجتماعهم الصالح. والآية: - كما ترى - تحكي هذه الدعوة (ودعوة الاجتماع والاتحاد).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا - إلى أن قال تعالى - وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٣٨].

(يشير إلى حفظ المجتمع عن التفرق والإنشعاب) وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم[٣٩].

وجاء الاسلام في منهاج حضاري متكامل من اجل وحدة و تمسك المجتمعات الانسانية من خلال الفوائد الاجتماعية وانفتاحها بين الشعوب منها:

أولاً: الإسلام ودوره في مشروع حوار الحضارات

أن الإسلام له دوره في تعزيز الحوار بين الحضارات.

إنّ الإسلام هو دين الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السّبل الضامنة لتحقيق التعايش والسلام والأمن، بل ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر. لهذا أمر الإسلام بالحوار والدّعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، والطّرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٤٠]. على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، إنه منهج حضاري متكامل في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم.

ونعتقد مع ذلك أن الإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات يرفض (المركزية الحضارية) التي تريد العالم حضارة واحدة، مسيطرة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والكيانات الحضارية الأخرى، فالإسلام يريد العالم (منتدى حضارات)

متعدد الأطـراف، يريد الإسـلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند، وتتبادل الثقافات والعلوم والأفكار، في كل ما هو مشترك إنساني عام، وبما يخدم المصلحة العامة لكل الحضارات.

والحوار يعد اسلوباً من اساليب الاتصال اللفظي يتم من خلال المناقشة بين اثنين او أكثر في عدة امور منها عقائدي او فكري او معنوي او مادي[٤١].

ينبغي القول في تعريف الحضارة ان هناك اختلافاً في وجهات النظر بين علماء الثقافة او علماء الاجتماع وكما اشرنا بشأن الثقافة، فان هناك تنوعاً وتعدداً في هذا المصطلح من حيث التعريف في هذا الصدد وان كانت أقل دائرة من تعريف الثقافة ومن ذلك قيل:

- **الحضارة**: هي نظام اجتماعي يكون سبباً لتشريع مكتسبات ثقافية وغاياته الاستفادة من الافكار والآداب والتقاليد والفنون ويقوم بالابتكار.
- **الحضارة**: هي مجموعة الافعال المكتسبة لكل مجتمع حيث يسعى افراده من خلال التعاون وتشاطر الفكر لرفع الحاجات الفردية والجماعية ونيل التفوق.
- **الحضارة**: هي عبارة عن التنظيم المنسجم لأفراد البشر في حياة معقولة بعلاقات عادلة واشتراك جميع افراد وفئات المجتمع في تحقيق اهدافهم المادية والمعنوية في كافة الابعاد الايجابية.
- **الحضارة**: هي عبارة عن تنظيم افراد البشر بعلاقات ممتازة واشتراك جميع افراد وفئات المجتمع في تحقيق الاهداف المادية والمعنوية والوصول الى حياة معقولة.

لقد كانت حياة أفراد البشر طيلة التاريخ على شكلين: الحياة البدوية او الحياة في الخيام، والحياة في المدن او في القرى، وكل منها ذات ثقافة وآداب وتقليد، ولكن الفئة التي كانت لديها أفكار ارقى سعت الى الحصول على رفاه وأمن أكثر وفقاً لخطة، وقد حصلت على أشياء أكثر مما فقدت من أشياء.

وعلى هذا نقول ان حقوق الانسان في الاسلام اتسمت بميزات عديدة من أهمها إن ما تتميز به حقوق الانسان في الاسلام إنها ربانية فهي تكليف وتشريف للإنسان باعتباره مستخلفاً في الأرض وسخر له الكون[٤٢].

١. اما ما جاءت به حقوق الانسان في العالم: ديباجة الميثاق تؤكد ايمان شعوب منظمة الامم المتحدة بالحقوق الاساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدراته وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية. كما بين ما ورد في المادة «١٣» ان وظائف الجمعية العامة (الاعانة على تحقيق حقوق الانسان والحريات الاساسية للناس كافة بلا تمييز بينهم بسبب الجنس او اللغة او الدين ولا تفريق بين الرجل والنساء).
٢. ما ورد في المادة «٥٥» من ميثاق الامم المتحدة والتي تقرر ان الامم المتحدة تعمل على ان تشيع في العالم احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين ولا تفرق بين الرجال والنساء.
٣. ان الامم المتحدة ضماناً لتحقيق نصوص ميثاقها في مجال حقوق الانسان انشأت داخل الامانة العامة للأمم المتحدة ادارة حقوق الانسان

وعيّنت لها احد كبار موظفيها، كما أنشا المجلس الاقتصادي والاجتماعي لجنة لحقوق الانسان والمشكلة من «٣٢» عضواً يختارون لمدة ثلاث سنوات للقيام بالدراسات واعداد التوصيات ومشروعات الاتفاقيات بجانب ما يحال اليها للعلم بالشكاوى العديدة التي تتلقاها الامانة العامة للأمم المتحدة عن انتهاك حقوق الانسان في شتى البلدان.

٤. اتخذ المجلس الاقتصادي والاجتماعي بإقرار الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اعدته لجنة خاصة بالمجلس ثم عرض الجمعية العامة في دورتها الثالثة ووافقت عليه وصدر في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م. واعتبر هذا الاعلان قمة ما وصلت اليه المدنية الحديثة في مجال حقوق الانسان. كما اعتبر اصداره بمثابة حدث تاريخي هام في تاريخ البشرية وقد دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٠م جميع الدول الى اعتبار يوم العاشر من ديسمبر من كل عام (يوم حقوق الانسان) وذلك لكي يلفت النظر الى هذه الحقوق وأهميتها.

٥. فقد نصت المادة (١٩) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من كانون الاول «ديسمبر» عام ١٩٤٨م على ان «لكل شخص حق التمتع بحرية الراي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الانباء والاخبار وتلقيها، ونقلها الى الآخرين بأي وسيلة ودون ما اعتبار للحدود». كما نصت المادة «٢٦» فقرة رقم «٢» على: «أنه يجب يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الانسان وتعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية كما يجب أن يعزز التفاهم والتسامح والصداقة جميع الامم وجميع الفئات العنصري أو الدينية، وان تؤيد الانشطة التي تطلع بها الامم المتحدة لحفظ السلام[٤٣].

هذه الوثيقة العالمية التي اتفقت عليها جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وجاء إعلانها في اجتماع المنظمة الدولية في باريس، شكلت نقطة تحول جذرية في حياة البشرية. فهذه هي المرة الأولى التي تتفق فيها جميع الدول على صياغة نظام قيم عالمي موحد ينطبق على جميع البشر دون تمييز. وقد نصت المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على: (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء) فقد اشتمل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على كافّة الحقوق الأصيلة للأفراد والجماعات، وللاختصار أخذنا منها:

١. حرية المعتقد والدين.
٢. الحق في التجمع السلمي والجمعيات.
٣. الحق في المشاركة بالحياة الثقافية للمجتمع.

ثانياً: غاية حوار الحضارات في الإسلام

الغاية الرئيسة من حوار الحضارات ضمن السلم والأمن ونوعاً محدداً من العلاقات التواصلية بين هذه الامم المختلفة.

اللّقاء بين الحضارات والثّقافات:

إنّ هذا المصطلح سبيل من سبل التّقارب بين الحضارات ذلك لأنّ التّقارب بينها أمر ممكن لأن

الحضارات مهما تعدّدت واختلفت فأنّها في الأصل قد تأثرت ببعضها، وأخذت عن بعضها لأنّه ليس هناك حضارة معزولة عن الأخرى، ولا يمكن أن تُنعت بكونها حضارةً الّا عند لقائها بالحضارات الأخرى، ذلك أنّ أيّ حضارة مَا سواء البائدة منها أو الباقية على قيد الحياة ليست شيئاًساكناً أو جامداً وانّما هي كيانات متحرّكة وتظهر حركتها في مدى قدرتها على الاستجابة للتّغيّرات الحاصلة أو التي ستحصل في العالم وخاصّة في هذا العصر الذي بلغت فيه بعض الحضارات قمّة التّقدّم في مختلف المجالات.

ولهذا لابدّ أن نُسلّم بمبدأ التفاعل والأخذ والعطاء بين الحضارات الانسانيّة، وطرح فكرة الاستعلاء الحضاريّ من الأذهان ذلك أنّ هذه الفكرة التي ترسّخت في بعض الأذهان هي التي كرّست التّباعد والقطيعة بين مختلف الحضارات الانسانيّة.

الاتّجاه المؤيّد للحوار بين الحضارات والثّقافات وذلك للصلة الوثيقة التي تجمع بين الأديان الثّلاثة وخاصّة (الصّلة الرّوحيّة) والتي تتجلّى أكثر وضوحاً في عقيدة التّوحيد التي تساهم بدور كبير في تحقيق التّعايش المشترك القائم على الإحترام المتبادل ومواجهة الأخطار التي تحيق بالبشريّة، على أنّ هذا كلّه لا يمكن أن يحصل دون أن تكون هناك إرادة للحياة والعيش مع الآخرين.

ثالثاً: أهداف الحوار

لابدّ لحوار الحضارات أن يقوم على جملة من الأهداف التي يقتضيها انتظام سير الحياة وتفرضها طبيعة الاجتماع البشري، باعتبار أنّ الحوار حركة مطردة وقوّة دافعة للنشاط الانساني وطاقة للإبداع في شتّى المجالات، كما أنّه سبيل الى تجنيب الشعوب والأمم المخاطر التي تتهّددها نتيجة تصاعد الخلافات واحتدام النزاع حول قضايا العقيدة والفكر والثقافة والحضارة وغيرها من القضايا التي لها علاقة كبيرة بالسياسة والاقتصاد والأمن والحرب والسّلم.

وعلى هذا الأساس سنقف عند جملة من الأهداف التي يمكن في ضوئها الوصول الى حوار حقيقيّ وجادّ بين الحضارات:

١. التّعارف بالمعنى القرآني باعتباره الأصل الأوّل في تعامل الشعوب والأمم بعضها مع بعض وتعاونها على ما فيه الخير والعدل والأمن والسلام، والتعارف، سيشمل كلّ ما يؤدّي الى حصول التعاون والتعايش، وكل ما فيه الخير للبشر.

ولا شكّ أنَّ هذا النّوع من الحوار بين الحضارات والثقافات هو المقصود بالذات أوّلاً وآخراً، لأنّ المجتمعات الانسانية اليوم في حاجة أكيدة للتقارب وتبادل الأفكار والآراء والثقافات في كنف التّسامح والتّعايش السّلمي، وذلك منطلق الإقرار بوحدة الجنس البشري، والاعتراف بحق الانسان في أن يحيا على هذه الأرض في مصالحة مع نفسه ومع أخيه الانسان، لأنّ المصالحة مع النفس ومع الآخر خلاصة التعاون والتفاهم والوئام الذي يجب أن يكون قاعدة أساسيّة للعلاقة بين الدوّل والأمم والشعوب.

٢. إشاعة قيم التّسامح التي أجمع عليها المؤمنون باللهّ والمؤمنون بوحدة الأصل الانساني وكرامته،

لأنّ الأساس العقليّ للتّسامح يكمن في رفض الحرب ورفض كل حضارة وكل ثقافة تشجّع عل الصراع والتّصادم، ورفض أيّ مشروع يدعو الى فكرة التّمييز العنصري بين البشر.

على أنّه لا يمكن أن يُفهم من التسامح باعتباره هدفاً من أهداف الحوار بين الحضارات بأنّه استعداد للذّوبان في الآخر، والقضاء على الهويات الدينية والوطنية، لأنّ الهوية هي القدر الثابت والجوهري التي بها تتميّز حضارة عن غيرها من الحضارات، وهي التي تجعل للشخصيّة الوطنية أو القومية طابعاً تتميّز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى، والحوار هو الذي يُقرّب المسافة بين الهويات المختلفة لمنعها من التصادم وذلك من خلال نشر قيم التسامح والتعايش فيما بينها وتمهيد الطريق أمامها للتعارف والتمازج إذا أمكن ذلك.

الّا أنّ التسامح الذي اعتبرناه من الأهداف الأساسية للحوار الحضاري والثقافي والدّيني لا يمكن أن يحقّق السلام العالمي والتفاهم بين البشر ما لم يتعرّض التسامح للعوامل الرئيسة والمتسبّبة في الصدّ والمواجهة لا بين الثقافات والحضارات فحسب، بل بين المجتمعات البشرية على اختلاف أصنافها وتوجّهاتها العقديّة والفكرية.

٣. الإنصاف والعدل: إذا اعتبرنا أنّ التّسامح لا يشكّل قيمة كافية لإعادة بناء الأخلاقيات المناسبة لتحقيق السلام والتعايش بين البشر إلّا إذا قام على أخلاقيات إيجابية وهادفة غايتها العمل على التقريب بين الحضارات والتفاعل فيما بينها، ومن أهمّ هذه الأخلاقيات التي يمكن أن نعتبرها من أهداف الحوار المشترك قيمة العدل لأنّ العدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع الناس ويمكث أثره في الأرض، وهو روح الشريعة الاسلامية، وهو جوهر القانون الوضعي، كما أنّه الأساس الذي يقوم عليه القانون الدولي الذي يجب أن يسود المجتمعات البشرية كلّها.

فليس هناك سلامٌ بين البشر، كما أنّه ليس هناك وئام بين الحضارات من دون الاعتراف بقيمتي العدل والإنصاف، ودون القبول بحقّ الغير في التّمتّع بالموارد البشرية والثروات الطبيعية. «وسوف تزداد الحاجة الى العدالة أو الى تحقيق المشاركة في الثروات الانسانية من قبل الجميع بقدر ما يتقدّم مسار الاندماج والتوحيد العالمي الذي تقوده العولمة الزّاحفة وتتفاقم الهُوّة التي تفصل بين الجماعات على المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية، أي بقدر ما تتفاقم «الهوّة الحضارية».

واذا كانت قيمة العدل بهذه المنزلة في الحوار بين الحضارات والشعوب فانّ هذه القيمة تفترض تجاوز الذات والأنانية القومية أو الطبقية وهذا التجاوز لا يحصل في نظرنا الّا بإشاعة قيم التضامن والتعاطف والإخوة الانسانية.

والحوار المؤسّس على قيمة العدل سيحقّق نتائج هامّة لعلّ في مقدّمتها رصد العوامل التي ساهمت في تردّي الأوضاع الاجتماعية واحتوائها وانقاذ البشرية من آفتي الفقر والمرض.

ذلك أنّ أهداف الحوار يجب أن تكون غايتها

الانسان أوَلاً وآخـراً تبدأ منه وتنتهي إليه حتّى يحافظ الحوار على قيمته وأهميته ومضامينه السياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة(٤٤).

رابعاً: زيارة أربعين الامام الحسين عليه السلام بناء اجتماعي وتجدد حضاري

لا كلام حول خلود زيارة الأربعين المباركة بل كل شعائر سيد الشهداء عليه السلام فهي تستمد توهجاً من قبسه المقدس، وهذه من الملاحظات التي ينبغي التوقف حيالها، فهناك الكثير من الشعائر الدينية والمناسبات الاجتماعية والثقافية التي لا يحتفى بها بمثل ما نشهده في زيارة الاربعين المباركة.

إن زيارة الأربعين أصبحت اليوم مسيرة دولية تربط جميع العالم، تؤكد جماهير زيارة الأربعين المباركة كل عام على مفهوم التضامن وتجسيده عمليا في الواقع السلوكي.

التضامن مع القيم والرموز والمجتمع ضروري حضاري ومطلب إنساني أساسي، فالقيم والمبادئ تحتاج الى روح التضامن من أجل الارتفاع بها الى مستوى الاحترام والتقديس والالتزام، وقد ترجمت جماهير زيارة الأربعين المباركة مفهوم التضامن بنحو أذهل العالم.

ان التضامن هو «التضامن مع العالم» فقد فاق تضامن جمهور الحسين عليه السلام وبخاصة جمهور زيارة الأربعين كل أشكال التضامن في العالم حيث أن الكل يهتم بالكل والكل يبادر لتقديم المساعدة وإسعاد المشاركين بموسم الزيارة المليونية بكل ما اوتي من قوة ولم تقف مواقفهم التضامنية عند حدود حث الزيارة، بل كانت روح التضامن حاضرة في كل ما يواجه الامة من أزمات ونكبات ومخاطر وموقفهم المعاصر من المشاركة في الدفاع المقدس ونصرة الحشد الشعبي لحماية العراق من التكفيرين. إن التواصل الدولي تواصل في غاية الأهمية بين الدول حيث أصبحت زيارة الأربعين تواصل دولي من جميع أنحاء العالم، ليس الموضوع فقط زيارة وعبادة واجواء قدسية يؤديها الناس بل كانت أكبر من ذلك، فإن اخلاق الشعب العراقي وكرمهم وتضحياتهم جذبوا بها دول العالم الى إحياء هذه الزيارة المليونية فمن خلال التواصل الدولي أصبحت العلاقات الدولية رصينة والدول متعاونة مع بعضها من حيث الزيارة المتبادلة والتجارة والاستيراد وغيرها من المشاريع التي اصبحت سبلاً للتواصل الدولي،..ولم يقتضي الامر من هنا فقط لقد بادرت بعض الدول العربية الدفاع عن العراق ومقدساته عند ما هدد التكفيرين في تفجير المقدسات والاضرحة.. وكان العكس أيضاً من ابناء العراق الغيارى لقد هبوا للدفاع عن الانسانية والمقدسات فضحوا بالغالي والنفيس مثل دفاعهم عن السيدة زينب في سوريا ودفاعهم عن القدس في فلسطين. إن تثمين التضحيات والجهود والاشادة المستمرة بشخوصها وذكرها يسهم في تشجيع الاخرين على التضحية والمثابرة وبذل الجهد من اجل القضايا العامة التي تتصل بمصلحة المجتمع العليا لكونها تعمل على تخليدها وتبنيها وحضورها المتجدد في ضمير الامة وذاكرتها الحضارية(٤٥).

خامساً: الفوائد الاجتماعية من خلال زيارة الأربعين

١. الشعور بالإخوة الايمانية الموالية: ان الانسان بفطرته مدني بالطبع وتميل نفسه الى الاجتماعات والتآلف مع الآخرين والركون الى الجماعة والاختلاف اليها وهذا سبب تكوين المدنية وانشاء المدن والمجتمعات الكبيرة، وهذا الميل عبارة عن غريزة فطرية موجودة في الانسان الساعي سعياً دائباً مستمراً لإشباع غرائزه، فميله نحو التوطن ضمن مجموعة من الناس والعيش معهم عبارة عن إشباع لغريزته هذه وتكوين الاسرة أيضاً، ولا شك ان مثل هذه المشاعر الاجتماعية التي يشعر بها الانسان اتجاه أخيه الانسان أياً كان، تزداد وتكبر في ظل أجواء الإيمان والعلاقات الدينية، ولاشك ولا ريب ان السائرين في درب الحسين عليه السلام يعيشون هذه الاحاسيس بأعلى صورها وأشكالها حيث الود والأمن والأمان والسلام وعلامات الاخوة المعبرة عن عمق القضية الايمانية في نفوسهم، ومثل هذا الامر مطلوب ومراد من قبل الشارع المقدس لأن في نمو وزيادة وتطور عُرى التآلف والمحبة فيما بين أبناء المسلمين فضلاً عن الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

عن جابر الجعفي قال: تقبضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي فقال: «نعم يا جابر إن الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحيه فلذلك المؤمن أخو المؤمن بأبيه وأُمه فإذا أصاب روحاً من تلك الارواح في بلد من البلدان حزن حنة عليه هذه لأنها منها».

٢. الشعور بالاعتزاز والانتماء الى الحسين عليه السلام: وانت تسير الى جانب الملايين من الناس متجهين الى الحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، تشعر بالفخر والاعتزاز، بانك تنتمي الى المدرسة الربانية التي من ائمتها ومدرسيها ابو عبد الله الحسين عليه السلام، وتنتابك مشاعر جليلة القدر تفقه من خلالها لماذا تمشي في هذا الطريق مبتهجاً؟ ولماذا ترفع الأقدام وتضعها سروراً؟، ولسان حالك مع الآخرين يقول: ولاشك ولا ريب ان مثل هذه الاهتداء نعمة كبيرة يتوجب على المؤمنين شكرها ليلاً ونهاراً بل وأن يبالغوا في شكر هذه النعمة بأن خصهم الله دون غيرهم أن صاروا من الحزينين على الحسين عليه السلام والباكين عليه والمواسين له بكل شيء والمتقربين الى جده المصطفى صلى الله عليه وآله في مودة أهل بيته عليهم السلام.

٣. التكافل الاجتماعي وزيارة الاربعين: ربما لا يحتاج المرء كثيراً للحديث عن الآثار العظيمة والكبيرة التي تتركها زيارة الأربعين لاسيما عند الماشين الى الحسين عليه السلام من تحويل قلوبهم الخاشعة والخاضعة والمتيمة بحب الله ونبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته، الى قلوب ملؤها العزم والارادة بأعلى صورها وأشكالها لرفع مشاكل المؤمنين من زائري سيد الشهداء بل وحتى من غيرهم، مع أن أعداد الزائرين قد وصلت الى الملايين لاسيما في هذا العام (١٤٣٥هـ) حيث بلغت الأعداد الى عشرين مليوناً حسب تصريحات رسمية لبعض

المؤسسات، لم يكن هناك من ادعى من الزائرين أنه بقي بلا طعام او شراب او منام او ما شاكل ذلك، بل ان بعض الزائرين كان يقول: اننا في مسيرة الحسين عليه السلام يوم الاربعين وقبل ذلك وبعده كنا نأكل ونشرب ونرتفع بأنواع النعم والخيرات ما لم يتيسر لنا مثلها في سائر ايام وشهور السنة.

٤. الشعور بالمساواة عند السائرين للحسين عليه السلام: وهذا الامر نعيشه جميعاً حينما ننظر الى يميننا وشمالنا ونحن نسير الى الحسين عليه السلام حين يكون معنا العالم المجتهد والخطيب البارع والطبيب المحب والمهندس والمدرس ورئيس القبيلة والفلاح والعامل وغيرهم كلهم سائرون في سمت وجهة واحدة على اختلاف أعمارهم وأجناسهم حيث الرجال والنساء والكهولة والشبيبة والطفولة يلهجون بكلمة واحدة «لبيك يا حسين»..وان الناس مهما تفاضلوا بالمال والجاه والمنزلة الاجتماعية وما الى ذاك فإن التفاضل الحقيقي يبقى هو الايمان الصحيح والعقيدة الحقة التي يحملها الانسان في قلبه ومشاعره وبالتالي يمشي ويسير الى جانب أخيه المؤمن أياً كان ماله ومنزلته وشهادته العلمية فيكون هو الثابت الباقي وكل ما عدا ذلك يكون زائلاً منتقلاً.

٥. الظهور صفاً واحداً أمام أعداء الحسين عليه السلام: اذا كان الله عز وجل قد دعانا أن نقف صفاً واحداً أمام أعداء الاسلام «فأن أبرز مظاهر ومصاديق هذا الصف المرصوص ما نرى من وقوف المؤمنين بعضهم الى جانب بعض، رجالهم ونساؤهم وهم يسيرون الى الحسين عليه السلام، ولاشك ان مثل هذا التعبير يريد أن يشير الى أن الجدار كما يصعب دفعه وكسره لأنه مكون من لبنات مفردة ولكنها متماسكة بقوة الاتحاد في ما بينها فأكسبته قوة جديدة الى قوتها، فهكذا الموالون السائرون الى الحسين عليه السلام فهم كتلة واحدة لا يمكن ثنيها وتفتيتها لانهم صاروا صفاً واحداً في حب الحسين عليه السلام كأنهم بنين مرصوص، وهذا هو سر من أسرار بقاء هذه الشعيرة عبر التاريخ رغم ما تعرضت له من ضربات شديدة من قبل الظالمين والناصبين، كما يصنعون في هذا العصر كآبائهم من خلال التفجيرات الارهابية التي يتصورون جهلاً منهم انهم قادرون من خلالها على إنهاء هذه الظاهرة الربانية المؤيدة بكرامات الله ودماء المؤمنين.

٦. تعارف الناس ولقاؤهم: لقد كانت واحدة، من جملة أهداف الاسلام التي سعى لها ودعا إليها هي التعارف بين الشعوب والقبائل ومد جسور التواصل النافع والتعاون على البر لا معا المؤلفين فقط من المسلمين وحتى مع غيرهم ممن يخالفنا في الدين، فإن من مصاديق التي يمكن للإنسان أن يراه بشكل واضح وصريح هي هذه المسيرات المليونية للناس الى الحسين عليه السلام التي يتخللهم فيها أبناء البلد ومئات الآلاف من خارج البلد، وقد درس العلماء حياة العباد والفلاسفة والرحالة والمؤرخين والناشطين السياسيين والقصيين وربطوا بين المشي في حياتهم وبين ما انتجوا للحضارة من نظريات وأفكار كبيرة ومهمة، كسقراط وبلاتو وارسطو وجون ستيورات ميل وترستوي وغيرهم حتى وصل الأمر الى درجة

قالت عندها السيدة سولنت: لو كان التأمل في الطبيعة ديناً لكان المشي من أهم طقوسه، والماشي الى الحسين عليه السلام يستطيع أن يحصل على كل هذه الفوائد الشخصية المترتبة على المشي سواء كانت على مستوى الصحة البدنية او الصحة النفسية والفكرية، وذلك من خلال تأملاته التي يعيشها أثناء طيّه للمسافات في الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام لاسيما سيد الشهداء عليه السلام وكذلك التأمل في وقته اين ذهب؟ وكيف استثمر؟ وماذا قدم لآخرته؟ وما الى ذاك من الافكار والتأملات التي ستنتهي به في آخر المطاف الى الوصول الى درجات متقدمة من الصحة البدنية والنفسية ولكن بشرطها وشروطها(٤٦).

سادساً: الانفتاح والتعاون بين الشعوب

ان واحدة من أنصع مؤشرات الوجود الحضاري او الاعتراف بالكيانات الحضارية على سطح الارض، وفي أي مفصل معين من مفاصل التاريخ المتعدد تتوقع في ملاحظة التنوع الثقافي البشري والاحتكاك الحي بين هويات وثقافات متنوعة، واندماجها في صيغة تمنح الجغرافية التي يسبحون في فضاءاتها سمت الكينونة الحضارية، فحيث ما كانت الحضارات كانت الى جانبها بصمات العيش المتنوع قديماً وحديثاً، ولا تشذ عن هذه السُّنَّة تجربة من التجارب المنظورة حيث لا توجد امة منغلقة على ذاتها، وقد استطاعت تحقيق انجاز حضاري مطلق، وحتى لو استطاعت في بعض الاحيان تحقيق انجاز مذكور، يبقى انجازاً حضارياً مشوهاً ومفتقراً للنضوج. إن الحضارة حصيلة شراكة إنسانية متعددة، وتبادل في التجارب والاضافات، وهذه من الحقائق التي لا تحتاج الى تذكير، فالمنجز يحتاج الى عقول، والعقول تتوزع على اصقاع شتى، ويحتاج بعد هذا وذاك الى عرض وتبادل منفعي، كي يتحسس المبدعون والمجزون بقيمتهم مما يدفع الآخرين الى تجاوز الحدود التي تم التوصل اليها وعبر التعرف على مضموناتها، للانطلاق من النتائج المنتهى عندها الى مستويات اقصى. ان انفتاح الشعوب على بعضها، وفسح فرص التعايش والاحتكاك يقلص الى حد كبير من الاخطار الملمح اليها، ويدفع باتجاه الشعور بالمصير المشترك للنوع الانساني الذي يواجه اخطاراً ومشاكل متحدية متعددة لا يمكن معالجتها إلا بالعمل المشترك كاسرة واحدة تعيش على الارض.

في الواقع ان معاينة الممارسة والتأمل في بواطنها من الزاوية النقدية يكشف عن علاقة جدية بين ما تقدم وموضوع ثقافة الزيارة. وذلك لسبب دقيق الخصوصية يتحدد في انفتاح مراكز العتبات المقدسة على امم وشعوب تنتشر على امتداد انتشار الانسان في الارض، تقصد هذه العتبات في مواسم ثابته وعلى مدار أيام السنة، وربما يتصور البعض ان الامم والشعوب تنتمي الى هوية وثقافة واحدة، وهي الثقافة والهوية الاسلامية وهذا محض توهم خاطئ، فالوافدون على زيارة عتبات اهل البيت عليهم السلام لا ينحصرون بالمسلمين فحسب، وانما تقصدها اجناس مختلفة لا تربطها علاقة خاصة بالإسلام، وإنما جذبها حب المعرفة وهواية الوقوف على الآثار والمعالم الحضارية والانسانية، وحتى لو اقتصرت

المسألة على الامم والشعوب الاسلامية، فهذا وحده كاف في تنمية الرغبة في الانفتاح والتعايش والاحتكاك، فان هذه الامم والشعوب تنحدر عن موروثات إنسانية خاصة مضافاً الى الثقافة الاسلامية العامة، وممارسة ثقافة الزيارة تتيح لمختلف الاعراق والهويات والثقافات فرصة الالتقاء والتعارف والحوار، بيد ان هذه المفاهيم الثلاثة «الالتقاء، التعارف، الحوار» تتميز دلالاتها عما هو مألوف عليه في الادبيات والانشغالات الخاصة، فـ«الالتقاء»عند العتبات المقدسة هو في حقيقته لقاء مبادئ وارواح عشقت الحق والعدل والخير فتعلقت بالأبواب المنفتحة عليه و(التعارف) أكبر من ان يكون تبادلاً للبطاقات الشخصية او ملفات السير الذاتية او لمحة عن حياة الشخص (**profile**). إنه مفهوم قرآني يهدف الى التسامي والتنافس للوصول الى أرفع مستويات التهذيب التقوائي (لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) والحوار يحوم الى التعاضد والتعاون والتواصي بالحق والصبر، وعرض قضايا الامة المصيرية على منهج أهل البيت عليهم السلام من أجل تشخيص الوضع وحالاته الملتبسة والعمل على علاجه أو توخي الامراض والمزالق المحتملة.

ان مراكز العتبات المقدسة تمثل فضاءً يجتمع تحته جميع المؤمنين الذين يشتركون في وحدة المبادئ ووحدة الهدف ليمدوا جسور الترابط فيما بينهم وليعززوا قوة ايمانهم بما يقتنعون فيه وما يعيشون همومه من مبادئ رسالية وذلك انهم يشكلون كياناً واحداً مهما ابتعدت بهم المسافات وتعددت اللغات واختلفت الهويات. وهي بعد هذا وذاك محطة انسانية يقف عندها كل من ينتصر للقيم الروحية ويقدس أصحابها والمضحين من أجلها، محطة تقربك ممن تشترك معهم في النوع والتوجه والحلم بغض النظر عن الاختلافات والتشوهات المشار اليها مما يساهم في نبذ الكره المتأتي عن الانغلاق والجهل وتقديس الذات[٤٧].

ومن خلال ما ذكرنا يمكن القول:

ان من أهم ما يميز ممارسة زيارة الاربعين المباركة هو عنصر (السير على الأقدام) من خلال كل الاتجاهات المؤدية الى مدينة كربلاء المقدسة، يجب التعريف بهذه النهضة على مستوى العالم، فلا يكفي الإيمان والاعتقاد بتلك الرابطة المقدسة والنهضة المباركة، وكذلك الحب والولاء، بل لا بد من نشرها وتعريفها للعالم، وان لا تحسب على طائفة معينة، فهذا ظلم وتحجيم لرسالتها وتقويض لمبادئها على مر الزمان، فهي رسالة الرحمة للعالم، وإذا كان الحدث والقدر قد تعين في بقعة من العالم فهذا لا يعني انه يخص ويرتبط فقط بتلك الظروف المحيطة بالحدث، كلا وألف كلا، وإلا لم تكن لرسالات الأنبياء قيمة سامية، وحضارية، فالرسول صلى الله عليه وآله انما بعث من الجزيرة العربية فهل كانت دعوته لهم فقط؟ وهو الذي قال عنه القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤٨] فتأطيرها يفقدها القدرة على التأثير والانتشار وهذا ما يحاول ويسعى إليه المكابرون والمعاندون والظالمون.

ولقد ساهمت الاختلافات بين المسلمين والتعصب المقيت في تكريس الجهل بتاريخ الإسلام وبالنهضة الحسينية بالخصوص حتى في أوساط

المسلمين، فالكثير لا يعرف عن هذه النهضة شيئاً ولا عن دورها، حتى يظن البعض أنها قصة خيالية أو أنها لم تقع البتة.

والبعض من المسلمين وفي أوساط الأمة الذين سمعوا وقرأوا عن هذه النهضة والمأساة لا يفرّقون بين الحق والباطل ولا بين يزيد والحسين، أو من أراد تحريف التاريخ والحقيقة بالقول إن الحدث مجرد اجتهادات وآراء في البيت الإسلامي الواحد، ولا تعدو كونها مشكلة سياسية، ليس لها علاقة بالدين والناس. كل ذلك يجعلنا أن نعيد صياغة المفاهيم والأفكار والمعلومات والأخبار التي ارتبطت بهذه المأساة ثم بثها ونشرها للناس والعالم أجمع ليتمكنوا من الاستفادة ويكونوا على قرب من الحدث ويمتلكوا القدرة على التمييز واتخاذ المواقف الصحيحة التي تنفعهم وترتبط بتاريخهم ومصيرهم.

والمهمة الحضارية لهذا الحدث في عصرنا الحاضر هي الاستفادة منها في عالم الانفتاح والتواصل عبر الوسائل المختلفة واستغلالها بشكل أمثل، حتى تصل هذه المعرفة للملايين من الناس والشعوب، وأن يكون لخطابنا ولغتنا تأثير باستخدام أبلغ الأساليب وأحسنها بما يواكب العصر والتحولات. يقول تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٤٩] ويقول أيضاً ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥٠]، أما المعرفة والمعلومات التي تفتقد الى الحكمة والتأثير فهي في الواقع تسيء الى أصحابها والى الأهداف التي يحملونها، مهما كانت الإمكانات والوسائل المتاحة والمتطورة، يقول تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٥١].

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلنا الى جملة من النتائج هي:

١. زيارة الأربعين مرتبة من المراتب العليا وهي نيل رضا الله عز وجل، والمواساة لرسول لله بحفيده المظلوم الحسين عليه السلام ولفاطمة وعلي عليهما السلام. فالإنسان المؤمن يكون انساناً كاملاً متقياً لله سبحانه وتعالى من خلال امور عديدة خصها الله تعالى للانسان مثل الصلاة والصوم وموالاة أهل البيت، ولأهمية زيارة الأربعين في حياة الانسان فقد خصها اهل البيت عليهم السلام انها من علامات المؤمن. كما ان الله تعالى خص أهل البيت عليهم السلام في العديد من الآيات القرآنية، وقد حثنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله في العديد من أحاديثه القدسية الى زيارة قبر الحسين عليه السلام فضلاً عن العديد من الأحاديث الواردة عن اهل البيت عليهم السلام.

٢. لقد بينا مفهوم وفضل الزيارة بصورة عامة وزيارة أهل البيت عليهم السلام وزيارة أربعين الامام الحسين عليه السلام خاصة ثم بينا الروايات والاحاديث التي تحث على زيارة القبور وزيارة قبر الحسين عليه السلام مما يترتب عليها من اثر ايجابي على نفس الزائر، وهناك ميزة لزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام.

٣. ومن ثم بينا ان زيارة المراقد المطهرة لأهل بيت النبوة عليهم السلام لا تقتصر على زيارة صاحب القبر نفسه بل انه مكان تجمعي عبادي لذكر الله تعالى اولاً فيتوسلون ويتوجهون بحوائجهم وامورهم

الى الله تعالى بحرمة صاحب القبر او المقام الشريف الذي يتوجهون له ومن ثم اجتمعت في جميع الطوائف عند الصلاة، صلاة الجماعة والاعياد واحياء الليالي العظيمة مثل ليلة القدر وليلة المبعث ودحو الارض، فيجتمعون في ظلٍّ واحد هو سقف محمد وال محمد، وبينّا كتب الزيارة الموجودة في المراقد والتي يكون ذكرها كله لله تعالى الا كلمات قليلة عبارة عن سلام على صاحب القبر لأربعة او خمسة اسطر كزيارة والبقية من اروع صور المناجاة مع رب العالمين. كما ورد في زيارة وارث. أسال الله الذي أكرمني بزيارتكم وخصني بمقامكم، كأن السائل يسأل الله بهم.

٤. أهمية التجمع الدولي في مسيرة أربعين الامام الحسين عليه السلام ولها عدة جوانب منها التعرف على مظلومية الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام وعلى الدول الاخرى التي تخفى عليها هذه الشخصية العظيمة حيث يمر على أسماعهم كأي انسان قائد استشهد من اجل بعض المقتضيات والمهمات التي تخص مصلحة خاصة ! فهنا بينّا من هو هذا القائد الذي خصه الله ورسوله لنصرة دين محمد صلى الله عليه وآله.

٥. كما ان السواح الذين يأتون من اكثر دول العالم ليس هدفهم جميعا زيارة أهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم واختصاصهم بالزيارة، فالبعض يأتون من اجل السياحة والاستطلاع على المعالم القدسية والدينية التي تخص العتبات المقدسة وهذا له أهمية بالغة أيضاً من خلال استطلاعهم واسألتهم عن العتبات ومن خلال ربط الوحدة الدولية بين الشعوب والدول.

٦. ان مسيرة الحسين المقدسة رسمت أبهى واعظم التجليات والتضحيات والفداء، ومن خلالها قد اجتمعت كل دول العالم في ظل واحد. لا يوجد فرق بين سني وشيعة ومسيحي وكردي وهندي وايراني وسوري واجنبي، ولا طبيب ولا مهندس ولا معلم، ولا عالم، ولا فلاح ولا غني ولا فقير، بل الكل متساوي في هذا المسير ألا وهو السير الى حبيب رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله لتعريف هذه النهضة المباركة على مستوى العالم، فلا يكفي الايمان والاعتقاد بتلك الرابطة المقدسة والنهضة المباركة بل لابد من نشرها وتعريفها للعالم بالصورة الحقيقية.

٧. من خلال زيارة أربعين الامام الحسين عليه السلام توصلنا الى عدة امور في غاية الاهمية منها الحوار مع الحضارات وبينّا ماهو الحوار وما هي الغاية من الحوار وما هي اهداف الحوار بين الشعوب والافراد؟

٨. ان المشي او السير ورد في كتاب الله تعالى وله كثير من المعاني فمنه سير ممدوح وسير مذموم، وذكرنا السير على الاقدام وفوائده الطبية للإنسان، ومن ثم بينا ان الامام الحسن عليه السلام حج عشرين حجة ماشياً، فهناك فائدة في المسير الى كربلاء الحسين من خلال الفائدة النفسية والصحية والأهم من هذا هي مواساة لرسول الله والزهراء عليهما السلام والاجر العظيم الذي ينال عليه الزائر الى قبر الحسين عليه السلام.

٩. ان زيارة الأربعين مثالٌ لحوار الحضارات الاجتماعية. لقد بينّا تلاحم الامم والشعوب من

خلال زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام وبيّنا معنى الحضارة مع وجود اختلاف في وجهات النظر بين علماء الثقافة وعلماء الاجتماع.

١٠. لقد نص الاسلام على حقوق الانسان والاخذ بها واحترام آراء الآخرين، وبيّنا حقوق الانسان في العالم التي نص عليها ميثاق الامم المتحدة بالحقوق الاساسية للانسان مما قرر في حقوق الحرية والاحترام للجميع بلا تمييز بين الامم الشعوب والافراد مثل حق التجمع السلمي وحق المشاركة بالحياة الثقافية للمجتمع.

١١. ان مراكز العتبات المقدسة تمثل فضاءً يجتمع تحته جميع المؤمنين الذين يشتركون في وحدة المبادئ ووحدة الهدف ليمدوا جسور الترابط فيما بينهم وليعززوا قوة ايمانهم.

١٢. ان سبط محمد مفخرة الانسانية، انه البذرة التي انتشرت جذورها، وانبسطت فروعها حتى رأينا الخلود يستظل في طرف منا، للحسين رحمه الله فضل في الشهادة يرجع بأفضال.

فمن الشهداء من يتركون الدنيا لانهم لم يحصلوا للبقاء فيها، ومن يخرجون من نعمائها وما دعتهم قط للدخول في تلك النعماء.

وأمام هذه المهمة العصرية هو الاهتمام بكل اللغات وتعدد التوجهات والميولات الدينية والاجتماعية، فالمعرفة ليست حكرا على أحد، بل هي عابرة الى القارات والأزمان، فالكلمة الطيبة هي رسول القلوب، وتأتي ثمارها كل حين بإذن الله تعالى.

اما شهيد كربلاء فقد ترك الدنيا وهي في يديه، وتركها وهي مقبلة بنعمائها عليه، تركها لأنه أرادها كما ينبغي ان يرضها ولم يقبل ان تريده هي على شرط كما ترتضيه، فهو الشهيد ملء الشهادة من نبل وعظمة وايثار، والشهيد الذي ارتفع بالشهادة الى ذروتها السماوية فوق مراتب الشهداء. ان الشهداء من هذه الطبقة لشرف لبني الانسان اجمعين، خليقة ادمية ينبغي ان يفخر بها ابناء ادم على اختلاف العقائد والاوطان.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد رسول رب العالمين.

الهوامش

(١) الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق المرتضى تاج العروس، ط٣ (الكويت، دار الهداية، ١٩٨٤م)، ج٣، ص ٢٤٥.

(٢) صائب عبد الحميد، الزيارة والتوسل، ص ١٥ نقلا عن زيارة الاربعين فوق الشبهات، ط١ (النجف الاشرف، دار ابو طالب عليه السلام)، ص٦.

(٣) العاملي، محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة (ايران، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، ١٤١٦هـ) ج٣، ص٢٢٢.

(٤) مياسة مهدي شبع، زيارة الاربعين فوق الشبهات، ط١ (النجف الاشرف، دار ابو طالب عليه السلام)، ص ٧.

(٥) التوبة: ٨٤.

(٦) الكهف: ٢١.

(٧) النساء: ٦٤.

(٨) السبكي، علي بن عبد الكافي، شفاء السقام، ص ١٨١ (نقلاً عن زيارة الأربعين فوق الشبهات، مياسة مهدي شبع) ص٨.

(٩) النساء: ٦٤.

(١٠) مياسة مهدي شبع، زيارة الاربعين فوق الشبهات، ص٩٨.

(١١) الكليني، فروع الكافي، ط١ (بيروت، مؤسسة الاعلمى، ١٤٢٦هـ) ص ٥٧٤ ٥٧٨ ٥٨٨، باب زيارة القبور «بالتصرف».

(١٢)المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط٢(بيروت، الوفاء، ١٤٠٣ هـ)، ج ٩٨ ص ٣٢ ٤٤.

(١٣)المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط٢ (بيروت، الوفاء، ١٤٠٣ هـ) ج ٩٨ ص٤٠.

(١٤)الذاريات: ٥٦.

(١٥)ال عمران: ١٠٢.

(١٦)الحج: ٣٢

(١٧)مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، الشعائر الحسينية ط١(النجف الاشرف، العترة الطاهرة ٢٠٠٥م) ص٦٥ «بتصرف».

(١٨)حيدر الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي، ط١(كربلاء، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين عليه السلام، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٦ هـ) ص٢٦ «بتصرف».

(١٩)مياسة مهدي شبع زيارة الاربعين فوق الشبهات ط١(النجف الأشرف، دار ابو طالب)، ص٤٩ ٥٠.

(٢٠)النور: ٣٦ -٣٨.

(٢١) الطباطائي، محمد حسين، تفسير الميزان (ايران: دار الكتاب الاسلامية، ١٣٧٩هـ)، ج١٥، ص ١٥٣.

(٢٢)الحويزي، عبد علي بن جمعة العربي، تفسير نور الثقلين، ط ٤ (قم، اسماعيليان، ١٤١٥هـ) ج٣، ص٦٠٧.

(٢٣)عبد علي العروسي، تفسير نور الثقلين، ط٢(قم، اسماعيليان، ١٤١٥هـ) ج٣، ص٦٠٨.

(٢٤)الشيرازي، محمد حسين، من حياة الامام الحسين عليه السلام، ط١ (كربلاء المقدسة، دار العلقمي، ١٤٣٠ هـ) ص٥٩ «بتصرف».

(٢٥)نفس المصدر، ص ٣٧.

(٢٦)الانعام: ١١

(٢٧)النور: ٤٥.

(٢٨)لقمان: ١٨ - ١٩

(٢٩)الفرقان: ٦٣.

(٣٠)حيدر الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام ط١(كربلاء، وحدت الدراسات التخصصية في الامام الحسين عليه السلام، ١٤٣٦هـ) ص٦٠، «بتصرف».

(٣١)حيدر الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام، ص٦٥.

(٣٢)الحجرات: ١٣

(٣٣) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ط (لبنان، مؤسسة البعثة ١٤١٣ هـ)، ج١٦، ص٥٦٠.

(٣٤)يونس: ١٩.

(٣٥)البقرة: ٢١٣.

(٣٦)الشورى: ١٣.

(٣٧)الانعام: ١٥٣.

(٣٨)ال عمران: ١٠٣.

(٣٩)محمد حسين الطباطائي، قضايا المجتمع والاسرة (بيروت، دار الصفوة) ص ٨-١٢ «بتصرف».

(٤٠)النحل: ١٢٥.

(٤١)عبد الرحمن بن ابراهيم الشاعر، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوكي الانساني، ط١(عمان، دار صفاء، ١٤٣٦هـ) ص١٥٤.

(٤٢)علي القائم، حوار الحضارات في المنظار الاسلام، ط١(البحرين، مكتبة فخراوي، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ) ص٢٨-٣٠ «بتصرف».

(٤٣)حسين حسن موسى، حقوق الانسان وحوار الحضارات مناهج الدراسات الاجتماعية، ص٨١، ٨٠، ١٥٨ (القاهرة، دار الكتاب الحديث، ١٤٣٣هـ) ص٨٠ ١٥٨، ٨١«بتصرف».

(٤٤)جعفر حسن عتريس، حوار الحضارات والتصادم نظرية «ادارة الارض» بين السلم والحرب (بيروت، دار الهادي، ١٤٢٥ هـ) ص١٦، ٦٧، ٦٠، ٢٣ «بتصرف».

(٤٥)الساعدي، محمد عبد الرضا، زيارة الأربعين دلالات وآفاق، ط٢ (باقيات، ١٤٣٧هـ) ص٢٨-٢٠ «بتصرف».

(٤٦) حيدر الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام، ط١ (كربلاء، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين عليه السلام في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٦هـ) ص٩٢، ١١٢.

(٤٧) الساعدي، محمد عبد الرضا هادي، زيارة الأربعين دلالات وآفاق، ص٢٩٢-٢٩٥، ط٢ (باقيات، وفا، ١٤٣٧هـ).

(٤٨) سبأ: ٢٨.

(٤٩) البقرة: ٨٣.

(٥٠) العنكبوت: ٤٦.

المصادر والمراجع

كتاب الله الكريم.

١. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ايران، مؤسسة الاعلمي، ١٣٧٤هـ.
٢. ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، لبنان، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، ١٩٩٢م.
٣. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، لبنان، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثالثة مصححة، ١٩٨٣م.
٤. عبد علي الحويزي، نور الثقلين، قم، اسماعيليان، ط الثانية، ١٤١٥هـ.
٥. محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
٦. ابو جعفر الكليني، فروع الكافي، لبنان، مؤسسة الاعلمي، الطبعة الاولى، ١٤٢٦ هـ.
٧. علي بن عبد الكافي، شفاء السقام، الطبعة الاولى.
٨. محمد عبد الرضا الساعدي، زيارة الاربعين دلالات وآفاق، وفا، الطبعة الثاني، ١٤٣٧ هـ.
٩. جفر حسن عتريس، حوار الحضارات والتصادم الامي، لبنان، دار الهادي، الطبعة الاولى، ١٤٢٥هـ.
١٠. حسين حسن موسى، حقوق الانسان وحوار الحضارات، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ١٤٣٣هـ.
١١. علي القائم، حوار الحضارات في منظار الاسلام، البحرين، فخراوي، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ.
١٢. صائب عبد الحميد، الزيارة والتوسل.
١٣. عبد الرحمن بن ابراهيم الشاعر، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الانساني، عمان، صفاء، الطبعة الاولى، ١٤٣٦ هـ.
١٤. باقر شريف القرشي، النظام الاجتماعي في الاسلام، لبنان، دار المرتضى، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ.
١٥. محمد حسين الشيرازي، من حياة الامام الحسين عليه السلام، العراق، دار العلقمي، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ.
١٦. مياسة مهدي شبع، زيارة الاربعين فوق الشبهات، العراق، دار ابو طالب، الطبعة الاولى.
١٧. حيدر الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام، العراق، دار الكتاب الوثائقي، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين في قسم الشؤن الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٣٦هـ.
١٨. عبد السادة محمد الحداد، مقالات في الامام الحسين عليه السلام، لبنان، الاعلمي، ٢٠١١م.
١٩. محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري، مصر، مصر العربي للنشر، ٢٠١٠م.
٢٠. العاملي، محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة، (ايران، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، ١٤١٦هـ).

المحور التاسع

دور المرأة والشباب في زيارة الأربعين

أثر زيارة الأربعين في ايديولوجية المرأة المسلمة الحجاب إنموذجاً

أفراح فليح مجيد عبد الحسين

بكالوريوس علوم قرآن- كلية الفقه الجامعة

العتبة العلوية المقدسة - شعبة المكتبة الفكرية

الملخص

لقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط مستقيم بعثه الله لتحقيق عبادة الله تعالى وذلك بتمام الذل والخضوع له تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتقديم ذلك على هوى النفس وشهواتها وبعثه الله متمماً لمكارم الاخلاق داعياً اليها بكل وسيلة وهادماً لمساوئ الاخلاق وجعل في الارض الائمة يهدون الى دين الحق وهم عترته الابرار الهادين حيث مكنهم الله وجعلهم خلفاء في الارض حيث انعم الله علينا بهذه النعمة وعرفنا بأئمتنا وجعل لنا زيارتهم نوراً نستضيء به حيث تمر علينا ذكرى استشهاد سيد شباب اهل الجنة مولانا الامام الحسين عليه السلام وهي زيارة الاربعين التي لها الاثر في تغير الافكار وسلوكيات واخلاقيات في المجتمع الاسلامي وخصوصاً في دور المرأةان الاسلام جعل المرأة فرداً من أفراد النوع الانساني واعترف بها جزءاً في المجتمع البشري بكل معنى الكلمة واعطاها كافة الحقوق في المجتمع البشري. ومن أجل فهم أيديولوجية المرأة المسلمة كان عنوان بحثنا هو أثر زيارة الاربعين في أيديولوجية المرأة المسلمة الحجاب أنموذجاً ولقد قسمت بحثي الى ثلاث مباحث.

١. المبحث الاول: الايديولوجية حيث عرفت في المطلب الاول معنى الايديولوجية وتطرقتُ الى عدة تعاريف لمعنى الايديولوجية و المطلب الثاني الايديولوجية في القرآن حيث بينتُ الآيات التي تتضمن عدة مفاهيم لمعنى الايديولوجية. والمطلب الثالث الايديولوجية في السنة الشريفة.

٢. المبحث الثاني: أثر زيارة الاربعين على أيديولوجية المرأة.في المطلب الاول: حيث عرفت ووضحت حقيقة الزيارة الاربعين والمطلب الثاني:أثر زيارة الاربعين في نشوء وتغير ايديولوجية المرأة اي كيفية تغير سلوكيات وافكار المرأة عند تأثرها بزيارة الاربعين.والمطلب الثالث: اثر زيارة الاربعين في فكر المرأة بشكل عام وبيان مدى تأثر فكر المرأة من خلال زيارة الاربعين.

٣. المبحث الثالث: أثر زيارة الاربعين على حجاب المرأة. المطلب الاول: عرفت المعنى لحقيقة الحجاب

وماهو الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة. المطلب الثاني: حيت بينتُ العلل والاسباب في التزام المرأة بالحجاب وبما أمر الله عز وجل به وأوجب على النساء من الواجبات لان الله عز وجل يحب ان يرى عباده بأحسن حال بالتزام عباده بالواجبات وخاصة المرأة حيث أرادها بأفضل الستر والحجاب والمطلب الثالث:دور زيارة الاربعين في التزام المرأة بالحجاب وتطرقت الى أهمية الحجاب والستر في الحياة المرأة الاجتماعية حيث نتخذ من مولاتنا فاطمة الزهراء وأبنتها زينب ﷺ القدوة الحسنة والسير على طريقهما في الحياء والعفة والكرامة.

The impact of the Arbaeen pilgrimage in the ideology of Muslim women - the veil as an example

Researcher. Afrah Fleih Majid

The Holy Shrine of Imam Ali "pbuh"

Abstract

While we witnessed the anniversary of the martyrdom of Imam Hussein "pbuh" which is the Arbaeen pilgrimage that has a great effect of changing ideas, behavior and ethics in the Islamic society, especially the role of women.

Islam has made women as an important member of the human race and as a part of human society in every sense of the word. In order to understand the ideology of Muslim women, the title of our research was "The impact of the Arbaeen pilgrimage in the ideology of Muslim women- the veil as an example" which was divided into three chapters.

1. Ideology, where the research touched on several definitions of the meaning of the ideology in the Holy Koran and Hadiths.

2. The true nature of the Arbaeen pilgrimage and its impact on the ideology of women.

3. The impact of the Arbaeen pilgrimage on the veil of women, and the meanings of "Hijab" and what is the legitimate hijab for Muslim women, as well as the role of the Arbaeen pilgrimage to the commitment of Muslim women to their hijab.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد رسول الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين. فلقد بعث الله تعالى محمداًﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط مستقيم، بعثه الله لتحقيق عبادة الله تعالى وذلك بتمام الذل والخضوع له تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتقديم ذلك على هوى النفس وشهواتها، وبعثه الله متمماً لمكارم الاخلاق داعياً اليها بكل وسيلة وهادماً لمساوئ الاخلاق، وجعل في الأرض الأئمة يهدون الى دين الحق وهم عترته الأبرار الهادين حيث مكَّنهم الله وجعلهم خلفاء في الأرض، وأنعم الله علينا بهذه النعمة وعرَّفنا بأئمتنا وجعل لنا زيارتهم نوراً نستضيء به حيث تمر علينا ذكرى استشهاد سيد شباب اهل الجنة مولانا الامام الحسينؑ وهي زيارة الأربعين التي لها الاثر في تغير الافكار والسلوكيات والأخلاقيات في المجتمع الاسلامي وخصوصاً في دور المرأة.

ان الاسلام جعل المرأة فرداً من أفراد النوع الانساني واعترف بها جزءاً في المجتمع البشري بكل معنى الكلمة وأعطاها كافة الحقوق، ومن أجل فهم أيديولوجية المرأة المسلمة كان عنوان بحثنا هو أثر زيارة الأربعين في أيديولوجية المرأة المسلمة الحجاب انموذجاً ولقد قسمت بحثي الى ثلاثة مباحث.

١. المبحث الاول: الايديولوجية حيث عرَّفت في المطلب الاول معنى الايديولوجية وتطرقتُ الى عدة تعاريف لمعنى الايديولوجية، والمطلب الثاني، الايديولوجية في القرآن حيث بيَّنتُ الآيات التي تتضمن عدة مفاهيم لمعنى الايديولوجية. والمطلب الثالث الايديولوجية في السنة الشريفة.

٢. المبحث الثاني: أثر زيارة الأربعين على أيديولوجية المرأة. وعرَّفتُ في المطلب الاول وأوضحتُ حقيقة زيارة الأربعين، وفي المطلب الثاني: أثر زيارة الأربعين في نشوء وتغير ايديولوجية المرأة، أي كيفية تغير سلوكيات وأفكار المرأة عند تأثرها بزيارة الاربعين. وفي المطلب الثالث: أثر زيارة الأربعين في فكر المرأة بشكل عام وبيان مدى تأثر فكر المرأة من خلال زيارة الاربعين.

٣. المبحث الثالث: أثر زيارة الأربعين على حجاب المرأة. المطلب الأول: عرَّفتُ معنى حقيقة الحجاب وما هو الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة. وبيَّنتُ في المطلب الثاني العلل والاسباب في التزام المرأة بالحجاب وبما أمر الله عز وجل به وأوجب على النساء من الواجبات لأن الله عز وجل يحب أن يرى عباده بأحسن حال وذلك بالتزام عباده بالواجبات وخاصة المرأة حيث أرادها بأفضل الستر والحجاب، وتناولت في المطلب الثالث دور زيارة الأربعين في التزام المرأة بالحجاب وتطرقت الى أهمية الحجاب والستر في حياة المرأة الاجتماعية حيث نتخذ من مولاتنا

فاطمة الزهراء وأبنتها زينب عليها السلام القدوة الحسنة والسير على طريقهما في الحياء والعفة والكرامة لأننا في هذه الأيام وبمناسبة زيارة الأربعين نستذكر المصائب التي واجهت أهل البيت عليهم السلام ونتذكر مصيبة الحسين عليه السلام وسبي عياله وأهل بيته عليهم السلام وننظر ونستشعر بالآلام مولاتنا زينب عليها السلام برغم تلك المصائب وتلك الاهوال حافظت على سترها وحجابها بين الاعداء لعنهم الله، لذلك نحن نواجه في عصرنا الراهن موجة عنيفة من الاصوات التي تتصاعد مدَّعية بأن الحجاب والستر يعني التخلف وهو غير حضاري وغير ثقافي فيحاولون تشويه لبس الحجاب أو الستر فعلينا أن نرد ونقول ان الحجاب او الستر هو قمة الثقافة لان البشر في العصور القديمة كانوا شبه عُراة وهذا هو التخلف بعينه، ومن هنا علينا إثبات ان نظهر بأن الحجاب يعني الثقافة، التحضر، يعني الطاعة لله ورسوله وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

وقد اعتمدتُ في بحثي هذا على عدة مصادر (منها مكتبة أهل البيت عليهم السلام الألكترونية) ومن أهم تلك المصادر كتاب دروس في العقيدة للعلامة اليزدي حيث عرَّف الايديولوجية أنها عبارة عن مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الانسان وأفعاله وحسب هذا التعريف كان بحثي المتواضع لمعرفة مدى تغير من سلوكيات وأفكار المرأة من خلال زيارة الاربعين وأهمية لبس الحجاب والستر للمرأة أمام الرجل الاجنبي أثناء أدائها للزيارة الاربعينية.

المبحث الأول:

الايديولوجية

المطلب الأول: تعريف الايديولوجية

معنى الايديولوجيا لغوياً: يتكون من كلمتين (ides ومعناها الفكرة loges) ومعناها العلم اذن فالإيديولوجية تعني علم الافكار ويراد بها ذلك العلم الذي يدرس الافكار من حيث نشأتها واشكالها وقوانينها[1].

معنى الايديولوجية في قاموس علم الاجتماع: هي نسق من المعتقدات والمفاهيم (الواقعية ومعيارية) يسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منظور يوجه ويبسط الاختيارات السياسية الاجتماعية للافراد والجماعات وهذا هو ما يمكن وصفه بالمعنى الحيادي للمصطلح، أو هي نظام الافكار المتداخلة (كالمعتقدات والتقاليد والمبادئ والاساطير) التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية وتبررها في نفس الوقت، وتقوم الايديولوجية بمهمة التبريرات المنطقية والفلسفية لنماذج السلوك الاتجاهات والاهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة[2].

أيديولوجيا:

١. مذهب سياسي أو اجتماعي يشهد العالم الان صراعاً بين ايديولوجيات عدة.

٢. هو علم الافكار وموضوع دراسته الافكار والمعاني وخصائصها وقوانينها واصولها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها والبحث عن اصولها بوجه خاص.

٣. مجموعة الآراء والافكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب او أمة او حزب او جماعة[٣].

لقد عرفت الكلمة (الايديولوجية) معاني جمة منها انها علوم الافكار من حيث هي افكار اي كظاهرة للتفكير الانساني وبمعنى اكثر دقة: هي العلم الذي يعالج تكوين الافكار الى جانب كونها نسقاً فلسفياً لتشكيل الافكار[٤]، أو تدل على العلم الذي يهدف الى دراسة الافكار (بمعناها العام) أي من حيث أعمال وعي على صعيد خصائصها وانظمتها وعلاقاتها [٥].

وبمعنى آخر يقصد به مجموعة من الأفكار الأساسية التي تنبثق من العقائد والقيم المتصلة بتراث حضاري معين لتصور بصفة شاملة ما هو كائن وما سيكون وترسم بذلك أطار حركة الجماعة السياسية وتحدد لها معالم أهدافها[٦]، ومن معاني الايديولوجية أنها عبارة عن مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الانسان وافعاله[٧].

إن ألفاظ الرؤية الكونية والآيديولوجية استعملت في معان متقاربة، ومن معاني الرؤية الكونية انها عبارة عن مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والانسان بل وحول الوجود بصورة عامة.

وفي ضوء هذين المعنيين يمكن أن يُعتبر النظام العقائدي والاصولي لكل دين هو رؤيته الشاملة، ونظام أحكامه العملية الكلية آيديولوجيته، وبذلك يمكن تطبيقها على اصول الدين وفروعه، ولكن يلزم التأكيد على ان مصطلح الايديولوجية لا يشمل الاحكام الجزئية كما ان الرؤية الكونية لا تشمل المعتقدات الجزئية. ان الايديولوجية تستخدم أحياناً في معنى عام بحيث يشمل الرؤية الكونية[٨].

فبناء على التعاريف المتقدمة وما يلائم بحثي هذا: يمكن أن نرجح تعريف الآيديولوجية بـ: مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الانسان وأفعاله التي سيكون لحكم العقل والرؤية الكونية دورهما الكبير في صدور أفعال الإنسان وسلوكه حيث أن الرؤية الكونية (هي معرفة المبدأ والمعاد، والسبيل اليه من خلال النبوة) ويتعرف عليها بالعقل الذي يحكم على أفعال الانسان وسلوكه. والعقل يصدر أوامره طبقاً للرؤية الكونية وبذلك يتكون سلوك الانسان وأفعاله (فبهما تتكون الايديولوجية).

المطلب الثاني: الأيديولوجية في القرآن

توجد في القرآن آيات متعددة تثبت بجلاء ما للأيديولوجية والرؤية الكونية من أهمية ولعل أوضحها تلك الآيات التي تعد الأشخاص المحرومين من الأيديولوجية والرؤية الكونية الصحيحين أحط وأضل من الدواب [٩].

أي أولئك الأشخاص الذين تكون آذانهم صمّاء عن سماع الحقائق، وألسنتهم خرساء عن قول الحقائق وهم لا يستغلون عقولهم لكي يدركوا هذه الحقائق في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠] وفي آية أخرى من نفس هذه السورة: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[١١] ومن هذه الآية اعتبر الذين لهم أذان سالمة لكنهم لا يستمعون لآيات الله ودعوة الحق ونداء السعادة، والذين لهم ألسنة

لكنها ساكتة عن الدعوة إلى الحق ومكافحة الظلم والفساد، وكذلك الذين لديهم نعمة الفكر والعقل ولا يصححون تفكيرهم[١٢].

وفي قوله تعالى في سورة الأعراف يوضح لنا في الآية ﴿ولَقَدْ ذرأنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولِئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولِئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[١٣] أي أنهم بالرغم مما لديهم من استعداد للتفكير وإنهم ليسوا كالبهائم فاقدي الشعور والإدراك إلا أنهم في الوقت ذاته لا يفكرون ولا يستغلون تفكيرهم ليبلغوا السعادة... لقد شبَّه القرآن الكريم الجاهلين الغافلين عديمي الشعور بالأنعام والبهائم مراراً، إلا أن بلاغة القرآن في تشبيه هؤلاء بالأنعام إنما كانت لأنهم منهمكون باللذائذ والشهوات...فهم كالأمم التي تحلم في الوصول إلى حياة مادية مرفهة تحت شعارات براقة تخدع الإنسان...فالأمم التي لا تفكر بنفسها وتتلهى بالأمور التافهة غير الصائبة ولا تعالج جذور شقائها ولا تطمح لأسباب الرقي ليس لها آذان سامعة ولا أعين باصرة فهي من أهل النار[١٤].

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ تشير الآية الاولى الى الاهتداء والإصابة لطريق الحق بالعلم...والذين لا يعلمون شيئاً من امور الدين أي لا يصيبون طريق الحق فالواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء[١٥]، أما في الآية الثانية فقد وصفهم سبحانه وتعالى بأنهم بمنزلة من لا عقل لهم إذ لم ينتفعوا بعقولهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[١٦] يذكر تفسير النور في هاتين الآيتين بأنه ليست كل نظرة تنطوي على بصيرة وليس كل ناظر ينجذب صوب الحقيقة، حتى الانبياء لا يمكنهم التأثير فيمن عميت بصيرته أولئك الذين لا تقودهم النظرة الى الحق، فمن عمي فسوف يحشر في يوم القيامة أعمى وهذا هو عمى القلب وفقدان البصيرة ونسيان آيات الله في الحياة الدنيا[١٧].

أن قيمة الانسان من وجهة نظر القرآن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بايديولوجيته ورؤيته الكونية أي الانسان الذي يفكر ويعمل قواه المدركة فيظفر برؤية كونية وإيديولوجية صحيحتين ثم يجعلها أساساً لسلوكه الحر المختار وهو الانسان المؤمن وهو الذي يتمتع بقيمة إيجابية.

أما الشخص الذي يكف نفسه عن التفكير واستغلال قواه المدركة وهو الانسان الغافل او الذي يتعصب او تحمله دوافع اخرى على رفض الإيديولوجية الحقيقية (وهو الكافر) فانهما يتصفان بقيمة سلبية[١٨].

لذلك نوضح أن السلوك والأفعال الصادرة من هؤلاء (أي أيديولوجيتهم) هو عدم التعقل واتباع الأهواء والآباء دون دليل كالصم والبكم الذين لا يمتلكون أدوات المعرفة والتعقل.

المطلب الثالث: الإيديولوجية في السنة

وجاء في الحديث الشريف (رحم الله امرءاً أعد لنفسه وأستعد لرمسه وعلم من أين وفي أين والى أين)[١٩]. مَن أراد أن يكون إنساناً حقاً فلابد أن يفكر في حقيقته ماهي ومن أين جاء... ولابد أن يعرف ماذا يجب عليه أن يعمل لكي ينال السعادة، أي أن تصبح له رؤية كونية واقعية وأيديولوجية صحيحة[٢٠].

ولقد ذكر المحقق الحلي في أحكام الشريعة على الرغم من ترابطها واتصالها بعضها ببعض يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام كما يلي:

١. العبادات: وهي الطهارة والصلاة والصوم...

٢. الأموال: وهي على نوعين:

(أ) الأموال العامة، ونريد بها كل مال مخصص لمصلحة عامة.

(ب) الأموال الخاصة، ونريد منها ما كان مالا للأفراد واستعراض أحكامها...

٣. السلوك الخاص: ونريد به كل سلوك شخصي للفرد لا يتعلق مباشرة بالمال ولا يدخل في عبادة الإنسان لربه، وأحكام السلوك الخاص نوعان:

الأول: ما يرتبط بتنظيم علاقات الرجل مع المرأة، ويدخل فيه النكاح والطلاق...الثاني: ما يرتبط بتنظيم السلوك الخاص في غير ذلك المجال، ويدخل فيه أحكام الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن وآداب المعاشرة وأحكام النذر واليمين والعهد...

٤. السلوك العام: ونريد به سلوك ولي الأمر في مجالات الحكم والقضاء والحرب ومختلف العلاقات الدولية[٢١].

ان النبيﷺ اسوة كل مسلم في كل شيء، وقد اختار الله له أن يكون أعرف الناس بالحقائق، فمن هنا عزف عن المال والذهب وما يتعلق بالدنيا، وانتخب الزهد، ليكون دائم الاتصال بربه، إذا جاع سأله، وإذا شبع شكره. وهذا تعليم لاتباعه على سلوك نفس الطريق وعدم التكالب على الدنيا، لأنه موجب للاعراض عن الآخرة، والغفلة عن الرب تعالى. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾، فالغنى موجب للطغيان إلا من عصم الله[٢٢].

يتبين لنا من خلال الاحاديث أن الانسان بفعل العقل والتفكر يغير سلوكه وأفعاله بالتعرف الى حقائق الامور لكي يصل الى أعلى درجات السعادة وتصبح له رؤية كونية وأيديولوجية صحيحة.

المبحث الثاني:

أثر الزيارة الأربعينية على ايديولوجية المرأة

المطلب الأول: حقيقة الزيارة الأربعينية

عند معرفة حقيقة زيارة الأربعين لابد أن نتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لزيارة الاربعين ليتسنى لنا معرفة حقيقة زيارة الأربعين فنجد أنْ هي.

كما ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب (تزاوروا): زار بعضهم بعضاً. والتزوير: كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر، والتزوير: أن يكرم المزورُ زائرَه ويعرف له حق زيارته[٢٣].

الزيارة في اللغة: من مجموع كلمات اللغويين والمفسرين تحصل أن الزيارة هي القصد والملاقاة.

زور، زاره، زيارة، وزورا، قصده فهو زائر و(زور) وقوم (زور) وزاور مثل سافر وسفر وسفارة ونسوه (زور) أيضاً و(زور) وزائرات والمزار يكون مصدراً وموضع (الزيارة) و(الزيارة) في العرف قصد المزار إكراماً له واستئناساً به[٢٤].

والزور(الزائر) وهو الذي يزورك: يقال رجل زور، وفي الحديث إن لزوارك عليك حقاً، وهو في الأصل مصدر، وضع الاسم كصوم ونوم، بمعنى صائم ونائم[٢٥].

وأما المعنى الاصطلاحي للزيارة فأنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي وإن كان المتبادر هو زيارة القبور غالبا[٢٦].

وعلى معنى حقيقة الزيارة هو الحضور عند المزور فتحقق هذا المعنى من الزائر لهمعليهم السلام مشكل جداً إلا إذا عمل بوظائف الزيارة وهي على قسمين الاولى هي الوظائف التي تجب مراعاتها ظاهراً والثانية هي التي يجب مراعاتها باطناً[٢٧].

وزيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر إلى النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم رفع معدن الذات والطينة الإنسانية[٢٨].

إن يوم الأربعين هو ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق ودفنه مع الجسد الطاهر في هذا اليوم، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة ومن جميع أنحاء العالم إلا تذكير بمسيرة كربلاء الخالدة، ويسمى هذا اليوم في العراق (مرد الرأس) وهو العشرين من صفر[٢٩].

وان مصطلح الأربعين له مكانة خاصة في الثقافة الاسلامية وفي موارد متعددة سواء في المسائل والاحكام الفقهية أم في المباحث الاخلاقية والمطالب العرفانية أم في المباني الاعتقادية، وقد أبرزها الشارع المقدس بصورة سلسلة من الأحكام والقوانين التكليفية أو السلوكية والتربوية النفسانية مما يؤكد إن لهذا المصطلح من خصوصية أو خصوصيات[٣٠]. وما يخص بحثنا هو معرفة السلوك الذي يتخذه الانسان للوصول الى مدى تأثير زيارة الأربعين في سلوك الانسان أي في ايديولوجيته وهذا ما نذكره لاحقاً.

ولبيان حقيقة زيارة الأربعين حيث ذكر الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة استحباب اختيار زيارة الحسين على الحج والعمرة المندوبين وجاء الحديث الشريف عن الحسن بن محمد الطوسي في (الأمالي) عن أبيه عن... من زار قبر الحسينعليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وغفر له ما تقدم وما تأخر[٣١].

وقد أكدت الروايات على زيارة الحسينعليه السلام عارفاً بحقه يبدو أن ذلك أصبح واضحاً من خلال معرفة[٣٢] ما يأتي:

١. أن المعرفة في القران والسُّنة هي نبراس من يريد سلوك جادة الحق، وبهذا ضُمن للحق امتناعه عن التزوير والتحريف... ومن أراد الحق فإنه لا يجد عن المعرفة بدلاً فيكون صادقاً ومقبولاً على الدوام، وهكذا من يريد زيارة الحسينعليه السلام بحسب حقيقتها فانه لا يجد عن المعرفة بدلاً.

٢. ان المعرفة هي اساس الاعتقادات التي هي ليست مجرد معلومات وشعارات وإنما هي معلومات عقد عليها القلب لحبه ومعرفته إياها وهكذا زيارة الحسين أيضاً...

٣. ان المعرفة هي الحد الفاصل بين (التقليد والعبودية للهوى والشيطان) وبين (الحكمة والعبودية لله سبحانه) اذ بالمعرفة يحتكم الانسان في حركته الى حقائق الامور في نفسها...

٤. ان المعرفة من الامور التي يمكن أن تقر لدى الانسان بل يمكن إكسابها للآخرين وتوريثها لهم وهو ما يضمن الحفاظ على استمرار المعروف وعدم اندثاره بموت حامليه...

٥. ان المعرفة كأساس وعامل رئيس في حركة الانسان ترسم حدود الاشياء وارتباطها...

ومن المؤكد ان أعمال زيارة سيد الشهداء عليه السلام من طرق التصحيح التي انتهجها أهل البيت عليهم السلام، فإن دراستها بتأنٍ ودراية تثبت أنها هجرة بدنية روحية الى الباري عز وجل فهي واسعة الأبعاد، فلم تدع جانباً من جوانب الانسان إلا ووضعت مسار تصحيحه من البدن الى الروح الى الافكار والمعارف[٣٣].

ان للزيارة المباركة عدة أبعاد أساسية وهي تربية الجماعة الصالحة والخط الاصيل المتمثل باتباع اهل البيت عليهم السلام على مضمون نهضة الحسين عليه السلام ويتم ذلك على مستوى الولاء لهذا المحور الاسلامي وهو الحسين والتلبية لندائه باعتباره داعياً الى الله[٣٤].

٦. وزيارة الأربعين مستمدة من كلام الائمة عليهم السلام مباشرة وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة لا من وصول السبايا الى كربلاء في العشرين من صفر والى هذا أشار العلامة المجلسي في كتابه زاد المعاد. ولعل تأخر ظهور إعلان الأمر منهم عليهم السلام بزيارة الأربعين الى أيام الامام الصادق عليه السلام يرجع الى سعيهم للحفاظ على سرية تحركات شيعتهم كي لا يتم رصدهم من قبل أعدائهم في زياراتهم في أيام محددة[٣٥].

٧. ان النبي صلى الله عليه وآله أراد إبراز حقيقة دينية تتعلق بشخصية الامام الحسين عليه السلام التي عبر عنها من خلال كلامه (حسين مني وأنا من حسين) حيث جمعت بين المحتويين العاطفي والديني وذلك لأنَّ مني ومنا التي يستعملها القرآن والأنبياء... وإن استعمالها في القرآن جاء في أطار تأكيد واقع ديني او حقيقة دينية[٣٦].

وما تبين لنا من خلال الاحاديث من قبيل (انما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا)[٣٧] دليل على ان اهل البيت عليهم السلام عملوا على معرفة شيعتهم بمدى واهمية ومعرفة حقيقة الزيارة واتباع اهل البيت عليهم السلام بوضوح وتهيئتهم وإعدادهم ومعرفتهم لخصوصية زيارة الأربعين بشكل خاص وإعدادهم ومعرفتهم لجميع شؤونهم وامورهم بشكل عام.

المطلب الثاني: أثر الزيارة الأربعينية في نشوء وتغيير الايديولوجية

عرفنا فيما تقدم معنى الآيديولوجية بأنها عبارة عن مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الانسان وأفعاله[٣٨]، وإنَّ أثر زيارة الاربعين في تغير السلوك الانساني وأفعاله أي (آيديولوجيته)، حيث لها تأثيرات ومعطيات في تغير سلوك الإنسان وأفعاله ومنها:

١. **تعزيز الإيمان في النفوس:** وهو التعبير بلفظ (أشهد) وكأنها تعطي للزائر حالة حضور ومعايشة لكل الامور التي وقع عليه الاستشهاد[٣٩].

٢. **المعطيات الاصلاحية في زيارة الاربعين:** والمقصود من إصلاح هو إمكانية تعديل السلوك المرضي عند بعض الشخصيات وتهذيب وتزكية أنفسها وأعمالها من خلال زيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام وبخاصة زيارة سيد الشهداء عليه السلام، ولنكن أكثر تحديداً تقديم العلاج الإصلاحي من خلال الزيارات ذات الطابع الجماهيري الكبير فقد ثبت من خلال الملاحظة العملية والميدانية والشهادات الموثقة لعدد من العلماء والمهتمين أنَّ للزيارة وبخاصة زيارة الاربعين المباركة تأثيراً قوياً على إصلاح الشخصيات ذات السلوك السلبي والانحرافي[٤٠].

٣. **الالتزام الديني للأفراد:** إذ أنها تزيد من التزام المؤمنين بالأحكام الشرعية في الوقت الذي تشجع وتحفز غير الملتزمين دينياً على الاقلاع عن الافعال المحرَّمة[٤١]، ويؤيد هذا الامر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (ان الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة) فهو مصباح لمن هداهم الله تعالى الى الطريق السوي والارتقاء بهم الى مراحل التكامل النفسي.

٤. التأكيد على أن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يوفر للامة الاسلامية حاجتها العقلية كما وفَّر لها حاجتها العاطفية، فالحسين عليه السلام كما أصبح للمسلمين بمثابة نقطة الرجاء والعاطفة بنص الرسول صلى الله عليه وآله حيث وصفه بـ (سفينة النجاة) التي تؤدي دور المنقذ أثناء وبعد الأمواج والعواصف والدوامات فهو بشعاراته ومنجزاته الدينية أصبح (مصباح الهدى) بالنسبة للمؤمنين الذين تعترض طريقهم الانحرافات الفكرية والسياسية[٤٢].

٥. **معالجة الزيارة للانحراف السلوكي:** إن لهذه الزيارة دوراً في تصحيح علاقة بعض أصحاب السلوك المنحرف بالمجتمع، فممارسة الزيارة تقرّبهم من المجتمع وتعيدهم إليه حيث أكثر الأوقات تقرباً الى الله تعالى وحيث يعج مجتمع الزيارة بالمؤمنين وبالسلوكيات الأخلاقية العظيمة وبالأجواء العرفانية والروحانية وهذا ما يُحدث صعقة إيمانية وصحوة عقلية عند بعض المنحرفين ما ينعكس على مراجعة سلوكهم ومحاولة تعديله وتعرضهم الى رحمة الله تعالى التي تنزل على الامة من المؤمنين والمؤمنات[٤٣].

عن الصادق عليه السلام قال ((إن زائر الحسين جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم يعبرها كما يخلّف أحدكم الجسر وراءه إذا عبر))[٤٤]، ومن أهم أدوات العلاج:

أ. يعمل التعرض والمعايشة والإحتكاك بالسلوكيات السوية على اكتسابها واحترامها وتمثلها بالحياة فالاحتكاك بالمجموعات الصالحة يقود للسلوك الايجابي، وإنَّ الاحتكاك بجمهور زيارة الاربعين المباركة ومعايشة سلوكياتهم عن قرب يسهم في تعلق البراعم والشباب وغيرهم من الفئات العمرية[٤٥].

ب. التحفيز والتوجيه لأدب الزيارة والالتزام الزائرين بها سيزيد من تحفيز الزيارة نحو صلاح

الانسان وهدايته[٤٦].

٦. تأصيلها كعقيدة وفكر ومنهج لأن نصوص الزيارات لم تقتصر على السلام والتواصل العاطفي والروحي بل تعدته الى تفصيل أشمل احتوى على مقاطع عقائدية وفكرية وسلوكية في غاية الأهمية كما أنها اختطت منهجاً تربوياً وسلوكياً من شأنه إدامة عملية التواصل مع دوافع ومبادئ النهضة الحسينية وإدامة الارتباط بالحسين عليه السلام من خلال مفهوم الثأرية التي تمثل خطاً ثابتاً يتصل بالإمام المهدي عجل الله فرجه[٤٧].

٧. إنَّ مسألة العزاء والمواساة والجزع على الامام الحسين عليه السلام وما يمثله الحضور الدائم لهذه الشخصية في الوجدان الإنساني له أثر عظيم في دفع هذا الانسان باتجاه العمل والسير نحو الهدف الأسمى الذي ضحى لأجله عليه السلام بكل ما لديه وبأغلى ما يملك، وله أثر عظيم في ربط الانسان عاطفياً ووجدانياً وانسانياً بأهل البيت عليهم السلام وتفاعله مع قضاياهم وتسليمه لهم بكل وجوده وبكل مشاعره وأحاسيسه فيحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم[٤٨].

تبين لنا من خلال بحثنا أن أهل البيت عليهم السلام عملوا على معرفة شيعتهم بمدى أهمية ومعرفة حقيقة الزيارة واتباع أهل البيت عليهم السلام بوضوح وتهيئتهم وإعدادهم ومعرفتهم لخصوصية الزيارة الأربعين بشكل خاص وإعدادهم ومعرفتهم لجميع شؤونهم وامورهم بشكل عام.

المطلب الثالث: أثر الزيارة الأربعينية على فكر المرأة

إن ثقافة زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام لها عظيم الأثر في نفسية الموالين والنساء خاصة حيث أنها تحافظ على المرأة وتحفزها على الإلتزام الفكري والعقائدي والأخلاقي في مسيرة الأربعين والحديث عن توصيات أهل البيت عليهم السلام الآمرة بزيارة الامام الحسين عليه السلام للرجال والنساء فهي فرض وعهد على كل مؤمن ومؤمنة.

١. الحث على المشي للزيارة بصورة مطلقة حسب هذه الرواية، فعن محمد بن جعفر الرزاز عن محمد بن الحسين عن أبي داود عن ام سعيد الأحمسية قالت: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ((يا أُم سعيد تزورين قبر الحسين عليه السلام قالت: قلت: نعم. قال: يا أُم سعيد زوريه فإن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء))[٤٩]، فالرواية تدل على الإستحباب بخصوص النساء، بل في بعضها ما يدل على الوجوب بوضوح كما ذهب اليه بعض الفقهاء وإن حملها أكثرهم على الاستحباب وبيَّن إن الوجوب يراد منه شيء آخر انسجاماً مع الروايات الواضحة الدلالة على الاستحباب[٥٠].

٢. التأكيد من مولاتنا الزهراء عليها السلام وهي سيدة سيد نساء العالمين من الاولين والآخرين ورمز العفة والحشمة وقدوة للنساء جميعاً على زيارة ولدها الحسين عليه السلام حيث تسعد الزهراء عليها السلام بزيارة ولدها الحسين عليه السلام حسب الحديث عن زرارة عن الامام الباقر عليه السلام انه قال ((يا زرارة ما في الارض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام))[٥١].

٣. الموقف الدفاعي عن ابن عمها الامام علي عليه السلام وبيان حقه في الخلافة وحقها في فدك التي اخذها الظالمون وقد خرجت أيضاً في زيارة قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعمّها الحمزة عليه السلام وخروجها وخطاباتها في المسجد النبوي الشريف وحركتها وخطواتها مع ابن عمها الامام علي عليه السلام.

٤. الموقف الاصلاحي ((إنما قامت بدور اجتماعي نسمّيه دوراً تغييرياً وهي قادت حركة تغييرية في الواقع السياسي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٥٢].

٥. موقفها من زيارة القبور حسب ما قال الكليني عن عدة من أصحابنا عن...عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول ((عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة تأتي في كل جمعة مرتين الإثنين والخميس فتقول: ها هنا كان رسول صلى الله عليه وآله وها هنا كان المشركون[٥٣].

في هذا الحديث دلالة واضحة على أن خروج النساء لزيارة قبور الموتى لا ينافي العفة والوقار وهي المعصومة من كل خطأ إذ خرجت ماشية لزيارة القبور فيكون فعلها حجة ولا شك في ان الخروج لزيارة قبر الحسين عليه السلام لهو أعظم من زيارة قبور المسلمين[٥٤].

وتأتي بعدها فلذة قلبها بطلة كربلاء لتحمل المسؤولية من بعد استشهاد أُمها الزهراء(عليها السلام) لتكون صامدة متحدية كل الصعوبات الي مرت بها مولاتي زينب عليها السلام.

٦. الموقف الزينبي ((كان صلة الوصل بين الدماء الزكية الطاهرة وتحريك الامة لإسقاط الحاكم الظالم من اجل تحقيق الاصلاح فيها فالنساء حضرن في كربلاء كخطوة كبرى من خطوات الهدف، وحضرن بتشجيع النصرة الحسين عليه السلام واثناء المعركة بالتأييد والمباركة والصبر وبعد المعركة بالإعلام والتعبئة وتثمير المأساة الامة مسؤولياتها))[٥٥].

ان زيارة الاربعين المباركة كواحدة من أكبر الزيارات وأهمها تحظى بمشاركة العنصر النسوي بكثافة عالية ولعل حضور المرأة المؤمنة في هذه المسيرة الولائية الخالدة[٥٦] يفوق حضور الرجال بالعدد والعمل فضلاً عن مساواتها لهم وقد سجلت المرأة المؤمنة وفاءها لعهدها مع إمامها عليه السلام عبر مختلف العصور.

لقد بيّنا في بحثنا المتواضع هذا مواقف مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام ومولاتي زينب عليها السلام وبقية النساء العلويات اللائي كان لهنَّ مواقف مشرّفة بدعم القضية الحسينية وتوضيحها وكشف الحقائق والاعلان عنها وتبيان اهداف الثورة الحسينية والتضحية بالأهل والولد حيث تحملنَ من المصائب والمتاعب من أجل بقاء معالم الدين بدون تحريف وتزييف للحقائق فكان وجود المرأة في غاية الاهمية لأنها تمثل المجتمع وليس النصف.

فعلى المرأة المسلمة والمؤمنة السائرة لزيارة قبر الحسين عليه السلام أن تتأسى وتقتدي برمز العفة والوقار مولاتي الزهراء وزينب الكبرى عليهما السلام لذلك نجد أثر زيارة الاربعين في تغيير فكر المرأة المسلمة حيث تنظر الى مواقف مولاتنا الزهراء وزينب عليهما السلام وتجعل منهما القدوة الحسنة في الحياة الاجتماعية وتنظر الى مدى مساواتها مع الرجل واحترامها وتقديرها

والوقوف مع الرجل في كل المحن التي يتعرض لها الرجل والمرأة معاً، ونشاهد اليوم امهات وزوجات وأخوات الشهداء من الحشد الشعبي كيف يضحين بأولادهن فلذات اكبادهن كما ضحت مولاتي الزهراء وزينب عليهما من أجل الحفاظ على العقيدة وفكر أهل البيت عليهم السلام غير خائفات لأنهنَّ قدمن القرابين لنصرة الاسلام والمسلمين وإعلاء كلمة الحق ولو كرة المشركون.

المبحث الثالث:

أثر الزيارة الأربعينية على حجاب المرأة

المطلب الأول: حقيقة الحجاب

ان الاهتمام بحقيقة الحجاب جاء من اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحجاب والستر للمرأة المسلمة بشكل عام لان الحجاب فرض من الفرائض التي فرضها الله عز وجل على المرأة، ولكي نفهم معنى الحجاب لابد لنا معرفة الحجاب لغة واصطلاحاً.

الحجاب لغة: ما احتجبت به وحجبه حجباً وحجاباً: ستره. والحجاب الستر حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً وحجبه ستره وقد احتجبت وتحجب من وراء حجاب وامرأة محجوبة: قد سترت بستر[٥٧] وحجاب الجوف: ما يحجب بين الفؤاد وسائره.. والحجاب ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين حجاب والجمع حجب لا غير وقوله تعالى (ومن بيننا وبينك حجاب).

ومعنى الحجاب في الاصطلاح: لا يختلف عما وضع له في اللغة والمراد به: الستار الذي يحجب مفاتن المرأة وعدم إظهارها أمام الرجل ولا يشترط في الحجاب او الستار ان تكون عباءة بل له صور واشكال اخرى مختلفة حسب عرف وتقاليد المجتمع لكن لا يخرج من المراد منه هو ستر جسم المرأة وما يتصل من مفاتن تؤلب الشهوة وتثير الغريزة[٥٨].

والحجاب عرَّفه الجرجاني: كل ما يستر مطلوبك وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق[٥٩].

وقال الهمذاني: الستور والحجب والاسدال، يقال أسدل الله عليك الستر وأسبله وهتك فلان الحجاب المضروب على ذويه، وهتك الستر عنهم، ومد الحجاب عليهم ومد الستر عليهم[٦٠].

إن استخدام كلمة الحجاب بمعنى ستر المرأة استخدام جديد نسبياً فقديماً وعلى الخصوص في مصطلح الفقهاء تستخدم كلمة الستر بدلاً من الحجاب. لقد استخدم الفقهاء الستر حينما تعرضوا لذلك في كتاب النكاح والصلاة ولم يستخدموا كلمة الحجاب[٦١]... إن الستر الذي فرضه الله على المرأة لا يعني أنْ لا تخرج المرأة من بيتها ولم تطرح في ثقافة الاسلام حبس المرأة وسجنها في الدار نعم كان سائداً في بعض الحضارات القديمة ولكن لا وجود لهذا العرف في الاسلام.

وحسب ما تقدم من التعاريف اللغة والاصطلاح نستنتج ان الحجاب هو ستر مفاتن المرأة ومنعها من اظهارها امام الرجل لتمنع النظر اليها من قبله ومنع شهوته وعدم إثارته بإظهارها لمفاتنها وجمالها لان الحجاب يستر المفاتن ويمنع التعرض للمرأة ويقف حائلاً بينها وبينه.

المطلب الثاني: العلل والأسباب في التزام الحجاب

والحديث عن الحجاب كما هو معلوم حديث عن المرأة فهي من مخلوقات الله سبحانه أنشاها في أحسن تقويم وكانت ولازالت سبباً مهماً في استمرارية الخليقة وباعثاً من بواعث التكاثر البشري فإن الله فرض عليها الحجاب لوجود علل واسباب عديدة ومنها.

١. التأكيد على عامل الاستقامة في النشء، وقيمة رفيعة من القيم الحضارية، فعلى خلقها يتوقف مصير الاخلاق وعند حدود وعيها وتصرفاتها يتوقف مصير التقدم، فمنها تبدأ مسيرة الحضارة الاجتماعية بمفهومها الواعي [٦٢] ونجد كثيراً من الآيات قد خصت مسألة الحجاب وحثت عليه وشددت على الالتزام به من قبل النساء حتى لا يقع المسلمون في مشاكل خلقية لا تحمد عُقباها.

٢. ان العلة في وجوب الحجاب انه يحفظ المرأة من الفساد والاعتداء ويدفع عنها شر الفاسقين حيث جاء قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ حيث أن الحجاب يحجز المرأة المحجبة عن اطماع أهل الفسق.

٣. ان الله أراد من المرأة الحجاب حتى يميزها عن المرأة المشركة في زمن الجاهلية حيث قال الله تعالى ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ حيث يلزم النساء أن يتحجبن ويمتنعن عن إظهار محاسنهن للآخرين وأن لا يقمن بإثارة الرجال جنسياً.

٤. العفاف هي الزينة الحقيقية للمرأة المؤمنة كما قال رسول الله ﷺ ((العفاف زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية...وترك ما لا يعني زينة الورع)) [٦٣] فهو الذي يمنحها الشخصية والكرامة والعظمة في الدنيا والاخرة [٦٤].

٥. الحفاظ على كرامة المرأة وشخصيتها كإنسانة تعامل وفق المعايير الانسانية [٦٥] لأن الحجاب حصن المرأة وكرامة لها وتقديس للجانب الانساني، وهو السبب لتحفظ المرأة كرامتها عند الالتزام بالحجاب والستر بينما السفور وعدم الحجاب يعرّض المرأة الى تشويه سمعتها ويجعلها معرضة لأنظار مئات من الناس ويجلب السفور للمرأة التهمة وقد قال الامام علي عليه السلام ((من عرض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء الظن به)) [٦٦].

٦. خروج المرأة من بيتها قد يكون من اللازم في بعض الأحوال كأن لا يكون لها قيم من الرجال أو تضطر الى العمل خارج البيت لخصاصة قيّم الاسرة أو ظآلة معاشة أو مرضه أو عجزه وممن هذا القبيل فكل هذه الاوضاع قد جعلها القانون متسعاً لمثل هذا الاذن قد منحها للمرأة للأحوال مراعاة والضروريات [٦٧].

٧. ونقول إن العلة في التزام الحجاب او الستر للتأكيد من الله عز وجل على ضرورة ان تتصف المرأة بالأخلاق الحميدة لأنه سوف تنشأ الاجيال وتعلمهم على اتباع المنهج الصحيح، لذلك أوجب عليها الالتزام لكي يحفظ لها كرامتها

وشخصيتها من عبث الفاسدين، وأراد الله لها ان تتميز عن المرأة المشركة بالعفاف والحكمة والطهارة من زينة المرأة المسلمة وأباح لها الخروج في بعض الاحوال مراعاة للضروريات.

المطلب الثالث: دور الزيارة الأربعينية في التزام المرأة بالحجاب

عندما نتأمل في مسيرة الأربعين ونلاحظ كيف رجع السبايا مع الإمام زين العابدين سلام الله عليه ورجعن بنات الرسالة، نلاحظ ان العقيلة زينب سلام الله عليها وهي الأنموذج الرائع للمرأة المؤمنة تمثل الدور الرئيس للمرأة المؤمنة الصادقة، نلاحظ أنها هي وبقية النساء اللواتي أتين معها لزيارة الأربعين هن رمز العفة ورمز النقاء ورمز الطهارة وبالطبع المرأة المسلمة التي تريد أن تتوجه الى مسيرة الأربعين، الى مسيرة الحسين، الى مسيرة التضحية والفداء ولا بد لها.

١. رفع شعار العفة والطهارة والنقاء فبعض القائلين ان النساء اللواتي يأتين الى زيارة الأربعين من باب الجهل لا يتقيدن بهذه الأمور ولكن نحن نقول لكل من ينظر الى نساء اللاتي إتخذن من زينب سلام الله عليها او من سكينة أو من فاطمة بنت الحسين عليه السلام ومن بنات الطهر والرسالة وجعل لهن قدوة وأسوة حسنة ونلاحظ أن تعاليم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يرشدون الى التحلي بالعفة والتحلي بالورع أن تتخذ من شعار امير المؤمنين عليه السلام يقول ((اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد))[٦٨].

٢. تنمية قدرات الإنسانية التي يمكن ان تكون خير معين للمرأة على الأدوار الرسالية والاجتماعية والتربوية والروحية في نفوس أبناء فتكون رافداً مهماً للرجل الذي يقوم بدوره أيضاً[٦٩].

٣. التحريك الواقعي فالحاجة ماسة لتحريك شخصية الزهراء عليها السلام وزينب عليها السلام في الحس والمزاج الاجتماعي وتجديد الاساليب والوسائل في هذا المجال من خلال نشر وإشاعة هذه الاسماء الطاهرة. ومن خلال الحوارات والندوات و... ليقترب مجتمعنا أكثر من هذه الشخصيات العملاقة وما يتبع ذلك بصورة قهرية وحتمية من عشق فتياتنا وذوبانهن في العفة والاحتشام والحجاب الاسلامي[٧٠].

٤. الاهتمام بنشر الوعي الاجتماعي بضرورة الحجاب الداخلي او الحجاب السلوكي الاجتماعي فهما الحلقتان الاكثر غياباً في كيان الحجاب وتوضيح الحجاب الظاهري[٧١].

٥. ان بعض النسوة تتمكن من القيام بدور عظيم هو استكمال فعل الامام الحسين عليه السلام من خلال العمل التبليغي لفضح يزيد واظهار المنتصر هو الامام الحسين عليه السلام[٧٢].

لذلك نتعرض لدور الزيارة الأربعين لتبعث الروحانية وروح العفة والحياء في نفوس بناتنا ونسائنا ليعشقن مولاتنا الزهراء وزينب عليهما السلام في استذكارهن وإحياء المآتم النسائية لتمتلئ نفوس نسائنا بعظمة وشموخ وعشق مولاتنا الزهراء عليها السلام ومولاتنا زينب عليها السلام بمواقفها العظيمة يوم أدت رسالة أبي عبد الله الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ثورته على الطغيان اليزيدي الاموي فقد تحملت زينب عليها السلام

مهمة شرح وبيان أهداف الثورة الحسينية العظيمة في كل محفل وموقف وكشف القناع عن وجوه الظالمين حيث يقف التاريخ خجلاً أمام تلك المرأة العظيمة التي يدين لها الاسلام والمسلمون حيث نستكمل عمل النساء في هذه الزيارة الاربعينية العظيمة لتبليغ وبيان ونشر الافكار وتغير سلوك وأفعال (ايديولوجية) المرأة من ناحية توجيهها الى الافضلية للبس الحجاب والستر ووقعها في نفسية المرأة داخلياً وظاهرياً حيث تهدف زيارة الاربعين الى بث الروح الانسانية والاخوة بين أطياف الشعب الواحد وخير دليل هو موقف الحشد الشعبي الذي كان موقفهُ المشرف في الدفاع عن الطائفة الاخرى ولا ننسى مواقف المرأة العظيمة من الامهات والاخوات والزوجات وقفن بجانبهم وضحين بهم قرابين لله تعالى كما ضحت مولاتنا زينب عليها السلام بأخيها الحسين عليه السلام ورفعته وقالت ربنا تقبل منا هذا القربان. اللهم بحق هذه القرابين المشرّفة ان تشغل الظالمين بالظالمين وتجمع شمل المؤمنين على كلمة الحق.

الخاتمة

بعد الانتهاء من بحثنا هذا تم التوصل الى عدة من النقاط.

١. يمكن أن نرجح تعريف الإيديولوجية بـ: مجموعة من الاراء الكلية المتناسقة حول سلوك الانسان وأفعاله، التي سيكون لحكم العقل والرؤية الكونية دورهما الكبير فيصدور أفعال الإنسان وسلوكه حيث أن الرؤية الكونية (هي معرفة المبدأ، والمعاد، والسبيل اليه طريق الوصول اليه من خلال النبوة) ويتعرف عليها بالعقل الذي يحكم على افعال الانسان وسلوكه. والعقل يصدر أوامره طبقاً على الرؤية الكونية وبذلك يتكون سلوك الانسان وافعاله فبهما تتكون الايديولوجية.

٢. لذلك نوضح أن السلوك والأفعال الصادرة من هؤلاء (أي أيديولوجيتهم) هو عدم التعقل وأتباع الأهواء والآباء دون دليل كالصم والبكم الذين لايمتلكون أدوات المعرفة والتعقل.

٣. يتبن لنا من خلال الاحاديث ان الانسان بفعل العقل والتفكر يغيرسلوكه وافعاله بالتعرف اليحقائق الامور لكي يصل الى أعلى درجات السعادة وتصبح له رؤية كونية وأيديولوجية صحيحة.

٤. ان اهل البيت عليهم السلام عملوا على معرفة شيعتهم بمدى واهمية ومعرفة حقيقة الزيارة واتباع اهل البيت عليهم السلام وبوضوح وتهيئتهم واعدادهم ومعرفتهم لخصوصية الزيارة الاربعين بشكل خاص واعدادهم ومعرفتهم لجميع شؤونهم وامورهم بشكل عام.

٥. في بحثنا هذا المتواضع بينا مواقف مولاتي فاطمةالزهراءعليها السلام ومولاتي زينب عليها السلام وبقية النساء العلويات اللائي وقفن بمواقف مشرفة بدعمهن القضية الحسينية وتوضيحها وكشف الحقائق والاعلان عنها وتبيان اهداف الثورة الحسينية والتضحية بالاهل والولد حيث تحملنمن المصائب والمتاعب من اجل بقاء معالم الدين بد ونتحريفوتزيفللحقائقفكانوجودالمرأةفيغايةالاه ميةلانهاتمثلالمجتمعوليسالنصف. فعليالمرأةالمس

لةوالمؤمنةالسائرةلزيارةقبرالحسين عليها ان تتأسى وتقتدي برمز العفة والوقار مولاتي الزهراء وزينب الكبرى لذلك نجد ان أثر زيارة الاربعين في تغير فكر المرأة.

٦. ونقول ان العلة في التزام الحجاب او الستر للتأكيد من الله عزوجل على ضرورة ان تتصف المرأة بالأخلاق الحميدة لأنه سوف تنشأ الاجيال وتعلهم على اتباع المنهج الصحيح، لذلك اوجب عليه الالتزام لكي يحفظ لها كرامتها وشخصيتها من عبث الفاسدين وأراد الله لها ان تتميز عن المرأة المشركة بالعفاف والحكمة والطهارة من زينة المرأة المسلمة وأباح لها الخروج في بعض الاحوال مراعاة للضروريات.

٧. المسلمة حيث تنظر الى مواقف مولاتنا الزهراء وزينب وتجعل منهما القدوة الحسنة في الحياة الاجتماعية وتنظر الى مدى مساواتها مع الرجل واحترامها وتقديرها والوقوف مع الرجل في كل المحن التي يتعرض لها الرجل والمرأة معاً ونشاهد اليوم امهات وزوجات واخوات الشهداء الحشد الشعبي كيف يضحن بي اولادهن فلذات اكبادهن كما ضحت مولاتي الزهراء وزينب عليهما من اجل الحفاظ على العقيدة وفكر أهل البيت غير خائفات لانهن قدمن القرابين لنصرة الاسلام والمسلمين واعلاه كلمة الحق ولو كرة المشركون.

٨. وحسب ما تقدم من التعاريف اللغة والاصطلاح نستنتج ان الحجاب هو ستر مفاتن المرأة ومنعها من اظهارها امام الرجل لتمنع النظر اليها من قبله ومنع شهوته وعدم أثارته بأظهارها لمفاتنها وجمالها لان الحجاب يستر المفاتن ويمنع التعرض للمرأة ويقف حائلا بينها وبينه.

٩. أن دور الزيارة الاربعين لتبعث الروحانية وروح العفة والحياء في نفوس بناتنا ونسائنا ليعشقن مولاتنا الزهراء وزينب في استذكارهن وأحياء المأتم النسائية لتمتلئ نفوس نسائنا بعظمة وشموخ وعشق لمولاتنا الزهراء ولمولاتنا زينب مواقف واعظمها يوم أدت رسالة أبي عبد الله الحسين سبط رسول الله بعد ثورته على الطغيان اليزيدي الاموي فقد تحملت زينب مهمة شرح وبيان أهداف الثورة الحسينية العظيمة في كل محفل وموقف وكشف القناع عن وجوه الظالمين حيث يقف التاريخ خجلا امام تلك المرأة العظيمة التي يدين لها الاسلام والمسلمين حيث نستكمل عمل النساء في هذة الزيارة الاربعينية العظيمة لتبليغ ولبيان ونشر الافكار وتغير سلوك وافعال (ايديولوجية) المرأة من ناحية توجيها الى الافضلية للبس الحجاب والستر ووقعها في نفسية المرأة داخلياً وظاهرياً حيث تهدف زيارة الاربعين الى بث الروح الانسانية والاخوة بين اطياف الشعب الواحد وخير دليل هوموقف الحشد الشعبي الذي كان موقفهُ المُشرف في الدفاع عن الطائفة الاخرى ولاننسى مواقف المرأة العظيمة من الامهات والاخوات والزوجات وقفن بجانبهم وضحن بهم قرابين لله تعالى كما ضحت مولاتنا زينب بأخيها الحسين ورفعته وقالت ربنا تقبل منا هذا القربان اللهم بحق هذة القرابين

المشرفة ان تشغل الظالمين بالظالمين وتجمع شمل المؤمنين على كلمة الحق.

الهوامش

(١) د. سمير أيوب، تأثيرات الايديولوجية في علم الاجتماع، ٢٧.
(٢) الغيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ٢١٠.
(٣) عمر، احمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ١٤٤.
(٤) الزين، احمد عارف، مجلة العرفان، العدد التاسع، المجلد ٧٧، ص١٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) الطماوي، سليمان، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، ٣٣٢.
(٧) اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة، ١/ ٢٩.
(٨) نفس المصدر.
(٩) اليزدي، محمد تقي مصباح، الايديولوجية المقارنة، ١٤.
(١٠) الانفال: ٥٥.
(١١) الانفال: ٢٢.
(١٢) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ٥/ ٣٥٧.
(١٣) الاعراف: ١٧٩.
(١٤) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ٥/ ٣٥٧.
(١٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، ٤٦٤.
(١٦) يونس: ٤٢-٤٣.
(١٧) قراءتي، محسن، تفسير النور، ٣/ ٥٤٦.
(١٨) اليزدي، الأيديولوجية المقارنة، ١٥.
(١٩) الفيض الكاشاني، الوافي، ١/ ١١٦.
(٢٠) اليزدي، الايديولوجية المقارنة، ١٤.
(٢١) النهاية ونكتها، الشيخ الطوسي - المحقق الحلي، ١/ ١٢١.
(٢٢) مسند الرضا، داود بن سليمان الغازي، ص١٣٢.
(٢٣) ابن منظور(٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج٦، ص١١.
(٢٤) الفيومي، احمد بن محمد بن المقري(٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط٣، (ايران: سرور، ١٤٢٥هـ)، ص٢٦٠.
(٢٥) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق نواف الجراح، ط١،(بيروت: دار صادر، ٢٠١١)،ج٥، ص١٤٥.
(٢٦) عبد الحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط١، (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١ق)، ص١٥.
(٢٧) الدين، مهدي تاج، النور المبين في شرح زيارة الاربعين، ص٢٦، ط١(١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) الناشر: دار الانصار.
(٢٨) البغدادي، ابراهيم، اسرار زيارة الاربعين، ص٧.
(٢٩) السعدي، انتصار عبد عون، المسار التاريخي لزيارة الاربعين النشأة والتطور، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، (العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠١٧م)، ص٨٢.
(٣٠) البدوي، حسن، الخبر اليقين في رجوع السبايا لزيارة الاربعين تاريخياً وفقهياً، ط١(بيروت ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ)، الناشر: دار الولاء للطباعة، ص٢٥.
(٣١) العاملي، محمد بن الحسن الحر(ت ١١٠٤) تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط١(١٤١٢هـ) مطبعة قم.
(٣٢) التميمي، علي، زيارة الحسين عارفاً بحقه والمنطلقات المعرفية، ص١٥٩.
(٣٣) التميمي، علي، زيارة الحسين عارفاً بحقه، ص٢٥.
(٣٤) الحكيم، محمد باقر، رؤى اسلامية الشعائر الحسينية، ط١، الناشر مؤسسة التراث الشهيد الحكيم.
(٣٥) كمال زهر، زيارة الاربعين، ٢٦، ط٢(١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، الناشر: بيروت - لبنان.

(٣٦)المصدر نفسه.
(٣٧)المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط٣ (١٤٠٣-١٩٨٣م) الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج٢٣، ص١٧٥.
(٣٨)اليزدي، محمد تقي، دروس في العقيدة، ١/ ٢٩.
(٣٩)النعماني، محمد رضا، الابعاد الفكرية والعقائدية في زيارة الحسين، ٣٥، الناشر: مؤسسة الامام الرضا عليه السلام.
(٤٠)الساعدي، محمد عبد الرضا هادي، زيارة الاربعين دلالات وافاق.ط١(١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)، المطبعة: الوردي ص١٧٥.
(٤١)الصفار، احمد فاضل، الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، ٨٠.
(٤٢)المدرسي، محمد تقي، الامام الحسين قدوة الصديقين، ط٣(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، ص٧٦.
(٤٣)انظر: الساعدي، زيارة الاربعين دلالات وآفاق ١٧٩(بالتصرف).
(٤٤)ابن بابويه، كامل الزيارات، ص ١٥٢.
(٤٥)الساعدي، زيارة الاربعين، ١٨١.
(٤٦)الصفار، الشعائر الحسينية، ٨١.
(٤٧)النعماني، محمد رضا، الابعاد الفكرية والعقائدية في زيارات الامام الحسين عليه السلام، الناشر: مؤسسة الامام الرضا عليه السلام، ص٣٨.
(٤٨)العاملي، جعفر مرتضى، أحيوا أمرنا، ط٢ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، الناشر: مركز الاسلامي للدراسات بيروت- لبنان.
(٤٩)الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٣٧.
(٥٠)الشيخ مشتاق طالب استاذ في الحوزة العلمية، مجلة الاصلاح الحسيني، مشي النساء الى كربلاء قراءة في الادلة ص٢٦ ٤.
(٥١)النوري، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٢٥٩.
(٥٢)القبانجي، صدر الدين، الحركة الاصلاحية بين اصحاب الكساء والحسين سيد الشهداء، ط١(١٤٢٩هـ)، دار النشر: بقية الله، ص١٠٤.
(٥٣)الكليني، الكافي ج٤، ص٥٦١.
(٥٤)مجلة الاصلاح الحسيني، الشيخ مشتاق طالب، ص٢٦٦.
(٥٥)ينظر: الشيخ نعيم قاسم، عاشوراء مدد وحياة، ص١٠٥.
(٥٦)الساعدي، زيارة الاربعين دلالات وآفاق، ص٢٨٥.
(٥٧)ابن منظور، لسان العرب.
(٥٨)العاملي، علي العسلي، نعمة الحجاب في الاسلام، ص١١.
(٥٩)الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ٨٢، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، الناشر: دار الكتب العلمية.
(٦٠)الهمذاني، الالفاظ الكتابية، ص٢٦٨.
(٦١)ينظر، المطهري، الحجاب، ط٢(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، الناشر: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ص٣٨.
(٦٢)ينظر، العاملي السيد شريف، لماذا الحجاب في الاسلام، ط١(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) الناشر: دار الهدى لبنان.
(٦٣)جامع الاخبار، ج١٦، ص٩.
(٦٤)الموحد، محمد ابراهيم، الحجاب سعادة لا شقاء، ط١١(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) والناشر: مكتبة الالفين، ص٣٨.
(٦٥)مصباح الهدى سلسلة من مجالس الحسينية، معهد سيد الشهداء المنبر الحسيني، ط١(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) ج٢، ص١١٩.
(٦٦)الكليني، الكافي، ج٨، ص١٥٢.
(٦٧)المودودي، ابو الاعلى، الحجاب، تعريب: محمد كاظم السباق، ط١(١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م)، الناشر: دار الفكر الاسلامي ص ٢٨٩.
(٦٨)المجلسي، بحار الانوار، ج٣٣، ٤٧٤.
(٦٩)الحجاب، مركز شؤون العمل النسوي، ط١

(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، دار النشر: دار الثقلين بيروت، ص٢١٣.

(٧٠) النوري، سعيد ميرزا، ثقافة الحجاب ط١(١٤٢١هـ- ١٠٠١م)، دار المحجة البيضاء بيروت لبنان، ص٥١.

(٧١) المصدر نفسه.

(٧٢) العاملي، الشيخ مصطفى وهبي، ط١(١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م) الناشر: دار الهادي، ١٤٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن بابويه القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، قم، ط٢(١٤٢٠ق) ص ١٥٢.

٢. الاصفهاني، محمد باقر المرتضى، جامع الاخبار والاثار عن النبي واهل بيته عليهم السلام ط١(قم ١٤١١ق).

٣. التميمي، علي، زيارة الحسين عارفاً بحقه، بدون تاريخ الطبع، ص٢٥.

٤. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ٨٢، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٥. الحجاب، مركز شؤون العمل النسوي، ط١(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، دار النشر: دار الثقلين، بيروت، ص٢١٣.

٦. الحكيم، محمد باقر، رؤى إسلامية الشعائر الحسينية، ط١، الناشر مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

٧. الدين، مهدي تاج، النور المبين في شرح زيارة الاربعين، ص٢٦، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) الناشر: دار الانصار.

٨. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق نواف الجراح، ط١، (بيروت: دار صادر، ٢٠١١)، ج٥، ص١ ٤٥.

٩. الزين، احمد عارف، مجلة العرفان، العدد التاسع من المجلد ٧٧، مطبعة دار الكتب الرياض، تاريخ النشر (١٩٩٣م-١٤١٤هـ).

١٠. الساعدي، محمد عبد الرضا هادي، زيارة الأربعين دلالات وآفاق. ط١ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م)، المطبعة: الوردي ص١٧٥.

١١. سمير ايوب، تأثيرات الايديولوجيا في علم الاجتماع، معهد الانماء العربي بيروت ط١ (١٩٨٣).

١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ط١ (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)، دار النشر مؤسسة البعثة (لبنان - بيروت).

١٣. الصفار، احمد فاضل، الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، ٨٠.

١٤. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران، ط١(١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، دار النشر: دار المعرفة.

١٥. الطماوي، سليمان، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، مطبعة جامعة عين الشمس، سنة الطبع ١٩٧٥م، العدد الاول السنة السابع عشر.

١٦. العاملي، الشيخ مصطفى وهبي، ط١(١٤٢٢ه- ٢٠٠١م) الناشر: دار الهادي، ١٤٢.

١٧. العاملي، جعفر مرتضى، أحيوا أمرنا، ط٢ (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات بيروت - لبنان.

١٨. العاملي، علي العسلي، نعمة الحجاب في الاسلام، ص١١.

١٩. عبدالحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط١، (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١ق)، ص١٥.

٢٠. عمر، احمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار النشر: عالم الكتب القاهرة، الطبعة الاولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٢١. غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، سنة الطبع (٢٠٠٦).

٢٢. الفيض الكاشاني، الوافي، تحقيق: ضياء الدين

الحسيني، ط١ (١٤٠٦هـ.ق)، مطبعة افيس الاصفهاني، الناشر: مكتبة امير المؤمنين العامة اصفهان.
٢٣. الفيومي، احمد بن محمد بن المقري(٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط٣، (ايران: سرور، ١٤٢٥هـ)، ص٢٦٠.
٢٤. قراءتي، محسن، تفسير النور، ترجمة حسين الصافي و محمد حسن، ط٢ (١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م)، دار النشر: دار المؤرخ العربي بيروت - لبنان.
٢٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط١(١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، بيروت، ج٨، ص١٥٢.
٢٦. كمال زهر، زيارة الاربعين، ٢٦، ط٢ (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، الناشر: بيروت - لبنان.
٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ط٣(١٤٠٣- ١٩٨٣م) الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج٢٣، ص١٧٥.
٢٨. محمد السند، اسرار زيارة الاربعين، تحقيق ابراهيم البغدادي، تاريخ النشر(١٤٣٣ق) بدون مكان.
٢٩. المدرسي، محمد تقي، الامام الحسين قدوة الصديقين، ط٣(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام.
٣٠. مصباح الهدى سلسلة من مجالس الحسينية، معهد سيد الشهداء المنبر الحسيني، ط١(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
٣١. المطهري، الحجاب، ط٢(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ص٣٨.
٣٢. الموحد، محمد ابراهيم، الحجاب سعادة لا شقاء، ط١١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) والناشر: مكتبة الالفين.
٣٣. المودودي، أبو الاعلى، الحجاب، تعريب: محمد كاظم السباق، ط١(١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م)، الناشر: دار الفكر الإسلامي ص ٢٨٩.
٣٤. النعماني، محمد رضا، الابعاد الفكرية والعقائدية في زيارة الحسين، ٣٥، الناشر: مؤسسة الامام الرضا عليه السلام.
٣٥. النهاية ونكتها، الشيخ الطوسي - المحقق الحلي، ج١ ص ١٢١.ابن منظور(٧١١ه)، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج٦، ص١١.
٣٦. النوري، سعيد ميرزا، ثقافة الحجاب ط١(١٤٢١هـ-١٠٠١م)، دار المحجة البيضاء بيروت لبنان،
٣٧. الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى، الالفاظ الكتابية، المحقق السيد الجميلي الناشر: دار الكتاب العربي، ط٢ (١٤١٩ق- ١٩٩٨م).
٣٨. اليزدي، محمد تقي مصباح، الأيديولوجية المقارنة، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، ط١ (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)، دار النشر دار المحجة البيضاء بيروت لبنان.
٣٩. اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الاسلامية، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، تاريخ الطبع(١٩٩٧م).

دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين

م. نهى حامد طاهر الطائي

كلية الطب – جامعة العميد – العتبة العباسية المقدسة

الملخص

تعد زيارة الأربعين من النواميس المضيئة للاعتناء بسيدنا الامام الحسين ين علي عليه السلام، فعندما نفهم هذا المعنى الذي يتجلى في موضوع كالحسين عليه السلام الذي (بكته السماء أربعين صباحاً بالدم، وبكت عليه الأرض أربعين صباحاً بالسواد، وبكت عليه الشمس أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة. ومثل ذلك فالملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما إختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده) بالرغم من البعد التاريخي لمعركة الطف. وبالرغم من أن مناسبة زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام تُعدُّ من المناسبات الدينية السنوية المقدسة للمسلمين عموماً، وللشيعة على وجه الخصوص، إلا أنها من حيث الجوهر تنطوي على أهداف متعددة لا تنحصر في جانب محدد، فهي فضلاً عن صفتها الدينية والشعائرية والاجتماعية وما شابه ذلك، تنطوي على هدف ثقافي مهم جداً، يشمل الفئات العمرية كافة، والشباب من طلبة الجامعة على نحو الخصوص، ليرتفع بمستواهم الثقافي الى أعلى درجة ممكنة، لما للثقافة من دور كبير في تطوير حياة الناس، فضلاً عن وضع طلبة الجامعة وجها لوجه أمام مسؤولياتهم. فعندما يكون طلبة الجامعة مسلحون بالثقافة المتوازنة، واصحاب عقيدة راسخة يستمدونها من جذورها الصحيحة، عند ذاك سوف يكونون في صدارة المجتمع، وتأتي زيارة الأربعين لتكون الرافد الثقافي العقائدي للشباب من طلبة الجامعة، وهي التي تمدهم بنبع الأفكار الثقافية الجماعية على نحو سنوي، ففي كل سنة في مثل هذا الوقت يعيش طلبة الجامعة في محافظات العراق كافة أجواء هذه الزيارة الخالدة، ويستمدون منها ثقافة إيجابية لاسيما في مجال الأفكار التي تدعم مساراتهم الانسانية السليمة في الحياة. إن البحث الحالي يحاول الوصول الى معرفة دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين للامام الحسين عليه السلام، ومن أجل التوصل الى هدف البحث قامت الباحثة ببناء استبانة تتألف من (١٢) فقرة، بعد أن تم صياغة فقراتها من خلال الاعتماد على الأدبيات السابقة، فضلاً عن السؤال المفتوح المقدَّم الى (١٠) طلبة من طلبة الاعلام الجامعي. ومن أجل تطبيق الإستبانة على عيّنة البحث البالغة (٤٣) طالباً من طلبة الإعلام الجامعي من جنس الذكور إذ تم اختيارهم قصدياً من (٦) جامعات في محافظة بغداد (بغداد - مستنصرية -النهرين، كلية دجلة - التكنولوجية - كلية النسور). وبعد عرض فقرات الاستبانة على (٨) خبراء في مجال الاعلام وعلم النفس، أصبح عدد فقرات الاستبانة (١٠) فقرات، ومن

أجل توفير إمكانية تطبيق الإستبانة على عيّنة البحث، تم استخراج معاملات الصدق والثبات لفقراتها، وبعد حساب الإجابات التكرارية لعيّنة البحث، استخرجت الباحثة النسب المئوية لمعرفة مستوى إجابات الطلبة على الفقرات، ولقد أظهرت نتائج البحث إن جميع الفقرات قد نالت نسبة (٨٣٪) فما فوق، وهذا يدل على إن دور الطلبة كان ذا مستوىً كبيرٍ في الخدمة الحسينية من أجل تفعيل مسيرة الأربعين، وبعد الحصول على نتائج البحث قدّمت الباحثة مجموعة من التوصيات والمقترحات.

The Mass media role of the university students in activating the Fourteenth march

L.Nuha hamid taher

Faculty of Medicine - Dean University

Abstract

The Fourteenth march is one of the bright lights to take care of our master Imam Hussein (peace be upon them). When we understand this meaning، which is reflected in the theme of al-Hussain (peace be upon him).And the earth wept at him forty in the morning in black، and the sun wept at forty in the morning with eclipse and red. Like this، the angels cried at forty in the morning.We have not been insulted by any of our women، nor have we become extinct، nor have we fallen until the head of Obeid Allah ibn Ziyad has come to us and we are still in a lesson after him، despite the historical dimension of the battle of the Altaf. Although the occasion of the Fourteenth march "Imam Hussein (peace be upon him) is a holy annual religious events for Muslims in general، and the Shi'a in particular، but it is، in essence، involving multiple targets are not confined to a specific aspect، it is in addition to the religious ritual، social and the like described، involving a cultural goal is very important، include all age groups. And the young university students in a particular، raising their level of cultural to the highest degree possible، because of the culture of a great role in the development of people's lives، as well as the status of university students in front of their responsibilities and face-to-face. When a university students armed with culture، balanced، and the owners of well-established doctrine، it derives from the correct roots، when that will be at the forefront of society، the Fourteenth march comes forty to be the ideological and cultural tributary of the young university students، and they are provided by Fields collective cultural ideas on an annual basis، every year at this time university students live in the provinces of Iraq، all the atmosphere of this timeless visit، and draw them a positive culture، especially in the field of ideas that support their paths humanity healthy life. The current research is trying to get to know the role of the Husseini service to the university students in activating the march of 40 Imam Hussein (peace be upon him). In order to reach the goal of the research، the researcher built a questionnaire consisting of (12) items، after the paragraphs were written by relying on previous literature،as well as the open question presented to (10) students of university students. In order to apply the questionnaire to the sample of (43) students from university students of the male sex. They were deliberately selected from six universities in the province of Baghdad (Baghdad - Al Mustansiriya - AL-Nahrean، Dijlah University - Technology - College AL-Nsoor). After the questionnaires were presented to (8) experts in the

field of Media and psychology، the number of items of the questionnaire consisted of (10) items In order to apply the possibility of applying the questionnaire to the research sample، it was extracted validity and reliability of its clauses transactions، and after calculating the answers to the repetitive research sample.The researcher extracted items to determine the level of student answers to the items. The results of the study showed that all the items had reached (83%) and above.This indicates that the role of the students has been a great level in the Husseini service in order to activate the visit of Fourteenth، and after obtaining the results of the research presented the researcher a set of recommendations and suggestion.

المبحث الاول:

الأطار العام للبحث

أولاً- المقدّمة:

تنفرد مسيرة الأربعين السنوية بحركتها الاجتماعية الفريدة التي لا تشابهها حركة في مفاصل المجتمع والتي تُعدُّ من أهم المنعطفات الثقافية في تاريخ الحركات الاجتماعية.

كما تعد مسيرة الأربعين في ذاتها إعلاماً حسينياً متميزاً في نشر معالم ثورة كربلاء وتثبيت جذورها وبيان فضائلها عبر الموج الجماهيري الذي يتحد في وحدة المقصد وهنا يبرز دور الخدمات الحسينية الفاعلة في الاستفادة من حركة مسيرة الأربعين وسماتها العلمية[١].

لقد اندرجت أربعينية الإمام الحسين عليه السلام بمفهومنا المعاصر ووفق الآليات الديمقراطية الحديثة على أنها مسيرات تأييد وتضامن مثالية ونموذجية وذات مواصفات إنسانية وعالمية، وهذا ليس اجتهاداً شخصياً بل حقيقة واقعة أساسها إعداد المشاركين وعفوية التنظيم وتباين الثقافات واختلاف الأجناس والأعمار، وهي أشبه ما تكون بصناديق الاقتراع المشمّعة بحب المسيرة الحسينية الخالدة وسلامة الفكر الامامي، المحب للخير والنابذ للعنف والتطرف[٢].

وبالرغم من أن مناسبة زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام تُعدُّ من المناسبات الدينية السنوية المقدسة للمسلمين عموماً، وللشيعة على وجه الخصوص، إلا أنها من حيث الجوهر تنطوي على أهداف متعددة لا تنحصر في جانب محدد، فهي فضلاً عن صفتها الدينية والشعائرية والاجتماعية وما شابه، تنطوي على هدف ثقافي مهم جداً، يشمل الفئات العمرية كافة، والشباب من طلبة الجامعة على نحو الخصوص، ليرتفع بمستواهم الثقافي الى أعلى درجة ممكنة، لما للثقافة من دورٍ كبيرٍ في تطوير حياة الناس، فضلاً عن وضع طلبة الجامعة وجهاً لوجه أمام مسؤولياتهم [٣].

وفي هذه المناسبة العظيمة يجدد طلبة الجامعة عهدهم للامام الحسين عليه السلام بأن يكونوا جنوداً في هذه المسيره الحافلة بالعطاء، كما أنهم يواسون سيدتنا العقيلة الطاهرة عليها السلام بمصاب إخوتها عليهم السلام، فهؤلاء الطلبة يسألون الله أن يسدد خطاهم في هذه المسيرة الخالدة التي اقتبسوها من آبائهم، وما يقدمونه الآن ماهو إلا نزر يسير، وما هذه القوافل الحاشدة من الطلبة إلا تضامناً مع سيدنا الامام الحسين عليه السلام من أجل تحدي الطواغيت والوقوف ضد الإرهاب والظلم مشياً على الأقدام، وذلك من أجل الحفاظ على هذا الذكر خالداً الى يوم القيامة[٤].

ويتمثل دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة بتفعيل المسيرة الأربعينية عن طريق تقديم مختلف أنواع المأكل والمشرب الى زوار أبي الأحرار الامام الحسين عليه السلام بمناسبة الأربعين، إذ يقومون بتوفير كل ما يرغب به الزائر من مستلزمات وسط استعدادات أمنية وخدمية وصحية، وهم لم يدخروا جهداً ولا مالاً من أجل تقديم كل ما يملكون قربة الى الله تعالى فهم بحق مثّلوا أيقونة الخدمة الحسينية[٥].

فعندما يكون طلبة الجامعة مسلّحون بالثقافة المتوازنة، وأصحاب عقيدة راسخة، يستمدونها من

جذورها الصحيحة، عند ذاك سوف يكونون في صدارة المجتمع، وتأتي زيارة الأربعين لتكون الرافد الثقافي العقائدي للشباب من طلبة الجامعة، وهي التي تمدَّهم بنبع الأفكار الثقافية الجماعية على نحو سنوي، ففي مثل هذا الوقت من كل سنة يعيش طلبة الجامعة في محافظات العراق كافة أجواء هذه الزيارة الخالدة، ويستمدون منها ثقافة إيجابية لاسيما في مجال الأفكار التي تدعم مساراتهم الإنسانية السليمة في الحياة[٦].

ومن خلال ما تقدم يمكن تلخيص سؤال البحث بالآتي:

ما دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين؟

ثانياً- أهمية البحث والحاجة إليه:

تعد زيارة الأربعين من النواميس المضيئة للاعتناء بسيدنا الامام الحسين بن علي عليه السلام، فعندما نفهم هذا المعنى الذي يتجلى في موضوع كالحسين عليه السلام الذي (بكته السماء أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، ومثل ذلك فالملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما إختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده) على الرغم من البعد التاريخي لمعركة الطف[٧].

إن لزيارة الأربعين دوراً مهماً في تحريك الجماهير للأهداف السامية التي مثَّلها الامام الحسين عليه السلام وثار من أجلها، وهي قيم الايمان والحرية والعدالة والإنسانية، لذلك نحتاج الى أن تكون الزيارة عملاً ثقافياً توجيهياً وتوعوياً لإرشاد الناس واستثمار العواطف الجياشة لتعريفهم بكل تلك القيم.

ويمثل دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة إحدى تلك الأدوار والمسؤوليات التي تقوم بها أصناف متعددة من المجتمع في مثل هذه اليوم، فهم من خلال نشرهم للتعاليم الدينية وللقيم الانسانية التي جاء بها الامام الحسين عليه السلام يجسّدون الأهداف النبيلة للنهضة الحسينية[٨].

كما يتضح دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة من خلال انجازاتهم الدينية المتمثلة بتخصيص برامج لقراءة دعاء كميل، واخرى التأكيد على أهمية التمسك بالصلاة، فضلاً عن إقامة المحاضرات الارشادية والقصائد الشعرية في رحاب أهل البيت عليهم السلام، وإلى جانب ذلك، يتم إحياء ذكرى زيارة الأربعين عن طريق نشرها في مطويات خاصة بالإعلام الطلابي للجامعة، أو إعلانها في بعض القنوات الدينية، أو عرضها في النت من خلال اليوتيوب ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة[٩].

كما تظهر الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة أيضاً في أطار الاستحضارات الأمنية لاستقبال مناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام إذ تتم المشاركة الطوعية من قبل آلاف من الطلبة في الحفاظ الأمني لحماية المسيرة الطلابية من كافة الجامعات والمعاهد العراقية المختلفة، وكذلك حماية الزائرين من أخطار الانفجارات ومظاهر القتل التي قد يتعرض لها الزائرون أثناء الزيارة العاشورية[١٠].

وتتضح الوقفةُ الرجوليةُ وهذا الإباءُ الايمانيُ لطلبة الجامعة من خلال ما جسدوه بكلِ شموخهِم بإقامة المواكبِ الايمانيةِ الحاشدةِ ومساعدة الزائرين الذين لبوا إرادة رب العرش العظيم بمودة آل بيت نبيه (صلواته وسلامه عليه وعليهم) فهبّوا زرافات صوب كربلاء المقدسة لتأدية زيارة سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين عليه السلام بذكرى شهادته وإحياءِ مراسمِ العزاءِ عند مرقده الطاهر معلنين تمسكهم بمشروعه.

وقد خرج طلبة الجامعة في مسيرةٍ عزائيّة موشحة بالسواد حزناً لهذا المصاب الذي أدمى قلب الإنسانية، هذا المصاب الذي أنار السبيل إلى الحرية والمعرفة وحفظ الدين وصان الشريعة. كما انطلقت المواكب الطلابية وكعادتهم كل عام من شارع قبلة أبي الفضل العبّاس عليه السلام متجهين بعدها الى الصحن الشريف ليَختَتِموا هذه المسيرة عند مرقد صاحب العزاء الإمام الحسين عليه السلام مروراً بساحة ما بين الحرمين الطاهرين [١١].

وإنطلاقاً من هذا الشعور الجماعي لطلبة الجامعة إزاء الإيمان بالله تعالى والولاء لأهل البيت عليهم السلام نلاحظ ان الآلاف منهم - وربما الملايين - يندفعون في مسيرات حاشدة لأداء شعيرة السير على الأقدام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين العشرون من صفر، وعند هذه النقطة بالذات تصطدم هذه الشعيرة قبل غيرها بالأنظمة السياسية الحاكمة على مرّ الزمان، فالمواكب المتسلسلة من مناطق مختلفة وهي تضمّ الحشود الجماهيرية التي اغلبها من طلبة، والتي تهتف باسم الثورة الحسينية، هذا أولاً، أما الأمر الثاني والأكثر خطورة هي مسألة الولاء التي تبقى دائماً وأبداً ضالة الحكام المتسلقين جدار الحكم على حين غفلة من الناس، إذاً، فالحشود متزايدة ومتعاظمة، وهي معبأة بمشاعر الأسى على ما حصل لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، أما الولاء والطاعة والذوبان، فهي في نقطة واحدة مركزية هي: الإمام الحسين عليه السلام [١٢].

وما دامت الخدمة الحسينية الطلابية تسير في تحقيق الحفاظ على النهضة الحسينية، إذن فنحن نعيش في إيفادٍ معرفي منهجي يستقرىء ويفحص ويحفر ويتمسّح ويراجع ويقارن ويحلّل ويستنتج. إذ أن الملايين من الطلبة تبدأ رحلة التوجّه مشياً على الأقدام إلى قبر الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء من اليوم الأوّل من شهر صفر كالمعتاد، فتعطّل التزاماتها وتتفرّغ لهذا العمل لا غير، وتختلف مسافة المسير باختلاف نقاط الانطلاق، على امتداد الطرق الموصلة للمقصد بدون أي توقف معلنة ولاءها لقائد الثورة الانسانية أبي الأحرار الامام الحسين عليه السلام [١٣].

إن زيارة الأربعين تشكل ظاهرة اجتماعية أخلاقية وإنسانية مؤثرة تركت أبعاداً إيجابية جديرة بالرصد والدراسة والبحث والتوقف عندها بعد فرزها لحالات رائعة وأبعاداً إيجابية من شأنها أن تشكل دافعاً قوياً للنهوض بمجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة، وذلك من خلال ما تزرعه هذه الزيارة في نفوس طلبة الجامعة من منابع حقول الالتزام الخلقي، والتغذية العلمية، وبناء الكرامة الانسانية، ورفض العبودية والذلة في الحياة. باعتبارهم يمثلون حاضر المجتمع ومستقبله.

لذا تأتي أهمية الدراسة الحالية من خلال إبراز دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين، إذ إنه:

١. يمثل طلبة الجامعة المرتكز الأساس الذي تستند إليه الامم والشعوب، لهذا تعد الخدمة الحسينية الطلابية جانباً مهماً في إعلاء صوتهم وأهدافهم، ومن هذه الأهداف الإبقاء على استمرارية الثورة الحسينية من خلال مشاركتهم الرائدة في زيارة الأربعين.
٢. تُعدُّ الخدمة الحسينية الطلابية إحدى المضامين التي توصي بهم المجالس والمنابر الحسينية، باعتبارهم فئة الشباب الذين يتوقف عليهم رفع صيحات الاصلاح الحسيني، عن طريق ما يقومون به من أعمال طوعية في سبيل إحياء الثورة الحسينية ضمن زيارة الأربعين.
٣. كما تبرز أهمية البحث في أنه يُعدُّ من الدراسات الجديدة والنادرة –في حدود علم الباحثة– والتي حاولت تناولها والتعرف على نتائجها، فضلاً عن أن القيام بهذه الدراسة سوف يضيف جانباً مهماً من الحقول المعرفية والتي تسد النقص العلمي الحاصل في مكتباتنا العلمية والدينية على السواء.

ثالثاً-هدف البحث:

يهدف البحث التعرف على دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين.

رابعاً- حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بدراسة الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة من الذكور في شهر صفر المصادف ذكرى أربعينية الحسين عليه السلام من كل سنة.

خامساً- تحديد المصطلحات:

١. الدور:

أ. **عرفها (خواجه، ٢٠٠٥)**: نمط السلوك الذي يتوقعه الآخرون من شخص يحتل مركزاً اجتماعياً معيناً خلال تفاعله مع أشخاص يشغلون – هم الآخرون – أوضاعاً اجتماعية أُخرى (١٤).

ب. **عرفها (بدوي، ٢٠٠٧)**: تلك الأفعال التي تتقبلها الجماعة في ضوء مستويات السلوك في الثقافة السائدة وعادة ما يكون للفرد أكثر من دور داخل النظام الذي ينتمي إليه (١٥).

٢. الخدمة الحسينية:

عرَّفها (الخزاعي، ٢٠١٦): وهي التي تحدد بخدمة زوار الامام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين، إذ أن الخادم هنا تتبدل صفته التشريفية ويرتقي مراتب لا يمكن لأي شريحة أن ترتقيها، مجرد أن يكون خادماً للحسين عليه السلام، فإن الأمر يخرج من نطاق العقلية المعرفية، وينحو نحو الشرف الرفيع والمنزلة العالية، فيتربع إسم الخادم موقعاً تنسحب عليه قدسية غير طبيعية، ليست قدسية دينية ولا اجتماعية، ولا تقدير بحكم الوظيفة الحكومية، إنها شكل فريد لا يشعر بحلاوته إلا الخدام الحسينيون، كرامة ولذة لا يستشعرها إلا خدام الحسين عليه السلام الذين تركوا مصالحهم وبيوتهم وأبناءهم، ليعيشوا لذة ما بعدها لذة، ويبنون شرفاً ما فوقه شرف(١٦).

٣. مسيرة الأربعين:

عرَّفها (الطوسي، ١٣٨٧هـ): عنوان يطلق على تظاهرة شيعية ينطلق خلالها ملايين من الشيعة

باتجاه كربلاء لزيارة الحسين بن علي بن أبي طالب في العشرين من صفر من كل عام إذ يتقاطر الشيعة من شتّى المدن والقرى العراقية تشاركهم في ذلك الوفود الكثيرة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من شتّى البلدان كإيران والبحرين والكويت ولبنان وباكستان و...، ويعتبر أكبر تجمع بشريّ سنويّ وأضخم مسيرة راجلة في العالم[١٧].

المبحث الثاني:

الأطار النظري للبحث

أولاً- مفهوم مسيرة الأربعين:

إن خلود مسيرة الحسين عليه السلام تبنى على إحياء الرسالة الحسينية وتطبيقها في حياتنا الطبيعية وذلك لما له من الأجر العظيم عند الله تعالى، ولما له من الصلاح في المجتمع كما قال الامام الحسين عليه السلام: «ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر». هذا ما تعلمناه من مسيرة النهضة الحسينية التي رسمت لنا أسمى الأهداف لنجعلها منطلقاً لحياتنا فكيف لا تكون المسيرة الحسينية خالدة[١٨].

ففي أربعين الحسين عليه السلام التي هي أربعين الإنتصار، تهفو جميع القلوب الى كعبة العشق كربلاء تجدد الحزن والولاء وتدندن قصيدة الوفاء الموعود لظهور الذي سينادي ويزلزل كيان الأرض، بـ «نداء «يا لثارات جدي»، تلك الأربعين التي تذكرنا دائما بأن الامام الحسين عليه السلام قد ضحى بنفسه وعياله من أجل الإصلاح في أُمة جدّه، وإن مسيرة الأربعين ما هي الا صرخة حق في وجه العالم قد تعالت بأننا لابد أن نضحي بالغالي والنفيس في ثبات الرسالة الإنسانية هذه[١٩].

وزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام - باعتبارها ظاهرة دينية تكرارية تتجدد في كل عام - لابد من دراستها بجميع أبعادها لأجل اقتطاف الثمرة المرجوة منها، لأن السلوك دينياً كان أم غير ديني إذا لم يخضع للفكر سيكون عشوائياً ويذهب سدى دون فائدة تذكر لذا قيل: أصل السلوك فكرة، أضف إلى ذلك أن السلوك المستند إلى فكر رصين يكون المحرك والباعث عليه قناعة راسخة في ذهن الإنسان منشئها الفكر تولد التزاماً وحرصاً ودقة في مقام التطبيق[٢٠].

كما يؤكد العلماء والمعنيون بفحوى هذه الزيارة المباركة وأهدافها الانسانية الكبيرة والاستفادة القصوى منها، فأننا نحتاج الى أن تكون هذه الزيارة المباركة مصدر إشعاع ثقافي للشباب المسلم وخاصة طلبة الجامعة، وشباب الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام، وهذا يستدعي تهيئة وتحضير وإعداد برامج ثقافية فعلية، يتم وضعها مسبقاً من لجان لها الخبرة والكفاءة التامة في هذا المجال، فالثقافة باتت من المشاريع العملية المهمة التي ينبغي أن ترافق بحضورها زيارة الأربعين، وينتهزها القائمون عليها، كما إن هذا الكم الهائل من الشباب الجامعي، قد تم ضخ الثقافة الحسينية في عقولهم وأذهانهم، حتى يكونوا أكثر استعداداً لتطوير حياتهم على المستوى الفردي والاجتماعي أيضاً[٢١].

إنّ فلسفة العشق الحسيني التي نُحِتَت مفرداتها قبل أربعة عشر قرن بنوع خاص من الإباء والتضحية

والثبوت والصمود استطاعت رغم حملات الطمس المتتالية عبر قرون، أن تحافظ لا على بقائها فقط، بل وعلى تأثيرها في الأجيال المتعاقبة، إنّها فلسفة الإمام الحسين عليه السلام العاشورائية، التي خطّها وثبّتها في عقول ملايين البشر، لا من خلال المفاهيم والمفردات النظرية فقط، بل من خلال ترجمتها عملياً في أرض كربلاء، ليكون هو وكل أهل بيته وأحبّته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) أول وأبرز المترجمين لهذه الفلسفة النظرية والعملية. ونحن عندما نقول: «فلسفة العشق الحسيني»، فإنّنا لا نقصد بذلك نثر الكلام، لنسج أفضل معاني البيان، أو لنضفي من خلالها على مقالتنا أدّق مفردات الكلام، بل إنّنا في إطلاق هذه المفردات على ما نراه يحصل في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، نعي بعلمٍ وكذلك ندرك بمعرفةٍ ما تحمله هذه المفردات من معاني ومفاهيم، بحيث أطلقناها على ملحمة أربعين الامام الحسين عليه السلام، التي تحصل داخل أرض العراق [٢٢].

ثانياً- شرف الخدمة الحسينية في زيارة الأربعين:

إن خدمة الامام الحسين عليه السلام بصورتها الواقعية هي الشرف الأعظم وان كانت بأشكالها المتعددة، لذلك ترفع كثير من الهيئات والمواكب الحسينية شعار (خدمة الحسين شرف لنا) فتكون خدمة الامام الحسين عليه السلام شرفهم حقاً لأن الامام الحسين عليه السلام هو شرف لكل مؤمن ومسلم ومسلمة، ولأن الامام الحسين عليه السلام قد عُرف بحقه وحقيقته، وهذه تنعكس على زواره. فمن زاره على هذه العقيدة له الدرجات الرفيعة عند الله ورسوله والمؤمنين لأن من زار الإمام عارفاً بحقه كتب الله له الجنة [٢٣].

عن الإمام الباقر عليه السلام: قال لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من فضل لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات [٢٤]. وعن الصادق عليه السلام قال: زوروا الإمام الحسين عليه السلام ولو كان كل سنة فان كل من أتاه عارفاً بحقه غير جاحد لم يكن له عوض غير الجنة.

ولنا أسوة حسنة بخدَمة الحسين عليه السلام الحقيقيين من بني هاشم العلويين والمخلصين يضاف إليهم الذين تشرفوا بالشهادة بين يديه عليه السلام يوم عاشوراء وضحوا بأعز ما لديهم من دماء وولد ومال ومتاع وتعرض عيالهم ونسائهم للمحنة والسبي تأسياً بعيال الحسين عليه السلام خاصة، والهاشميين وآل أبي طالب عليهم السلام الذين ضربوا الأمثلة في التضحية والفداء عامة [٢٥].

فالشعائر الحسينية والخدمة الحسينية صنوان متشابهان كلاهما ينطويان على منظومة قيم إنسانية غاية في الروعة والسلام والحنوّ ما يجعلها قادرة على تشذيب النفس (حتى الأمارة بالسوء) من سوئها وأدرانها، لتجعل منها روحاً مباركة تميل الى الرحمة والتعاون والسخاء، وتدفع الإنسان الى فهم الآخرين واحترامهم والتعاون معهم، واحترام آرائهم، وعدم التصادم مع وجهات نظرهم وأفكارهم، وهذا يعني نوعاً من الانسجام والوئام يسود البشرية كلها. اذ نجد ان هذه الأيام المباركة، أيام عاشوراء، هي أنسب الأوقات - لاسيما شهريّ محرم وصفر- للعمل المستمر من أجل نشر القيم الحسينية والسعي لإحياء

الشعائر وربطها بالقيم الإسلامية، كون المؤسس لها هو ثائر الإسلام الإمام الحسين عليه السلام الذي استمد هذه المبادئ والقيم من رسالة جده صلى الله عليه وآله، لذلك تغص كربلاء المقدسة بالزائرين، ما يتطلب تقديم الخدمات التامة لهم من مأكل ومشرب ومنام وراحة تامة، وهذا ما يقوم به بالفعل محبو الامام الحسين عليه السلام، وهم النسبة الأكبر من حيث تحمل أعباء هذه الخدمة التي يستحقها الزائرون الكرام [٢٦].

كما يتجسد دور الخدمة الحسينية في التكافل والتضامن الإجتماعي جلياً واضحاً في عاشوراء فنرى بذل الطعام وسقاية الماء وتقديم كل ما يحتاجه الزائرون من العوامل المهمة التي تساعد في تفعيل مبدأ التكافل الإجتماعي بين المسلمين وإرساء حالة المحبة والمواساة والتكاتف بين أبناء المجتمع [٢٧].

لهذا فإن للخدمة الحسينية شرفاً عظيماً ووساماً مميزاً يتسابق الجميع إلى نيله والتشرف بحمله فخدمة الإمام الحسين عليه السلام أمنية يسعى الى تحقيقها عشاق سيد الشهداء عليه السلام لتكون صفة ملازمة لهم في حياتهم ومماتهم، ولمدينة كربلاء المقدسة إشعاع الثورة الحسينية الخالدة ميزة خاصة في هذا المجال اذ يواصل أبناؤها وعلى مدار العام تقديم خدماتهم المميزة لضيوف الإمام الحسين عليه السلام، تلك الخدمات التي تكون على أشدها في مواسم الزيارات المليونية ومنها زيارة عاشوراء ذكرى الشهادة التي تسبقها استعدادات مكثفة وجهد استثنائي اذ يبادر محبو آل محمد صلى الله عليه وآله بنصب المواكب الخدمية المتخصصة التي تأخذ على عاتقها توفير وتهيئة الأجواء المناسبة التي تساعد على راحة الزوار الكرام وبلا مقابل [٢٨].

ثانياً- دور الاعلام الطلابي في تفعيل الزيارة الأربعينية:

إن المسؤولية التي تقع على منظومة الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة مسؤولية كبيرة، وينبغي أن يتركز سعيها وعملها على نقل رسالة الفكر الحسيني ومبادئه الى المسلمين والعالم، وهذه يستدعي جملة من ال إجراء ات والخطوات، التي ينبغي أن تسبقها عمليات التخطيط الإعلامي المدروس، لذلك فهي في الحقيقة إزاء مهمة حساسة وبالغة الخطورة، لاسيما أن العالم بأجمعه ودول المنطقة الإقليمية التي يقع العراق ضمنها، تعيش ظروفاً ملتبسة ومتداخلة في المرحلة الراهنة[٢٩].

فمن الواجب قبل حلول الذكرى الأليمة أن تشكل لجانٌ ممن يعول عليهم المجتمع روح التفاني والتضحية من الشباب المؤمن الواعي المثقف الذي لديه شغف وفخر واعتزاز أن يحمل شرف خدمة الحسين عليه السلام بكل أمانه وإخلاص وعدم أنانية وحب الذات لكل مأتم حسيني أو مؤسسة حسينية وتكون هناك اجتماعات مكثفة دورية تخصص لمن هم يتمنون الانخراط في خدمة الحسين عليه السلام كلٌ على حدة وكلٌ في مجاله فهناك اللجنة الثقافية وهناك اللجنة الإعلامية وهناك اللجنة الصحية وهناك اللجنة التقنية وهناك اللجنة الخاصة بالضيافة وهناك لجنة المتابعة والتدقيق والمالية، وكلٌ يعمل على حسب تخصصه ومعرفته بمجاله الذي أوكل إليه دون النظر إلى اللجان الأخرى.

ومن هدا المنطلق نستطيع أن نكسب مختلف الشرائح ونغطي النواقص ممن هم لا يجيدون فهم العمل التطوعي في خدمة الحسين عليه السلام [٣٠].

ويقوم طلبة الجامعة من كافة انحاء العراق بخدمة زوار سيد الشهداء عليه السلام على مدار العام، فنراهم يدّخرون الاموال ليبذلوها على زوار الإمام الحسين عليه السلام فيعتبرونها كضريبة عليهم الإلتزام بها، فيكون إستعدادهم في عاشوراء أكثر إستعداد للبذل والعطاء، فلقد تربى الإنسان الشيعي على تجاوز الحاجز المادي فنرى الكثير من الطلبة على الرغم من دخلهم المادي المحدود إلا إنهم يدخرون بعض الأموال لبذلها في عاشوراء بإسم الإمام الحسين عليه السلام [٣١].

ويمكن أن نلخص أهداف الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين من خلال النقاط الآتية:

١. تجديد الصلة بالإسلام من خلال الإقرار بعهود يلزم الإنسان بها نفسه أمام روح المزور الذي يعتقد قدسيته، فالزيارة تعهد والتزام، بل إلزام الزائر لنفسه بأمور يفرضها عليها، ويلقنها بها، ويوحي لها بوجوب الالتزام بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه.
٢. الزيارة تأكيد للميثاق الإلهي، والتعهد في التمسك والحفاظ على دينه والسير على نهجه.
٣. تحويل الزيارة وفق توجيهات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وتأكيداتهم على شيعتهم بالتحلي بأخلاقهم، والحضور عند أضرحتهم، وتلاوة نصوص الزيارات التي أنشأوها هم إلى محطات هداية روحية، وسياسية، واجتماعية تبث الوعي الفكري والبناء الروحي، وهذه المحطات مفتوحة الأبواب على طيلة أيام السنة تغذي الزائرين بالعزم، والإرادة والبصيرة النيرة.
٤. تسليط الأضواء على الجهود التي بذلها المزور على مختلف الأصعدة، وبيان لعظمة الرسالة التي ضحى من أجلها الامام الحسين عليه السلام، ودعوة صريحة للالتزام بما التزم به وإلى ما دعى إليه سواء كان في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق.
٥. ربط الإنسان بالمزور ومن خلاله توصله بخط الأنبياء والمرسلين، وتشعره بأنه حلقة في سلسلة رتل الأنبياء والمرسلين، فهي عملية تواصل شعوري ووجداني بمسيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة الأطهار عليهم السلام.
٦. التاكيد على إن زيارة الامام الحسين عليه السلام تشتمل على إدانة صريحة لكل الطغاة والمنحرفين عن خط الإسلام في كل زمان ومكان، وهذا المعنى واضح في نصوص الزيارات الواردة عنهم عليهم السلام، والتي يبرز فيها عنصر التولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله بشكل جلي وصريح [٣٢].

كما يتضح دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في زيارة الأربعين من خلال النقاط الآتية:

١. ارسال رسائل الى العالم على أن القيم الحسينية هي التي تنحو الى الاعتدال وتبتعد بصورة كلية عن العنف، كذلك تركيز القيم الرافضة للظلم، وعدم الوقوف الى جانب السلطة الغاشمة، مهما تنوعت أساليب الترهيب والترغيب من بطش او منح هدايا وامتيازات، فالمطلوب هو الثبات

على المبادئ التي تنتصر لكرامة الإنسان والقيم الإنسانية الكبيرة.

٢. تكريس ثقافة العمل التطوعي، من خلال تحريك الباعث الديني والخلقي في نفوس الشباب على مساعدة الاطفال والنساء وكبار السن في اكمال مسيرتهم الحسينية، سواء بمرافقتهم اثناء المشي، او كدليل للطريق السير، أو تحضير المواكب، ومنع الانحرافات الاخلاقية التي قد تحصل اثناء الزيارة.. الخ.

٣. القضاء على التمييز العنصري وتكريس ثقافة المساواة والتواضع والتذكير بالاخوة الانسانية عامة والاسلامية خاصة.

٤. تذكير المجتمع بالمبادئ الحسينية الإنسانية.

٥. منح الزائرين القيم الانسانية من خلال الاذاعة عنها في المواكب والطرق، التي تساعد في بناء مجتمع متماسك وتمنحه القدرة على الصمود بوجه كثير من المزالق ومن هذه القيم (ترسيخ الإيمان، الحرية، العالة، الصبر....).

٦. توجيه الشباب بالتمسك بالتعاليم الحسينية وعدم القيام بأي مخالفة سلوكية ضد الآخرين.

٧. توجيه النساء بالمحافظة والالتزام بارتداء الملابس الاسلامية وفقا للتعاليم التي اوصى بها الدين الاسلامي، وذلك من خلال توزيع بعض المنشورات والمطويات الهادفة الى ذلك.

٨. احترام الانسان للآخر اثناء السير.

٩. توجيه الزائرين بالانتباه الى ما يجري من عمليات إرهابية تستهدف ايذاء الزائرين ومحاولة صدها او الابلاغ عنها قدر الامكان.

١٠. إرشاد الزائرين الى اماكن التي تتواجد فيها الطبابة الصحية في حالة الحاجة الى ذلك [٣٣].

المبحث الثالث:

إجراءات البحث

أولاً- مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث جميع طلبة الجامعة في محافظة بغداد من الذكور، المنتمين الى الاعلام الحسيني الخاصة بزيارة الأربعين.

ثانياً- عيّنة البحث:

تم اختيار عيّنة بالطريقة القصدية من طلبة الجامعة من الذكور من الذين ينتمون الى الاعلام الجامعي في محافظة بغداد من جامعة (بغداد، المستنصرية، النهرين، كلية دجلة، التكنولوجية، كلية النسور) والبالغ عددهم (٤٣) طالباً للعام الدراسي (٢٠١٧ – ٢٠١٨ م)، وكما هو موضح في جدول (١).

جدول (١) توزيع عينة البحث

ت	اسم الجامعة	عدد الطلبة
١	بغداد	١١
٢	المستنصرية	١١
٣	النهرين	٧
٤	كلية دجلة	٥
٥	التكنولوجية	٦
٦	كلية النسور	٣
المجموع	٦	٤٣

ثالثاً- أداة البحث:

من أجل الوصول الى هدف البحث، قامت الباحثة ببناء استبانة تقيس عن طريقها مستوى مساهمة طلبة الاعلام الجامعي من الذكور في تفعيل مسيرة الأربعين، اذ تم جمع فقرات الاستبانة من خلال الاعتماد على الادبيات السابقة، فضلاً عن السؤال المفتوح الذي قدم الى (١٠) طلاب من طلبة الإعلام الجامعي: (ما أهم أدوار الخدمة الحسينية التي يتم انجازها من قبلكم من أجل إحياء مسيرة الأربعين؟).

ولكي تتمكن الباحثة من تطبيق فقرات الاستبانة على عيّنة البحث تم اتباع الخطوات الآتية:

١. صياغة فقرات الاستبانة:

بعد عملية جمع فقرات الاستبانة بالاعتماد على الأدبيات السابقة والسؤال المفتوح الموجه الى طلبة الاعلام الجامعي، تمت صياغة الفقرات التي بلغ عددها (١٢) فقرة، ولقد وضعت لها ثلاث بدائل وهي (تنطبق عليَّ دائماً، تنطبق عليَّ أحياناً، لا تنطبق عليَّ)، والتي تقابلها الأوزان الثلاثية (٣، ٢، ١).

٢. صلاحية فقرات الاستبانة:

بعد ان تم الحصول على (١٢) فقرة، قامت الباحثة بعرضها على (٨) خبراء في مجال الاعلام وعلم النفس، وذلك لاستخراج مدى صلاحية الفقرات لتطبيقها على عيّنة البحث، وبعد هذا ال إجراء اسفرت النتائج بأن الفقرة الخامسة يتم حذفها لتماثلها مع الفقرة السابعة، والفقرة الثانية يتم حذفها لتماثلها مع الفقرة العاشرة، أما بالنسبة لبقية الفقرات الأخرى فقد حصلت على نسبة اتفاق من (٨٠٪) فما فوق، وبالتالي أصبحت الاستبانة تتالف من (١٠) فقرات.

٣. استخراج الصدق البنائي للفقرات:

كما تم استخراج الصدق البناء أو (صدق الاتساق الداخلي) لفقرات الاستبانة وذلك من خلال الكشف عن ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية، وقد اتضح بعد هذا ال إجراء ان جميع معدلات الارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠،٠٥)، ودرجة حرية (٤١)، وقيمة الارتباط الجدولية (٠،٣٠٤) باستخدام معامل ارتباط بيرسون لايجاد العلاقة بين الفقرات [٣٤]، والجدول (٢) يبين معاملات صدق الفقرات.

جدول (٢) معاملات صدق فقرات الاستبانة

رقم الفقرة	معامل الصدق	رقم الفقرة	معامل الصدق
١	٠،٦٦	٦	٠،٤٨
٢	٠،٢٧	٧	٠،٤٠
٣	٠،٥١	٨	٠،٣٨
٤	٠،٧١	٩	٠،٥٣
٥	٠،٣٣	١٠	٠،٥٩

٤. استخراج ثبات الاستبانة:

لحساب ثبات فقرات الاستبانة، تم استخدام معادلة ألفا كرونباخ [٣٥]، إذ قامت الباحثة بحساب معامل ثبات الاستبانة باستخدام عينة التحليل الاحصائي؛ وقد اتضح من خلال هذا ال إجراء بأن الاستبانة قد حصلت على ثبات قدره (٠،٨١) وهو

ثبات جيد نسبة الى ما أكدت عليه أغلب الدراسات السابقة في مجال القياس التربوي.

الوسائل الإحصائية المستخدمة:

- معامل ارتباط بيرسون [٣٦].
- معادلة الفا كرونباخ للثبات [٣٧].
- النسبة المئوية لاستخراج تكرارات الإجابة [٣٨].

المبحث الرابع:

عرض النتائج ومناقشتها

أولاً- عرض نتائج هدف البحث:

(التعرف على دور الخدمة الحسينية لطلبة الجامعة في تفعيل مسيرة الأربعين).

قامت الباحثة بجمع إجابات الطلبة ومن ثم ملاحظة عدد الاجابات المتكررة، لغرض حساب نسبها المئوية لبيان أهم دور للخدمة الحسينية الطلابية في تفعيل مسيرة الأربعين. بعدها رتبت الفقرات ومن ثم استخراج نسب تكرارها لبيان الدور الأكثر انجازاً من قبل طلبة الاعلام الجامعي، وكما هو موضح في الجدول (٣).

جدول (٣) النسب المئوية لإجابات عيّنة البحث على استبانة البحث

ت	الفقرات	عدد الاجابات	النسبة المئوية
١	توزيع المطويات والمنشورات التعليمية عن اعمال يوم الزيارة الأربعينية	٤٣	٪١٠٠
٢	حث الشباب على الاعمال الطوعية لمساعدة الآخرين	٣٩	٪٩٠،٦٩
٣	نشر التوعية الدينية لاهمية الالتزام بالقيم الانسانية الحميدة	٤٠	٪٩٣،٠٢
٤	توجية الزائرين الى الانتباة في حالة ملاحظة اي محاولة تهدد سلامة الآخرين أثناء السير	٤٣	٪١٠٠
٥	توجيه الزائرين الى أسهل الطرق الآمنة للوصول الى كربلاء	٣٨	٪٩٢،٦٩
٦	توجيه النساء الى ضرورة الالتزام باللباس الاسلامي الصحيح	٤٣	٪١٠٠
٧	توجيه الشباب بعدم القيام باي مخالفة سلوكية ومن ضمنها التحرش بالنساء	٤٠	٪٩٣،٠٢
٨	تصوير الزيارة الأربعينية ونشرها الى العالم العربي والغربي	٤٣	٪١٠٠
٩	مشاركة المواكب الحسينية في اذاعة الادعية والقراءات الحسينية	٣٧	٪٨٦،٠٥
١٠	رصد اي ظاهرة تبرز القيم الخلقية للزائر العراقي اثناء سيره لاداء الزيارة الأربعينية	٤٣	٪١٠٠

ومن ملاحظتنا للنتائج الموجودة في الجدول أعلاه، نجد أن جميع الفقرات قد نالت نسبة من (٨٣٪) درجة فما فوق، كما كشفت النتائج أيضاً وجود (٥) فقرات من الاستبانة قد نالت نسبة (١٠٠٪) درجة وهي كما يلي:

١. الفقرة (١): توزيع المطويات والمنشورات التعليمية عن أعمال يوم الزيارة الأربعينية.
٢. الفقرة (٤): توجيه الزائرين الى الانتباة في حالة ملاحظة اي محاولة تهدد سلامة الآخرين أثناء السير.
٣. الفقرة (٦): توجيه النساء الى ضرورة الالتزام باللباس الاسلامي الصحيح.
٤. الفقرة (٨): تصوير الزيارة الأربعينية ونشرها الى العالم العربي والغربي.
٥. الفقرة (١٠): رصد أي ظاهرة تبرز القيم الخلقية للزائر العراقي أثناء سيره لاداء الزيارة الأربعينية.

إذ حصلت هذه الفقرات الخمس على أعلى تكرار في إجابة العيّنة والتي بلغت (٤٣) إجابة، وبذلك نالت على أعلى نسبة مئوية قدرها (١٠٠٪).

ويمكن تفسير نتيجة البحث بأن سبب حصول هذه الفقرات على أعلى درجة يعود الى أنَّ زيارة الأربعين تعد مصدر إشعاع ثقافي للشباب المسلم وخاصة طلبة الجامعة، وشباب الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما جعلهم يقومون بتهيئة وتحضير وإعداد برامج ثقافية فعلية تم وضعها مسبقاً من لجان طلابية لها الخبرة والكفاءة التامة في هذا المجال، فالثقافة باتت من المشاريع العملية المهمة التي ينبغي أن ترافق بحضورها زيارة الأربعين، وينتهز القائمون عليها، كما قام هذا الكم الهائل من الشباب الجامعي، في ضخ الثقافة الحسينية في عقولهم وأذهانهم، حتى يكونوا أكثر استعداداً لتطوير حياتهم على المستوى الفردي والاجتماعي.

ثانياً- التوصيات:

١. حث الطلبة على المشاركة في مجالات الخدمة الحسينية الخاصة بإحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام وخاصة زيارة الأربعين.
٢. حث الشباب على اقامة المؤتمرات والندوات الطلابية والتي تهدف الى تفعيل زيارة الأربعين من خلال نشر التعاليم الدينية في هذه المناسبة بين الطلبة.
٣. توجيه طلبة الجامعة على كتابة المقالات العلمية والدينية الخاصة في إحياء المناسبات الدينية ومنها زيارة الأربعين ونشرها في مجلة خاصة للطلبة في الجامعة.

ثالثاً- المقترحات:

١. إجراء دراسة تهدف التعرف على اثر زيارة الأربعين في تعديل الجانب الخلقي لدى الشباب العراقي.
٢. إجراء دراسة تهدف التعرف على علاقة زيارة الأربعين بالمستوى الايماني لدى الطالب الجامعي.
٣. إجراء دراسة تهدف التعرف على اثر نسبة الزوار بمخاوف العناصر الارهابية.

الهوامش

١-الجابري، علي (٢٠١٤): دور الأعلام في زيارة الاربعين، الناشر: موسوعة وارث الانبياء، العدد (١٨٣٦)، كربلاء المقدسة، ص (١٠).

٢-حاكم، عصام (٢٠١٢): (مشاية) الأربعينية... مسيرة تأييد عالمية، مجلة النبا، ملف عاشوراء، العدد (١١٧)، كربلاء المقدسة، ص (٦).

٣-تقي، محمد علي جواد (٢٠١٥): زيارة الأربعين والمسؤولية الثقافية للشباب، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٣١١)، كربلاء المقدسة، ص (١٠).

٤-حاكم، عصام (٢٠٠٧): ابعاد زيارة الاربعين وسر هذا التوافد المليوني على كربلاء، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٩٥)، كربلاء المقدسة، ص (٦).

٥-وحيدي، زهراء (٢٠١٧): زيارة الأربعين: الخدمة الحسينية فوق كل الشبهات، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٦٩٠)، كربلاء المقدسة، ص (٥).

٦-تقي، محمد علي جواد (٢٠١٥): مصدر سابق، ص (٩).

٧-المجلسي، العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر (١٤٠٣هـ): بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، الطبعة الثانية، الجزء (٤٥)، الناشر: مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص (٢٠١).

٨-السماك، زينب شاكر (٢٠١٧): رسالة زيارة الأربعين: بناء اجتماعي وتحديات حضارية، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٢٧٣)، كربلاء المقدسة، ص(٦).

٩-الاسدي، مروة (٢٠١٧): الشباب الشيعي بالنمسا: يحيون ذكرى عاشوراء في مركز شباب علي الأكبر (عليه السلام) الثقافي، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (١٢٦٤٨)، كربلاء المقدسة، ص (٧).

١٠- حاكم، عصام (٢٠٠٨): زيارة الاربعين للإمام الحسين (عليه السلام): تصاعد الاستعدادات لتأمين الوفود الزائرة، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٧)، كربلاء المقدسة، ص (٥).

١١-حاكم، عصام (٢٠٠٨): نفس المصدر السابق، ص (٧).

١٢-تقي، محمد علي جواد (٢٠٠٨): السير على الأقدام. مسيرة الولاء والتحدي، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٩١)، كربلاء المقدسة، ص (٥).

١٣-البصري، انمار (٢٠٠٦): النبأ تتابع استعدادات كربلاء لإستقبال الزوار بمناسبة أربعينية الامام الحسين (عليه السلام)، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٢)، كربلاء المقدسة، ص (٧).

١٤-خواجة، عبد العزيز (٢٠٠٥): مبادئ في التنشئة الاجتماعية، الناشر: دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران، الجزائر، ص (٧٨).

١٥-بدوي، أحمد زكي (٢٠٠٧): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص (٣٩٥).

١٦-الخزاعي، عبد الحافظ البغدادي (٢٠١٦): مواقف يتشرف بها من يحظى بشرف خدمة الشعائر الحسينية، مجلة الاعلام الدولي، العدد (٥٤٦٦)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ص (٤).

١٧-الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (١٣٨٧ه): المبسوط، تحقيق: السيد محمد تقي الكشفي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الجزء السادس، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران، ص (٥٢).

١٨-العامري، قيس (٢٠١٥): الزيارة الأربعينية في سجل الخلود، الناشر: موسوعة وارث الانبياء، ملف عاشوراء، العدد (٦٧٦٩)، العتبة الحسينية المقدسة، ص (٥).

١٩-وحيدي، زهراء (٢٠١٧): مصدر سابق، ص (٦).

٢٠-القمي، محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي (١٤١٨ه): الاربعين في امامة الائمة الطاهرين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مطبعة الامير للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران، ص (٢٢).

٢١-الصفار، محمد طاهر (٢٠١٥): زيارة الأربعين والمسؤولية الثقافية للشباب، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٣١١)، كربلاء المقدسة، ص(٦).

٢٢-التونسي، السيد حبيب مقدم (٢٠١٥): فلسفة العشق الحسيني التي تقف خلف حشود الأربعين، الناشر: موسوعة وارث الانبياء، ملف عاشوراء، العدد (١٨٤٥٨)، العتبة الحسينية المقدسة، ص (٨).

٢٣-الخزاعي، عبد الحافظ البغدادي (٢٠١٦): مصدر سابق، ص (٥).

٢٤-الطبرسي، الميرزا حسين نوري (١٩٩١): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الناشر: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، لاحياء التراث، الجزء العاشر، بيروت، لبنان، ص (٣٠٩).

٢٥-القمي، ابي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه (١٠٩٣ه): كامل الزيارات، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، قم المقدسة، إيران، ص (٢٧٠).

٢٦-الشيرازي، السيد صادق الحسيني (٢٠١٧): مسؤولية التعريف بالإسلام والشعائر الحسينية؟: قبسات من فكر المرجع الشيرازي، شبكة النبا المعلوماتية، العدد (١٢٣٤٣)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ص (٥).

٢٧-كاظم، علي (٢٠٠٨): دور الخدمة الحسينية في تعزيز التكافل الإجتماعي والتربية النفسية القويمة، مجلة النبأ المعلوماتية، العدد (٨٦)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ص (٣).

٢٨-الحكيم، السيد مصطفى هاشم (٢٠١٢): الكربلائيون... شرف الخدمة الحسينية، مجلة النبا المعلوماتية، العدد (٤٦)، ملف عاشوراء، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ص (٤).

٢٩-الاسدي، صبا (٢٠٠٨): مميزات المواكب الحسينية في زيارة الاربعين، مجلة النبا المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (١٠٠)، كربلاء المقدسة، ص (٥).

٣٠-آل ثاني، علي (٢٠٠٩): الوعي الثقافي في خدمة الحسين (عليه السلام)، شبكة حروفي المعلوماتية، العدد (١٣٣٣٢٩)، النجف الاشرف، ص (٦).

٣١-كاظم، علي (٢٠٠٨): مصدر سابق، ص (٣).

٣٢-الربيعي، جميل (٢٠١٦): آثار زيارة مشاهد المعصومين عليهم السلام على الفرد والمجتمع، محاضرات ألقيت في قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، استنادا الى الشيخ حسين معن (١٩٩٢): نظرات حول الإعداد الروحي، الناشر: مؤسسة المعارف للمطبوعات، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، ص (٥- ٧).

٣٣-العامري، قيس (٢٠١٥): مصدر سابق، ص (٧ -٨).

34-Lindquist, E.F (1951): Educational Measurement, Washington. American ConncilonEducational, p.(28).

٣٥-فرج، صفوت (١٩٩٧): القياس النفسي، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر، ص (٣٠٥).

٣٦-فيركسون، جورج، أي (١٩٩١): التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس، ترجمة د.هناء العكيلي، بغداد، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، دار الحكمة للطباعة والنشر، ص (٩٨).

٣٧-الانصاري، بدر محمد (٢٠٠٠): قياس الشخصية، الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٨١).

38-Hotelling, H.(1953) : New Light on the Correlation Coefficient and its Transforms, Journal of the Royal Statistical Society. Series B (Methodological) Vol. 15, No. 2, p.202.

المصادر والمراجع

١. المصادر العربية:

- الأسدي، صبا (٢٠٠٨): مميزات المواكب الحسينية في زيارة الأربعين، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (١٠٠)، كربلاء المقدسة.
- الأسدي، مروة (٢٠١٧): الشباب الشيعي بالنمسا: يحيون ذكرى عاشوراء في مركز شباب علي الأكبر عليه السلام الثقافي، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (١٢٦٤٨)، كربلاء المقدسة.
- آل ثاني، علي (٢٠٠٩): الوعي الثقافي في خدمة الحسين عليه السلام، شبكة حروفي المعلوماتية، العدد (١٣٣٣٢٩)، النجف الاشرف.
- الأنصاري، بدر محمد (٢٠٠٠): قياس الشخصية، الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- بدوي، أحمد زكي (٢٠٠٧): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- البصري، أنمار (٢٠٠٦): النبأ تتابع استعدادات كربلاء لإستقبال الزوار بمناسبة أربعينية الامام الحسين عليه السلام، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٢)، كربلاء المقدسة.
- تقي، محمد علي جواد (٢٠٠٨): السير على الأقدام.. مسيرة الولاء والتحدي، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٩١)، كربلاء المقدسة.
- ---------- (٢٠١٥): زيارة الأربعين والمسؤولية الثقافية للشباب، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٣١١)، كربلاء المقدسة.
- التونسي، السيد حبيب مقدم (٢٠١٥): فلسفة العشق الحسيني التي تقف خلف حشود الأربعين، الناشر: موسوعة وارث الانبياء، ملف عاشوراء، العدد (١٨٤٥٨)، العتبة الحسينية المقدسة.
- الجابري، علي (٢٠١٤): دور الأعلام في زيارة الأربعين، الناشر: موسوعة وارث الأنبياء، العدد (١٨٣٦)، كربلاء المقدسة.
- حاكم، عصام (٢٠٠٧): أبعاد زيارة الأربعين وسر هذا التوافد المليوني على كربلاء، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٩٥)، كربلاء المقدسة.
- ---------- (٢٠٠٨): دور الإعلام في نشر مفاهيم النهضة الحسينية، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٧٤)، كربلاء المقدسة.
- ---------- (٢٠٠٨): زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام: تصاعد الاستعدادات لتأمين الوفود الزائرة، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٧)، كربلاء المقدسة.
- ---------(٢٠١٢):(مشاية) الأربعينية... مسيرة تأييد عالمية، مجلة النبأ، ملف عاشوراء، العدد (١١٧)، كربلاء المقدسة.
- الحكيم، السيد مصطفى هاشم (٢٠١٢): الكربلائيون... شرف الخدمة الحسينية، مجلة النبأ المعلوماتية، العدد (٤٦)، ملف عاشوراء، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة.
- الخزاعي، عبد الحافظ البغدادي (٢٠١٦):

مواقف يتشرف بها من يحظى بشرف خدمة الشعائر الحسينية، مجلة الاعلام الدولي، العدد (٥٤٦٦)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة.

- خواجة، عبد العزيز (٢٠٠٥): مبادئ في التنشئة الاجتماعية، الناشر: دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران، الجزائر.
- الربيعي، جميل (٢٠١٦): آثار زيارة مشاهد المعصومين عليهم السلام على الفرد والمجتمع، محاضرات القيت في قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، استنادا الى الشيخ حسين معن (١٩٩٢): نظرات حول الإعداد الروحي، الناشر: مؤسسة المعارف للمطبوعات، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.
- السماك، زينب شاكر (٢٠١٧): رسالة زيارة الأربعين: بناء اجتماعي وتحديات حضارية، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٢٧٣)، كربلاء المقدسة.
- الشيرازي، السيد صادق الحسيني (٢٠١٧): مسؤولية التعريف بالإسلام والشعائر الحسينية؟: قبسات من فكر المرجع الشيرازي، شبكة النبأ المعلوماتية، العدد (١٢٣٤٣)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة.
- الصفار، محمد طاهر (٢٠١٥): زيارة الأربعين والمسؤولية الثقافية للشباب، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٤٣١١)، كربلاء المقدسة.
- الطبرسي، الميرزا حسين نوري (١٩٩١): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لإحياء التراث، الجزء العاشر، بيروت، لبنان.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (١٣٨٧هـ): المبسوط، تحقيق: السيد محمد تقي الكشفي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الجزء السادس، الطبعة الاولى، قم المقدسة، ايران.
- العامري، قيس (٢٠١٥): الزيارة الأربعينية في سجل الخلود، الناشر: موسوعة وارث الانبياء، ملف عاشوراء، العدد (٦٧٦٩)، العتبة الحسينية المقدسة.
- فرج، صفوت (١٩٩٧): القياس النفسي، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر.
- فيركسون، جورج، أي (١٩٩١): التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس، ترجمة د.هناء العكيلي، بغداد، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، دار الحكمة للطباعة والنشر.
- القمي، ابو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه (١٠٩٣هـ): كامل الزيارات، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ايران.
- القمي، محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي (١٤١٨هـ): الأربعين في امامة الائمة الطاهرين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مطبعة الامير للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، قم المقدسة، ايران.
- كاظم، علي (٢٠٠٨): دور الخدمة الحسينية في تعزيز التكافل الإجتماعي والتربية النفسية

القويمة، مجلة النبأ المعلوماتية، العدد (٨٦)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة.

- المجلسي، العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر (١٤٠٣هـ): بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، الطبعة الثانية، الجزء (٤٥)، الناشر: مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- وحيدي، زهراء (٢٠١٧): زيارة الأربعين: الخدمة الحسينية فوق كل الشبهات، مجلة النبأ المعلوماتية، ملف عاشوراء، العدد (٨٦٩٠)، كربلاء المقدسة.

٢. المصادر الاجنبية:

- **Hotelling، H.(1953): New Light on the Correlation Coefficient and its Transforms، Journal of the Royal Statistical Society. Series B (Methodological) Vol. 15، No. 2، pp. 193-232.**
- **Lindquist، E.F (1951): Educational Measurement، Washington. American Conncilon Educational.**

المحور العاشر

زيارة الأربعين والحشد الشعبي

الأبعاد العقائدية في زيارة الأربعين

وعلاقتها بالحشد الشعبي

الباحثة دينا فؤاد جواد

الملخص

تمر علينا في العشرين من صفر من كل عام ذكرى أليمة على قلوبنا وجميلة في نفس الوقت، وإنني أعبر عنها بذكرى الحزن الجميل لسيد الشهداء عليه السلام، حيث نستذكر فيها فاجعة أهل البيت عليهم السلام بوصول الرأس الشريف إلى كربلاء بعد فصله عن البدن الطاهر على أيدي أزلام الطاغية يزيد، وفي نفس الوقت نستذكر مصائب الملحمة الحسينية التي تنطلق من أجلها قوافل الملايين من الرجال والنساء والأطفال تسير في ركب واحد، وهدف واحد وهو الوصول إلى كربلاء رمز العزة والإباء، لكي تستخلص منها الدروس والعبر الحسينية التي نحاول من خلالها إحداث التغيير في واقعنا بالرغم من كل ما يحيط بنا من تعسف ومنع للحريات واضطهاد.

لقد أثير جدلٌ كبيرٌ في ما هو السر في مسير الملايين من الشيعة وغيرهم إلى سيد الشهداء عليه السلام في زيارة الأربعين، ولماذا تعد هذه الزيارة أهم مناسبة لديهم بحيث أصبحت هذه الزيارة والمشي على الأقدام إليها جزءاً لا يتجزأ من شعائرهم الخالدة وملازمة لهم في حياتهم، حتى أنهم يعدّون لها الأيام لكي يبذلوا كل ما يملكونه في سبيل الحسين عليه السلام، حتى ان البعض من المغرضين قد أخذوا في طرح الشبهات والإشكاليات حول هذه الزيارة متناسين أن الحسين خالدٌ في قلوب شيعته، وزيارة الأربعين تمثل أحد الروابط المهمة التي تربط قلوب المحبين بإمامهم.

لقد اعتبرت زيارة الأربعين هوية المؤمن التي تؤكد الانتماء الحقيقي له بالقضية الحسينية، فهي تعد تخليداً لقضية أبي الأحرار ونهضته، وتعريفاً بالمجزرة التي ارتكبها الأمويون بحقه وبحق كل من كان معه، وبيان حجم الظلم الذي تعرض له هذا الإمام العظيم نتيجة ثورته ضد الطغيان والفساد، فقد كان ومازال يمثل صرخة العدل ضد الطغاة، فهذه الزيارة هي عبارة عن إعلان عالمي بمظلومية الحسين وقداسته.

وما زيارة الأربعين إلا احدى الشعائر المهمة التي جاءت الأحاديث الكثيرة من أهل البيت عليهم السلام في التأكيد عليها، مبينة ان لزائر الإمام الحسين عليه السلام الأجر الجزيل الذي لا تُدرك مكنوناته بالعقل البشري، حتى ان الإمام العسكري عليه السلام جعل هذه الزيارة العظيمة هي احدى علامات المؤمن بقوله: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم).

وبما أن زيارة الحسين عليه السلام في أربعينه من الزيارات التي تحمل من الأسرار العظيمة في أبعادها وأهدافها

ومكنوناتها التي لم يتم كشف النقاب إلا عن القليل القليل منها، فمن هنا كان انطلاق البحث ليكون بعنوان: الأبعاد العقائدية في زيارة الأربعين وعلاقتها بالحشد الشعبي.

تناول هذا البحث دراسة الأبعاد العقائدية لزيارة الأربعين وعلاقتها بتأسيس الحشد الشعبي، قُسّم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين ونتائج البحث وخاتمة، تطرق التمهيد إلى تعريف الأبعاد العقائدية وزيارة الأربعين والحشد الشعبي في اللغة والإصطلاح، وقد قمنا بتسليط الضوء في المبحث الأول على أهمية الأربعين، وأثر الأربعين في إثارة الشيعة، وبيان أن كربلاء هي سر قوة الشيعة، وأهم الأبعاد العقائدية في زيارة الأربعين، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى زيارة الأربعين وعلاقتها بالحشد الشعبي، وفتوى الجهاد الكفائي والحشد الشعبي، وتأسيس الحشد الشعبي، وما هو السر في الثبات والعزيمة للحشد المقدس، وبيان السر في سرعة استجابة أبناء الحشد الشعبي لنداء المرجعية، وكذلك قمنا ببيان مشروعية هذا الحشد المقدس.

اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المراجع والمصادر والبحوث التي كان لها الأثر الكبير في إغناء البحث بالقيمة العلمية. والحمد لله رب العالمين.

The doctrinal dimensions of the forty visit and its relation to the popular crowd

Researcher: Dina Fouad Jawad

Abstract

On the twentieth of Safar every year, we have a painful memory of our hearts and beauty at the same time, and I express my heartfelt memory of the martyrs of the martyrs, where we recall the tragedy of the people of the house with the arrival of the head of the Sharif to Karbala after his separation from the pure body at the hands of tyrants tyranny , And at the same time we recall the calamities of the Husseini epic, for which the convoys of millions of men, women and children are going on one knee, and one goal is to reach Karbala, the symbol of pride and fatherhood, in order to draw lessons and Husseini lessons through which we try to bring about change in our reality. What surrounds us of arbitrariness and prevention of the Wyatt and persecution.

There was great controversy in what is the secret of the march of millions of Shiites and others to the master of martyrs in the visit of the forty, and why this visit is the most important occasion for them so that this visit and walking on it an integral part of their rituals and immortal in their lives, They are counting on her days to do everything they have for Husayn's sake, so that some of the misguided people have taken on the suspicions and misgivings about this visit, forgetting that Hussein is Khaled in the hearts of his Shiites, and the visit of the forty is one of the important ties that connect the hearts of lovers with their Imam.

The visit of the forty was considered the identity of the believer who affirms his true affiliation with the Husseiniya issue. It is a commemoration of the cause of Abu al-Ahrar and his resurrection, and the definition of the massacre committed by the Umayyads against him and the right of everyone who was with him. Was and still represents the cry of justice against the tyrants, this visit is a global declaration of the injustice and holiness of Hussein.

And the visit of the forty, but one of the important rituals that came many ahaadeeth of the people of the House confirm it, indicating that the visit of Imam Hussein, the reward of the mighty who do not realize his potentials in the human mind, so that Imam al-Askari made this great visit is one of the signs of the believer saying: Signs of the believer five: Prayer fifty-one and visit the forty and seal the right and frown the forehead and ignorance by the name of God the Merciful).

Since the visit of Hussein in four of the visits that bear the great secrets in the dimensions and objectives and Mkunatha, which has been unveiled only a few of them, from here was the launch of the research to be entitled: dimensions of belief in the visit of forty and its relationship to popular mobilization.

This paper examines the ideological dimensions of the 40th visit and its relation to the establishment of the popular crowd. This research divided into a preface, a preface, two papers, and the results of the research and its conclusion. The introduction dealt with the definition of the ideological dimensions, the 40th visit and the popular crowd in language and terminology. And the most important ideological dimensions in the visit of the forty, and discussed in the second section to visit the forty and its relationship to popular mobilization, and the doctrine of jihad and the popular mobilization, and the establishment of the popular crowd, and what is the secret The determination of the speed of the response of the members of the popular crowd to the call of reference, as well as the legitimacy of this sacred crowd.

The study relied on a wide range of references, sources and research that had a significant impact on the enrichment of scientific research. and thank Allah the god of everything.

التمهيد:

مفهوم الأبعاد العقائدية وزيارة الأربعين والحشد الشعبي في اللغة والاصطلاح

الأبعاد في اللغة: (جمع بُعد، والبُعد: اتساع المدى. أبعاد مسألة: أهمية، مظاهر عمليّة)[١].

العقيدة لغة: (العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع، والعهد، وغيرهما، كقوله تعالى: ﴿عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٢][٣].

وأما العقيدة اصطلاحاً: (هي القاعدة الفكرية التي ينطلق منها الإنسان إلى الحياة، لأنها ترسم له خارطة تحركه الحضاري وفق نظام حياتي عملي ناجح يقوده في النهاية إلى ما ينشد من الكمال اللائق به)[٤].

والزيارة لغة: (... زاره يزوره زيارة: قصده، فهو زائر وزور وزوار مثل سافر وسفر وسفار، يقال: نسوة زور أيضا وزائـرات. وفيه من زار أخاه في جانب المصر، أي: قصده ابتغاء وجه الله، فهو زوره وحق على الله أن يكرمه زوره أي: قاصديه)[٥].

والزيارة إصطلاحاً: (وهي أخص من المعنى اللغوي بعض الشيء، وذلك من جهة الموضوع حيث تطلق الزيارة والزائر على من قصد مكاناً، وهو زيارة الأنبياء والأئمة والأولياء وأصحاب المقامات)[٦].

وزيارة الأربعين: هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر الذي يصادف فيه ذكرى أربعينة سيد الشهداء عليه السلام، والألف واللام في كلمة الأربعين تُسمى للعهد لأنها زيارة معهودة ومشهورة[٧].

ومعنى الحشد في اللغة: (حَشَد القومَ يَحشِدُهم ويَحشُدُهم: جمعهم. وحَشَدوا وتَحَاشَدُوا: خَفُّوا في التعاون أو دُعُوا فأَجابوا مُسرعين، هذا فعلٌ يُستعملُ في الجمعِ)[٨].

والحشد الشعبي في الإصطلاح: (تلك التسمية التي أطلقت على تشكيلات المتطوعين من أبناء الشعب العراقي بعد فتوى المرجعية بالنجف الأشرف في اعقاب سيطرة عصابات (داعش) الإرهابية على عدة مدن عراقية)[٩].

المبحث الأول:

أهمية الأربعين

ان كلمة الأربعين تدل على أن لها أهمية كبيرة وسراً أكبر من الأسرار الكامنة لله سبحانه وتعالى التي لم يتوصل لها أيٌ من العلماء والمفكرين لحد الآن، ونستظهر ذلك من خلال التكرار المتعدد لهذه الكلمة، فقد ذكرها الله سبحانه في عدة موارد من كتابه الكريم، ومنها: ما ورد في شأن الموعد مع نبي الله موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[١٠]، وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[١١] وأيضا ما ورد بشأن تيه بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[١٢] وما جاء في قوله سبحانه مما يدل على كمال عقل الإنسان

في سن الأربعين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[١٣].

وكذلك ورود الكثير من النصوص الشريفة لأهل البيت عليهم السلام التي تذكر عدد الأربعين بين مفرداتها، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حزن السماوات والأرض على أبي عبد الله عليه السلام بقوله لزرارة: (يا زرارة ان السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وان الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وان الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وان الجبال تقطعت وانتثرت وان البحار تفجرت وان الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام،...)[١٤].

وتعد هذه الزيارة من الزيارات المهمة التي لها ثقلها لدى الشيعة وغيرهم. وأول من زار الإمام في أربعينيته جابر الأنصاري، وهو صحابي جليل صاحب علم وله مجلس خاص بذلك في المسجد النبوي، وهو حامل الأسرار النبوية بشأن أهل البيت عليهم السلام[١٥] وحضوره لهذه الزيارة في هذا اليوم بالذات يدل على أن هذه الزيارة لها أهمية بالغة وإلا ما كان ليحضر إليها وهو في هذا السن.

وقد ورد في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام العديد من الأخبار والروايات التي تؤكد بدورها على الزيارة وتحث عليها، ومنها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: (ان زيارة الحسين عليه السلام أفضل ما يكون من الأعمال)[١٦] وأيضاً قوله: (ما من أحد يوم القيامة إلا وهو يتمنى أنه من زوار الحسين، لما يرى مما يصنع بزوار الحسين عليه السلام من كرامتهم على الله تعالى)[١٧].

وإن كان الإعلان عن هذه الزيارة قد تأخر إلى عهد الإمام الصادق عليه السلام، ولعل سبب تأخير الإعلان من أجل حفاظ أهل البيت عليهم السلام على سرية التحركات لشيعتهم كي لا يتم رصدهم من أعدائهم أثناء مشيهم للزيارة[١٨].

ونلاحظ ان الإمام الحسين عليه السلام هو الوحيد من كانت له زيارة أربعين دون الرسول وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، وذلك لأنه الوحيد الذي فصل رأسه الشريف عن بدنه وظل بعيداً عنه أربعين يوماً حتى أرجعه الإمام السجاد عليه السلام معه في العشرين من صفر من عام إحدى وستين[١٩].

لقد أصبح المشي إلى زيارة أربعين الإمام الحسين كاشفاً عن رسالة الحسين عليه السلام لجميع الأمم، وهي رسالة يصنعها الأحرار والمصلحون الذين يطالبون بحقوق البشرية من دون أن يكون هناك أي مقابل مادي[٢٠].

وبالمقابل ان السائر لهذه الزيارة العظيمة من البشر سترتقي روحه وتدخل إلى عالم النور لأن فيها تسييس إلهي وفي نفس الوقت هناك قوى جاذبة تجذب العشاق وراء معشوقهم الحسين عليه السلام. ان الحسين مغناطيس قلوب الشيعة، ولذلك نرى أن هناك ميلاً إليه عليه السلام أكبر من باقي الأئمة لشدة الجاذبية التي حباها الله سبحانه له حتى بعد استشهاده[٢١].

ان زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم التدرب من خلاله على التضحية من أجل القيم والمبادئ التي ترفع الذات الإنسانية وتبنيها وتشبعها بالقيم والفضائل العالية[٢٢].

أثر الأربعين في إثارة الشيعة

ان الثورة التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام ضد الطاغية يزيد والتي أدت إلى استشهاده في فاجعة كربلاء مع الثلة الصالحة من أهله وأصحابه عليهم السلام، وأخذ نسائه وأطفاله سبايا يعانون الويلات من جيش الظلم، ورجوعهم إلى كربلاء في اليوم الأربعين من استشهاد الحسين عليه السلام، كل ذلك في الحقيقة كان يمثل نقطة التحول عند الشيعة، ورسوخ مذهب الإمامية لديهم على مدى القرون اللاحقة، وبالرغم من كل الضغوطات والاضطرابات التي تعرضوا لها في حياتهم.

لقد كان لأربعينية سيد الشهداء عليه السلام الأثر الكبير على الشيعة، فبعد رجوع السبايا ومرورهم على كربلاء لزيارة إمامهم المقتول ظلماً، والتعريف الخاص الذي قامت به السيدة زينب بأخيها عليهما السلام وبيان مدى مظلوميته، ونشر أهداف رسالته، بدت معالم الحسرة والندم بادية على وجوه من ترك نصرة هذا الإمام العظيم في تلك الثورة المباركة، حيث أن الناس يميلون إلى الحق وينفرون من الباطل ويسارعون إلى نصرة المظلوم، فبدأ الشيعة بتطبيق الدرس الذي تعلموه من إمامهم، وهذا الدرس هو الثورة ضد الظالمين وعدم السكوت عن الحق الذي شرعه وأمر بالدفاع عنه الله سبحانه.

لقد ثار الشيعة وأئمتهم وفقهاؤهم وادباؤهم ضد حكام الجور رافضين التعاون على الأثم معهم، لأن عقيدة التشريع بطبعها ثورة على الباطل وتضحية بالحياة من أجل الحق[٢٣]. فبعد أربعين الحسين عليه السلام بدأت إقامة مجالس النوح والعزاء على روحه الطاهرة وإن كانت في البداية بصورة قليلة ولكنها كانت فعّالة من حيث نشر مظلوميته على الساحة الإسلامية وبيان أهداف ثورته، فكان ذلك إيذاناً بإنطلاق صوت الحق وعدم الرضوخ لحكومة الفاسدين، والأهم من ذلك الدفاع عن الدين الإسلامي وحمايته من كل الذين يحاولون تشويهه بالعقائد المريبة والباطلة.

والفضل في ذلك يعود إلى الإمام الحسين عليه السلام وثورته والخطب التي ألقاها والتي ظل صداها يتردد في صدور الأجيال، والتي أخذت كلماتها الخالدة تتصدر العناوين في صفحات الثورات والمقاومات، وخصوصاً كلمته الخالدة في قوله رافضاً بيعة يزيد (لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)[٢٤].

كربلاء سر قوة الشيعة

ولقد اعتبرت كربلاء مدينة الإمام الحسين التي يتعلم الموالون منها الدروس والحكم بأنها هي سر القوة للشيعة، فقد صدر كتاب عن مركز الاستخبارات الأمريكية للكاتب مونيكال برانز ذكر فيه: (أن الشيعة لا زالوا يحتفظون بفاعلية وحركية تقاوم المخططات الغربية دون بقية المسلمين، وأن نداءات يا حسين ويا أبا الفضل العباس قد ألهبت الشارع الجماهيري الشيعي، والشيعة تمثل القطاع الحي والنابض في العالم الإسلامي، وهم أتباع أهل البيت وأتباع سيد الشهداء عليه السلام، ومن ثم فإنه يقرر أن عنصر قوة الشيعة يتمركز في عزاء الإمام الحسين والارتباط بالإمام الحسين وهو الذي يبعثهم على

استرخاص النفس ورفض منطق العدوان والظلم، والتحلي بالعزة والإباء والحماس والأنفة)[٢٥]. ومن الطبيعي ان العزاء يتوجه بصرخاته نحو أرض كربلاء باعتبارها أرض الحسين والعباس عليهما السلام فتكون سر القوة الكامنة للشيعة، ومنطلق إثاراتهم، ومصدر ثوراتهم، وسبب نجاحهم.

الأبعاد العقائدية في زيارة الأربعين

هنالك العديد من الأبعاد العقائدية التي نستطيع أن نلمسها من زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، ومنها:

١. الترسيخ الروحي والعقدي للقضية الحسينية:

ان زحف الملايين من الزائرين من العراق ومختلف دول العالم قاصدين زيارة قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله له دلالة على أن هنالك ترسيخ عقدي وروحي لقضية سيد الشهداء عليه السلام، فالزائر يعلن بزيارته انتماءه إلى أهل البيت وسيره على خطاهم، وفي نفس الوقت يبني الأساس لعقيدته الصحيحة من خلال إيمانه بالقضية الحسينية التي هي قضية حقيقية، فصاحبها وهو الإمام الحسين عليه السلام موجود كما يقول الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢٦].

ونفس الحضور عند الإمام عليه السلام له من الأثر الكبير ما يغني عن الوقوع في العقائد الضالة، فمن خلال الحضور عند الإمام المعصوم سيتمكن الفرد من التعرف على نهجه وعقيدته، وهذا التأثير يعتبر من أقوى المؤثرات؛ لأن الزائر سيعيش في حضرة الإمام: التوحيد، ويرى التسليم، ويدرك النبوة، ويفهم الإمامة، ويميز الحق من الباطل، بسبب حضوره الفعلي المحسوس[٢٧].

٢. إعلان الولاية للإمام الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائه وقاتليه:

ومعنى الولاية له: أن يتولى الزائرُ الإمامَ الحسين في جميع أموره، ويواليه ويقتدي به في جميع شؤونه، وكذلك الموالاة لأئمة أهل البيت عليهم السلام فهم الأئمة المفترضون الطاعة من الخلق، والولاية لهم تعني التمسك بأصول الدين التي تكون الإمامة فيها إحدى أركانها.

ومعنى البراءة من أعدائه وقاتليه: أن يتبرأ الزائر من كل الذين أعلنوا ونصبوا العداء ومن باب أولى الذين قاتلوا سيد الشهداء (روحي له الفداء)، وكذلك التبري من أعداء أهل البيت جميعهم.

فهذان الأمران (الولاية والبراءة) يعنيان الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام وهو من الضروريات اللازمة للمؤمن والثابتة له بالأدلة القاطعة كتاباً وسنةً، كما في قوله سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٨].

وروي أنه قيل للصادق عليه السلام: (إن فلاناً يواليكم إلَا أنه بضعف عن البراءة من عدوكم فقال: هيهات

كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا)[٢٩]. وروي عن الرضا عليه السلام أنه قال: (كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا)[٣٠].

والتولي للإمام والتبري من أعدائه هو كأي أمر اعتقادي لا يحتاج إلى حضوره أو حياته، بل يحتاج إلى الإيمان به بأنه إمام، والتولي والتبري وإن كانا من الفروع ولكن أصل معرفتهما من الأصول، فمحبة الإمام وبغض أعدائه هي من الأمور الركنية المتوقفة على معرفة نفس الإمام والتي هي مصداق للولاية[٣١].

٣. طاعة أهل البيت عليهم السلام والتسليم المطلق لهم:

ويمكن ان نلمس هذا البعد العقائدي لدى الزوار من خلال مسيرهم إلى كربلاء، فأحد الأسباب التي تدفع الزائر للمسير إلى زيارة الأربعين هو الطاعة والتسليم لأهل البيت عليهم السلام، ويجسد الزائرون ذلك من خلال سيرهم إلى إمامهم المظلوم مرددين بحناجرهم تلك العبارات التي جاءت في زيارة الأربعين عن الإمام الصادق عليه السلام: (وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم فمعكم معكم لا مع عدوكم)[٣٢].

فهذه الكلمات ذات المعنى العميق تجسد المفاهيم العقائدية للإيمان، ونلاحظ ذلك من خلال التحليل لها، فكلمة أشهد أني بكم مؤمن تعني الإيمان المطلق لأهل البيت بدليل وبإيابكم أي رجعتكم، ففي هذا القول يعلن الزائر أنه مؤمن بأئمة أهل البيت وبكل ما يتعلق به حتى الرجعة التي ينكرها الكثير، فالمؤمن الحقيقي هو من آمن بكل ما هو صادر منهم عليهم السلام من إمامتهم وأقوالهم وأفعالهم ورجعتهم، لأنهم يمثلون التشريع الحقيقي للدين.

وأيضاً يعلن الزائر التسليم والانقياد لأئمة الهدى بقوله: وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متّبع، وهذا التسليم والانقياد حقيقي وليس إدعاء زائف؛ لأنه نابع من القلب لا يشوبه حب الدنيا وملذاتها فهو أولاً وآخراً لله سبحانه واتباع أوامره المتمثلة بطاعة أهل البيت عليهم السلام والتسليم المطلق له.

واما عبارة ونصرتي لكم معدة، فتعني تجسيد مبدأ النصرة للنفس المؤمنة وذلك بتهيئتها عقائدياً لنصرة أهل البيت عليهم السلام سواء كانت بالروح أو المادة أو كلاهما معاً.

٤. تأكيد الهوية الحسينية:

عندما يحضر الزائرون سواء كانوا من العراق أو من خارجه والذين تقدر أعدادهم بالملايين لكي يحيوا شعيرة مهمة من الشعائر الحسينية ألا وهي زيارة الأربعين، فإن هذا الحضور يعلن عن الانتماء الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام، لأنه عبارة عن إعلان الموالاة لهم من خلال زيارتهم، وفي الوقت نفسه يعلن اكتساب الزائر من خلال زيارته الهوية الحسينية التي تعتبر فخراً لهذا الموالي، فمعنى حصوله على هذه الهوية واكتسابه الانتماء الحقيقي لأهل البيت أنه سلك الإتجاه الصحيح للعقائد الحقة للإسلام، والذي يمثل الطريق إلى الله سبحانه، فالحسين عليه السلام هو الوسيلة الموصلة إلى الله تعالى.

ولا شك في أن اكتساب الهوية الإسلامية الحقة وتأكيدها على وفق عقيدة أهل البيت عليهم السلام من الأمور الضرورية، بل تعتبر في أعلى درجات الضرورة خصوصاً بعد ان تم تشويه الصورة الجميلة للإسلام المحمدي على أيدي المتاجرين باسم الدين من القتلة والإرهابيين حيث صار العالم ينظر إلى الإسلام تلك النظرة التي تشوبها الريبة والخوف وتغطيها صورة أنه دين إرهاب وتكفير[٣٣]، فكان لابد من إزاحة ومحو هذه الصورة المسيئة للإسلام من نظر العالم وإظهاره بالصورة الحقيقية لهم، وهي أنه دين محبة ورحمة وتسامح والتي عبر عنها الله سبحانه في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣٤].

ومن خلال اكتساب الهوية الحسينية وتأكيدها من خلال هذه الزيارة العظيمة في أبعادها التي أحدها الإعلان بإنتماء هؤلاء الموالين لأهل البيت عليهم السلام والذين هم دعاة السلام على الأرض، ولا يوجد من يدعي عكس ذلك، فالمعروف من سيرتهم العطرة بأنه ليس هناك مزاحم لهم بالعدالة والأمانة والشرف وجميع الأخلاق والمبادئ، وبذلك تتم إزاحة ما تم تشويهه، وبيان حقيقته للعالم بالمبادئ السامية والمفاهيم الحقة.

٥. تجسيد معنى الجهاد والتضحية:

ونلاحظ هذا البعد من خلال التأكيد على تاريخ الإمام الحسين عليه السلام ومسيرته الجهادية وعظيم تضحياته التي نقر بها عند قراءتنا لزيارة الأربعين من خلال قولنا: (فجاهدهم فيك صابراً محتسباً حتى سفك في طاعتك دمه واستبيح حريمه) وقولنا في نفس الزيارة: (وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين)[٣٥] ومعنى الزيارة للإمام الإقتداء به وسلوك طريقه، لأن الزيارة تمثل الارتباط الروحي، وإلا لكانت مجرد لقلقة لسان؛ لأن لا أثر لها على أرض الواقع.

ولأن الحسين عليه السلام يعتبر أعظم داعية للجهاد في سبيل الله، وأكبر مثال للثبات والصمود على هذا الطريق[٣٦]، والذي ينطلق من الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، مسؤولية أمة بأكملها، وزيارة الحسين في الأربعين تعد من أكبر المحفزات النفسية والروحية لتهيئة الإنسان وتربيته للجهاد والتضحية، فثورة سيد الشهداء كانت ولا تزال المنطلق الإيماني والمحفز لحركات التحرر والثورة ضد الطغاة[٣٧]، ولم يستطع مرور الزمن وتعاقب الأجيال إخماد جذوتها وإطفاء نورها وطمس هويتها، بل هي صرح خالد في النفوس يجتذب الأرواح ويكسب الأنصار لكي ينطلق في عالم الخلود.

المبحث الثاني:

زيارة الأربعين وعلاقتها بالحشد الشعبي

مما لا شك فيه أن لزيارة الأربعين الأثر الكبير في تأسيس الحشد الشعبي، فقد عدّت هذه الزيارة مدرسة بحد ذاتها في بناء الأسس الأخلاقية والعقائدية والسياسية والتربوية لما تحمله من أهداف وأبعاد في طياتها، فقد أصبحت زيارة الأربعين أكبر تحشيد إيماني وعقائدي تثار فيه كل العواطف وتصب فيه كل القيم.

ولا ينبغي الشك أيضاً في أن هذا الحشد المؤمن من الزوار يتكون من طبقات واعية من المجتمع، ولا أقصد بالوعي هنا التحصيل العلمي بل التحصين

الإيماني بشكل عام والعقائدي بشكل خاص، فالزائر عندما يقدم إلى هذه المسيرة العظيمة في عنوانها وأهدافها وأبعادها بعد إلمامه الجزئي بهذه المفردات البسيطة في مفهومها العميقة في مضمونها، يكون قد هيأ نفسه لكي يلتحق بركب الحسين عليه السلام والسائرين على خطاه.

ومن خلال استلهام الزائرين الدروس والعبر من الملحمة الحسينية التي تمثلت بترسيخ الروح الحسينية في قلوب الموالين والتي أحد أهدافها وأهمها عدم الرضوخ والركون للظلمة والدفاع عن المبادئ والقيم التي دعا لها الإسلام، كانت البداية لتأسيس وانطلاق الحشد الشعبي المقدس بعد الفتوى المباركة للجهاد الكفائي.

فتوى الجهاد الكفائي والحشد الشعبي

بعد أن تعلمت الحشود المؤمنة من الإمام الحسين عليه السلام في مدرسة الأربعين عدم الرضوخ والاستسلام لحكام الجور والفساد والتصدي لهم، بدأت الإثارة للشيعة، وبدأ معها التحدي والتصدي البارز للمفسدين والظالمين بشتى أنواعهم، وأبرز هذه التحديات في هذا العصر هو الذي صدر من المرجعية الدينية في النجف الأشرف بإعلانها فتوى الجهاد الكفائي.

ففي اليوم الثالث عشر من حزيران من العام ٢٠١٤م أصدر المرجع الأعلى السيد علي السيستاني فتوى الجهاد الكفائي ضد تنظيم الدولة الإسلامية المسمى بـ داعش، وقد صرح بهذه الفتوى المباركة ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي على شكل بيان ألقاه في الخطبة الثانية من صلاة الجمعة في العتبة الحسينية المقدسة.

وقد صدرت فتوى الجهاد الكفائي بعد أن سقطت الموصل في العاشر من حزيران عام ٢٠١٤م على يد تنظيم داعش الإرهابي وانهيار القوات الأمنية[٣٨]، فقد كانت المرجعية التي تولى زعامتها السيد السيستاني (دام ظله الوارف) تتابع بقلق وحرص شديدين التطورات التي تلت أحداث سقوط الموصل على يد الإرهابيين الدواعش مؤكدة على الحكومة العراقية ضرورة إتخاذ الإجراءات اللازمة لردع هؤلاء الإرهابيين ومعاقبتهم، ولكن بعد أن شاهدت المرجعية تفاقم الخطر بسقوط مدن الموصل الواحدة تلو الأخرى، وعدم قدرة القوات المسلحة على إيقاف هذا المد التكفيري الإرهابي والحد من تحركه السريع والقضاء عليه، كان لابد للمرجعية أن تتخذ القرار الحاسم ضد هذا التنظيم، فلم يكن على زعيمها السيد السيستاني إلَا أن يطلق فتواه بمجاهدة الدواعش المجرمين، فكان ذلك إعلاناً بولادة وتأسيس الحشد الشعبي على يد المرجع الأعلى، وأيضاً إعطاؤه الغطاء الشرعي والقانوني بعد صدور الفتوى من سماحته بالجهاد والإنخراط بين صفوفه.

ولم يكن غريباً على المرجعية أن تتخذ هكذا قرار؛ فهي كيان علمي وبشري يتحمل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها[٣٩]، ومن موقع قيادتها للأمة تحتم عليها أن تتخذ مثل هكذا قرار، فداعش هو ليس كأي عدو غابر ممكن القضاء عليه بالأساليب المعتادة؛ لأنه تنظيم إرهابي، ويعرف الأرهاب بأنه: (شبكة عالمية تمويلاً وتنظيماً وحركة، وهذه الشبكة

الحركية الواسعة تكشف عن وجود حالة واسعة من التعاطف والاسناد والتمويل لهذه الشبكة)[٤٠].

تأسيس الحشد الشعبي

لقد تأسس الحشد الشعبي المقدس بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي إلى العراق، وكان ذلك عند استجابة الرجال الغيارى من أبناء المرجعية بعد إعلانها فتوى الجهاد الكفائي في الثالث عشر من شهر حزيران من عام ٢٠١٤م.

لقد كان تأسيس الحشد الشعبي نتيجة الرؤية التي رآها المرجع الأعلى السيد السيستاني لحقيقة تنظيم الدولة الإسلامية والغطاء الذي كان يتخذه هذا التنظيم باسم الدين لكي يغطي على أصوله، والتحدي الذي بان فيما بعد بأفعاله، فكان لابد من أن يقابل هذا التحدي بتحدٍ أقوى منه من خلال تكوين جيش من المجاهدين قادر على ذلك، ليتبين أنه الطرف الأقوى والذي يتمكن من صد هذا التنظيم وردعه، بل القضاء عليه أيضاً، ولا يتم هذا التحدي إلّا عند توفر أمور مهمة عند هؤلاء المجاهدين ومنها:

١. وجود عقيدة راسخة في قلوب المجاهدين تدفعهم إلى بذل كل ما يملكونه من أجل الدفاع عن مبادئهم وعقيدتهم، ولا شك أن أهم سلاح استراتيجي يمتلكه الحشد الشعبي هو سلاح العقيدة والتي كان لها الفضل الأكبر في حسم العديد من المعارك العسكرية الكبيرة[٤١].

لقد مثلت العقيدة الركيزة الأساسية في انتصارات حشدنا المقدس، وهذه العقيدة استمدت أصولها من الإمام الحسين عليه السلام الذي غرس في قلوب مواليه ثقافة التضحية والجهاد وبذل الغالي والنفيس من أجل حماية الدين الإسلامي بمبادئه السامية وحمايته من التطرف والإنحرافات التي تحاول محو تعاليمه الصحيحة بإدعائها الإنتماء إليه، وهاهم أبناء سيد الشهداء من الحشد الشعبي يطبقون ما تعلموه من مفاهيم وأبعاد في مدرسة الأربعين على مدى سنوات، فقد كانت هذه المدرسة ترسخ المفاهيم التي نهض بها الحسين عليه السلام في ثورته، والتي ترك فيها الحسين إرثاً خالداً يرثونه في زيارتهم بذكرى أربعينه، إرث ترتقي به الأرواح وتعلو في سيماء الوجود كما ارتفعت به روح الحسين (روحي له الفداء)، فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة إمامهم ثقافة الجهاد والشهادة لتحرير إرادة الأمة الإسلامية، وأن يقدموا أنفسهم لكي يكونوا مشروع شهادة ضد الشر والإرهاب كما قدم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهله من أجل الدفاع عن الإسلام ونصرته[٤٢].

٢. إيجاد خطاب سياسي قادر على خلق جيش من المجاهدين لهم القدرة على مقاومة مثل هكذا تنظيم بكل بسالة بدون أن يكون هناك أي مدخل للخوف في صفوفه، وهذا ما لمسناه في خطاب المرجعية العليا الذي ألقاه سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة في الصحن الحسيني في الثالث عشر من حزيران من العام ٢٠١٤م بقوله:

(إن التحدي وإن كان كبيراً إلّا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر).

وأضاف الكربلائي: أنه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر أن يدب الخوف والإحباط في نفس أي واحد منهم بل لا بد أن يكون حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا.

ثم قال الكربلائي: وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فإنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى.

وأضاف: المطلوب أن يحث الأب إبنه والأم إبنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمات هذا البلد ومواطنيه. وتابع قائلاً: إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي)[٤٣].

وكان لوقع هذا الخطاب التأثير الكبير على كل من تطرق إلى سمعه، بحيث أنه ما أن تم الإنتهاء من الخطاب حتى تعالت الصيحات بالتأييد والهتاف بكل حماس باسم السيد السيستاني والإقبال السريع على مراكز التسجيل للانخراط في صفوف المجاهدين لمقاتلة داعش.

٣. تقديم الدعم المستمر لهؤلاء المجاهدين المنضمين لهذا الحشد من خلال التعبئة، والتعبئة هي: إصطلاح عسكري بمعنى التجهيز[٤٤]، وتعبئة الحشد يجب أن تكون باستخدام الأفضل من الأسلحة والقطاعات في المعركة مع حشد جميع الطاقات[٤٥].

ولقد دأبت المرجعية منذ تأسيس الحشد الشعبي وإلى هذا اليوم على تقديم الدعم المادي واللوجستي وتعزيز روح الإنتصار في نفوس المنضمين في ألويته، مع التأكيد على التلاحم الوطني بين أفراده وقدسية الأهداف التي خرجوا من أجلها، فلم تكن الفتوى التي صدرت من المرجع الأعلى بالجهاد موجهة للشيعة فقط، بل لكل الطوائف والقوميات، وهذا ما لاحظناه عند الانخراط السريع للشرائح المختلفة من الشعب العراقي في فصائل الحشد الشعبي، وهذا يدل على عدالة القضية التي توجهوا للدفاع عنها مع وجود التلاحم الوطني.

السر في الثبات والعزيمة للحشد الشعبي المقدس

منذ الوهلة الأولى لتأسيس الحشد الشعبي وبدء نضاله السريع ضد التنظيم التكفيري داعش كانت هناك ملاحظة في غاية الأهمية لاحظها كل الذين كانوا يترقبون الساحة السياسية، وهي ثبات وعزيمة المجاهدين المنتمين لفصائل الحشد الشعبي وإصرارهم على الصمود، وإحرازهم النصر رغم قلة الخبرة سواء بالمنطقة أو بالتدريب، وكذلك قلة التجهيزات، ومع التقدم السريع في جبهات القتال ضد تنظيم داعش.

ومن الطبيعي الاستغراب الذي يحصل عند البعض، بسبب عدم معرفة السر في هذا الثبات والعزيمة من المجاهدين، وإذا ما أمعنا النظر في سبب الثبات والعزيمة سنجد أنه بالإضافة إلى العناية

الإلهية التي تستند إلى القدرة الربانية في تغيير الأمور، هناك جانب مهم ألا وهو الأساس العقائدي. وهذا الأساس هو ما يستند إليه أبناء الحشد الشعبي والمحرك الفعلي لسلوكهم التضحوي العظيم الذي يستمد معطياته من إرث ثقافي ضخم وهذا الإرث هو ثقافة عاشوراء[٤٦]، وهذا الإرث الثقافي لعاشوراء الطف انتقل عبر زيارة الأربعين كموروثٍ أكد عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى أنهم عدّوا هذه الزيارة من علامات المؤمن لما تختزنه من أسرار وما تمدّ به السائرين إليها. وهذا الإرث لا يمكن حصره في طبقة معينة من الناس، لأن تأثير ملحمة عاشوراء يشمل الجميع ودروسها تشمل الجميع أيضاً ولا تختص بفئة خاصة[٤٧].

فالحسين عليه السلام عندما ثار في يوم عاشوراء وقدم أغلى ما يمكن أن يقدمه، لم يكن يتوقع النصر عندما أطلق هتافه: أما من مغيث يغيثنا؟، وإنما كان يتوقع أن يرفع خطابه في ذلك اليوم العسير إلى أجيال تتعاقب بعده من المسلمين في مستقبل هذه الأمة[٤٨].

لقد كانت للثورة الحسينية أهمية كبيرة في إثارة الغضب الجماهيري عبر الأجيال، وأيضاً توظيفها ضد صناع الجريمة، فالحسين عليه السلام هو أداة التغيير الحقيقي للتكامل الإنساني، فقد استطاع تحشيد القلوب نحوه وإثارة الغضب الجماهيري، ولكنه محكوم بالضوابط الدينية والأخلاقية، وهذا ما أعطى لهذا الغضب المشروعية والقدسية والروح الإيمانية[٤٩].

سرعة استجابة أبناء الحشد الشعبي لنداء المرجعية

من الملاحظ أنه بمجرد أن أعلنت المرجعية الرشيدة فتواها الخالدة بالجهاد الكفائي ضد تنظيم الدولة الإسلامية المسمى بداعش الإرهابي حتى بدأ التطوع للانخراط من قبل أبناء الشعب في صفوف الحشد الشعبي، وهذا بحد ذاته يحتاج إلى إلقاء نظرة حول التساؤل الذي يطرح ما هو السر في الإقبال الكبير على التطوع، ووجه السرعة في ذلك؟

والجواب عن هذا السؤال يكون من خلال معرفة موقع المرجعية وهيبتها القدسية في نفوس المؤمنين التي تمتد من مقام الإمام المعصوم عليه السلام والتي تمتلك الإحاطة بمعارف آل البيت عليهم السلام والتقوى[٥٠]. وإلى جانب ذلك تتمتع المرجعية بالحكمة في إتخاذ قراراتها، فقد أحبطت الفتوى التي صدرت منها سياسات وايديولوجيات تخطط وترسم لمصالحها الاستعمارية ولعملائها وفوتت الفرصة على كل من يفكر بأن يبتاع أرض العراق وثوراته[٥١]. فلقد أدرك السيد السيستاني التوترات المذهبية بين أبناء الشعب العراقي بسبب الفتن التي يطرحها أعداء الإسلام من التكفيريين لزعزعة وحدة الإسلام وتكوين شعب ضعيف تسهل السيطرة عليه، وهذا ما دفع السيد السيستاني إلى تأكيد حرمة دم المسلم وماله وعرضه بغضّ النظر عن مذهبه، مؤكداً على التبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أياً كان صاحبه[٥٢].

ولما أعلنت المرجعية الرشيدة الفتوى بالجهاد الكفائي التي دلت عن الحكمة والتدبر في إتخاذ مثل

هكذا قرار بعد أن درست أبعاده وكيفية الوصول به إلى أفضل النتائج لم تهمل بدورها الجانب المهم من هذا القرار وهو الإحاطة بكل ما يتعلق بالمجاهد، ولقد اكدت المرجعية على ذلك من خلال الخطبة التي ألقاها الشيخ عبد المهدي الكربلائي في الصحن الحسيني الشريف في يوم الجمعة المصادف الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول من العام ٢٠١٥م:

(ومن أهم ما يتمثل في هذا الوقت الذي ابتليت فيه الأمة بالعصابات الإرهابية التكفيرية هو تعزيز الدعم والإسناد للمقاتلين الأبطال في جبهات القتال ورفع معنوياتهم ومساعدتهم على إداء واجباتهم، وتوفير العيش الكريم لعوائلهم ومعالجة جرحاهم وتقديم العون للمحتاجين وكفالة أيتام شهدائهم[٥٣].

مشروعية الحشد الشعبي

هناك شبهة دائماً ما تطرح على الحشد الشعبي من أعداء وجوده في الساحة، وهذه الشبهة حول مشروعية هذا الحشد، وهل يا ترى وجوده في ساحة المعركة شرعي في ظل القوانين العراقية والدولية، محاولين من خلال هذا الطرح توجيه إتهامات وإشكالات عديدة نحوه. ولكي نجيب على هكذا شبهة يجب علينا أن نرجع إلى النصوص الدستورية العراقية والقوانين الدولية، وأيضاً إلى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

فالذي يعطي الشرعية للحشد المقدس ما جاء في نص الدستور العراقي، فقد جاء في المادة التاسعة من الدستور في الفقرة (أ): (تتكون القوات المسلحة العراقية والأجهزة الأمنية من مكونات الشعب العراقي، بما يراعي توازنها وتماثلها، دون تمييز، أو إقصاء، وتخضع لقيادة السلطة المدنية، وتدافع عن العراق، ولا تكون أداة لقمع الشعب العراقي، ولا تتدخل في الشؤون السياسية، ولا دور لها في تداول السلطة)[٥٤].

وقد أكدت على ذلك المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف على لسان ممثلها السيد أحمد الصافي في الخطبة الثانية لصلاة يوم الجمعة في كربلاء في العشرين من حزيران من العام ٢٠١٤م، والتي جاء في نصها إجمالاً:

١. أن هذه الدعوة كانت موجهة إلى جميع المواطنين من غير اختصاص بطائفة دون أخرى.
٢. الهدف منها هو الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الجماعة التكفيرية المسماة بداعش.
٣. لم يكن للدعوة إلى التطوع أي منطلق طائفي ولا يمكن أن تكون كذلك لأنها صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنة: (لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا).
٤. إن هذه الدعوة إنما كانت للانخراط في القوات الأمنية الرسمية، وليس لتشكيل ميلشيات مسلحة خارج إطار القانون.
٥. حصر السلاح بيد الحكومة فلا يتوهم أحد أنها تؤيد أي تنظيم مسلح غير مرخص به بموجب القانون.
٦. وجود ضوابط محددة لمن تحتاج إليهم القوات المسلحة والأجهزة الأمنية الأخرى[٥٥].

ولما ننظر إلى كل المقاتلين المنظمين إلى ألوية الحشد الشعبي سنجد أن جميعهم من أبناء الشعب العراقي،

وسنجد أيضاً أن الحشد الشعبي قوة خاضعة للدولة في جميع قراراتها، وبالخصوص رئيس مجلس الوزراء، إذن هي خاضعة لسلطة مدنية، وفصائل الحشد المقدس تقوم بالدفاع عن مدن العراق، ولا تقتل الأبرياء، ولا تتدخل بالسلطة، ولا تطلب أي دور في السلطة والدولة، وعليه أن تواجد الحشد الشعبي شرعي من ناحية الدستور العراقي.

وأما من جهة مشروعيته تبعاً للجمعية العامة للأمم المتحدة، فقد اعترفت به الجمعية من خلال قرارها المرقم ١٥١٤ في شهر كانون الأول من سنة ١٩٦٠م الذي يعرف بقرار تصفية الاستعمار: (يتضمن مفهوم حق الشعوب في تقرير مصيرها طائفة من القواعد تم الاعتراف بها من الأمم المتحدة، حق الشعوب أن يختار بملء حريتها دستورها ونظامها السياسي، وأن تتمتع بالسيادة على مواردها، وحقها في ان تتصرف بحرية في ثرواتها ومواردها الطبيعية، وحقها بأن تتحرى وتتحكم نفسها بنفسها، وتختار شكل النظام الذي تراه ملائماً، وحقها أيضاً في اللجوء إلى الكفاح المسلح)[٥٦].

وعندما ندقق في هوية المجاهدين من الحشد الشعبي سنجد أنهم يحملون الجنسية العراقية أي أنهم أبناء العراق وشعبه، وهم الذين نهضوا من أجل الدفاع عن عراقهم بوجه هؤلاء الذين حاولوا اغتصاب حريته وثرواته، ومحاولتهم السيطرة على حكمه، واستغلال شعبه وقتلهم وهتك أعراضهم، فهبوا من خلال الكفاح المسلح ليضربوا هذا العدو ضربة الرجل الواحد لكي تقصم ظهر هذا العدو الغاصب.

فهذا القرار يعطي الشرعية الدولية للحشد الشعبي، وبالتالي يكون وجوده قانونياً لا على مستوى الدولة العراقية فحسب، بل على نطاق العالم، بل أنه يعطي حافزاً كبيراً للشعوب في تحديد مصيرها، والقضاء على كل من يحاول السيطرة على أراضيها.

نتائج البحث:

١. الإجماع على ان فاجعة كربلاء هي أكبر وأشد فاجعة عرفها التاريخ، وما المسير إلى كربلاء في زيارة الأربعين إلا تنديد واستنكار لهذه الفاجعة، والاعتراف بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأحقيته بالخلافة من يزيد الفاجر.

٢. أن من أهم النتائج لزيارة الأربعين الإقبال الكبير على مذهب أهل البيت عليهم السلام والانتشار الواسع للتشيع مع تزايد الزائرين في كل عام من كل دول العالم، وهذا ما يؤكد وعيهم بالإمام الحسين عليه السلام وتضحياته الكثيرة من أجل الإسلام ومبادئه، وهذا مما أدى إلى انتشار التشيع على مستوى دول العالم وزيادته.

٣. أن المسير إلى زيارة الأربعين له دلالة على وجود البذرة الإيمانية الطيبة لدى هؤلاء المجاهدين من الشباب والشيب بل النساء أيضاً، والتي منها انبثقت زهرة هذه البذرة بإعلان المرجعية العليا فتواها بالجهاد الكفائي.

٤. الدافع الأساسي لإصدار الفتوى بالجهاد كان من أجل الوازع الديني وهو الحفاظ على بيضة الإسلام وحماية المقدسات، وأيضاً الوازع السياسي والاقتصادي وهو حماية الشعب وثرواته من الوقوع بأيدي الغاصبين من الإرهابيين.

٥. إحساس المرجعية الدينية المتمثلة بشخص السيد السيستاني (دام ظله الوارف) بمعاناة الشعب العراقي، والوقوف معهم ضد كل من يتصدى لسلب حرياتهم العامة والخاصة.

٦. إن إصدار الفتوى بالجهاد الكفائي من قبل السيد السيستاني تنطلق من المسؤولية الملقاة على عاتقه بحماية الأمة وتوجيهها التوجيه السليم والفعال، وهذه المسؤولية وجهت إليه باعتباره نائباً عن الإمام عجل الله فرجه الشريف.

٧. إن انطلاق الفتوى بالجهاد الكفائي في ذلك الوقت بالذات يدل على درجة عالية من الحكمة، وفي نفس الوقت على فشل الحكومة المركزية في مواجهة هكذا تنظيم بالرغم من كل ما تمتلكه هذه الحكومة من قوات وأسلحة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الفساد المستشري بين السياسيين.

٨. إن العناية الإلهية والأساس العقيدي المستمد من النهضة الحسينية هو الدافع الرئيس للإنتصارات التي حققها الغيارى من أبناء الحشد الشعبي.

٩. عدم إكتفاء المرجعية الدينية العليا بإصدار الفتوى بالجهاد، وإنما قامت بتقديم الدعم المادي والمعنوي للمجاهدين وعوائلهم من الذين التحقوا في صفوف الحشد الشعبي حثاً منها لهم ببقائهم في صفوف المجاهدين حتى يتم تحقيق النصر بطرد فلول هذا التنظيم والقضاء عليه.

١٠. التقاء النهضة الحسينية وفتوى الجهاد في كثير من الأهداف والموازين الشرعية والقانونية.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الغر الميامين.

بعد إتمام البحث والاطلاع على العديد من المصادر المتخصصة في مجال الثورة الحسينية وأبعادها، وكذلك الكتابات التي أُلفت عن الحشد الشعبي، توصلت بإدراكي البسيط إلى أن فتوى الجهاد الكفائي منبثقة من الثورة الحسينية، وإحدى أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكلتاهما تصبان في مصب واحد ألا وهو الدفاع عن بيضة الإسلام، وأن سرعة استجابة المجاهدين لنداء المرجعية في الانضمام لصفوف الحشد الشعبي عبر فتوى الجهاد الكفائي ينطلق من الأبعاد العقائدية التي ترسخت لدى هؤلاء المجاهدين من زيارة الأربعين التي كان لها الأثر الواضح والكبير في النهوض بواقع الإنسان، فكما جاءت ثورة سيد الشهداء عليه السلام لكي تغير الواقع المرير وتبني دولة ترعى الإنسان وتحافظ على حرياته وسبل عيشه الكريم، كذلك جاءت الفتوى بالجهاد الكفائي لتكمل الطريق الذي بدأه الإمام الحسين عليه السلام ضد الظالمين على أيدي الأبناء الغيارى من الحشد الشعبي.

الهوامش

(١) مروان العطية، معجم المعاني الجامع، مادة أبعاد.

(٢) النساء:٣٣.

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة عقد.

(٤) طارق محمد علي، عقائدنا الواجب معرفتها على كل مؤمن، ص٤.

(٥) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٣، ص٣٢٠.

(٦) رافد التميمي، زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ص١٥.

(٧) ينظر، ابتسام النوري، الدور الاجتماعي للمرأة في تصوير القضية الحسينية لدى الأجيال (الزيارة الأربعينية أُنموذجاً)، مجموعة من الباحثين، وقائع المؤتمر العلمي النسوي الدولي، م٢، ص٢٤٠.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، حرف الحاء، مادة حشد.

(٩) حسين عدنان الأعرجي أنور عادل، فكرة جيوش الظل (الحشد الشعبي ماهيته.. عقيدته.. هيكليته)، مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي الرهان الأخير، ص٩.

(١٠) البقرة: ٥١.

(١١) الأعراف: ١٤٢.

(١٢) المائدة: ٢٦.

(١٣) الأحقاف: ١٥.

(١٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، الباب: ٢٦، ص ١٦٧ـ١٦٨.

(١٥) ينظر، حسين كوراني، زيارة الأربعين نبض وحدة الأمة والمستضعفين، مجلة شعائر، السنة الرابعة، العدد السادس والأربعون، ص٧.

(١٦) ضياء المشهدي، الشعائر الحسينية، ص٢٣.

(١٧) ابن قولويه، كامل الزيارات، الباب الخمسون، ح١، ص١٤٦.

(١٨) ينظر، كمال زهر، زيارة الأربعين، ص٢٦.

(١٩) ينظر، حسن البدوي، الخبر اليقين في رجوع السبايا لزيارة الأربعين، ص٣٢.

(٢٠) ينظر، محمد طاهر الخاقاني، الإمام الحسين عليه السلام بين النظريات العلمية وفلسفة المشي، ص٥٢.

(٢١) ينظر، إبراهيم محمد علي الخفاجي، أضواء على السيرة الحسينية، ص٢٢.

(٢٢) ينظر، محمد السند، أسرار زيارة الأربعين، ص٧.

(٢٣) ينظر، محمد مسجد جامعي، الفكر السياسي عند الشيعة والسنة، ص٢٧.

(٢٤) المباني الفقهية للمقاومة، مؤسسة أنوار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ص٢٣.

(٢٥) هاشم السيد حسن الموسوي، الشعائر الحسينية فقه وغايات، ص١١٥.

(٢٦) آل عمران: ١٦٩.

(٢٧) ينظر، رافد التميمي، زيارة الإمام الحسين عليه السلام بحث استدلالي في روايات الوجوب، ص٢١.

(٢٨) المجادلة: ٢٢.

(٢٩) بحار الأنوار، ج٢٧، ص٥٨، ح١٨.

(٣٠) ن. م، ح١٩.

(٣١) ينظر، محمد علي بحر العلوم، الإمامة الإلهية، ج١، ٤٢٥.

(٣٢) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٤٢.

(٣٣) ينظر، حيدر الصمياني، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين عليه السلام، ص١١٩.

(٣٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٣٥) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٤٢.

(٣٦) ينظر، انتصار عبد عون السعدي، المسار التاريخي لزيارة الأربعين النشأة، مجلة السبط، العدد الرابع، السنة الثانية، ص١١.

(٣٧) ينظر، محمد رضا النعماني، الأبعاد الفكرية والعقائدية في زيارات الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٨.

(٣٨) ينظر، إشراف: مرتضى أحمد العلي، مجموعة من المؤلفين، الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، ج١، ص٩٤.

(٣٩) ينظر، علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية، ص٩٤.

(٤٠) الآصفي، محمد مهدي، التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية، ص٣٤.

(٤١) ينظر، زينب عبد الكريم التميمي، دور المرجعية

الدينية وأثره على خط المقاومة في العراق؛ مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي ودور فتوى الإمام السيستاني في مواجهة المد التكفيري السلفي في العراق، ص٢٦٣.

(٤٢) ينظر، خمائل شاكر الجمالي، الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي؛ مجموعة من الباحثين، الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق، ج١، المحور الفكري والعقائدي، ص٣٢٣.

(٤٣) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد، إصدار مكتب المرجع الأعلى السيد علي السيستاني دام ظله، archive Arabic https//www.sistani.org.

(٤٤) ينظر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٦، مادة تعبئة.

(٤٥) ينظر، علي سعد تومان، أسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام علي، ص١٢١.

(٤٦) ينظر، محمد عبد الرضا هادي، زيارة الأربعين المباركة دلالات وآفاق، ص٣١٥.

(٤٧) ينظر، بلاغ عاشوراء، معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، ص٣٢٥.

(٤٨) ينظر، الآصفي، محمد مهدي، لبيك داعي الله، ص٦.

(٤٩) ٤٩ ينظر، لجنة الغريفي الثقافية، عاشوراء قراءة في ممارسات الإحياء، ص٢٥٩.

(٥٠) ينظر، منير الخباز، معالم المرجعية الرشيدة، ص٧.

(٥١) ينظر، حسين علي جثير السراي، فتوى الجهاد الكفائي في العراق، ص٤٥.

(٥٢) ينظر، عمار البغدادي، الحوزة العلمية وأثرها في بناء العراق الحديث، ص٦١.

(٥٣) كاظم عباده، وقالت النجف، ص٣٠٦.

(٥٤) كاظم جعفر شريف سعود عويد عيد، الوصف القانوني للحشد الشعبي في القانون الدولي الإنساني، مجموعة من الباحثين، الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق، ج٣، المحور القانوني، ص١٥٦.

(٥٥) ينظر، خطب الجمعة، المرجعية الدينية، شبكة الكفيل العالمية، https//alkafeel.net.

(٥٦) كاظم جعفر شريف سعود عويد عيد، الوصف القانوني للحشد الشعبي في القانون الدولي الإنساني، مجموعة من الباحثين، الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق، ج٣، المحور القانوني، ص١٥٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابتسام سعدون محمد النوري، الدور الاجتماعي في تصوير القضية الحسينية لدى الأجيال، (الزيارة الأربعينية أُنموذجا)، مجموعة من الباحثات المشاركات في المؤتمر، وقائع المؤتمر العلمي النسوي الدولي، ط١، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف العراق، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م.

٢. إبراهيم علي سعد تومان، أُسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام علي عليه السلام، ط١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف العراق، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٣. إبراهيم محمد علي الخفاجي، أضواء على السيرة الحسينية، د.ط، د.ت.

٤. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، ٢٠٠٣م.

٥. أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، تح: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق.

٦. إشراف: مرتضى أحمد العلي، الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، مجموعة من المؤلفين، ط١، مؤسسة همم، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٧. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، ط٢، مؤسسة

الأندلس، بيروت لبنان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٨. انتصار عبد عون السعدي، المسار التاريخي لزيارة الأربعين النشأة والتطور، مجلة السبط، مجلة علمية فصلية محكَّمة، تصدر عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، العدد الرابع، السنة الثانية، ط١، كربلاء المقدسة العراق، ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م.
٩. بلاغ عاشوراء، معهد سيد الشهداءعليه السلام للمنبر الحسيني، ط١، جمعية المعارف الإسلامية، بيروت لبنان، ١٤٣١هـ -٢٠١٠.
١٠. حسن البدوي، الخبر اليقين في رجوع السبايا لزيارة الأربعين تاريخياً وفقهياً، ط.١، دار الولاء، بيروت لبنان، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
١١. حسين البغدادي، أسرار زيارة الأربعين، تقريراً لأبحاث الشيخ محمد السند، ١٤٣٣هـ.
١٢. حسين عدنان الأعرجي أنور عادل، فكرة جيوش الظل (الحشد الشعبي ماهيته.. عقيدته.. هيكليته)، مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي الرهان الأخير، ط.١، مركز بلادي للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بغداد العراق، ٢٠١٥م.
١٣. حسين علي جثير السراي، فتوى الجهاد الكفائي في العراق، ط١، دار النبراس، النجف الأشرف العراق، ١٤٣٧هـ.
١٤. حسين كوراني، زيارة الأربعين نبض وحدة الأمة والمستضعفين، مجلة شعائر، ط١، مجلة شهرية تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت، العدد السادس والأربعون، السنة الرابعة، بيروت لبنان، ١٤٣٥هـ-٢٠٠٩م.
١٥. حيدر الصمياني، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسينعليه السلام، ط١، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسينعليه السلام في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة العراق، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
١٦. خمائل شاكر الجمالي، الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي، مجموعة من الباحثين، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الأول للحشد الشعبي (الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق) المحور التاريخي والمحور الفكري والعقائدي، مجموعة من الباحثين، ط١، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء المقدسة العراق، ١٤٣٨هـ -٢٠١٧م.
١٧. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داودي، ط٤، دار القلم، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
١٨. رافد التميمي، زيارة الإمام الحسينعليه السلام بحث استدلالي في روايات الوجوب، ط١، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.
١٩. زينب عبد الكريم التميمي، دور المرجعية الدينية وأثره على خط المقاومة في العراق، مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي ودور فتوى الإمام السيستاني في مواجهة المد التكفيري السلفي في العراق، مجموعة من الباحثين، ط١، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ١٤٣٧ه ـ٢٠١٦م.
٢٠. السيد أحمد الصافي، خطب الجمعة، المرجعية الدينية، ٢٠/ ٦/ ٢٠١٤، شبكة الكفيل العالمية، العتبة العباسية المقدسة. https:alkafeel.net category، videos

٢١. ضياء المشهدي، الشعائر الحسينية، مراجعة وإشراف: محمد علي الحلو، ط١، مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية، النجف الأشرف العراق، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
٢٢. طارق محمد علي، عقائدنا الواجب معرفتها على كل مؤمن، الحلقة الثانية، د.ط، د.ت، د.م.ط.
٢٣. عاشوراء قراءة في ممارسات الأحياء، لجنة الغريفي الثقافية، ط.١، ١٤٣١هـ -٢٠٠٩م.
٢٤. عباس القمي، مفاتيح الجنان، ط.١، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
٢٥. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ت:١١١١هـ، ط.٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٢٦. علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية، دار الزهراء، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٢٧. عمار البغدادي، الحوزة العلمية وأثرها في بناء العراق الحديث، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، د.ط، د.ت.
٢٨. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، تح: أحمد الحسيني، ط٢، كتابفروش مرتضوي، طهران إيران، ١٣٦٢ش.
٢٩. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، د.ت.
٣٠. كاظم جعفر شريف سعود عويد عيد، الوصف القانوني للحشد الشعبي في القانون الدولي الإنساني، مجموعة من الباحثين، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الأول للحشد الشعبي (الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق)، المحور الإعلامي والقانوني، ط١، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
٣١. كمال زهر، زيارة الأربعين (دراسة موضوعية في إثبات مشروعيتها)، ط٢، أمجاد للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
٣٢. المباني الفقهية للمقاومة (مقاومة الحكومات الظالمة)، ط١، مؤسسة أنوار الرسول الأعظمﷺ، إيران، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٣٣. محمد رضا النعماني، الأبعاد الفكرية والعقائدية في زيارات الإمام الحسينؑ دراسة لأهم المضامين الواردة في الزيارات المنصوصة، مؤسسة الإمام الرضاؑ الثقافية، الكوت العراق.
٣٤. محمد طاهر الخاقاني، الإمام الحسينؑ بين النظريات العلمية وفلسفة المشي، شبكة الفكر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م.
٣٥. محمد عبد الرضا هادي الساعدي، زيارة الأربعين المباركة دلالات وافاق، ط٤، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.
٣٦. محمد علي بحر العلوم، الإمامة الإلهية (بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند)، ط١، منشورات الإجتهاد، قم المقدسة إيران، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٣٧. محمد مسجد جامعي، الفكر السياسي عند الشيعة والسنة (الخلفيات والنتائج)، تر: عباس كمونة الاسدي، ط.١، المجمع العالمي لأهل البيتؑ، إيران، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣٨. محمد مهدي الآصفي، التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية، ط١، مجمع أهل البيتؑ، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٩. محمد مهدي الآصفي، لبيك داعي الله، ط٤،

مجمع أهل البيت عليهم السلام، النجف الأشرف العراق، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٠. مروان العطية، معجم المعاني الجامع، مركز إيوان للنشر، مصر، ٢٠١٢م.

٤١. منير الخباز، معالم المرجعية الرشيدة، ط١، شبكة المنير، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٤٢. نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد، إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)، **ARchive< Arabic< https://www.sistani.org**

٤٣. هاشم السيد حسن الموسوي، الشعائر الحسينية فقه وغايات، تح: حسن علوي طاهر الموسوي، دار زين العابدين، قم المقدسة إيران، ١٤٣٢ه ٢٠١١م.

٤٤. وقالت النجف، كاظم عباده، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية، كربلاء المقدسة العراق ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

المحور الحادي عشر

أوراق بحثية

زيارة الأربعين في الصحافة النجفية

(صحافة العهد الملكي نموذجاً)

م. م. وسن صاحب عيدان

العتبة العلوية المقدسة: شعبة المكتبة الفكرية

الملخص

يمثل تاريخ الصحافة جانباً مهماً في الدراسات الإعلامية والتاريخية، فمنذ وقت مبكر وقبل ان تكون هنالك دراسات صحفية متخصصة، عمد المؤرخون على التنقيب في الصحف واعتمادها مصدراً مهماً من مصادر التاريخ، ولأن مدينة النجف شهدت منذ وقت مبكر نهضة صحفية تمثلت في صدور مجلة العلم عام ١٩١٠م، وكانت أول مجلة في العراق يصدرها شخص إذ لم تصدر قبلها سوى ثلاث مجلات دينية اصدرتها مؤسسات وإرساليات مسيحية.

ثم ان مدينة النجف نفسها بثقافتها ومركزها الديني الذي أحرزته لضمها رفاة الامام علي عليه السلام وما يمثله ذلك من قدسية لدى الشيعة حيث ظلت النجف المدينة المقدسة التي يحج إليها أفواج من الشيعة من مختلف البلدان للتبرك بزيارة مرقد الإمام عليّ أو للدراسة في معاهدها الدينية وما تركته هذه الأفواج من تمازج ثقافي كان له الأثر البعيد في خصوصية هذه المدينة.

تكمن أهمية دراسة زيارة الأربعين في الصحافة النجفية في العهد الملكي بقدرتها على إعطائنا صوراً مختلفة عن طبيعة الشعائر والطقوس السائدة في المجتمع النجفي التي كانت ولا زالت تمثل تجسيداً لتلك الأهداف السامية التي كان يتطلع إليها الإمام الحسين في ظل دولة الجور والارهاب وانتهاك الحقوق وضرب القيم الانسانية.

قُسّمت الدراسة الى مقدمة وخاتمة ومبحثين، فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع، فقد تناول المبحث الاول: نشأة الصحافة النجفية وتأسيسها مُرَكّزاً على البيئة الثقافية النجفية وتاريخ الطباعة والصحافة، وجاء المبحث الثاني حاملاً عنوان: زيارة الأربعين في الصحافة النجفية، صحف العهد الملكي، متضمناً نبذة مختصرة عن كل مجلة ومراسيم الزيارة وأعداد الزائرين في جريدة النجف ومجلة الغري والبيان والدليل النجفية.

اعتمدت الدراسة على كمّ من المصادر والمراجع أبرزها صحافة العهد الملكي التي هي موضوع الدراسة، وكتاب هاشم نغيمش الزوبعي المعنون صحافة النجف وثقافتها دراسة تحليلية في صحافة النجف لما له من أهمية في دراسة الصحافة النجفية

واتجاهاتها الدينية والسياسية والأدبية، وكتاب ماضي النجف وحاضرها للمؤلف جعفر باقر محبوبه وغيرها من المصادر والمراجع.

إذ تختلف وسائل التوعية باختلاف البيئات، فلكل محيط وسيلته المقبولة عنده، ومن طريقها تنبعث التوعية لتوقظ المشاعر والعقول على المستويات كافة، وبذلك تكون رسالة الصحافة إحدى هذه الوسائل التي تساعد على توعية الشعوب، وما توصلت إليه هذه ورقة العمل من استنتاجات يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

١. تعبّر الصحافة بشكل واضح عن مستوى تطور حركة المجتمع في أي بلد كان، وتبين عملية التطور هذه سواء كان في جوانبها الفنية أم المهنية أم القانونية، ومن هذا المنطلق غدت الصحافة النجفية في عملية تطورها التاريخي الذي امتد من عام ١٩٠٨.

٢. حاولت الصحافة النجفية تقديم خدمة صحفية رصينة وجيدة وواعية للرأي العام. إن هذا الأمر جاء من حقيقة أن الصحافة هي إحدى الوسائل المهمة في بناء المجتمع ورسمت إتجاهاته الثقافية في الرؤى والأفكار، ولكن رسالتها كان عليها أن تصل بلغة رصينة وصحافة جادة تحظى باحترام القارئ وتقديره.

٣. تمتعت مدينة النجف بالصفة العلمية والدينية والأدبية، فلا مراء أن تكون الصفة الغالبة على صحافتها هي الطابع الديني والأدبي، حيث اشتغل رجال الدين والأُدباء والمثقفون على نشر تعاليم الدين الاسلامي والدعوة لبناء المجتمع ومعالجة الغزو الفكري عبر قنوات الصحف والمجلات النجفية.

٤. إن الأعمال العزائية التي يقوم بها المؤمنون خلال أيام زيارة الأربعين إنما يعبرون بها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحق، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.

٥. إن الشعائر والممارسات التي تؤدي خلال زيارة الأربعين هي بمثابة رموز شعائرية تؤكد القيم الدينية وتعالجها وهي طريقة للتذكير بما جرى في الماضي الذي يمثل تراثاً إسلاميا والحفاظ عليه من الضياع فهي تضمن استمرارية واتصال الماضي بالحاضر والمستقبل من خلال إعادتها والتركيز عليها وتكرارها وتوليد رموز جديدة لها.

أهمية الزيارة الأربعينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الشباب من منظور النهضة الحسينية

رولا خالد الداود /اشتية

مديرة الجامعة العربية المفتوحة (شمال أمريكا) فرع فلسطين

استاذة محاضرة في جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

استاذة محاضرة في كلية الروضة للعلوم المهنية/ فلسطين

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم، فاتحة كل خير وتمام كل نعمة.

نستذكر دور الشباب في واقعة الطف.. ان يوجد في كربلاء شباب من أعمار الورد وهبوا دماءهم من أجل الامام المعصوم. إن شباب كربلاء ضحوا بمهجهم بعمر يصعب على البعض أو على أكثر الشباب أن يضحوا بحياتهم ويتركوا لذات الدنيا ومغرياتها وبيوتهم وأهليهم وهذا ما حصل في واقعة الطف حيث أن شباب كربلاء تركوا ملذات الدنيا وشهواتها وضحوا بحياتهم وهم في سن حرج، عكس الكبار والشيوخ الذين إذا قلنا لا تهمهم ملذات الدنيا لأنهم تنعموا بها من زوجات وبنين وعاشوا تجارب الدنيا وخاضوا غمارها، فعندما يقوم الشاب الى المعركة ويجاهد ويستشهد يجعل الكبير يخجل من نفسه ويسارع هو الاخر للاستشهاد.

فعلى شبابنا ان يكونوا قدوة للصغار والكبار في نفس الوقت، فعندما ينظر الصغير الى الشاب الذي أكبر منه سناً يقتدي به فإذا كان حسن الخلق سيصبح مثله فإن كان سيء الخلق – لا سمح الله – سيصبح مثله وهذا سيسبب ضياع المجتمع لأن الشباب هم الركيزة الاساسية لقِوام المجتمع وصلاحه. فعلى الشباب أن يكونوا قدوةً بالأخلاق الحسنة لا الاخلاق السيئة، فإذا أصبح شبابنا صالحاً سنكون أفضل الشعوب ويجب ان نكون مثل شباب يوم عاشوراء لا تهمنا ملذات الدنيا، فعندما يظهر مولانا الحجة بن الحسن (عليه وعلى آله السلام) نكون مستعدين لبذل مهجنا من أجل مولانا أذا ما أرادها. فأسأل الله أن يجعلنا من الذين ينصرون مولانا عندما تحين الساعة.

الشباب هم عماد كل أمة وقلبها النابض وطاقتها الحية، بهم تبنى الأوطان وتستمر الحياة، وبصلاحهم يصلح المجتمع ويولد كل مشروع فكري ونهضوي جديد، والشباب من العمر كالربيع من الزمان، ولهذا حث الإسلام على اغتنام فرصة الشباب في الإكثار من العمل الصالح والجاد الهادف لصلاح الدنيا والفوز بالآخرة ودور الشباب المسلم الذي يسير وفق تعاليم الإسلام وعلى النهج المحمدي، دور عظيم في

إصلاح النفوس وتوجيه المجتمع والمحافظة على سلامته وأمنه وازدهاره وتقدمه وبخاصة ممن آمنوا بالمشروع الإصلاحي المنبثق من النهضة الحسينية وتأثروا به، ولا ينكر هذا الدور إلا أعداء الإسلام أو مَنْ كان في قلبه مرض، الذين يدركون مكانة الشباب المسلم الحقيقي وسعيه في الإخلاص لدينه ومعتقده ومحاربته لكل توجه يحاول الانحراف بمسيرة الدين القويم ورسالة السماء.

وللنهضة الحسينية أثر واضح وكبير على سلوك وتصرف أغلب الشباب المسلم وبخاصة الذين ينظرون إليها كمنهج فكري وعملي خطه سيد الشهداء عليه السلام الذين قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أخيه (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، فمن دروس النهضة الحسينية أخذت جميع شرائح المجتمع وسيلتها للسير في طريق بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد.

لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في معسكر الامام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمها، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿.....إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ فعليٌّ الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه عليه السلام فقط ولكن السبب الرئيس هو إيمانه بصدق القضية التي خرج من أجلها الامام الحسين عليه السلام وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها، وهكذا كان القاسم بن الحسن وبقية شباب بني هاشم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل، وصل إلى الشاب التركي والغلام الزنجي، كونهم ينتمون إلى هذه الأمة ويؤدون واجبهم على أتم وجه.

اليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك نهضة الحسين عليه السلام وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)، لمعرفتنا بأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين.

إن الحسين عليه السلام من الشخصيات القليلة المتميزة في التاريخ البشري، لا يوجد أحد من أعلام النخبة العلمية العالمية في الفلسفة والتاريخ والأدب والإعلام إلا وتجد منه كلمات الاعجاب بشخصية الحسين عليه السلام، وعند الاطلاع على نصوص أقوال تلك النخب في الحسين عليه السلام تتيقن أن الحسين تراث إنساني زاخر بالقيم الإنسانية الراقية، وإن الحسين صياغة ربانية انتدبت لمهام وغايات سامية. ننتخب من عشرات الأقوال للنخبة العالمية قول الكاتب الإنكليزي/ توماس لايل بعد أن شهد مجالس الحسين ومواكب العزاء..(فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء ومازلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك

الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين.

ان هناك رمزية في شخصية الحسين عليه السلام يعتبر إدراكها سمة من سمات توفيق الله، وقد خصَّ الله المؤمنين بجزء من تلك الرمزية، فقد روي عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله الى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبلٌ فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، ثم قال عليه السلام: بأبي قتيل كل عبرة، قيل: وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى[1].

فالمؤمنون الصادقون، والذين كانوا مع الصادقين يدركون تماماً تلك الرمزية لأنهم يعيشونها، لكن هناك أمر قد يخفى على الكثير خصوصاً مَنْ جهلوا وجُهّل عليهم ولا زالوا يعيشون التجهيل لا يعلمون أنْ لولا الحسين عليه السلام لكان انتقال الخلافة الى يزيد أمراً طبيعياً، ووراثة النبوة الرحمة والرسالة الإصطفاء وتحولها الى ملك عضوض مسألة طبيعية، ولكان فتح الباب في السقيفة لمن هب ودب ليكون خليفة لرسول الله أمراً طبيعياً، ثم نستمر الى أنْ لا نجد مَنْ ينكر على داعش بدعها وفتنتها.. ولو أنَّ شيئاً من ذلك موجود الآن في الامة فعلاً، لأنه – كما قلنا - ان هناك من لا يعرف للحسين عليه السلام لأنه يعيش التجهيل في دينه فلا ينكر منكراً.

فلولا الحسين عليه السلام لكان لا دين صحيح إلا داعش والتكفيريين، ولا ثلة مؤمنة إلا الوهابيين والتيميين.

ولولا الحسين لما كان هنالك ضمان من الانحراف، فالحسين عليه السلام أسس لواقع رسالي يتجدد فيه العهد للحسين كل عام في ذكرى نهضته في شعار معاداة الظالمين وبغض الظلم ونشر الفضائل والقيم الانسانية الراقية.. ووصف ذلك واضح في زيارة الأربعين متجددة في كل عام.

ولولا الحسين عليه السلام لما تمايز الخبيث من الطيب، فبالحسين ومع الحسين صار الفرز وبرزت الاصطفافات مع الظالمين أو ضدهم، وقد رأينا ذلك واضحاً إبان حكم البعث المقبور.

ولولا الحسين عليه السلام ما برزت ساحات الحب لآل محمد صلوات الله عليهم باعتبارهم سفن النجاة وما نشطت تظاهرات البغض للظالمين.

ولولا الحسين عليه السلام لما وجد منغص لنوم الطغاة. فقبر الحسين عليه السلام هو القبر الوحيد في الكون الذي يرعب الظالمين ويقض مضاجعهم على مر التاريخ البشري.

ولولا الحسين عليه السلام لما تناخى المؤمنون ليجتمعوا على حب الله في مواكب وهيئات وتنظيمات ينشدون قصائد الثورة ويندبون المظلوم ويلعنون الظالم ويتجهون للإصلاح ويجمعون عيال الله الفقراء حولهم في انتظار الوعد الالهي والموعود المنصور.. فلولا الحسين عليه السلام لم يبق سوى الإحباط والتيه.

الحسين عليه السلام الامل في الدنيا بالخلاص والآخرة بالشفاعة والجنة.

والحسين عليه السلام بوصلة الصدق والتصحيح والصلاح والإصلاح.

والحسين عليه في تربته الشفاء وتحت قبته يستجاب الدعاء.

والحسين عليه السلام هبة الله الى خلقه رحمة ونعمة وأمل بحياة

فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتجليات زيارة الأربعين

د. عبدالرضا عطاشى

استاذ مشارك وعضو الهيئة العلمية في جامعة آزاد الإسلامية إيران- فرع عبادان

الملَّخص

عايشتُ نصوص الإمام الحسين عليه السلام لإعداد رسالتي الدُّكتوراه أكثر من عامين ومازلت أبحث في فتح أقفال معانيها الَّتي تكون سهلة ممتنعة لكي أقدِّم بحثاً علميّاً للعوام فضلاً عن الخواص فتناولت نصوص الإمام عليه السلام من خلال الأبعاد الخمسة التَّاليّة:

١. ترجمة بعض اللغات إلى الفارسيةِ.
٢. ترجمة النُّصوص إلى الفارسيَّة.
٣. الشَّرح المفهومي.
٤. الشَّرح البلاغي.
٥. تدوين الفهرس الموضوعي.

فطبع الكتاب بعد خضوعه للبحث في إدارة البحوث لجامعة آزاد الإسلامية. لكن السُّؤال الَّذي يطرح نفسه بجدٍّ هو ما هو خلود ثورة الإمام عليه السلام لأنَّ هناك الكثير من الثورات حدثت فلم يبق منها إلَّا المجلدات في آرشيفات المكتبات ورفوفها. بناءً على ذلك شمَّرت عن ساعديَّ متوكِّلاً على الله للخوض في هذا المضمار فضلاً عمّا قاله الإمام الحسين عليه السلام في مواطن متعددة حول فلسفة ثورته الخالدة موضِّحاً إيَّاها، فهذه الورقة البحثيَّة تتكفل شرح آراء المتكلمين المسلمين والرِّوايات حول الثَّورة لنسلِّط الأضواء فقهيّاً وكلاميّاً على البحث فتعالج هذه الورقة على أساس المنهج النَّقلي التَّحليلي الإسئلة التَّاليّة: ما هي مساهمة ثورة الإمام الحسين عليه السلام في إثبات الدِّين؟ ما هو الدُّور الإصلاحي لثورة الإمام الحسين عليه السلام؟ ما هو الجانب البشري والإلهي في ثورة الإمام الحسين عليه السلام فكلُّ ذلك نشير إليه خلال المحاور في البحث أدناه.

الكلمات الرَّئيسة: ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فلسفة الثورة، رأي المتكلمين، الرّوايّة..

مؤشرات البناء النفسي لشخصية الإنسان المستوحاة من فضل زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في ضوء أحاديث وروايات آل البيت عليهم السلام

أ. د. مازن الحسني
جامعة واسط

أ. م. د. زهراء عبد المهدي محمد علي الموسوي
الجامعة المستنصرية -كلية الآداب قسم علم النفس

الملخص

لعل من أبرز ملامح النهضة الحسينية أن الأقلام كلما عاودتها وجدت فيها عطاءً ثراَ ومنبعاً جديداً ومنهلاً معطاءً، وهـذا خلاف ما عليه الكثير من الموضوعات التي تطرقت اليها تلك الاقلام. ومعلوم انَّ كل باحث عندما يلج موضوعاً ويكتب عنه او يتطرق الى مضامينه فإنه يستفذ فيه أغراضه كلها من اول وهلة، فلو حاول ان يكتب فيه ثانية او ثالثة فأنه سيأخذ باجترار المادة السابقة نفسها: لأنه ليس هناك من مادة جديدة يستطيع ان ينهل منها لكن، واقعة الطف في حقيقتها عطاء ثرٌ ما ان تعاود الاقلام حتى تجد ذلك الينبوع المتدفق المليء بالعطاء.

ان الـدم الـذي أراقـه سيد الشهداء الحسين في كربلاء كان حياً وسيبقى، والسر في ذلك انه امتداد لدماء الانبياء، وقد بقيت دماء الانبياء المراقة في سبيل الله حية لم تمت، انما اخـذت طريقها الى الخلود في الحياة، والان دماء الشهداء اصوات تردد في الفضاء وهي مواقف والمواقف لا تموت انما الذي يموت الجسد فقط. اما الموقف فيبقى ويعيش الى ان تنتهي الدنيا. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

فالحسين لو بقي في المدينة لحاصر التاريخ حركته وأذابها، ومما يؤسف له ان حركته ونهضته لا يعرفها الا قليل من المسلمين لأن وسائل الاعلام الاسلامية تصرفت وكـأن الامـام الحسين عليه السلام لا يعنيها وكأنه محسوب على فئة خاصة في حين انه عليه السلام لكل المسلمين بل هو عطاء للدنيا بأجمعها وليس لنا وحدنا، لأنه ابن الرسول صلى الله عليه وآله وهو أيضاً سيد شباب اهل الجنة فهو صوت من أصوات الحق خرج ليقارع الباطل وهذا الصوت يجب ان ينتشر فالمفروض ان تأخذ نهضته عليه السلام أبعادها الى مسامع المسلمين كافة لا ان ينحصر بفئة ما، فالمفروض على كل مسلم أن يمر بنهضة الحسين عليه السلام ويكتنه أسرارهـا، فحين نسمع تاريخ الحسين عليه السلام نسمع صوت النبي صلى الله عليه وآله يعبر عن الحسين عليه السلام (حسين مني وانا من حسين) فالمفروض ان ينفتح التاريخ على سيرة الحسين عليه السلام في سبيل اكتناه أسرار نهضته لكن مع الاسف ان هناك القليل من المسلمين يعرفون اسرار هذه النهضة.

يوم الأربعين من كلِّ سنة؟ هل هو يوم العشرين من صفر؟ أو هو يوم التاسع عشر من شهر صفر؟ ذهب الشيخ البهائي - قدس الله نفسه الزكية- إلى

أنَّ الصحيح هو أنَّ يوم الأربعين ليس يوم العشرين من صفر، وإنما هو يوم التاسع عشر من شهر صفر من كلِّ سنة، وذلك لاحتساب يوم العاشر واحداً من الأيام، فعندئذ يكون يوم الأربعين من شهادة الإمام الحسين عليه السلام هو يوم التاسع عشر وليس هو يوم العشرين من صفر. هذا ما ذهب إليه الشيخ البهائي(٣) -قدس الله نفسه الزكية-.

والمقصود بـ «زيارة الاربعين» الواردة في كلام الإمام العسكري عليه السلام هو زيارة مولانا الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وهذه السيرة متصلة بالمعصومين عليهم السلام الذين حثّوا على الزيارة المطلَقة للإمام الحسين عليه السلام، بل كانوا يولون بعضَ مواليهم للدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام. بل علمنا سابقاً أنّ الإمام السجّاد عليه السلام زار أباه يوم العشرين من صفر، مما يدلّ على استحباب هذا العمل. ولا يخفى أنّ سيرة المتشرعة حجة يُستكشَف منها مشروعيّة الفعل الدال على الوجوب والاستحباب، وحيث إنّ المؤمنين لا سيّما المتشرِّعة منهم يواظبون على زيارة الأربعين الحسينيّة دلّ ذلك على استحبابها ورجحان مشروعيتها. حيث ان إجماع فقهاء الإماميّة على استحباب زيارته يوم العشرين من صفر، ونقلنا قسماً من كلمات بعض فقهاء الإماميّة على ذلك، ولم يعترض أحدٌ على الإستحباب أصلاً سوى بعض مَنْ لا تحصيل لديه في المسألة، وهذا الفرد أو ذاك لا يضرّ خروجه من الإجماع المنعقد في المسألة. وإنّ دخول الألف واللام العهديّة على كلمة «أربعين» إشارة للتنبيه على أنّ زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علائم الإيمان والموالاة للأئمّة الإثني عشر.

واللام العهديّة تدخل على المسنَد إليه للإشارة إلى فرد معهودٍ خارجاً بين المتخاطبين، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ فالرّسول محلّى باللام العهديّة التي دخلت على الإسم المسنَد إليه، فالرّسول في الآية كان معهوداً في زمن فرعون وهو موسى النبيّ، وفرعون الزنديق عصى موسى الرّسولَ المعهود يومذاك.

وهنا هكذا: فإنّ «الأربعين» اسمٌ أُسنِدَ إليه الألف واللام العهدية حيث إنّ زيارةَ الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته أمرٌ معهودٌ بين الشيعة، لذا لم تقتضِ الضّرورةُ ذِكْرَ قيدٍ لفظيٍّ أو قرينةٍ لفظيّةٍ تحدِّدُ أو تقيِّدُ اللفظَ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر، فثمة قرينة حالية أوجبت فهم العلماء الأعلام من هذا الجملة خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارة الإمام عليه السلام في العشرين من صفر.

فالحاصل: حيث لا توجد قرينة تدلّ على أنّ الأربعين هو أربعون مؤمناً، وحيث إنّ اللام تُفيد العهدَ، وحيث إنّ السيرة العمليّة للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين من صفر وهذه السيرة مرتبطة ومتصلة بعمل الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل الوحي وبعض صحابة النبيّ كجابر، يتضح حينئذٍ استحباب ومشروعيّة زيارة الأربعين الحسينيّة، ولا يُقصَد من حديث الإمام العسكري عليه السلام ما توهّمه بعضُهم.

وبهذا التقريب يتضح أنّ المراد بزيارة الأربعين في الحديث هو زيارة الإمام الحسين المظلوم عليه السلام، والزائر

له في كلّ الأزمنة والأوقات تحت رعاية الله تعالى ولطفه ورحمته، والزائر يكون مشمولاً لدعاء الإمام الصّادق عليه السلام فقوله: «اللهمّ يا مَن خصَّنا بالكرامة ووَعَدَنا بالشفاعة، وخصّنا بالوصيّة وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالَهم وأشخصوا أبدانَهم رغبةً في بِرِّنا ورجاءً لما عندكَ في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيِّكَ وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافِهِم عنا بالرِّضوان واكلأهم بالليل والنّهار، وأخلِفْ على أهاليهم وأولادهم الذين خلَّفوا بأحسنِ الخَلَفِ، واصحبْهُم واكفِهِمْ شرَّ كلِّ جبّارٍ عنيدٍ، وكُلِّ ضعيفٍ من خلقك وشديدٍ، وشرَّ شياطين الإنس والجنّ، وأعطِهِمْ أفضلَ ما أملوا منكَ في غُربَتِهِم عن أوطانهم وما أثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهمّ إنّ أعداءَنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينهَهُم ذلك عن الشّخوص إلينا خلافاً منهم على مَن خالفنا، فارْحَمْ تلكَ الوجوه التي غيَّرَتْها الشّمسُ، وارْحَمْ تلكَ الخدودَ التي تتقلّبُ على حفرةِ أبي عبد الله الحسين عليه السلام وارْحَمْ تلكَ الأعينَ التي جَرَتْ دموعُها رحمةً لنا، وارْحَمْ تلك القلوبَ التي جزعَتْ واحترقت لنا، وارْحَمْ تلكَ الصّرخةَ التي كانت لنا، اللهمّ إني أستودِعُكَ تلك الأبدان وتلك الأنفسَ حتى تُوافيهم من الحوض يومَ العطش».

استعمل الباحثان المنهج الوصفي في بحثهما الحالي فضلاً عن أنهما اعتمدا طريقة تحليل المحتوى (المضمون) «وهو أسلوب للبحث يهدف وصف المضمون الظاهر للرسالة وصفاً موضوعياً ومنظماً وكمياً» (عبد الرحمن: ١٩٨٢: ٢٣٧).

ولاستخراج مؤشرات البناء النفسي الموجودة في محتوى أحاديث وروايات آل البيت، اتبع الباحثان أسلوب تحليل المحتوى بوصفها الطريقة الملائمة للكشف عن هذه المؤشرات وتضمن أسلوب التحليل وحدة الفكرة أو الموضوع الذي تدور حوله بوصفها مؤشرات للبناء النفسي للانسان. وقد أكد الباحثان على ضرورة أن تكون هذه الطريقة موضوعية ومنهجية، ولأجل تحقيق هذه المتطلبات ينبغي أن يكون للبحث تصنيف ووحدات للتحليل، ووحدات للتعداد، وقواعد واضحة وصريحة بطريقة التحليل وقياس ثبات التحليل **(Holdti: 1964: 5)**

حيث قام الباحثان بجمع الاحاديث عن الروايات للمعصومين وعملوا تحليل محتوى وهو احد اساليب المنهج الوصفي يعتمد على تحليل المقالات او الروايات او الاحاديث واستنتاج المعنى الحقيقي منها، وعرضت على خبراء مختصين في هذا المجال ثم خرجت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وخاتم النبيين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الأخيار الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

مستقبل زيارة الأربعين في ظل التحديات والتهديدات والفرص

الباحث: هادي حسن شويخ

أمين عام مؤسسة آشور للتنمية وحقوق الإنسان – واسط

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

إن تحدثنا عن سيد الشهداءعليه السلام فإننا نتحدث عن الرسول الأكرم لأنه امتداد للسيرة العطرة والصفات التي خصها الله به للرسول الأكرم، وما أعظم هذا التكريم الذي لم يضح به أحدٌ من قبل لقد استودع رسول الأمه والإنسانية كل صفاته في الإمام الحسينعليه السلام وأتمنه على دين الإنسانية وما أعظمها من أمانة في رقبة الإمام الحسين سينحرها في سبيل نصرة الدين، وما أعظمها وما أحلاها من أمانة سيوفيها بدمه الشريف. لا يقاس الحسينعليه السلام بالثوار، بل بالأنبياء ولا تقاس كربلاء بالمدن، بل بالسماوات، ولا تقاس عاشوراء بحوادث الدهر، بل بمنعطفات الكون، مع الحسينعليه السلام كل هزيمة انتصـار، وبدون الحسينعليه السلام كل انتصار هزيمة، لأن قصة عاشوراء لم تكتمل فصولها، فإن (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء).

لقد كانت ومازالت التحديات والتهديدات أكبر وأكثر منذ مسيرة الإمام الحسينعليه السلام من المدينة المنورة إلى كربلاء، وهي إلى الآن تأخذ أبعاداً وأشكالاً مختلفة، فالاستكبار العالمي وقوى الظلام التي خرج الإمام لمقاتلتها مازالت جاثمة على شعوب الأرض تنهب مقدراتها، وعصابات داعش التي مازالت تمثل تهديداً مباشراً لكل زيارة أربعين للإمام الحسينعليه السلام، ومازالت تتربص بالحشود المليونية المتجهة صوب قبلة الشهادة مستخدمةً كل الأساليب الاجرامية للنيل من المؤمنين الزائرين بأي صورة. وكذلك الإعلام العالمي المسيس الذي يحاول تشويه هذا التجمع الإيماني عبر تقارير مفبركة لا تمت للواقع بصلة، وبرغم نجاح كل الزيارات في السنوات السابقة التي وصلت أعدادها إلى أرقام مليونية تجاوزت العام الماضي أكثر من ٢٢مليون زائر إلا أنها مازالت تواجه تحديات كثيرة على جميع المستويات اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، غير أنَّ الجموع المليونية وفي كل زيارة تذوّب هذه التحديات الكبيرة أمام هذا الزحف المليوني الذي تنتهي فيه كل الفوارق الطبقية والعرقية أمام الهدف الأسمى. لقد أدت زيارة الأربعين منذ انبثاقها وحتى الآن وستؤدي ذلك في المستقبل، وظيفتها الأساسية وهي المحافظة على التواصل وتجديد العهد بين الشيعة والإمام الحسينعليه السلام.

إن لزيارة الأربعين دوراً مهماً في تحريك الجماهير نحو الأهداف السامية التي مثَّلها الإمام الحسينعليه السلام

وثار من أجلها وهي قيم الإيمان والحرية والعدالة والإنسانية، لذلك نحن نحتاج إلى أن تكون الزيارة عملاً ثقافياً توجيهياً وتوعوياً لإرشاد الناس، واستثمار العواطف الجياشة لتعريفهم بكل تلك القيم. فماهي الأدوار والمسؤوليات التي تقوم بها أصناف متعددة من المجتمع في مثل هذه الزيارات، وخصوصاً زيارة الأربعين التي تمثل محطة إيمانية كبيرة لكافة المسلمين.

أن الصفات الإنسانية للإمام الحسين عليه السلام في كل تفاصيل حياته لدلاله واضحة على إنسانية وعظم أفكاره لخدمة الإنسانية وصفاته الإنسانية التي قلَّ نظيرها، ومع كل ذلك نجد أن تغيباً واضح للسيرة العطرة غير مقصود والتركيز على واقعه الطف بكل التفاصيل مع عدم ادارك ومعرفة الأجيال لهذه السيرة المعطاءة لسيد الشهداء. وان الإمام سيد الشهداء لم يكن إماماً للشيعة فقط بل لكل الانسانية وفي كل مكان وزمان وان اغلب قادة العالم ومفكريه كانوا يعتبرونه أماماً للثوار وسيداً للشهداء ومصباحا للهدى ضد الظلم والظالمين ومنبعاً للفكر الإنساني من خلال صفاته الإنسانية وتعامله مع الرعية في كل زمان ومكان بكل خلق الأنبياء والمصلحين قبل أن يكون إماماً معصوماً واجب الطاعة.

فمن أجل أن نكون حسينيين بامتياز علينا أولاً أن نعيد صياغة علاقتنا بالسيرة الحسينية العملاقة، ففي هذه السيرة من المفاهيم والأسس والمبادئ ما بوسعها أن توحدنا وتنتشلنا من واقعنا الحاضر (المخيف) الذي يعج بالتخلف والفساد والفشل وسرقة المال العام والضعف أمام الأعداء والتفسخ الخلقي المريب إلى واقع جديد نستطيع من خلالها اللحاق بمن سبقنا، وفي ذلك الوقت (وحده) نكون قد ضمنَّا (شفاعة الحسين عليه السلام) وشفاعة جده وأبيه وأمه البتول، أما إذا اكتفينا بالشعائر ونحينا جانباً كل تلك المبادئ التي استشهد من أجلها ففي ذلك مظلمة للحسين المصلح الشهيد ولثورته.

إن زيارة الأربعين لها القدرة على نقل الملحمة الحسينية بأمانة للأجيال فإنها امتداد لتلك المسيرة العطرة الإنسانية للإمام الحسين عليه السلام في كل حياته وهو ميراثنا لكل الأجيال ودروس منها العبر في خدمة قضايا الأمة. وان دوره مازال ماثلاً في نقل الحقائق للمسيرة والدروس الحسينية لكل الأجيال وان الدور الحقيقي لم يقتصر على قضايا الدين فقط بل إلى كل القضايا التي تهم حياة الإنسان في العصر المعاصر وتقدم كل النصح والإفادة في خدمة قضايا آلامه والعالم أجمع مستلهمة من القرآن الكريم والسير العطرة للأئمة المعصومين الدروس والعبر في خدمة كل قضايا الإنسانية جمعاء. وبرغم كل التحديات والتهديدات ما زالت زيارة الأربعين تجدد العهد والوفاء على البقاء على نهج إمامنا الحسين عليه السلام.

ونستنتج بأنه يمكن أن تشكل الزيارة فرصة كبيرة للعديد من الأمور الايجابية التي لو استثمرت بشكل جيد لتغيرت الكثير من المفاهيم للعديد من المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام وهي:

١. القيام بفعاليات غير تقليدية في يوم زيارة الأربعين للجاليات العربية والاسلامية في البلدان الغربية مثل (التبرع بالدم، توزيع المواد الغذائية على العوائل الفقيرة والمحـــتاجة، محاضرات بكل اللغات حول عالمية ثورة الإمام الحسين عليه السلام.
٢. نقل زيارة الأربعين من حدث محلي مذهبي إلى حدث عالمي إسلامي ومناسبة للتسامح والتقارب بين الشعوب في جميع أنحاء المعمورة.
٣. مناسبة لتوحيد الرؤى الاسلامية والخطاب

الإسلامي المعتدل ومناسبة لجميع المذاهب الاسلامية المعتدلة في التوعية للأفكار والأطروحات الاسلامية التي تخدم في جميع مفاصل الحياة (الإسلام يقود الحياة).

٤. زيارة الأربعين مناسبة للتشجيع على ممارسة البذل والعطاءالانساني والعـــمل الطوعي في نفوس أبناء المجتمع والشباب خاصة من اجل روح التضحية والتكافل خاصة في مجال خدمة زوار الإمام الحسين عليه السلام، ودعم مقاتلي الحشد الشعبي في قتالهم لداعش وغيرها من الفصائل الإرهابية.

٥. الزيارة مناسبة لتوحيد المفاهيم الإنسانية بين كل الأديان كونها تجتمع جميعاً في أن هناك مخلصاً للبشرية بعد الظلم والجور الحاصل في جميع اصقاع الأرض.

التوصيات:

١. التأكيد على الدور الكبير لزيارة الأربعين في نشر المفاهيم والقيم الاسلامية السمحاء التي تأثرت كثيراً وخاصة بعد ظهور عصابات داعش مثل توزيع الفولدرات والكتيبات حول أهمية الزيارة مع ترجمتها إلى العديد من اللغات.

٢. توفير كتيبات إرشادية مع الخرائط للعراق بصورة عامة ولكربلاء بصورة خاصة عن كل الأماكن فيها وبأكثر من لغة أثناء زيارة الأربعين.

٣. الاستثمار الجيد لزيارة الأربعين في التوعية الدينية العامة للمسلمين وخاصة الأجانب منهم بالتعريف بالإمام الحسين عليه السلام سيرة حياته، إمامته وليس فقط مقتله.

٤. استثمار زيارة الأربعين في محاربة الخرافات الدخيلة على الدين الإسلامي بصورة عامة وزيارة الأربعين خاصة والاستثمار الجيد للزيارة في محاربة الظواهر المجتمعية مثل الفساد كونه ظاهرة أضرت كثيراً بالبلد.

٥. نقل وقائع خطابات المنبر الحسيني وخاصة في أيام عاشوراء وفي كل المناسبات نقلاً مباشراً من الفضائيات المعتدلة كونها تنقل رسائل مهمة للمجتمع مع التأكيد على الخطابات المعتدلة للخطباء التي تنفع الأمة بدلاً من أن تفرقها.

٦. تشكيل غرفة إعلام موحدة خاصة بالزيارة فقط للمساعدة في توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي وتقديم كل المعلومات الخاصة بالزيارة أولاً بأول وتكون هي المصدر لكل المعلومات الوثيقة (أعداد زائرين، حوادث، توجيهات)

٧. تشكيل صندوق خاص للزيارة للمتبرعين من أجل زيادة الخدمات وخاصة البلدية ما بعد انتهاء الزيارة.

٨. زيادة أعداد المتطوعين للخدمة أثناء زيارة الأربعين.

٩. العمل على إعداد مدن خاصة مؤقتة للزيارة قريبة من الضريح الطاهر مع توفير وسائل نقل خاصة بها (نصب خيم كبيرة وسرادق منظمة مع ترقيمها) مع الإرشادات للوصول إليها بأكثر من لغة.

١٠. تأسيس مراكز دراسات واستطلاع رأي من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية المتميزة بعد كل زيارة من أجل استثمارها لخدمة القضية الحسينية.

مفاهيم في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

(الجهاد، الاستشهاد، الحرية، والنعيم الأبدي) نموذجاً

أ. م. د. نوال كمال النقيب
كلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية جامعة كربلاء

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
كلية العلوم الإسلامية – قسم الفقه وأصوله جامعة كربلاء

الملخص

إنَّ تاريخ الإسلام الجهادي تضمن معركتين فاصلتين، الأولى كانت على التنزيل وكان قائدها النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وقد واجه فيها أعتى الكفار والمشركين وضرب خراطيمهم حتى قالوا: لا إله إلاَّ الله، والمعركة الفاصلة الثانية كانت على التأويل وقائدها أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد نازل فيها الناكثين والقاسطين والمارقين، فبقر الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته مما دفع النبي محمد صلى الله عليه وآله بالقول للإمام علي عليه السلام كما ورد الحديث في (أمالي الطوسي): (يا علي تقاتل على التأويل، كما قاتلتُ على التنزيل).

وهناك ميزة يشترك فيه الأنبياء جميعاً في مواجهتهم للطواغيت على عصورهم المختلفة، والإمام الحسين هو الامتداد الطبيعي على مستوى الأهداف يقول: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، وإنما كان الهدف هو نصرة الدين).

فهو وارث حركة الأنبياء ووارث نبينا محمد صلى الله عليه وآله وهو رمز للأئمة الباقين، ووارث آدم عليه السلام صفوة الله وإبراهيم عليه السلام خليل الله وموسى عليه السلام كليم الله وعيسى عليه السلام روح الله ووارث محمد صلى الله عليه وآله حبيب الله.

فالحسين عليه السلام يعلّمنا بأن حياة الروح هي الكرامة، فهي تحقق لهُ الحرية والعيش السعيد، وكل ما يستحق أن يعيش لأجله في هذه الحياة، وأنَّ أهم درس نستفيده من الحسين عليه السلام وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله هو فهمنا لمعادلة الموت والحياة، وهل أنَّ من يعيش تحت سيف الظالم ويلاقي يومياً المهانة والذل، ويعيش الخنوع لبشر مثله، هل هذا يُعدُّ حياً؟ أم الحياة لذلك الذي يرفض الظلم والذل والخنوع، ولو أدى به الأمر إلى السجن والتهجير والقتل؟ أنَّ الأول يموت كلَّ يومٍ ألف مرة والثاني يبقى حياً وان لاقى الموت.

والله من وراء القصد.

الشعائر الحسينية في زيارة الأربعين

م. م. سلوان سعد صالح علي فضيله خضير الشمري

الملخص

تمثل الشعائر الحسينية اهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية اهل بيت رسول الله ﷺ وهي القضية الحسينية، فالشعائر الحسينية تسلط الضوء على حقيقة الصراع الابدي بين الحق والباطل، لذلك يخاف الظالمون من الشعائر الحسينية اشد الخوف ويحاربونها بكل طاقاتهم.

الامم على اختلاف اديانها وطوائفها وشعائرها وطقوسها التي اعتادت على تأديتها وان اختلفت في الاسلوب والطريقة لتعبر عن مكنوناتها وماتحفل به من ذاكرة مسرة او مفرحة، والمسلمون جزء من تلك الامم يمارسون شعائر مقدسة فرضت عليهم في الكتاب المقدس تارة او في سُنة النبي المصطفى ﷺ تارة اخرى حتى اصبحت جزء من حياتهم يرتبطون بها ارتباطاً عاطفياً وعقلياً ويؤدونها اداء تقتضيه حالة الايمان فكلما كان الايمان متجذراً في النفوس كانت الشعائر ذات اداء حسن يثاب عليه المؤمن من الله رضواناً مباركاً ولما كان اهل البيت عليهم السلام هم اعلام الهدى والعروة الوثقى الموصوفون في القرآن باوصاف عظيمة فقد كان لهم في ميزان العدل والحكمة دورالقيادة البارزة في افتراض الطاعة، وعليه ضمن الواجب شرعاً وعرقاً ان يكون المرء تحت سطوة حبهم وعدلهم يحمل رايتهم ويركن الى افعالهم واقوالهم باعتبار العصمة والامامة قد حصرت بهم.

فمن الواجب تعظيمهم لانهم الانوار الربانية والحجج البالغة تجاه الامة، ومن اعظم الشعائر عند اتباعهم الشعائرالحسينية التي بدأت عند واقعة كربلاء كفعل ادائي ومن قبلها كاختيار غيبي.

ويكفي المرء ان يدقق ويتأمل الواقعة ووصية الامام الحسين بن علي عليهما السلام ((انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان أمر بالمعروف وانهي عن المنكر)).

وبناءٍ على ذلك قسمت هذا المبحث الى مبحثين الاول خاص بماهية الشعائرالحسينية اما المبحث الثاني فقد بينت فيه احكام تلك الشعائر وانواعها.

الملحق

دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان

(زيارة الأربعين أنموذجاً)

أ.د. نجم عبدالله الموسوي

قسم العلوم التربوية والنفسية

كلية التربية / جامعة ميسان

الملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة دور الشعائر الحسينية (زيارة الأربعين أنموذجا) في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية حيث اقتصر البحث على طلبة كلية التربية في جامعة ميسان للعام الدراسي ٢٠١٧ – ٢٠١٨ وتكونت عينة البحث الكلية من (٢٠٠) طالبا وطالبة.

اعد الباحث عينة بحثه المتمثلة بـ (الأستبانة) التي صاغها على وفق إجابات العينة الاستطلاعية وتم التأكد من صدقها الظاهري بعرضها على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم التربوية والنفسية وحسب ثباتها بطريقة الإعادة (Test-Re test) إذ بلغت درجة ثباتها(٨٩ , ٠)، ثم عرضت الأستبانة النهائية على العينة الأصلية المكونة من (١٠٠) طالباً وطالبةً، وبعد معالجة البيانات إحصائيا أوضحت نتائج البحث أن هناك جملة من الأمور التي تحققها الشعائر الحسينية والتي تسهم رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان.

النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات والتي منها :

١. أن يتم بحث مسألة الشعائر الحسينية (وخصوصاً زيارة الأربعين) لأنها تشكل أهم دعامة للحفاظ على قوة الثورة الحسينية المقدسة وإنها تربط ينبوع الصفات النفسية المحركة نحو الثورة.

٢. المواظبة على أحياء الشعائر الحسينية لأجل رفع مستوى القيم الأخلاقية، وأن نعمل بما نعلم ونؤمن به وان نسعى إلى الاقتراب أكثر فأكثر من قيم سيد الشهداء عليه السلام.

٣. أن يتم الاعتناء بالشعائر الحسينية في مناسبات عديدة خلال العام وربطها بالواقع الاجتماعي للحاضر.

The Ritual of the Husayn rituals in raising the moral values of the society from the perspective of the students of the Faculty of Education at the University of Maysan

(Visit 40 model)

Prof. Najim of Abdullah Al Mousawi

Department of Educational and Psychological Sciences

College of Education - University of Maysan

Abstract:

This research aims at identifying the Ritual of the Husaynic rites (40 model visits) in raising the level of ethical values of the society from the point of view of the students of the Faculty of Education. The research was limited to the students of the Faculty of Education at the University of Missan for the academic year 2017-2016.) Students.

In the beginning, the researcher prepared an exploratory questionnaire that was presented to the survey sample which reached (100) students, which included the following question: What is the role of the Husayn rituals in raising the moral values of the society from your point of view?

Then the researcher prepared the final questionnaire, which he formulated according to the answers of the students and then confirmed the validity of the virtual presentation to a group of experts and specialists in educational and psychological sciences and according to stability in the manner of return (Test-Re test) the degree of stability of (0. 89), and then presented the final questionnaire On the original sample of (100) students, and after the processing of data statistically, the results of the research showed that there are a number of things achieved by the rituals of Husseiniya, which contribute to raising the level of ethical values of society from the perspective of students of the Faculty of Education at the University of Maysan.

Results The researcher presented a number of recommendations, including:

• To discuss the issue of Husayn rituals (especially the fortieth visit) because they constitute the most important pillar to preserve the power of the Holy Husseiniya revolution and it links the spring of psychological qualities that drive towards revolution.

• Keep alive the rituals of Husseini in order to raise the level of moral values, and to do what we know and believe in and to strive to approach more and more values of the master of martyrs (p).

• To take care of the rituals of Husseini on several occasions during the year and linked to the social reality of the present.

الفصل الأول

مشكلة البحث:

أن الأمم تتأسى بأعظم شخصياتها ومؤسسي تاريخها وحضارتها وأن ثورة يقودها أحد من أقدس شخصيات الأمة وأئمتها تكون لها قيمة أخلاقية خاصة فأن تخلفت الأمة عن اللحاق بأعظم سفن النجاة فهي لا ترى لوناً من ألوان السعادة ولا باباً من أبواب الخير في حياتها ولا يمكن أن يكتب لها التقدم في الحياة فهي واحدة من المشاكل التي تواجهنا ولان قد احدق الخطر بهذه الأمة فهل نحن كما يردنا الأمام الحسين عليه السلام وهل انتهجنا نهج الحسين سيرة ومنهجاً وسلوكاً وأخلاقاً[١].

أن نهضة الأمام الحسين عليه السلام كانت نبراساً لسائر النهضات التحريرية في العالم وتركيز الأخلاق الإسلامية هي من الأهداف التي ضحى الإمام عليه السلام لأجلها بأغلى ما على وجه الأرض من نفسه الشريفة وذويه وأكد على أحيائها قولاً وعملاً ودل الأجيال على الطريق وأوضح السبيل لعلاج مشاكل المجتمع للحصول على سعادة الدنيا وكرامة الآخرة[٢].

وأن الإمام الحسين عليه السلام اتخذ من نفسه مشروعاً تربوياً يعمل على إصلاح هذه الأمة تربوياً وأخلاقيا وقيمياً، لأنه يرى أن من واجبه كإمام مفترض الطاعة أن يضع نفسه بذرة خير داخل المجتمع الإنساني على وجه العموم والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص، فجاء استذكار ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كل عام وخصوصا زيارة الأربعين بكل ما تحمل من معان سامية جاءت بمثابة الحالة الوقائية والعلاجية في الوقت نفسه التي تعمل على تصحيح المسارات الخاطئة في داخل نفسية الفرد والمجتمع وتقليل حالات الفساد والإفساد التي تعمل قوى الشر على بثها في أوساط المجتمعات المسلمة،بل أن هذا الاستذكار للثورة بدأ يعمل حتى في الدول التي تتبنى الحالات التي لا تلاءم مجتمعنا وأخلاقنا وخلقت حالة الصحوة والانتباه لديهم بفضل ما يشاهدونه من عطاء كبير في هذه الزيارة المباركة.

وتعد الشعائر الحسينية وسائل الجمهور للتعبير عن حزنه العميق وارتباطه العاطفي وأنشداده النفسي بمأساة كربلاء ويبلغ هذا التفاعل قمته في العشرة الأولى من شهر محرم وقمتها اليوم العاشر يعد أعظم في الإسلام واكبر يوم تاريخي في العالم لقد وقعت فيه الفاجعة العظمى التي حلت بالإسلام والتي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً او نظيراً مما يفتح باباً ندخل من خلاله بعض الأعمال غير الموجه للشعائر الحسينية [٣].

والشعائر والشعارات من أصل واحد غير أن مفرد كلمة الشعائر (الشعيرة) ومفرد كلمة الشعارات (الشعار). والشعيرة هي ما يشعر بالعبادة لله تعالى أو الانتماء إلى الله ومنه الحج وجميعها شعائر يقول تعالى: (لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ) [٤]، و الشعائر الحسينية التي يألفها شيعة أهل البيت عليهم السلام في أيام ذكرى الإمام الحسين عليه السلام في كل سنة تعد اكتشاف للمفاهيم والقيم ودراسة هذه الشعارات تنفع المجتمع لأنها دراسة نافعة مفيدة للجمهور الذي يتحشد حول المنبر الحسيني، إذ يتم توارثها جيلاً بعد جيل إلى اليوم [٥].

ونتيجة لما سبق يرى الباحث أن طلبة الجامعة هم خير من يؤدي هذه الرسالة وخير من يتابع انعكاساتها الايجابية في سلوك الفرد والمجتمع، لان طلبة الجامعة هم الطبقة الواعية المثقفة القادرة على التمحيص، لأنهم قلب الأمة النابض ومنهم يتدفق دم الحياة في حب الأمة وان التعليم الجامعي هي أفضل مرحلة للتعبير عن حرية الرأي ويزيد الباحث من طرح هذا العنوان التأكيد على القيم الأخلاقية لدى طلبة كلية التربية جامعة ميسان وان الأخلاق السامية لا تكون محصورة في ٤٠ يوم من ١ محرم الحرام إلى ٢٠ صفر المصفر بل يجب أن تمتد إلى ٣٦٠ يوم فهي واحدة من أهم المشاكل التي يجب أن تدرس، وتتحدد مشكلة هذا البحث بالإجابة عن السؤال الآتي:

« هل للشعائر الحسينية دور في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية جامعة ميسان؟ ».

أهمية البحث :

إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تحمل في طياتها الكثير من المعاني السامية في جوانب الحياة المختلفة، ومنها الجانب التربوي، إذ خطت هذه النهضة العظيمة أروع السطور في الأساليب التربوية والقيم الأخلاقية التي رسمها بأنامله الشريفة لتكون نبراساً يقتدى به، فأراد أن يعمل على تحريك المشاعر بشتى الوسائل جاعلاً من توجهه نحو الله تعالى القاعدة الأساسية في أقواله وأفعاله وتقريراته.

ولا بد من الإشارة إلى أن الحسين عليه السلام في خطواته كلها منذ لحظة الانطلاق من المدينة المنورة إلى لحظة الاستشهاد، أعطى لنا منظومة تربوية وأخلاقية أخذ فلسفتها من كتاب الله تعالى ومن سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، حتى أصبح كما يصفه البعض انه (قرآن متحرك داخل الأمة الإسلامية).

وحتى بعد شهادته بقيت مضامين ثورته وأهداف قيامها نابضة في جسد الأمة الإسلامية حتى أصبحت عبارة عن شعائر زرعها الأمام الحسين عليه السلام في قلوب محبيه لتبقى المحرك القوي لضمير الأمة ووعيها وشعورها.

وللشعائر الحسينية دور مزدوج بالغ الأهمية، فهي:

أولاً: وسائل للتعبير عن حالة انشداد الجمهور بعاشوراء وارتباطهم العاطفي بهذا الحدث.

ثانياً: تؤدي الشعائر دوراً فاعلاً في إذكاء جذور الثورة والتحريك لذكرى هذا اليوم في تاريخ المسلمين وبذلك فان للشعائر الحسينية دور التعبير عن عواطف الجمهور ولا شك أن لهذا الشعائر قيمة كبيرة في كل ذلك وقد كان أهل البيت عليهم السلام يعطون اهتماماً كبيراً وعناية خاصة لإقامة الشعائر الحسينية لان سفينة الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع[٦].

وأن قضية الإمام الحسين عليه السلام هي قضية الحق والعدالة والشرف والأخلاق هذه عناوين معركة كربلاء وعناويننا اليوم في حق يسير على الطريق الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام وان هذه الشعائر التي تتجدد كل سنة تحمل دلالات سياسية وثقافية واضحة وان إحيائها هو إحياء لأنفسنا وللإسلام وخلود للمبادئ والقيم التي ضحى من اجلها الإمام

الحسين عليه السلام وان هذه الشعائر تحمل الخط والنهج الحسيني [٧].

ومن الملاحظ أن الشعائر الحسينية كانت في الأزمنة السابقة تكاد أن تكون محصورة على النطاق المحلي في المجتمعات الإسلامية والشيعية بالتحديد، أما الآن فالكثير من الأمور تغيرت فأصبحت الشعائر حالة عالمية وبدأ صداها يكبر بفضل قوة الشعائر الحسينية وزيادة صداها وتوسع المحبين لأهل البيت عليهم السلام والتطور العلمي والتكنولوجي الذي بدا يقرب ويوضح هذه الشعائر للآخرين، وخير شعيرة أخذت بالتنامي والتأثير هي زيارة الأربعين التي احتلت المرتبة الأولى من بين الشعائر كافة واخذ صداها يظهر على المستوى الدولي والعالمي وبدأت الكثير من الرؤيا تتضح في أذهان الآخرين من غير المسلمين.

ومهما كتب عن الإمام الحسين عليه السلام فهو قليل لا لعدم أهمية ما كتب بل لأهمية ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وآثارها وانعكاساتها على مجتمعنا وعالمنا المعاصر وهذا ما يشد الإنسان المؤمن بل كل إنسان لا يقبل بالذل ويحب العدل والإنصاف إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام [٨].

والمتفق عليه بين العلماء أن استعداد المرء للتأثر الايجابي بالقيم المطروحة في الشعائر الحسينية أمر يتوقف على مدى إيمانه وصلاحه فلا يمكن أن تنفع الشعائر الحسينية مع من ارتكبوا المعاصي فالشعائر الحسينية دعوى للتقوى قبل أن تكون دعوى للاقتداء فهي تجسد أسمى القيم وأنبلها وتربط الحاضر بالمستقبل وان امتنا بحاجة إلى نهضة أخلاقية ورعاية الحقوق الاجتماعية فهي كتلة ضخمة من القيم المشعة ومدارس للأخلاق الحميدة مما يجدر بنا نحن أتباع المدرسة الحسينية العظيمة نشر الأخلاق الإسلامية في كل المراكز الاجتماعية والرسمية والتربوية [٩].

واثبت علماء النفس أن الأفعال الجمعية تسهم في صناعة شخصية جماعية قوية للأمة شريطة أن تتوافر على الوازع الايجابي ومقومات النمو والتواصل والاتساع وهذه الاشتراطات لا يمكن أن تتحقق الا من خلال بوتقة واسعة تجمع النيرات الفردية والجماعية المتنوعة وهذه البوتقة الواسعة هي الشعائر الحسينية المقدسة بايجابياتها الواسعة وإحياء الشعائر الحسينية على نحو منتظم يقودنا إلى نتائج ايجابية في بناء المجتمع من خلال التوازن المعنوي النفسي في وقت واحد وهو ما تعجز عن تحقيقه الوسائل الاخرى لأنها لا تملك القدرة على تركيز الحالة النفسية الايجابية للأمة بعيداً عن ممارسة الشعائر بصورة جماعية خلاقة تؤدي إلى تعميق الإيمان وهذه أهم علاقة على تقدم الأمة واستقرارها.

وأن أكثر مؤسسة تستقطب الأمة حول دوائرها هي مؤسسة الشعائر الحسينية فيما لو يعي المسلمون أهدافها ومبادئها وأهميتها لتكتمل الأمة وحدتها يقول الأمام الخميني (قدس سره) أن هذه المراسيم هي التي أوجدت الوحدة بين المسلمين وحققت هويتهم وهي الطاقة التي تبعث الروح في الأمة وهي مدارس تنظيمية وتنويرية تحقق البعد الاجتماعي وتنزله إلى الواقع العملي والتطبيق. [١٠]

ولأهمية مرحلة التعلم الجامعي بوصفها اللبنة الأساسية للأعداد والتي تستوعب الطالب الجامعي جاءت أهمية الطالب في المرحلة الجامعية، وان طلبة الجامعة تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة جداً تنبع من أهمية دورهم الذي يقومون به في المستقبل [١١].

إذ ان البحث الحالي أُجري تطبيقه على طلبة كلية التربية، الذين يعدّون حجر الزاوية في العملية التعليمية والتربوية في المستقبل، وإنَّ لهم مكان الصدارة، إذ على مدى تقدمهم وتطورهم يتوقف نمو وتقدم الجيل الذي يعملون على صنعه، وعلى عاتقهم تقع مسؤوليات كبيرة، تتمثل في تنشئة وإعداد الجيل الصاعد.

ونظراً لأهمية الشعائر الحسينية في رفع المستوى الأخلاقي للمجتمع في المرحلة الجامعية فان أهمية البحث تكمن في:

أهمية الشعائر الحسينة في رفع مستوى القيم الأخلاقية في داخل المجتمع.

٤. تحديد القيم الأخلاقية التي ترقيها الشعائر الحسينية من وجهة نظر طلبة كلية التربية.

٥. تعد هذه الدراسة الأولى على حد علم الباحث تتناول موضوع الشعائر من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان.

٦. ترسيخ المفاهيم الإسلامية وإدامة صلتها روحياً بين العبد المؤمن وخالقه سبحانه وتعالى.

٧. تشكل الشعائر الحسينية أهم دعامة للحفاظ على قوة رفع الثورة الحسينية المقدسة لأنها تربط ينبوع الصفات النفسية المحركة نحو الثورة.

٨. ترسيخ مفاهيم العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي وان كل فرد مسؤول عن واقع المجتمع وتحويل السلوك السلبي إلى سلوك ايجابي.

٩. تهيئ القلوب والضمائر في الدوام على ممارستها الممارسة العبادية الصادقة مما ينتج إحياء لكل أعمال البر والإحسان والفضائل الحميدة والسعي إلى الإكثار من العمل الصالح والتقوى.

١٠. تحفز في النفس المؤمنة قوة الصبر والشكيمة والاعتداء بالنفس السائرة على الخطى الحسيني.

١١. تأتي أهميتها من إعادة قراءة التاريخ بصورة متأنية وكشف الزيف الذي لحق بكتابته وفق منظور السلطة بكل أدوارها وما لحق به من تشويش للحقائق.

١٢. تأتي أهمية الشعائر الحسينية في نشر مشروعيتها إلى الأمم والشعوب الأخرى لأيقاظ الوجدان مما يهيئ بسط مساحة تنويرية من الوعي والثقافة التي لم تصل إليها وعبر طرائق متعددة.

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى :

معرفة دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية جامعة ميسان (زيارة الأربعين أنموذجاً).

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بما يأتي :

١. طلبة كلية التربية جامعة ميسان للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨.

مصطلحات البحث :

أولاً: الشعائر الحسينية :

التعريف النظري: هي ممارسة بعض النشاطات الاجتماعية والثقافية التي تعبر عن العواطف والأحاسيس النبيلة التي يشعر بها الإنسان الموالي لأهل البيت عليهم السلام ويعبر بها عن ولائه وحبه لهم ويثاب عليه الإنسان، والهدف من إيجاد هذه الشعائر أسمى وأعظم وأكثر قبولاً والمشاعر والأحاسيس تمثل الطاقة المحركة للإنسان باتجاه الأهداف النبيلة التي وضعها أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً : القيم الأخلاقية

التعريف النظري : هي مجموعة أحكام يصدرها الفرد على بيئة الإنسانية والاجتماعية ويكتسبها في حياته وهي هدف عام ضمن أهداف اعم وتعد اتجاهات تقويمية لسلوك الفرد المسلم الظاهر الباطن ولتحقيق غايات مستوحاة من القران الكريم ومصدرها الله(عز وجل).

وهي عبارة عن مجموعة من قواعد تنظيم سلوك الفرد، التي تصوغ شخصيته وتحدد علاقاته بالآخرين وكيفية التعامل معهم على وفق أسس تربوية ونفسية صحيحة، ومن الأمثلة على القيم الأخلاقية: الصدق، والأمانة، والإحسان للجار، وإكرام الضيف، ومساعدة المحتاجين. والتحلي بالقيم الأخلاقية امر لا بد منه فهي أساس الإصلاح في المجتمع كما أنها هي اللبنة الأساسية للتقيد بالقوانين والأنظمة دون الالتفات إلى أخطاء الآخرين ومحاولة تقليدها.

ثالثاً: كلية التربية :

التعريف النظري : هي إحدى مؤسسات التعليم العالي وابحث العلمي الموجودة في الجامعات العراقية تعد الركن المهم والأساسي في البيئة الجامعية وتعد الدرسين فيها لمهنة التدريس وتضم أقساماً علمية وأكاديمية (قسم علوم التربوية والنفسية، قسم التاريخ، قسم الجغرافية، قسم اللغة العربية، قسم اللغة الانكليزية، قسم الرياضيات) وتكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

رابعاً : زيارة الأربعين :

التعريف النظري : وهي إحدى أهم الزيارات المباركة للامام الحسين بن علي عليهما السلام والتي تكون في يوم (٢٠) صفر من كل عام أي بعد مرور أربعين يوما على استشهاده، وفيها روايات مؤكده عن المعصومين عليهم السلام بضرورة زيارة الحسين عليه السلام في مثل هذا اليوم، وعادة ما يطلق عليها بالزيارة المليونية وذلك لكثرة الزائرين وتتسم بتقديم الخدمات كافة المجانية للزائرين من شتى بقاع العالم.

الفصل الثاني

الخلفية النظرية والدراسات السابقة

أولاً : الخلفية النظرية.

مفهوم الشعائر الحسينية :

الشعائر الحسينية ممارسات تنسجم تماماً مع أفضل الأساليب التي ابتكرها الإنسان من اجل التعبير عن آرائه ومشاعره لذا فهي حية في كل زمان [١٢].

وإن الفرد الذي ينشأ في مجتمع شيعي، عندما تبدأ تتفتح مداركه يلاحظ ويشاهد في كل عام وفي مناسبات عديدة شعائر ملازمة للمجتمع الذي يعيش فيه ولا يتخلى عنها أبداً، هذه الشعائر جاءت تعبيراً عن الحزن العميق على استشهاد الحسين عليه السلام فأخذت أطراً مختلفة ما بين الخطب وما تحويه من مواعظ وعبر وقصص تربوية وأخلاقية وتمثيل واقعة الطف بكل معطياتها كما وردت على لسان الرواة ونقال الحادثة وقتذاك، ومواكب عزاء وإقامة الموائد... وغيرها كثير.

وهذه الأمور تعتبر مهمة وذات تأثير في شخصية الفرد لان فيها الكثير من موارد التنشئة الاجتماعية للفرد كما يسميها المتخصصون في العلوم التربوية والنفسية، و كما معلوم أن الفرد يتأثر بعاملين مهمين هما الوراثة والبيئة التي يعيش عليها طيلة حياته ابتداءً من لحظة تكوينه إلى لحظة وفاته.

وان ما يحيط بالفرد من مؤثرات أو أساليب في التعامل وغيرها يؤثر عليه بشكل واضح لاكتسابه الكثير من الخبرات التي يكون لها مردودها النفسي في تكوين ذاته ونمو شخصيته[١٣] ومن هنا يبرز دور البيئة باعتبارها المكون الثاني والمهم في صياغة وتشكيل الشخصية الأولى للفرد وتحديد الثقة بنفسه وذاته وتشكيل المفاهيم الاجتماعية والدينية الصالحة لديه.

وان شخصية الفرد تتأثر بما يمر بها من المواقف والخبرات التي تصاغ نتيجة لذلك شخصية سوية أو بالعكس منها حسب الأساليب المتبعة معه ولتكون جزءاً من كيانه الشخصي فيما بعد[١٤].

فكلما كانت أساليب التنشئة الاجتماعية صحيحة تركت أثرا ايجابياً في تكوين شخصية الفرد بناءه الروحي، وهذا ما تبغيه التربية وتجعله هدفاً لها.

وعليه إن أساليب التنشئة الاجتماعية تتباين من مجتمع لآخر وفقاً للثقافة السائدة في ذلك المجتمع[١٥].

لذا تعد التنشئة الاجتماعية من الممارسات الاجتماعية وخبراتها المهمة لان نتاجها الأجيال القادمة من البشر الذين يعملون على تقدم المجتمع أو تخلفه وعليهم يتوقف نمو حضارتهم [١٦].

وإن الشعائر الحسينية ينفرد بها المجتمع الشيعي وهي وسيلة خاصة من وسائل بناء الفرد والمجتمع و أصبحت جزءً لا يمكن اقتطاعه واستئصاله أو التخلي عنه من جسد المجتمع الشيعي، بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل السلطات الحاكمة الظالمة التي تحاول في كل مكان وزمان جعل هذه الشعائر في دائرة النسيان، وفي أحيان كثيرة يدفع الفرد الشيعي حياته أو يقضي سنوات عمره لا لشيء إلا انه مشارك في إحياء هذه الشعائر المباركة.

ولا أريد هنا أن أعطي الجذور الحقيقية لمنشئ الشعائر الحسينية، لكن الجميع يعرف أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أوصوا أو وجهوا أو أقاموا هذه الشعائر المباركة، لغرض أحياء العوامل الكامنة وراء استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وان هدفهم هو الإصلاح الحقيقي في هذه الأمة، ثم لا بد من أن يكون هناك صوتاً يصدح ليوصل للعالم اجمع هذه الرسالة الخالدة، وما هذا الصوت إلا هو الشعائر الحسينية الخالدة.

ولما كانت هذه الشعائر ذات أهمية تربوية وأخلاقية وفكرية فلا بد من أتباع الأسس العلمية والمنطقية والجمالية في إقامتها وأحيائها، ونسجل هنا بعض الأمور التي يجب مراعاتها عند إقامة هذه الشعائر المباركة وهي كما يأتي :-

١. لا بد من أن تؤدي الشعائر الحسينية دورها في صناعة الفرد وتربيته تربية إسلامية صحيحة واعية تستند على أسس ومضامين هادفة لكي تحقق هدفها النبيل بفضل ما تعكسه من قيم روحية ودينية ودنيوية سامية.

٢. الاهتمام بالنماذج التربوية الخالدة التي تعكس الصفات الصادقة وتعمل على تهذيب وصقل الجانب الروحي لدى الأفراد وخصوصاً الأطفال وتسهم في بناء شخصيته المثلى وتكون قدوة له في حياته وحركته داخل المجتمع الذي ينتمي أليه.

٣. استغلال الشعائر الحسينية الهادفة في بيان العديد من الأمور الشرعية والعقائدية وإيضاح الأفكار الصحيحة والابتعاد عن الأفكار الخاطئة التي أبانتها واقعة كربلاء المقدسة من حيث الأصول والفروع أو من حيث الكيفية التي يجب أن تؤدى هذه الفرائض أو تلك، وبذلك يكون توظيف الشعائر الحسينية له دوراً فاعلاً في تحقيق الهدف المطلوب في إيصال الرسالة الواضحة من فلسفة الثورة الحسينية.

٤. التركيز على تنمية الجانب الفكري الصحيح، وتنمية العقل البشري عن طريق التأكيد على الأمور العقلية الصادقة والابتعاد عن تضخيم الأمور وتهويلها وتجنب الأطروحات الشاذة وغير المسندة والمحققة أو الأوهام غير الحقيقية والتي في أحيان كثيرة تجعل من واقعة الطف عبارة عن أسطورة وليس واقعاً كما أراد لها مخططها ومنفذها الإمام الحسين عليه السلام.

٥. استعراض واقعة الطف كوسيلة معالجة آنية في وقتها ومستقبلية لما تمر به الأمة من أزمات وذلك بسبب احتواء هذه الواقعة على معان ودلالات ذات بعد فكري واجتماعي واقتصادي وسياسي يضمن للأمة الابتعاد عن الانقياد الأعمى والعشوائي لما موجود في الساحة من رؤى وأفكار قد لا تتناغم مع الأطر العامة للإسلام الحقيقي.

٦. إن الشعائر الحسينية يجب أن توفر محيطاً

صالحاً ذو أرضية خصبة للنهضة التربوية الاجتماعية الموضوعية تكسب الإنسان العديد من الصفات التي يطمح المجتمع أن يوصلها إلى أبنائه ويريد أن يحافظ عليها وينقلها من جيل إلى أخر.

٧. بيان حالة التلازم والاجتماعي ومبدأ المساواة الذي ارتكزت عليه واقعة الطف في كربلاء وذلك لاحتوائها على العديد من الشواهد التي تجعل من المسلمين كافي في حالة تماسك وتوحد دائم وكل حسب قدرته وطاقته، فبيان دور المرآة فضلاً عن دور الرجل وبيان دور الأطفال فضلاً عن دور الكبار وإيضاح دور غير المسلمين فيها يجعل من واقعة الطف عنصراً تربوياً فاعلاً في بيان اللحمة الحقيقية في تبني معطيات المبدأ الحق والدفاع عنه وان كان هناك اختلاف في الدين أو العقيدة أو المذهب.

٨. إدخال عنصر الحداثة الذي لا يتعارض مع الفكر الإسلامي ولا يعطي لواقعة الطف بعدا أخر ولا يشوه معالمها الحقيقية، ولا بأسي من الاستفادة من الأسس العامة التي يرسمها لنا علماء النفس في الجانب الوجداني، وتضمينها في الشعائر الحسينية بما يلاءم المرحلة العمرية لكل فرد، والاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في مخاطبة الآخرين بصيغة حضارية حديثة.

٩. عرض المستحدثات والمستجدات وموادر الاختلاف على الفقهاء المتخصصين لبيان الأمور التي تعتبر دخيلة على النهضة الحسينية والتأكد من الوقائع والشواهد التاريخية من خلال مراجعة النصوص الروائية المعتبرة والمحققة التي حققت من الباحثين والمحققين المتخصصين.

١٠. العمل على إتاحة المجال للطبقات الاجتماعية المثقفة ليكون لها دور في صناعة وصياغة وإقامة الشعائر الحسينية كون لهم اثر في نفوس الآخرين من ناحية آو لدورهم المتميز لما يحملونه من أفكار وتطلعات ايجابية من ناحية أخرى.

١١. التركيز على مبدأ اخذ الدروس والعبر من واقعة الطف وأنها مدرسة تاريخية أعطت ثمارها على مدى حقب وأجيال متتالية، وليس كما يعتقد و يضن و يتخيل البعض أنها حادثة للتألم والبكاء والنوح، نعم فكل هذه الأمور أعطتها واقعة الطف لكن العطاء الأكبر هو ما حوته من دروس وعبر مثالية لبناء الإنسان والمجتمع والإنسانية جمعاء.

١٢. العمل على زرع الصفات والأخلاق التي تنمي شخصية الفرد وتزرع الثقة في نفسه وتجعله يتبنى ويدافع عن عقيدته وعن المبدأ الذي يلتزمه ويؤمن به، فهذا الحسين عليه السلام مع الخسارة العسكرية الواقعية، وهو في النتائج الحربية قد خسر المعركة في ارض الواقع، لكن انه نجح نجاحاً باهراً في الدفاع عن عقيدته وفلسفته ودينه منظومة قيمه الإيمانية والإسلامية والتربوية.

١٣. إعطاء القيم الحقيقة لكل عمل في الشعائر الحسينية لان الشعائر تعكس الواقعة وان كانت بنسب متفاوتة والشعيرة الناجحة هي التي تعكس التطبيق الفعلي في شخصية الفرد وتترك أثارها الايجابية فيها، ويجب أن تعمل هذه الشعائر على أن يتقمص منها الفرد بعض السلوكيات الايجابية ويترك السلبية.

١٤. يجب أن تنفرد الشعائر الحسينية في الكثير من المواطن باحتوائها على عنصر القدوة في مواقف عديدة هذا العنصر يخلق حالة محاكاة وتقليد الأنموذج المقلد أو القدوة، وكان من اللازم على القائمين على الشعائر الحسينية تجسيد شخصية المقَلد بكل تداعياتها الواقعية وإظهار الصفات الجيدة والحسنة لكي تترك انطباعها الجيد في نفوس الآخرين وخصوصاً الأطفال لان مسألة التقليد والمحاكاة عنصراً مهماً في حياة الطفل وعن طريقها يتعلم الكثير من الصفات والأخلاق والعادات والمهارات المختلفة.

١٥. العمل على خلق حالة الوعي الاجتماعي الجماعي لدى أفراد المجتمع، ولا سيما أن الشعائر الحسينية جماعية تعاونية تخلق روح العمل الجماعي التعاوني، وتساعد على أن يتعلم الأفراد من بعضهم البعض وتسهم في خلق حالة تواصل اجتماعي بين الأفراد عن طريق تعاونهم على البر والتقوى، وبذلك تكون الشعائر الحسينية مجموعة من الأنشطة، والإجراءات التي تعتمد على تعاون، وتفاعل الناس، لإنجاز عمل معين، ضمن مادة أفكار وعقيدة واحدة.

١٦. استعراض الحالة الإعجازية أو التبوءات أو استجابة الدعوات التي حصلت أو صدرت من الإمام الحسين عليه السلام ووقعت في حين الواقعة أو تحققت بعدها بأمد قصير أو طويل، وبيان الحالة العلمية في ذلك مع ضرورة الابتعاد عن إدخالها في إطار الأسطورة أو ابتعادها عن دائرة العقل والمنطق، بل بيانها بمضامين علمية ذات هدف كبير، يبرز الدور الإلهي الموكل للإمام الحسين عليه السلام بأنه أمام معصوم مفترض الطاعة وانه ذو مكانة كبيرة عند السماء فلا بد أن تكون لديه كرامة في واقعة الطف.

١٧. وأخيراً توعية المجتمع بان الشعائر الحسينية هي جزء من نهضة الثورة الحسينية وهي الإرث الباقي الذي تركته هذه الثورة والذي يجب المحافظة عليه وتنشئة جميع الأفراد والأبناء عليه، لان المحافظة عليه هو جزء من الوفاء للثورة وقائدها وشهدائها الإكرام.

الشعائر الحسينية في الجامعات العراقية :

تشكل مرحلة التعليم الجامعي عنصراً أساسياً في بناء منظومة المجتمع، وتظهر أهميته في أي مجتمع كونه أهم وسائل اللحاق بركب الإنسانية(١٧).

الجامعات والمعاهد العراقية تنشج بالسواد حزناً على سيد الشهداء عليه السلام شرعت العتبة الحسينية بالتعاون مع الجامعات والمعاهد العراقية برفع راية الحزن في حرم الجامعات والمعاهد إحياء لذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وكان من قبل الأساتذة والطلبة تفاعلاً وحضوراً كبيراً مع هذه المراسيم التي تحمل الكثير من المعاني والقيم الأخلاقية وتساهم في تصحيح مسارات المجتمع وتشارك في رسم المستقبل لطلبتنا ولكي تكون نبراساً يهتدي به الطلبة والأساتذة وكل من يدخل الجامعة يرى راية خفاقة في سماء الجامعة تقول « لبيك يا حسين» حيث تمثل رسالة الإصلاح الداعية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنها تعطي الدافع للجامعات العلمية لتسير على النهج الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام لاسيما في هذه الأيام التي يزدحم فيها الباطل بالحق، رئيس جامعة ميسان الدكتور علي الشاوي تحدث عن التواصل والتلاقي بين المؤسسة الدينية والحرم الجامعي بخلق تلاقي في الأفكار يؤثر على زيادة وعي الطلبة ويعزز مستواهم العلمي والأخلاقي وما يقام اليوم في حرم جامعة ميسان من مراسيم حسينية كرفع الراية السوداء المباركة لما تحمله من مضامين ودلالات إنسانية تجعل من الطالب قوة لمواجهة كل الأوضاع والمشاكل الطارئة، أما ممثل الطائفة المسيحية في محافظة ميسان الأستاذ جلال دانيال نوما تحدث عن مشاركة الطائفة المسيحية في رفع راية الإمام الحسين عليه السلام في حرم جامعة ميسان ونحن نقف اليوم باسم الإنسانية تحت هذه الراية المباركة راية الحق على الباطل، والجامعات التي قانت برفع الراية أيضاً : جامعة كربلاء، جامعة الكوفة، جامعة القادسية، جامعة المثنى، جامعة بابل، جامعة ميسان(١٨).

سبل نشر الشعائر الحسينية :

١. إعطاء الصورة الحقيقية للعالم الإسلامي وغير الإسلامي لنهضة الحسينية عليه السلام وان نهضة توعوية خالدة اعتمدت على السلم والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد.

٢. بيان مظلومية الأمام الحسين عليه السلام بصورة صحيحة وانه لم يخرج لغرض طلب المنصب او الرئاسة بل كانت أعمدة ثورته الإصلاح والتجديد ونبذ الظلم.

٣. تركيز القنوات الفضائية وبثها لزيارة الأربعين بيان أهميتها في إعطاء السلوك الجمعي وكيف أنها رحلة نحو التكامل السلوكي وبيان قيم الفرد والمجتمع.

٤. إعداد البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية والتربوية والنفسية والاقتصادية والسياسية في رحلة كربلاء وزيارة الأربعين ودراستها بصورة علمية على وفق منهج البحث العلمي الرصين.

٥. التوثيق العلمي الدقيق لزيارة الأربعين في كل سنة وتوثيق بقية الشعائر الأخرى وبيان

جذورها التاريخية الأصيلة.

٦. الحث على نشر مبدأ العفو والتسامح والتعاون والمحبة والإخوة بين المسلمين وغيرهم وبيان ان هذه المعايير هي أهم ما خرج الحسين عليه السلام من اجله.

ثانياً : الدراسات السابقة

لم تعثر الباحث على دراسات سابقة تخص موضوع الشعائر الحسينية من الناحية التربوية والنفسية سواء كانت دراسة وصفية أو تجريبية.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

في هذا المبحث سيصف الباحث الخطوات التي اتبعها لتحقيق أهداف بحثه، إذ اتبع منهج البحث الوصفي.

وهو التصور الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع الاتجاهات والميول والرغبات، ولأنه المنهج الملائم لدراسة هذه الظاهرة، وهو يعد استقصاء علمي وموضوعي ينصب على ظاهرة أو قضية معينة قائمة في الواقع[١٩].

أولاً: مجتمع البحث

قبل اختيار عينة البحث الأساسية لابد للباحث أن يقدم وصفاً للمجتمع الأصلي وسماته، إذ لا يمكن الحصول على عينة ممثلة ما لم يحدد المجتمع الأصلي[٢٠].

ويجب تحديد مجتمع البحث الأصلي ومكوناته الأساسية تحديداً واضحاً ودقيقاً.[٢١] والغرض من تعريف المجتمع هو تحديد ما يشمله من أفراد[٢٢] انه يحتوي جميع مفردات الظاهرة التي يقوم بدراستها الباحث[٢٣].

وتالف مجتمع من (١٦٨١) طالباً وطالبةً موزعين على أقسام ومراحل كلية التربية (قسم اللغة العربية، قسم اللغة الانكليزية، قسم الرياضيات، قسم التاريخ، قسم الجغرافية، قسم العلوم التربوية والنفسية) والجدول (١).

جدول (١) أعداد الطلبة على وفق المراحل الدراسية

المرحلة	المرحلة الأولى		المرحلة الثانية		المرحلة الثالثة		المرحلة الرابعة	
الجنس	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
العدد	116	390	118	443	37	186	73	318
المجموع	506		561		223		391	1618

ثانياً: عينة البحث:

هي الجزء الذي يمثل مجتمع الأصل أو الأنموذج الذي يجري الباحث مجمل عملة عليه[٢٤].

ولما كانت معظم الظواهر التي تدرس في التربية تتمثل في مجموعة كبيرة من الأفراد يصعب حصرهم، فان الباحث غالباً ما يلجأ إلى دراسة الظواهر على مجموعات صغيرة يختارها من بين هذه المجموعات الكبيرة، وتسمى هذه المجموعة الصغيرة بالعينة [٢٥].

ولقد اختار الباحث عينة البحث من المجتمع الأصلي ثم قسمها إلى قسمين:

العينة الاستطلاعية : بلغ عدد أفراد هذه العينة (١٠٠) طالباً وطالبة، وعرض عليهم الباحث الأستبانة المفتوحة التي تضمنت السؤال الآتي: ما دور الشعائر الحسينية (زيارة الأربعين أنموذجاً) في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من جهة نظركم ؟

العينة الأساسية: بلغ عدد أفراد هذه العينة (١٠٠) طالباً وطالبة عرضت عليهم الأستبانة النهائية المغلقة.

ثالثاً: إعداد أداة البحث (الأستبانة):

وهي أداة يستعملها المشتغلون بالبحوث التربوية على نطاق واسع للحصول على حقائق عن الظروف والأساليب القائمة بالفعل وإجراء البحوث التي تتعلق بالاتجاهات[٢٦].

وتعتبر الأستبانة من أهم وأدق طرق البحث وجمع البيانات في علوم التربية وخاصة في البحوث الوصفية[٢٧].

وعلى وفق إجابات الأستبانة المفتوحة اعد الباحث الأستبانة المغلقة، إذ رتبها على وفق مستوى تكرارها في الأستبانات المفتوحة وبلغت عدد فقراتها (٤٠) فقرة.

رابعاً: صدق الأداة:

الصدق هو احد الروابط الواجب توافرها في أداة البحث المستعملة لأنه يتعلق بما تعنيه الأداة فعلاً[٢٨] وتعني قدرة الأداة على قياس الظاهرة التي وضعت لقياسها[٢٩].

ومن أكثر الطرائق استعمالاً لاسيما في الأدوات التي تسعى إلى معرفة محتواها أو مضمونها أن تعرض الأداة على مجموعة من أصحاب الخبرة في المجال الذي وضع مقياسه ويتم اخذ أداة المحكمين في الفقرات وفي حالة حصول الموافقة على هذه الفقرات اعتبر ذلك دليلاً على صدق الأداة [٣٠].

وقد تم عرض الأستبانة النهائية بعد صياغتها على مجموعة من الخبراء والمختصين في علم النفس التربوي وقد حصلت اغلب الفقرات على موافقة الخبراء مع إجراء بعض التعديلات البسيطة، وبلغ عدد الخبراء (١١) خبير (ملحق ٢).

خامساً: ثبات الأداة:

الأداة الثابتة هي التي تعطي النتائج نفسها، أو نتائج متقاربة لها إذا طبقت أكثر من مرة في ظروف متماثلة، ومتشابهه، ويمكن حساب ثبات الاختبار بطريقة إعادة تطبيق الاختبار المعد (**Retest method–Test**)، لذلك أختار الباحث طريقة واحدة

لحساب الثبات وهي طريقة إعادة الاختبار وهذه الطريقة تقوم على أساس تطبيق الأداة على عينة استطلاعية مناسبة، تم اختيارها من مجتمع البحث الكبير، إذ اختار الباحث (٥٠) طالباً وطالبةً من طلبة المرحلة الرابعة في قسم اللغة العربية في كلية التربية – جامعة ميسان، لتطبيق الاختيار والتأكد من ثباته، وبعد مرور فترة زمنية مناسبة ترتبط بطبيعة الظاهرة المدروسة، وتنحصر هذه الفترة ما بين (أسبوع – ٦ أشهر) على رأي اغلب المصادر التربوية، يعاد تطبيق الأداة نفسها على هذه المجموعة، وبذلك يكون لكل فرد منهم درجة في الاختبار الأول، ودرجة في الاختبار الثاني، وبعد ذلك يتم جمع درجات الاختبار الأول ودرجات الاختبار الثاني، وإيجاد معامل الارتباط بينهما (معامل ارتباط بيرسون**Person**)، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ العلاقة بين الاختبارين باستعمال هذا الارتباط تنحصر بين (-١ و + ١)، وأجرى الباحث الاختبار الأول في ١٠ / ١٢ / ٢٠١٧، وتم إعادة الأداة نفسها بعد مرور أسبوعين، وبعد أنْ طبق الباحث العمليات الإحصائية الملائمة كانت نتيجة العلاقة بين تطبيق الاختبار في المرة الأولى والمرة الثانية (٠،٨٩) وهذا يعني أنَّ هناك علاقة قوية بين درجات الطلبة في الاختبار الأول والاختبار الثاني، وبذلك تكون الأداة ثابتة حيث أعطت نتائج متقاربة.

سادساً : تطبيق الأداة :

بعد أن أجرى الباحث مستلزمات إعداد أداة البحث، طبقها بصيغتها النهائية على عينة بحثه للإجابة عليها، ثم أجرى الباحث العمليات الإحصائية المناسبة والتي توصل من خلالها إلى نتائج بحثه.

سابعاً : الوسائل الإحصائية :

١. **النسبة المئوية**: استعملت في تحويل التكرارات في كل فقرة من فقرات الأستبانة إلى نسبة مئوية.

٢. **الوسط الحسابي**: استعمل في إيجاد الوسط الحسابي المرجح لكل فقرة من فقرات الأستبانة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الباحث استعمل المقياس (٣، ٢، ١) حيث أعطى (٣) للفقرة التي تشكل دوراً كبيراً، و (٢) للفقرة التي تشكل دور متوسط، و (١) للفقرة التي ليس لها دور.

٣. **الوزن المئوي**: لمعرفة درجات كل فقرة من الفقرات وترتيبها بالنسبة إلى الفقرات الأخرى.

الدرجة القصوى يقصد بها أعلى درجة في المقياس وهي (٣).

الفصل الرابع

عرض نتائج البحث ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل النتائج التي توصلت إليها الباحث في ضوء هدف البحث، وذلك بالكشف عن دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان.

إذ تم حساب تكرار استجابات الطلبة على فقرات الأستبانة المغلقة، ومن ثم حساب الوسط المرجح لكل فقرة ووزنها المئوي ثم رتبت الأسباب ترتيباً تنازلياً، من أعلاها حدة إلى أقصاها حدة، وفيما يأتي عرض النتائج:

جدول (١) يبين دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان بصورة تنازلية حسب الوسط المرجح والوزن المئوي.

الرتبة	تسلسل الفقرة	الفقرات حسب الرتبة	الوسط المرجح	الوزن المئوي
١	٢٢	تربية الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام	٢,٧٦	٩٩
٢	٦	ترفع شأن الإسلام والمسلمين	٢,٧	٩٧
٣	١٧	لها دور كبير في إحياء الإسلام ونشر تعاليمه	٢,٧٢	٩٧
٤	١٨	تغرس في أعماقنا العبودية لله (عز وجل)	٢,٨٨	٩٦
٥	٢٤	الشعائر الحسينية إحدى مصاديق شعائر الله	٢,٨٨	٩٦
٦	١	تشحذ في النفوس محاربة الظلم ونصرة الحق	٢,٨٦	٩٥
٧	١٦	تعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحق والقضاء على الباطل	٢,٨٦	٩٥
٨	٢٧	الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل	٢,٨٤	٩٥
٩	١٠	الشعائر الحسينية منطلق لتأصيل وتجديد الأفكار والقيم	٢,٨٤	٩٥
١٠	٢٨	تمثل أهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام.	٢,٨٢	٩٤
١١	١٣	تعطي دروساً في الحرية والانتصار والثبات	٢,٨٢	٩٤
١٢	٢	تنمي القيم الأخلاقية لدى الإنسان	٢,٨	٩٣
١٣	٤	تسهم في نقل التراث الديني	٢,٨	٩٣
١٤	٣٤	هي دعوة إلى تطبيق أصول الدين وفروعه	٢,٧٨	٩٣
١٥	٣٦	تعمق روح الولاء في نفوس الناس	٢,٧٨	٩٣
١٦	٤٠	هي دعوة إلى كل الديانات الاخري داخل البلد وخارجه	٢,٨	٩٣
١٧	١٢	لها دور في بناء الشخصية الإيمانية الواعية	٢,٧٦	٩٢
١٨	١٩	تنمي حركة التآخي بين المسلمين والديانات الاخري	٢,٧٦	٩٢

١٩	٢٩	تغرس في أعماق المجتمع والعطف وخدمة الآخرين	٢,٧٦	٩٢
٢٠	٣٠	أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة	٢,٧٦	٩٢
٢١	١١	تعمل على تحويل الواقع السلبي إلى واقع ايجابي سليم	٢,٧٦	٩٢
٢٢	٣	تحقيق العدالة والمساواة بين الناس	٢,٧٤	٩١
٢٣	٧	لها دور في حث الناس على الجهاد	٢,٧٤	٩١
٢٤	٣٣	لها أهمية كونها تزود الفرد بقوة الإيمان	٢,٧٢	٩١
٢٥	٣٨	الابتعاد عن المحرمات والسلوك المنحرف	٢,٧٤	٩١
٢٦	٣٩	تنمي روح التعاون والعمل الجماعي بين أفراد المجتمع	٢,٧٤	٩١
٢٧	٩	تؤدي إلى رقي الفرد والأمة معنوياً ومادياً	٢,٧	٩٠
٢٨	١٤	تعمل على أيقاظ الضمير الإنساني الحي	٢,٧	٩٠
٢٩	٢٠	تطبع اثر عظيم في النفوس البشرية	٢,٧	٩٠
٣٠	٢٣	تشكل الهوية الحضارية للأمة	٢,٦٨	٨٩
٣١	٣٥	تعطي المفهوم الصحيح للدين وتعبده للحياة	٢,٦٨	٨٩
٣٢	٥	تشكل مدارس علمية وأدبية وتربوية	٢,٦٤	٨٨
٣٣	١٥	تعطي فهماً أكثر لسلوكيات المجتمع	٢,٦٤	٨٨
٣٤	٢١	أسلوب ناجح لمجابهة التأثير الغربي	٢,٦٤	٨٨
٣٥	٣١	زيادة ثقافة الرقي في شخصية الفرد والمجتمع	٢,٦٤	٨٨
٣٦	٢٥	تعزيز قيمة المرأة في المجتمع	٢,٦	٨٧
٣٧	٨	تشجيع الإنسان أن يكون أنسانا ويستمتع بحريته	٢,٥٨	٨٦
٣٨	٣٢	تفتح أفاقا فكرية واقتصادية واسعة	٢,٥٨	٨٦
٣٩	٣٧	تعد احد الخطوط العامة في بناء الجماعة الصالحة	٢,٥٨	٨٦
٤٠	٢٦	هي منهج لتربية الشباب وتفعيل دورهم في النهوض بقيم المجتمع	٢,١	٧٠

مناقشة النتائج:

١. تضمن الجدول (١) مجموعة فقرات عددها (٤٠) فقرة مثلت دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلية التربية في جامعة ميسان، تراوحت حدة فقراته الوسط المرجح بين (٢,١-٢,٩٦) وبأوزان مئوية (٧٠٪- ٩٩٪).

٢. أظهرت النتائج أن الفقرة (تربية الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام) نالت الترتيب الأول إذ بلغت حدتها (٢,٩٦) وبوزن مئوي (٩٩٪) من خلال ممارسة الشعائر الحسينية تتحلى بأخلاق أهل البيت عليهم السلام بما أن مدرسة سيد

الشهداء هي النبع المتدفق للقيم الإسلامية للأجيال من خلالها على الطريق الصحيح والتي ترفع المستوى الأخلاقي للفرد، والفرد جزء من المجتمع وإذا تم إصلاح الفرد أصبح من الممكن إصلاح المجتمع ولها دور كبير في تعليم الأطفال المنهج الحسيني وترسيخه في أذهانهم وجعله خارطة للصلاح في حياتهم المستقبلية فهي الإطار والمضمون الحقيقي للملحمة الخالدة التي كتبها الحسين عليه السلام للأجيال بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه.

٣. تأتي في المرتبة الثانية الفقرة (ترفع شأن الإسلام والمسلمين) إذ بلغت درجة حدتها (٢,٩) وبوزن مئوي (٩٧٪)، تشكل الشعائر الحسينية هوية الأمة الإسلامية ذلك الانتماء الحقيقي لمدرسة الإسلام، وأننا تعلمنا من الإسلام الشيء الكثير وتخلقنا بأخلاقه واهتدينا بهديه الذي هو (محمدي الوجود حسيني البقاء) فعلينا أن لا نفقد هذه السمة في ديننا وسيرتنا لأننا نعلم بأنه متأصل ومثاب عليه.

٤. أما الفقرة (لها دور كبير في إحياء الإسلام ونشر تعاليمه) فقد احتلت المرتبة الثالثة إذ حصلت على حدة (٢,٩٢) وبوزن مئوي (٩٧٪) إذ يتم إحياء الإسلام من خلال التزام الأغلبية بتعاليم الدين الصحيح، ومما تبين أهمية الإسلام وقيمته في حياة البشرية والشعائر الحسينية تساعد على ترسيخ الدين في الأذهان وهي توضح لنا معالم الدين الحنيف بشكل صحيح.

٥. إن الفقرة (تغرس في أعماقنا العبودية لله عز وجل) جاءت بالترتيب الرابع بدرجة حدة (٢,٨٨) وبوزن مئوي (٩٦٪)، في الواقع أن جل ما نملك من قيم ومبادئ هي من بركات تضحيات سيد الشهداء فذكرى عاشوراء هي التي غرست في أعماقنا العبودية لله (عز وجل) إذ تقوي أواصر الدين والمخلوق وتعمق روح الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى وان الإنسان يسمو بأخلاقه وعلاقته بالله تعالى.

٦. حصلت الفقرة (الشعائر الحسينية إحدى مصاديق شعائر الله) على ترتيب الخامس بدرجة حدة (٢,٨٨) وبوزن مئوي (٩٦٪)، تعد الشعائر الحسينية من أقوى الشعائر الدينية التي تجعل الفرد ملتزم بالأخلاق ومن المعروف أن العبادة الحقيقية هي التي تقود للتصديق، والتصديق هو البحث عن مصداق الحق وامتثال طاعته ولا شك أن طاعة الإمام الحسين عليه السلام هي طاعة الله تعالى كيف لا وهو قدم ما قدم من تضحيات حتى نفسه التي بين جنبيه لترسيخ دعائم الدين.

٧. جاءت الفقرة (تشحذ في النفوس محاربة الظلم ونصرة الحق) في المرتبة السادسة بدرجة حدة (٢,٨٦) وبوزن مئوي

(٩٥٪) من خلال الشعائر الحسينية تنهض الأمة بضيمها ومبادئها ورفض الظلم وعدم الذل والهوان بل العزة التي لا يليق سواها بالإنسان إذ تبرز حجم الظلم وكيفية الوقوف ضده حتى ولو كلف ذلك الأرواح وتعد إعلاء الصوت الحق والدفاع عن الحرية وتهذيب وتطهير النفوس من الأفكار السلبية التي تؤثر على القيم الدينية.

٨. إن الفقرة (تعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحق والقضاء على الباطل) جاءت بالمرتبة السابعة إذ حصلت على درجة حدة (٢,٨٦) وبوزن مئوي (٩٥٪)، إن الشعائر الحسينية رمز من رموز الاحتجاج ضد الظلم والفساد وهو امتداد لما بدأت به الثورة الحسينية وما تعرض له أهل البيت عليهم السلام فهي تسلط الضوء على حقيقة الصراع الأبدي بين جبهة التوحيد وجبهة الشرك وبين القيم وأضداد القيم وبين الأخلاق واللااخلاق وبين عروج الإنسان وسقوط الإنسان.

٩. جاءت الفقرة (الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل) بالمرتبة الثامنة وبدرجة حدة (٢,٨٤) وبوزن مئوي (٩٥٪) هي تعمل على تنمية الوعي الأخلاقي والإنساني والتربوي عن طريق الإيثار وخدمة الآخرين والعطف ومن خلال هذا يستلهم محبو الإمام عليه السلام والمجتمع عامة قيماً ومفاهيم جديدة من خلال مدرسة عاشوراء الخالدة وبذلك في تعد أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

١٠. حصلت الفقرة (الشعائر الحسينية منطلق لتأصيل وتجديد الأفكار والقيم) على المرتبة التاسعة بدرجة حدة (٢,٨٤) وبوزن مئوي (٩٥٪)، أن كل ما ذكر ويذكر عن الشعائر الحسينية هي ترجمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام تعتمد بالدرجة الأساس على كيفية نقل هذه الشعائر وإلقائها بطريقة سليمة سلسة يلقاها المستمع بيسر وسهولة وان حب الحسين عليه السلام هو محرك القلوب والعقول والضمائر الحية وهو ارثنا الذي ورثناه بالفطرة كما ورثه أجدادنا وآباؤنا من قبل لذا نرجو الشفاعة لمن يقيم الشعائر وبعضها.

١١. أما الفقرة (تمثل أهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام) فقد جاء تسلسلها بالمرتبة العاشرة بدرجة حدة (٢,٨٢) وبوزن مئوي (٩٤٪)، هي القضية التي أسالت على التاريخ انهار الدموع ورسخت المبادئ والقيم في نفس الفرد وأدت إلى حسن الخلق والمعاملة الحسنة ونتجت منها حركة عاطفية وانفعالية واضحة لدى شرائح من الجمهور في تفاعلهم الوجداني والعاطفي القوي مع فاجعة الطف فهي تحفظ للجمهور عاطفته وأنشداده وارتباطه بمأساة عاشوراء، وتصعد هذه العلاقة والارتباط البشري بمأساة الطف.

١٢. حصلت الفقرة (تعطي دروساً في الحرية والانتصار والثبات) على المرتبة الحادية

عشر بدرجة حدة (٢,٨٢) وبوزن مئوي (٩٤٪)، لقد تجلت هذه الأهداف في فكر سيد الشهداء وفي عمله أيضا وكذلك لدى أنصاره وأتباعه فبالحرية يستطيع الإنسان أن يستنشق أريج العبادة المطلقة لله تعالى وبها يشعر الإنسان بإنسانيته ولهذا أشار الأمام الحسين عليه السلام بان الحرية قيمة إنسانية قبل أن تكون قيمة إسلامية أو سماوية، وهذه الأهداف توجه الناس إلى الطريق الصحيح طريق النجاة في هذه الدنيا الفانية.

١٣. ظهرت الفقرة (تنمي القيم الأخلاقية لدى الإنسان) في المرتبة الثاني عشر بدرجة حدة (٢,٨) وبوزن مئوي (٩٣٪)، تساعد الإنسان على التمسك بالأخلاق الحميدة والمرغوبة بالمجتمع وعلى الالتزام بالقيم الأخلاقية الجيدة وتقيد المجتمع الاتصاف بحسن الخلق فانه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والرفق والتواضع والحلم والصبر وغيرها.

١٤. حصلت الفقرة (تسهم في نقل التراث الديني) على المرتبة الثالثة عشر بدرجة حدة (٢,٨) وبوزن مئوي (٩٣٪)، يستفاد منها في زيادة العلوم الدينية فان تلك المواسم هي مواسم للتبليغ ونشر العلوم الدينية بكل يسر وسهولة وذلك لكثرة تواجد المؤمنين وتحشدهم حول المنبر الحسيني وتوفر وسائل العلام، فالشعائر الحسينية تعكس رسالة أهل البيت عليهم السلام ووعيهم للإسلام ومواقفهم في التاريخ الإسلامي التي حافظت على نقاوة السلام ومنعت تحريفه ويكون مجالاً خصباً لدعوة الناس إلى الإسلام ونشره وتوجههم إلى هدى أهل البيت عليهم السلام والتعريف بمفاهيم الإسلام وهدى القران ودعوة الناس إلى إقامة فرائض الله تعالى.

١٥. أما الفقرة (هي دعوة إلى تطبيق أصول الدين وفروعه) فقد جاء تسلسلها في المرتبة الرابعة عشر بدرجة حدة (٢,٧٨) وبوزن مئوي (٩٣٪) إذ يجب علينا أن نقتدي بشخص أراد لنا أن نكون بعد ما أراد لنا الغير أن لا نكون، أراد لنا أن نأمر بالمعروف بعد ما أراد لنا الغير أن نكون مع المنكر وجسد لنا من خلال تضحيته عليه السلام مفاهيم عظيمة تجسدت بوحدة الدين، وقيام الصلاة، وحف الحقوق، ورعاية المقربين، كان يريد أن يبين لنا معنى الأخوة، والصداقة والرفقة، وحسن المعاملة وان نكون صابرين ومحتسبين، حافظين للعهد والأمانة والصدق، فهي مدرسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٦. حصلت الفقرة (تعمق روح الولاء في نفوس الناس) على المرتبة الخامسة عشر بدرجة حدة (٢,٧٨) وبوزن مئوي (٩٣٪)، الشعائر الحسينية تعمل على تعميق الولاء في نفوس الناس وتدفعهم إلى الثورة والرفض لكل ما يخالف شريعتنا، ونحن

علينا أن نعلن ارتباطنا وولائنا وانتمائنا، وان الولاء هو الارتباط النابع من القلب الحاكم على كل صلات الإنسان وعلاقاته كما في قوله تعالى:(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[٣١].

التوصيات

من خلال النتائج التي توصل إليها هذا البحث، يوصي الباحث بما يأتي:

١. أن يتم بحث مسألة الشعائر الحسينية لأنها تشكل أهم دعامة للحفاظ على قوة الثورة الحسينية المقدسة وأنها تربط ينبوع الصفات النفسية المحركة نحو الثورة.

٢. المواظبة على إحياء الشعائر الحسينية لأجل رفع مستوى القيم الأخلاقية، أن نعمل بما نعلم ونؤمن به وان نسعى إلى الاقتراب أكثر فأكثر من قيم سيد الشهداء عليه السلام.

٣. أن يتم الاعتناء بالشعائر الحسينية في مناسبات عديدة خلال العام.

المقترحات:

استكمالاً لما توصل إليه هذا البحث يقترح الباحث ما يأتي:

١. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة على مستوى طلبة الدراسات العليا.

٢. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة لمعرفة دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كليات أخرى مثل كلية التربية الأساسية أو كلية الآداب.

٣. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة على مستوى طلبة المدارس الثانوية.

الهوامش

(١) مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٤م،ص٨.

(٢) الشيرازي، ٢٠٠٤م، ص٣٩.

(٣) القزويني، ٢٠٠٣، ص٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٢.

(٥) الآصفي، ٢٠١٠، ص٣١.

(٦) البلوشي،٢٠٠٤،ص١٦.

(٧) مطران،٢٠٠٥، ص٨٥.

(٨) العسكري وآخرون، ٢٠٠٩، ص٣.

(٩) الاسدي، ٢٠١٣، ص٣٧.

(١٠) البغدادي، ٢٠١٠، ص٨.

(١١) الموسوي، ٢٠١٥، ص١٥٩.

(١٢) الحكيم، ٢٠٠٥، ص٨٤.

(١٣) Landreth et al., 1971, P.358.

(١٤) رشاد : ١٩٩٨، ص ٥١٦.

(١٥) الداهري والعبيدي : ١٩٩٧ ص ٤٧.

(١٦) هارلمان :١٩٨٨ ص ١٩٦.

(١٧) العبادي و الطائي، ٢٠١١، ص٢٦.

(١٨) الروضة الحسينية، ١٤٣٧هـ، ص١٢-١٣.

(١٩) محجوب، ٢٠٠٢، ص٢٧٦.

(٢٠) جابر وكاظم، ١٩٧٣، ص٢٣٢.

(٢١) قنديلجي، ٢٠٠٢، ص١٥٩.

(٢٢) أبو علام، ١٩٨٩، ص ٨٤.

(٢٣) ملحم، ٢٠٠٢، ص١٣٣.

(٢٤) محجوب، ٢٠٠١، ص١٦٣.

(٢٥) شعراوي و يونس، ١٩٨٤، ص٢٠٠.

(٢٦) فان دالين، ١٩٦٩، ص٤٣١.

(٢٧) إبراهيم، ٢٠٠٠، ص١٦٥.

(٢٨) عبد الدائم، ١٩٨١، ص٢٠٠.

(٢٩) الزوبعي، ١٩٩٩، ص٢٣٩.

(٣٠) الطيب، ١٩٩٩، ص٢٩٣.

(٣١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

المصادر :

* القران الكريم.

١. إبراهيم، مروان عبد المجيد: أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط١، مؤسسة الوراق، عمان ٢٠٠٠م.

٢. أبو علام، رجاء محمود: مدخل إلى منهاج البحث التربوي، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٩م.

٣. الاسدي، ناصر حسين: السائرون في طريق الحسين عليه السلام، ط٣، إصدار ملتقى الشباب الثقافي، بغداد ٢٠١٣م.

٤. الاسدي، عماد: الروضة الحسينية، العدد ١٠٤، إصدار العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة ٢٠١٦م.

٥. الآصفي، محمد مهدي: في رحاب عاشوراء، ط٢، مجمع أهل البيت عليهم السلام للنشر والتوزيع، النجف الاشرف ٢٠١٠م.

٦. الاميني، محمد أمين: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، ط١، دار المرتضى، بيروت٢٠١٢م.

٧. البغدادي، علي: فلسفة عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ط١، المركز الثقافي في الدراسات الإسلامية، بغداد ٢٠١٠م.

٨. البلوشي، حسن جمال: الإمام الحسين عليه السلام في حياتنا الروحية، ط١، لجنة سيد الشهداء للنشر، الكويت ٢٠٠٤م.

٩. البستاني، المعلم بطرس: محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، ط١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٧م.

١٠. جابر، عبد الحميد وكاظم، احمد خيري: منهاج البحث في التربية وعلم النفس، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣م.

١١. الحكيم، محمد الباقر: الشعائر الحسينية، ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف ٢٠٠٥م.

١٢. شعراوي، إحسان مصطفى ويونس، منخي علي: مقدمة في البحث التربوي، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٩م.

١٣. الشيرازي، محمد: رؤى عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ط٢، دار صادق، كربلاء المقدسة ٢٠٠٤م.

١٤. الطيب، احمد محمد: الإحصاء في التربية وعلم النفس، ط١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٩م.

١٥. رشاد، علي عبد العزيز موسى: دراسات في علم نفس المرضى،ط٢،مؤسسة المختار:

القاهرة،١٩٩٨م.

١٦. عبد الدائم، عبد الله: التربية التجريبية والبحث التربوي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

١٧. الداهري، صالح وناظم هاشم العبيدي: الشخصية والصحة النفسية، ط١،دار الكندي للنشر والتوزيع:أربد ١٩٩٩م.

١٨. العسكري وآخرون: الصحيح من سيرة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام، ط١، مؤسسة التاريخ العربي للنشر، بيروت ٢٠٠٩م.

١٩. فان دالين، ديو بولد: منهاج البحث في التربية وعلم النفس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٠. قنديلجي، عامر: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية، ط٢، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان ٢٠٠٢م.

٢١. القزويني، محمد كاظم: فاجعة الطف مقتل الحسين ابن علي عليه السلام، ط١، مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٣م.

٢٢. مطران، الياس: في رحاب الإمام الحسين عليه السلام، ط١، دار القارئ للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٥م.

٢٣. محجوب، وجيه: أصول البحث العلمي ومنهاجه، ط١، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة بغداد، بغداد ٢٠٠٢م.

٢٤. ملحم، سامي محمد: القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٢م.

٢٥. الموسوي، نجم عبد الله غالي، فاعلية استراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) في تدريس مادة طرائق التدريس اللغة العربية، ط١، الدار المنهجية، عمان ٢٠١٥م.

٢٦. مؤسسة البلاغ: الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء، ط٦، مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع، طهران ٢٠٠٤م.

٢٧. **Landreth, catherine & A. Knopf, Alfred.: EARLY child Hood, Behavior and learning. 1971**

ملحق (١)

فقرات الأستبانة الأصلية

ت	الفقرات	دور كبير	دور متوسط	ليس لها دور
١	تشحذ في النفوس محاربة محاربه الظلم ونصرة الحق			
٢	تنمي القيم الأخلاقية لدى الإنسان			
٣	تحقيق العدالة والمساواة بين الناس			
٤	تسهم في نقل التراث الديني			
٥	تشكل مدارس علمية وأدبية وتربوية			

٦	ترفع شأن الإسلام المسلمين			
٧	لها دور في حث الناس على الجهاد			
٨	تشجع الإنسان أن يكون أنسانا ويستمتع بحريته			
٩	تؤدي إلى رقي الفرد والأمة معنوياً ومادياً			
١٠	الشعائر الحسينية منطلق للتأصيل للتجديد			
١١	تعمل على تحويل الواقع السلبي إلى واقع ايجابي سليم			
١٢	لها دور في بناء الشخصية الإيمانية الواعية			
١٣	تعطي دروس في الحرية والانتصار والثبات			
١٤	أيقاظ الضمير الإنساني الحي تعمل على			
١٥	تعطي فهماً أكثر لسلوكيات المجتمع			
١٦	تعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحق والقضاء على الباطل			
١٧	لها دور كبير في إحياء الإسلام ونشر تعاليمه			
١٨	تغرس في أعماقنا العبودية لله (عز وجل)			
١٩	تنمي حركة التآخي بين المسلمين والأديان الأخرى			
٢٠	تطبع اثر عظيم في النفوس البشرية			
٢١	أسلوب ناجح لمجابهة التأثير الغربي			
٢٢	تربية الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام			
٢٣	تشكل الهوية الحضارية للأمة			
٢٤	الشعائر الحسينية تكون إحدى مصاديق شعائر الله تعالى.			
٢٥	تعزيز قيمة المرآة في المجتمع.			
٢٦	هي منهج لتربية الشباب وتفعيل دورهم في النهوض بقيم المجتمع			
٢٧	الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل			
٢٨	تمثل أهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام			
٢٩	غرست في أعماق المجتمع العطف وخدمة الآخرين			
٣٠	أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة			
٣١	زيادة ثقافة الرقي في شخصية الفرد والمجتمع			
٣٢	تفتح أفاقاً فكرية واقتصادية واسعة			
٣٣	لها أهمية كونها تزود الفرد بقوة الإيمان			
٣٤	هي دعوة إلى تطبيق أصول الدين و فروعة			

٣٥	تعطي المفهوم الصحيح للدين وتعيده إلى الحياة			
٣٦	تعمق روح الولاء في نفوس الناس			
٣٧	تعد احد الخطوط الهامة في بناء الجماعة الصالحة			
٣٨	الابتعاد عن المحرمات وتعديل السلوك المنحرف			
٣٩	تنمي روح التعاون والعمل الجماعي بين أفراد المجتمع			
٤٠	هي دعوة إلى كل الديانات الأخرى داخل البلد وخارجه			

ملحق (٢)

أسماء السادة الخبراء الذين استعان الباحث بآرائهم خلال مدة البحث

ت	اسم الخبير	التخصص	مكان العمل
١	أ.د. سعيد جاسم الاسدي	فلسفة التربية	كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة البصرة
٢	أ.د سلام ناجي باقر	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية / جامعة ميسان
٣	أ. م. سعد طعمة بليل	طرائق تدريس الاجتماعيات	كلية التربية / جامعة ميسان
٤	أ. م. د محمد مهدي صخي	طرائق تدريس الفيزياء	كلية التربية / جامعة ميسان
٥	أ. د احمد عبد المحسن كاظم	المناهج وطرائق التدريس العامة	كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
٦	أ. م. د أسمهان عنبر لازم	طرائق تدريس التاريخ	كلية التربية الأساسية/ جامعة ميسان
٧	د. أياد نعيم مجيد	فلسفة التربية	كلية التربية / جامعة ميسان
٨	د. ليلى قاسم لازم	علم الاجتماع	كلية التربية / جامعة ميسان
٩	م. اشرف صالح جاسم	إرشاد تربوي	كلية التربية / جامعة ميسان
١٠	م. سوسن هاشم هاتو	طرائق تدريس اللغة العربية	كلية التربية / جامعة ميسان
١١	د. نصيف جاسم عاتي	علم الاجتماع	كلية التربية / جامعة ميسان

الإنفاق في زيارة الأربعين علامة إيمان

- دراسة استدلالية في ضوء القرآن والسنّة -

م. د حسين صالح ظاهر

مديرية تربية كربلاء المقدسة

الملخص

الإسلام دين الإنسانية وهدفه الأساس بناء الإنسان على مبادئ وقيم سامية تليق به وبكرامته التي كرمه الله بها حينما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾وبحسن الخلقة حينما خلقه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وقد تعددت أساليب القرآن الكريم لتحقيق هذا الهدف السامي المتمثل برفاهية هذا الإنسان والوصول به إلى درجة السعادة التامة عبر توثيق علاقته بالله سبحانه وتعالى وذلك بطريق إرسال الأنبياء والرسل وكانت الخاتمة بالنبي محمدﷺ الذي بلّغ الناس ونصح لهم، ولعل من أهم ما حثّ عليه القرآن والسنّة هو الإنفاق الخالص في سبيل الله يؤكد ذلك الآيات الكثيرة التي تأمرنا بالإنفاق بصورة مباشرة أو عن طريق التعريض بحسن عمله أ وأكدت سنّة الرسولﷺ وأهل بيتهعليهم السلام ذلك كثيرا.

وقد جعل الله جزاء الإنفاق هو الجنة ؛ لأنّ من ينفق ماله مخلصا لوجه الله هو المؤمن حقّا الذي اتبع القرآن والرسولﷺ، كون هذا الأمر أي الإنفاق يعد من أهم الأسس التي تجعل الإنسان مقبلا على الحياة حينما تؤمن له جانبا من أهم جوانب العيش الكريم وتزيل همّا من أثقل همومه لذلك أولى القرآن والسنّة هذا الجانب عناية خاصة ؛ لأنّه يمثل الأمن الاقتصادي للفرد ثمّ المجتمع وهو من أهم أسس استقرار المجتمعات.

هذا البحث محاولة لإثبات أنّ الإنفاق في زيارة الأربعين هو علامة من علامات المؤمنين الذين آمنوا بالله وآمنوا بالرسولﷺ وولاية أهل البيتعليهم السلام، وذلك عبر ثلاث محاور :

الأول : الإشارة إلى أمر القرآن الكريم بالإنفاق لوجه الله وأنّه علامة من علامة إيمان المؤمنين بالله ورسولهﷺ وجزاء ذلك الجنّة.

الثاني : بيان أنّ الإنفاق هو إتباع لسنّة الرسولﷺ وأهل بيتهعليهم السلام وهذا من علامة المؤمنين الذين يحبون الله ورسوله ويتبعونه.

الثالث : إثبات أنّ زيارة الأربعين هي علامة من علامات الإيمان الكثيرة التي تميز المؤمن من المنافق عبر طاعة الله ورسوله في هذا الأمر.

Spending on the Arbaeen is a sign if faith- A study in the light of Quran and Sunnah

Dr. Hussein Saleh Dhahir

Karbala's Directorate of Education

Abstract

Islam is the religion of humanity and its objective is to build the human being on the principles and values that worthy of them, the ways the holy Koran had directed in order to achieve this purpose were varied, as the most important of these way were the holy verses that order us to spend in favor for the needy, not to mention the many Hadiths by the Prophet and his household.

This research is an attempt to prove that spending during the Arbaeen time is one of the signs of true believers who believed in Allah, the Messenger, and the mandate of the Ahl al-Bayt, which can be achieved through three axes:

The first is the reference to the command of the holy Koran to spend in the name of Allah, as it is a sign of the faith in Allah and His Messenger, where the reward of that is Paradise.

The second: it is an obedience to the Prophet and his household, as it is a sign of believers who love and follow God and His Messenger.

Third: To prove that the Arbaeen pilgrimage is one of the many signs that distinguish the believer from the hypocrite through obedience to Allah and His Messenger in this matter.

المدخل

حثّ القرآن الكريم والسنة النبويّة على مسألة الإنفاق وشجعا عليه، وكثيرة هي المواضع التي ذكر فيها الإنفاق سواء أكان هذا الإنفاق ماديا أو معنويا، وهذه العناية من القرآن والسنّة تظهر منزلة هذه المسألة وتأثيرها المباشر في المجتمع ؛ لأنّ الإسلام جاء ((بنظام متكامل للحياة الاجتماعية، فحاولت تربية الأفراد على النظام الأخلاقي))[١] لذلك يؤكد القرآن الكريم على مسألة الأخلاق والتقوى لله عزّ وجلّ فجعل هذه التقوى مسؤولية فردية خاصة بالإنسان ((والتقوى هنا هي الأخلاق وأمام هذا المعيار يستوي الناس... ومثل هذا الفارق الأخلاقي لا يقوم على أساس الوراثة، ولا هو وقف على فرد دون الآخر، وإنما هو مكتسب بمقدور كلّ إنسان أنْ يعمله))[٢] وجعل العمل عصب الحياة للإنسان إذ يعدّ المال أساس معيشته ورفاهية أولاده وبيته، فأراد الإسلام خلق توازن مادي ومعنوي عبر التشجيع على التكافل الماديّ والمعنويّ وسيؤدي هذا التوازن إلى خلق مجتمع صحيح يتصف بصفات الإيمان المتكامل الذي يتمثل بالطاعة الخالصة لله ورسوله فنرى ((أنّ أنواع النفقات والخدمات في القرآن الكريم قد أوصي بها لهدف أساس هو تمرين الإرادة لدى الفرد، وإصلاحه، ونيل الفضيلة والتقوى والدرجات العالية في الآخرة))[٣]، فثبّت بعض الأوامر الشرعية في سبيل تشجيع المسلمين عامة والمؤمنين خاصّة فأورد الآيات الكثيرة التي تأمر بالإنفاق وتشجع عليه، ومساعدة الآخرين وصور لهم جزاء هذا الإنفاق بشرط الإخلاص لله وحده لا رياء للناس فأمرهم بالابتعاد عن الرياء وطريقه فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٤]، وبمقابل هذه الصورة للمرائي أورد صورة للذي ينفق مخلصا لله فقال تعالى : ﴿قُل لِّعِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾[٥]، وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ الأَعْـرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦]، وقوله تعالى في بيان الجزاء للمنفقين : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٧]. فمثل هذه الآيات وغيرها تبين لنا بصورة لا لبس فيها أنّ الإنفاق طريق من أهم طرق الدعوة لدين الإسلام وإنسانيته، وآلية من آلياته المهمة في الدعوة التي تهدف بالأساس إلى بناء الإنسان ورفاهيته بحدود الشرع ليكسب ثواب الدنيا والآخرة، وبالإجمال يذكر القرآن لنا أنواع المنفقين ومن هذه الأنواع :

الأول: الذي ينفق ماله ليحارب الله ورسوله.

الآخر : ينفق ماله رياء طلبا لمدح الناس.

الثالث : الذي ينفق ماله في سبيل الله مخلصا طلبا لمرضاة الله ورغبة للتقرب منه.

والنوع الثالث سيكون موضع عناية البحث أكثر

من الأولين ؛ لأنّه يرتبط بالعمل الصالح ومنه زيارة الأربعين الذي يجازى عليه العبد، ولا نشير إليهما إلاّ بقدر الحاجة في البحث.

أمّا الأسباب الداعية لكتابة مثل هذا البحث فهي بالأساس مسألة عقائدية لارتباط هذه الزيارة بالحسين عليه السلام وما يمثله من قيم إسلامية، وكونها تمثل تجددا سنويا لفت أنظار المحبين وغير المحبين ولعل هذا البحث يساعد في توضيح الأساس الذي تقام عليه هذه الممارسات العقائدية.

وسيكون المنهج المتبع هو المنهج الوصفي التكاملي (التحليلي، والاجتماعي، والنفسي، والتاريخي، وغير ذلك مما يتطلبه الهذف المرجو من البحث.

أولا : صور الإنفاق في القرآن الكريم

خاطب القرآن الكريم السلوك الإنساني ودعاه إلى طريق الحقّ والهدى ومن أساليب دعوته ((استنفار العقل، وتشغيل الحواس، وتحريك القوى الفاعلة بالإنسان، وتفجير الطاقات الكامنة، وبناء القناعة العقلية للوصول إلى الصواب))[٨] ومن أهم أهداف القرآن الكريم في أول الدعوة إحداث نقلة فكرية شاملة عند الفرد المسلم وذلك ؛ لأنّه قبل البعثة كان يخضع لنظام يتصف بكثير من الأنانية ؛ لأنّ المجتمع ((ونظامه القبلي صرفه عن التفكير في محيط اجتماعيّ أوسع، فلم يفكر في تغيير مجرى حياته فانحصر فكره داخل قبيلته ولم يخرجها عن مألوفها إلاّ بقدر ما يخدم مطالبه الشخصية))[٩]، فقدّم القرآن الكريم الحلول الجذرية لمشاكل الإنسان التي يواجهها، واتسمت هذه الحلول بشموليتها للحاضر والمستقبل ولعل من أهم هذه المشاكل هي المشكلة المالية بشقيها المادي والمعنويّ وذلك حينما طرح القرآن ((ظاهرة الإنفاق في سبيل الله استهدف أولا أهمية هذا الإنفاق، وكونه واسطة بين الله عزّ وجلّ والناس، وليس تمليكا للشخص))[١٠]، وعناية القرآن بظاهرة الإنفاق وتعدد صيغه اللغوية وصوره البلاغية تؤكد ((أنّ الإنفاق يظل واحدا من مصاديق الإخراج من الظلمات إلى النور))[١١].

وتعددت صور الإنفاق وألفاظه فقد أورد القرآن هذه الصور والمعاني بتراكيب متعددة منها بصيغة الفعل المباشر (أنفق) وتصريفاته المتعددة بحسب ما يتطلبه المعنى والسياق المصاحب له فبعض الآيات جاءت بصيغة الأمر المباشر من مثل قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٢] وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١٣] وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية : ((ظاهر الأمر في قوله ﴿أنفقوا﴾ الوجوب، وقد حمله جماعة على صدقة الفرض لذلك، ولما في آخر الآية من الوعد الشديد، وقيل : إنّ هذه الآية تجمع زكاة الفرض والتطوع))[١٤]، وقال صاحب تفسير الكشف والبيان في تفسيرها : ((يعني صدقة التطوع والنفقة في الخير يوم لا فداء فيه ولا صداقة ولا شفاعة))[١٥]، وقال الأصفهاني : ((أي : لا يمكن في القيامة ابتياع حسنة ولا استجلابها بمودة وذلك إشارة إلى قوله تعالى :﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[١٦]، فظاهر الآيات هو

الأمر بالأنفاق والتشجيع عليه ما دام الإنسان قادرا على ذلك فأنّه مبعوث ليرى عمله في يوم الحساب لقوله تعالى :﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١٧] ولم يترك الشرع المقدس مسألة الإنفاق دون تحديد وتوضيح كيفية الإنفاق الذي يُثابُ عليه العبد فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أنْ ننفق الطيب من المال فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[١٨] فالله يأمرنا بالإنفاق من المال الحلال الطيب لا غير، وكذلك حدد القرآن كيفية الإنفاق فقال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٩] ومعنى الآية ((ابتغ فيما رزقك الله من الغنى والثروة الآخرة بأنْ تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، وتجعله زادك إلى الآخرة «ولا تنس نصيبك»، هو أنْ تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك «وأحسن» إلى عباد الله بشكرك وطاعتك كما أحسن الله إليك))[٢٠]، يؤكد ذلك قوله تعالى في وصف المؤمنين حقّا : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٢١]، وبين لنا القرآن درجات الذين أنفقوا وحالهم والجزاء الذي ينتظرهم تحببا وتشجيعا للقيام به فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٢] وفي تفسيرها قال الطبرسيّ : ((في هذه الحالات أي ينفقون على الدوام ؛ لأنّ هذه الأوقات معينة للصدقات ولا وقت سواها))[٢٣]، وشدد على المؤمنين بالابتعاد عن البخل والشح في الإنفاق وصور لهم الإنفاق في سبيل الله على أنه قرضا لله زيادة في التحبب والترغيب وزيادة في العناية وبيان الأهمية فقال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢٤] وفي معنى الشح قال الإمام الصادق عليه السلام : ((الشحّ أشد من البخل، إنّ البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشحّ على ما في أيدي الناس وعلى ما في يده حتى لا يرى في أيدي الناس شيئا إلاّ تمنى أنْ يكون له في الحل والحرام، لا يشبع ولا ينتفع بما رزقه الله))[٢٥]، وفي تفسير ﴿إِنْ تقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قيل : ((يصرف المال فيما أمره الله مقرونا بإخلاص وطيب نفس، يضاعفه لكم بالواحد عشرا إلى سبعمائة وأكثر، ويغفر لكم ببركة الإنفاق))[٢٦]، ويؤكد القرآن الثواب المضاعف ويبنه لنا بمثل واضح لا لبس مع ذكر الجزاء لهم مستعملا صيغة الفعل المضارع (ينفقون) قال تعالى : ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٧]،

ويصور لنا القرآن الذين ينفقون تصويرا بليغا قائما على المشابه زيادة في الترغيب وتأكيد الجزاء قال تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢٨] وفي مقابل صورة الإنفاق و جزائه يحذرنا القرآن الكريم من البخل ويتوعد الذين يبخلون قال تعالى : ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢٩]. ويذكرنا القرآن أنّ المنفق هو المؤمن الذي يطيع الله ورسوله حقّا ؛ لأنّ المال هو مال الله في أيدي عبيده قال تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٣٠]، والآية الكريمة ((تطرح قضية ترتبط بمفهوم الإنفاق ودلالته إذ يعدّ من أهم الظواهر العبادية التي يشدد عليها القرآن... أنّ المال مما أورثه الله تعالى للإنسان وهذا التمليك يعني أنْ ينفق منه في سبيل الله)) [٣١]، ولعل في هذه الآيات ما يؤكد أهمية الإنفاق في سبيل الله وقد أورد القرآن صورا أخرى للإنفاق بألفاظ مثل (الزكاة) و (الصدقة) و (إطعام) و (حقّ) وغيرها، ولم نتطرق إلى مسألة الزكاة في هذا المبحث كونها من الموجبات الشرعية التي أكد عليها القرآن وحددها رسول اللهﷺ، وهي من المسائل المفهومة عند عامة المسلمين ومواضع الإنفاق لها معروفة ومحددة من مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾التوبة/ ٦٠، وكذلك مسألة الصدقة ومواضعها لئلا نطيل فما أوردناه يصور الفكرة عن أمر الله عزّ وجلّ في وجوب الإنفاق وسيأتي ذكرها في البحث عموما ؛ لأنّ المسألة التي هي موضع عناية البحث التطوع في البذل والإنفاق الذي يحمل معناه كثير من الآيات ولعل قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣٢] ((فالمعنى على الأمر بالإقراض و الترغيب))[٣٣] وقوله تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٣٤] وبهاتان الآيتان نختم هذا المبحث ففضلا عمّا ذكرناه من الترغيب في الإنفاق والحث عليه فهاتان الآيتان تصبان في فكرة بحثنا عن الإنفاق في زيارة الأربعين.

ثانيا : سنّة الرسولﷺوأهل بيتهعليهم السلام

يخاطب القران الرسولﷺ والمؤمنين في مواضع كثيرة وتنوعت التراكيب في هذا الخطاب لكنها تسير في اتجاه هدف واحد، هو بيان مقصد القرآن بفصاحة عالية تتسم بالإعجاز وهذا التنوع له مبرراته منها أنّ المخاطبين في القرآن على ((ثلاثة أنواع... ما ندعوه بالمتلقي الخاص، وقسم آخر مذكور في القرآن ولكنه غير معين كما في صيغة يا أيها الناس، أمّا النوع الثالث من المخاطبين فهو

واقع خارج النص القرآني ومع ذلك هو معني بخطاب القرآن وهو جمهور السامعين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم أي : المتلقي الكوني)) [٣٥]، والقرآن الكريم في أهم مقاصده أراد أنْ يؤسس منظومة قيادية ويوجه المسلمين لإتباعها وكان ذلك باختيار الرسولﷺ ؛ لأنّه يمثل المثل الأعلى لأهداف الإسلام فشخص الرسول له مكانته قبل الإسلام حينما لقب بالصادق الأمين وهو ينتمي إلى بني هاشم ((وهم نفر خلقوا أئمة خير يعملون به ويدعون إليه)) [٣٦] وقد دعا الإسلام إلى تحقيق أهداف من أهمها دفع الظلم الاجتماعي الذي كان سائدا في مجتمع ما قبل الإسلام فأسس نظاما اجتماعيا متكاملا ((يخفف من طغيان الأثرة والأنانية وغيرها من النوازع الشريرة))[٣٧] وشجع الإسلام على طاعات وعبادات كثيرة منها ((أنّ من ممارسات المؤمن شعوره وتحسسه آلام الآخرين، فهو ليس ذلك الأناني الذي لا يفكر إلاّ في نفسه، ولا تهمه مشاكل أمته وأوضاع غيره)) [٣٨] وحدد الإسلام علاقة الفرد المسلم مع الله وأنه مسؤول أمام الله كون ((المسؤولية الأخلاقية في الإسلام فردية فالإنسان يجزى بما كسبت يده « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّا يره »)) [٣٩]، وأراد الله سبحانه ترسيخ المفاهيم الجديدة لسعادة المؤمن فعرّفهم عن طريق القرآن الكريم أنّ صالح الأعمال مقبول عن طريق الإيمان بالله عزّ وجلّ ورسوله الكريمﷺ وعلامة الإيمان بالله هو طاعة الرسولﷺوإتباعه في كلّ شيء دون تردد أو مجادلة وكثيرة هي الآيات التي تورد ذلك من مثل قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [٤٠] فاستجابة المؤمنين واجبة لأنّ دعوة الرسولﷺ هي السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، ومن مثل قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [٤١]، وقيل في تفسيرها : ((أي : قدوة صالحة، يقال : لي في فلان أسوة أي : لي به... وهذه الآية وإنْ كان سببها خاصّا، فهي عامة في كلّ شيء، ومثلها : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الحشر/ ٧])) [٤٢]، وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٤٣]، وقال الزمخشري في تفسير الآية : ((محبة الله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها... وزعم أقوام على عهد رسول اللهﷺ أنّهم يحبون الله فأراد الله أنْ يجعل لقولهم تصديقا من عمل فيم ادعى محبته وخالف سنة رسول الله فهو كذّاب وكتاب الله يكذبه)) [٤٤]، ويخبرنا القرآن الكريم اقتران الإيمان بالله ورسوله بصورة من صور الإنفاق في أول الدعوة بقوله تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ

وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤٥] ولعل أحسن ما نمثل به للذين أنفقوا قبل الفتح أم المؤمنين الصديقة خديجة الكبرى عليها السلام فهي وعلي عليه السلام أول مَن آمن بالرسول صلى الله عليه وآله وصدّق برسالته، فقد واست الرسول بنفسها ومالها حينما اشتدّ ضغط قريش على الإسلام والمسلمين وكانت المحاربة الاقتصادية من أهم أسلحتهم والحصار في شعب مكّة تواترت أخباره في الكتب، ((فمن الأساليب التي اتبعتها قريش أسلوب الضغط الاقتصادي، كذلك زادوا في عذاب وإيذاء المستضعفين الذين لم يهاجروا إلى الحبشة، ولم يكن لهم في مكة السند القويّ الذي يمنعهم))[٤٦]، فكان السند الذي يلجأون إليه هو الرسول صلى الله عليه وآله وصالح المؤمنين ((فكانت أموال خديجة تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعاني أعظم المشقة والألم في سبيل إسلامه وعقيدته))[٤٧] وبذلك تكون عليها السلام ممن أنفق قبل الفتح إلى جانب الإمام علي عليه السلام الذي قاتل قبل الفتح يؤكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله في مدحها : ((قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس))[٤٨].

ويبين القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وآله في تحديد الإنفاق في سبيل الله بعد الأسئلة التي سألها المسلمون للرسول في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٩]، وفي معنى العفو قيل : ((عفو المال: ما يفضل من النفقة))[٥٠]، وبهذه الآية وغيرها يؤكد القرآن أنّ طاعة الرسول هي طاعة الله فضلا عن الآيات الكثيرة في وجوب طاعته صلى الله عليه وآله من مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٥١] وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٥٢]، قال أبو حيان في معنى الطاعة أطيعوا الله ورسوله : ((لأنّ طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول صلى الله عليه وآله فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه عليهما))[٥٣] وجعل الله عزّ وجلّ رحمته مقرونة بالطاعة قال تعالى :﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥٤] وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله زاخرة بنماذج العمل الصالح وكرم البذل والعطاء فقد كان يكرم الناس جميعا سواء أكان ذلك مع مَنْ آمن قبل الفتح أم بعده ؛ لأنّ العطاء والإنفاق في سبيل الله مما يجعل القلوب ترقّ وتألف فيكون هذا طريقا في تثبيت الإسلام في نفوس الناس وخير ما نستشهد به قوله صلى الله عليه وآله: ((أنّي أعطي قريشا أتلفهم لأنّهم حديثُ عهدٍ بالجاهلية))[٥٥]، ويدعوا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله للإنفاق على القدرة والاستطاعة وإنْ كان العطاء قليلا في سبيل الله ويشجع عليه في معظم أحاديثه من مثل قوله صلى الله عليه وآله :((اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنّ التمرة تسد من الجائع مسدُها من الشبعان))[٥٦]، وقال صلى الله عليه وآله في بيان منزلة المنفق : ((الأيدي ثلاث : فيدُ الله هي العليا، ويدُ المعطي التي تليه، ويدُ السائل السفلى إلى يوم القيامة، ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا في وجهه))[٥٧] وهذا الحديث يوضح لنا الأسس التي يقام عليها نظام التكافل الاجتماعي إعانة المحتاج حقّا ويؤكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله : ((من جاع أو احتاج فكتم عن

الناس وأفضى به إلى الله كان حقّا على الله أنْ يهيء له رزقَ سنة من حلال من حيث لا يحتسب)) (٥٨)، فمسألة الإنفاق في النظام الاجتماعي الإسلامي أمر بها الله سبحانه وتعالى بصورة عامة ونوّعها وترك أمر تنظيمها وتوزيعها للرسولﷺ في آيات منها قوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٥٩) وقوله تعالى (خذ) خطاب مباشر للنبيﷺ في للقيام بهذه المسؤولية، و تعدّ الزكاة وجه آخر من أوجه الإنفاق ولبيان وجوبها على المؤمنين والتشجيع عليها قرن مواضعها في الكتاب مع الصلاة في أكثر من عشرين آية من مثل قوله تعالى : ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٦٠)﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٦١) ((والزكاة لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء... وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة))(٦٢)، وقد حث الرسولﷺ المؤمنين على الإنفاق بكل الوجوه التي وردت في القرآن ومنها الصدقات مؤكدا أهميتها ومبينا لأنواعها النقدي فقالﷺ : ((باكروا بالصدقة فإنّ البلاء لا يتخطاها، وقال : عليكم بالصدقة فإنّ الله تعالى ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من البلاء)) (٦٣)، وأمّا المعنوي فقالﷺ مخاطبا أبا ذرّ : ((تكفّ أذاك عن الناس فإنّه صدقة تتصدق بها عن نفسك))(٦٤)، فالقرآن والرسولﷺ أسسا هذه المنظومة الاقتصادية لحماية المؤمنين وأمانهم عبر مجموعة الضوابط في موارد الإنفاق وصورة المختلفة (الإنفاق، والزكاة، والصدقة،) وغيرها مما ورد في القرآن من الكفارات والإطعام وكلها تهدف إلى راحة المؤمن التامة وتوثيق علاقة العبد بخالقه عبر الالتزام بما أمره الله والإخلاص له.

وللحفاظ على المنظومة الشرعية للإسلام اختار الله سبحانه وتعالى من يخلف الرسولﷺ في قيادة المؤمنين وإدارة أمورهم الشرعية ومنها منظومة الأمان الاقتصادي للمؤمنين، ولم يدخر الرسول جهدا في الإفصاح عن هؤلاء القادة وتحديدهم بالمفرد أو المجموع في عديد المناسبات حرصا منه على الإسلام، فجعلهم رأس الأمة وأكد ألاّ يجوز أن يتقدّمهم أي شخص بأي صورة كانت ؛ لأنّهم مقدمون من الله، ولا يسع البحث إيراد كل الأحاديث في ذلك، ولكن نذكر نماذج منها قولهﷺ في حقّ عليعليه السلام : ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتى يردا عليَ الحوض))(٦٥)، ومن مثل ما روي عنهﷺ قوله للحسينعليه السلام : ((إنّك سيد ابن سيد أبو سادة، إنّك إمام ابن إمام أبو أئمة، إنّك حجة ابن حجة أبو حجج، تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم)) (٦٦)، ومسألة الخلافة وأهمية ترتيبها وتعريف المؤمنين بخليفة الرسول رافقت الدعوة منذ بدايتها والأخبار متواترة في ذلك من مثل ما أورده ابن عساكر قال : ((لما نزلت أية «وانذر عشيرتك الأقربين»، جمع النبي من أهل

بيته، فاجتمع ثلاثون... قال : مَن يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي بالجنة، ويكون خليفتي في أهلي قال علي : أنا))[٦٧]، وعن جابر الأنصاري قال : ((كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما نظر الرسول قال : قد أتاكم أخي. ثمّ التفت إلى الكعبة قال : وربّ هذه البنية أنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة))[٦٨]، وحديث الثقلين متواتر في كتب المسلمين وفيه تأكيد العصمة والنجاة من الضلالة قال ﷺ : ((أني تارك فيكم الثقلين، ما أنْ تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما))[٦٩] وهذا الحديث يفسر الترافق وعدم المفارقة بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام في العمل والقول ثمّ الإبقاء على الدلالات القرآنية نفسها ؛ لأنّ الأئمة يتوسمون خطى القرآن في حديثهم، وبنظرة سريعة عما ورد عن أهل البيت في الإنفاق والترغيب به نجدهم لا يختلفون عمّا ورد عن القرآن الكريم ورسول الله ﷺ فسيرتهم هي طريق الإخلاص لله في كلّ شيء ومنها العطاء، فقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام : ((أنّه كان يأتيه السائل فيقوم حتى يناوله، ويقول عليه السلام : أنّ الصدقة في يد الله قبل أن تقع في يد السائل))[٧٠]، وروي أبو مسلمة السلمي قال : ((دخلت على الباقر عليه السلام وعنده كِسَرٌ من الخبز وشيء من تمر، فقال : أدن فكلْ إنّا إذا جاد الله جدنا وإذا قتر علينا قترنا))[٧١]، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام مخاطبا أحد أصحابه : ((ما منعك أنْ تعتق كلّ يوم رقبة ؟ قلت : لا يحتمل مالي ذلك، قال عليه السلام : تطعم كلّ يوم مسلما، فقلت : موسرا أو معسرا ؟ قال : إنّ الموسر قد يشتهي الطعام))[٧٢]، وقال الإمام الرضا عليه السلام : ((السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه))[٧٣]، وقال الإمام الهادي عليه السلام : ((خصلتان ليس فوقهما شيء : الإيمان بالله ونفع الإخوان))[٧٤]، فمثل هذه الأحاديث في العطاء في سبيل الله تؤكد حرصهم على إتباع القرآن والسنّة، فالأئمة عليهم السلام كونهم خلفاء الرسول ﷺ والحريصين على بيضة الإسلام ((وبالرغم من إقصائهم عن مجال الحكم كانوا يتحملون باستمرار مسؤولياتهم لحفظ الرسالة والتجربة الإسلامية، وتحصينها من التردي إلى الهاوية))[٧٥]، فقد كانوا يحرصون أشد الحرص على إقامة عدالة الله في الأرض قولا وعملا، فطاعتهم طاعة الله ورسوله ومن المؤكد أنّ القرآن والسنة قد بينا بصورة لا لبس فيها طريق الجنّة، وأهمها العمل الصالح سواء أكان ذلك بالإنفاق وكلّ ما يدخل تحت هذا العنوان من طاعات لله ورسوله، والطريق التي تؤدي إلى سخط الله وعقابه وهو كلّ ما يخالف أمر الله عزّ وجلّ، ومنها معصيّة الله والرسول ﷺ.

وهذا يجعلنا نختم مبحثنا وننتقل إلى مبحث زيارة الأربعين التي تمثل وجها من أوجه طاعة الله ورسوله ﷺ ؛ لأنّها اقترنت بالأساس مع الحسين عليه السلام ونهضته.

ثالثا : زيارة الأربعين وجه من أوجه طاعة الله ورسوله

تحدثنا كتب التأريخ والسير عن بداية زيارة الأربعين على أنّها وصول أهل بيت الرسولﷺ إلى كربلاء بعد مرور أربعين يوما على فاجعة الطفّ وصادف وصولهم مع وصول الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري الذي خرج لنصرة الحسينؑ، وهذا الأمر أصبح من العادات المنتظمة عند أتباع أهل البيتﷺ وهم ((الإمامية القائلون بإمامة عليّؑ بعد النبيﷺ نصّا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريف بالوصف، بل إشارة إليه بالعين)) [٧٦]، فصار إحياء ذكرى عاشوراء في شهر محرم وزيارة الأربعين في شهر صفر من المناسبات التي يوليها أتباع أهل البيت أشد الاهتمام ؛ لأنّها مناسبة لإظهار وجه الإسلام الحقيقي أمام تزييف الحكام وجورهم فكان ((لأتباع أهل البيت دور إيجابي وفعّال في نشر أهداف الإسلام الحقيقية)) [٧٧] ؛ لأنّ ذكرى الأربعين باتحادها مع ذكر الحسينؑ صارت إشارة لفظية لها تصورها التداولي في الذاكرة الإسلامية والإنسانية فقد أصبحت لفظتها تستدعي دلالات متعددة، فما أنْ تذكر يتم استدعاء كلّ ما يتعلق بها من قيم ومبادئ إنسانية سامية من مثل الثبات على الإيمان والصبر والشجاعة والتضحية والإباء وغير ذلك مما جسدته ملحمتها الخالدة بموقف الحسينؑ وتضحيته في سبيل الله ودينه. وقد حارب هؤلاء الحكام فكر أهل البيت عبر التضييق على أتباعهم والتنكيل بهم في مناسبات كثيرة ولعل ما فعله المتوكل العباسي خير مثال إذ أمر بمنع زيارة كربلاء والتشدد في ذلك ((فقد كان شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظا على جماعتهم مهتما بامورهم..... وبعث رجلا من أصحابه يقال له الديزج وكان يهوديا فأسلم إلى قبر الحسين وأمره بكرب قبره ومحوه وخراب كلّ ما حوله)) [٧٨]، ويُعد نشر أهداف الإسلام وعقائده الحقيقية ودعوة الناس لها هو محور حياة الرسولﷺ والأئمةؑ فقيض الله لهم الأتباع المؤمنين بهذه العقيدة التي تنتج الخير بكل الأحوال والأزمان ((فلا غرابة أنْ تتركز هذه العقيدة عند أتباعهم بوضوح وجلاء عبر تأريخ مسيرتهم الطويلة وتصبح سمة بارزة وعلامة فارقة للصادق منهم عن غـيره)) [٧٩]، ومظاهر الإنفاق لإحياء ذكر أهل البيتؑ في كلّ مناسبة هو نوع من أنواع العبادات والطاعات لله ورسوله ونصرة لدين الإسلام فهي طاعة لله لقوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٨٠] فالآية تخبرنا بصورة لا لبس فيها أنّ الذي لم ينفق في سبيل الله سيشعر بأشد الندامة حينما يرى جزاء المؤمنين الذين أنفقوا في سبيل الله ؛ لذلك يطلب الرجوع لا لفعل شيء إلاّ التصدق ويعمل صالحا، فأهل البيت شجعوا على الإنفاق وإطعام الناس كما مرّ في المبحث الثاني فكانت السمة البارزة لإنفاق أتباعهم هي إطعام الناس دون تمييز طلبا لما عند الله فلا نجد مناسبة تحي ذكر أهل البيت من ولادة أو استشهاد دون حضور الطعام فيها، مع ملاحظة أنّ كل واحد من هؤلاء الأتباع يعطي المال على قدر طاقته وسعته.

ومناسبة الأربعين عندهم مكانة لا تضاهيها أي مناسبة أخرى كونها تمثل صورة للحدث والمكان والزمان فالحدث الحسين عليه السلام، والمكان كربلاء، والزمان شهري محرم وصفر، فصارت تحي فيهم وقفة الحسين الذي يمثل الإسلام الحق أمام الباطل الذي تمثل بيزيد و بذلك ((تختزن المعاني الإسلامية الأصيلة حبّ الله، الجهاد، والتضحية، والوفاء، والصبر، والتحدي)) [٨١] فهي تمثل عندهم نصرة الحسين وأهل البيت عليهم السلام التي أمرنا الرسول صلى الله عليه وآله بها حينما قال : ((أنّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك فلينصره)) [٨٢]، فنصرتهم بالمال والأنفس مبذولة في كلّ عصر وأوان، فهم ينظرون لهذه المناسبة ومكانها على أنّها باب من أبواب الجنّة التي وُعِد بها المؤمنون المتقون وقد تضمنت أدبياتهم هذا المعنى من مثل قول الشاعر السريّ الرفاء :[٨٣]

آل النبي وجدنا حبكم سببا يرضى الإله به عنا ويرضينا

وهي باب من أبواب السعادة في الدين والدنيا قال الشيخ الكرباسيّ :[٨٤]

إنّ في كربلاء دنيًا وأخرىً وحياة للدين والأرواح

وهي مكان تختلف إليه الملائكة فتزوره وتتبرك به من مثل قول صالح بن العرندس :[٨٥]

له القبة البيضاء بالطفّ لم تزل

تطوف بها طوعا ملائكة غرّ

ومثل هذه الأفكار في حقّ كربلاء التي آمن بها أتباع أهل البيت لم تأتي من فراغ فهم يتبعون أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام التي جعلت الحسين وكربلاء يمثلان طريق الجنّة لأنّ المدافعين عن الدين الصحيح سيقتلون فيها ومن سيقفون ضدهم هم أصحاب النار من مثل قول الإمام علي عليه السلام حينما خاطب عمر بن سعد ((فقال له : كيف أنت إذا قمت مقاما تُخيَر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار))[٨٦] والحديث يشير إلى موقف ابن سعد في قيادة الجيش لقتال الحسين عليه السلام، وقال الإمام علي عليه السلام مشيرا إلى أرض كربلاء : ((واهاً لك تربة ليقتلنّ بك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب)) [٨٧]، وقال الإمام الحسين عليه السلام : ((من أحبنا لدُنيا فإنّ صاحب الدنيا يحبه البر والفاجر، ومن أحبنا لله كنا نحن وهو يوم القيامة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى)) [٨٨]، فمثل هذه الأحاديث وغيرها تعدُ مرتكزا أساسيا لعقيدتهم لإتباع نهج الحسين عليه السلام إذ يمثل أحد السبطين من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وأحاديث الرسول بحبهما وجزاء من يحبهما متواترة فمن يحب أهل البيت ينال الشفاعة من مثل ما قال عمر بن عبد العزيز حينما ردّ فدك : ((فأنا اليوم أردها على ورثتها أتقربُ بذلك إلى رسول الله وأرجو أنْ تكون فاطمة، والحسن، والحسين، يشفعون لي يوم القيامة)) [٨٩]، فالحسين عليه السلام بوقفته الشجاعة للحفاظ على جوهر رسالة الإسلام النبويّ كأنّه ((أراد أنْ يكون دمه ودمّ أهل بيت النبوة زيتا يضيء الدرب للأمّة)) [٩٠].

واحيا ء ذكرى الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين من أتباع أهل البيت تستنفر الضمائر وتجدد العقيدة الإسلامية في حياة المؤمنين وتظهر للناس ((المعنى

الخفي للحقيقة التي انتقلت من الوحي النبويّ في آل بيته وأبناء عترته)) [٩١]، فطريق الحقّ الذي يمثله الرسول وأهل بيته يمثل الإيمان الحقيقي الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى بإتباعه بقوله تعالى : ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [٩٢]، ومعنى التولي من ظاهر الآية هو عدم الإتباع والابتعاد عن صراط الرسول الكريم، وكأن الله سبحانه وتعالى جعل الأربعين مناسبة لترسيخ الإيمان وتجديد البيعة لله ورسوله ؛ لأنّ ((الإيمان يجب أنْ يتجدد ويترسخ دائما)) [٩٣]، وبالإنفاق يمتثلون لأمر الله في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٩٤].

وزيارة الأربعين من الممارسات العبادية التي يحرص عليها الناس المؤمنون وذكرنا في أول مبحثنا أنّها بدأت بشخص واحد من خارج بيت النبوة هو الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ويبدو أنّ الله أراد أنْ يُعرّف الناس بسبل أخرى لنصرة الإسلام الحقيقي الذي يمثله موقف الحسين عليه السلام حينما وصل بعد أربعين يوما من استشهاد الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه فجابر خرج ليلحق بهم ونيته القتال معهم ولكن الله شاء له نوع آخر من النصرة المستمرة للحقّ إلى قيام الساعة فجعله أول مَن يزور سيد الشهداء بعد الفاجعة، وبذلك يكون أول من أحيا زيارة الأربعين مع أهل البيت عليهم السلام، ولعل طبيعة المكان المنعزل هي التي جعلت إطعام الزائرين وتوفير السكن لهم السمة الأبرز للخدمة في هذه المناسبة ؛ لأنّ كربلاء لم تكن مدينة قائمة ولها كيانها حين الواقعة ولكن سكنت في أواخر القرن الثاني عندما استوطنها السيد إبراهيم المجاب ((وفي سنة ٣٧٠ هـ صارت كربلاء مدينة مأهولة بالسكان وفيها من السادة العلويين ما يربو على ألفين ومائتين من الأشخاص)) [٩٥] وهذا التأخر بسبب محاربة الحكام لما تمثله كربلاء حينما ارتبطت بالحسين عليه السلام، ولعل هذا الارتباط هو سرّ من أسرار العناية الإلهية فالأمر الذي بدأ بشخص واحد نمى وربا وأنبت ما لا يحصى عدده من الأنصار الزائرين المتبركين بقبر سيد الشهداء عليه السلام في مناسبة الأربعين وقد وصف الشاعر عبيد الله بن الحر الجعفي هذا الأمر بقوله : [٩٦]

ولو أنّي أواسيه بنفسي لنلتُ كرامة يومَ التلاقي

فقد فاز الألى نصروا حسينا وخاب الآخرون أولي النفاق

ولو أردنا استعراض التطورات التي رافقت زوار الأربعين من أعداد وأحداث لملئت مجلدات لا تحصى؛ لأنّها تمثل تأريخ طائفة ظهر صوتها عاليا بع استشهاد الحسين عليه السلام ((حيث أصبح التشيع كيانا مميزا له طابعه الخاص)) [٩٧] وأهم سمة لهذا الطابع هو إحياء ذكرى الحسين عليه السلام وما تمثله وقفته أمام الباطل وكانت العادة في إطعام الطعام للزائرين وغيرهم هي الحديث عمّا يمثله الحسين عليه السلام وتعريف الناس بنهضته وعلاقتها بالإسلام الحقيقي الذي حاول المبطلون الانحراف به خدمة لمصالحهم الشخصية الضيقة، عبر التدليس على الناس بإسلام سياسي فصله لهم أهل الضلالة وحملوا الناس على إتباعه بالقوة أو الرشاوى أو القتل والاغتيال ولعل المظاهر التي عاصرناها وعشنا أيامها خير دليل على إتساع مناسبة الأربعين والانتقال بها

من بعدها المحلي إلى بعدها العالمي الإنساني وكان للإنفاق دور أساسي في هذه المسالة فقد لفت نظر الناس توزيع الطعام مما أثار حفيظتهم للاستفسار عن هذه المناسبة فيكون وقتا مناسبا للتعريف بجوهر الإسلام وبابا من أبواب الدعوة لله ورسوله ﷺ، فدلالة الدين من أهم الدلالات التي ارتبطت بزيارة الأربعين التي توحدت مع الحسين عليه السلام، ((فكل تحرك جاء بعد عاشوراء باتجاه التأكيد على حاكمية الإسلام هو بشكل أو آخر يستمد روحه من كربلاء)) (٩٨).

وعلى هذا لا نغالي حينما نقول أنّ مَنْ يقوم بخدمة الزائرين مخلصا لله هو من المنفقين الذين وعدهم الله بأحسن الجزاء، وينطبق عليهم صفة المؤمنين في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٩٩)، والحرف (قد) في اللغة يفيد التحقيق أي : أنّ فوزهم وفلاحهم في الآخرة قد تحقق، أمّا وعد الله بالجزاء الحسن ففي قوله تعالى : ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١٠٠)، فالمنفقون والمزكّون من المؤمنين في زيارة الأربعين الذين لا يألون جهدا في خدمة الزائرين كأنّهم ينظرون تفسير الإمام جعفر الصادق عليه السلام للزكاة قال : ((عن كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ شعرة، فزكاة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن،... وزكاة اللسان النصح للمسلمين، وزكاة اليد البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به)) (١٠١)، ومثل هذه الزكاة نجد صورها منشرة في أيام زيارة الأربعين، فضلا عن مصداق قوله تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الذي يتجلى حقيقة وواقعا ملموسا إذ نرى الموسع الذي ينفق على قدر فضل الله عليه، ونجد المقتر الذي قلّ رزقه جنبا إلى جنب يتنافسون في خدمة الزائرين، وكلاهما يسعيان لإحياء روح الإسلام وإظهار حقيقة الدين الإسلامي بروحه الحقيقية التي جاء بها الرسول ﷺ وترك المسلمين على المحجّة البيضاء.

الخاتمة

وجد البحث أنّ مسألة الإنفاق من الأمور التي أكدها القرآن ن وهي مسالة رافقت الدعوة من أول أيامها وكانت من أهدافها بناء الروابط الاجتماعية وتمتينها عبر بناء نظام اقتصادي متكامل يحمي المؤمنين، وكان سلاحا من أهم أسلحة الإسلام كون المشركين اتبعوا سياسة التجويع والمقاطعة مع المؤمنين ليردوهم عن دينهم، وقد مدح القرآن الكريم كلّ من أنفق في سبيل الله مخلصا لا يريد إلاّ ما عند الله، في مقابل المدح ذمّ الذين أنفقوا لمحاربة الإسلام وتوعدهم بأشد العذاب،

أنّ سيرة الرسول وأهل بيته هي التشجيع على الإنفاق التطوعي فضلا عن الذي فرضه الله وقد صورت لنا أحاديثهم أهمية هذا الأمر وكيف أنّ الله سيجازي الذين يتبعونهم في كلّ أمر ومنها الإنفاق

على أنْ يكون خالصا لوجها لله ولو كان قليلا (شق تمرة) أو (كِسرة خبز).

الموالين لأهل البيت والذين اتخذوا الأئمة نبراسا يتبعونه ويهتدون به ساروا بسيرتهم في الإنفاق وهدفهم هو إحياء سنة الرسول وأهل بيته مؤكدين بذلك إخلاصهم لله ورسوله أظهروا سخاء لا يوصف في الإنفاق في المناسبات التي تخص أهل بيت النبوة مظهرين سيرتهم وحرصهم على وجه الإسلام الحقيقي على مرّ التأريخ وقدموا أرواحهم وأموالهم في سبيل الدين الحقّ، وكانت مناسبة شهر محرم وشهر صفر من أهم المناسبات السنوية التي يحرصون أشد الحرص على إحيائها فجعلوها متميزة في مظاهرها ومنها الإنفاق خدمة للزائرين.

هوامش البحث

١ـ في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، عبد الرضا الزبيدي، قم، مكتبة فدك، ٢٣١، ٢٠٠٥

٢ـ تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية، صالح العلي، بيروت، شركة المطبوعات، ٢٠٠٠، ٣٤١

٣ـ القرآن في مسار تطوره، مهدي بزركان، ترجمة كمال السيد، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر، ٤٢٨

٤ـ سورة البقرة، الآية : ٢٦٤

٥ـ سورة إبراهيم، الآية : ٣١

٦ـ سورة التوبة، الآية : ٩٩

٧ـ سورة الأنفال، الآيتان : ٣، ٤

٨ـ من أساليب الإقتاع في القرآن، معتصم بابكر، قطر، وزارة الأوقاف، ٢٠٠٣، ١٢

٩ـ تأريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد الفيومي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ٤٥٩

١٠ـ التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مشهد، مجمع البحوث الاسلامية، ٤/ ٤٧٦

١١ـ التفسير البنائي للقرآن الكريم، ٤ / ٤٧٧

١٢ـ سورة البقرة، الآية :١٩٥

١٣ـ سورة البقرة، الآية : ٢٥٤

١٤ـ فتح القدير، الشوكاني، بيروت، دار المعرفة،٢٠٠٧، ٣ / ١٧٣

١٥ـ الكشف والبيان في تفسير القرآن، أبو اسحق الثعالبي، تحقيق ناصر المنيع، جدة، دار التفسير،٢٠١٥، ٧/ ٤٨، ٤٩

١٦ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، بيروت، دار إحياء التراث، ٢٠٠٨، ١٦٠

١٧ ـ سورة الزلزلة، الآيات : ٦، ٧، ٨

١٨ـ سورة البقرة، الآية : ٢٦٧

١٩ـ سورة القصص، الآية : ٧٧

٢٠ـ تفسير الكشاف، الزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦، ٣/ ٤١٦

٢١ـ سورة الفرقان، الآية :٦٧

٢٢ـ سورة الرعد، الآية : ٢٢

٢٣ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٥، مج٢ / ٣/ ٢٠٤

٢٤ـ سورة التغابن، الآيتان : ١٦، ١٧

٢٥ ـ تحف العقول عن آل الرسول ن ابن شعبة الحراني، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٧٢، ٢٠٠٢

٢٦ـ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، طهران، مكتبة الصدر، ٥ / ١٨٥

٢٧ـ سورة البقرة، الآيتان : ٢٦١، ٢٦٢

٢٨ـ سورة البقرة، الآية : ٢٦٥

٢٩ـ سورة آل عمران، الآية : ١٨٠

٣٠ـ سورة الحديد ن الآية : ٧

٣١ـ التفسير البنائي للقرآن الكريم، ٤ / ٤٧٦

٣٢ـ سورة البقرة، الآية : ٢٤٥

٣٣ـ أساليب المعاني في القرآن، جعفر الحسيني، طهران، بوستان كتاب، ٨٤

٣٤ـ سورة الطلاق، الآية : ٧

٣٥ـ البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمر، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢، ٢٨

٣٦ـ هاشم وأمية في الجاهلية، صدر الدين شرف الدين، بيروت، دار القلم، ٢٧٧

٣٧ـ أسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الملاك، ٤٦

٣٨ـ الرسول طريق إلى القمة، حسن موسى الصفار، عُمان، مكتبة الرسول الأعظم، ١٩٦

٣٩ـ تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ٣٤١

٤٠ـ سورة الأنفال، الآية : ٢٤

٤١ـ سورة الأحزاب، الآية : ٢١

٤٢ـ فتح القدير، ١١ / ١١٦٢

٤٣ـ سورة آل عمران، الآية : ٣١

٤٤ـ تفسير الكشاف، ١ / ٣٤٧

٤٥ـ سورة الحديد : الآيتان : ٧ و ١٠

٤٦ـ موسوعة التأريخ الإسلامي عصر النبوة وما قبله، عبد الحكيم الكعبي،عمان، دار أسامة، ٢٦٩

٤٧ـ صفوة الصحيح من سيرة النبي، جعفر العاملي، طهران، ١٢٤

٤٨ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة، مرتضى العسكري، طهران، كلية أصول الدين، ١ / ٧٤

٤٩ـ سورة البقرة، الآية :٢١٩

٥٠ـ الدر النظيم في لغات القرآن الكريم، عباس القمي، تحقيق رضا استادي، مسهد، مجمع البحوث الإسلامية،١٥٣.

٥١ـ سورة آل عمران، الآية : ٣٢

٥٢ـ سورة الأنفال، الآية : ٢٠

٥٣ـ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر، ٢٠١٠، ٥ / ٢٩٩

٥٤ـ سورة آل عمران، الآية :١٣٢

٥٥ـ خصائص الوحي المبين، ابن بطريق، تحقيق مالك المحمودي، قم، دار القرآن، ٣٠ / ٣١

٥٦ـ كشف الغمة عن جميع الأمة، الشعراني، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧، ١ / ٢٣١

٥٧ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، مج ٢ / ٣ / ٢٠٣

٥٨ـ مكارم أخلاق النبي والأئمة، الراوندي، تحقيق حسين الموسوي، كربلاء، العتبة الحسينية، ٢٠٠٩، ٨٥

٥٩ـ سورة التوبة، الآية : ١٠٣

٦٠ـ سورة المزمل، الآية : ٢٠

٦١ـ سورة لقمان، الآيتان : ٤،٥

٦٢ـ المفردات في غريب القرآن، ٢٢٠

٦٣ـ كشف الغمة عن جميع الأمة، ٢٣١

٦٤ـ الجعفريات الأشعثيات، الأشعث الكوفي، تحقيق مشتاق صالح، كربلاء، العتبة العباسية، ١ / ١٤٥

٦٥ـ ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق جمال الحسيني، قم، دار الأسوة، ٣٩٨

٦٦ـ مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق محمد السماوي، قم، أنوار الهدى، ١ / ٢١٢، ٢١٣

٦٧ـ تأريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥، ٤ / ٣٢

٦٨ـ تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٩٥، ٥٨٥

٦٩ـ فضائل الثقلين، شهاب الدين الشافعي،تحقيق حسن اليرجندي، طهران، مركز التحقيقات، ٢٠٠٩، ٤٢٦

٧٠ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر

عطا، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٧، ٥ / ١٦٦

٧١ـ مكارم أخلاق النبي والأئمة، ٢٨٧

٧٢ـ أصول الكافي، الكليني، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥، ٢ / ٤٤٢

٧٣ـ تحف العقول عن آل الرسول، ٣٢٨

٧٤ـ تحف العقول عن آل الرسول، ٣٦٢

٧٥ـ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، بيروت، دار التعارف، ١٤٤

٧٦ـ الملل والنحل، الشهرستاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ٢ / ١٦٣

٧٧ـ الشيعة رواد العدل والسلام، مجيد الصائغ، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠١٤، ١٠

٧٨ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق أحمد صقر، النجف، مؤسسة النبراس، ٣٦٧

٧٩ـأهل البيت ومصلحة الإسلام العليا، فؤاد كاظم المقدادي، طهران، المؤسسة الثقافية، ١٩٩٨، ٢٥

٨٠ـ سورة المنافقون، الآية : ١٠

٨١ـ ذكرى عاشوراء عبر ودلالات، علي فضل الله، بيروت، المركز الإسلامي الثقافي، ٢٠١٤، ٥

٨٢ـ كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، المتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨، ٧ / ٢٣٦

٨٣ـ ديوان السري الرفاء، تحقيق حبيب حسن السيد، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١، ٢ / ٧١٨

٨٤ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق علي محمد عوض وآخرون، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٣، مج ٢ / ٢٩

٨٥ـ ينظر، الحسين في موكب الخالدين، محسن علي المعلم، بيروت، دار الهادي، ١٤

٨٦ـ كنز العمال، ٢ / ٢٩٠

٨٧ـ ينظر، الحسين حفيدا وشهيدا، عرفان بن سليم الدمشقي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٧، ٦٣

٨٨ـينظر، الهاشميون في الشريعة والتأريخ، أحمد حسين يعقوب، الأردن / جرش، ١٩٩٨، ١٥٥

٨٩ـ السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري، تحقيق محمد هادي الأميني، بيروت، شركة الكتبي، ١٩٩٣، ١٤٨

٩٠ـ الهاشميون في الشريعة والتأريخ، ٢٨٥

٩١ـدرر السمط في خبر السبط، ابن الآبار البلنسي، تحقيق أبو الفتح دعوتي، طهران، دار الهدى، ٢٨

٩٢ـ سورة النساء، الآية : ٨٠

٩٣ـ التشيع والتحول في العصر الصفوي، كولن تيرنر، ترجمة حسين علي، ألمانيا، منشورات الجمل، ٢٠٠٨، ٨٨

٩٤ـ سورة آل عمران، الآية : ١٣٤

٩٥ـ تاريخ مدينة كربلاء، نور الدين الشاهرودي، بيروت، دار العلوم، ١٩٩٠، ١٦

٩٦ـ خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢ / ١٥٦

٩٧ـ الشيعة في التأريخ، عبد الرسول الموسوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ٤٣

٩٨ـ في رحاب كربلاء، حسين كوراني، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١، ١٢

٩٩ـ سورة المؤمنون، الآيات : ١، ٢، ٣، ٤

١٠٠ـ سورة التوبة، الآية : ١٢١

١٠١ـ بحار الأنوار، المجلسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٨، مج ٤٧ / ٩٣ / ٨

مصادر البحث

القرآن الكريم

١ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة، مرتضى العسكري، طهران، كلية أصول الدين

٢ـ أساليب المعاني في القرآن، جعفر الحسيني، طهران، بوستان كتاب

٣ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق علي محمد عوض وآخرون، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٣

٤ـ أسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الملاك

٥ـ أصول الكافي، الكليني، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥

٦ـ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، بيروت، دار التعارف

٧ـ أهل البيت ومصلحة الإسلام العليا، فؤاد كاظم المقدادي، طهران، المؤسسة الثقافية، ١٩٩٨

٨ـ بحار الأنوار، المجلسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٨

٩ـ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر، ٢٠١٠

١٠ـ البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمر، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢

١١ـ تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية، صالح العلي، بيروت، شركة المطبوعات، ٢٠٠٠

١٢ـ تأريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد الفيومي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤

١٣ـ تأريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥

١٤ـ تاريخ مدينة كربلاء، نور الدين الشاهرودي، بيروت، دار العلوم، ١٩٩٠

١٥ـ تحف العقول عن آل الرسول ن ابن شعبة الحراني، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٢

١٦ـ التشيع والتحول في العصر الصفوي، كولن تيرنر، ترجمة حسين علي، ألمانيا، منشورات الجمل، ٢٠٠٨

١٧ـ التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية

١٨ـ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، طهران، مكتبة الصدر

١٩ـ تفسير الكشاف، الزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦

٢٠ـ تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٩٥

٢١ـ الجعفريات الأشعثيات، الأشعث الكوفي، تحقيق مشتاق صالح، كربلاء، العتبة العباسية

٢٢ـ الحسين حفيدا وشهيدا، عرفان بن سليم الدمشقي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٧

٢٣ـ الحسين في موكب الخالدين، محسن علي المعلم، بيروت، دار الهادي

٢٤ـ خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي

٢٥ـ خصائص الوحي المبين، ابن بطريق، تحقيق مالك المحمودي، قم، دار القرآن

٢٦ـ الدر النظيم في لغات القرآن الكريم، عباس القمي، تحقيق رضا استادي، مسهد، مجمع البحوث الإسلامية

٢٧ـ درر السمط في خبر السبط، ابن الآبار البلنسي،

تحقيق أبو الفتح دعوتي، طهران، دار الهدى.
٢٨ـ ديوان السري الرفاء، تحقيق حبيب حسن السيد، بغداد، دار الرشيد،١٩٨١
٢٩ـ ذكرى عاشوراء عبر ودلالات، علي فضل الله، بيروت، المركز الإسلامي الثقافي، ٢٠١٤
٣٠ـ الرسول طريق إلى القمة، حسن موسى الصفار، عُمان، مكتبة الرسول الأعظم
٣١ـ السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري، تحقيق محمد هادي الأميني، بيروت، شركة الكتبي، ١٩٩٣
٣٢ـ الشيعة رواد العدل والسلام، مجيد الصائغ، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠١٤
٣٣ـ الشيعة في التأريخ، عبد الرسول الموسوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢
٣٤ـ صفوة الصحيح من سيرة النبي، جعفر العاملي، طهران.
٣٥ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٧.
٣٦ـ فتح القدير، الشوكاني، بيروت، دار المعرفة،٢٠٠٧.
٣٧ـ فضائل الثقلين، شهاب الدين الشافعي،تحقيق حسن اليرجندي، طهران، مركز التحقيقات، ٢٠٠٩
٣٨ـ في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، عبد الرضا الزبيدي، قم، مكتبة فدك، ٢٠٠٥
٣٩ ـ في رحاب كربلاء، حسين كوراني، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١
٤٠ـ القرآن في مسار تطوره، مهدي بزركان، ترجمة كمال السيد، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر
٤١ـ كشف الغمة عن جميع الأمة، الشعراني، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧
٤٢ـ الكشف والبيان في تفسير القرآن، أبو اسحق الثعالبي، تحقيق ناصر المنيع، جدة، دار التفسير،٢٠١٥
٤٣ـ كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، المتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨
٤٤ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٥
٤٥ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، بيروت، دار إحياء التراث، ٢٠٠٨
٤٧ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق أحمد صقر، النجف، مؤسسة النبراس
٤٨ـ مقتل الحسين، الخوارمي، تحقيق محمد السماي، قم، أنوار الهدى.
٤٩ـ مكارم أخلاق النبي والأئمة، الراوندي، تحقيق حسين الموسوي، كربلاء، العتبة الحسينية، ٢٠٠٩
٥٠ـ الملل والنحل، الشهرستاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢
٥١ـ من أساليب الإقناع في القرآن، معتصم بابكر، قطر، وزارة الأوقاف، ٢٠١٢
٥٢ـ موسوعة التأريخ الإسلامي عصر النبوة وما قبله، عبد الحكيم الكعبي،عمان، دار أسامة
٥٣ـ هاشم وأمية في الجاهلية، صدر الدين شرف الدين، بيروت، دار القلم
٥٤ـ الهاشميون في الشريعة والتأريخ، أحمد حسين يعقوب، الأردن / جرش، ١٩٩٨
٥٥ـ ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق جمال الحسيني، قم، دار الأسوة